

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة حسية بن بوعلی الشلف
كلية العلوم الاجتماعية والانسانية
قسم العلوم الانسانية



أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه LMD

الشعبة: تاريخ

التخصص: تاريخ حديث ومعاصر

العنوان

منطقة توات وإسهاماتها في المقاومة الشعبية بالجزائر
(1883-1903)

الإشراف:

أ.د بن شرقي حليلى

من إعداد الطالب:

عبد الكريم طهيري

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
العبد فارس	أستاذ	جامعة حسية بن بوعلی - الشلف	رئيساً
بن شرقي حليلى	أستاذ	جامعة حسية بن بوعلی - الشلف	مشرفاً ومقرراً
رشيد زوبير	أستاذ	جامعة حسية بن بوعلی - الشلف	ممتحناً
بلعربي خالدي	أستاذ	جامعة حسية بن بوعلی - الشلف	ممتحناً
محفوظ تاونزة	أستاذ	جامعة الجيلالي بونعامة - خميس مليانة	ممتحناً
محفوظ عاشور	أستاذ	جامعة لونييسي علي - البليدة 2	ممتحناً

الموسم الجامعي: 2024/2025 م - 1446/1447 هـ

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف
كلية العلوم الاجتماعية والانسانية
قسم العلوم الانسانية



أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه LMD
الشعبة: تاريخ
التخصص: تاريخ حديث ومعاصر

العنوان

منطقة توات وإسهاماتها في المقاومة الشعبية بالجزائر
(1903-1883)

من إعداد الطالب:
عبد الكريم طهيري

الإشراف:
أ.د بن شرقي حليلي

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
العبد فارس	أستاذ	جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف	رئيساً
بن شرقي حليلي	أستاذ	جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف	مشرفاً ومقرراً
رشيد زوبير	أستاذ	جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف	ممتحناً
بلعربي خالدي	أستاذ	جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف	ممتحناً
محفوظ تاونزة	أستاذ	جامعة الجيلالي بونعامة - خميس مليانة	ممتحناً
محفوظ عاشور	أستاذ	جامعة لونييسي علي - البليدة 2	ممتحناً

الموسم الجامعي: 2025/2024 م – 1447/1446 هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"أما بعد: فقد تجدد على هذا الإقليم النواتي، ما كان يخاف عليه منه قبل الآن، وهو تماقت طاعية الفرنسيس عليه لحنه الله، بالحدود والحدود، والأزل والذل، والقتل والأسر، بحام سبعة عشر وثلاثمائة ألف، في طرفه الجنوبي الذي هو عين صالح، ثم في طرفه الشمالي في هذا الحام الثامن عشر.... فلما كان ما كان وانتدبت محاربة من هذا الإقليم لرد الكفرة المذكورين فلم تكن محاربة، لا والله قد ضمن الحاقبة للمنتقين، فإننا لله وإنا إليه راجعون على ما حدث من هذا الحادث العظيم الذي احترقت منه الأكباد، لولا التفويض والتسليم لرب الحباد، وقد رضينا بقضاء الله في هذه الحادثة لإخواننا المسلمين من القتل والأسر وضياع الأموال، وما رضينا باللقضى به لهم وهو الولاية الكفرانية، لأن الرضا بالحصية محصية وبالكفر كفر، وهذه المسألة التي يرضى فيها بالقضاء دون الملقضى به، كان الرضا فيما بالقضاء استسلام، والرضا باللقضى فيما اجترام...."

اشهداء

- إلى أرواح الشهداء الذين افتدونا وأورثونا المجد والحرية.
- إلى أرواح الراحلين من عائلتي الكريمة: أمي وأبي وجدي² وجدتي² وعمي وعمتي وخالي وخالاتي، رحمهم الله وأسكنهم فسيح جناته.
- إلى زوجتي الدرة الثمينة وابنتي الغالية فاطمة الزهرة وولي العهد عزيز قومه سيد أحمد، حفظهم الله جميعاً.
- إلى إخواني وأخواتي اللهم اشدد بهم عضدي كل باسمه.
- إلى كل شيوخي ومعلمي وأساتذتي الكرام الأحياء منهم والأموات.
- إلى كل أهلي وقومي ومعارفي في أقبور ودلدول وكل توات من التاء إلى التاء (من تينقورارين إلى توات الوسطى وتيديكلت وتنزروفت).
- وإلى كل محبٍ للعلم وتاريخ الجزائر أهدي:
هذا الذي لم أزل أطوي وأنشره
حتى بلغت به ما كنت آمله
فدم عليه وجانب من يجانبه
فالعلم أنفس شيء أنت حامله

عبد الكريم أحمد الشيخ

شكر وسرمان

✚ الحمد لله أولاً وآخراً وأخيراً على تمام هذه النعمة التي أينعت
وأثمرت بفضل الله وتوفيقه، فاللهم لك الحمد، اللهم لك الحمد،
اللهم لك الحمد.

✚ والشكر موصول للبروفيسور المشرف حليبي بن شرقي الذي شرفني
باسمه وصبره وتوجيهاته وعمله الدؤوب في تحقيق هذا الإنجاز.

✚ والعرفان بالجميل للبروفيسور بلعالية ميلود الأب العلمي والحكيم
بعلاقاته ودوره في تكويني ودعمي جزاه الله كل خير.

✚ كما أتوجه بجزيل الامتنان والتقدير للبروفيسور مبارك جعفري
الذي كان بالنسبة لي أكبر من مشرف مساعد على تواضعه
وتحفيزاته.

✚ ومن الأصدقاء الأكاديميين الشكر للبروفيسور عبد الله بابا الذي لا
أنسى جميله وعطاءه وتواصله الدائم معي دعماً وخدمةً.

✚ والدعاء الصالح ممزوجاً بالشكر الكبير للأستاذ والدكتور عبد القادر
خليفي الذي أعجز عن وصف جميله ودوره جوداً ووجوداً.

✚ وإلى الدكتور الفاضل عبو الطاهر جزاه الله خيراً على لغته الراقية
وتجاوبه الدائم والمثمر كلما احتجت إليه، كان نعم السند والساعد.

✚ وإلى الأخ الذي لم تلده أمي: الصديق العزيز أحمد الطيب موسى
طهيري، لن أنسى وقوفك معي يا ابن العم ما حييت.

✚ وكل الشكر والاحترام للإخوة الذين دعموني، نذكر منهم: شقيقي
الغالي د. الحاج علال ونجله ط.د. محمد الأمين، وط.د. عمر بركاوي،
وط.د. عبد الرحمن دريبات، والقائمين على خزائن المخطوطات في
قورارة وتوات، خاصة عائلة الجوزي في أولاد سعيد، وبن عبد الكبير
في المطارفة، ومكتبة تيميمون العمومية، ومكتبة ثانوية مالك بن نبي
أوقروت، وكل من أعانني بحرفٍ أو بأي ظرفٍ، بقصدٍ أو بغير قصد.

عبد الكريم أحمد الشيخ

مختصرات البحث:

باللغة العربية	باللغة الأجنبية/الفرنسية
(مارتن أ.ج.ب): مارتن ألفريد جورج بول	ANOM: Archives Nationales d'Outre Mers G.B.M. Flamand: Georges Barthélemy Médéric Flamand A.G.P Martin: Alfred Georges Paul Martin GGA: Gouvernement General de l'Algérie

مقدمة

لا شك أن الأبحاث والدراسات التاريخية المحلية أصبحت تستقطب العديد من الباحثين والأكاديميين والمهتمين، نظراً لما لها من تأثيرات مباشرة وقريبة على الجانب الاجتماعي والسياسي والثقافي والاقتصادي محلياً وإقليمياً من جهة، ومن جهة أخرى لكونها لا تزال مجالاً خصباً قلماً نجده مطروقة، وباكورة علمية عذراء وصفحات بحثية بيضاء تحتاج للنش والإثارة والتدوين، لا سيما إذا كانت المنطقة التي يسلط عليها الضوء في هكذا مواضيع حاضرة من الحواضر التاريخية التي كان لها صيت وأهمية وإشعاع، بل ولها أدوار ومهام وتأثيرات في ما يخص النضال والحراك الوطني ضد الاحتلال الفرنسي؛ وقصور توات مثلاً كانت تتميز بتلك القيمة والأهمية، ولعل هذا مما جذبنا إلى هذه المنطقة وطرق تاريخها من باب المقاومة الشعبية في الجزائر.

وإذا كانت الجزائر قد عرفت مقاومة شعبية عنيفة ومستمرة طيلة أكثر من سبعة عقود كاملة، كانت لا تخبو في مكان وزمانٍ إلا وتشتعل مرة أخرى شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، وهو ما فاجأ المحتل الفرنسي ولم يتوقعه؛ وفي ظل تلك المقاومة التي سادت التل الجزائري، كانت منطقة توات بعيدة كل البعد عن أحداث وتداعيات التوسع الفرنسي، لكن الأمر اللافت للانتباه هو أنها لعبت دور القاعدة الخلفية الحاضنة والداعمة للمقاومة وقياداتها، حتى قبل وصول الفرنسيين إلى تخومها ومشارفها، الأمر الذي جعل المحتل الفرنسي يوجه اهتمامه نحوها ببعثاته ورحالته ومستكشفيه وأعوانه ومراكزه؛ لقد كان ذلك الاهتمام في نظرنا مبرراً بظروف وأدوار منطقة توات، خاصةً مع قبائل ومناطق التل الجزائري.

ولتسليط الضوء على الأدوار والمهام الوطنية المنوطة بقصور توات خلال القرن 19م، كان لابد لنا من التعريف بالمنطقة وإبراز مراحل تاريخها المحلي، وعلاقتها بحواضر الجوار، والبحث عن أسباب ومظاهر إشعاعها الحضاري واستقطابها للصديق والعدو، ثم استكمالها للمشروع الوطني التحرري وحملها لمشعل المقاومة ومقارعة الاحتلال الفرنسي، بما توفر فيها من تعبئة وزخم ثوري كان نتاجاً لتلك الأوضاع والسنوات والتجارب؛ وعلى هذا الأساس جاء موضوع دراستنا الموسوم "منطقة

توات وإسهاماتها في المقاومة الشعبية بالجزائر 1883-1903م"، ليقدم هذه الأطروحة التي تجمع بين التاريخ المحلي والوطني، وتؤرخ لأحداث ومحطات تاريخية مضيئة، كان يجب أن ندرسها ونبرزها وندون لها، خاصة أن الباحث التاريخي سيجدها مرحلة هامة من التاريخ التحرري في الجزائر، وهي تستحق الاهتمام والدراسة.

الإطار الزمني والمكاني للبحث:

تمتد هذه الدراسة من النصف الثاني للقرن 19م إلى العقد الأول من القرن 20م، وبالضبط مما بعد معاهدة لالة مغنية 18 مارس 1845 إلى آخر معركة في محيط منطقة توات سنة 1903، وقد بدأنا من زمن تلك المعاهدة على أساس أنه بسببها برزت أهمية توات بالنسبة لرجال المقاومة وقبائل التل الجزائري، والتي من خلالها وجدوا في توات الحل والملجأ الذي لا يرتبط بفرنسا ودول الجوار؛ أما تركيزنا على الفترة بين 1883-1903 فذلك لقيمة لجوء الشيخ بوعمامة إلى المنطقة، ولوقائع أحداث الغزو الفرنسي والمقاومة ضده خلال هذه المرحلة بالذات، كما فرضت علينا الضرورة العلمية أحياناً كثيرة الخروج عن هذا الإطار الزمني ببعض السنوات أو العقود قبلاً وبعداً؛ أما من حيث المجال الجغرافي فإننا ركزنا على قصور وجهات توات الرئيسية (توات الوسطى، قورارة، تيديكلت)، ومحيطها المجاور من حدود مناطق أولاد سيدي الشيخ والساورة شمالاً وغرباً، وحدود العرق الغربي الكبير والمنيعية شرقاً، وحدود جهة الهقار ومنطقة تنزروفت جنوباً، وبالتالي فالمنطقة المعنية هي أقصى الجنوب الغربي للجزائر.

دواعي ودوافع اختيار الموضوع:

في حقيقة الأمر توفرت لدينا جملة من الأسباب الذاتية والموضوعية التي جعلتنا نختار هذا العنوان والموضوع المرتبط به، نوجزها فيما يلي:

- الرغبة الذاتية الشخصية كوني من أبناء المنطقة، وخاصة أنني من واحة دلدول التي كانت

ملجأ الشيخ بوعمامة، وهو انتماء ديني علي خدمته.

- استكمالاً لمشروع الماستر الذي كنت ركزت فيه على تاريخ الاحتلال الفرنسي لمنطقة قورارة، وكنت رجوت الله في حال نجاحي في الدكتوراه أن أسعى في هذا الطرح وأواصل فيه إن شاء الله.

- إحساسي بالمسؤولية العلمية اتجاه تاريخ منطقة توات النضالي، لا سيما أنها لا تزال تحتاج لمن ينفذ عنها الغبار والإهمال في هذا المجال.

- رغبتني الكبيرة بالمساهمة في كتابة جزءاً من التاريخ المحلي والوطني، وأن نحصل بذلك على فضل السبق في طرق هكذا مواضيع بحثية، وما زادني إلهاماً وتحفيزاً رأي الأستاذ المشرف حليلي بن شرقي حول دعمه لهكذا مواضيع محلية تصب في مصلحة التاريخ الوطني.

- قلة البحوث التاريخية الأكاديمية التي تناولت تاريخ منطقة توات في المقاومة الشعبية، وفي نظري فقصور المنطقة لا يزال تاريخها خصباً للدراسات، خاصة أن القليلون من ترجموا ونقلوا ما كتبه الفرنسيون عن المنطقة، ناهيك عن المخطوطات التي تعج بها خزائن وزوايا توات.

- إعجابي الكبير بما قدمه رجال المقاومة والشهداء الأبرار في المنطقة من تضحيات وبطولات للوطن الغالي، وهو ما ينبغي التفاخر به والتدوين له وتمجيده.

أهمية وأهداف البحث:

- التعريف بحاضرة توات وقصورها وأدوارها وطنياً وإقليمياً.
- إبراز مساهمة منطقة توات في مقاومة ورفض الاحتلال الفرنسي.
- تنبيه الباحثين في مجال التاريخ إلى وجود جانب من تاريخنا النضالي لا يزال مجهولاً.
- حماية تاريخ المنطقة من غياهب النسيان وتذكير الخلف بأجداد السلف، وإثراء المكتبة الوطنية بهذه الإضافة التاريخية المحلية.

- فضح الممارسات والسياسة التي اتبعتها فرنسا في احتلالها للمنطقة.
- كشف حقائق تاريخية وتفنيد ادعاءات باطلة حول تاريخ ونضال المنطقة وعلاقاتها بدول الجوار.

إشكالية الدراسة:

وانطلاقاً من كل تلك الأسباب والدوافع والأهداف المتعلقة بطبيعة هذا الموضوع، يأتي هذا البحث ليميط اللثام عن دور حضاري ونضالي لمنطقة توات، ولتكون هذه الورقة المحلية كنواة ولبنة في التاريخ الوطني الشمولي، ولهذا فمن خلال معطيات هذا البحث سعيانا إلى طرح الإشكالية ومعالجتها في إطارها التاريخي البحث، ليتمخض عبرها التساؤل الرئيسي التالي: إلى أي مدى قاومت منطقة توات الاحتلال الفرنسي؟؟ طبعاً تعمدنا هذا السؤال الأساسي لنعطي تلميحاً على أن المنطقة قاومت حقاً، لكن ما ينبغي أن نعرف به هو المدى الزمني والمكاني والتأثير القبلي والبعدي لتلك المساهمة.

ومن خلال ذلك التساؤل يمكن طرح التساؤلات الفرعية التالية:

- متى وكيف ولماذا كان احتلال منطقة توات؟؟
- وكيف كان موقف أهل توات من الفرنسيين والمقاومة الشعبية قبل الغزو الفرنسي للمنطقة؟؟
- وهل قاومت منطقة توات الغزو الفرنسي؟؟ وكيف كان ذلك؟؟
- وما تأثير وأدوار قصور وأهل المنطقة في الواجب الوطني التحرري؟؟
- وما انعكاسات سقوط توات محلياً ووطنياً وإقليمياً؟؟

المنهج المتبع:

وللإجابة على تلك التساؤلات ولدراسة الموضوع في كل جوانبه التاريخية المحضة، اعتمدت على المنهج التاريخي عموماً وتسجيلاً وتعمقاً فيما مضى من وقائع وأحداث، وموظفاً فيه ثلاث

إجراءات (الوصفي والتحليلي والمقارن)، الوصفي: سرداً وعرضاً لفهم أحداث المنطقة تاريخياً وظاهرة إسهاماتها الوطنية عبر تموقعها الزمني والمكاني وبكل تفاصيله، والتحليلي: من خلال تفسير الظواهر والمحطات التاريخية واستقراءها وإبراز أهميتها ومبرراتها وتأثيراتها، والمقارن: بربطها ببعضها البعض ومدى تفاعلها حيناً، ونقدها أو تأييدها واستنتاج الفوارق بينها حيناً آخر؛ وقد ساعدني هذا المنهج وفروعه في توكي المصادقية من المصادر والمراجع الأصيلة، والموضوعية بالحيطة والحذر تمحيصاً وتدقيقاً للمعلومة رغم ميولي وعاطفتي المحلية والوطنية.

خطة الدراسة:

قسّمت الدراسة إلى: مدخل وخمسة فصول وخاتمة، بالإضافة إلى ملاحق وبيبليوغرافيا وفهارس وملخص؛ وكانت خطة البحث في صيغتها النهائية كما يلي:

مدخل: وهو بمثابة فصل تمهيدي وتوطئة للأطروحة، وقد أدرجت له عنواناً خاصاً به تحت صيغة "التعريف بمنطقة توات" كنبرة تاريخية وجغرافية حول توات، بما في ذلك جهاتها الرئيسية (توات الوسطى، قورارة، تيديكلت)، وتمحور التعريف في مبحث أول حول الموقع الجغرافي والفلكي والتسمية والقصور، وفي مبحث ثان حول الأهمية التاريخية والاستراتيجية للمنطقة؛ وفي هذه النبذة التعريفية كان لي رأيي واستنتاج حول بعض النقاط الخلافية.

الفصل الأول: اقترحت له عنوان "أوضاع توات خلال القرن 19م"، وقسمته بدوره إلى أربعة مباحث حول أوضاع توات (الاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية، والسياسية)؛ تلك الأوضاع تطرقت فيها لدراسة المجتمع التواتي من حيث التركيبة ونظام القصر والجماعة ومظاهر التعاون والانسجام، وثقافياً سلطت الضوء على مظاهر الإشعاع العلمي خلال القرنين 18 و19م والأعلام والحواسر وتأثيراتها، واقتصادياً أشرت لمظاهر الاقتصاد المحلي وخاصةً الازدهار التجاري، أما سياسياً فقدمت لمحة عن الأوضاع الأمنية وما تعرضت له المنطقة من استقطاب خارجي؛ وفي هذا الفصل غالباً ما

كنت أختتم كل مبحثٍ برأيي الخاص واستنتاج، وفي نهاية الفصل أضع ملخصاً للفصل.

الفصل الثاني: هذا الفصل الموسوم "مظاهر الاهتمام الفرنسي بالمنطقة" ارتكزت فيه على

مبحثين: المبحث الأول حول دور الرحلات والبعثات الاستكشافية، وقد أشرت فيه لأولئك الرحالة الذين استفادت منهم فرنسا في مشروعها التوسعي بمن فيهم المحليين والأوروبيين والفرنسيين، والمبحث الثاني: الخطوات والمشاريع التمهيدية لاحتلال المنطقة، وفيه تطرقت للمشاريع الفرنسية اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً التي من خلالها حاول الاحتلال الفرنسي التغلغل والوصول إلى قصور توات، وبطبيعة الحال كانت جزءاً من استراتيجيتها في الجنوب الجزائري، وكالعادة في آخر كل مبحث كان لنا رأيٌ واستنتاج حول بعض القراءات والتحليلات التي اجتهدنا فيها، وملخص الفصل هو خاتمة الفصل.

الفصل الثالث: وهو في نظري الجزء الأول من صلب الموضوع، وقد جعلت عنوانه "دعم

المنطقة للمقاومة الشعبية وطنياً"، ويتمحور حول علاقة أهل توات برجال المقاومة من مناطقٍ أخرى من الجزائر، حيث جاء مبحثه الأول ليفسر أسباب اعتبار توات قاعدة خلفية على ذلك الأساس، كما استحضرت فيه جانباً من مقاومة بعض الشخصيات التي التجأت إلى المنطقة، على غرار الشريف محمد بن عبد الله وبوشوشة وسي قدور بن حمزة، ثم نظراً لأهمية لجوء الشيخ بوعمامة إلى المنطقة فقد خصصت لهذا العنصر مبحثاً ثانياً، وهو الجانب الذي اجتهدت فيه كثيراً بحكم انتمائي لواحة لدول، وبحكم أن المعلومات حوله شحيحة جداً وفي الكتابات التاريخية السابقة قد لا نجد من طرقه إلا شذراً؛ وفي نهاية المبحثين رأيي الخاص وخلاصة الفصل أيضاً.

الفصل الرابع: والذي من خلاله تتبعت خطوات الاحتلال الفرنسي في ولوجه للمنطقة، فكان

عنوان الفصل "الغزو الفرنسي للمنطقة" مستنداً على أربع مباحث، المبحث الأول: ظروف وأسباب الغزو الفرنسي، وفيه لخصت واستنتجت أهم الدوافع والظروف المصاحبة للغزو انطلاقاً مما سبق في

الفصول الفارطة، أما المبحثين الثاني والثالث: فقد قسمت فيهما خطوات الغزو الفرنسي على جهتين رئيسيتين لتوات، جهة تيديكلت كبوابة في الشمال الشرقي، وجهة قورارة كبوابة في الشمال والغرب، وكيف أن توات الوسطى وقعت بين فكي كماشة الزحف الفرنسي على كلتا الجهتين.

وكان المبحث الرابع والأخير: محاولة لسرد وتفسير السياسة الفرنسية المتبعة في غزوها وترسيخ أقدامها بالمنطقة، وحصرت هذه السياسة في إطار زمني ضيق قبيل وأثناء وبعد الغزو الفرنسي بسنواتٍ قليلة فقط، من باب التقيد بحدود البحث من جهة، ومن باب الإشارة إلى أن هذه السياسة كانت كمارسات واستراتيجيات فرنسية لإخضاع توات وتثبيت جذورها فيها من جهةٍ أخرى، وأبرزت من خلالها بعض الأدوار المشبوهة والعميلة التي ساعدت الفرنسيين في غزو المنطقة؛ وكان لي كالعادة رأيي واستنتاج في نهاية كل مبحث وخلاصةً للفصل في ختام الفصل.

الفصل الخامس: هذا الفصل اعتبره جزءاً ثانٍ من صلب موضوع الأطروحة، ذلك لأن عنوانه "المقاومة الشعبية في توات" له علاقة بالفصل الثالث في الإشارة إلى إسهامات المنطقة في المقاومة الشعبية بالجزائر، وقد اجتهدت فيه قدر المستطاع في تسليط الضوء على معارك المقاومة بالمنطقة، وهو الموضوع الذي تشرفت بإثارته وطرقه لأول مرة كبحت أكاديمي، وفيه قسمت المعارك حسب الجهتين اللتان نفذ منهما الغزو الفرنسي، جهة تيديكلت وجبهة قورارة، دون أن أنسى دور توات الوسطى في دعم المقاومة على كلتا الجهتين، وفي هذه المعارك حاولت الكتابة على حيثياتها وشخصياتها وأحداثها بحذر شديد وتحليل معمق خاصةً حول تضارب وشح المصادر والمراجع.

أما المبحث الثالث والأخير: فكان متعلقاً بالمقاومة الثقافية التي تزامنت مع الغزو الفرنسي أو كانت بعده بقليل، تلك المقاومة التي بفضلها حافظت المنطقة على كينونتها المحلية والوطنية، وساهمت بدورها على المستوى الوطني، ذكرت من خلالها دور الزوايا وأدب المقاومة محلياً، وكان لي فيها فضل سبق في تسليط الضوء على دور الموروث الشعبي المحلي في المقاومة الثقافية، مثل فن

الأهلil الذي يعتبر تراث لامادي تتميز به جهة قورارة، والمخيال الشعبي الشفوي؛ وكان الرأي والاستنتاج وخلص الفصل ختاماً كالعاده.

وأنهيت دراستي بخاتمة على شكل حوصلة لكل الفصول السابقة، مبرزاً فيها أيضاً النتائج التي توصلت إليها، بما في ذلك أهم الملاحظات التي أثارت انتباهي من البحث، ومقترحاً فيها أيضاً التوصيات التي لها علاقة بالجانب العلمي والتاريخي من جهة، والتي ترتبط بالمسؤولين والفاعلين محلياً ووطنياً من جهة أخرى، ذلك لأن دور الخاتمة أكاديمي علمي من جانب، واستنتاجاً واقتراحاً موجهاً للسلطات والمؤسسات والفاعلين الذين قد يخدموا البحث التاريخي من جانبٍ آخر؛ كما كان من الضروري إرفاق هذه الدراسة بمجموعة ملاحق من صور وجداول وخرائط وأشكال وشروحات، الغرض منها دعم متن البحث وتوضيح بعض الغموض فيه وتدعيمه بكذا أدلة وأدوات مساعدة.

الدراسات السابقة:

وفيما يخص الكتابات التاريخية المرتبطة بمنطقة توات، فهي موجودة ومتعددة من حيث البحوث الأكاديمية والمصادر والمراجع، إلّا أنني ما لاحظته عنها أنها مست دراسات اجتماعية وثقافية واقتصادية بشكل أوسع، وفيها أشار بعض الباحثين لأحداث الاحتلال الفرنسي للمنطقة كفصول أو مباحث، وفي السنوات القليلة الماضية بدأت تظهر دراسات جدية حول علاقة توات بالكفاح والمقاومة والثورة الجزائرية لكنها لا تزال تعد على الأصابع ومحصورة زماناً ومكاناً، وتشوبها الأخطاء والنقائص، وعلى العموم فمن بين أهم الدراسات التي أراها قريبة من هذا البحث نذكر الأمثلة التالية:

الأبحاث الأكاديمية: في هذا الباب أرى أن أطروحة الطالب فرج محمود فرج المعنونة "إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين"، تحت إشراف الدكتور أبو القاسم سعد الله عن جامعة الجزائر، والتي تمت طباعتها من طرف الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية سنة 1977، قد تكون باكورة الدراسات الجامعية حول منطقة توات، وقد أشار فيها صاحبها لأوضاع إقليم توات

سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وثقافياً، لكنه لم يخض في مجال الغزو الفرنسي للمنطقة ورد الفعل الشعبي؛ ثم رسالة ماجستير للطالب إبراهيم مياي بعنوان "توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي للجزائر 1881-1912"، تحت إشراف الدكتور مولاي بلحميسي عن جامعة الجزائر سنة 1987، والتي تمت طباعتها من خلال منشورات المتحف الوطني للمجاهد سنة 1996، وقيمة هذه الدراسة تتجلى في كونها خصصت فصلاً كاملاً للغزو الفرنسي بجهة توات والساورة، وأشارت للدور الذي لعبته المنطقة في دعم الشيخ بوعمامة، ولخطوات الاحتلال ورد المقاومة محلياً في عين صالح وقورارة وتوات والساورة.

وأما عن الدراسات الأكاديمية التي ساهم فيها أبناء المنطقة، نجد أطروحة دكتوراه للطالب محمد حوتية بعنوان "توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي)"، تحت إشراف الدكتور ناصر الدين سعيدوني عن جامعة الجزائر سنة 2004، والتي نشرها صاحبها في كتاب من جزأين من طباعة دار الكتاب العربي سنة 2007، وقد تعمق في دراسة المنطقة في كل المجالات، مخصصاً الفصل العاشر بعنوان توات والأزواد في مواجهة المخطط الاستعماري؛ ثم نجد أطروحة للطالب عبد الله بابا موسومة "الحياة الاجتماعية والاقتصادية بتوات إبان الاحتلال الفرنسي 1900-1962م من خلال سجلات المحكمة الشرعية"، تحت إشراف الدكتور مبارك جعفري عن جامعة أدرار موسم 2018/2019، وهي دراسة ارتكز فيها صاحبها على سجلات ومصادر محلية، وأعطى فيها صورة معمقة عن أوضاع توات اجتماعياً واقتصادياً خلال 1900-1962، وجعل مبحثاً في الفصل الأول حول الاحتلال الفرنسي ومعارك المقاومة في المنطقة.

ودراسات أكاديمية أخرى ظهرت مؤخراً لا تختلف من حيث أهميتها، مثل أطروحة الطالب عبد المالك طاهري "منطقة توات في القرن 19 من خلال كتابات الرحالة والمستكشفين"، تحت إشراف الدكتور أحمد بوسعيد عن جامعة أحمد درايعية أدرار موسم 2022/2023، وأطروحة الطالب عبد

الفتاح بلعروسي "المقاومة الثقافية في إقليم توات خلال الفترة الاستعمارية 1900-1962"، تحت إشراف الدكتور بودواية مبخوت عن جامعة تلمسان موسم 2022/2021، وقد تكلم هذا الباحث في المدخل والفصل الأول من أطروحته عن الغزو الفرنسي وأولى معارك المقاومة المحلية والسياسة الفرنسية في المنطقة؛ ناهيك عن دراسات أخرى حول قورارة وتيديكلت وتوات الوسطى تتعلق بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ممتدة زمنياً من القرن 18 إلى القرن 20م، وهي كثيرة ومتنوعة وقد نجد فيها أحياناً إشارات بسيطة للمنطقة مع الاحتلال الفرنسي والمقاومة الشعبية.

أهم المصادر والمراجع: ولطرق موضوع البحث اعتمدت على مجموعة قيمة من أمهات المصادر والمراجع، محلية ووطنية وعربية وأجنبية، يمكن ذكرها على سبيل المثال لا الحصر:

1- المحلية والوطنية:

من أهم المصادر المحلية المخطوطة التي ساعدتنا في عملنا، نذكر كتاب "درة الأقلام في ذكر أخبار المغرب بعد الإسلام" لصاحبه محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري (1883-1955م)، وله أيضاً "تقييد حول تاريخ توات وتمنطيط"، وهما مخطوطان موجودان في عدة خزائن تواتية مثل خزانة كوسام، أفادنا صاحبهما كثيراً في استنتاج أوضاع توات خلال القرن 19 ومطلع القرن 20م، وبعض المعلومات حول أحداث الغزو الفرنسي وسياسته؛ وكذلك الحال بالنسبة لمخطوط "تسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات" لصاحبه شهاب الدين أحمد الطاهري (1907-1979م)، ومخطوط "الديوان" لصاحبه البكري بن عبد الرحمن بن الطيب التتيلاني الذي عاش بين (1843-1920م)، ونظراً لأنه عاصر بدايات الغزو الفرنسي للمنطقة فقد زودنا بمعلومات قيمة عن الأوضاع والاحداث حينها.

ومن المصادر المطبوعة سأكتفي بذكر ما لامست كتاباتها منطقة توات خلال القرن 19م، حيث كانت رحلة ابن الدين الأغواطي من أهمها، وهي التي حققها الدكتور أبو القاسم سعد الله تحت عنوان

"مجموع رحلات: رحلة الأغواطي"، وقامت بطباعتها دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر 2011؛ وكتاب لمؤرخ تواتي مجهول بعنوان "ذكر ما وجد من تاريخ الأخبار التواتية"، حققه الدكتور عبد الله حمادي الإدريسي في مؤلفه "الفوات من تاريخ توات وصحاري الجهات"، ج1، طبعة أولى، دار كوكب العلوم، الجزائر 2023؛ وحتى كتاب روس إ. دان الموسوم "المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي المواجهة المغربية للأمبريالية الفرنسية 1881-1912"، والذي ترجمه أحمد بوحسن عن منشورات زاوية للفن والثقافة الرباط 2006، أفادنا بحكم أن الغزو الفرنسي في الجنوب الغربي وبعض معارك المقاومة في توات كانت لها امتدادات إلى جهة الساورة والجنوب المغربي.

وفيما يخص المصادر كوئائق أرشيفية فهي أيضاً ساهمت في تنويرنا بمعلومات مهمة عن توات خلال الفترة المذكورة، مثل رسالة محمد بن بوزيان البكري "عن معركة إينغر"، ومخطوط حول "قصائد شعر" لكل من محمد بن عبد الرحمن السكوتي وحمزة بن الحاج أحمد الأقبلاوي؛ ورسائل كثيرة عن الشيخ بوعمامة وحركة بعض الرحالة الفرنسيين، بعض هذه الوثائق الأرشيفية حصلنا عليها بعلاقتنا ورحلاتنا إلى مزارع وعين الصفراء ودلّول في الفترة بين 2021-2024، ورسائل أخرى من سجلات المكاتب العربية (البيض، والمشرية، وعين الصفراء) في أرشيف ما وراء البحار ANOM أواخر القرن 19م، كما كان لنا تواصل واطلاع على بعض الوثائق الرسمية والأرسام والرسائل والفتاوى والأحكام القضائية في خزانة آل الجوزي العامة من خلال الشيخ الجوزي عبد الرحمن إمام وقائم على خزانة آل الجوزي للمخطوطات بقصر أولاد سعيد؛ ناهيك عن مصادر شفوية عن كبار السن وباحثين في منطقة قورارة بحكم وجودي وانتمائي لها.

أما من حيث المراجع فهي كثيرة نذكر منها: كتاب الدكتور إبراهيم مياي بعنوان "الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934"، طباعة ونشر عن دار هوم، الجزائر 2012،

والحقيقة أعتبره أهم مرجع من حيث القيمة والإضافة التاريخية، خاصةً أن مؤلفه خصص فيه الباب الثالث بفصلين حول توات من مرحلة البعثات الاستكشافية إلى احتلال المنطقة ومعاركها؛ ومن المراجع المحلية كتاب الشيخ محمد باي بلعالم بعنوان "الرحلة العلية إلى منطقة توات"، وهو من جزأين عن دار هومه الجزائر 2005، والذي تكمن أهميته حول كونه كتابة تاريخية محلية ارتكز فيها صاحبها على مصادر ومخطوطات وكتابات هامة كان له فيها فضل السبق، أشار فيه للغزو الفرنسي والبعثات الاستكشافية وأهم معارك المقاومة وأوضاع توات خلال القرن 19م؛ ثم نجد الشيخ مولاي التهامي غيتاوي بكتابه "لفت الأنظار إلى ما وقع من النهب والتخريب والدمار بولاية أدرار إبان احتلال الاستعمار".

ومن المراجع الأخرى التي تعمدنا النّش في محتوياتها خدمةً لدراستنا، نجد كتابات مغربية مثل "توات في مشروع التوسع الفرنسي" لصاحبه أحمد العماري، عن منشورات كلية الآداب بفاس 1988، ورغم أن صاحبه كان غرضه محاولة ضرب وحدة الجزائر بادعاءات ومغالطات تاريخية، إلا أننا استعنا به وبغيره بحذر شديد من جهة، ولكشف مغالطاته والرد عليها وتفنيدها من جهة أخرى؛ ونفس الشيء بالنسبة لكتاب أحمد حاكمي بعنوان "تفاصيل وتحاليل عن الشيخ بوعمامة"، عن مطبعة الصقر بوجدة 2011؛ و"توات مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها"، لصاحبه محمد أعيف عن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط (ب ت)؛ وأما كتابات الدكتور عبد القادر خليف مثل "المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة"، عن ديوان المطبوعات الجامعية للجزائر 2010، الذي أهده لي بأمضائه وتوجيهاته المتواصلة معي، فقد كان لها دور كبير في إثراء وتمحيص بحثنا خاصةً فيما له علاقة بثورات أولاد سيدي الشيخ.

2- الدراسات والكتابات الأجنبية:

وبالنسبة للمصادر الأجنبية وخاصةً الفرنسية فكان لابد لنا منها، بحكم أن كثير من كتابات

أصحابها كانت صانعة للأحداث أو مساهمة فيها أو شاهدة عليها، وفي هذا السياق لا يمكن استحضار معظمها أو جلها بل سنكتفي بالقليل منها حتى لا يضيق بنا المقام، ونذكر منها: كتابات الرحالة المستكشفين مثل كتب جيرهارد رولفس بنسختها الفرنسية والألمانية مثل **"Land Und Volk In Afrika, Berichte Aus Den Jahren 1865-1870"** المنشورة في مدينة بريمن 1870؛ ومذكرات مارسيل بالات **"Journal de Route et Correspondence"**، التي نشرتها دار G.Charpentier في باريس سنة 1886 بعد أيام من مقتله؛ ومن أكثر المصادر التي دعمتنا بمعلومات عن الغزو الفرنسي والمقاومة نذكر: كتابات مارتن (أ.ج.ب) **"Les Oasis Sahariennes"** الصادر في باريس 1908، و **"Quatres Siècles d'histoire marocaine: au Sahara de 1504 à 1902"** الذي نشره سنة 1923 بعدما احتفظ به طويلاً دون أن تأذن له دولته بذلك، وهو بدوره كتاب عليه مؤاخذات كثيرة لكن فيه معلومات قيمة.

أما عن القادة الفرنسيين الذين صنعوا الحدث وكتبوا عنه نذكر منهم: لويس فوانو في كتابه **"Le Tidikelt"** الصادر عن دار Jacques Gandini في وهران سنة 1909، وهو كتاب قيم بحكم مزامنته ومعاينته لخطوات الغزو والمقاومة؛ وكتابات برنارد ولاكروا مثل **"La Pénétration Saharienne (1830-1906)"** الذي نشرته دار J. Gandini في Calvisson سنة 1906؛ والنقيب أندري تيليون الذي كتب **"La Conquête des Oasis Sahariennes: Opérations au Tidikelt, au Gourara, au Touat, dans La Zousfana et dans La Saoura en 1900 et 1901"** ونشرها في دار H. Charles-Lavauzelle بباريس 1903، وهو في نظري من أهم المصادر الفرنسية التي لمست فيها بعض الموثوقية والتفاصيل الجادة؛ وكذلك كتاب الضابط باكي **"La Pénétration Saharienne, Résumé Historique 1899-1905"** الصادر عن المطبعة العسكرية Henri Charles-La Vauzelle

في باريس 1908.

صعوبات البحث:

ليس مجاملةً أو غروراً إن قلت أن هذا البحث قد استغرق إنجازَه سنوات من الدراسة والاهتمام، امتدت بشكل واضح وجلي منذ بداية مرحلة الماستر بجامعة أدرار موسم 2020/2019 إلى يومنا هذا، وبعض المعلومات والمصادر التي استعنت بها كنت محتفظاً بها منذ مرحلة الليسانس في جامعة وهران (2000-2004)، ذلك لأنني كنت مولعاً بالتاريخ ومهتماً بكتابة وتدوين أية معلومة أحصل عليها، وخاصةً من المصادر الشفوية التي كانت تحيط بي في بيئتي (دلدول، أوقروت، تيميمون، أدرار)، ناهيك عن تنقلاتي ورحلاتي التي استعنت بها في هذا العمل، حيث زرت عين صالح في 2017، ومغزار وعين الصفراء أواخر سنة 2022، ووقفت على أماكن أهم المعارك في المطارفة سنتي 2021 و2024 وفانتيس في 2023 وظلمين وشروين وتيميمون في 2023 و2024، ناهيك عن اطلاعي لمخطوطات في بعض القصور مثل أولاد سعيد ودلدول وسموطة والمطارفة وكوسام.

وقد اعترضتني كثير من الصعوبات والمطبات التي زادت من قيمة وحلاوة هذا البحث، منها: البحث المستمر والمرهق عن المصادر والمراجع لا سيما أن الكتابات على توات كثيرة لكن عن جانب الغزو الفرنسي والمقاومة نادرة وشحيحة، فكان لابد من التنقيب داخل الخزائن عن المخطوطات وداخل المخطوطات عن الأسطر والصفحات، وعن الجانب الشفوي كلاماً وشعراً، عربياً أو دارجاً أو أمازيغياً، لنعتمر من كل ذلك بعض المعلومات ونربطها ببعضها البعض لعلنا نخرج منها بقبس؛ ولا أخفي سراً إذا قلت أن المهمة كانت شاقة نفسياً ومادياً، بحكم أنه في كثير من الأحيان كنت أصطدم بمواقف سلبية وصعوبة في إقناع المترددين والرافضين الذين كانت بأيديهم وألسنتهم بعضاً من حاجات بحثي، والعقلية القصورية للأسف الشديد أحياناً تورطك حتى في اتهامات وخصومات على هذا الأساس، لكن والحمد لله كان لابد لي من تجاوزها صبراً وأملاً.

أما في الجانب المعرفي فقد أحسست بأهمية الموضوع أكثر حينما توغلت فيه فصلاً بفصل، حيث إضافةً إلى شح المعلومات ومأمورية استخراجها من الكتب والمخطوطات كإبرة داخل قش، فإنني وجدت فيها تضارباً كبيراً وثغرات وفجوات مزمنة خاصةً بين المصادر والمراجع المكتوبة والشفوية، وبين المحلية وغير المحلية، وبين المعربة والمفرنسة، مما استهلك مني وقتاً طويلاً في تقريب المعلومة واستكمالها وتدقيقها وتطابقها، وأحياناً كثيرة كانت المحاولات تكرر نفسها بدون نتيجة مما يؤدي بي إلى الخيبة والإحباط، أو التوقف عن البحث والانقطاع عن لذة الاستمرارية، والأدهى والأمر أن تلجئك هكذا حالات لطرق أبواب وكتابات تاريخية مشبوهة أو عليها تحفظات وملاحظات، وللأسف كان لابد لنا منها من حين لآخر، وفي نفس الوقت كان يجب علينا أن نحتاط من السم في العسل وأن نرد عليها وأن نعدل في قاموس ألفاظها.

ومن الصعوبات وقوعنا في متاهة الترجمة والحاجة إليها بخصوص الكتابات الفرنسية من جهة، وبخصوص الموروث الشفوي الأمازيغي الذي استعصى أحياناً حتى على أهله وأبنائه على أساس الاختلاف بين اللهجة الزناتية سابقاً وحالياً، فبالنسبة للمصادر الفرنسية فصعوبتها أولاً في الحصول عليها، لا سيما أننا من المحسوبين على الطلبة الأجراء الذين لا يستطيعون الوصول إلى مراكز الأرشيف الفرنسي من خلال الرحلات العلمية، والصعوبة الأخرى هي الترجمة التي تحتاج للتحكم فيها وإتقانها بمصطلحاتها ومعلوماتها التاريخية، وخاصةً أن الأسلوب اللغوي الفرنسي يختلف من القرن 19 إلى يومنا هذا، ناهيك عن البيئة الصحراوية التي لا تساعد على ذلك ولا حتى على القدرة على الوصول إلى المكتبات ومراكز الأرشيف الوطنية المتاحة.

ضف إلى كل ذلك صعوبة الإلمام بالجانب المعرفي للموضوع من باب تداخله وتصنيفه وضبطه وتوثيقه وتحقيقه، فالمعلومات كانت أحياناً كثيرة تتكرر وتستدعينا في كذا فصل ومبحث، كما أننا وجدنا في المصادر الفرنسية خطورة الانسياق في سردها دون أن نأخذ بالحيطة والحذر منها على

أساس توجهاتها التي تخدم الطرح الفرنسي، فكان علينا أن نوازن بينها وبين المصادر المحلية والعربية والتي قد لا نجد لها أصلاً، وأن نحسن صياغتها بالشكل والأسلوب الذي يكون في مصلحة البحث العلمي والانتماء الوطني؛ وكم كانت هذه القضية صعبة على باحث في التاريخ، والتاريخ كما هو معلوم لا يقبل الانحياز والتزييف والقص واللصق، فصارت مهمة البحث كما لو كانت تحقيق جنائي يحتاج فيه المرء للتخلص من ميوله وعواطفه وإيديولوجيته.

وفي الأخير، لا أعتبر الصعوبات والمطبات الشخصية من الحواجز والمشاكل التي تستحق الذكر مقارنة بقيمة البحث وضروريته، رغم أن لي بعض أسبابي في خصوصيتي الشخصية بحكم المرض والبعد وبعض الانشغالات الأخرى التي تشوش على البحث العلمي من حين لآخر، كقضية التوفيق بين دراستي الأكاديمية ووظيفتي في التعليم الثانوي وهو القطاع الأكثر انضباطاً وتعباً، ناهيك عن دوري ومسؤوليتي العائلية التي كان لابد لي فيها من إعطائها حقها، وصار هذا البحث أيضاً جزءاً مني ومن عائلتي؛ راجياً في الختام من الله العلي القدير أن يجعله مساهمة حقيقية وإضافة للتاريخ الوطني، رغم أن نتائجه ومضمونه قد لا يكون تأريخاً نهائياً حول علاقة توات بالمقاومة الشعبية في الجزائر، لكنني أرى أن كثيراً من مكنوناته وخباياه لا تزال تحتاج للبحث والتحقيق، وعلى هذا الأساس: فالباب فيه مفتوحاً لمن أراد أن يستزيد على ما لم أحط به خيراً، والأمر فيه متروكاً للتقييم والتقويم ولي الشرف في ذلك؛ فإن أصبْتُ فمن الله وإن أخطأتُ فمن نفسي والشيطان فليستُ مجبولاً على الرشد.

نوقشت الأطروحة بتاريخ 15 ذي الحجة 1446هـ الموافق لـ 11 جوان 2025م

مدخل:

التعريف بمنطقة توات

أولاً: الموقع والأهمية الاستراتيجية

- التحديد الجغرافي للمنطقة
- الموقع الفلكي للمنطقة
- الأهمية الاستراتيجية

ثانياً: التسمية والقصور

- أصل التسمية
- قصور توات الوسطى
- قصور جهة قورارة
- قصور جهة تيديكلت

أولاً: الموقع والأهمية الاستراتيجية

تتمتع منطقة توات بموقع ذو أهمية استراتيجية بالغة، وليس مستغرباً أن نحكم عليه من أول سطر وفقرة في هذه الدراسة بتلك القيمة والوزن، بل لأن اسم المنطقة أشهر من نارٍ على علم قديماً وحديثاً، لعل تلك الشهرة لم تكن من باب الصدفة والمجاملة، بل نظراً لما تميزت به توات جغرافياً بين الدول والمناطق المجاورة، وما كُتب عنها تاريخياً وعلمياً، محلياً وإقليمياً وأجنبياً، وهذا ما سنستشفه بالمختصر المفيد في مدخل تمهيدي يُعرفنا بتوات ويُذكرنا بأهميتها، فما هي توات؟؟ وما موقعها من الأهمية جغرافياً وتاريخياً؟؟

أ - التحديد الجغرافي لمنطقة توات:

في البداية ينبغي الإشارة إلى أننا تناولنا موضوعنا بمصطلح "منطقة توات" وليس "إقليم توات"¹، على أساس أن التقسيمات الجغرافية في الجزائر تركز على تسمية الأقاليم لكل ذات حدود وخصائص مناخية وتضاريسية وإدارية، ومن خلالها نجد ثلاث أقاليم مناخية كبرى في الجزائر، في حين داخل كل إقليم نجد تقسيمات متنوعة من حيث المناطق والتسميات الجغرافية والإدارية، كالجهاز والنواحي والولايات وما عطف عليها من المصطلحات المتداولة في الجزائر المعاصرة، وقد تضيق تسمية منطقة أو تتسع، وقد تنقسم بحد ذاتها إلى أقاليم وجهات فرعية، ورغم أن المعنيين متشابهين لكن في نظري مفهوم المنطقة أدق بحكم أنها قد تكون وحدة إدارية، وفعلاً توات كانت إدارياً قائمة بذاتها أو تابعة لغيرها، ولهذا فلا غرابة أننا سنضع منطقة توات كوعاء جغرافي وتاريخي يضم أيضاً ثلاث جهات إقليمية محلية.

فتسمية توات كما فيها من تضارب في معناها، نجد تضارباً في تحديد مجالها الجغرافي، إلى

¹ . المنطقة والإقليم: المنطقة هي إقليم أو مساحة معينة تتميز عن غيرها بخصائص أو صفات خاصة بها؛ ولها ظروفها المناخية وقد تكون وحدة إدارية أو جزءاً منها. في حين فالإقليم هو منطقة من سطح الأرض تتميز بظاهرة أو خصائص معينة تبرز وحدتها وشخصيتها. يُنظر: أمانة أبو حجر، المعجم الجغرافي، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان 2009، ص ص 54، 797

درجة أن هناك من يفصل عنها تيديكلت وتينقورارين وهناك من يسمي توات العليا وتوات السفلى وتوات الوسطى وتوات الحنة، وكلها دلائل على الاختلاف في تحديد المناطق بين جهة وأخرى؛ لكن حسب المنظور الغالب من حيث المصادر التاريخية فإننا نجد التسمية "توات" وإن كانت تُطلق على المنطقة الوسطى على وجه الخصوص، إلا أنها تُطلق تعميماً وشمولياً حتى على الجهتين الأخريتين (تيديكلت وقورارة)، وكدليل على كلامي فإني سأورد هذه الملاحظات التي أَدْعَمُ بها الرأي القائل أن توات الكبرى هي (توات الوسطى، وتيديكلت، وقورارة):

-فابن خلدون نفسه مثلاً لم يكن يُميز بين توات كمنطقة ووسطها والجهات التابعة لها، ورغم أنه في كثيرٍ من كتاباته كان يفصل بين تينقورارين وتوات لكنه كان يُخلط حتى بين مناطق توات الوسطى نفسها مثل قوله "ثم توات ثم جودة ثم تمنطيط..."¹، حيث فصل هنا بين بودة وتمنطيط وجعل توات مختلفة عنهما، ونفس الشيء العياشي إذ قال: "وخلّفنا قرى توات وراعنا وعدلنا ذات اليسار إلى بلاد أوكرت..."²، وعلى عكسه ابن مليح الذي أدرج أوقروت ضمن مناطق توات حيث قال: "وأوكروت آخر بلاد توات من تلك الناحية..."³، ناهيك عن الحسن الوزان ومارمول كرخال اللذان أدرجا قصور تسابيت ضمن جهة قورارة...

-كما نجد كثيراً من المصادر التاريخية كانت تذكر بعض الشخصيات خارج المنطقة بعبارة "التواتي"، وهي أحياناً من جهة قورارة أو تيديكلت أو توات الوسطى، فالعياشي مثلاً تكلم عن الشيخ سيدي عبد العزيز بن حسن بن عيسى الوقروتي مقرئ الطائف خلال القرن 11هـ/17م، وهو الذي قال

¹ . ابن خلدون عبد الرحمن، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تج: خليل شحادة، مر: سهيل زكار، ج6، دار الفكر، بيروت 2000، ص 78

² . عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663، تج: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، مج1، ط1، أبوظبي الإمارات 2006، ص 80

³ . أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي، أنس الساري والسارب من أقطار المغرب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم 1630-1633، تج: محمد الفاسي، مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية، فاس 1968، ص 30

عنه أن شهرته كانت بالتواتي¹، والمعروف أن أوقروت تتبع لجهة قورارة، ومثال آخر نجد الرحالة الحاج عبد القادر بن أبي بكر هيبه الله التواتي (كان حياً في 1849) وهو من أولف المحسوبة على جهة تيديكلت.

-وحتى الشيخ بوعمامة المعروف عنه أنه كان لاجئاً في لدول أواخر القرن 19م حينما غادر المنطقة نجده يقول في رسالة إلى الفرنسيين بتاريخ 1894/04/04 "لولا كتابكم الذي أتاني من طنجة لا رحلت من توات..."، ويقول في رسالة أخرى إلى الوالي العام في رسالة بتاريخ 1896/01/17 "قليكون في كريم علمك أننا كنا هارين لبلاد توات..."²، وبالتالي لو لم تكن لدول ضمن توات ما كان يسميها الشيخ بوعمامة بذلك الوصف -وهو من أولاد سيد الشيخ- وما كان لهذه القبيلة أن تخطيء في التسمية وهي المعروفة بعلاقاتها مع المنطقة منذ زمان، خاصة المعروف أن قصور لدول تنتمي لجهة قورارة بطبيعة الحال.

-ومحلياً يقول محمد بن عبد الكريم البكري (ت 1374هـ / 1955م): "توات...، بينها وبين سجماسة ثلاثة عشر يوماً جوفاً، وغرباً عشرون يوماً لأول السودان، ومن أغدامس عشرون يوماً، ومن بلاد الزاب عشرة أيام شرقاً، ومن ناحية أولاد عيسى مقدار أسبوع اسراعاً لبلد الأبيض سيد الشيخ..."، ويضيف أن توات "أوسطها بودة وتيمي وتمنطيط، فهذه القصور قاعدة توات..."، ويقول أيضاً وبعبارة أوضح "وقوة توات وكثرتها في قرارة تيميمون، وقاعدة قرارة تيميمون..."³، وكذا الهلالي صاحب تقييد (بذرة الأخبار في تاريخ توات) يحددها من وادي صالح (تبلكوزة) إلى عين صالح⁴، ونفس الشيء فقد حدد الشيخ مولاي أحمد الطاهري (ت 1399 هـ / 1979م) موقع توات من تبلكوزة

1. عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، مج2، ط1، أبوظبي الإمارات 2006، ص ص 172، 173

2. عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة 1881-1908، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983، ص ص 81، 93

3. محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأعلام في ذكر أخبار المغرب بعد الإسلام، خزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي كوسام، أدرار- الجزائر، ص 1

4. بعثمان عبد الرحمن، القضاء في منطقة توات خلال القرنين 17 و18م، إشراف محمد بن معمر، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والإسلامية، جامعة وهران 01، موسم 2015/2016، ص 56

شمالاً إلى زاوية الرقاني جنوباً وعين صالح وأقبلي شرقاً¹.

-وحتى الشاعر الشيخ البكري بن عبد الرحمن الذي عاش الغزو الفرنسي لقصور تيديكلت وتوفي سنة 1921، قال عن معارك عين صالح وإينغر في قصيدة: "ربّ إن فرنسا الكفر جاروا... في توات وجازفوا بفساد"²، هذا ناهيك على أن معظم الكتابات الفرنسية والعربية المعاصرة تحدد توات على أساس مناطقها الثلاث (توات الوسطى وتيديكلت وقورارة)؛ وبالتالي فتسمية توات حسب استنتاجنا كانت تطلق في بادئ الأمر على واحات تيمي وما جاورها، ثم بدأت تتسع لتشمل كل الجهات والقصور الممتدة من تينركوك شمالاً إلى رقان جنوباً وعين صالح شرقاً وبودة غرباً، وكان أهل المنطقة يفرقون بين جهاتها الثلاث تحديداً لا تمييزاً، في حين أن الأجنبي عنها كان ولا يزال يصف كل أقطارها بإسم واحد وهو "توات"؛ وما كان لنا أن نخوض في هذه الجزئية تبريراً أو تشكيكاً في عملنا، وإنما كردّ بسيط على بعض الكتابات التي ضيّقت واسعاً بقصدٍ أو غير قصد.

وعلى هذا الأساس نضع تحديد توات جغرافياً وفلكياً وإدارياً وتسميةً، فهذه المنطقة صارت لصيقة بولاية أدرار بعد الاستقلال، هذه الولاية التي أخذت تسميتها من مدينة أدرار مع مطلع القرن 20م (14هـ)، وتحديداً مع أولى طلائع الغزو الفرنسي للمنطقة سنة 1900م³؛ ولكنها تاريخياً تضم جهات أخرى صارت حالياً كولايات إدارية منفصلة، فمنطقة توات التاريخية والتي سنتناولها في دراستنا هذه تتشكل من (توات الوسطى من تسابيت إلى رقان، وتيديكلت وتشمل كل قصور عين صالح إلى قصور أولف وتيمقطن، وقورارة وتشمل كل القصور الممتدة ما بعد تسابيت شمالاً إلى تيلكوزة)⁴.

فمنطقة توات بجهاتها ونواحيها الثلاث (توات الوسطى، وتيديكلت، وقورارة) مجموعة من

1. شهاب الدين أحمد الطاهري، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، تح: خير الدين سعيدي، جامعة قلمة 2013، ص 85-87

2. عبد الله بابا، إيش: مبارك جعفري، الحياة الاجتماعية والاقتصادية بتوات إبان الاحتلال الفرنسي 1900-1962م من خلال سجلات المحكمة الشرعية، أطروحة دكتوراه، جامعة أدرار، الجزائر موسم 2018/2019، ص 45، 46

3. حاج أحمد الصديق، التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11هـ إلى القرن 14هـ، ط2، منشورات الحبر، الجزائر 2011، ص 41

4. محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج1، دار هومه، الجزائر 2005، ص 9

القصور الواحاتية في أقصى الجنوب الغربي للجزائر، يحدها شمالاً العرق الغربي الكبير ووادي مقيدن، وجنوباً صحراء تنزروفت وهضبة مويدير، وغرباً وادي الساورة ووادي المسعود المتفرع عنه، وشرقاً وادي المية بمحاذاة العرق الشرقي الكبير¹.

وقد أشار الشيخ شهاب الدين أحمد الطاهري الإدريسي² في كتابه (نسيم النفحات) إلى حدود توات، حيث ذكر أنها تمتد من قصور عين صالح جهة الجنوب الشرقي ومن الصحراء القريبة من المنيعية والصحراء بين المنيعية وتيميمون جهة الشمال الشرقي، وإلى تيلكوزة شمالاً وتمتد غرباً من الزاوية ولقصابي وقصور تسابيت وبودة إلى غاية تيمادين من جهة الجنوب الغربي، وإلى زاوية³ الشيخ مولاي عبد الله الرقاني⁴ جنوباً ثم قصور أقيلي في الجنوب الشرقي⁵.

وأما الشيخ محمد بن عبد الكريم البكري التمنيطي⁶ فقد حدد توات جغرافياً على أساس المسافة الزمنية بينها وبين بعض الحواضر في تخوم بلاد المغرب والصحراء، فقال في مخطوطه (درة الأقاليم): "أما بعد توات هي صحراء في أعلاء المغرب ذات نخيل وأشجار وعيون، بينها وبين

1. فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1977، ص ص 2، 3

2. هو شهاب الدين أحمد الطاهر بن عبد المعطي السباعي الإدريسي الحسني، ولد في عائلة علم وزاوية وشرفاء بنواحي مراكش سنة 1325هـ/1907م، كان محباً للترحال فعاش متنقلاً بين شنقيط سنة 1923 وتمبكتو سنة 1937 حتى وصوله إلى توات في 1937 واستقراره بها بعد 1944 حيث أسس فيها زاوية للعلم والتدريس، من أهم مصنفاته: فتوحات الإله المالك على نظم أبي القاسم السالك، العقد الجوهري على النظم المسمى بالعقري، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات... وغيرها، توفي سنة 1979 في حادث سيارة، ينظر: خير الدين سعدي، إيش: شايب قدارة، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات: دراسة وتحقيق، رسالة ماجستير، جامعة قلمة، الجزائر موسم 2012/2013، ص ص 8-32

3. الزاوية: هذا المصطلح الذي ينتشر بكثرة في ربوع توات، كان يطلق على بناء ذو طابع ديني، ظهرت نشأته الأولى خلال القرن 8 هـ وكانت تطلق التسمية على مكان للعبادة يشتمل على مرافق لطلبة العلم، ولإيواء الواردين وعابري السبيل، كما كان يشار بمصطلح الزاوية لتلك الصدقات الجارية المحبسة بنص موثق ومحدد، وكانت تنقسم إلى زوايا الضيافة، وزوايا العلم، وزوايا الضيافة والعلم. ينظر: أحمد أبا الصافي جعفري، من تاريخ توات أبحاث في التراث، ط1، منشورات الحضارة، الجزائر 2011، ص ص 237-238

4. هو مولاي عبد الله بن مولاي عبد الملك بن مولاي عبد الله الرقاني، ولد في قصر تاوريرت سنة 1093هـ/1682م، عاش فترة في زاوية كنتة ثم زاوية الشيخ المغيلي، ثم انتقل إلى رقان أين أسس زاويته الخاصة، ذكرت له كرامات وذاع صيته، توفي سنة 1148هـ/1735م، ينظر: مبارك جعفري وآخرون، معجم أعلام توات، المرجع السابق، ص 221

5. شهاب الدين أحمد الطاهري، نسيم النفحات...، المصدر السابق، ص ص 85-87

6. هو الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري نسباً والتمنيطي مولداً ونشأة، ولد حوالي 1301هـ، درس في قصر كوسام، تولى القضاء سنة 1932م، اشتغل أيضاً في التأريخ، فمن أهم كتاباته: درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام، وجوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الألف الثاني، وغيرهما، توفي سنة 1952م. ينظر: حاج أحمد الصديق، التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11هـ إلى القرن 14هـ، ط2، منشورات الحبر، الجزائر 2011، ص ص 111، 112

سجل مائة ثلاثة عشر يوماً جوفاً، وغرباً عشرون يوماً لأول السودان، ومن أعدامس عشرون يوماً، ومن بلاد الزاب عشرة أيام شرقاً، ومن ناحية أولاد عيسى مقدار أسبوع اسراعاً لبلد الابيض سيد الشيخ...¹.

وما يمكن استنتاجه من موقع توات أنها ممتدة ومحصورة طبيعياً بين عدة أودية صحراوية، وتتوزع مناطقها الثلاث على حواف هضبة تادمايت² الضخمة على شكل حلقة هلال من الواحات، حيث تقع منطقة تيديكلت شرق الهضبة وتوات الوسطى جنوبها وقورارة غربها وشمالها، وقد يتسع امتدادها باتساع الصحراء المحاذية لقصورها، وعلى هذا الأساس قد تفصل تسمية الواحات والقصور بينها وبين المناطق الجزائرية المختلفة عنها، حتى ولو وجدنا اختلافات في المساحة والمظاهر الطبيعية الفاصلة.

وقد لا نجد مساحة مضبوطة لمنطقة توات، لكن ما دامت كل جهة من الجهات الثلاث لهذه المنطقة أصبحت ولاية إدارية في الجزائر المستقلة، يمكن احتساب مساحة ولاياتها وإعطاء مساحة تقريبية لمنطقة توات؛ فمساحة ولاية أدرار وهي التي تمثل حالياً منطقة توات الوسطى تقدر بـ 230186 كلم²، ومساحة ولاية تيميمون (منطقة قورارة) حوالي (65203 كلم²)³، ومساحة ولاية عين صالح (منطقة تيديكلت) حوالي (134000 كلم²)⁴، وبالتالي فمجموع مساحة كل منطقة توات حوالي 429389 كلم².

¹ . محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأقاليم في ذكر أخبار المغرب بعد الإسلام، خزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي كوسام، أدرار الجزائر، ص 1

² . تادمايت: هضبة صخرية تتكون من تضاريس كريتاسية فسيحة مع منحدرات وأودية، وتمتد بين دائرتي عرض 27° و 30° شمالاً، وترتفع حوالي 600 متر، ويغطيها من الشمال إلى الجنوب لون أحمر قديم، وهي منطقة خالية من السكان باستثناء نهايات حوافها التي تشكلت على جنباتها واحات تيديكلت وتوات وقورارة، لكنها حمادة صخرية جيرية صالحة للبناء وشق الطرق، ترتفع 836م عن سطح البحر. ينظر: إبراهيم مياي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر 1996، ص 20، وينظر أيضاً: الهادي قطش وآخرون، أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة-الجزائر 2010، ص 25

³ . صفحة مديرية التجارة بولاية أدرار، التعريف بالولاية، التصفح 2023/05/11، التوقيت 21:30

www.dcwadrar.dz/ar

⁴ . صفحة وكالة الأنباء الجزائرية، ولايتا عين قزام وعين صالح: رهان على كسب متطلبات التنمية لتلبية تطلعات الساكنة، مقالة بتاريخ 2021/03/03، التصفح 2023/05/11، التوقيت 21:45، www.aps.dz/ar

ب- الموقع الفلكي لمنطقة توات:

يمكن تحديد الموقع الفلكي لمنطقة توات بنفس المنوال جغرافياً، من خلال تحديد الإحداثيات الفلكية للولايات الإدارية (أدرار، تيميمون، عين صالح) والتي كما ذكرنا تمثل المناطق التاريخية (توات الوسطى، قورارة، تيديكلت)، وعلى هذا الأساس يمكن القول أن منطقة توات الكبرى تقع فلكياً بين دائرتي عرض 25° و 31° شمالاً، وخطي طول 5° شرقاً و 5° غرباً، وللاشارة فخط غرينيتش ومدار السرطان يمران ويتقاطعان في منطقة توات¹؛ في حين نجد بعض المراجع السابقة قبل عصر غوغل وقبل التقسيم الإداري للولايات الثلاث تحدد موقع منطقة توات فلكياً بين دائرتي عرض 26° و 30° شمالاً وخطي طول 1° شرقاً و 4° غرباً²، وبنفس الإحداثيات والتحديد في كتاب الدكتور حوتية محمد (توات والأزواد)³.

وكاستنتاج وتوضيح فإنه تبقى إشكالية ضبط الموقع الفلكي غير دقيقة، خاصة أن الموقع الجغرافي لأي منطقة صحراوية لا يمكن الجزم بتحديد في حالة غياب التجمعات السكانية الفاصلة في هكذا حالات، وما دامت منطقة توات يمكن حصرها بين مجموعة من الأودية السالفة الذكر وبعض المظاهر الطبيعية كالسلاسل الرملية (العرق الغربي الكبير، والعرق الشرقي الكبير، وعرق شاش)، فإننا ارتكنا في تحديدنا على هذه الخصائص، بالإضافة إلى ميزة التقسيمات الإدارية للولايات الجزائرية والتي بطبيعة الحال لها قواعدها ومعاييرها.

ت- الأهمية الاستراتيجية لموقع منطقة توات:

من خلال النظرة على الموقع الجغرافي لمنطقة توات يمكن استنتاج أنها وبأقطارها الثلاث شكلت هلالاً خصباً في صحراء الجزائر*، بل وفي الصحراء الكبرى لإفريقيا تميزت بواحاتها وحواضرها

¹ . غوغل إيرث، الموقع الفلكي لولايات (أدرار، تيميمون، عين صالح)، التصفح: 2023/05/12، التوقيت: 20:30، <https://earth.google.com/web>

² . فرج محمود فرج، إقليم توات...، المرجع السابق، ص 1

³ . محمد حوتية، توات والأزواد خلال القرنين (18 و19م)، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر 2007، ص 28
*. ينظر للملحق رقم 03 ص 401

العامة، لعل ذلك الموقع والارتباط الإقليمي الذي تمتعت به مرده لتموضعها الجغرافي الفريد من نوعه، حتى أنها أضحت مركزاً حيوياً في الصحراء الكبرى وبمناخ همة وصل بين جهاتها الأربع، بين شمال إفريقيا كضفة جنوبية للبحر الأبيض المتوسط وإفريقيا جنوب الصحراء وشرق وغرب الصحراء الكبرى أيضاً.

وقد أشار مثلاً الرحالة الفرنسي (بول سولاي)¹ إلى هذه الأهمية، في تقرير إلى الغرفة التجارية الفرنسية بالجزائر سنة 1874م حيث قال: "لو نقيس المسافة بين توات الكبرى والمراكز التجارية بالمناطق الرئيسة الأربع نجدها متساوية إلى حد يثير الإستغراب، حيث المسافة بينها وبين الجزائر إلى الشمال تساوي المسافة بينها وبين تمبكتو² إلى الجنوب، والمسافة بينها وبين طرابلس إلى الشرق تساوي المسافة بينها وبين موقادور إلى الغرب"، ونقلًا عن نفس الرحالة ذكر الكولونيل "ميرشر" في تقريره بعنوان (مهمة غدامس) أهمية موقع منطقة توات حيث قال: "لو ألقينا نظرة على خارطة إفريقيا نلاحظ أن الطريق الطبيعية للجزائر نحو بلاد السودان، تمر عبر أرخبيل واحات توات..."³.

ونظراً للموقع الجغرافي الهام لمنطقة توات بالصحراء الكبرى، فقد برزت أهميتها الجيوستراتيجية كمسلك عبور وسط الصحراء الإفريقية، لعبت من خلالها دوراً كبيراً في تجارة القوافل الصحراوية عبر الأزمنة والقرون الحديثة، تمثل في ربط شمال إفريقيا بالسودان الغربي، وازدادت أهمية المنطقة كمركز عبور تجاري صحراوي خاصة بعد القرن 15م، بعد سقوط مملكة غانا التي كانت تشكل طريقاً مزدهراً عبر مراكش، حيث تحول المسار إلى توات التي أضحت شيئاً فشيئاً همزة وصل مزدهرة مع حواضر

1 . رحلة فرنسي ولد في مدينة نيم سنة 1842 م، كان محباً للمغامرة والترحال إلى الأماكن المجهولة منذ طفولته، انضم للجيش الفرنسي سنة 1870 م ضمن المشاة، توفي في أودان سنة 1888 م، ينظر: عبد القادر مرجاني، السياسة الفرنسية ودور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن 19م، إتش: محمد مجاود، أطروحة دكتوراه – جامعة سيدي بلعباس، الجزائر موسم 2020/2019، ص 42

2 . تمبكتو: مدينة من حواضر منطقة الأزواد، تذكر الروايات أنها نسبة لامرأة سكنت ذلك المكان، تأسست على يد الطوارق حوالي سنة 948هـ/1087م، تتواجد جنوب الصحراء الكبرى على خط نهر النيجر، وهي في يومنا هذا تابعة لدولة مالي شمالاً، ينظر: محمد حوتية، توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (18 و19م)، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر 2007، ص 40

3 . جعفري مبارك وعبو الطاهر، منطقة توات ودورها في تجارة القوافل الصحراوية من القرن 15 إلى 19م، الملتقى الدولي السابع حول التجارة والتجار عبر التاريخ، المنستير تونس 2014، ص ص، 6، 7

تمبكتو جنوباً والجزائر شمالاً وفاس غرباً وغدامس شرقاً¹.

وبلغت منطقة توات من الأهمية والصيت أنها كانت أيضاً معبراً هاماً للحجيج نحو البقاع المقدسة، فقد تميزت بالأمن وحسن الضيافة والنشاط الدؤوب للأسواق حيث يحتاج الحجاج لتبادل الذهب والمسكوكات، والتزود بالمؤونة والراحة لاستكمال مسيرهم نحو الحجاز، فكانت قوافل الحجيج تمر عبر توات من شنقيط وفاس وسجلماسة وتافيلالت، ويكون بها الملتقى مع الحجاج القادمين من السودان الغربي²، ثم تتطلق تلك الوفود من توات الوسطى إلى عين صالح نحو غدامس وبرقة والإسكندرية، ثم البقاع المقدسة، أو عبر مسار آخر من تسابيت وأوقروت، ثم المنيعية وميزاب وورقلة، ومنها نحو غدامس، وكانت هذه الرحلة تستغرق سنة كاملة³.

وتذكر كثيراً من المصادر التاريخية أهمية منطقة توات قبل وصول الفرنسيين والأوروبيين إليها أواخر القرن 19م، فقد استخدم الفينيقيون والرومان طريق توات في علاقاتهم التجارية جنوباً، ولعل ذلك كان من أسباب استقرار اليهود بها مبكراً، وبعد الفتح الإسلامي ازدادت أهميتها حتى صارت طريقاً رئيسية تربط بين دويلات شمال إفريقيا والسودان الغربي، ولقوافل الحجيج القادمة من جنوب المغرب وبلاد التكرور⁴ ووسط الصحراء⁵. وقد أشار ابن خلدون (ت 808هـ / 1406م) إلى أهمية منطقة توات حيث وصفها بأنها بلد مستبحر في العمران، وأنها ممر القوافل من وإلى بلاد المغرب

¹ . جندي عبد الحميد، "إقليم توات وأهميته في التجارة الصحراوية"، *المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية*، جامعة تيارت، الجزائر، ع5، 2018، ص 41

² . **السودان الغربي**: أطلقت التسمية أواخر القرن 18م على دول إفريقيا الغربية، سواء البلدان جنوب الصحراء أو المطلة على المحيط الأطلسي، وحتى على الغابات الاستوائية الكثيفة في الجنوب، وشمال الصحراء، ومن تلك البلدان: مالي والسنغال وبوركينا فاسو والنيجر وغانا وغينيا وكوت ديفوار ونيجيريا وليبيريا وغيرهم، ينظر: شترة خير الدين، **الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي المصلح الثائر وفكره الإصلاحية في توات والسودان الغربي**، محاضرة، جامعة أحمد درابية- أدرار، الجزائر 2010، ص 269

³ . طهيري عبد الكريم، "توات في مشروع التوسع الاستعماري الفرنسي بالجزائر خلال القرن 19م"، *مجلة رفوف*، جامعة أدرار الجزائر، مج 11، ع2، جويلية 2023، ص 499-522

⁴ . **بلاد التكرور**: إقليم ممتد إلى أدغاغ شرقاً وإلى بحر بني زناقية غرباً وإلى بيط جنوباً وإلى أدرار (موريتانيا) شمالاً، أي: تلك المناطق الواقعة في يومنا هذا في جنوب موريتانيا ومالي ومناطق شمال السنغال. ينظر: الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي، **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**، تح: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1981، ص 26

⁵ . جعفري مبارك وعيو الطاهر، **منطقة توات ودورها في تجارة القوافل الصحراوية...**، المرجع السابق، ص 3

والسودان¹ (ثغر مالي).

رأي واستنتاج:

وكخلاصة يمكن تفسير تلك الأهمية التي تمتعت بها منطقة توات إلى مجموعة من العوامل، منها موقعها الجغرافي الاستراتيجي الذي يتوسط الصحراء الكبرى، وكثرة واحاتها وقصورها عبر امتداد جغرافي طويل، توفر من خلالها مسارات متصلة ومتوفرة على المؤونة والمياه والأمان وسط بيئة صحراوية قاسية، ناهيك عن كثرة السكان وتنوع الأجناس والقبائل فيها مما يسهل عملية التواصل وتنشيط التجارة والاستهلاك وعوامل الجذب البشرية، وبالإضافة لكونها منطقة بشرية عامرة كمسالك حضرية، فقد تواجدت بها شبكة موصلات طبيعية مثل مجاري الأودية وينابيع وآبار المياه المحاذية لها، وعلى جنباتها تتوفر الأعشاب والحشائش والكلأ للإبل والخيول².

ثانياً: التسمية والقصور في المنطقة

وفي إطار التعريف بمنطقة توات، حريّ بنا أن نبحث في إسمها وتقسيماتها ما يعطي عنها نبذة لغوية واصطلاحية، فقد تعددت الأوصاف والتفسيرات لكلمة "توات" ولم تستقر على رأي واحد، وكثرت قصورها وغطت مساحة جغرافية كبيرة لكنها أيضاً تميزت بمسميات وتقسيمات، لا بد الإشارة لها وتوزيعها كما كانت ولا زالت بحكم أن هذه القصور والتسميات ستلعب دور كبير في تدوين هذه الدراسة، وسترفع الحرج والتكلف عن غموضها وتكرارها الذي سنحتاج إليه، فما أصل ومعنى تسمية توات وقصورها؟؟ وكيف يمكن التمييز بين قصورها وجهاتها والعلاقة بينهما؟؟

1- أصل التسمية:

هناك اختلاف كبير في أصل ومعنى كلمة توات، ويبرز هذا الاختلاف بين الكتابات المحلية

¹ ابن خلدون عبد الرحمن، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، ج7، دار الفكر، بيروت 2001، ص 77

² جعفري مبارك وعيو الطاهر، منطقة توات ودورها في تجارة القوافل الصحراوية ...، المرجع السابق، ص 8

والأجنبية، فعن الكتابات المحلية التي تناولت التعريف بمنطقة توات، يشير محمد بن عبد الكريم البكري التمنيطي (ت 1374هـ / 1955م) في كتابه المخطوط (درة الأقاليم في ذكر أخبار المغرب بعد الاسلام)، أن توات سميت بهذا الاسم لأن القائد الموحي علي بن الطيب وعامله المسعود بن ناصر كانا يقبضان الاتاوات على أهل توات خلال القرن 6هـ، فعُرفوا بأهل الأتوات¹، وقيل أنها من أتوات الخضر والفواكه التي كانت تُدفع لملوك الموحدين²، في حين يفسر معناها الشيخ محمد بن عمر بن الحبيب البوداوي³ (ت 1345هـ / 1926م) بأن الفاتح عقبة بن نافع مر عليها سنة 62هـ فسأل عن حالها وضعفها وهل تواتي لنفي العصاة إليها؟ فأجابوه بأنها تواتي، فانطلقت التسمية على لسان العامة⁴، ويقول عنها مولاي أحمد الطاهري الإدريسي (ت 1399هـ / 1979م) أنها كانت تواتي للعبادة، فكل من أتى إليها من الأولياء انقطع فيها للعبادة ولذلك تُعرف بكثرة أولياء الله الصالحين⁵.

وفي الكتابات العربية غير المحلية، يقول عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر السعدي في كتابه (تاريخ السودان) أن كلمة توات في لغة أهل سنغاي تعني مرض يصيب الأرجل، وبرر ذلك بأن سلطان مالي (كنكن موسى)⁶ في رحلته إلى الحج مر على توات في القرن الثامن هجري بجيشه، فأصيب هناك بعضهم بذلك المرض وتخلفوا من وراء الموكب، فاستوطنوها وأطلقوا عليها تلك التسمية⁷، وتذكرها فهرست الرصاع (ت 894هـ / 1489م) أنها لأحد البطون المنحدرة من قبائل

1. محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأقاليم...، المصدر السابق، ص 8

2. محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج 1، دار هوم، الجزائر 2005، ص 9

3. هو الشيخ محمد بن عمر بن أحمد الحبيب بن محمد بن المبروك بن الحاج أحمد (بوسبع حجات)، ولد سنة 1287هـ بزواية سيدي حيدة في بيت علم وجاه، تبحر في علوم الدين واهتم بالتاريخ، من مؤلفاته كتاب: نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، توفي سنة 1345هـ، ينظر: محمد بن عمر بن الحبيب البوداوي، تح: مولاي عبد الله سماعيل، نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، ط 1، دار الكلمة للنشر والتوزيع، الجزائر 2015، ص 42

4. محمد بن عمر البوداوي، نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، خزانة المخطوطات بن حسان بزواية تنيلان، أدرار الجزائر، ص ص 4، 5

5. شهاب الدين أحمد الطاهري، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، مخطوط مرقون، ص 5

6. كنكن موسى: وفي لفظة أخرى كنك موسى، وهو من ملوك مالي العظماء، كان سلطاناً صالحاً وتقياً، قيل أنه قتل أمه بالخطأ فنصحته العلماء بالسفر إلى البقاع المقدسة ليستغفر ويكفر عن ذنبه، وفي الطريق خرج بجيش كبير وكان يقسم العطايا والهدايا على الناس، مر على توات في تلك الزيارة التي كانت خلال القرن 8هـ / 14م. ينظر: محمود كعت التنبكتي، تاريخ الفتاش، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط 1، بيروت 2014، ص ص 120-126

7. عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، طبعة هوداس، المدرسة الباريزية، باريس 1981، ص 7

الملثمين من صنهاجة الصحراء الجنوبية للمغرب¹، ويشير محمد بن امبارك في مخطوطه (تاريخ توات) أن كلمة توات أصلها أعجمية أطلقتها قبائل من لمتونة عندما التجأت إلى الأقاليم منتصف القرن 12م على المكان بعدما وجدوه يواناتيهم².

أما عن الكتابات الأجنبية فقد ذكر (Martin A.G.P) أن مخطوطة كُتبت سنة 1687م بقصر باحو تيمي تذكر أن التسمية تعود لأهل المنطقة لما رفضوا دفع الأتوات، وعاد عامل السلطان بدون طائل، ظل الناس يصلون ويجولون على ذلك الحال، حتى حذفوا الألف واللام من الأتوات وصاروا يقولون "نحن أهل توات"³، ثم يقول في كتاب آخر أن أصلها بربري يرتبط بكلمة "Oua" كمفردة وجمعها "Touat"، مثل ما يقال بالبربرية المحلية "Touat'n ebbou" ومعناها "واحة المياه"⁴، ويؤيده في هذا القول (Elisée Reclus) حيث ذكر أن توات كلمة بربرية تعني الواحة، وتطلق على واحات النخيل في الصحراء بين بلاد الطوارق والجنوب الشرقي ومنطقة الرمال الغربية⁵، ونقلًا عن أحمد العماري يرى (G. Mandeville) في كتابه (L'Algérie Méridionale et Le Touat) أن إسم توات أطلقه العرب والطوارق⁶ على تلك الواحات أسفل وادي الساور وادي المسعود⁷.

رأي واستنتاج:

وكخلاصة لما ورد، فإن التعريف بكلمة توات لم يستقر عليه أي معنى، ولم يرجح فيه أي

¹ أبو عبد الله أحمد الأنصاري، فهرست الرصاع، تح: محمد العنابي، ط1، المكتبة العتيقة، تونس 1967، ص 127

² فرج محمود فرج، إقليم توات...، المرجع السابق، ص 2

³ A.G.P Martin, **Les Oasis Sahariennes**, Augustin Challamel, Paris 1908, p.42

⁴ A.G.P Martin, Quatres Siècles d'histoire marocaine: au Sahara de 1504 à 1902, au maroc de 1894 à 1912, lebrarie felix alcan, Paris 1923, p.1

⁵ Élisée Reclus, "Nouvelle géographie universelle", tome11, 2ème partie, librairie Hachette et cie, Paris 1886, pp. 845-846

⁶ الطوارق: شعب من البدو الرحل ذو أصول أمازيغية، يتخذ من الصحراء الكبرى الممتدة بين ليبيا والجزائر والنيجر ومالي وبوركينا فاسو موطناً لهم، والطوارق شعب مسلم مع خليط في بعض الأماكن لبعض المعتقدات الأخرى، وتختلف المصادر في أصولهم وسبب تسميتهم، فهناك من يربطهم بقبيلة حمير باليمن، والبعض يراهم بربراً على غرار قبائل صنهاجة، ويربطهم البعض بطارق بن زياد أو بالتوارك أي وادي تاركة في ليبيا أو حسب رأي آخر بلغة تماشق التي تعني الرجال الأحرار، ويناhez تعدادهم حالياً حوالي 3.5 مليون نسمة. ينظر: صفحة موسوعة قناة الجزيرة، الطوارق شعوب أمازيغية تسكن الصحراء الكبرى بأفريقيا، 2023/08/13، التصفح: 2024/01/07، التوقيت: 20:00 مساءً، <https://www.aljazeera.net/encyclopedia>

⁷ أحمد العماري، توات في مشروع التوسع الفرنسي، منشورات كلية الآداب - فاس، المغرب 1988، ص 11

تعريف على الآخر، لكن ما أمكننا استنتاجه أن ترجيح معنى "توات" يكون بين إثنتين: إما التعريف العربي المشتق من كلمة "أتوات" وهذا الرأي أدعاه، وقوة هذه الرواية تستند على كتابات ومخطوطات وروايات محلية تكاد تتفق عليها، خاصة أن هذا المصطلح (توات) ظهر حقاً ما بعد القرن 6هـ حيث رواية فرض الأتوات على أهل المنطقة، ولم نجد في المصادر قبل هذا التاريخ أي ذكر للتسمية رغم الإشارة للمنطقة في كذا كتابات، أو التعريف البربري المشتق من كلمة "Oua" وقوة هذه الرواية تستند على أن أول من سكن المنطقة هم من البربر الزناتة، لكن في رأيي ما يعاب على هذه الرواية وينتقص منها، أننا لم نجد أي إشارة لتسمية توات في الكتابات والمصادر التي قبل عهد الموحدين.

وتجدر الإشارة أن المصادر الأقدم تكلمت عن توات وصفاً وإشارةً وحتى ذكراً لبعض قصورها، لكنها لم تذكرها باسم "توات" بشكل واضح، مثل ما ورد عن بطليموس وهوميروس وهيرودوت واليعقوبي والاصطخري وابن حوقل والإدريسي وغيرهم، ولو كانت الكلمة بربرية وشائعة لذكرت في تلك المصادر، وفي وجهة نظري أن أول من أشار إليها بهذه التسمية "توات" هو ابن بطوطة ومن بعده ابن خلدون والرصاع والحسن الوزان وغيرهم، وابن بطوطة (ت 779هـ / 1377م) جاء في القرن الذي يلي عهد الموحدين وقصة الإتوات، وهذا ما استندت عليه في التمييز بين تلك التعاريف السابقة، على أساس أن التسمية تأخذ معناها من فترة ظهورها، وليس بربطها بأوائل المستوطنين في المنطقة، ناهيك على أن تلك المصادر لم تنبش في أصل ومعنى التسمية، بل نجد مثلاً الرصاع يربطها بصنهاجة دون الإشارة لمعناها وهو يقصد سكانها الأصليين؛ وهذا كله مجرد استنتاج ورأي.

2- قصور المنطقة:

يعود تعمير منطقة توات إلى عصور ما قبل التاريخ، وقد أثبتت بعض الشواهد والآثار استعمال الرومان والفينيقيين طريق توات في علاقاتهم، كما استوطنتها اليهود منذ حوالي 50 سنة قبل الميلاد¹،

¹ . جعفري مبارك، النظام القصورى الواحاتي ودوره في تطور منطقة توات بين القرن 9 و13هـ / 15 و19م، المهرجان الوطني الثاني حول اسدراتن، ورقة 2018/04/19، ص 2

واعتماداً على شواهد وفرضيات أخرى فمنطقة توات عمرها الإنسان منذ حوالي 130 قرناً، وفي قراءة أخرى ترجع عمارة المنطقة إلى ما قبل الفتح الإسلامي، حيث كانت تعرف بالصحراء القبلية ثم ازداد تعميرها في القرن 4هـ بعد جفاف وادي قير¹ (والقاف هنا يُقرأ Gi)، وتتشكل توات من عدة قصور² سكنية قريبة من بعضها البعض، طابعها العمراني حجارة وطين، غالباً ما تكون مستطيلات أو مربعات على النمط الإسلامي، وبها قلاع ومراكز مراقبة لغرض حمايتها والدفاع عنها، وتتخللها واحات ذات بساتين نخيل وعيون ماء تسمى محلياً (الفقّارات)³.

وتذكر أهم المصادر التاريخية أن المنطقة كانت مستبحرة في العمران تغص بالسكان، وتضم حوالي 300 قصر من توات إلى تينقورارين⁴،*، وبلغ تعدادها في القرن 11هـ/ 16م حوالي 200 قصر⁵، وخلال القرن 18م تم إحصاء حوالي 260 قصر⁶، وخلال القرن 19م يذكر (تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات في الأيالة السعيدة) أن عدد القصور بلغ 256 قصر⁷؛ بل ويذكر صاحب (كتاب دائرة المعارف) أنه "وفي توات من القرى ما يقول الأهالي أن عدده كعدد أيام السنة..."⁸؛ أما عن الدراسة والوثائق التي جمعها (لامارتيينار ولاكروا) بين سنتي 1894-1897 فقد ذكر فيها أسماءً ومعلومات عن 337 من القصور والقصبات في المنطقة، منها 121 في قورارة و156 في توات

1. توفيق بوزناشة وآخرون، دليل الجمهورية ولايات وبلديات، ج1، مطبعة ناكسوس تي في، الجزائر 2013، ص 44.
2. القصور: فضاء جغرافي مشترك تسكنه عدة عشائر وقبائل، تجمع بينها علاقات قرابة ومصالح اقتصادية واجتماعية وأمنية، ويشتمل على قصبة واحدة أو أكثر، وعلى مرافق آخر كالسوق والرحبة، تحيط به الواحة والمقبرة والضريح، ينظر: عبد الله بابا، إشن: مبارك جعفري، الحياة الاجتماعية والإقتصادية بتوات إبان الاحتلال الفرنسي 1900-1962م من خلال سجلات المحكمة الشرعية، أطروحة دكتوراه، جامعة أدرار، الجزائر موسم 2018/2019، ص 27.
3. الفقّارات: مفردتها فقارة، وهي تقنية ري كانت معروفة في صحراء إفريقيا وآسيا، يعتقد أنها انتقلت من بلاد فارس إلى بلاد المغرب خلال القرن 11م. وتقوم على حفر ساقية جوفية تنساب عبرها المياه من الجوف إلى سطح الأرض، تبدأ من البئر الأول ويسمى رأس الفقارة، ثم تتبعها سلسلة من الآبار في خط مستقيم حتى تصل إلى القصور، وبين كل بئر وآخر مسافة بين 10 و20م، وعمق البئر الأولى حوالي 20م ثم يتناقص من بئر لآخر حتى يصل بعد البئر الأخير إلى سطح الأرض بشكل تلقائي فتتوزع عبر ما يسمى بالقصرية والسواقي، ينظر: محمد أعيف، توات مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط (ب ت)، ص 31، 32.

4. ابن خلدون عبد الرحمن، ديوان المبتدأ والخبر...، ج7، المصدر السابق، ص 76، 77.

*. والقاف في اللفظ مع بقية الحروف يُقرأ Go

5. محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج1، المرجع السابق، ص 9

6. جعفري مبارك، النظام القصورى الواحاتي...، المرجع السابق، ص 3

7. أحمد العماري، توات في مشروع...، المرجع السابق، ص 31

8. بطرس البستاني، كتاب دائرة المعارف، مج6، مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان، طهران (ب ت)، ص 200-262

الوسطى و60 في جهة تيديكلت¹.

ومنه، ورغم بعض التضارب الطفيف في الأرقام إلا أنه ما يمكن استنتاجه، أن المنطقة عرفت تعميراً متذبذباً من فترة إلى أخرى، وعلى هذا الأساس فقد كانت هناك قصوراً مأهولة وأخرى أطلالاً مهجورة؛ وفي يومنا هذا نستطيع إحصاء قصور المنطقة على أساس جهاتها الثلاث (توات الوسطى، وقورارة، وتيديكلت)، هذه القصور لا تزال مأهولة وعامرة بالسكان وتحمل نفس التسميات القديمة، وهي نفسها القصور التي سنحتاجها في دراستنا هذه، ولهذا ينبغي ذكرها وتوزيعها جغرافياً، وهي كالتالي:

• قصور توات الوسطى:

توات الوسطى أو توات الأصلية أو تسوات، كلها تسميات واحدة بناءً على أن قورارة: توات عليا وتيديكلت أو توات الحنة وما دونها: توات سفلى؛ ويبدأ امتدادها من اسبع شمالاً وبودة غرباً إلى رقان جنوباً وتمنطيط شرقاً، وهذا التحديد كان على أساس انعطاف قوافل الحجيج والتجار المارين على المنطقة باتجاه تينقورارين، يقول صاحب (درة الأقاليم) في وصف توات الوسطى "أوسطها بودة وتيمي وتمنطيط، فهذه القصور قاعدة توات..."²، وللإشارة فقد اعتمدنا في ذكر قصور المنطقة على التقسيم الإداري الحالي، وهو لا يختلف كثيراً عن التقسيمات التاريخية لجهات ومناطق توات، وهذه هي قصورها من الشمال إلى الجنوب:

قصور تسابيت³: وقد ذكرها الحسن الوزان (ت 957هـ / 1550م) بقوله "تَسَبِيتُ إقليم مأهول في صحراء نوميديا، على بعد نحو مائتين وخمسين ميلاً شرق سجلماسة، ومائة ميل من الأطلس..."⁴، وزارها العياشي (ت 1090هـ / 1679م) في رحلته إلى الحجاز، فقال عنها "ودخلنا إلى أول عمالة

¹ . Lacroix et de La Martinière, "Documents Pour Servir a L'étude du Nord Ouest African", T.4, Éditeur: Gouvernement Général de l'Algérie, service des affaires indigènes, Alger 1897, pp.304-506

² . محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأقاليم، المصدر السابق، ص 1

³ . للإشارة فقصور تسابيت تشير إليها بعض المصادر على أنها كانت تابعة تاريخياً لجهة قورارة، وهي حالياً تابعة لولاية أدرار ومحسوبة ضمن توات الوسطى.

⁴ . الحسن الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983، ص 133

توات، وهي قرى تسابيت، وزرنا بأول قرية منها قبر الولي الصالح المتبرك به حياً وميتاً، سيدي محمد بن صالح المعروف بعريان الرأس...¹، وقصور هذه المنطقة هي: عريان الرأس، برينكان، حماد، عمور، لعباد، وجلان، لمعيز، الهيلة، اسيع، القرارة (والقاف هنا يُقرأ G)²، بن طلحة، لقصابي، غابة مولاي علي³؛ والمجموع 13 قصراً.

قصور بودة: وقد ذكرها ابن بطوطة (ت 779هـ / 1377م) في رحلته إذ قال "ثم وصلنا إلى بودا وهي من أكبر قرى توات، وأرضها رمال وسبخ..."⁴، وذكرها ابن خلدون بإسم "جودة" في قوله "ثم توات ثم جودة ثم تامنطيت..."⁵، وقصورها هي: بني وازل، اغرم علي، زاوية سيدي حيدة، المنصور، بن دراغو، أولاد انجل، أولاد اعيش، بني اللو، لغمارة، لعماريين، القصيبة، ودران⁶، بخلة، زاوية الشيخ، أفار⁷؛ والمجموع 15 قصراً بعضها صار مهجوراً ولم يعد يُذكر.

قصور تيمي: وهذه القصور التي تحيط بمدينة أدرار عاصمة الولاية والمنطقة حالياً، هي قلب ومركز منطقة توات بعدما كانت تمنطيط هي المركز والعاصمة، وأدرار مدينة أسسها القائد الفرنسي "لابيرين" سنة 1902 بمحاذاة قصور تيمي، وهذه القصور هي: تينيلان، واينة، ميمون، ملوكة، بوزان، كوسام، بريع، أوقديم، أولاد اونقال، مراقن (والقاف في هذه التسميات الثلاث يُقرأ Ga)، أدغاغ، أولاد أوشن، أولاد علي، أولاد أحمد، أولاد إبراهيم، أولاد بوحفص، المنصورية، مهدية، بني تامر، أولاد عيسى، أولاد عروسة، زاوية سيد البكري، باعبد الله، وأدرار المدينة⁸؛ ومجموع قصورها 23 قصراً،

1. عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663، تج: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، مج1، ط1، أبوظبي الإمارات 2006، ص 79
2. محمد باي بلعالم، الرحلة العلية...، ج1، المرجع السابق، ص 15
3. توفيق بوزناشة وآخرون، دليل الجمهورية...، المرجع السابق، ص 62
4. ابن بطوطة، تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تج: محمد العريان، مر: مصطفى القصاص، ج2، ط1، دار إحياء العلوم، بيروت 1987، ص 713
5. ابن خلدون عبد الرحمن، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تج: خليل شحادة، مر: سهيل زكار، ج6، دار الفكر، بيروت 2001، ص 78
6. محمد باي بلعالم، الرحلة العلية...، ج1، المرجع السابق، ص 11
7. توفيق بوزناشة وآخرون، دليل الجمهورية...، ج1، المرجع السابق، ص 58
8. محمد باي بلعالم، الرحلة العلية...، ج1، المرجع السابق، ص 11

علماً أن بعض القصور الأخرى اندثرت وهُجرت مثل قصر أقبور.

قصور تمنطيط: وهذه الحاضرة كانت عاصمة مزدهرة لمنطقة توات قبل الاحتلال الفرنسي، ذكرها ابن خلدون في عدة مواضع منها قوله "ويسمى وطن توات، وفيه قصور متعددة تناهز المائتين، آخذة من المشرق إلى المغرب وآخرها من جانب المشرق يسمى تمنطيت، وهو بلد مستبحر في العمران..."¹، وقصورها كالتالي: بوفادي، توكي، بنكور، نومناس، أولاد الحاج مامون، أنكير، بالحاج²، زاوية سيدي البكري، تمليحة، سيدي وعلي³؛ وبالتالي فمجموع قصور منطقة تمنطيط هو 10 قصور.

قصور فنوغيل وتامست: وقد ذكر سيدي ضيف الله بن محمد بن أبا المزمري (كان حياً في 1747م) بعض قصورها، حيث قال "فجئنا بلدة أعباني في نحر الظهيرة، فمكثنا ما شاء الله، وأخرجوا لنا تمرًا وجلسنا قليلا، وارتحلنا منها فجئنا بلدة تاسفاوت بعد العصر..."⁴، وقصور هذه الجهة هي: اعباني، تاسفاوت، العلوشية، ودغة، بن همي، عزي، المنصور، مكرة، قسبة أولاد مولاي لحسن، أولاد برشيد، قسبة أولاد مولاي بوفارس، أبا عمر، زاوية سيدي عبد القادر، سيدي يوسف، بويحيا، الجديد، أولاد عنتر، تماالت، لحر، إكيس، غرميانو، تيطاف، إغيل، تامسخت⁵؛ وقصورهما 24 قصراً.

قصور زاوية كنتة وانزجمير: فأما زاوية كنتة فتضم القصور التالية: زاوية كنتة، تيوريرين، مكيد، الشباني، أدور، زاقلو العرب، زاقلو المرابطين، بوزقزاد (والقاف في هذه التسميات الثلاث يُقرأ G)، تبركانت، أولاد الحاج، مناصير، تاخيفت، تازولت، آدم، بوعلي، أطوي، أغرممال، زاوية الشيخ المغيلي⁶. وجهة انزجمير تُنطق أيضاً انزجمير قصورها كالتالي: انزجمير، تيلولين الشرفا، تيلولين

1. ابن خلدون عبد الرحمن، ديوان المبتدأ والخبر...، ج7، المصدر السابق، ص ص 76، 77

2. محمد باي بلعالم، الرحلة العلية...، ج1، المرجع السابق، ص 12

3. توفيق بوزناشة وآخرون، دليل الجمهورية، ج1، المرجع السابق، ص 64

4. ضيف الله بن محمد بن أبا التواتي، رحلتي لزيارة قبر الوالد، تح: جعفري أحمد أبا الصافي، ج1، دار الكتاب

العربي، الجزائر 2015، ص 163

5. محمد باي بلعالم، الرحلة العلية...، ج1، المرجع السابق، ص ص 12، 13

6. توفيق بوزناشة وآخرون، دليل الجمهورية، ج1، المرجع السابق، ص 76

المرابطين، زاوية بلال، تيطاوين الشرفاء، تيطاوين لخراص، الخلفي، أوغزير، تيدماين، المحفوظ، بوانجي، قسبة المرباطين، قسبة القايد، القصر الفوقاني¹، والخلفي، وتيدماين². وبالتالي فمجموع قصور هذه المنطقة التي تُعرف بتوات الحنة لارتباطها بهذا المنتج هو 32 قصراً، ويبدو أن هذا الوصف كان مشهوراً عن هذه الجهة، فقد أشار الأغواطي مثلاً إليه في قوله "وتقع جنوب أولف قرية طيت، وفي غربها تقع قرية أخرى تسمى توات الحناء، وتنتج هذا البلاد الحناء والتمر بكميات وفيرة..."³.

قصور رقان وسالي: وقد ذكرها أيضاً ابن خلدون فقال "وفي الشمال عن ركان قصور تسابيت، وفي الشمال عنها إلى الشرق قصور تيكورارين..."⁴، وقصور رقان وسالي على التوالي هي: انتهنت، تعرايت، تينولاف، آيت المسعود، توريرت، أنزقلوف، النفيس، زرافيل اغيل، تيمادين، والقصر الجديد. وعن سالي: برماة، المنصور، زاوية لحشف، تينور، بريش، أولاد باحو، المستور، أتريرية، قسبة الجنة، قسبة القايد، قسبة النجار، قسبة أولاد مولاي علي، لمحارزة، القصر الجديد، العلوشية، قسبة سيدي الشريف، قسبة أولاد مولاي عبد الواحد، أولاد مولاي العربي⁵؛ والمجموع 28 قصراً. (والقاف في في رقان وأنزقلوف يُقرأ G).

وبالتالي مجموع قصور منطقة توات الوسطى حسب ما سلف ذكره هو: 145 قصراً

• قصور قورارة (تينقورارين):

تُعرف تاريخياً باسم تينقورارين أو تيقورارين أو تيكورارين وتُنطق القاف G، وتينقورارين كلمة زناتية معناها "المعسكرات" وهي تلك المخيمات التي أنشأها بربر المنطقة في سكنهم واستيطانهم الأول؛ وأما

¹ . توفيق بوزناشة، دليل الجمهورية، ج1، المرجع السابق، ص 49

² . فرج محمود فرج، إقليم توات...، المرجع السابق، ص 143

³ . ابن الدين الأغواطي، مجموع رحلات: رحلة الأغواطي، تح: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر 2011، ص 94

⁴ . ابن خلدون عبد الرحمن، ديوان المبتدأ والخبر...، ج6، المصدر السابق، ص 88

⁵ . محمد باي بلعالم، الرحلة العلية...، ج1، المرجع السابق، ص ص 14، 15

كلمة "قورارة" فهي تعريب بسيط لسابقاتها، لكنها أصبحت أكثر تداولاً خاصة في العهد الفرنسي الاستعماري، وسنأخذ بها كصيغة موحدة وشاملة طيلة هذا البحث ونقرأ باللغة الأجنبية على النحو التالي (Gourara)، وتقع هذه المنطقة شمال توات الوسطى وتبدأ قصورها من قصور تسابيت جنوباً إلى غاية العرق الغربي الكبير شمالاً، ووادي الساوره غرباً، وهضبة تادمايت وحدود منطقة المنيعه شرقاً.

وقد ذكرتها كثير من المصادر التاريخية مثل: ابن خلدون الذي قال عنها "وتسابيت وتيكورارين في قبلة المغرب الأوسط"¹، ويقول أيضاً "قصور تيكارين وهي كثيرة تقارب المائة في بسيط واد منحدر من المغرب إلى المشرق، واستبحرت في العمران وغصت بالسكان..."²، وذكرها الحسن الوزان بإسهاب فيقول "تيكورارين منطقة مأهولة في صحراء نوميديا، بعيدة بنحو مائة وعشرين ميلاً عن شرق تسبت، حيث يوجد ما يقرب من خمسين قصراً وأكثر من مائة قرية بين حدائق النخيل. وسكان هذه المنطقة أغنياء..."³، كما تكلم عنها مارمول كربخال فقال "تقع هذه المنطقة بصحراء نوميديا، وتبعد عن تسبين بنحو أربعين فرسخاً، يسكن أهلها بخمسين قصراً متفرعة وبأكثر من مائة مدشر وسط النخيل الفسيح. أهل تيكورارين أغنياء..."⁴، وقال عنها الفشتالي "قطر تيكورارين وهو أعظم اشتهاً وأعرف نقيباً وأشد شوكة وأخشن جانباً..."⁵؛ وهذه هي قصور جهاتها وتجمعاتها السكانية:

قصور دلدول والمطارفة: كانت القوافل القادمة من وادي الساوره أو عبر وادي المسعود لاستكمال مسيرها نحو البقاع المقدسة تتعطف جهة الشمال الشرقي لمنطقة تسابيت، حيث أول قصر يقابلك هو قصر كبرتن الذي صار اليوم إدارياً تابعاً لدائرة تسابيت، وقد كانت سابقاً ضمن منطقة

1. عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر...، ج6، المصدر السابق، ص 131

2. عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر...، ج7، المصدر السابق، ص 77

3. الحسن الوزان، وصف إفريقيا، المصدر السابق، ص 133

4. مارمول كربخال، إفريقيا، ج3، تر: محمد حجي وآخرون، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 1984، ص 163

5. أبي فارس عبد العزيز الفشتالي، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، تح: عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، الرباط 1972، ص 73

قورارة التي تبدأ من قصور المطارفة: المطارفة، الساهلة (الدغامشة التي ذكرها العياشي)، أولاد علي، أولاد راشد، أولاد محمود، أوفران، رغم أن بعض هذه القصور كانت تنتمي محلياً لجماعة دلدول في إطار نظام القيادة القصورية.

وأما عن دلدول فيمكن تمييز جهتين تاريخيتين، قصور دلدول وهي: أولاد عبو، الساهلة، الحدبان، المنصور، أقبور، أورير؛ وقد مر على هذه القصور سيدي ضيف الله بن محمد بن أبا المزمري في رحلته سنة 1747م، إذ يقول عنها "فلما جئت دلدول إذ حضور عبد المولى وعدمه سواء...، فجئنا قصر الشيخ عبد المولى أولاد عبو، وهو أي دلدول مشتمل على نحو أربعة قصور..."¹، وقصور زوى دلدول ذات اللهجة الزناتية وأغلبية قبائلها بربرية وهي: إقسطن، البركة، توكي، أولاد عبد الصمد، بلغازي، وهي المنطقة التي ينتمي إليها الحاج الطيب العبادي صاحب القصيدة المشهورة (يا سيدي بوتدارة) والتي يقول في بعض أبياتها:

نقول أهلي دلدول، يا مدى فيه من الفحول، غيات الموحول، فرسان تجي غوارة².

ومجموع قصور دلدول والمطارفة معاً هو 18 قصراً.

قصور أوقروت والخنافسة³: وهذه المنطقة أيضاً وإن أصبحت حالياً بلدية واحدة فهي تاريخياً كانت قسمين: أوقروت (القاف G) وهي منطقة بربرية زناتية والخنافسة ذات القبائل العربية، وقد زارها العياشي في رحلته إلى البقاع المقدسة وذكر عنها أنها آخر البلاد التي كانت تحت طاعة شريف سبلماسة، وقال عنها "وخلفنا قرى توات وراعنا وعدلنا ذات اليسار إلى بلاد أوكرت، ونزلنا بقرى الدغامشة قرب زاوية سيدي عبد الله ابن ططم..."⁴؛ وتكلم عنها ابن مليح فقال "وأوكروت آخر بلاد

¹ . ضيف الله بن محمد بن أبي التواتي، رحلتي لزيارة قبر الوالد، ج1، المصدر السابق، ص ص 463، 464.
² . الحاج الطيب العبادي، يا سيدي بوتدارة، قصيدة شفوية يؤرخها صاحبها في 906 هـ / 1500م، نسخة مكتوبة عند عائلة بوتدارة، البيت الشعري رقم 27.
³ . الخنافسة: من القبائل العربية، يتواجدون في قصور كبرتن وأوقروت وتينركوك وأغيات والحاج قلمان منذ القرن 12م. ينظر: محمد حوتية، توات والأزواد، ج1، المرجع السابق، ص 71.
⁴ . عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية، مج1، المصدر السابق، ص 80.

توات من تلك الناحية، أقمنا به يوماً للتهيء لدخول الصحراء المعروفة بأزكر...¹؛ وقصور أوقروت هي: بوقمة (والقاف هنا يُقرأ Ga)، الشارف، عالية، الزاوية، أقبور، اعبود، وقصور الخنافسة هي: بن عايد، قصر الحاج، تينقلين، تالة، زاوية سيدي عبد الله²، تبيرغمين. وإذا استثنينا قصر "العالية" الذي اندثر ولم يعد موجوداً فإن عدد قصور هذه المنطقة هو: 10 قصور.

قصور دائرة شروين: كانت تعرف باسم "شروين" حسب ما تطرقت له كتابات تاريخية منذ القرن 16م، وظهورها بالتسمية الحالية كان خلال العهد الاستعماري³، وتبعد عن تيميمون عبر مسافة قدرتها السلطات الاستعمارية بحوالي 60 كلم غرباً⁴، وقصورها حالياً هي: شروين، أجدير الشرقي، أجدير الغربي، قصر تبو، أسفاو، بني يسلم، تاقلزي (القاف G)، تينكرام، قصر باكو، تاويريت، أوماح، تين زيري⁵. وأما عن ظلمين التي تعني "النوق"، تم تأسيسها خلال القرن 6هـ من طرف الشيخ يوسف أحد أعيان مملكة "أوسيف" في المنطقة، في رحلته إلى البقاع المقدسة وجد مجموعة من النوق يرتنون حول بئر فسمها عليهم⁶، وهذه هي قصورها: تاغوزي، نعمة، الساقية، باحمو، بوكزين، قلو، تيمارين، قطوف، تاغرايين، يحيا ودريس، تاكيات، تاقتوت، تمسقلوت (القاف G في كلتا الكلمتين)، سيد المختار، تناصر، زعيتر، اللجام، راشد، تاوراخت، فناون، ظلمين. وأما أولاد عيسى أو ما كان يعرف سابقاً بآت عيسى فقصورها: حيا، قنتور (القاف G)، وانودي، لحر، ياكو، سمجان، الكرط، تاونزا، تسفاوت⁷. وهي أقرب إلى تيميمون من غيرها حيث لا تتعدى المسافة بينهما 39 كلم⁸؛ ومنه فمجموع قصور كل من شروين وظلمين وأولاد عيسى بلغ: 42 قصراً.

1. أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي، أنس الساري...، المصدر السابق، ص 30، 31

2. فرج محمود فرج، إقليم توات...، المرجع السابق، ص 141

3. بوزناشة توفيق وآخرون، دليل الجمهورية، ج1، المرجع السابق، ص 82

4. Guillaume de Champeaux, a Travers Les Oasis Sahariennes, R.Chapelot et Cie, Paris 1903, pp.101-104

5. الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، "رئاسة الحكومة"، الجريدة الرسمية، ع26، مرسوم تنفيذي رقم 128-21، الجزائر 2021، ص 13

6. بوزناشة توفيق وآخرون، دليل الجمهورية، ج1، المرجع السابق، ص 81

7. الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الجريدة الرسمية، المصدر السابق، ص 13

8. Guillaume de Champeaux, a Travers Les Oasis Sahariennes, Op.Cit, pp.101-104

قصور تيميمون: وهي عاصمة ومركز قرارة قديماً وحديثاً، ذكرها الفشتالي في سياق حديثه عن تينقورارين التي وصفها بأنها "كانت أحد شوكة وأصلب عوداً، واعتملوا تينيمون منها قاعدة قصورها وأم قراها..."¹؛ وزارها ابن أب المزمري عدة مرات فوالده الشيخ سيدي محمد بن أب كان عالماً جليلاً فيها، توفي ودفن فيها حوالي سنة 1747م، وتكلم عنها الأغواطي في رحلته بإعجاب حتى يُخيل إليك أنه كان يبالغ في وصف عظمتها وازدهارها، حيث قال "إن تيميمون بلدة كبيرة، ولكن ليس لها أسوار تحميها لأن منازلها جميعاً متراسة، ولها سوق عظيم..."²، ثم يضيف في نفس السياق "ولها سوق يباع فيه العبيد وتراب الذهب بكميات كبيرة..."³.

كما ذكرت تيميمون من طرف الشيخ عبد الرحمن بن إدريس بن عمر التتيلاني³ في رحلته للجزائر 1816م فقال: "فلما قدر الله سفري لمحروسة ثغر الجزائر، وكان سفري لها في أوائل شهر شعبان المنير، أحد شهور إحدى وثلاثين ومائتين وألف، خرجت من بلدتنا زاوية تتيلان ثالث الشهر المذكور، وفي ثامنه دخلت بلدة تيميمون، قاعدة قرى قرارة، وأقمت فيها تسعة أيام"⁴. وأما صاحب مخطوط (درة الأقاليم) فقال عنها: "وقوة توات وكثرتها في قرارة تيميمون، وقاعدة قرارة تيميمون..."⁵.

ونظراً لأن المنطقة عرفت أهوالاً وأحوالاً خاصة على يد جيش أحمد المنصور الذهبي⁶ خلال القرن 16م، فقد اختفت قصوراً وقبائلاً وتغيرت ملامح الحياة فيها، فمنها من لا تزال عالقة في الأذهان

1. أبي فارس عبد العزيز الفشتالي، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء**، المصدر السابق، ص 76

2. ابن الدين الأغواطي، **مجموع رحلات: رحلة الأغواطي**، المصدر السابق، ص 93

3. هو الشيخ عبد الرحمن بن إدريس بن عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف (هذا الأخير مؤسس قصر تتيلان)، ولد سنة 1181هـ/1767م بتتيلان، كان عالماً في أصول الفقه والتفسير ومن أعلام الرحلة والشعر في توات، من أهم مؤلفاته: الرحلة إلى ثغر الجزائر عام 1231هـ/1816م، توفي في قرية سيوة بمصر عام 1233هـ/1817م. ينظر: عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني، **رحلته إلى ثغر الجزائر عام 1231هـ/1816م**، تج: خير الدين شثرة، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر 2015، ص ص 272-311

4. عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني، **رحلته إلى ثغر الجزائر عام 1231هـ/1816م**، المصدر السابق، ص 448

5. محمد بن عبد الكريم البكري، **درة الأقاليم...**، المصدر السابق، ص 1

6. **أحمد المنصور الذهبي:** وُلد عام 1549م في مدينة فاس، نشأ في بيت جاه وسلطان، كان بارعاً في الفقه والشعر والأدب والرياضيات والمنطق، واكتسب خبرةً سياسية وعسكرية كبيرة، وصل إلى الحكم سنة 1576م وانتصر في معركة وادي المخازن ضد البرتغاليين سنة 1578م، وضم إلى مملكته قصور الصحراء ومالي وشنقيط وبرنو، توفي بالطاعون سنة 1603م. ينظر: تمام طعمة، **أحمد المنصور الذهبي سابع سلاطين المغرب**، 2023/08/09، التصفح: 2024/01/07، التوقيت: 21:50 مساءً، www.mawdoo3.com

ومنها من اندثرت حتى تسمياتها، وعلى هذا الأساس قد نجد تضارباً واختلافاً في قصور المنطقة، مما استدعى منا إلى معاينة شخصية ومساعدة من بعض شيوخ زوايا المنطقة، وهذه هي القصور التي وقفنا عليها: الواجدة، تورسيت، تمنة، أولاد الطاهر، أغيات، ليشتا، بني ملوك، زاوية سيدي الحاج بلقاسم، المنجور، المشور، تاحتايت، تازقاغت (القاف Ga)، أولاد إبراهيم، بويحيى، أولاد نوح، اغام املا، أولاد المهدي، اغام الشريف، أولاد الحاج، سموطة، يفزا الكاف، مراد، مغمورة، فرعون، تلوين، بابا يدا، ابن عيسى، دلمال، بدران، تالنت، زقور، ماسين، طروايا¹؛ فمجموع قصور تيميمون: 33 قصراً.

قصور أولاد سعيد: هذه البلدة عاش فيها الشيخ المغيلي فترة طويلة ودفنت فيها زوجته أخت سيدي عبد الرحمن الثعالبي وأحد أبناءه، وحارب فيها اليهود كما كان شأنه في منطقة تمنطيط²، وتبعد عن مدينة تيميمون بحوالي 30 كلم شمالاً، عُرفت بالشط الطهراني قبل أن يتغير اسمها لما سكنها شخص يسمى سعيداً، وقصورها المعروفة اليوم هي: أودهمان، باضاها، تامحمودت، بدارة، كالي، أغلاد، جزولا، لازورا، أولاد عبد اللي، انهزوف، صلاح الدين، سفحان، الأحمر، قنتورة (القاف G)، أولاد هارون، أولاد موسى، القصر الشرقي، أورير، اغام³. وعدد هذه القصور 19 قصراً.

قصور تينركوك وما جاورها: هذه المنطقة التي هي حالياً دائرة من بلديتين (تينركوك، وقصر قدور)، هي آخر جهات توات شمالاً ومنها نصل إلى العرق الغربي الكبير وما بعده نحو الابيض سيدي الشيخ ومنطقة الساورة، تبعد نحو الشمال عن تيميمون المدينة بـ 70 كلم، وقصورها هي: فاتيس، زاوية الدباغ، تيلكوزة، تازليزا، تاعنطاس، بن زيتة، عين حمو، ودغاغ⁴. وأما القصور الأخرى

¹ . صوفي عبد الملك، شيخ زاوية بدران ومستشار تربوي متقاعد، حوار حول تاريخ منطقة قورارة، تيميمون في 2021/03/22، الساعة 17:00 مساءً، مقابلة شخصية

² . رشيد بليل، قصور قورارة وأولياؤها الصالحون في المأثور الشفاهي والمناقب والأخبار المحلية، تر: عبد الحميد بورايو، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ والأنثروبولوجيا والتاريخ، الجزائر 2008، ص 56

³ . الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، *الجريدة الرسمية*، المصدر السابق، ص 13

⁴ . توفيق بوزناشة، دليل الجمهورية، ج1، المرجع السابق، ص 73

فهو: قصر قدور (الذي بناه وسكنه سي قدور بن حمزة في لجوءه)¹، أنجلو، بني عيسى، تيمزلان، بوكركور، سيدي منصور، تقانت (القاف G)، تيلغمين². ومجموع قصور هذه الجهة هو: 16 قصراً.

ومنه فمجموع قصور منطقة قورارة حسب ما سلف إحصاؤه هو: 138 قصراً

• قصور جهة تيديكلت:

تقع منطقة تيديكلت شرق هضبة تادمايت وهي الحد الفاصل بين منطقة توات وبلاد الطوارق، ولذلك فقد كانت جزءاً من ولاية تمنراست قبل أن تصبح إدارياً ولاية قائمة بذاتها سنة 2021 وتسمى ولاية عين صالح، وهناك مجموعة من القصور الأخرى التابعة لها تاريخياً أدرجت ضمن ولاية أدرار ولا تزال، وتسمية تيديكلت بربرية تأخذ معناها "كف اليد" تشبيهاً لموقعها المنخفض على حواف هضبة تادمايت، وأما قصورها فتتوزع على أهم حواضرها: عين صالح، إنغر، أولف³، وقد ذكرها ابن مليح في رحلته حيث قال "وسلكنا طريق تيديكلت أسفل بلاد توات وهذا الطريق أقرب من الأولى وأسهل منها، فبلغنا بعد ثلاثة أيام مدشراً صغيراً يقال له -ان صالح- أهلها من سامدن أهدقت به عيون ونخيل كثيرة، أهلها سادات صلحاء أفاضل..."⁴، كما ذكرت في قصيدة سيدي بوتدارة، وحُددت بعض مناطقها في أبياتها التالية:

بوحجة هزينا، في تيديكلت إن شاء الله، سيدي هيبة طعناه، شريف من الصبارة

من تيط إلى الكشاش، روحنا لبلاد المعاش، وتركنا كل شواش، رجال الله عمارة

رجال الله تغير، وتجمع في إنغر، عين صالح ما فجر، وبين جمع في الفقارة⁵.

قصور عين صالح: وعين صالح هي عاصمة تيديكلت وأصبحت ولاية قائمة بذاتها حالياً، وقد

اختلفت المصادر التاريخية في هذه التسمية بين من يذكرها "ان صالح" ككلمة من أصل بربري، ومن

¹ . توفيق بوزناشة، دليل الجمهورية، ج1، المرجع السابق، ص 84

² . محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج1، المرجع السابق، ص 17

³ . إبراهيم مياشي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، دار هومه، الجزائر 2012، ص 453

⁴ . أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي، أنس الساري...، المصدر السابق، ص 133

⁵ . الحاج الطيب العبادي، يا سيدي بوتدارة، المصدر السابق، الأبيات 90، 91، 92

يذكرها "عين صالح" ككلمة من أصل عربي، وقد قرأنا لابن مليح يذكرها "ان صالح"، في حين ذكرها الأغواطي "عين صالح" فقال عنها "وبعد توات تأتني عين صالح في الجنوب، ثم تأتي بلاد السودان في أقصى الجنوب حيث يتردد التجار لشراء العبيد وتراب الذهب"¹، وقصورها هي: عين صالح، البركة، الساهلة التحتانية، الساهلة الفوقانية، الدغامشة، حاسي الحجار، جواليل، إيقسطن، الزاوية، قصر العرب، قصر المرابطين، تاجموت، الفقيقية، هنو²؛ والمجموع هو: 14 قصرًا.

قصور إينغر وفقارة الزوى: يعود تاريخ نشأة إينغر إلى القرن 17م من طرف قبيلة أولاد خليفة، كما عرفت وجود عدة قبائل غير مستقرة من الطوارق قبل ذلك، وهي تسمية بريرية تعني الشعبة (مصب الرافد في الواد)، وهي حالياً بلدية تبعد عن مدينة عين صالح 58 كلم غرباً³، وقصورها كالتالي: إينغر، الزاوية، مليانة، السبخة، القصر الجديد، أقبور، لحدب، تورفين، الشويطر⁴؛ وأما قصور بلدية الزوى فهي: فقارة الزوى، فقارة العرب، سيلافن⁵، حينون، وتبعد هذه البلدية عن عاصمة الولاية بـ 45 كلم شرقاً؛ ومنه فمجموع قصور البلديتين: 13 قصرًا.

قصور دائرة أولف: وهذه المنطقة تابعة حالياً لولاية أدرار رغم كونها تاريخياً ضمن جهة تيديكلت، وتتوزع قصور هذه الدائرة على بلديات (أولف، تيمقطن، تيط، أقبلي)، وقد ذكر الأغواطي أولف وتيط في مستهل رحلته حيث قال "تعتبر أولف البلدة الرئيسية في واحة توات، ولها نفوذ على جميع المنطقة..."، وقال أيضاً "وبلدة أولف محاطة بأسوار مبنية من الطين، وفيها الماء الوافر والتمر، ولل سكان عدد كبير من العبيد. وتقع جنوب أولف قرية طيت..."⁶، وقصورهما كالتالي: قسبة حبادات، زاوية حينون، تقرارف، الجديد، الركينة، قسبة بلال، قسبة ماخاف، عمات، تيط، قسبة الشرفاء، أما

1. ابن الدين الأغواطي، **مجموع رحلات: رحلة الأغواطي**، المصدر السابق، ص 94

2. الجمهورية الجزائرية، **الجريدة الرسمية**، المرجع السابق، ص 15

3. توفيق بوزناشة، **دليل الجمهورية**، ج1، المرجع السابق، ص 610

4. الجمهورية الجزائرية، **الجريدة الرسمية**، المرجع السابق، ص 15

5. عبد القادر بويه، **صفحات من تاريخ الصحراء الجزائرية تيدكلت والهاقار**، طبعة ثانية، دار المثقف للنشر والتوزيع،

باتنة الجزائر 2020، ص 19

6. ابن الدين الأغواطي، **مجموع رحلات: رحلة الأغواطي**، المصدر السابق، ص 93، 94

قصور تيمقطن فهي: تيمقطن (القاف G)، إينر، أولف الكبير، أخنوس، أولاد الحاج، أولاد مولاي رشيد، زاوية مولاي هبية، قصر لحسين، قصر المهدي، قسبة السيد، قسبة الجنة، المنصور، بلاد المرتاجي، الميمون، المرقب، وأما قصور أقبلي: عرق شاش، ساهل، المنصور، زاوية أبي نعام¹. ومجموع قصور هذه الجهة ككل هو: 29 قصراً.

ومنه فمجموع قصور منطقة تيديكلت حسب ما سلف إحصاؤه هو: 56 قصراً

رأيي واستنتاج:

من خلال تتبعنا لقصور منطقة توات بجهاتها الرئيسية الثلاث (توات الوسطى، قورارة، تيديكلت) وإحصاؤها، تبين لنا أن عددها يختلف من فترة إلى أخرى نظراً لعوامل تاريخية، حيث اختفت واندثرت بعض القصور، وتحولت بعض تسمياتها من منطقة إلى أخرى حتى أننا وجدنا تشابهاً وتكراراً لها، كما وجدنا اختلافاً في أقدمية القصور ومعاني تسمياتها، ونظراً لأهمية المنطقة جغرافياً وتاريخياً فقد تناولتها عدة مصادر في كتاباتها، رغم أن إشارات المصادر كانت لقصور ومناطق دون أخرى، كما تضاربت شروحاتها وتفسيراتها بين المعنيين البربري والعربي، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على الفسيفساء الإثنية والثقافية التي كان يتشكل منها المجتمع التواتي.

ورغم بعض التضارب في عدد تلك القصور من فترة إلى أخرى، إلا أن ما استطعنا الوصول إليه كعدد إجمالي حالياً، هو: 339 قصراً، وهو رقم ليس بالبعيد عن الإحصائيات الواردة والمتضاربة في المصادر التاريخية، علماً أننا ركزنا على ذكر القصور التي لا تزال تنبض بالحياة، والقصور التاريخية التي سيأتي علينا ذكرها في سرد أحداث هذا البحث، كما لا نستبعد أن نكون قد ذكرنا بعض تسميات القصور على غير المنطوق به بين ذويها وأهلها، ذلك لأن ترجمتها وتعريبها من البربرية الزناتية قد يختلف، خاصة أننا قد اعتمدنا في سرد بعضها على أساس وثائق وسجلات رسمية صادرة

¹ . محمد باي بلعالم، الرحلة العلية...، ج1، المرجع السابق، ص ص 17، 18

عن مؤسسات الدولة الجزائرية.

جدول رقم 01: توزيع القصور على جهات توات¹

الجهات	عدد القصور
توات الوسطى	145
قورارة	138
تيديكلت	56
المجموع الحالي	339 قصراً

إحصائيات من إنجاز الباحث إلى غاية سنة 2024

¹ . ينظر الملحق رقم 27 ص ص 415-417

الفصل الأول:

أوضاع منطقة توات خلال القرن 19م

المبحث الأول: الأوضاع الاجتماعية

- تركيبة المجتمع
- نظام القصر والجماعة
- مظاهر المعيشة والانسجام

المبحث الثاني: الأوضاع الثقافية

- مظاهر الحركة العلمية خلال القرنين 18 و 19م
- أهم الأعلام والمراكز العلمية
- العلاقات الثقافية خارجياً

المبحث الثالث: الأوضاع الاقتصادية

- مظاهر الاقتصاد المحلي
- الازدهار التجاري للمنطقة

المبحث الرابع: الأوضاع السياسية

- الأحوال الأمنية للمنطقة
- الاستقطاب الخارجي للمنطقة

خلاصة الفصل

المبحث الأول: الأوضاع الاجتماعية

حينما نتكلم عن الأوضاع المحلية السائدة خلال القرن 19م اجتماعياً، فإننا سنركز بالضرورة على السكان ومظاهر الوجود البشري في المنطقة، ونخص بالذكر تركيبة المجتمع التواتي من حيث القبائل والأعراق واللغات والعلاقة بين تلك المكونات، وظروف المعيشة والتعايش في تلك البيئة التواتية، والنظام الاجتماعي الذي كان يسير ويدير تلك العناصر البشرية، وهي الدراسة الاجتماعية والانثروبولوجية التي سنحاول أن نفهم بها طبيعة المجتمع القصورى في توات، مما يجعلنا نستقرأ بها علاقة أهل توات بالاحتلال الفرنسي والمقاومة الشعبية في الجزائر، ودور كل تلك العناصر في مخاض النضال الوطني والروابط المحلية والإقليمية، ف فيما تمثلت أوضاع توات على هذا الأساس خلال القرن 19م بالذات؟؟

1. تركيبة المجتمع التواتي:

كان المجتمع التواتي يتشكل من فسيفساء إثنية وعرقية ولغوية، اشترك فيها الوافدون الجدد بالسكان الأصليين في استيطان وتعمير المنطقة في فترات زمنية متعاقبة، وربما لا يختلف إثنان على أن البربر كانوا أول من اختطوا منطقة توات على حد قول ابن خلدون، ثم توافد عليهم اليهود والعرب والأفارقة وامتزجوا معهم؛ لكن عن الكتابات الأجنبية هناك من يرى أن هوميروس ذكر أن الأثيوبيين كانوا سباقين في الاستيطان باتجاه الغرب، ثم يروي هيرودوت رحلة "النسامون" من جهة فزان في اتجاه الغرب، حيث وجدوا قبيلة من الأقزام السود حول نهر يجري من الغرب نحو الشرق، ويضيف آخرون أن "الجيتول" هم من كانوا يسكنون جنوب غرب ليبيا، وأنه قبل الوصول إلى المحيط الأطلسي كان يوجد نهر يسمى (قير Ger)، يذكر بطليموس أن على حوضه كانت تتواجد عدة قرى مثل: ملوكة، وتسابيت، وبودة، وتقانت، ودلول...¹

¹ . A.G.P Martin, Les Oasis Sahariennes..., Op.Cit, pp.27-31

وبالعودة لفسيفساء المجتمع التواتي حيث كانت عناصره تتعايش في قصور واحدة، وأحياناً أخرى نجد هذا العنصر أو ذاك قد أنشأ لنفسه قصراً بتسمياته ومواصفاته، والأهم أن ما كان يميز الكيان التواتي هو ذلك التعايش والانسجام بين مكوناته وإن اختلفت، وعلى هذا الأساس نلقي نظرة على العناصر العرقية التي كان يتكون منها المجتمع التواتي خلال القرن 19م؛ وهنا ينبغي الإشارة إلى أن المجتمع التواتي كان يتميز بتقسيمات فئوية على أسس متباينة، أهمها اللغة والأعراق والأنساب والمكانة الدينية والثروة، ورغم أن تلك الفئات امتزجت أحياناً بحيث لا تكاد تعرف الأصل فيها من المستجد، مثل التمايز على أساس اللغة، إلا أنها حافظت على تراتيبها وتدرجها الطبقي في أسسٍ أخرى، فمن حيث المكون اللغوي والعربي نجد مجتمع توات كان ينقسم إلى:

1.1. العنصر العربي:

كان توافد العرب على مناطق المغرب تزامناً وانتشار الإسلام في إفريقيا، وكان عرب المعقل وبنو هلال من أوائل من نزل من العرب إلى جوار زناتة بالصحراء الكبرى، ولما ملكت زناتة بلاد المغرب مع قيام دولة الموحدين بدأت قبائل عرب المعقل تسكن قصور الصحراء مثل توات وتيكورارين¹؛ وبعد سقوط دولة زناتة في القرن الرابع هجري، ازدادت الهجرات إلى بلاد المغرب خاصة خلال القرنين 5 و6هـ/ 11 و12م، وقد ذكر صاحب (درة الأقاليم) أن قبائل عربية نزحت بأفواج كبيرة نحو الصحراء ونزلوا بأرض بودة من توات، واستقروا هناك بعدما بنوا عدة قصور في توات وقورارة²، وكان ذلك لما ضاقت بلاد المغرب بعرب المعقل والهلاليين والبرامكة والأشراف، توجهت منهم جماعات إلى الصحراء وزاحموا زناتة فيها.

ويؤكد ذلك مولاي أحمد بن هاشم (ت 1253هـ/ 1837م) في رحلته سنة 1213هـ/ 1798م

¹ . محمد الفاطمي، البيوتات العلمية بقورارة إبان القرنين 11 و12هـ، ط1، دار صبحي للطباعة والنشر، غرداية الجزائر 2022، ص ص 17، 18

² . محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأقاليم...، المصدر السابق، ص 8

حيث ذكر أنه وجد معلومات عند وصوله قصور سالي "تقول أن الزناتة قَدِموا للصحراء قبل العرب، لكن العرب كثروا بفضل الهجرات المتتالية للصحراء" وذكر منهم قبيلة أولاد محمد والمحارزة والخنافسة وأولاد علي بن حريز¹، وتجددت الهجرات أيضاً في عهد المنصور الذهبي بنهاية القرن 16م، حيث انزاحت عدة قبائل عربية نحو توات وقورارة.

ومنه فقد تشكل العنصر العربي في منطقة توات من الهلاليين الأشراف والبرامكة² والخنافسة والمحارزة وأولاد محمد وأولاد ايعيش وأولاد منصور وأولاد الحاج وأولاد زنان وآخرون، ومن عرب المعقل كأولاد الحاج وأولاد عايد وغيرهم³؛ ويذكر (مارتن أ.ج.ب) أن "القدوعيين" (والقاف هنا ينطق G) كانوا من أقدم القبائل العربية الوافدة على توات، بل ويقول أن ناس توات يتفقون على أن قدومهم كان حتى قبل البرامكة⁴. ولم تتوقف الهجرات العربية إلى مناطق توات فقد توافدت إليها خلال القرن 19م مجموعات من الشعانبة وأولاد سيدي الشيخ، قدوماً من ورقلة والمنيعية ومتليلي والأبيض سيدي الشيخ⁵.

ويشير (A.G.P Martin) بالإحصائيات التي امتلكها سنة 1905 إلى أن مجموع العرب بتوات الوسطى بلغ حوالي 19654 نسمة⁶، وحسب معطيات (هنري. بيسسال H.bissuel) سنة 1891م، بلغ تعداد العرب والأشراف في المنطقة الممتدة من اسبع وتساييت إلى تينركوك 19178 نسمة⁷، وفي

¹ . مولاي أحمد بن هاشم، رحلة مولاي أحمد بن هاشم من قصر أولاد عمور تيمي حتى قصر المستور 1213هـ، خزانة مولاي سليمان بن علي أدغا، أدرار الجزائر، ص 3

² . البرامكة: أسرة من أصل فارسي أحفاد برمك، كانوا وزراء وأعوان مقربين في الدولة العباسية، انتهى بهم المطاف بما يعرف بنكبة البرامكة حيث قتلهم وسجنهم هارون الرشيد وطاردهم سنة 187هـ/803م، وصل بعضهم إلى توات قادمين من الشام حوالي سنة 432هـ/1040م. ينظر: أحمد بوسعيد، الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات...، المرجع السابق، ص 8، والعقيد بن دحو، أحداث حواضر أدرار...، المرجع السابق

³ . محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأقاليم...، المصدر السابق، ص 7، 8

⁴ . A.G.P Martin, Les Oasis Sahariennes, Augustin Challamel, Paris 1908, p.64

⁵ . رشيد بليل، قصور قورارا وأولياؤها...، المرجع السابق، ص 412

⁶ . A.G.P Martin, Les Oasis Sahariennes, Op.Cit, p.220

⁷ . H.bissuel, Le Sahara Français, typographie adolphe jourdan, Alger-1891, p.15

توات الوسطى 35587 نسمة، وفي تيديكلت 12069 نسمة¹، ومنه فمجموع العرب حسب هذه التقديرات بلغ 66834 نسمة؛ وعلى هذا الأساس بدأنا كلامنا عن التركيبة السكانية بالعنصر العربي، بحكم أن هذا العنصر كان يشكل أقوى فئة في توات وأكثرها تأثيراً ونفوذاً خاصة خلال القرن 19م.

وللإشارة فالعنصر العربي كان يركز على تراتبية هرمية تتمايز إلى طبقات على حسب العرق والنسب، تشكلت من الفئات التالية (الأشراف، المرابطين، الأحرار)، وانعكس هذا الترتيب المجتمعي على العناصر الأخرى في توات؛ كان ذلك النظام يبدأ من الأعلى بفئة الأشراف وهم من سلالة الرسول عليه الصلاة والسلام، جزء كبير منهم جاء من تافيلالت مثل سيدي سليمان بن علي الذي دخل توات سنة 580هـ، والشريف مولاي امبارك بن مولاي المامون الذي وصل إلى المنطقة مع 30 فارساً سنة 1121هـ / 1709م²، وكانوا يتمتعون بالتعظيم والجاه إلى درجة أنهم في مطلع القرن 20م، كانوا لا يشكلون سوى 15% من السكان في توات الوسطى مثلاً، ومع ذلك كانوا يستحذون على حوالي 36% من الثروة المحلية³، ولهم من التوقير والتقدير ما نالوا به حتى الألقاب المرموقة بين الناس، على غرار القول للرجل منهم "مولاي" وللمرأة منهم "لالة" *.

وأما فئة المرابطين (بسكون الميم) تأتي في الدرجة الثانية من حيث الترتيب الطبقي للمجتمع التواتي، ورغم الاختلاف على أصولها وظهورها التي يربطها البعض بذرية بعض الصحابة الكبار، إلا أنها غالباً كانت لا تخرج من العرب أو العرب المتمزعين؛ وهي فئة كانت تتصف بالعلم والتدين والصلاح، فارتبطت بالزوايا والتصوف والرباط في سبيل الله، ورغم أنهم كانوا أقل عدداً من الأشراف، إلا أنهم تمتعوا أيضاً بالقيمة والتبجيل فتجد الناس تصفهم بـ "المرابط فلان، وسيدي فلان، والحررة بنت

¹ . H.bissuel, *Le Sahara Français...*, Op.Cit, pp.31,40

² . الصديق حاج أحمد، *التاريخ الثقافي...*، المرجع السابق، ص 55

³ . عبد الله بابا، *الحياة الاجتماعية والاقتصادية...*، المرجع السابق، ص 101، 102

*. يرى المفسرون لقيمة هذه الفئة في المجتمع التواتي بما ورد في القرآن الكريم عن آل البيت، مصداقاً لقوله تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى...) الشورى: الآية 23، وعن زيد بن أرقم أنه قال (قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمأ بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر...، ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي)، صحيح مسلم.

فلان...¹؛ وبالتالي فهذه الفئة وظيفية وليست من باب التركيبة العرقية أو اللغوية.

وفئة الأحرار وهم من عامة الناس ينحدرون أصلاً من آباء وأمّهات أحرار، كانوا يشكلون أغلبية السكان، ويعملون في التجارة ويمتلكون الدكاكين والبساتين والعيبد²، وكانت تطلق هذه الفئة على ذوي الأصل العربي والبربري على حدٍ سواء، ولأنهم كانوا يمثلون ربع السكان ويستحوذون على ثلث الثروة فقد تحملوا عبء الجباية والأتاوات، على عكس الأشراف والمرابطين الذين أعفوا منها، لكنهم في المقابل كان منصب القايد منهم في الغالب³، حيث ذكر مولاي أحمد بن هاشم أن الشرفاء في زاوية كنتة لم تكن لهم أية سلطة بارزة، بل كان العرب هم أصحاب الحل والربط⁴؛ وهذه الفئة كانت أكثر انفتاحاً على العناصر الأخرى المستجدة على المجتمع التواتي، مثل الحراطين والشعانية⁵ والغنانمة⁶ والزوى⁷ الذين كثر توافدهم على توات بالتزامن مع فترة الاحتلال الفرنسي⁸.

2.1. العنصر البربري:

تتفق معظم المصادر على أن البربر هم أول من سكنوا المنطقة، فقبائل الزناتة⁹ قدمت من ليبيا

1. نور الدين بن تيشة، الأسرة في منطقة توات خلال القرنين 18 و19م، أطروحة دكتوراه، جامعة سطيف2، الجزائر - موسم 2021/2022، ص 70

2. فرج محمود فرج، إقليم توات...، المرجع السابق، ص 34

3. عبد الله بابا، الحياة الاجتماعية والاقتصادية...، المرجع السابق، ص 105

4. مولاي أحمد بن هاشم، رحلة مولاي أحمد...، المصدر السابق، ص 3

5. الشعانية: قبيلة عربية ينتمون إلى ثامر بن تلال، نزلوا بإقليم متليلي سنة 751هـ/1350م، ومنهم البرازقة الذين توافد بعضهم على قورارة وتيديكلت عن طريق التجارة، يتركزون في زاوية الدباغ والمطارفة وتيميمون، وتسايبت وقصر بوعلي والنفيس، وأولف وعين صالح. ينظر: محمد حوتية، توات والأزواد، المرجع السابق، ج1، ص 72، 73

6. الغنانمة: نسبة لقبيلة من الرحل يسكنون قصور وادي الساور: تمترت، واديغ، بوحديد، الواتة، بوخلوف، وامسة، ماسة، أنفير، أقفال، قرزيم، بن يخلف، الزاوية الكبيرة، زاوية كرزاز، تيمودي، أولاد رافع، تمغن، المنصور، لقصابي. ينظر: محمد أعيف، توات مساهمة...، المرجع السابق، ص 40

7. الزوى: مفردتها زواي، وهي نسبة لارتباط أولاد سيدي الشيخ بقصور قورارة وتيديكلت من خلال سيدي سليمان بن أبي سمحة الذي توفي في قصر تبو سنة 897هـ/1477م، وسيدي عبد القادر بن محمد الذي ارتبط بقصور أولاد سعيد وتيلكوزة وزاوية الدباغ، والحاج بوحفص الذي درس وتنقل بين أوقروت وعين صالح أين أنشأ زاوية له، ثم واصل أبناءه وأحفاده مسيرته بالمنطقة بعد سنة 1133هـ/1720م، وخلال ثورات أولاد سيدي الشيخ تردد الزوى على قصور قورارة كثيراً. ينظر: محمد حوتية، توات والأزواد، ج1، المرجع السابق، ص 71، 72

8. Bisson Jean, Le Gourara Etude de Géographie Humaine, Mémoire n° 3, Université d'Alger 1955, p.90

9. الزناتة: زناته هو شانا أو جانا بن يحيى بن صولات بن ورتناج بن ضري... إلى أن يصل النسب إلى: بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام. ومنه فكلمة زناتة من جدهم الأكبر شانا أو جانا، والعرب استبدلت الحرف الأول بالزاي

إلى المنطقة منذ الألفية الأولى للميلاد، وتوافدت في هجرة ثانية خلال القرنين 10 و 11م حتى صارت تشكل غالبية السكان¹، في حين يرى (جون بيسون Jean Bisson) أنه بعد سقوط الدولة العبيدية خلال القرن 10م استقرت قبائل زناتية جديدة في قورارة، بعضها أسست قصورهم الخاصة بهم مثل أوداغ وبني ملوك وبني مهلال وأولاد راشد، وهي قصور لا تزال تحمل أسماء تلك القبائل التي أنشأتها إلى يومنا هذا²؛ وقد أكد مولاي أحمد بن هاشم التواتي (ت 1253هـ/1837م) في رحلته سنة 1213هـ/1798م أنه وجد معلومات في سالي تقول أن الزناتة قدموا إلى الصحراء قبل العرب³.

وبعد توافد هجرات اليهود والفتح الإسلامي تداخلت عناصر السكان فيما بينها، ففي القرن 19م كانت تنقسم معظم قصور منطقة توات إلى قصور ناطقة بالبربرية الزناتية، وقصور أخرى ناطقة بلهجات العرب، أو أحياناً تجد هذين المكونين في نفس القصر، ولا يمكن الجزم أن أولئك البربر كانوا حقاً بربراً ولا الناطقين بالعربية أنهم حقاً كانوا عرباً، فمع مرور الزمن تعرب بعض البربر وتبربر بعض العرب وامتزجوا فيما بينهم⁴؛ ونفس الشيء فمع نهاية القرن 12م صارت قورارة مأهولة بالزناتة واليهود لدرجة أن بعض الزناتة أصبحوا يهوداً أيضاً، ومن تلك الخلفية اليهودية البربرية القديمة جاء الزناتة الحاليون⁵.

لكن وإن كان الاختلاط العرقي والتمازج بينها قد ساد تلك القبائل والقصور، إلا أن الأنساب كانت تميز وتحافظ على كثير من الحقائق وتؤرخ لها، فقد تميزت بعض الجهات من توات بخصوصيتها اللغوية والعرقية بشكل أوضح، حيث نجد قورارة مثلاً كان يغلب عليها العنصر البربري بقوة وحافظت على كينونتها اللغوية والعرقية إلى يومنا هذا، وقد أشار بعض المحققين والباحثين

وأضافوا الهاء وحذفوا الألف حتى تحوّرت الكلمة إلى زناته. ينظر: ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر...، المصدر السابق، ج7، ص 10، 11

¹. رشيد بليل، قصور قورارة...، المرجع السابق، ص 411

². Bisson Jean, *Le Gourara Etude de Géographie Humaine...*, Op.Cit, p.88

³. مولاي أحمد بن هاشم، رحلة مولاي أحمد...، المصدر السابق، ص 3

⁴. أحمد العماري، توات في مشروع...، المرجع السابق، ص 16

⁵. Bisson Jean, *Le Gourara Etude de Géographie Humaine...*, Op.Cit, p.88

المعاصرين إلى ذلك التمايز بأن الزناتة كانوا يقطنون تيميمون منذ أقدم العصور، وأنهم استقروا فيها نزوحاً من إقليم الزاب ووادي أمقيد¹، وذكر رشيد بليل أن تينقورارين كلها بربرية من قبائل زناتية باستثناء بعض القصور التي سكنها العرب الرحل مثل الخنافسة²، وأورد صاحب (درة الأقاليم) تأصيل العنصر الزناتي في كل المنطقة، في قوله "وقد اتفق المؤرخون على أن أهل القطر التواتي قبل الإسلام عجم لا عربية فيه..."³.

ورغم أن العرب معروفين بعلم الأنساب وارتباطاتهم بالقبيلة على خلاف غيرهم، فقد نجد أنه رغم مرور الزمن وغياب التدوين التاريخي قديماً، إلا أن الذاكرة الشفوية احتفظت ببعض التسميات لقبائل زناتية بربرية بالمنطقة وخاصة في جهة قورارة، يذكر رشيد بليل بعضها مثل: المرابطين آت سيدي عثمان، آت المهدي، آت حمو الزين، آت إبراهيم، آت يحيى⁴، ثم يذكر بعض القبائل في القرن 19م مثل أولاد بابا يدا، وأولاد سيدي امر الغريب، وآت القاضي، وآت بوزيزا، وآت تيجي، وآت الحاج، وغيرهم...⁵

وقدم بعض الرحالة والكتّاب الفرنسيين إحصائيات عن القبائل الزناتية والعربية في المنطقة، مثل (A.G.P Martin) الذي أمدنا بإحصائيات سنة 1905 حول الأعراق والأجناس في توات الوسطى، حيث ذكر أن تعداد البربر (زناتة وطوارق) بلغ 5470 نسمة⁶؛ في حين كان (هنري بيسسال H.bissuel) أكثر دقة منه حيث ذكر في كتابه (الصحراء الفرنسية) سنة 1891م، أن تعداد الزناتة في المنطقة الممتدة من اسبع وتسابت إلى تينركوك بلغ 23356 نسمة⁷، وفي توات الوسطى 8570

1 . عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني، رحلته إلى ثغر الجزائر...، المصدر السابق، ص 484

2 . رشيد بليل، قصور قورارا...، المرجع السابق، ص 39

3 . محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأقاليم...، المصدر السابق، ص 2

4 . رشيد بليل، قصور قورارا...، المرجع السابق، ص ص 296، 297

5 . نفسه، ص 407

6 . A.G.P Martin, Les Oasis Sahariennes..., Op.Cit, p.220

7 . H.bissuel, Le Sahara Français..., Op.Cit, p.15

نسمة، وفي تيديكلت الزناتة 60 نسمة والطوارق 200 نسمة¹، ومنه فمجموع البربر حسب هذه التقديرات بلغ 32186 نسمة.

وللإشارة ففي هذا العنصر كانت تتواجد كل فئات الهرم الاجتماعي لمنطقة توات من حيث الترتيب الطبقي (الأشراف، المرابطين، الأحرار، الحراطين، العبيد)، لكن العنصر الأساسي والأصليين من الزناتة كانوا ضمن فئة الأحرار، وبقية الفئات نجدهم مندمجين في الزناتيين وتبربروا مع مرور الزمن فقط؛ وكما تعايشت القبائل العربية والزناتية في المنطقة مع بعضها في قصور واحدة، فقد تجاوزت أيضاً قصوراً زناتية خالصة مع أخرى عربية، فمثلاً قصور دلدول (أولاد عبو، أقبور، المنصور، الساهلة) كانت لقبائل عربية، وبجوارها نجد قصور زوى دلدول البربرية (إقسطن، البركة، توكي، بلغازي، أولاد عبد الصمد)، ونفس الشيء كان بين قصور الخنافس العرب وقصور أوقروت الزناتة.

3.1. اليهود المهاجرة:

حواضر منطقة توات التي كانت لها أهمية بالغة في الصحراء وإفريقيا، تنوعت فيها القبائل والشعوب التي سكنتها على مر الزمن، ولم يقتصر الأمر على البربر والعرب رغم أنهم كانوا يشكلون الأغلبية والعناصر الفاعلة، فقد عرفت المنطقة تواجداً لليهود في فترات تاريخية متقطعة، بل وكانوا من أوائل الذين استوطنوا توات جنباً إلى جنب مع البربر، وكان لهم دوراً وإسهامات خاصة في المجال الاقتصادي من خلال حواضر وأسواق المنطقة؛ ويذكر (جون بيسون) أن القبائل الزناتية التي استوطنت قورارة وجدت هذه المنطقة مأهولة بسكان يهود كثيرين، لدرجة أنهم خلال بداية القرن 12م فيهم من اندمج بينهم وأصبحوا يهوداً مثلهم².

ومن أهم الفترات التي عرفت فيها توات هجرة ضخمة لليهود أواخر القرن 8هـ / 14م، على خلفية

¹ . H.bissuel, *Le Sahara Français...*, Op.Cit, pp.31,40

² . Bisson Jean, *Le Gourara Etude de Géographie Humaine...*, Op.Cit, p.88

أحداث الأندلس واضطهادهم شأنهم شأن الموريسكيين، حيث استقبلهم سلاطين الدولة الزيانية مثل المسلمين، وكانت توات من أهم المناطق التي قصدوها بعد ذلك، وبلغوا في تلمسان وتوات من القوة والنفوذ ما بلغوا به الأصداء والجدال، مما اضطر الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي¹ إلى هجرة عاصمة الزيانيين نحو توات خلال (897هـ / 1492م)²، فاصطدم بوجودهم في توات أيضاً، حيث يقول ابن بابا حيدة عن قوة اليهود في تمنطيط آنذاك، أنه كان فيها ثلاثمائة وستون صائغ ذهب يهودي، بعدد أيام السنة³؛ فكان مجيء المغيلي حدثاً ومنعرجاً تاريخياً مؤثراً على وجود هذه الفئة، حيث تتفق المصادر على أنه حاربهم وطاردتهم، في حين تذكر مصادر أخرى أن بعض اليهود أسلموا واندمجوا في المجتمع التواتي.

ويذكر الدكتور محمد الفاطمي أن النصاري أيضاً كانوا متواجدين بالمنطقة إلا أن اختفاءهم كان مبكراً، خوفاً وهروباً من احتمالات الانتقام ضدهم خاصة بعد أخبار محاكم التفتيش والاعتداءات الأوروبية على سواحل المسلمين في المغرب، لكن العنصر اليهودي كان وجوده بالمنطقة ثابتاً خلال القرنين 9 و 10هـ⁴، حيث يقول رشيد بليل أنه في توات جميع القصور التي كانت لا تحتوي على جامع، كانت مسكونة من طرف اليهود، ويذكر منهم بعض الأسر مثل آت موسى وآت باروخ وآت أوغازي⁵. ويذكر الرحالة التواتي مولاي أحمد بن هاشم أنه توقف في رحلته عند قصر تماسخت الذي كان قصراً لليهود، بعدما كانوا يسكنون تاسفاوت وتمنطيط ولحمر⁶.

1. محمد عبد الكريم المغيلي: شخصية جزائرية جدلية، وُلد ونشأ بين تلمسان وتوات خلال القرن 15م، وصال وجال بين قورارة وتوات منذ 1487م حارب خلالها هيمنة اليهود، وكان له دوراً دعوياً وإصلاحياً في بلاد السودان الغربي، توفي ودفن في توات سنة 909هـ/1505م. ينظر: مقدم مبروك مقدم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية، مؤسسة الجزائر كتاب، تلمسان الجزائر-2002، ص ص 27-126

2. نور الدين بن تيشة، الأسرة في منطقة توات...، المرجع السابق، ص 67

3. محمد بن بابا حيدة، القول البسيط في أخبار تمنطيط، تح: فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1977، ص 14

4. محمد الفاطمي، البيوتات العلمية بقورارة...، المرجع السابق، ص 34

5. رشيد بليل، قصور قورارا وأولياؤها الصالحون...، المرجع السابق، ص ص 360، 361

6. مولاي أحمد بن هاشم، رحلة مولاي أحمد...، المصدر السابق، ص 2

وبعد طرد اليهود من توات على يد المغيلي بنهاية القرن 15م، هاجروا وسكنوا خصوصاً مع الزناتة في قصورهم، مثل تينكرام وتين زيري وآغلاد وتيميمون وطلمين وغيرها من قصور قورارة التي لجأوا إليها من توات أو زناتة تهودوا فيها¹، وأحياناً أخرى كانت لهم قصوراً خاصة بهم تختلف عن المسلمين من حيث طابعها العمراني الذي كان يأخذ شكلاً دائرياً أو شبه دائري محصن، مثل قصر باكو وأوماح جهة شروين وآت عيسى² وقصر تورicht في جهة تيميمون وأولاد سعيد. ورغم التضارب في إسلامهم واختلافهم بمسميات من حموهم من المسلمين، فقد بقي البعض منهم إلى غاية الفترة الاستعمارية الفرنسية مطلع القرن 20م، والبقية دخلوا الإسلام وحسن إسلامهم وهم الذين أطلق عليهم تسمية "المهاجرية" لأنهم هجروا اليهودية إلى الإسلام³؛ ويصف (جون بيسون) قصر تحتايت في تيميمون أنه كان من عواصم اليهود، وكذلك طلمين، ووُصفوا حينها بـ "التواتيين الفلسطينيين"⁴.

والثابت أن اليهود حقاً تناقصت أعدادهم في توات خلال القرنين 18 و19م، لكن ليس بسبب صراعهم مع المغيلي فقط، بل كذلك نتيجةً لظهور التجارة البحرية والحركة الاستعمارية، ومع ذلك فقد تبقت منهم جماعات عاشت في أمن وسلام وعُرفوا بتجارة الفضة والذهب⁵، والبعض الآخر كانوا يترددون على توات كصناع تقليديون طوال العام، ويشغلون فيها بحرفهم المعتادة ثم يرحلون، لقد كان حب المال يجلبهم رغم المعاملة السيئة التي يتلقونها⁶. وحسب كتابات الفرنسيين أشار (Jean Bisson) إلى أن اليهود المهاجرة الباقون في توات ورغم إسلامهم فقد كانوا لا يتزاوجون إلا من بعضهم البعض، وكانت لهم أيضاً مقابر وحرف خاصة بهم⁷، وحسب إحصائيات (A.G.P Martin)

¹ . رشيد بليل، قصور قورارة وأولياؤها الصالحون...، المرجع السابق، ص ص 404، 405

² . نفسه، ص 370

³ . محمد الفاطمي، البيوتات العلمية بقورارة...، المرجع السابق، ص ص 33-35

⁴ . Jean Bisson, *Le Gourara Etude de Géographie Humaine...*, Op.Cit, p.88

⁵ . مبارك جعفري، مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، دار الكتاب العربي، الجزائر 2016، ص 186

⁶ . أوجين دوماس، الصحراء الجزائرية دراسة جغرافية إحصائية وتاريخية 1843-1851، تر: بن حرز الله بن مويزة، دار النعمان للطباعة والنشر، ط1، الجزائر 2024، ص 193

⁷ . Jean Bisson, *Le Gourara Etude de Géographie Humaine...*, Op.Cit, p.92

في سنة 1905 فمجموع اليهود المهاجرة بتوات بلغ حوالي 191 نسمة¹.

4.1. الأفارقة السود:

وبالإضافة إلى العناصر السابقة المكونة لتركيبية المجتمع التواتي، كانت هناك فئة السود القادمين من إفريقيا ما وراء الصحراء، وكانت تطلق عليهم تسميات (الحراطين، والعبيد)، وقد جيء بهم من بلدان السودان الغربي في إطار تجارة الرقيق؛ فالحراطين هم الذين تم تحريرهم أو المولودين من الأحرار وإماءهم، ويفسر البعض أن كلمة حرطاني تعني "حر ثاني" باعتبار أن العربي والبربري "حر أول"، والبعض الآخر يربطها بعملهم في الحراثة فوصفوا بـ "الحراثين"، ويطلق عليهم أيضاً "الخماسين"²؛ وأنهم أنصاف الأحرار لأنهم ولدوا من الجواري، وكانوا أقل مكانة من الفئات السابقة، حيث امتنوا الأعمال التي كان يأنفها غيرهم مثل الزراعة والبناء والحرف.

ويذكر (غوتيي Gautier) أن هذه الطبقة الزنجية كانت موجودة في كل أنحاء الصحراء الجزائرية والمغربية، من ورقلة إلى تافيلالت ووادي درعة، بل وأن فئة منهم كانت ذات بشرة بيضاء قرب طنجة؛ ولذلك يبدو له أن السمة الأساسية للحراطين هي الوضع الاجتماعي وليس لون البشرة³؛ ومن التفسيرات النادرة هناك من يجعل كلمة "حرطاني" من الأصل البربري "أحرضان" وتعني "الهجين" من حيث اللون والعرق⁴، وهو المولود نتاجاً لتزاوج الرجل الأبيض والمرأة السوداء، بل وهناك من يقول أن الحراطين ليسوا عبيداً محررين ولا نسلأ مهجناً، وإنما هم من السكان الأصليين للواحات التي أخذت منهم غصباً⁵؛ وتبقى هذه الروايات ضعيفة وغير متداولة خاصة أنها جاءت في سياق كتابات مشبوهة

¹ . A.G.P Martin, **Les Oasis Sahariennes...**, Op.Cit, p.220

² . عبد الله بابا، **الحياة الاجتماعية والاقتصادية...**، المرجع السابق، ص 106، 107

³ . Gautier Emile Félix, **"Missions au Sahara"**, Tome1, **Sahara algérien**, Librairie Armand Colin, Paris 1908, p.265

⁴ . الصديق حاج أحمد، **التاريخ الثقافي...**، المرجع السابق، ص 56

⁵ . Lieutenant Baquey, **La Pénétration Saharienne 1899-1905**, Imprimerie Librairie Militaire, Paris 1908, p. 12

لبعض الفرنسيين، مثل السياق الذي كُتبت فيه الرواية الثانية من طرف الراهب (دي فوكو)¹. ورغم أن عنصر الحراطين كانوا فئة مستضعفة في المكون الاجتماعي لتوات، إلا أنهم تكاثروا في بعض القصور حتى تملكوها وأسسوا بعض القصور أحياناً، حيث نجد صاحب (القول البسيط في أخبار تمنطيط) يذكر أن "الحراثين" في جهة تمنطيط صار لهم قصراً ومسكناً مع المهاجرة، حيث حلوا محل بعض القبائل الأوائل مثل قبيلة أولاد اهمالي، وبتعبير آخر يذكر بصريح العبارة "وأما قصور تفاغ فهي للحراثين"²؛ وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن هذه الفئة كانت قديمة الوجود في المنطقة، وأنه رغم تدني طبقتها إلا أنها استطاعت أن تتموقع في المجتمع القصور التواتي، ربما بكثرة تدفقها والحاجة إليها اجتماعياً واقتصادياً.

أما العبيد فهم آخر الطبقات التواتية نظراً للأعمال الشاقة التي كانوا يؤديونها لخدمة أسيادهم مثل الزراعة والرعي وحفر الفقارات، وعلى هذا الأساس استقدمهم ملاك الأراضي بكثرة³. وقد استفحلت تجارة الرق في توات خصوصاً خلال القرن 19م، رغم أن الدكتور محمد حوتية في كتابه (توات والأزواد) نفى عن سكان توات ممارستهم لتجارة الرق كعمل أساسي، وقال أنهم لم ينصرفوا لتجارة العبيد إلا في القرن 19م، نظراً لانعدام الأمن وكثرة الفتن والنزاعات، مما ترتب عن ذلك استرقاق أحرار غرب إفريقيا وبيعهم كعبيد إلى التجار⁴. ويبرز ابن الدين الأغواطي حوالي سنة 1826م مدى رواج تجارة العبيد في المنطقة، إلى درجة أنه ذكر وجود الأسواق والتجارة بشكل متكرر، مثل سوق

1. شارل دي فوكو **Charle De vocot** : راهب وقسيس فرنسي كاثوليكي ولد سنة 1858م، أصبح كاهناً سنة 1901 وبدأ رحلاته من المغرب سنة 1883، ثم واصل نشاطه في الصحراء الجزائرية وبالضبط بني عباس حيث كان يصاحب الجنود الفرنسيين وبنى فيها صومعة وكنيسة صغيرة، ثم انتقل إلى منطقة الهقار وعاش قريباً من الطوارق يتعلم لغتهم وعاداتهم لمدة 10 سنوات، وشرع في تأليف قاموس لغوي عنها، كما كتب عن المجتمع المغربي، بالإضافة إلى نشاطه التنصيري الذي امتد من جهة الهوقار إلى المنيعية وتوات وبني عباس، قتل من طرف الطوارق سنة 1916م. ينظر: ليندة عمراوي، "شارل دي فوكو في الجنوب الغربي الجزائري. المهمة المزدوجة"، مجلة السائرة للدراسات الإنسانية، جامعة بشار الجزائر، مج8، ع2، 2022/12/25، ص ص 153-179.

2. محمد بن بابا حيدة، القول البسيط...، المصدر السابق، ص ص 18، 19.

3. فرج محمود فرج، إقليم توات...، المرجع السابق، ص ص 34، 35.

4. محمد حوتية، توات والأزواد، ج1، المرجع السابق، ص 365.

تيميمون الذي قال عنه أنه كان يباع فيه العبيد وتراب الذهب بكميات كبيرة، وفي عين صالح حيث قال أن التجار كانوا يترددون عليها لشراء العبيد وتراب الذهب¹.

ورغم تشابه الفئتين إلا أن الفرق بين الحراطين والعبيد كان يكمن في الحرية والعبودية، وأما عن أعدادهم فقد وجدنا تضارباً في الإحصائيات عنهم كقئة واحدة أو كفتتين؛ حيث اعتمدنا على الأرقام التي قدمها (هنري بيسسال H.bissuel) في كتابه (الصحراء الفرنسية) سنة 1891م، يقول فيها أن مجموع (الحراطين والعبيد) بلغ 92834 نسمة منهم العبيد 35 ألف نسمة²، ولعل ما ذكره مولاي التهامي غيتاوي على أن قصور توات خلال القرن 19م كانت مكتظة بالعبيد السود والحراطين النصف السود، يؤكد حجم تلك الإحصائيات³؛ وهو ما أثبتته أيضاً ابن الدين الأغواطي في رحلته، إذ قال عن أولف مثلاً "وللسكان عدد كبير من العبيد"⁴.

جدول رقم 02: توزيع وتركيبية سكان مقاطعات توات (تقديرات سنة 1891)⁵

المجموع	تيديكلت	قورارة	توات الوسطى	
العرب	35587 نسمة	19178 نسمة	12069 نسمة	66834 نسمة
البربر (زناتة وطوارق)	8570 نسمة	23356 نسمة	60 + 200 طوارق	32186 نسمة
الأفارقة السود	50851 نسمة	31012 نسمة	10418 نسمة	92281 نسمة
المجموع	95008 نسمة	73546 نسمة	22747 نسمة	191301 نسمة

(الجدول بتصرف)

2. نظام القصر والجماعة في توات:

¹ ابن الدين الأغواطي، مجموع رحلات: رحلة الأغواطي، المصدر السابق، ص ص 93، 94

² H.bissuel, Le Sahara Français..., Op.Cit, pp.15-59

³ مولاي التهامي غيتاوي، لفت الأنظار إلى ما وقع من النهب والتخريب والدمار بولاية أدرار إبان احتلال الاستعمار، ط2، دار الكتاب العلمية، بيروت 2011، ص 42

⁴ ابن الدين الأغواطي، مجموع رحلات: رحلة الأغواطي، المصدر السابق، ص 94

⁵ H.bissuel, Le Sahara Français..., Op.Cit, pp.15-40

كان النظام وشؤون إدارة المجتمع التواتي قائمة على عنصرين مهمين وهما القصر والجماعة، فالقصر كان عبارة عن وحدة جغرافية لها طابعها العمراني وحدودها المكانية وخصوصيتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتشريعية، والجماعة كانت عبارة عن نظام محلي يدير القصر باستقلالية تامة عن أي ارتباطات خارجية، وغالباً ما كانت الجماعة تتشكل من عشرة رجال من خيرة رجال القصر، منهم كان القياد والقضاة وشيوخ الزوايا وزعماء القبائل والوجهاء والأعيان من الأشراف والطبقات الأخرى¹.

وكان القصر قد أنشئ على أساس نزول أفراد القبيلة الواحدة أو القبائل المتحالفة، هندسته وتخطيطه كان قائماً على توفير ظروف الحرب والسلام معاً، يبدأ من القسبة وهي التجمع الأول للسكان الأصليين، ثم السكنات المحيطة بها، ويحيط بالقصر سور خارجي ذو أربعة أبراج، ثم بساتين النخيل على حوافه، وأحياناً كانت تتجمع قصوراً على شكل مقاطعة، في منطقة قريبة من بعضها ومتشابهة في الأصل والخصوصيات ومتحالفة فيما بينها². وكأمثلة على ذلك نجد قصور تيمي وقصور الخنافسة وقصور زوى دلدول وقصور توات الحنة وغيرها، كما أن القصر كان يركز على ضرورة وجود مسجد وفقارة ومقبرة، وأحياناً كانت كل قبيلة تتفرد بملكيتها وسلطتها على تلك المكونات الأساسية.

ورغم أن الجماعة كانت بمثابة هيئة تشريعية وتنفيذية حاکمة، وكان تمثيلها يمس أهم عناصر ومكونات المجتمع التواتي، وكانت ضامنة لحقوق الأفراد والفئات وكلا الجنسين، وكانت تتحمل مسؤولية فض النزاعات والخلافات الشخصية والجماعية، وكانت تتداول في جميع المستجدات وشؤون القصر، إلا أنه ما كان يعاب عليها أن فئة الحراطين رغم كثرتها ونسبتها الكبيرة في القصر، إلا أنها

¹ . جعفري مبارك، النظام القصورى الواحاتي...، المرجع السابق، ص 8

² . فرج محمود فرج، إقليم توات...، المرجع السابق، ص ص 19، 20

كانت شبه مغيبة في هذا النظام القصورى العرفي¹، أما فئة العبيد والنساء فلا تمثيل لهما إطلاقاً؛ لكنها وفي المقابل كانت تهتم بالشرائح الضعيفة كالأطفال القصر واليتامى والغائبين وعابري السبيل وغيرهم، من خلال الحماية والحجر وإصدار أحكام قضائية بعدم استغلالهم أو التصرف في أملاكهم تحت أي عذر.

واحتراماً لخصوصيات القصور والجماعة التواتية نجد أن القبائل والدول الإقليمية والعلاقات الخارجية، مثل الدولة العثمانية والمخزن² وحتى فرنسا الاستعمارية، كانوا يتعاملون مع أهل توات وفق ذلك النظام الإداري والاجتماعي؛ حيث وردت أمثلة عن أسماء القياد والقضاة والأسر الفاعلة في توات من خلال كتابات المغاربة والفرنسيين خلال القرن 19م، ومن خلال رسائل الأعيان والقبائل في الجنوب الجزائري، كانت تذكر وتشير إلى كل مجموعة قصور باسم قائدها الفلاني، أو كبير قصرٍ ما وفق ذلك التنظيم.

فالمخزن في محاولاته لاستقطاب المنطقة كان يرسل جماعة توات وقيادها كل باسم قصره وقبيلته وحلفه، حيث نجد في مراسلاته سنة 1892 ذكراً لقائد تيمي حسون بن الحاج امحمد، وقويدر بن الحاج عبد السلام قائد خنافسة قورارة، والحاج اممر بن الحاج أحمد قائد دلدول وغيرهم³، كما وجدنا مراسلات للشيخ بوعمامة يتكلم فيها عن جماعة دلدول حوالي سنة 1894م، فيقول في إحداها "كافة جماعة دلدول كبيراً وصغيراً، كل أحد باسمه، السلام عليكم..."⁴، ونفس الشيء قامت به فرنسا قبيل وبعد الاحتلال، فمثلاً رسالة باشاغا جيريفيل إلى خنافسة أوقروت بتاريخ 22 ذي الحجة 1317هـ

1. عبد الله بابا، الحياة الاجتماعية والاقتصادية...، المرجع السابق، ص 110
2. المخزن: المقصود به في بحثنا ذلك المصطلح السياسي لنظام الدولة في المغرب الأقصى والممتد من عهد السعديين إلى فترة العلويين، والمقصود به بالأساس وصفاً لتركز السلطات في شخص السلطان والأجهزة الإدارية والعسكرية التي تمثلها محلياً وجهوياً ودولياً. ينظر: جادور محمد، مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء المغرب- 2011، ص 396، 397
3. أحمد العماري، توات في مشروع...، المرجع السابق، ص 118
4. نسخة من رسالة للشيخ بوعمامة، ع/ط العربي بوعمامة وعبد الملك حمدي، دلدول تيميمون 2021/01/21. ينظر الملحق 42 و43 ص 431

23/ أبريل 1900م ورد في مضمونها: "من عبد ربه تعالى الباشاغا سي الدين بن حمزة -أعانه الله- إلى أصدقائنا الأعزاء في تيرغامين وعبود، وخاصةً القائد (فلان بن فلان وفلان) * والآخرين..."¹

3. مظاهر المعيشة والانسجام في المجتمع التواتي:

رغم تنوع تركيبة ونسيج المجتمع التواتي، مما قد يرى فيه البعض تناقضاً وتنافراً وتنافساً بين أعراقه وطبقاته، إلا أن مجتمع منطقة توات كان يتميز بخصال وخصائص هامة، ساهمت في تحقيق الانسجام والتكافل والتضامن بين أطيافه، فالظروف القاسية والأحداث الصعبة التي كان الناس يتعرضون لها هناك، ألهمتهم إلى تحقيق التعاون فيما بينهم لمواجهتها، حيث اهتموا في حياتهم إلى تبني نماذج تكافل وتعاون اجتماعي، كانت تكفل لهم القيام بأصعب الأعمال والتحديات، ومن هذه النماذج ما كان يسمى بـ "التوزيع" و"الزيارات" ونظام القضاء السائد آنذاك...

فالتوزيع كانت من أشكال أنظمة العمل الجماعي المشهورة والمستخدمة بقوة في المنطقة²، وهي عمل تطوعي جماعي كانت تصاحبه رقصة شعبية تحت على العمل والتعاون وروح الجماعة، ومن أهم مظاهر التوزيع وأهدافها: صيانة الفقارات، بناء المساجد، محاربة زحف الرمال، التعاون في البساتين حرثاً وحصاداً... وغيرها³. وقد عايشنا في صغرنا بعض لحظات التوزيع والتي توارثها الآباء عن الأجداد، حيث كانت مهمة طارئة أو موسمية يلجأ إليها السكان كلما عجز الفرد أو المجموعة القليلة عن عمل ما، فكانت الناس تُستدعى لها من خلال دعوة "البرّاح" فيحضر الكل ومعهم وسائلهم ومأكولاتهم ويتعاونون فيها، ويرقصون رقصة مميزة مرددين أشعارهم وأغانيتهم، فرحين بوحدهم وتضامنهم وعملهم.

*. تعمدت عدم ذكر الإسمين حتى لا تكون هناك حساسية في فهم خاطئ، وتجنباً لإثارة قضية ما، مع أن الرسالة لا تثبت أية تهمة وإنما كانت محاولة من أعوان فرنسا خارج توات للتأثير على بعض قياد القصور.

¹. A.G.P Martin, *Quatre Siecles...*, Op.Cit, p. 350

². عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني، رحلته إلى ثغر الجزائر...، المصدر السابق، ص 51

³. عفيفة حوتية، حاضرة تينجورارين دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية خلال القرن 13هـ/19م، رسالة ماجستير، جامعة أدرار بالجزائر، موسم 2014/2015، ص 162

أما الزيارات أو ما يسمى بالوعدات في بعض مناطق الوطن، وهي مناسبات دينية أو اجتماعية ثقافية تعود عليها المجتمع التواتي في تقاليده وأعرافه، تتميز باحتفالات خاصة بحدث ديني بارز أو أحياءً لذكرى ولي من أولياء الله الصالحين، تكون هذه الاحتفالات ليومين أو أكثر على حسب كل قصر وأعرافه، تتخللها قراءة للقرآن كاملاً بشكل جماعي تُعرف بـ "السلكة"، وإطعام الطعام للضيوف طيلة تلك الأيام، ورقصات تقليدية ترفيهاً وفرحاً بالمناسبة، وفي نفس الوقت تكون الرقصة مظهراً للتآخي والتعاون والتلاقي، خاصةً أن كل تلك الرقصات كانت جماعية مثل رقصات "البارود والحضرة والقرقابو والأهليل وصارا" وغيرها¹.

وقد أخذت الزيارات طابع القداسة عند التواتيين لما فيها من روحانية وصوفية، وعلى هذا الأساس أصبحت واجبة على كل أفراد المجتمع، فقراء وأغنياء، بسطاء ووجهاء، وصارت ممارسة طقوسها وأعرافها متوارثة أباً عن جد، وكان الحرص على الحفاظ عليها دقيقاً ومضبوطاً، بمواقيت وتواريخ زمنية ومكانية؛ وأغلب هذه الزيارات كانت في الأصل موجودة قبل الاحتلال الفرنسي للمنطقة، مما يعني أنها كانت مرتبطة بثقافة المنطقة وعلاقة أهلها الروحية بالعلماء وأولياء الله الصالحين.

ومما يلفت الانتباه في هذه التظاهرة أنها كانت تشمل كل قصور ومناطق توات قاطبة، إلى درجة أنك قد تجد لكل قصر زيارة أو أكثر، بل هناك من يذكر أن تلك الزيارات كانت موزعة زمنياً على كامل أيام السنة، بما كان يتيح للفرد والضيف والفقير وعابر السبيل والمريد إمكانية العيش خلالها دون أن يضطر لمصاريف وتكاليف الحياة، ورغم أن بعض المهتمين قد يرون فيها إرهاقاً للفرد البسيط نظراً لتكاليفها، إلا أن أهل توات كانوا يحضرون لها طيلة أيام السنة، وكانوا يتعاونون فيها على إطعام وإيواء الضيوف بشكل جماعي، وبعض الزيارات والأولياء كانت لهم زوايا وأوقافاً خاصة بهم، من

¹ . حسب معابنتي الشخصية يمكن تعريف وتمييز تلك الرقصات التقليدية: فالبارود حلقة رقص تستعمل فيها البنادق، والحضرة دائرة يرقصون فيها ممسكين بأيدي بعضهم، والقرقابو رقصة للعبيد باستعمال صفائح حديدية في اليد، والأهليل حلقات شعر ملحون للزناتة، وصارا رقصة باستعمال العصي وضربها ببعضها البعض.

البساتين وتمورها وزرعها، وبعض الأسر الميسورة كانت تتكفل بجانب كبير منها.

ومما استطاع الدكتور محمد حوتية الوصول إليه قرابة 201 زيارة في منطقة توات قاطبة¹، في حين أشار (مارتن أ.ج.ب) لإحصاء حول الهبات والمبالغ المخصصة للمقدسات المحلية سنة 1828، فذكر 111 من الأولياء كانت تقام لهم الزيارات حينذاك²؛ وفي الحقيقة الرقم أكثر من ذلك بكثير، لأن هناك زيارات مشهورة وأخرى صغيرة لا يعرفها إلا أصحابها في القصر. وقد اشتهرت بعض المناطق والقصور بزياراتها حتى صار لها طابعاً إقليمياً ووطنياً، نذكر منها مثلاً "بوسبع حجات" في بودة خلال شهر جوان، و"سيدي امحمد المرفوع" في تينركوك ودلّول خلال شهر رجب، و"سيدي الحاج بلقاسم" في تيميمون تزامناً واحتفالية أسبوع المولد النبوي الشريف، وخلال شهر ماي نجد "مولاي سليمان" في أولاد اوشن، و"مولاي الرقاني" في رقان، و"بانديلو" في تيلولين بزاوية كنتة، و"سيدي عومر" في أوقروت خلال شهر صفر وغيرها، بعضها يتزامن مع تواريخ هجرية وأخرى وفق التاريخ الميلادي.

وعن النظام القضائي فقد كان المجتمع التواتي يدار في إطار نظام الجماعة الخاص، القائم على التعاليم الإسلامية والأعراف المحلية، والذي جعلت له جماعة القصر مؤسسات وأسر متخصصة، حيث اشتهرت مثلاً عائلات البيت البكري والبلبالي والتتيلاني بممارسة هذه المهمة النبيلة، لما عُرفوا بمكانتهم وعلمهم وسكنهم في أهم حواضر توات³. وكانت الجماعة لا تولّي القضاء إلا بشروط من أهل العلم والدراية والرأي والعدالة، وأما مهام القاضي فقد تعددت وتمثلت في إصدار الفتاوى والأحكام وتوثيق العقود، وفي نفس الوقت ممارسة الإمامة وشؤون التعليم المحلي⁴.

ومن أهم الشخصيات التي اشتهرت على رأس القضاء في توات قبيل الغزو الفرنسي للمنطقة

¹ محمد حوتية، توات والأزواد، ج2، المرجع السابق، 587-603

² A.G.P Martin, *Quatre Siecles...*, Op.Cit, pp.136-139

³ عبد الفتاح بلعروسي، المقاومة الثقافية في إقليم توات خلال الفترة الاستعمارية 1900-1962، أطروحة دكتوراه،

جامعة تلمسان بالجزائر، موسم 2021/2022، ص ص 80، 81

⁴ عبد الله بابا، الحياة الاجتماعية والاقتصادية...، المرجع السابق، ص 56

حسب معطيات سنة 1892 م، نجد مثلاً سيدي امحمد بن الحبيب البلبالي في منطقة تيمي، وسيدي محمد عبد الله البوداوي على منطقة تيميمون وما جاورها، وسيدي عبد الرحمن ولد الإمام في عين صالح، وسيدي حمزة الفولاني على تيديكلت، وسيدي عبد الرحمن بن خالد على قصور دلدول وزوى دلدول¹؛ ونظراً لمكانتهم وشهرتهم فقد تعامل معهم المخزن في علاقاته، وأبقت عليهم فرنسا في بداية احتلالها للمنطقة دون أن تتدخل في مهامهم، كما تذكر الأحداث التاريخية أن بعضهم لم يعبأ بإجراءات وسلطة فرنسا وكانت لهم مواقف وقضايا مشرفة ضدها.

كما تميزت الشخصية التواتية بخصائص عامة ذات قيم حضارية ومثل عليا، حيث عُرف عنها التدين ومحبة العلماء وأولياء الله الصالحين، والتعاون والشخصية الهادئة والمسالمة²، وهذا ما انعكس على حسن معاملتهم واحترامهم للأجانب، خاصة إذا وجدوهم مسلمين ومسالمين، أو أنهم من أهل الفضل والعلم والوجاهة، وقد عبر على ذلك الحسن الوزان حينما قال عنهم "وكثيراً ما يتقاتلون بينهم ويتطاحنون، إلا أنهم لا يمسون الغرباء بسوء"، كما وصفهم الرحالة الألماني "جيرهارد رولفس"³ بالمسالمين وأنهم يحبون الغرباء والعلماء ورجال الدين، ولعل هذه الصفات سهلت توافد الكثير من العلماء واللاجئين والزوار على المنطقة⁴.

وعن الظروف المعيشية السائدة آنذاك، فقد كان المستوى المعيشي متذبذباً حسب أحوال وأحداث المنطقة من فترة إلى أخرى، وعلى العموم قد يوصف بحالات لا بأس بها، حيث كان لا يخلو أي بيت

¹ . Martin (A.G.P), *Quatre s....*, Op. Cit., P. 264

² . أم هاني طواهرية، تطور الذهنية الاجتماعية بمنطقة توات خلال القرنين الميلاديين 19 و20، مذكرة ماجستير، جامعة أدرار بالجزائر، موسم 2013/2014، ص ص 45-48

³ . جيرهارد رولفس: من مواليد سنة 1831 قرب مدينة بريمن بألمانيا، تخرى عن الدراسة وهو ابن طبيب ألماني، وانضم في الجيش لكتيبة بريمن سنة 1849، ثم للفيلق الأجنبي بفرنسا وخاض معارك في الجزائر 1856-1857، وتمت ترقيته إلى رقيب، ثم غادر الجيش في 1861 ورحل إلى المغرب وامتهن فيه الطب وتظاهر باعتناق الإسلام، ومن هناك بدأت مغامرات رحلاته المتعددة منذ 1862 إلى أن توفي في ألمانيا سنة 1896. ينظر: جيرهارد رولفس، عبر إفريقيا، ج1، تر: عماد الدين غانم، مركز البحوث والدراسات الإفريقية سبها، طرابلس ليبيا-1987، ص ص 18-30.

⁴ . مبارك جعفري، مقالات وأبحاث...، المرجع السابق، ص 194

من التمر مثلاً كوجبة رئيسية¹، وقوت أهل توات كان من لحم الغنم والإبل والتمر والكسكسي الذي يتميز فيه الأغنياء بالسمن والقمح الذي يأتيهم من التل، ولباسهم كان متشابهاً، يلبسون سراويلاً مزركشة وطويلة مشبعة في أسفلها بالحرير، وعباءة وعمامة ويزنوساً فوقها، والنساء كن يرتدين الحائك وأساور الذهب والفضة، وكن نظيفات وجميلات، هذا ما ذكره الرحالة (أوجين دوماس) في زيارته إلى تيديكلت ما بين 1843-1851، وأضاف أن ذلك شأن توات في معظمها².

وفي نفس سياق مظاهر المعيشة في توات، ذكر العياشي في رحلته أواخر القرن 17م أن توات كانت تعج بالسلع والمنتجات، وأن الحجاج كانوا يفضلون المرور بها لشراء حاجياتهم بأثمانها الرخيصة نظراً لوفرتها³، وخلال القرن 19م يؤكد ابن الدين الأغواطي أن سكان منطقة توات كانت أحوالهم ميسورة، بحيث وجد أن لهم أسواقاً كان يباع فيها العبيد وتراب الذهب بكميات كبيرة، وذكر منها عين صالح وتيميمون وأولف⁴.

لكن ورغم تلك الأمثلة والأهمية التي كانت تتمتع بها توات تجارياً واجتماعياً، إلا أن المنطقة لم تصل إلى درجة إغناءها ورفاه أهلها، بل كان العوز والفقر والمجاعة من المظاهر التي تخبطت فيها من حين لآخر، حتى أن مراسلات وتقارير مخزنية في القرن 18م صنفت توات كواحات فقيرة⁵، وخلال القرن 19م يصف صاحب مخطوط (القول البسيط في أخبار تمنطيط) توات بأنها أرض جذب وندرة رغم القناعة والبركة عند أهلها، ويضيف عنها قائلاً "وإن قلّ فيها الرزق فقد كثر فيها الأمان والإيمان..."⁶

كما لا يمكن الجزم أن المجتمع التواتي كان خالياً من المشاكل والآفات والقلق الاجتماعي، فقد

1. مبارك جعفري، مقالات وأبحاث...، المرجع السابق، ص 188

2. أوجين دوماس، الصحراء الجزائرية...، المصدر السابق، ص 192

3. عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية، ج1، المصدر السابق، ص 79

4. ابن الدين الأغواطي، مجموع رحلات: رحلة الأغواطي، المصدر السابق، ص 93، 94

5. نور الدين بن تيشة، الأسرة في توات...، المرجع السابق، ص 231

6. محمد بن بابا حيدة، القول البسيط...، المصدر السابق، ص 11

ذكرت بعض الكتابات عن أحوال سلبية تميزت بها توات خلال القرن 19م، حيث عرفت انتشاراً غريباً للبدع والخرافات ومظاهر السحر والشعوذة، ربطها الدكتور مبارك جعفري بأنها استجذبت على المنطقة من إفريقيا جنوب الصحراء¹؛ خاصة أن المنطقة كانت معروفة بجلب أعداد هائلة من العبيد، ناهيك عن علاقاتها التجارية والثقافية التي كانت تتواصل عبرها مع إفريقيا جنوب الصحراء.

وأما عن المرأة في توات فرغم أنها كانت تتمتع بكثير من الحقوق والمزايا حفظت كينونتها وشرفها، إلا أنها في حالات أخرى كانت عرضة للتمييز والتهميش، حيث برزت في توات ظاهرة حرمان الإناث من الميراث، وسنت بعض القبائل قواعد عرفية لتنفيذ ذلك، من خلال تخصيص أملاك البساتين ومياه الفقارة بصيغة "حبوس" للذكور فقط²، كما لم تتلق المرأة في توات حقها من التعليم، مقارنة بالذكور الذين كانوا يشكلون السواد الأعظم في الزوايا والمدارس القرآنية، ناهيك عن مشاكل الزواج والطلاق.

رأي واستنتاج:

من خلال إطلاعنا على مجموع الإحصائيات الواردة في المصادر الفرنسية، والتي تكاد تكون هي الوحيدة التي أعطت أرقاماً عن التعداد السكاني لمنطقة توات أواخر القرن 19م وأثناء العهد الاستعماري، إلا أنها كانت إحصائيات متضاربة وغير دقيقة مما صعب علينا مهمة الوصول إلى الحقيقة المطلقة، حيث بلغ حسب المعطيات التي جمعناها عن (هنري بيسسال H.bissuel) سنة 1891م أكثر من 191 ألف نسمة، وحسب معطيات (Guillaume de Champeaux) سنة 1902م حوالي 52 ألف نسمة³، ونجد أرقاماً مبالغاً فيها بدرجة كبيرة عند (Jean Hess) الذي

¹ . مبارك جعفري، مقالات وأبحاث...، المرجع السابق، ص 195

² . نور الدين بن تيشة، الأسرة في توات...، المرجع السابق، ص ص 165-167

³ . Guillaume de Champeaux, a Travers les Oasis Sahariennes, Op.Cit , p.27

أعطى إحصائيات عن كل قصور ومناطق توات، بما مجموعه حوالي 225 ألف نسمة¹. لكن ورغم تلك المعطيات المتناقضة فإن ما يمكن الجزم به أن منطقة توات كانت عامرة بالسكان، وبحكم أن عدد قصور المنطقة في حدود 339 قصراً حسب دراستنا هذه، فإذا افترضنا كأقل تقدير معدل 100 نسمة في كل قصر، فالتعداد سيتجاوز 33 ألف نسمة، وإذا افترضنا كأقصى تقدير 500 نسمة لكل قصر، فالتعداد سيتجاوز 150 ألف نسمة، علماً أن بعض القصور تكون أكثر وأخرى أقل وبعضها اختفى واندثر؛ ومنه فهذا الرقم لا يختلف عما أورده الدكتور إبراهيم مياسي نقلاً عن تقرير للضابط "ديبيرتير" قدر فيه عدد سكان إقليم توات سنة 1889م بحوالي 100 ألف نسمة².

المبحث الثاني: الأوضاع الثقافية

تميزت منطقة توات بحركة دؤوبة ونشطة للعلم والعلماء على غرار حيويتها التجارية، وكانت هذه الحركية الثقافية قد برزت بالتزامن مع انتشار الإسلام بإفريقيا جنوب الصحراء، نظراً للأدوار التي لعبها علماء ومشايخ توات في ذلك، وتجلت مظاهرها في الجانب الروحي الصوفي وما ترتب عنه من نهضة ثقافية وعلمية بشتى تخصصاتها، من خلال دور الزوايا والمخطوطات وخزائنها، مما أكسبها صيناً وعلاقات وطيدة بين حواضرها والبلدان المجاورة والحواضر الإسلامية القريبة والبعيدة.

1. مظاهر الحركة العلمية خلال القرنين 18 و19م:

عرفت توات خلال القرن 12هـ/18م انتشاراً وازدهاراً للتعليم من خلال الكتاتيب والزوايا القرآنية، والتي لم يخلو منها أي قصر من قصورها الكثيرة، وكان هذا النوع من التعليم متاحاً ومجانياً للجميع³، وقد اعتبر العديد من الباحثين المهتمين بتاريخ توات أن القرنين 12-13هـ/18-19م، كانا يمثلان أهم

¹ . Jean Hess, "L'extrême-Sud Algérien et Le Touat", *Annales de géographie*, vol 26, Année 1897, pp. 162-164

² . إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية...، المرجع السابق، ص 487

³ . مبارك جعفري، مقالات وأبحاث...، المرجع السابق، ص 189

القرن الذهبي، وذلك لما شهداه من إنتاج علمي كبير في مختلف المجالات¹.

ولم يكن نشاط الحركة العلمية خلال هذه المرحلة ولید الصدفة بل كان نتيجة تراكم عوامل عديدة ساهمت في تشكله وتبلوره، أهمها موقع وحركية منطقة توات الجغرافية والثقافية، وأهميتها التاريخية والتجارية التي لعبت أيضاً دوراً في ربطها بشبكة معرفية متجددة، ومواكبةً لآخر التطورات والقضايا العلمية والفقهية الجدلية، ومسايرةً لآراء علماء المشرق والمغرب رغم بُعد المنطقة، وذلك من خلال ما ساهمت به قوافل التجار والمسافرين والحجاج العابرة للصحراء²؛ بالإضافة إلى القيمة والاهتمام والمحبة التي كان يكنها المجتمع التواتي للعلماء والمشايخ، وقد وقف على هذه الصفات حتى الأجانب من غير المسلمين، فهذا مثلاً الرحالة الألماني جيرهارد رولفس قال عن أهل توات لما زارهم منتصف القرن 19م، أنهم كانوا قوماً مسالمين يحبون الغرباء ويحترمون رجال الدين³.

وكان هذا النشاط والتموقع ثمرة التوافد الكبير للعلماء والمشايخ الذي عرفته المنطقة والظروف المواتية لهم، فبرزت من خلالهم أيضاً نهضة كبيرة في الكتابة والتأليف ونسخ المخطوطات، حتى وصلت درجة الاهتمام بالعلم والعلماء حينها إلى نشأة بيوتات ومراكز علمية ذات إشعاع علمي وحضاري، لم تكن تختلف عن الحواضر العلمية الشهيرة في بلدان المغرب الإسلامي وهي في أوج عطائها وإشعاعها⁴. وتجلت في ظهور حواضر ومناهج واهتمامات ذات صلة، من مظاهرها:

1.1. مدارس التعليم ومناهجها:

أشار الشيخ محمد باي بلعالم في كتابه (الرحلة العلية) إلى أن تعليم القرآن الكريم في الديار

¹ . حليلة كحلاوي، الحياة الثقافية بتوات الوسطى خلال القرنين (12-14 هـ، 18-20م)، رسالة ماجستير، جامعة أحمد دراية أدرار، الجزائر موسم 2015/2016، ص 134

² . فرج محمود فرج، إقليم توات...، المرجع السابق، ص 15

³ . Gerhard Rohlfs, "Voyages et Explorations au Sahara", tome.1, 1861-1864, Traduits: Jacques debets, Edité sous l'égide du centre d'études sur l'histoire du sahara, Éditeur Karthala (15 mai 2001), p.204

⁴ . أحمد بوسعيد، الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ/ 18م، مذكرة ماجستير في التاريخ المغربي، جامعة أدرار بالجزائر، موسم 2011/2012، ص 120

التواتية كان متاحاً ومنتشراً بشكل واسع من خلال مساجدها ومدارسها وزواياها، فقال: "المدرسة القرآنية الحمد لله موجودة في كل قرية من قرى هذا القطر المؤمن بالله تعالى، فلا تكاد تجد قرية إلا وفيها مدرستان على الأقل¹؛ وهذا ما ذكره بعض الرحالة أمثال ابن الدين الأغواطي الذي قال أنه شاهد في توات عدد كبير من المساجد والسكان فيها يصومون ويقرؤون...²، وأشار (أوجين دوماس Daumas) بشكل واضح إلى دور المسجد كمؤسسة تعليمية إذ قال "أنه كان يوجد في كل حي: مسجد، يعلم القراءة والكتابة وعلوم الدين"³.

وكان التعليم في توات يتدرج مرحلياً من الكتاب ثم الزاوية أو المسجد، ثم إجازات كبار العلماء والفقهاء من داخل وخارج توات في نهاية المطاف، وكان التعليم متاحاً لكل فئات وطبقات المجتمع التواتي باستثناء العبيد⁴؛ وكان النظام التعليمي يبدأ من "أقربيش"⁵ ثم "الزاوية" ثم إلى أن يُبعث لإكمال دراسته خارج مناطق توات، كان طالب العلم حينها يتلقى دروساً في كثير من التخصصات كحفظ القرآن والفقه واللغة والحديث وغيرها، وتذكر بعض المخطوطات أن طلبة محليين مثل الشيخ عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني (ت 1233هـ/1818م)، والشيخ أحمد زروق بن صابر الجعفري البوداوي⁶ (ت 1245هـ/1830م)، سافرا إلى فاس ودرسا على بعض شيوخها وساهما بعودتهما في النشاط التعليمي داخل توات⁷.

ولم يقتصر ما كان يتعلمه أبناء توات في تلك المراحل على اللغة العربية وآدابها، وعلوم الدين

1. محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج1، المرجع السابق، ص 263

2. ابن الدين الأغواطي، مجموع رحلات: رحلة الأغواطي، المصدر السابق، ص 94

3. Daumas Eugene, **Le Sahara Algérien "études géographique, statistique, et historique sur la région au sud des établissements Français**, Langlois Leclercq, Paris, 1845, p74

4. فرج محمود فرج، إقليم توات...، المرجع السابق، ص 86

5. أقربيش: كلمة محلية تطلق على المدرسة القرآنية الصغيرة، والتي يتم فيها تعليم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم في أول مراحل تعليم الصغار.

6. يكنى أبو العباس ولد في بودة تاريخ ميلاده غير معروف، كان إماماً وشاعراً، تتلمذ على يد الونقالي والزجلوي، وسافر إلى فاس وأخذ فيها العلم عن شيوخها، توفي سنة 1245هـ/1830م. ينظر: مبارك جعفري وعبد الله مقلاتي، معجم أعلام توات...، المرجع السابق، ص 95

7. مبارك جعفري، مقالات وأبحاث...، المرجع السابق، ص ص 189، 190

كالحديث والتفسير وحسب، بل كانت تلك العلوم تخضع كمناهج للمذهب المالكي، بالإضافة إلى الحساب والجبر كذلك. ورغم أن أهل طلبة العلم كانوا يزودن أبناءهم بالمؤونة ومصاريف الزاوية، فأبناء الفقراء كانوا يدرسون على حساب ريع أملاك وأوقاف المسجد والزاوية¹. وكان تدعيم تلك الزوايا والمدارس يأتي حتى من خارج المنطقة، يقول صاحب كتاب (درة الأعلام) أن أهل الأصقاع من الحواضر والبوادي، كانوا أيضاً يكرمون أهل زوايا توات ويدافعون عنهم بالنفس والنفيس، ويعظمون حرمتهم، ويخصصون لهم بعض الضرائب من حر أموالهم²، بل حتى أن الزوايا كانوا يستثنون من دفع الزكاة في حالات خاصة³.

تلك البيئة الثقافية في منطقة توات كانت جاذبة للطلبة والعلماء بظروفها ونشاطها وبيوتاتها العامرة، وقد ذكر صاحب مخطوط (نسيم النفحات) من أسباب مجيئه واستقراره بمنطقة توات مطلع القرن 14هـ، أنه لما ارتحل إليها وجد فيها ضالته المنشودة⁴. فمعلم القرآن (الطالب) والإمام (الشاهد) وحتى القيم والمؤذن كانوا كلهم يحظون باحترام كبير بين الناس، ولم يكن دور المعلم أو الإمام يقتصر على التعليم فقط، بل كان يفيض النزاعات ويرقي المرضى والمسحورين ويكتب العقود، ونظراً لكل تلك الخدمات والأدوار أوقف المحسنون والأغنياء نخيلاً وعقارات وحبّات مياه الفقارات وحتى بعض رؤوس الماشية لبيوت الله والمدارس القرآنية والزوايا⁵.

كانت تلك الهبات والعطايا عند أهل توات مصداقاً للحديث النبوي الشريف (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)⁶، وكان معلم

1. فرج محمود فرج، إقليم توات...، المرجع السابق، ص 86.87

2. محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأعلام...، المصدر السابق، ص 51

3. مولاي أحمد بن هاشم، رحلة مولاي أحمد...، المصدر السابق، ص 3

4. شهاب الدين أحمد الطاهري، نسيم النفحات، المصدر السابق، ص 1

5. مبروك مقدم، بناية تقسيم العمل المأجور في المجتمع الواحي القصوري التواتي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2016، ص 35

6. حديث نبوي شريف، رواه أبو هريرة وأخرجه مسلم.

الصبيان في مرحلة الكتاتيب يتقاضى أجره من بيت دار الضمانة¹ بشكل دائم ومستمر، ومع بعض الهبات والعطايا التي يقدمها الأولياء عن أبنائهم في كل مرحلة تعليمية يبدأونها أو ينهاونها؛ فلم تشذ توات عن بلاد المغرب التي جرت فيها العادة أن يرسل الأب مع ابنه هدية للمؤدب عند حفظه للقرآن الكريم، تمثلت في مبلغ من المال، وأن يأخذ المعلمون هدايا من آباء الصبيان في عاشوراء والمناسبات الدينية الأخرى².

2.1. دور الزوايا وخزائن المخطوطات:

الزاوية هذا المصطلح الذي ينتشر بكثرة في ربوع توات، كان يطلق على بناء ذو طابع ديني، ظهرت نشأته الأولى خلال القرن 8هـ وكانت تطلق التسمية على مكان للعبادة يشتمل على مرافق لطلبة العلم، ولإيواء الواردين وعابري السبيل، كما كان يشار بمصطلح الزاوية لتلك الصدقات الجارية المحبسة بنص موثق ومحدد، وكانت تنقسم إلى زوايا الضيافة، وزوايا العلم، وزوايا الضيافة والعلم معاً³، بل هناك من يقول أن الزاوية ظهرت قبل ذلك، ويستدل بزاوية مولاي سليمان بن علي⁴ بقصر أولاد أوشن، التي يرجع تاريخ تأسيسها إلى القرن السادس الهجري، وقد حُبِّست لها أحباساً متعددة لتسيير شؤونها⁵.

وعن أدوارها المتعددة يقول الشيخ الطاهري عن زاويته بأنها كانت "تغذي الطلبة بمناهل العلوم والمعارف المختلفة بأنواع الفنون العلمية، وإطعام الطعام للمساكين، وأبناء السبيل..."، ويضيف لها

1. دار الضمانة: هي أشبه ببيت مال المسلمين، تجمع فيها التبرعات والعطايا وخراج الأوقاف التي تسلم للزاوية، ينظر: مبروك مقدم، بنائية تقسيم العمل المأجور...، المرجع السابق، ص 35

2. حليلة سليمان، الحياة الاجتماعية والثقافية لقصور تيمي من خلال المصادر المحلية (13هـ/19م)، أطروحة دكتوراه، جامعة أحمد دراية أدرار، الجزائر موسم 2020/2021، ص 203.

3. أحمد أبا الصافي جعفري، من تاريخ توات أبحاث في التراث، المرجع السابق، ص 237-238

4. وُلِدَ في فاس حوالي سنة 549هـ/1154م، وينتسب لعائلة الأشراف وكنيته أوشن معناها بالبربرية الذئب، نزل بتوات عام 580هـ/1184م واستقر في قصر أولاد أوشن الذي تسمى عليه سنة 595هـ/1199م وأسس بها زاوية كانت عامرة بالعلم والطلبة والمخطوطات والضيوف، توفي سنة 670هـ/1271م. ينظر: مبارك جعفري وعبد الله مقلاتي، معجم أعلام توات، المرجع السابق، ص 166، 167

5. حليلة سليمان، الحياة الاجتماعية والثقافية لقصور تيمي...، المرجع السابق، ص 213-214

أدواراً أخرى تمثلت في "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمقاومة للبدع وأهلها، والإصلاح بين الناس والنصيحة لهم، وإيقاظهم من الغفلة، وتنبيههم عن دسائس الاستعمار ومكايد¹". في حين يقسم الدكتور محمد حوتية الزوايا إلى: زوايا للتعليم كانت وظيفتها تعليم الأطفال علوم اللغة والقرآن، وانتشرت على كامل قصور توات، وهي التي ارتبطت بتسميات مثل (الجامع، وأقريش، والمحضرة)، وزوايا للتربية أسسها رجال الطرق الصوفية للعبادة والتربية والأخلاق الصوفية². وعلى العموم فالزوايا في توات كانت متعددة الخدمات والأدوار، وإن كان يغلب عليها الجانب العلمي التعليمي والدور الثقافي والاجتماعي.

ولم يقتصر دور الزوايا في تلقين التعليم للطلبة، بل كانت كمؤسسات علمية تشرف على خزائن ضخمة من أمهات الكتب والمؤلفات في شتى التخصصات، حتى أن بعض المصادر تذكر مثلاً أن زاوية قصر ملوكة كانت تضم أكبر خزانة مغربية للمخطوطات³؛ فقد شهد القرنين 18 و19م كماً هائلاً من المخطوطات تم جمعها وتأليفها، من بينها خزائن قصور تيمي مثل: خزانة كوسام، خزانة مولاي سليمان بن علي بآدغا، خزانة زاوية سيدي البكري، خزانة ملوكة، خزانة تينيلان⁴؛ فخزانة كوسام وحدها كانت تضم أكثر من 300 مخطوط، وخزانة مولاي سليمان بن علي في آدغا بها أكثر من 200 مخطوط⁵.

وفي كتاب (من تاريخ توات) أحصى الدكتور جعفري أبا الصافي في كل جهات توات، حوالي 50 خزانة مخطوطات لا تزال متواجدة ومنتشرة على كامل جهات توات⁶، ويضيف أن المنطقة حتى

1. شهاب الدين أحمد الطاهري، نسيم النفحات، المصدر السابق، ص 1

2. محمد حوتية، توات والأزواد، ج1، المرجع السابق، ص 233

3. فرج محمود فرج، إقليم توات...، المرجع السابق، ص 91

4. حليلة سليمان، الحياة الاجتماعية والثقافية لقصور تيمي...، المرجع السابق، ص 255

5. ثابت زينب، من الخزائن الشعبية للمخطوطات بإقليم توات الوسطى وصف وتقديم، مداخلة في الملتقى الوطني الرابع للمخطوطات الجزائرية في الخزائن والمكتبات الإفريقية: واقع وآفاق، جامعة أحمد دراية أدرار، الجزائر 27 و28/11/2023

6. أحمد أبا الصافي جعفري، من تاريخ توات، المرجع السابق، ص 172-178

سنة 1962 كانت تعج بالمخطوطات حيث بلغت حينها حوالي 20 ألف مخطوط، كانت موزعة على أزيد من 100 خزانة ومكتبة محلية، ناهيك عن عشرات النسخ التواتية المتواجدة في خزائن وحواسر مالي و النيجر و موريتانيا وغانا و نيجيريا والمغرب و تونس و مصر وبلدان أخرى¹.

3.1. نشاط الطرق الصوفية بالمنطقة:

ولأن الزاوية بمدلولها الاصطلاحي ووظيفتها الحيوية في منطقة توات، كانت مؤسسة روحية ذات طابع علمي واجتماعي اقترنت في غالب الأحيان بالطرق الصوفية، حيث كانت بشكل أوسع مكاناً لالتقاء المريدين مع شيخ الزاوية والطريقة الصوفية لتلقي الأوراد والأذكار²، فقد عرفت منطقة توات نشاطاً مكثفاً للطرق الصوفية، كانت لها علاقة بتلقين التعليم ونشر الإسلام وحمية الجهاد، مثل الطريقة القادرية التي ساهم الشيخ المغيلي في انتشارها بالمنطقة، واتسع نشاطها لاحقاً على يد الشيخ المختار الكنتي³ (ت 1226هـ/1811م)، وصار لهذه الطريقة في توات أملاك وأضرحة لشيخوخها زادت في حراكها الثقافي والروحي والجهادي؛ ونفس الشيء عن الطريقة الشاذلية وفروعها خاصةً الطيبية والشيخية⁴.

ويرى الدكتور فرج محمود فرج أن منطقة توات عرفت انتشاراً واسعاً للطرق القادرية والتيجانية والوزانية والكرزانية والبكائية والبكرية والسنوسية وأولاد سيدي الشيخ⁵ وغيرها، وهذه الأخيرة لعبت فيها زاوية أولاد سيدي الشيخ الشراقة والزاوية السنوسية دوراً هاماً إبان الكفاح الجزائري ضد الوجود

1. أحمد أبا الصافي جعفري، من تاريخ توات، المرجع السابق، ص 189
 2. مبارك جعفري، مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، المرجع السابق، ص 113
 3. وُلد هذا العالم المتصوف سنة 1143هـ/1730م، ونبغ في العلم والشريعة والتجارة، استقر في زاوية كنتة وكان مصلحاً ومرتبباً بالطريقة القادرية فاجتذب بزاويته المريدين والأتباع حتى صار له نفوذاً سياسياً في الصحراء والسودان الغربي، وكانت له مؤلفات ناهزت 300 بقي منها حوالي 40 فقط، توفي سنة 1226هـ/1811م. ينظر: مبارك جعفري و عبد الله مقلاتي، معجم أعلام توات، المرجع السابق، ص ص 383-385
 4. أحمد بوسعيد، الحياة الثقافية والاجتماعية بإقليم توات...، المرجع السابق، ص 48
 5. أولاد سيدي الشيخ: نسبة للجد عبد القادر بن محمد المدعو سيد الشيخ الذي عاش بين 1533م و1616م، دفن الأبيض سيد الشيخ، بعد وفاته اختلف أبناؤه وأحفاده على المشيخة فانقسموا إلى أولاد سيد الشيخ الشراقة والغرابية، بعد معاهدة لالة مغنية 1845 ارتبط الشراقة بالجزائر المستعمرة، والغرابية بالدولة المغربية، وكانوا ضد الإسبان في وهران خلال القرن 17م، ثم ضد الفرنسيين من 1864-1908. ينظر: عبد القادر خليف، الطريقة الشيخية، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر 2010، ص ص 25-33

الفرنسي¹. ومن بين الذين قدموا إلى توات ووجدوا الترحيب محمد بن عبد الله خليفة الأمير عبد القادر على تلمسان نظراً لارتباطات بالطريقة القادرية، والشيخ بوعمامة أيضاً لما ضاقت به السبل احتتمى بمنطقة قورارة وبالضبط قصور دلدول من 1883 إلى 1894م، ولعل أهم سبب جعله يختار هذه المنطقة هي وجود مريدين لزواية الطريقة الشيخية².

وكانت الطريقة التيجانية قد انتشرت في المنطقة على يد مؤسسها الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن المختار التيجاني³ (ت 1230هـ/1815م)، بعد أن زار توات مع نهاية القرن 18م، أما الطريقة السنوسية فقد احتضنتها قبيلة أولاد باجودة في تيديكلت وهي في مهدها خلال القرن 13هـ، وظهر لها أعلاماً من توات شاركوا مؤسسها السنوسي أعباء دعوته، ومنهم مثلاً أحمد أبو القاسم التواتي ومحمد عبد الله التواتي؛ هذه الطرق الصوفية نشر أفكارها ومبادئها العلماء والزوايا المنتشرة في ربوع توات⁴، بل كان لدخولها إلى أرض توات أن زادت من ازدهار حركة القوافل التجارية وكذا التصدي للتوسع الفرنسي، حتى أن "ديبورتر" يقول عنها "إن السنوسية قد أحرزت في هذه المناطق خلال السنوات الأخيرة تقدماً سريعاً، حتى أن رئيس مقاطعة إن صالح قد أصبح واحداً منهم، إن السنوسيين هم أعداؤنا، ولا يمكن أن نستخف بهم وعلينا مراقبتهم عن كثب"⁵.

2. أهم الأعلام والمراكز العلمية:

بلغت توات من التأثير والإشعاع العلمي أن اشتهر فيها أعلاماً ومراكزاً وبيوتات للعلم محلياً

¹ . فرج محمود فرج، إقليم توات...، المرجع السابق، ص ص 109، 110
² . تواتي دحمان وآخرون، دور أقاليم توات خلال الثورة الجزائرية 1956-1962، وزارة الثقافة، الجزائر 2008، ص ص 8-10

³ . هو أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار التيجاني، رجل دين جزائري ومتصوف ومؤسس الطريقة التيجانية. ولد سنة 1150هـ / 1737م بعين ماضي نواحي مدينة الأغواط. قضى حياته متنقلاً بين الجزائر، وشنقيط، والسودان، الحجاز، تونس، مصر والمغرب الأقصى، إلى أن توفي بمدينة فاس سنة 1230هـ / 1815م. ينظر: سيد أحمد التيجاني، ملخص حياة سيدي أحمد التيجاني، 2021/11/18، التصفح 2024/01/10، التوقيت 21:00 مساءً، <https://tidjaniya.com/ar/vie-sidi-ahmed-tidjani>

⁴ . أحمد بوسعيد، الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات...، المرجع السابق، ص 49
⁵ . امحمد جعفري، الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بتدككت خلال القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي، أطروحة دكتوراه، إ.ش: عبد الرحمن بعثمان، جامعة أحمد دراية أدرار، الجزائر موسم 2020/2019، ص

وخارجياً، تميزت تلك الحواضر والأسر في منطقة توات وجهاتها الثلاث عن غيرها، بكونها كانت أشبه بمؤسسات وأقطاب ثقافية، لما لها من إشعاع كبير في نشر العلم والتعليم وتنقيف المنطقة وجوارها، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: بعض حواضر وقصور توات خلال العهد العثماني، مثل تمنطيط وبودة وملوكة وزاوية كنتة في توات الوسطى، وأولاد سعيد وتيميمون في قورارة، وأقبلي وعين صالح في جهة تيديكلت¹.

1.2. ففي حواضر تيديكلت:

نجد على رأسها زاوية عين صالح، من أهم العلماء المنتسبين إلى هذا المركز الذين ذكرتهم نوازل الجنتوري مع نهاية القرن 18م، الشيخ سيدي إبراهيم بن أحمد الإنصالي وسيدي عبد العالي بن أحمد الإنصالي، هذه الزاوية قاد لواء العلم ودحض مظاهر الجهل من خلالها، الفقيه سيدي أحمد بن الفقيه سيدي إبراهيم وسيدي محمد بن بلحاج وأعلام أولاد أبي القاسم وأولاد الحاج، نظراً لما لهم من علاقات ثقافية وطيدة بأعلام تنيلان وغيرهم، جسدتها مواسم عبور ركب الحجيج عبر محطات قصور تيديكلت، حيث استفاد هذا المركز من وقوعه في تقاطع محورين هامين يفد عبره وفود العلماء والطلبة من جهة، والتجار والحجاج من بلاد السودان من جهة أخرى².

وحاضرة آقبلي، التي ذاع صيتها على يد محمد بن عبد الرحمن أبي نعامة³، بدوره في استضافة وفود الحجيج من بلاد السودان حتى سميت بزاوية شيخ الركب النبوي، والتي أسسها منذ 1130هـ/ 1718م، وكانت زاوية أيضاً لطلبة العلم والتقاء العلماء والفقهاء⁴. ومن شيوخ الزوايا الذين كان لهم فضل كبير على أهل تيديكلت خلال القرنين 18 و 19م، الشيخ أبو الأنوار عبد الكريم

¹ . فرج محمود فرج، إقليم توات...، المرجع السابق، ص 85، 86.

² . أحمد بوسعيد، الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات...، المرجع السابق، ص 121، 122.

³ . كان يُكنى بشيخ الركب لمكانته الروحية كقائد للحجاج، وُلد عام 1060هـ بسجلماسة وتوفي في آقبلي 1163هـ، وكان قد أسس هناك زاوية سنة 1138هـ وخلف من بعده أبناءه وإخوته وأثراً علمية قيمة لا تزال موجودة في خزانة الزاوية.

ينظر: حاج أحمد الصديق، التاريخ الثقافي...، المرجع السابق، ص 176، 177.

⁴ . مبارك جعفري، مقالات وأبحاث...، المرجع السابق، ص 123.

التتيلاني الذي أنشأ زاوية له هناك واعتكف بها وفتحها للطلبة إلى غاية وفاته بها سنة 1168هـ¹. وفي القرن 19م نجد عدة أسماء لأعلام وعلماء بمنطقة تيديكلت نذكر منهم مثلاً: حمزة بن الحاج أحمد بن محمد بن مالك القبلاوي (1843-1916م)، كان عالماً متبحراً في علوم الدين واللغة والشعر، وشاهد عيان على بداية الغزو الفرنسي والمقاومة ضده، والشاعر الحاج محمد عبد الرحمن السكوتي الملايخافي (1868-1911م) الذي ترك مؤلفات في علم المنطق والحساب والشعر، وكان له دور إصلاحي ضد البدع والخرافات في ورقلة، ومحمد الحسن بن محمد بن مالك الفلاني (1866-1934م)، كانت له جولات ومناظرات في ليبيا ومالي وتمبكتو وله مؤلفات وإجازات كثيرة في النحو والفتاوى...²

2.2. وفي حواضر توات الوسطى:

كانت هذه المنطقة مزدهرة ثقافياً ونشطة للغاية بدور وبيوتات حواضرها التي بلغت الآفاق، حتى أنها جذبت الطلبة والعلماء والمريدين كما لو كانت معاهد جامعية قائمة بذاتها، وساعدها في ذلك موقعها ودورها التاريخي والتجاري والروحي، وخاصةً تلك الزوايا التي كانت تأوي وتحتضن القاصدين والمهتمين. فهذا الشيخ أحمد الطاهري الإدريسي يشرح الوضع لما استوطن توات وأسس فيها زاويته فيقول أن الطلبة كانوا "يرحلون إلى مدرستا من كل حذب وصوب حتى من الأقطار البعيدة والشاسعة، والناس يفدون علينا للإفتاء والتبرك منقادون لأوامرنا عاملون بنصيحتنا..."³.

وقد تميزت قصور تيمي ببيوتات علمية عريقة خلال القرن 13هـ/19م، كالأسرة البكرية ومنهم مثلاً الشيخ سيدي عبد الله بن عبد الكريم الحاجب بن البكري⁴ (ت 1261هـ/ 1845م)، والشيخ عبد

¹ فرج محمود فرج، إقليم توات...، المرجع السابق، ص 87

² امحمد جعفري، الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بتديكلت...، المرجع السابق، ص ص 226-232

³ شهاب الدين أحمد الطاهري، نسيم النفحات، المصدر السابق، ص 1

⁴ لا يُعرف له تاريخ ميلاده، لكن الأكيد أنه عاش نصف القرن 19م الأول في جهة تمنطيط، كان عالماً متبحراً في العلم أخذ عن شيوخه الحاج محمد بن عبد الرحمن البلبالي، ومن مصنفاته حاشية على المختصر وشرح على ابن جماعة، توفي سنة 1261هـ. ينظر: حاج أحمد الصديق، التاريخ الثقافي...، المرجع السابق، ص ص 109، 110

الكريم بن وعلي بن عبد القادر (ت 1229هـ/1814م)¹، والشيخ البكري بن عبد الرحمن بن الطيب التتيلاني (1260هـ/1843م-1339هـ/1920م) الذي برز في اللغة والأدب وعلوم الدين والشعر². والأسرة التتيلانية ومنها مثلاً العلامة سيدي عبد الله بن سيدي محمد عبد الله (ت 1261هـ/1845م)، والشيخ سيدي محمد بن سيدي عبد الرحمن بن باعمر (ت 1233هـ/1818م)³، ومنهم كذلك الشيخ أبا الأنوار عبد الكريم التتيلاني⁴ والذي كان له فضل كبير على أهل تيديكلت خلال القرنين 18 و 19م، حيث أنشأ زاوية له هناك واعتكف بها وفتحها للطلبة إلى غاية وفاته بها سنة 1168هـ، والفقير عمر بن عبد الرحمن الأموي التتيلاني (ت 1221هـ/1806م) الذي أسس زاوية من ماله الخاص بقصر المهدية وتفرغ فيها للعلم والتعبد حتى وفاته⁵.

والأسرة البلبالية التي برز منها مثلاً الشيخ سيد الحاج البلبالي (ت 1244هـ/1828م)، والشيخ سيد البكري بن سيدي محمد عبد العزيز البلبالي (ت 1282هـ/1865م)، والشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد المالك البلبالي (ت 1288هـ/1872م) الذي أسس في قصر بني تامر مدرسة القراءة التي تخرج منها علماء أجلاء وكبار، والشيخ سيدي عبد الله بن أحمد الحبيب بن امحمد بن عبد الله البلبالي (ت 1329هـ/1911م) الذي انتقل من قصر ملوكة إلى كوسام حيث أسس مدرسة وزاوية سنة 1862م⁶.

وفي توات السفلى -قصور توات الحناء وكنتة وسالي ورقان- نجد الشيخ محمد بن احميدان

1. حليلة سليمان، **الحياة الاجتماعية والثقافية لقصور تيمي...**، المرجع السابق، ص 231-234.
2. بوسليم صالح، **"الحياة العلمية والثقافية في منطقة توات خلال القرنين 18 و 19 مصادرها وبعض مظاهرها"**، **المجلة الجزائرية للمخطوطات**، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، مج4، ع5، 2008/12/31، ص ص 82-93.

3. حليلة سليمان، **الحياة الاجتماعية والثقافية لقصور تيمي...**، المرجع السابق، ص 234-239.
4. عالم وفقير ولد في تنيلان سنة 1152هـ وأسس بها زاوية، كان كثير الترحال بين توات والسودان الغربي، وله دور كبير في بعض حواضر التكرور والأزواد، وفي تيديكلت حيث أسس زاوية له في أولف، عرف بالحق والصلابة، توفي سنة 1168هـ/1755م. ينظر: مبارك جعفري وعبد الله مقلاتي، معجم أعلام توات...، المرجع السابق، ص ص 62، 63.

5. فرج محمود فرج، **إقليم توات...**، المرجع السابق، ص ص 87، 88.
6. حليلة سليمان، **الحياة الاجتماعية والثقافية لقصور تيمي...**، المرجع السابق، ص ص 200-242.

الزجلاني تلميذ الشيخ عبد الرحمن بن عمر التتيلاني (القرن 12هـ/18م)، والشيخ المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي (ت 1226هـ)¹. والبيت الرقاني المعروف بمؤسسه الولي الصالح مولاي عبد الله الرقاني، ومنه الشيخ عبد الملك بن عبد الله الرقاني (ت 1207هـ/1793م) الذي يرجع له الفضل في نشر الطريقة القادرية بالمنطقة وجوارها، وحفيده الشهيد مولاي عبد الله بن العباس (ت 1317هـ/1900م) الذي تزعم المقاومة في بداية الغزو الفرنسي²؛ وأُسرة الشرفاء الطاهريين الأدارسة في سالي والذين قَدِموا من المغرب إلى توات مطلع القرن 14هـ/20م.

3.2. وفي حواضر قورارة:

كانت من مراكزها زاوية بادريان التي أرسى دعائمها محمد عبد الله الصوفي³ مع مطلع القرن 11هـ/17م وقد تميزت بحفظ المصنّفات والمؤلفات والمخطوطات، من وثائق تحبيس أو أحكام قضاء أو فتاوى ونوازل، وغيرها من كنوز العلم⁴. ومركز أولاد سعيد، من أهم بيوتاته العلمية عائلة الجوزي وشرفاء كالي من آل الجنتوري، والبوبكريين في سموطة، وكانت أولاد سعيد تضاهي تمنطيط في زمانها، حتى أن الإمام المغيلي مكث فيها رداً من الزمن وخلف فيها مدفن زوجته أخت الشيخ الثعالبي. ومركز تميمون الذي ذاع صيته واشتهر منذ زمن العلامة سيدي محمد بن أب المزمري⁵ المتوفى أواخر القرن 12هـ/18م.

ومركز أوقروت الذي تكلم عنه العياشي في رحلته خلال القرن 11هـ/17م، وذكر عنه بعض

¹ . بوسليم صالح، "الحياة العلمية والثقافية في منطقة توات خلال القرنين 18 و 19 مصادرها وبعض مظاهرها"، *المجلة الجزائرية للمخطوطات*، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية، المجلد 4، العدد 5، جامعة وهران 2008/12/31، ص 86-90

² . مبارك جعفري وعبد الله مقلاتي، *معجم أعلام توات*، منشورات الرياحين، الجزائر-2013، ص ص 227-234

³ . محمد عبد الله الصوفي: من علماء قورارة في القرن 10هـ، وُلد في أولاد سعيد وساهم في بروز زاوية بادريان، كان عالماً متصوفاً تخرج على يديه العديد من فقهاء وعلماء المنطقة. ينظر: مبارك جعفري وعبد الله مقلاتي، *معجم أعلام توات*، المرجع السابق، ص 378

⁴ . أحمد بوسعيد، *الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات...*، المرجع السابق، ص 123

⁵ . وُلد في قصر أولاد الحاج بتديكلت، تميز في اللغة والأدب، له عدة منظومات شعرية مثل أرجوزة في علم العروض وفي علم الكلام وفي أسماء البحور وغيرها، توفي في تينجورارين حوالي 1160هـ/1747م. ينظر: مبارك جعفري وعبد الله مقلاتي، *معجم أعلام توات*، المرجع السابق، ص ص 318-320

الأعلام والعلماء أمثال: الشيخ عبد العزيز بن الحسن بن عيسى الحفصي الوراقوتي¹ مقريء الطائف، وزاوية سيدي عمر بن محمد بن صالح الوراقوتي التي توقف عندها ووجد فيها من العلم والنقاش الفكري والضيافة ما أثار انتباهه²، وأما القطب سيدي محمد بن علي النحوي الوراقوتي³ (ت 1062هـ/1651م) الذي وصل تأثيره حتى إلى اسطنبول، فقد ذكر صاحب كتاب (درة الأعلام) أن سيدي علي بن حنيني كان يسافر من زاجلو بفقراءه ومريديه ويمر على القطب سيدي محمد البكري بتمنطيط، ليتريدا على شيخهما النحوي وكان ذلك ديدنهما منذ صغرهما حيث تعلموا على يده⁴.

ومن حواضر أوقروت كانت **حاضرة إقسطن** في لدول، التي تميزت ببيوتات علمية مثل عائلة الولي الصالح الشيخ بن اعمر، وأسرة العالم الجليل محمد المحفوظ القسطنطي الذي عاش خلال القرن 13هـ/19م، واشتغل بعلم الفلك وألف فيه شرحاً، قال عنه صاحب (الدرة الفاخرة) أنه كان عالماً صالحاً متقناً في شتى العلوم⁵؛ وفي **المطارفة** لا تزال عائلة بن عبد الكبير تحافظ على أهم خزانة مخطوطات في المنطقة، وفي قصر أولاد راشد يذكر العياشي أنه زار زاوية الشيخ عبد الله بن طمطم التي كانت داراً للعلم وإطعام عابري السبيل⁶.

فقصور قورارة كانت تعج بزوايا العلم والكتاتيب والمدارس القرآنية، وقد لعبت دوراً بارزاً اجتماعياً وثقافياً وجهادياً، استطعنا أن نحصي منها حوالي 21 زاوية في قورارة وحدها من بين 39 زاوية في كل

1. كان حياً سنة 1073هـ/1663م وهو حفيد الشيخ عيسى مؤسس قصر سيدي عيسى الشارف بأوقروت، تتلمذ في توات وانتقل إلى فاس حيث أخذ عن ابن عاشر سنة 1630م وانتقل بعد عام إلى الأزهر في مصر فنال فيها الإجازات، ثم انتهى به المطاف في الطائف بالحجاز فتزوج فيها وصار مقراً، حيث التقاه هناك العياشي سنة 1663م وأخذ عنه الإجازة. ينظر: عبد الله بابا، الشيخ المقرئ **عبد العزيز بن عيسى الحفصي الوراقوتي التواتي مقريء الطائف 1073هـ/1663م**، الملتقى الوطني الثالث حول علماء وأولياء قورارة إبان القرنين 10 و11هـ، زاوية سيدي أحمد بن عبد الله البوكري بسموطة تيميمون، دار الكلمة، أدرار الجزائر 2021، ص ص 35-41

2. عبد الله بن محمد العياشي، **الرحلة العياشية**، مج1، المصدر السابق، ص 81

3. درس في تمنطيط ونبغ في الفقه والنحو والصرف، وأسس زاويته في أوقروت، تخرج منها الكثير من الشيوخ أمثال الشيخ البكري وسيدي علي بن حنيني، ومشائخ من المغرب، حتى أن العياشي زاره فيها، توفي حوالي 1062هـ/1651م. ينظر: مبارك جعفري وعبد الله مقلاتي، معجم أعلام توات، المرجع السابق، ص 359

4. محمد بن عبد الكريم البكري، **درة الأعلام...**، المصدر السابق، ص 44

5. مبارك جعفري وعبد الله مقلاتي، معجم أعلام توات، المرجع السابق، ص 311

6. عبد الله بن محمد العياشي، **الرحلة العياشية**، مج1، المصدر السابق، ص 80

القطر التواتي، كانت أقدمها زاوية سيد الحاج لحسن الشريف في قصر قنتور بأولاد عيسى التي ظهرت خلال القرن 8هـ، وأحدثها نشأة زاوية سيدي امحمد المرفوع بتازليزا في تينركوك التي تأسست خلال القرن 13هـ¹.

3. العلاقات الثقافية خارجياً:

بلغت حواضر توات في الشأن العلمي والثقافي سمعة وتأثيراً كبيرين محلياً وخارجياً، من أسبابها تموقع توات كحلقة تواصل بين شمال المغرب العربي والحواضر الإفريقية، حيث شكلت نقطة التقاء وتقاطع بين الحواضر الشمالية كتلمسان والجزائر والحواضر الجنوبية كتلمبكتو وكانو ومنطقة الهقار، فكان ذلك التواصل الثقافي في فائدة المنطقة وساكنيها والمارين بها²؛ ناهيك عن العلاقات التاريخية الضاربة في القدم بين توات وحواضر الجوار، من خلال توافد هجرات القبائل والعلماء إلى المنطقة، فنزوح علماء وعائلات من تلمسان مثلاً منذ عهد الدولة الزيانية، وعلى رأسهم الإمام المغيلي وعائلة العصنوني كان استفادة أهل توات تأثيراً وتأثراً³.

ومن الأسباب أيضاً أن ركب الحجيج كان كلما توقف عند محطات ما إلا ونشط الحركة العلمية فيها، حيث غالباً ما كانت تلك الوفود تضم علماء أجلاء وبمرورهم على محطات وزوايا معلومة في وقت معلوم من السنة مثل حواضر توات، كان طلبة العلم يتحينون فرصة مرورهم فيتهافتون لمجالسة العلماء وحضور دروسهم وطلب الإجازة منهم⁴؛ وعلى أساس هذه الأسباب والمكانة بنّت منطقة توات علاقات ثقافية متنوعة مع حواضر دول الجوار، مع شنقيط وتلمسان وفاس والجزائر وتمبكتو وتونس وطرابلس ومصر وحتى تركيا وغيرها من البلدان والأمصار.

فمع الجزائر وحواضرها: كانت لعلماء توات مراسلات ونقاش ثقافي حول نازلة يهود تمنطيط،

¹ . محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج1، المرجع السابق، ص ص 419، 420

² . حليلة كحلاوي، الحياة الثقافية بتوات الوسطى...، المرجع السابق، ص 134

³ . حاج أحمد الصديق، التاريخ الثقافي...، المرجع السابق، ص ص 205، 206

⁴ . حليلة كحلاوي، الحياة الثقافية بتوات الوسطى...، المرجع السابق، ص 135

التي وقعت بين الإمام المغيلي والعصنوني منذ القرن 10هـ/16م، كما تتلمذ الشيخ سيدي عبد الكريم بن امحمد بن أبي محمد الأمريني التواتي على يد عالم الجزائر الشيخ سيدي السعيد بن إبراهيم قدورة خلال القرن 11هـ¹، ووصل تأثير توات إلى عدة مناطق أخرى من الجزائر مثل دور الشيخ سيدي محمد الصالح بن البكري في نشر العلم بحاضرة توقرت، والتي توفي فيها عام 1139هـ².

وخلال القرن 19م برزت علاقة أعلام تيديكلت بورقلة بشكل جلي، حيث نشروا فيها العلم وقاموا بحركة إصلاح للمجتمع بمحاربة البدع والخرافات والجهل، نذكر منهم الشيخ سيدي محمد عبد الرحمن بن محمد السكوتي وسيدي محمد عبد القادر بلعالم القبلاوي³. ويذكر الدكتور حاج أحمد الصديق أن شرفاء زاوية مولاي هبية والشيخ سيدي أحمد بن محمد بن الحاج عبد القادر بن محمد بن مالك الفلاني من أولف، ساهموا في نشر العلم وتمتين العلاقات الثقافية والروحية بين توات والأهقار⁴.

وكان الشيخ عبد الرحمن بن إدريس بن عمر بن عبد القادر التتيلاني من أهم الرحالة التواتيين الذين أَرخوا وكتبوا عن الحملة الإنجليزية الهولندية على مدينة الجزائر سنة 1231هـ/1816م، فكان شاهد عيان وصف الأحداث بشكل مستفيض وهام جداً⁵. كما ذكر الرحالة التواتي مولاي أحمد بن هاشم (ت 1253هـ/1837م) خبراً وهو في زاوية كنتة مفاده قدوم شيخ كبير بصحبة جماعة من وهران أو الجزائر أو قسنطينة، محملين بكمية مهمة من كتب الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، وأن نزولهم كان في قصور تسابيت⁶.

ومع فاس وما جاورها: كانت فاس وخاصةً جامع القرويين قبلة التواتيين بغرض الاستزادة من علومها والحصول على إجازاتها، كثر ترددهم ونشاطهم ونبوغهم باسم توات هناك ما بين القرنين

1. حاج أحمد الصديق، التاريخ الثقافي...، المرجع السابق، ص ص 206، 207.

2. نفسه، ص 212.

3. امحمد جعفري، الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بتيديكلت...، المرجع السابق، ص ص 229-234.

4. حاج أحمد الصديق، التاريخ الثقافي...، المرجع السابق، ص 213.

5. عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني، رحلته إلى ثغر الجزائر، المصدر السابق، ص 468.

6. مولاي أحمد بن هاشم، رحلة مولاي أحمد...، المصدر السابق، ص 3.

11هـ/17م و 13هـ/19م، نذكر من أولئك الأعلام الذين نالوا شهرة واسعة في فاس وسجلماسة ومراكش: الشيخ عمر بن عبد القادر التتيلاني الذي كان معلماً في القرويين بفاس ثم عاد إلى توات 1129هـ وأسس فيها زاويته¹.

والشيخ أبو الحسن علي بن الحاج التواتي (ت 1058هـ/1648م)، وأبو العباس أحمد بن محمد بن الونان التواتي (ت 1187هـ/1773م)، والشيخ عبد الرحيم بن محمد التواتي (ت 1189هـ/1775م) وهو من العلماء الذين عادوا إلى توات بعد رحلة علمية حافلة بفاس، والشيخ عبد الرحمن بن عمر التتيلاني والشيخ الفقيه الحاج محمد البلبالي الذي مكث طويلاً في مدينة سجلماسة، قبل أن يعود إلى توات ويعتزل فيها بقية حياته؛ هؤلاء الأعلام الذين اتخذوا هذه الحاضرة محطة علمية رئيسية، وتصدروا فيها حلقات العلم والإفتاء خلال القرن 12هـ/18م، عاد معظمهم مساهماً في تنشيط الحركة الثقافية بحواضر توات².

ومع حواضر شنقيط والسودان الغربي: بحكم تلك المكانة الجغرافية والتجارية والتاريخية التي تبوأها توات، فقد أثرت كثيراً في حواضر إفريقيا الغربية مثل كانو وتمبكتو وغيرهما، وكان ذلك منذ زمن الشيخ المغيلي (القرنين 9-10هـ/15-16م) الذي كان له دور كبير على الرعية والحاكم فيها. وبلغ تأثير توات على حواضر السودان الغربي قروناً عديدة، فقد ذكر القاضي محمود كعت أن كل جامعات الغرب الإفريقي ومساجده كانت خلال الفترة بين القرنين 15 و 17م حافلة بالطلبة والعلماء من منطقة توات، ويضيف السعدي أن قائمة العلماء المشهورين في مساجد وجوامع مدن الغرب الإفريقي ومراكزه الحضارية، كان التواتيين يشكلون بينهم نسبة تقارب النصف³.

واستمر التواتيون يغذون تلك المناطق فكرياً وثقافياً وروحياً حتى أصبحت الجالية التواتية في

¹ . فرج محمود فرج، إقليم توات...، المرجع السابق، ص 87

² . أحمد بوسعيد، الحياة الاجتماعية والثقافية...، المرجع السابق، ص ص 125-133

³ . أحمد جعفري أبا الصافي، من تاريخ توات، المرجع السابق، ص 194

تمبكتو -مثلاً- كبيرة ونشيطة للغاية، ساهمت في نشر الطرق الصوفية وبناء الزوايا والمساجد، واستمر تدفق علماء وفقهاء وتجار توات على تلك البلاد حتى نهاية القرن 19م، حيث يذكر صاحب كتاب (جوهر المعاني) بعض الأسماء مثل الفقيه أبو الأنوار بن عبد الكريم التتيلاني¹، الذي ارتحل إلى بلاد التكرور ونشر فيها العلم، والشيخ سيدي محمد بن محمد بن مالك الفلاني الذي كان قاضياً ومدرساً بالسودان، بل وهناك عائلات تواتية كان لها إسهامات كبيرة مثل قبيلة كنتة ودورها في نشر العربية بالسودان الغربي²، والشيخ مولاي عبد الملك الرقاني (ت 1207هـ/1793م) وهو ابن الولي الصالح مولاي عبد الله الرقاني، عظم صيته في توات وبلاد التكرور فكانت زاويته ملتقى الطلاب والمريدين والخصوم من تمبكتو وأروان وشنقيط وتوات وغيرهم³.

وبلغ التأثير مداه خلال القرن 19م، فقد لاحظ الرحالة (Barth) نظام الدراسة في الأزواد⁴ عند طلاب الشيخ سيدي أحمد البكاي يقرأون القرآن في الفضاء الخارجي، وذلك راجع لكون علماء توات نقلوا العلم والمعرفة لأهل الأزواد بنفس نمط الدراسة المنتشر في توات⁵؛ ناهيك عن عشرات النسخ التواتية المتواجدة في خزائن وحواضر مالي والنيجر وموريتانيا وغانا ونيجيريا وبلدان أخرى⁶.

وساهمت عائلات تواتية وعلى رأسها الكنتة والداوعل، في نسج علاقات ثقافية بين توات وشنقيط⁷، وكذلك شرفاء آل سي حمو بلحاج وهي من العائلات العلمية التي تخصصت في المخطوطات، والتي تواصلت مع بلاد شنقيط، حيث عرفت منطقة توات وشنقيط خلال القرنين 18 و19م حركية للعلماء، كان يمكث فيها بعض أعلام شنقيط أحياناً سنوات عند تلك العائلات، بحثاً عن

1. فرج محمود فرج، إقليم توات...، المرجع السابق، ص ص 114، 115.
2. حاج أحمد الصديق، التاريخ الثقافي...، المرجع السابق، ص ص 210، 211.
3. أحمد بوسعيد، الحياة الاجتماعية والثقافية...، المرجع السابق، ص 130.
4. الأزواد: مشتقة من أزوا في اللغة التارقية وتعني المسقى الدائري الخشبي الذي يستعمل كإناء حليب، وحدود المنطقة هي مجال انتقال البدو من الصحراء الكبرى إلى بلاد السودان، ومن حواضرها: تمبكتو وغاو. ينظر: محمد حوتية، توات والأزواد، ج 1، المرجع السابق، ص ص 38-42.
5. محمد حوتية، توات والأزواد، ج 1، المرجع السابق، ص 251.
6. أحمد جعفري أبا الصافي، من تاريخ توات، المرجع السابق، ص 189.
7. حاج أحمد الصديق، التاريخ الثقافي...، المرجع السابق، ص 214.

العلوم والمخطوطات، ولعبت قوافل التجار والحجاج دوراً كبيراً في تلك العلاقات¹.

ومع تونس ومصر وباقي البلاد الإسلامية:

يرى الدكتور بوسعيد أحمد أن العلاقات الثقافية بين توات وتونس تأصلت منذ القرن 9هـ/15م، لما استُفتي المفتي التونسي محمد الرصاع حول قضية يهود توات، وكان موقفه يدعو فيه علماء توات للتسامح والاعتدال تجاههم، كما ساهمت قوافل الحجيج التي كان يفد بعضها على تونس بمحاذاة طريق الأطلس الصحراوي وجبال الأوراس في توطيد تلك العلاقات، ومن مشايخ توات الذين تذكرهم تونس في فضلهم وعلمهم: الشيخ الكوش التواتي التونسي الذي توفي خلال القرن 12هـ، والذي أرسله شيخه إلى تونس بدعوة من أهلها، فبنى هناك زاويةً له، دفن فيها بعد وفاته، والشيخ سيدي محمد السنوسي التواتي وغيرهما، وكثيرون أنجبوا الأولاد والأحفاد حتى صاروا يُعرفون بلقب التواتي².

والى الحجاز وصل الشيخ سيدي عبد العزيز بن حسن بن عيسى الوراق التواتي خلال القرن 11هـ/17م، الذي تكلم عنه العياشي في رحلته إذ قال "ولم نلق بالطائف أحداً ممن ينتسب إلى علم أو صلاح سوى الشيخ عبد العزيز، الذي نزلنا عنده، وأصله من المغرب من بلاد أوكرت من بلاد تيجورران وشهرته بالتواتي"، وذكره باسمه الكامل بقوله في موضع آخر "ولقينا هنالك رئيس المقرئين وأستاذ المجودين، الشيخ عبد العزيز بن حسن بن عيسى التواتي"³، بل وكان هذا الشيخ الجليل قد مكث في مصر في باديء الأمر، وبالضبط في القاهرة حيث نال حظاً من العلم ومجالسة علماء وشيوخ الأزهر الشريف⁴؛ وعلى ذكرنا مصر فقد نال كثير من علماء توات المشيخة والشهرة في مصر، على غرار سيدي عبد الكريم بن امحمد بن أبي محمد وسيدي أحمد بن سالم العصنوني الذي تولى

¹ . أحمد بوسعيد، مرجعية المخطوطات الجزائرية في الحركة الفكرية ببلاد شنقيط، مداخلة في الملتقى الوطني الرابع للمخطوطات الجزائرية في الخزائن والمكتبات الإفريقية: واقع وأفاق، جامعة أحمد دراية، أدرار الجزائر 27 و28/11/2023

² . أحمد بوسعيد، الحياة الاجتماعية والثقافية...، المرجع السابق، ص ص 130، 132

³ . محمد عبد الله العياشي، الرحلة العياشية، ج2، المصدر السابق، ص ص 172، 173

⁴ . عبد الله بابا، الشيخ المقرئ عبد العزيز...، المرجع السابق، ص 39

القضاء في القاهرة خلال القرن 10هـ/16م¹، والشيخ عبد الرحمن بن عمر التتيلاني (ت 1189هـ/1775م) الذي كتب عن رحلته إلى الحج وتوفي ودفن في مصر².

وكانت لحاضرة توات علاقات ثقافية خارجية متنوعة كالرحلات العلمية والمناظرات وتبادل النوازل والفتاوى والمخطوطات، وصل تأثيرها حتى إلى عاصمة الخلافة العثمانية منذ المنتصف الثاني من القرن 11هـ، حيث اجتمع الشيخ سيدي محمد بن علي النحوي الوراق مع سلطان اسطنبول وأهداه مجموعة كبيرة من الكتب³، ولعل ذلك ما يفسر وجود عشرات المخطوطات التواتية في خزائن بلاد السودان الغربي وشنقيط والمغرب وتونس ومصر وحواضر أخرى⁴، وكان للشيخ سيد البكري بن عبد الكريم الذي أسس زاويته سنة 1117هـ/ 1705م في تمنطيط واتسع نطاقها إلى توقرت وما جاورها، دوراً في تأسيس عدة زوايا خارج الجزائر كالعراق وتونس وطرابلس الغرب، جمع من خلالها بين المهمة التعليمية والمهمة الاجتماعية، وهي حاضرة إلى يومنا هذا⁵.

وفي القرن 19م نجد مدى تأثير الرحلة الحبية للقاضي سيدي محمد عبد الله بن الجوزي (ت 1269هـ/1852م)، صاحب القصة الشهيرة مع علماء الأزهر التي كان هو بطلها مع الشيخ عlish المالكي شارح المختصر، وأبي إسحاق إبراهيم الباجوري الشافعي رئيس الأزهر الشريف آنذاك صاحب الشرح "تحفة المريد" على جوهرة التوحيد للإمام اللقاني، ومما قام به الشيخ بن الجوزي نسخه لمتن البوطليحية في فزان بليبيا، ومصاحبته لقاضي سيوة بمصر "الشيخ الخطيب الحاج" وللقاضي "زين العابدين" بمرزوق في ليبيا ونجل سيدي الحبيب أمير أروان بمالي، بل وكانت له لقاءات ومساهمات حينها مع الشيخ محمد بن علي السنوسي المستغانمي، الذي كان نزياً بمكة المكرمة والمؤسس بها

1. حاج أحمد الصديق، التاريخ الثقافي...، المرجع السابق، ص 211

2. جعفري مبارك وعبد الله مقلاتي، معجم أعلام توات، المرجع السابق، ص 188-191

3. حاج أحمد الصديق، التاريخ الثقافي...، المرجع السابق، ص 214

4. أحمد جعفري أبا الصافي، من تاريخ توات، المرجع السابق، ص 189

5. عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران الجزائر- 2007، ص 71

لزاوية أبي قبيس الشهيرة، والذي وصفه قاضي قرارة بقوله "خديم لأم المؤمنين بمكة، وأعلى قبيس قل سنوسي مبرر"، وكان الشيخ بن الجوزي قد اقترح عليه العلماء المشاركة الإقامة والتدريس عندهم في جامع الأزهر الشريف، فأبى وقرر العودة إلى توات¹.

المبحث الثالث: الأوضاع الاقتصادية

بقدر ما تمتعت به حواضر توات من أوضاع اجتماعية وثقافية بأهميتها ونشاطاتها، فالمتتبع لتاريخ المنطقة سيلمس أيضاً مظاهرها وحركيتها الاقتصادية حتى ولو تذبذبت من حين لآخر، ففي الصحراء الكبرى فرضت منطقة توات نفسها محلياً وخارجياً بقيمتها الاقتصادية وتأثيراتها، حتى أن كثيراً من الرحالة والمؤرخين وصفوها بإسهاب وإعجاب، من ابن خلدون وابن بطوطة والحسن الوزان والفشتالي والعياشي والأغواطي، إلى الرحالة الأجانب الألمان والإنجليز والفرنسيين وغيرهم، وفي القرن 19م كانت توات لا تزال نشيطة اقتصادياً وإن بدأت تخفت وتراجع شيئاً فشيئاً أمام المد الاستعماري الأوروبي.

1- مظاهر الاقتصاد المحلي للمنطقة:

كانت الزراعة في توات من أهم الأنشطة الاقتصادية القائمة خلال القرن 19م، ورغم وقوعها في مصب عدة أودية كوادي الساورة ووادي مسعود ووادي أمقيدن ووادي قارية، إلا أنها لم تغدّها كثيراً بحكم بُعدها ونفاذ التربة الرملية بالمنطقة، غير أنها ساهمت في تكوين طبقات من المياه الجوفية الممتدة من ليبيا وتونس إلى غاية توات، قدرت بحوالي 1 مليون كلم² مساحة²، وعلى هذا الأساس اهتدى أهل المنطقة لأسلوب سقي تقليدي استغلوا به تلك الثروة المائية الباطنية، سُمي بالفقّارات³.

¹ . محمد عبد الله بن الجوزي، تقايد بخط يد بن الجوزي، خزانة آل الجوزي للمخطوطات، قصر أولاد سعيد، تميمون الجزائر

² . محمد حوتية، توات والأزواد...، ج1، المرجع السابق، ص 83

³ . الفقارة: ويُنطق حرف القاف هنا بصيغة Ga، معناها اللغوي من فقر الأرض وفقرها بمعنى حفرها، والفقر بئر تغرس فيها الفسيلة، وقد تزيد تلك الآبار على الثلاثة، كما قيل أنها آبار تُحفر وينفذ بعضها إلى بعض (وهنا اقترب ابن

1-1 - الفقارة والماء في توات:

بخصوص الفقارة وإن اختلفت معانيها، هناك من يرى أنها ظهرت أول الأمر على يد الزناتة في توات، واصطلحوا على تسميتها بالفقائر تشبيهاً بفقرات الظهر، وصارت حرفة شائعة من بعدهم¹؛ في حين يرى صاحب مخطوط (درة الأقاليم) أن توات كانت عامرة بالناس منذ زمن الفراعنة، حتى أن أقباط مصر وصلوا إليها وهم أول من هندسوا فيها نظام الفقائر وشيّدوا عليها القصور، وكان ذلك منذ حوالي 700 سنة قبل الهجرة².

وهناك من يقول أن الفقارة كتقنية ري* كانت معروفة في عموم شمال وصحراء إفريقيا وآسيا، يعتقد أنها انتقلت من بلاد فارس إلى بلاد المغرب خلال القرن 11م، تقوم على حفر ساقية جوفية تتساب عبرها المياه إلى سطح الأرض، تبدأ من البئر الأول ويسمى رأس الفقارة، ثم تتبعها سلسلة من الآبار في خط مستقيم حتى تصل إلى القصور، وبين كل بئر وآخر مسافة بين 10 و20م، وعمق البئر الأولى حوالي 20م ثم يتناقص من بئر لآخر حتى يصل إلى سطح الأرض بشكل تلقائي فتتوزع عبر ما يسمى بالقصرية والسواقي³.

وحسب شرح محلي لعمل الفقارة فهي تتركز على نفاذ الآبار في بعضها البعض، بتدفق الماء من هذا إلى هذا، فبئر الفقارة الأول يدفع الماء للبئر الموالي وهكذا إلى آخر بئر حتى يخرج على وجه الأرض، ولتقسيم ماء الفقارة علمٌ قائمٌ بذاته بمصطلحاته وموازينه ومكاييله وسجلاته وحرفييه، وماء الفقارة جنسان: أنثى وذكر يختلفان في حجم السقي، فالذكر أوفر وأغزر في المنسوب والمنتوج⁴، فمثلاً

منظور من توافق معنى كلامه مع عمل الفقارة في توات). ينظر: ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة (ب.ت)، ص 3446

¹ . محمد بن عمر بن أحمد الحبيب البوداوي، نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، المصدر السابق، ص 14

² . محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأقاليم، المصدر السابق، ص 3، 2

*. ينظر الملحقين رقم 25 و26 ص 414، 415

³ . محمد أعيف، توات مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،

الرباط (ب.ت)، ص 31، 32

⁴ . مولاي مبارك عويدي، قورارة وتوات وما عليه احتوت من الفقارة إلى الساقيات، مرجع سابق، ص 36-41

فقارة "أمراج" التي تصب في قصور أولاد عبو والمنصور وأورير بجهة لدول هي من الجنس الذكر، وبجوارها نجد فقارة "يغنو" التي تصب في قصور أقبور والحدبان تصنف من جنس الأنثى، ومن مصطلحات الفقارة التي أعرفها شخصياً لدينا: الكيال الذي يمتحن حرفة تقسيم الماء، والحنة والماجن: من قياسات حجم منسوب الماء، والزماء: وهو سجل تدوين معاملات ومواريث التوزيع والتجارة والتحبس في الماء، والساقية: المجرى الذي يوصل الماء من بئر إلى بئر ومن قصرية إلى قصرية، والقصرية: هي الدلتا التي توزع الماء عبر مشط حجري به ثقب تقسيم الماء.

ويرى الشيخ باي بلعالم نقلاً عن الشيخ عمر المهداوي أن اليهود كانوا أول من اختط الفقاقير في توات تقليداً لما كان عليه حالهم في المدينة المنورة، ونظراً لأهميتها فقد جعل لها أهل توات موازين ومكايل وحرافاً وسجلات خاصة بها، بل ونظموها حتى بيعاً وشراءً وتمليكاً، ولعلماء المنطقة مؤلفات وفتاوى في شؤونها¹؛ وعليه ومما سبق نستنتج أن هناك تضارب كبير في طريقة وتاريخ وصول نظام الفقارات إلى مناطق توات، بين من يراها للزناتيين أو اليهود أو الفراعنة أو الفرس، بل واختلفت المصادر حتى في اشتقاق وتفسير معناها الاصطلاحي.

ويبدو من خلال تحلق فقارات توات حول هضبة تادمايت أنها تأخذ منابعها منها، بالإضافة إلى الوعاء الجوفي الذي تخلفه الأودية في نهاياتها. وقد أكد هذا الاستنتاج الرحالة الألماني (رولفس Rohlfs) أن الفقارات في توات تتبع من نهر باطني يزيد منسوبه بتهاطل الأمطار، وأنها تأخذ اتجاهاً موحداً من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي، أي: من حواف هضبة تادمايت إلى أخفض الأماكن حيث يلتقي وادي المسعود، والفقارة الواحدة قد تصل لمسافة 10 كلم وتحتوي على 500 بئر²؛ أو حتى 15 كلم أو أكثر، مثل بساتين القصور المحاذية لمدينة تيميمون التي تخدمها شبكة من 47 فقارة

¹ . محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج1، المرجع السابق، ص ص 71-73

² . عبد المالك طاهري، منطقة توات في القرن 19م من خلال كتابات الرحالة والمستكشفين، إش: أحمد بوسعيد، أطروحة دكتوراه، جامعة أحمد درابعية أدرار، الجزائر موسم 2022/2023، ص 168

أكبرها فقارة "أمغير" التي تتكون من 390 بئر أعمقها بئر بـ 48 متر، وأصغرها بئر يسمى "كوكو علي" بعمق 6 متر¹.

ويعتبر صاحب كتاب (نقل الرواة) من أهم المصادر المحلية التي أحصت وسمت الفقائير في المنطقة بأعدادها ومصطلحاتها ومكوناتها الرئيسية، إلا أنه اقتصر فقط على قصور تسابيت ووجلان وبودة وتيمي وتمنيط، دون الإشارة إلى مناطق توات الحناء ورقان وتيديكلت وقورارة². ورغم أن أعداد وكميات منسوب الفقارات مع نهاية القرن 19م مقارنة بالقرن 17م تناقصت، إلا أن أحد الرحالة الفرنسيين سنة 1892م أحصى حوالي 40 فقارة وزهاء 100 بئر في مسافة تقل عن 30 كلم في قورارة وحدها³، وفي نفس المنطقة أحصى (مارتن أ.ج.ب) حوالي 406 فقارة حية وفي توات الوسطى 439 فقارة⁴، أما في تيديكلت سنة 1902م تم إحصاء حوالي 125 فقارة حية بطول 320 كلم وتدفق 36 م³/د و 51 فقارة ميتة كانت آثارها لا تزال قائمة⁵.

وقد كشفت نتائج الإحصائيات لسنة 2019 عن وضعية عدد من الفقارات المتدهورة والناضبة لولايات أدرار، تيميمون، وعين صالح، بأن عدد الفقارات الناشطة حالياً في أدرار وحدها، من أصل 1216 فقارة هو 203، فيما عدد الآبار المتدهورة فيبلغ 173 والناضبة 840 فقارة، أما بتيميمون فتحصى 614 بها 12 فقارة نشطة و 124 متدهورة و 370 فقارة ناضبة، وبولاية عين صالح تم احصاء 7 فقارات نشطة و 7 متدهورة و 46 ناضبة من أصل 64 فقارة⁶؛ وهذه الأرقام في يومنا هذا

¹ . M'hamed Selkh, **Timimoun La Mystique**, l'Office du Tourisme de Timimoun, Edition 2011, pp.7,8

² . محمد بن عمر بن أحمد الحبيب البوداوي، نقل الرواة...، المصدر السابق، ص ص 14-21

³ . محمد أعيف، توات مساهمة...، المرجع السابق، ص 34

⁴ . A.G.P. Martin, **Les Oasis Sahariennes**, Op.Cit, pp.249-279

⁵ . Voinot Louis, **Le Tidikelt**, étude sur la géographie l'histoire les mœurs du pays, editions jacques gandini, Oran 1909, p.20

⁶ . رافعي محمد محي الدين، الفقارة تراث محلي وعبقورية في الصناعة تتحدى الاندثار، يوم دراسي بعنوان: تراث الفقارة بين تدابير الحماية وتحديات الاستدامة، صفحة أقواس الإعلامية، 2023/03/06، التصفح يوم: 2023/12/21، التوقيت: 19:35، <https://aqwas.net>

هي أسوأ مما كانت عليه الفقرات خلال القرن 19م، ومنه نستنتج أن المنطقة كانت تتضرب بعدد لا بأس به من الفقرات سابقاً.

1-2- التمور والمحاصيل الزراعية:

كانت المنطقة معروفة بإنتاجها الوفير لكثير من المحاصيل الزراعية على رأسها التمور والحبوب والتبغ والحناء، بحكم اعتماد الناس على حياة الواحات والسقي الوفير من خلال نظام الفقرات، فقد بلغ مثلاً عدد النخيل في توات الوسطى سنة 1906م حسب إحصائيات فرنسية حوالي 453490 نخلة، وبلغت كمية الإنتاج من القمح والشعير في قورارة وحدها سنة 1904 حوالي 23000 قنطار¹. وفي تيديكلت حسب الإحصاء الفرنسي لسنة 1902م بلغ تعداد النخيل حوالي 315793 نخلة ذات محصول، مما يمكن القول أنها كانت تنتج سنوياً 6000 طن من التمر، وبين جنبات النخيل كان يزرع القمح والشعير والبطيخ والخضروات والفواكه مثل التين والرمان والعنب².

في حين يذكر العقيد (هـ. بيسال H.bissuel) في كتابه (الصحراء الفرنسية) أن توات الوسطى كان فيها حوالي 3 ملايين نخلة، و1.5 مليون نخلة في تيديكلت، وأن قورارة لم تكن تقل عن 2.5 مليون نخلة تنتج أجود أنواع التمور³. وهناك من يزيد عليه بأضعاف وإحصائيات لافتة، ورغم ذلك التضارب في الأرقام إلا أن معظم الدراسات والمعطيات الفرنسية كانت ترى في توات مدى قوة وكثرة إنتاج التمور والنخيل بها.

تلك الأنواع من التمور كما يقول مولاي مبارك عوبيدي الهبلوي (1938-2013) كانت تفوق المائة صنف، وفي كتابه (قورارة وتوات وما عليه احتوت من الفقارة إلى الساقيات) أورد منها ما

¹ . عبد الله بابا، الحياة الاجتماعية والإقتصادية بتوات...، المرجع السابق، ص 242، 248

² . Voinot Louis, **Le Tidikelt**, Op.Cit, pp.25,26

³ . H.bissuel, **Le Sahara Français**, Op.Cit, pp.14-31

استطاع تذكره في قائمة من 62 صنف، أشهرها: تَلْمَسُو، تَنْقُور، تَنْأَصْر، تَقْرَبُوش، بَمْخَلُوف وغيرها¹.

وهو رقم ليس ببعيد عما قاله (مارتن أ.ج.ب) بأن توات كان فيها حوالي 153 نوعاً من التمر².

ويخصوص الزراعة في توات، فقد كانت تُسقى بِسَاتِينِهَا من فقارات طولها مجمعة حوالي 2000 كلم، لا ينبت فيها النخيل فحسب، بل كذلك القمح والشعير والتبغ، وكانت تصدر منتجاتها إلى الجنوب المغربي والجنوب الوهراني والسودان³، حتى أن ابن الدين الأغواطي قال أن تيميمون وحدها كان لها سوق عظيم فيه التمر وغيره من الثمار، ويباع فيه العبيد وتراب الذهب بكثرة، وفيها مياه غزيرة، وقال أيضاً عن أولف أن فيها الماء الوفير والتمر والعبيد بكثرة، وأن توات الحنّاء كانت تنتج التمر والحنّاء بكميات وفيرة⁴.

ومن أهم مناطق توات في إنتاج الحبوب كانت بودة التي تقع في نهاية وادي الساوره، ثم تأتي قورارة التي كانت "مغللة في القمح دون غيرها من البلاد"⁵؛ فقد كان القمح والشعير والحبوب عموماً من المنتجات الفلاحية التي تأتي بعد التمر رغم قلة إنتاجها الذي لم يكن يحقق الاكتفاء الذاتي، حيث تشير بعض الإحصائيات مطلع القرن 20م، أن إنتاج مناطق توات من القمح والشعير قدر بحوالي 48 ألف قنطار موجهة للاستهلاك المحلي⁶؛ ومنه نستنتج أن إنتاج القمح كان قليلاً، وهذا ما ذكره صاحب (كتاب دائرة المعارف) حيث قال: "وفي توات من القرى ما يقول الأهالي أن عدده كعدد أيام السنة، وأما قوتهم فمعظمه من التمر ويأكلون أيضاً الجراد والغنم، ويُجلب لهم القمح من بلاد التلول..."⁷.

¹ . مولاي مبارك عوبيدي، قورارة وتوات وما عليه احتوت من الفقارة إلى الساقيات، تح: عبد الله حمادي الإدريسي، دار كوكب العلوم للنشر، الجزائر 2023، ص ص 42-45

² . A.G.P. Martin, *Les Oasis Sahariennes*, Op.Cit, p.298

³ . تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الأيالة السعيدة، المطبعة الملكية، الرباط 1962، ص 7

⁴ . ابن الدين الأغواطي، مجموع رحلات: رحلة الأغواطي، المصدر السابق، ص ص 93، 94

⁵ . ابن بابا حيدة، القول البسيط...، المصدر السابق، ص 26

⁶ . محمد حوتية، توات والأزواد، ج1، المرجع السابق، ص 116

⁷ . بطرس البستاني، كتاب دائرة المعارف، مج6، المصدر السابق، ص ص 200-262

1-3- الثروة الحيوانية:

أما تربية الحيوانات الأليفة فقد تمثلت في المواشي التي كانت تربي في البساتين والبيوت نظراً لقلة المراعي، باستثناء الجمال التي كانت تربيتها تكثر في نواحي قورارة وتيديكلت لوفرة الأودية ومراعي البور؛ وقد ضرب لنا الشيخ سيدي ضيف الله بن محمد بن أب التواتي مثلاً في رحلته سنة 1160هـ/1747م، عن قصر أولاد محمود بأنه كان بلدة مرج ترعى فيها الإبل، و"جنان باسًا" في دلدول التي قال عنها أنها كانت "بلدة طيبة ليس بها سباح، وأنها كثيرة الغنم، جل غنمهم ماعز كأن قرونها عصا، وضروعها تتدلى..."¹؛ وذلك دليل على وفرة المراعي والماشية في تلك المنطقة حينها. ويذكر الناس في منطقة دلدول أن المراعي التي توفرت عليها البلدة زمن الشيخ بوعمامة (1883-1894) كانت كثيفة لدرجة أنها تغطي حتى على الرؤية، وكانت الشجيرات الكثيفة تكفي لتكون كهيفة مربط للخيول والبغال².

ففي منطقة تيديكلت كانت الثروة الحيوانية بأرقام تقريبية كالتالي: الإبل 600 رأس، الحمير 700 رأس، الأغنام والماعز 3500 رأس³. ويذكر ابن الدين الأغواطي في هذا السياق أنه رأى في قورارة أغناماً كغنم السودان، وأنه كانت توجد بها الخيول بكثرة، وأن أهل تيميمون كانوا يملكون قطعاناً كبيرة من الماشية، وأنهم يدفعون الزكاة، وأن لهم تجارة مع الطوارق...⁴. ورغم ذلك فكتابات الرحالة الفرنسيين على العموم أشارت إلى قلة الثروة الحيوانية، وأن أهل توات كانوا يعتمدون على بلاد السودان وشمال الصحراء الجزائرية في سد حاجياتهم من اللحوم.

1-4- الصناعة والحرف:

¹ . ضيف الله بن محمد بن أب التواتي، رحلتي لزيارة قبر الوالد، ج1، المصدر السابق، ص ص 479، 480.
² . عبد الحي بن محمد طلباوي، من مواليد سنة 1943، من أعيان قصور دلدول، نقلاً عن والده سي محمد بن أحمد (1873-1968)، قصر أقبور دلدول ولاية تيميمون، 2024/01/03، الساعة: 12:40 زوالاً، مقابلة شخصية.
³ . Voinot Louis, Le Tidikelt, Op.Cit, p. 27.
⁴ . ابن الدين الأغواطي، مجموع رحلات: رحلة الأغواطي، المصدر السابق، ص 93.

لم تكن بتلك الأهمية والوفرة الإنتاجية نظراً لقلّة المواد الأولية آنذاك، لكن رغم ذلك فقد اهتم ناس المنطقة بجلب الحرفيين والعبيد وتسخيرهم في قطاع الزراعة والصناعة التقليدية، ومن بين أهم ما كان يُنتج حرفياً الصناعة الفخارية، والصناعات الخشبية المشتقة من مكونات النخيل، ودباغة الجلود وبعض الزرابي والمنسوجات وصناعة الحلي. وقد أشار (فوانو L.Voinot) إلى أن الصناعة المحلية في توات كانت شبه منعقدة وتركزت بدرجة كبيرة في ناحية تيديكلت، حيث كانت النسوة تتسجن بعض الحلي ومواد الصوف وصناعة الفخار، وفي القصور كان "المعاليم" يصنعون بعض المواد النحاسية والحديدية والأسلحة والتحف الفنية الجلدية مثلاً¹.

ولأنّ إنسان توات في القرن 19م كان يعتمد على تكييف حياته وفقاً لحاجياته اليومية، فقد ألزمته الحاجة إلى النحت من الطين الأواني، ومن الحجارة الأدوات المنزلية، ومن الخشب المصنّفات المشتقة من النخلة خصوصاً، كصناعة الأبواب والمفاتيح والحبال والأطباق بشتى أنواعها الوظيفية، ومن الحديد الفؤوس ومواقد الطهي ومغازل النسيج والسكاكين والأسلحة، وللزينة تميز البعض بصناعات فضية ونحاسية وغيرها، وعلى هذا الأساس ظهرت في توات حرفاً كثيرة ومتنوعة مثل البنّائين والفخّارين والحطّابين والعطّارين والحذّادين والصيّاعين والكيّالين والجزّارين والحمالين والخزّازين وحتى المشاطات والسقايات²، وكلها كانت حرفاً إجبارية استنزائية³.

وإذا كانت جهة تيديكلت قد تميزت بالصناعة الجلدية التقليدية وخاصةً قصور أولف وما جاورها، فإن قصوراً أخرى مثل اسبع وأولاد محمود كانوا يصنعون البارود⁴، أما قصور تينركوك في جهة قورارة فقد تميزت بالصناعة النسيجية كالأغطية والملابس والزرابي، وأخذت شهرة محلية وخارج المنطقة بما

¹ . Voinot Louis, **Le Tidikelt**, Op.Cit, p.38

² . الصيّاعين: حرفيي الذهب والفضة، الخزّازين: حرفيي الجلود، المشاطات: المشاطات للنساء بأجر، السقايات: الجالبات للماء من الفقارة بأجر.

³ . مبروك مقدم، **بنائية تقسيم العمل المأجور...**، المرجع السابق، ص ص 67-73

⁴ . أوجين دوماس، **الصحراء الجزائرية...**، المصدر السابق، ص 193

يُعرف بالدكالي وأغطية فاتيس، والدُكالي تم نسجه أول مرة في تيميمون عام 1851 من طرف امرأتين من الزناتة وواحدة حرطانية وبيعت أول قطعة منه للطوارق، ثم أضافوا له عدة ألوان ليُباع بسعرٍ أغلى، أما في فاتيس فقد ذُكر لأول مرة سنة 1909 في التقرير السنوي لمصلحة قورارة¹. وفي الصناعة أيضاً يُذكر أن التواتيين استطاعوا حتى استخراج بعض المعادن واستغلالها، كالجير والجبس وملح البارود وملح الطعام، وقد تميزت تيميمون واسبع وكالي بذلك². ورغم ضعف الصناعة في المنطقة إلا أن تلك الحرف أعطت للسكان شهرةً وتميزاً، فعُرفوا بأنهم أهل نشاط في الصناعة، غير أن النجاح عندهم كان متوقف على تجارتهم...³

ورغم أن الصناعة التقليدية لم تكن بدرجة ازدهار الزراعة والتجارة في المنطقة، إلا أنه ومما يمكن استنتاجه من كل تلك الحرف والصناعات التواتية، أن البستان عموماً والنخلة خصوصاً كانت تمد الإنسان هناك بالمادة الأولية في أغلب المصنوعات والمأكولات والمشروبات، حيث كان يستخرج منها ما يزيد على 40 منتجاً وأداة محلية، وعشرات الحرف والوظائف كانت ترتبط بالنخلة وحدها⁴، بل ومما تناهى إلى علمي من خلال احتكاكي ببعض كبار السن، أنه كانت من شروط إقامة صلاة الجمعة في القصور الجديدة، أن يوجد عند أهلها بعض الحرفيين كالحداد والكيال⁵.

2- الازدهار التجاري لمنطقة توات:

ربما يجد البعض أن بعض الكتابات أشارت إلى معاناة أهل المنطقة من الفقر والحاجة، وأنهم لم يكونوا من ذوي الغنى والرفاهية، حتى أن تقاريراً مخزنية مع نهاية القرن 18م كانت تصف واحات

¹ . Jean Bisson, *Le Gourara Etude de Géographie Humaine...*, Op.Cit, p.133

² . فرج محمود فرج، إقليم توات...، المرجع السابق، ص ص 60، 61

³ . بطرس البستاني، كتاب دائرة المعارف، مج6، المصدر السابق، ص ص 200-262

⁴ . محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج1، المرجع السابق، ص ص 75، 76

⁵ . الكيال: من الكيل والمكيل، والمقصود به هنا ذلك الحرفي الذي كان يقسم الماء في الفقارة بأدواته المحلية المخصصة.

توات بالفقر¹، ومثلها قال ابن بابا حيدة "أن تواتنا هذه أرض جذب وقلة مع بركة وقناعة..."، وقال أيضاً "إن قلّ فيها الرزق فقد كثر فيها الأمان والإيمان..."، وهو الذي عاش خلال القرن 18م ومطلع القرن 19م²؛ لكن على عكس تلك القراءة نجد شهادات كثير من الرحالة يذكرون مدى الازدهار التجاري لمنطقة توات، مما يدل على اختلاف التوصيف من قصرٍ لآخر ومن زمنٍ لآخر، فالعياشي مثلاً عند مروره على قصور تسابيت يقول أنهم باعوا فيها خيولهم وإبلهم، واشتروا منها التمر التي وجدوها هناك وفيرة ورخيصة، والرحالة الألماني (جيرهارد رولفس) سنة 1864م أشار إلى أن سوقها كان لا يزال يتمتع بنشاط لأبأس به³، ونفس الشيء عن ابن الدين الأغواطي الذي أكد نفس الرؤية خلال معاینته لأسواق المنطقة.

ففي القرن 19م كانت توات لا تزال تتمتع بذلك الرواج الاقتصادي -السالف الذكر في بداية هذا البحث- خاصة في تجارة الذهب والتمر والتبغ والعبيد والمخطوطات، حيث ذكر بارث (Barth) أن توات كانت تشكل خزاناً تجارياً كبيراً بين تافيلالت وسجلماصة وتمبكتو، وأنه شاهد قافلة كبيرة من توات وهي تغادر تمبكتو في شهر محرم 1270هـ/ أكتوبر 1853م، ومثله قال (بول سولايي) في تقريره إلى الغرفة التجارية الفرنسية بالجزائر سنة 1874م عن موقع واحات توات البالغ الأهمية تجارياً، كما ذكرت بعض المصادر أنه كان في تمبكتو لوحدها سنة 1270هـ/ 1870م حوالي 600 تاجر تواتي مقابل 25 تاجر فقط من تافيلالت؛ وأما أوجين دوماس فقد قال أن توات تميزت بأسواق كثيرة ومتخصصة، كسوق القماش، وسوق السمّن، وسوق السراجين، وسوق العبيد، وسوق العطّارين، وسوق الأغذية، وسوق الماشية، وسوق التبغ⁴.

وازدهرت التجارة في منطقة توات إلى درجة أنها صارت من مظاهر الاستثمار المالي لدى أهل

1. نور الدين بن تيشة، الأسيرة في منطقة توات...، المرجع السابق، ص 231

2. ابن بابا حيدة، القول البسيط...، المصدر السابق، ص 11

3. فرج محمود فرج، إقليم توات...، المرجع السابق، ص 64

4. مبارك جعفري، مقالات وأبحاث...، المرجع السابق، ص ص 67-73

المنطقة، حيث يذكر صاحب (درة الأقاليم) أن إحدى الزوايا كانت تملك 900 بعير تتاجر بها في بلاد السودان، وقبيلة اقدوع في رقان -مثلاً- كانت لهم تجارة مع بلاد التكرور في الرقيق وعروض سلع وبضائع أخرى بيعاً وشراءً كالكسوة والدواب، من وإلى بلاد التكرور وقصور توات وتيديكلت وقورارة¹. ويصف الأغواطي رحلة القوافل التجارية بين السودان وتوات، بأنها كانت في بداية السنة تصطف وراء بعضها في عدة صفوف، كل صف كان فيه 200 بعير، كانت البضائع المستوردة كالعبود وتراب الذهب، وفي المقابل كانت توات تصدر الحرير والحديد والزجاج وغيرها².

وكانت معاملات توات في التجارة مع 6 اتجاهات: الجنوب الوهراني، جنوب الجزائر العاصمة في امتداد من بسكرة إلى قابس، وإلى جهة الشرق حيث غدامس وغات وغيرها، وإلى بلاد الهقار، وإلى الجنوب حيث السودان الغربي، وإلى الغرب حيث منطقة الساورة وتافيلالت³؛ وإشارة لحجم التجارة بين توات والمناطق المتعاملة معها، يقدم لنا الدكتور فرج محمود فرج نقلاً عن مصادر فرنسية كجريدة المبشر، أرقاماً دقيقة عن القوافل التجارية التي كانت تسافر من شمال الجزائر إلى قورارة أواخر عام 1899 وبداية سنة 1900م، نلخصها في الجدول التالي⁴:

جدول رقم 03: حركة القوافل التجارية بين قورارة والتل الجزائري 1899-1900م

القافلة	التعداد البشري	عدد الإبل	السلع والبضائع	
			إلى توات	من توات
عين الصفراء	61 شخص	170 جمل	الضأن، السمن، الجبن، الصوف، الدقيق، القمح، الأطباق، التوابل،	التمور بشتى أنواعها،
دائرة المشربة	931 شخص	3028 جمل		

¹ محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأقاليم...، المصدر السابق، ص 49، 50.

² ابن الدين الأغواطي، مجموع رحلات: رحلة الأغواطي، المصدر السابق، ص 95.

³ A.G.P Martin, Les Oasis Sahariennes..., Op.Cit, p.316.

* ينظر الملحق رقم 30 ص 419.

⁴ فرج محمود فرج، إقليم توات...، المرجع السابق، ص 119-135.

ملحقة سعيدة	566 شخص	1142 جمل	الشعير، الفول، الزيت، الشحم، الصابون، الشمع، القهوة، القماش، السكر، الفلل الأسود.	الحناء، القفف، الحياك، وبضائع أخرى مختلفة.
دائرة البيض	677 شخص	1202 جمل		
قافلة الطرافي	1024 شخص	2911 جمل		
المجاميع	3259 شخص	8453 جمل	297676 فرنك	273180 فرنك

وكذلك التجارة من تيديكلت تميزت بالتنوع من حيث طبيعتها ومناطق التبادل فيها، كانت تقوم مع غرداية والمنيعية وورقلة من جهة، ومع توات وقورارة والسودان وبلاد الطوارق من جهة أخرى، فالأولى تتكون من 10 إلى 40 جمل في القافلة الواحدة، والثانية من 100 إلى 200 جمل، وكمية التمور التي كانت توجه للطوارق وحدهم بلغت حوالي 311 طن/1904م، ناهيك عن منتجات أخرى مثل القطن والتبغ والحناء والبخور والقماش والمصنوعات الجلدية، وحتى السكر والشاي والزيت وغيرها¹.

وللإشارة فقد كانت المنطقة تتعامل تجارياً بأسلوب المياضية والعملات النقدية، حتى أن منطقة قورارة تميزت عن غيرها بسكها لعملة خاصة بها سُميت "الفرافر" رغم أنها كانت مجرد عملة محلية زهيدة وغير مؤثرة*، ولا يتم التعامل بها إلا حينما لا تتوفر العملات الأخرى، ومن العملات التي كانت متداولة بتوات قبل الاحتلال الفرنسي نجد عملات جزائرية عثمانية ومغربية وإسبانية، مثل: المثلث، والموزونة، والدرهم، والفلس، والريال²؛ ثم بدأ الفرنك الفرنسي يزحف مع الزحف الفرنسي الاستعماري.

وعلى العموم فمن خلال دراستنا لأوضاع توات اقتصادياً، لم نجد في المصادر والمراجع التاريخية ما يدل على أن المنطقة خلال القرن 19م عانت أزمات اقتصادية مؤثرة، بل حتى أن التذبذب في الإنتاج الزراعي وحركة القوافل التجارية من سنة لأخرى لم يكن بذلك السوء الذي عانت

¹ . Voinot Louis, **Le Tidikelt**, Op.Cit, pp.37,38

*. سمعت في إحدى الجلسات بتيميمون أن ضرب هذه العملة كان يتم في قصر تورسيت، تيميمون في 2024/07/23.
² . عبد الله بابا، **الحياة الاجتماعية والاقتصادية...**، المرجع السابق، ص ص 282-242

منه منطقة توات خلال القرون السابقة؛ فهذا الشيخ محمد باي بلعالم مثلاً يؤرخ لبعض الأزمات التي ضربت المنطقة، فيذكر منها أزمات اقتصادية كانت في سنة 1010هـ عام القحط العظيم، وفي 1053هـ جراد عظيم دام سنتين، وفي 1076هـ قحط شديد، وأزمات أخرى كانت في 1929م-1933م و1944م، والملاحظ أنه لم يذكر ولا أزمة خلال القرن 19م¹. وفي نفس السياق عاشت توات خلال القرن 18م أزمة حادة وبالضبط سنة 1116هـ/1704م حيث غلا فيها كل شيء حتى صار يباع البستان بربطة من اللفت، نظراً للحروب والفتن بين القبائل، وأزمة مجاعة وأوبئة وجراد سنة 1906م².

المبحث الرابع: الأوضاع السياسية

مقارنة بالأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية السالفة الذكر، والتي غالباً ما تميزت بالحيوية والازدهار، فقد عرفت منطقة توات خلال القرن 19م أوضاعاً سياسية مضطربة في معظم الأحيان، ذلك لأن منطقة توات في كل قصورها وجهاتها قد عاشت كثيراً من التقلبات والتغيرات، جزءاً منها بسبب تأثرها بأحداث دول الجوار كالجزائر والمغرب والسودان الغربي، ومن جهة أخرى كانت الأحداث الداخلية بين قبائل وقصور المنطقة صراعاً وتنافساً قد رمت بظلالها على الحياة السياسية والأمنية برمتها، والتي سنشير إليها من خلال مظاهرها وأحداثها المتعلقة بالقرن 19م على وجه الخصوص.

1- الأحوال الأمنية:

عند أول زيارة لك لقصور توات ذات العمران الطيني الحجري، سترى تلك القصبات ذات الأسوار والأبراج المحيطة بها، والفجوات والفتحات التي تتخلل حيطانها وأسوارها، بل وهناك قصوراً حُفرت على جنباتها وحوافها خنادقاً عميقة، وأحكمت إغلاقها بأبواب عظيمة، وكلها تعطيك نبأً على أن المنطقة كانت تعاني اللا أمن واللا استقرار، وأن تلك المظاهر العمرانية العسكرية كانت قد فرضتها

¹ . محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج1، المرجع السابق، ص ص 69، 70

² . كريمة مقدم، "المجاعة بتوات إبان الاحتلال الفرنسي 1944-1945 على ضوء سجلات الأحباس والتركات وفتاوى الفقهاء"، مجلة عصور الجديدة، مج11، ع2، مارس 2021، ص ص 577، 580

على قبائل وقصور توات، تلك الفتن والأهوال الداخلية والغارات والغزوات والاعتداءات التي لم تتوقف إلا لفترات منقطعة.

1-1 - الغارات والغزوات:

قد يطول بنا الكلام إذا عدنا للوقائع والأحداث التي عاشتها قصور توات منذ قرون سابقة، وهي التي كانت منطقة سائبة لا تخضع لدولة رغم ازدهارها التجاري والثقافي، ولعل تلك السببية التي تميزت بها كانت من أسباب ظروفها السياسية والأمنية المتذبذبة؛ ومن مظاهر تلك الأوضاع الأمنية غير المستقرة، أن توات في منتصف القرن 12هـ عقدت صلحاً واتفاقاً على الأمان بينها وبين البرابر من قبائل جنوب تافيلالت والتي كانت تغير وتعتدي من حين لآخر على المنطقة، وكان يقود ناس توات أعلاماً من آل البكري ومن البرابر آيت خباش وآيت أزديق¹؛ وأنه كانت تقوم بين القصور تحالفات داخلية وأحياناً تتقوض جهة ما ضد أخرى، كما حدث خلال القرن 12هـ بين قصور تيمي وتمنيط، حيث انفك التحالف بينهما واستعان بعضهم بأهل بودة لإسقاط بعض زعاماتهم².

فقد كانت توات وما جاورها من المناطق السائبة في الصحراء قبيل الاحتلال الفرنسي، ولذلك ساءت أحوالها الأمنية بتعرضها من حين لآخر لفتن داخلية وغارات خارجية من قبائل الجوار³. والأحداث والتواريخ عنها كثيرة مذكورة في مصادر محلية وأجنبية، لخصنا بعضاً من وقائعها استناداً لتقايد محلية⁴، ولوثائق ومعلومات أوردها الفرنسي (مارتن أ.ج.ب) في كتاباته⁵، والرحالة الألماني جيرهارد رولفس⁶، ولمحطات تاريخية عن أحداث حواضر ولاية أدرار⁷، كما يلي:

1. محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأقاليم...، المصدر السابق، ص 39

2. نفسه، ص 16

3. عبد الله بابا، الحياة الاجتماعية والاقتصادية بتوات...، المرجع السابق، ص 29، 30

4. محمد عبد الحق بن عبد الكريم البكري، تقييد حول تاريخ توات وتمنيط، خزانة أولاد القاضي، تمنيط الجزائر، ص 6-8

5. A.G.P Martin, Quatre Siecles..., Op.Cit, pp.166-231

6. Gerhard Rohlfs, Voyages et Explorations au Sahara, Op.Cit, p.205

7. العقيد بن دحو، كروولوجية ومسرد أحداث حواضر ادرار الثلاث، كتبها بتاريخ 2015/08/17، التصفح 2021/03/05 بتوقيت: 14:45 زوالاً، <https://archive.li/http://www.aswat-elchamal.com/ar/>

جدول رقم 04: الأحداث الأمنية في توات خلال القرن 19م

1800: استقرار تام في المنطقة.	1848: هجوم من صف يحمى في تيمي وعين صالح على قصر برينكان السفيناني.
1803: هجوم قبائل الأعراب على قصور تيمي.	1850: قتال عنيف بين أولاد مولات وأولاد زنان قرب فنوغيل.
1806: بعض الطوارق يفرون من الجراد ويستقرون غرب رقان، وينهبون القوافل التواتية.	1855: اتفاق بين الغنامة وناس فنوغيل.
1807: صراع بين أولاد علي بن موسى وأولاد بويحيى بتمنطيط.	1859: اعتداء الأعراب على زاوية تينيلان والزاوية البكرية.
1808: نزول جيش دوي منيع وجماعة يحمى في تمنطيط.	1862: حرب بين الغنامة وتيمي.
1809: اتفاق سلام بين جماعة (يحمى) و(سفينان).	1870: جولة الغنامة في توات وحرب بعين بلبال.
1816: حرب بين حليف بودة (الغنامة) وتيمي.	1871: اتفاق أخوة وسلام في المنطقة.
1819: هجوم التواتيون على الغنامة.	1876: حرب في جنوب بودة بين أولاد مولات وأولاد زنان.
1826: محاولة باشا وهران الهجوم على الواحات.	1883: الشيخ بوعمامة في لدول واتفاق سلمي بين تيمي والبرابر.
1827: حرب بين توات وتيديكلت بسبب قافلة من بوفادي.	1885: عقد تأسيس بين قصور فنوغيل المتفكة.
1828: اقتتال في قصور نومناس وتيطاوين وبني تامر والمنصور بتمنطيط.	1886: مقتل مارسيل بالات قرب حاسي الشيخ.
1830: بودة والبرابر تهاجم تيمي وتنهت توات، ثم انعقاد صلح وسلم.	1887: اتفاق بين أولاد محمد وناس بودة، وغارة من أولاد المولات على سالي.
1834: اتفاق بين البرابر وقصر عريان الراس.	1889: مقتل الرحالة كاميل دولس قرب أقبلي.
1844: هجوم على برينكان ولمعيز والمطارفة.	1894: مقتل القايد حسون من طرف الغنامة.

1846: أولاد بوفادي يغيرون على تيدكيلت.	1895: بعثة تأديبية من توات ضد الغنائمة.
1847: مقتلة عظيمة بين أنصار يحمّد في قصر اسبع والمحارزة في صف سفيان، خلفت 450 قتيل.	

وتجدر الإشارة إلى أن معظم حالات الاقتتال الداخلي كانت جراء الصراع بين صفّي يحمّد وسفيان، أما معظم الغارات على توات من خارج قصورها كانت بدافع اقتصادي، من قبائل دوي منيع والبرابر القادمين من جنوب تافيلالت وعلى رأسهم قبيلة آيت عطا وآيت خباش، والغنائمة الأعراب الذين كانوا يشكلون أكبر تجمع سكاني في وادي الساور، من قصور الواتة، وبوخلوف، والزاوية الكبيرة، وكرزاز، وبن يخلف، وتيمودي، ولقصابي... وغيرهم¹.

وعن تلك الأحوال السائبة بدون حكم ظاهر، ما قاله التتيلاني عبد الرحمن بن عمر في فهرسته أنه: "لما كثرت الخصومات بتوات ألحوا عليه -أي على شيخه المؤلف- في تولية الفصل بين أهل الخصومات ولم يرتضوا غيره وخاف من الهرج والفتن، فقبل ذلك وأحسن السيرة وأظهر العدل، ولم يخف في الله لومة لائم، فانقاد معظم الناس لحكمه من غير وجود حاكم يجبرهم عليه بل هبة من الله تعالى²؛ مما يعني أن توات أواخر القرن 18م وطيلة القرن 19م كانت لا تخضع لأي دولة سياسياً.

ومن الشهادات المحلية الموثقة ما قاله الشيخ محمد بن عمر بن الحبيب البوداوي (كان حياً سنة 1312هـ/1895م) عن سبب تأليفه لكتابه المخطوط (نقل الرواة عن من أبدع قصور توات) -وهو شاهد عيان ومؤرخ في زمانه- أنه فعل ذلك لما رأى هذا الإقليم التواتي أمره غير منضبط، وأنه لم يجد من أهله من اعتنى بخبر يأتي عنه منبسط³؛ بمعنى أن ظروف المنطقة كانت مضطربة وغير

1. محمد أعفيف، توات مساهمة...، المرجع السابق، ص 40

2. عمر بن عبد القادر التتيلاني ت 1152هـ/1739م، فهرس شيوخ، تح: عبد الكريم طموز، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة 2011، ص 27

3. محمد بن عمر البوداوي، نقل الرواة...، المصدر السابق، ص 1

مستقرة. وبعدها كثرت في قصور توات الاعتداءات وحالة التسيب وبدى واضحاً غياب أي دولة حاكمة وراذعة، يذكر (مارتن أ.ج.ب) من خلال وثيقة مؤرخة بسنة 1805، أن مندوبين من تيمي وتمنطيط وأوقروت ودلدول والمطارفة وتيميمون والخنافسة اجتمعوا في زاوية سيدي أحمد بن عثمان بتيميمون، وقرروا تنظيم قوة شرطية لتأمين المنطقة والدفاع عنها¹.

1-2- فتنة صفي محمد وسفيان:

تختلف المصادر في تفسير أصل وتاريخ بداية ظهور هذه الفتنة، فهذا صاحب مخطوط (درة الأقاليم) يقول عن هذه الفتنة على أساس أنها كانت شبيهة بحروب قريش والمسلمين، حيث لما كثر استيطان المنطقة من الزناتة والقبائل العربية، اشتدت العداوة والصراع بين الناس حتى استعان الزناتة بالعرب على بعض ولم يبالوا بأي سلطان خارجي، وقد قيل فيهم "أن أهل الصحراء اشتد الحرب بينهم مثل الحرب الواقعة بين أحمد وأبي سفيان..."، والمقصود بها تشبيهاً بما وقع بين النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان قبل إسلامه².

ومن أغرب التفسيرات ما ذكره رشيد بليل بأن هناك طرْحاً عن قورارة ذكر وجود معارضة محلية بين الزناتة المنتمين لصف سفيان، والعرب المشكلين لصف محمد، ربطها بصراع المرينيين والموحدين والذي كان بين بنو هلال وزناتة، واستند في ذلك على قول (دولامارتينيير De la Martiniere) و(لاكروا Lacroix)، ففي نظرهما "أفراد سفيان تحزبوا للموحدين، بينما أعان أفراد محمد المرينيين على إزاحة الموحدين"، ثم يقول في طرح آخر مصدره الروايات الشفوية أن صراع محمد وسفيان كان صراعاً بين أمويي الأندلس والفاطميين، أي: أن أفراد محمد كانوا من شيعة العلويين، وأتباع سفيان كانوا من أنصار معاوية³.

¹ . A.G.P Martin, *Quatre Siecles...*, Op.Cit, pp.120,121

² . محمد بن عبد الكريم البكري، *درة الأقاليم...*، المصدر السابق، ص 10
³ . رشيد بليل، *قصور قورارا وأولياؤها الصالحون...*، المرجع السابق، ص ص 44-46

وقد شغلت هذه الفتنة الرأي العام المحلي والخارجي، حتى أن بعض المراسلات المخزنية والفرنسية كانت تخاطب قبائل وقصور المنطقة بانتماءاتها الصفية لهذا الحلف أو للآخر*. وحتى أن الرحالة والمستكشفين الأجانب وقفوا على تلك الفتنة فكتبوا وأشاروا لها، حيث يذكر (مارسيل بالات) أن كل منطقة توات كانت منقسمة، فجماعة يحمد كان ينتمي إليها كل العرب تقريباً، وكانوا يشكلون الأكثرية، وصف سفيان كان يضم الزناتة وهم أكثر شجاعة، ولم تكن تمر سنوات دون اقتتال بينهما¹. وقد تجد مظاهر هذا الصراع حتى داخل القبيلة الواحدة فأحياناً كان أبناء الجد الواحد بعضهم في صف يحمد وبعضهم الآخر مع صف سفيان، وظل الفريقان على هذه الفتنة والانقسام حتى أهلك بعضهم بعضاً، وحتى سبط الله عليهم الاستعمار الفرنسي على أرض توات على حد قول مولاي امبارك اعبيدي²؛ ففي القبيلة ذات الأصل الواحد كان يوجد الانقسام، مما يدل على أن الولاء في تلك الفتنة كان لتيارات، وليس لانتماءات قبلية أو عرقية³.

ويتساءل الدكتور محمد الفاطمي ويستغرب أن أمر فتنة يحمد وسفيان لم يُذكر بتاتاً في كتب النوازل الفقهية المعاصرة مثل نوازل الجنتوري وغنية المقتصد للبلبالي ونوازل الزجلوي، فيقول: هل يُعقل أن يغفل هؤلاء الشيوخ شأناً كذلك القضية الخطيرة آنذاك؟؟ مما يجعلنا نشك أصلاً بوجود ذلك الصراع خلال تلك الفترة⁴؛ وحتى ولو كان الشك في محله لكن من باب آخر فالقضية قد تكون ظهرت بشكل مستفحل خلال القرن 19م، أو أن المشايخ والعلماء آنذاك فضلوا عدم الخوض في الصراع درءاً للفتنة؛ وقد أجاب بعض المهتمين عن هذا الانشغال حيث أشار لويس كولومب أن المصادر التاريخية

*. ولذلك يرى البعض بأن هذه الفتنة كانت مفتعلة من طرف المخزن ليسود ويستفيد في المنطقة.

¹. Marcel Frescaly (Lieutenant Palat), **Journal de Route**, G.Charpentier et Cie, Paris 1886, p.248

². مولاي مبارك عوبيدي، **قورارة وتوات...**، المرجع السابق، ص ص 52، 53

³. Jean Bisson, **Le Gourara Etude de Géographie Humaine**, Université d'Alger, Institut de recherches sahariennes, Mémoire n 3, 1955, p.9

⁴. محمد الفاطمي، **البيوتات العلمية بقورارة...**، المرجع السابق، ص ص 43، 44

لم تذكر بداية وحيثيات هذه الفتنة لكن الظاهر فيها أنها اشتدت خلال القرن 19م¹.

في حين يقول الدكتور إبراهيم مياي نقلاً عن (مارتن) أن المنطقة كانت مضطربة منذ مطلع القرن 19م، من خلال صراع الرئاسة بين فرعي يحم وسفيان، فزادها فرقةً واضطراباً مجيء فرقة مغربية سنة 1808م لجباية الضرائب، فظهر حينها ولد سيدي محمد في زاوية سيدي البكري مدعياً إمارة المؤمنين²، ولم تكتف توات بانقسامها الداخلي على أساس هذين الصفيين، بل استعانت كل طائفة بحلفاء من خارج المنطقة، إذ تحالفت فئة يحم مع عرب دوي منيع والطوارق، بينما انضمت فئة سفيان إلى الغنانمة والشعانية³؛ وهذه الاستعانة والاستقواء بالأجنبي كانت كذلك من المخاطر الأمنية التي هددت توات في مجتمعا واقتصادها.

وعن تحديد القصور حسب ذلك الانقسام، كانت جهة قورارة كالتالي (حلف يحم: خنافسة أوقروت، خنافسة قورارة، قصر بني مهلال والمحارزة، الدغامشة، قصور شروين، وتينركوك، وأولاد عيسى، وأولاد سعيد، ودلدول والمطارفة؛ وحلف سفيان في قورارة: قصور تيميمون، وطمين، وأوفران، وقصور أوقروت الشارف وبوقمة وأقبور وزاوية سيدي عومر). وأما تيديكلت فكانت كل قصورها ضمن حلف يحم، أما بالنسبة لتوات الوسطى فكانت كالتالي (حلف سفيان: أمقيدن، وقصور تسابيت ما عدا الهبله، وقصور سالي، وقصور رقان⁴، وقصور بودة، وقصور تمنطيط وبوفادي، وقصور زاوية كنتة، وأما صف يحم: قصور تيمي، وقصور أنزجمير وتامست، واسبع والقرارة)⁵؛ وبقيّة القصور غير المذكورة كانت محايدة في غالب الأحيان.

جدول رقم 05: توزيع قصور توات حسب الانتماء لحلف يحم وحلف سفيان

¹ . Louis de Colomb, *Notice sur les Oasis du Sahara*, Imprimerie de Ch.la Hure et Cie, Paris 1860, p.320

² . إبراهيم مياي، *توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912)*، المرجع السابق، ص 27

³ . محمد بن عبد الكريم البكري، *درة الأعلام...*، المصدر السابق، ص 17

⁴ . أحمد العماري، *توات في مشروع التوسع...*، المرجع السابق، ص ص 118، 119

⁵ . Abderrahman Selka, *"Notice sur Touat", Bulletin de la Société de Géographie d'Alger Et de l'Afrique du Nord*, Volume 23, N° 87-92, Alger 1922, pp.529-545

القصور	
قصور تيمي، وقصور أنزجيمير وتامست، واسيع والقرارة، خنافسة أوقروت، خنافسة قورارة، قصر بني مهلال والمحارزة، الدغامشة، قصور شروين، وتينركوك، وأولاد عيسى، وأولاد سعيد، ودللول والمطارفة، وكل قصور تيديكلت	حلف يحمّد
أمقيدن، وقصور تسابيت ما عدا الهبلّة، وقصور سالي، وقصور رقان، وقصور بودة، وقصور تمنطيط وبوفادي، وقصور زاوية كنتة، قصور تيميمون، وطممين، وأوفران، وقصور أوقروت الشارف وبوقمة وأقبور وزاوية سيدي عومر	حلف سفيان

2- الاستقطاب الخارجي للمنطقة:

يؤكد الرحالة التواتي مولاي أحمد بن هاشم (ت 1253هـ/1837م) من خلال اطلاعه على بعض كتب الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي أنه لم يجد عند وصوله إلى توات أية سلطة في المنطقة، إلى درجة أن بعض القصور كانت السلطة فيها بيد اليهود¹. ولعل ذلك ما جعل المنطقة من بين القضايا الكبرى التي شغلت الأتراك والمخزن المغربي والحكومة الفرنسية في فترات زمنية متعاقبة، حيث تعددت المحاولات والعلاقات لاستقطابها، وكثرت في شأنها المراسلات من حين لآخر خاصة بين 1800 و1902م، والتي كان أغلبها ذو طابع خاص يهتم بمحاولات التدخل الفرنسي في المنطقة تارة، وبين رد الفعل المخزني تارة أخرى، إلى أن ظهرت توات كمشكل دبلوماسي واستعماري بين المغرب وفرنسا.

2-1- توات والأتراك:

يذكر الباحث المغربي محمد أعيف أن الفرنسي (مارتن أ.ج.ب) عثر على مجموعة من الرسائل تلقتها قصور توات في فترات تاريخية مختلفة ومن جهات متعددة، كالزاوية الوزانية وأتراك

¹. مولاي أحمد بن هاشم، رحلة مولاي أحمد...، المصدر السابق، ص 3

الجزائر وأتراك طرابلس¹، ومن خلال تلك الرسائل تواترت زيارات استطلاعية للأتراك لمنطقة توات منها زيارة بدعوة من أهلها سنة 987هـ/1579م²، وجولة أخرى سنة 990هـ/1582م قادها ابن باي طرابلس -جعفر باشا- مرفوقاً بعشرة من العلماء المالكيين، واصطحبهم بعض علماء توات إلى غاية قصر بدرين في جهة قورارة، وفي عام 992هـ/1584م زار توات الشيخ العبلوي بن الطيب قادماً من أرض فزان³.

ولما وجه السعديين بقيادة أحمد المنصور الذهبي حملة ضخمة نحو توات سنة 986هـ/1578م، وخلفوا فيها أكثر من 1300 قتيل وأسرى وسبائا ما دفع بسلطان المنطقة للاستجداد بالحاكم العثماني البايبراي حسن فينزيانو، الذي أرسل بعد سنة حملة استطلاعية للمساعدة⁴؛ ونقلاً عن رشيد بليل في كتابه (واحات قورارة) أنه في سنة 1578م نظمت قبائل تافيلالت هجوماً لتخريب توات، فاتحدت الواحات وطلبت تدخل داي الجزائر، واستجاب هذا الأخير فأرسل رسائل تهديد للمهاجمين ومبعوثين إلى توات⁵، بل وحتى في سنة 1584م/992هـ لما تجدد زحف السعديين نحو الجنوب، وبالضبط على فيقيق (والقاف G) التي استولوا عليها بالقوة بعدما كانت تابعة للجزائر، كانت سلطات الأيالة قد أعربت عن غضبها، وتدخل الباب العالي لصالح الجزائريين⁶.

ونقلًا عن محاضرة بعنوان (أضواء على منطقة توات خلال القرن 16م) للأستاذ المالي عمر بن شروف، يقول المؤرخ التواتي محمد باي بلعالم أن توات في مطلع القرن 16م كانت قد مالت نحو

1. محمد أعيف، توات مساهمة...، المرجع السابق، ص 18

2. أحمد بوسعيد، الحياة الثقافية والاجتماعية...، المرجع السابق، ص 29

3. ومما ورد عن سبب مجيء هذه البعثات التركية من ليبيا، أن منطقة توات حينها كانت تتبع طرابلس، وأن اليهود المتضررين من حرب المغيلي اشتكوا للباشا في طرابلس، هذا الأخير قدم بعساكر كثر ووفود علماء، للمزيد ينظر: مؤرخ تواتي مجهول، ذكر ما وجد من تاريخ الأخبار التواتية، تح: عبد الله حمادي الإدريسي، الفوات من تاريخ توات وصحاري الجهات، ج1، ط1، دار كوكب العلوم، الجزائر 2023، ص ص 495-501

4. مقدم أم الخير، الحرف والمهن بحواضر توات خلال القرن 13هـ/19م، إش: عبد الله خي، أطروحة دكتوراه تاريخ معاصر، جامعة أدرار موسم 2022/2023، ص 67

5. Rachid Bellil, *Les Oasis du Gourara*, Editions Peeters, Paris 1999, p.124

6. قادة دين، "الحدود الجزائرية المغربية عبر التاريخ"، مجلة عصور الجديدة، مج7، ع27، أكتوبر 2017، ص 211

الشرق أكثر، أي: نحو الجزائر وتونس¹. وقد ذكر ذلك أيضاً صاحب مخطوط (درة الأقاليم)، بل وذكر أن توات وصل إليها حتى الحفصيين في أواخر حكمهم، والسعديين في أوج قوتهم، فقال "جاء المعتمد سلطان تونس لتوات سنة 833هـ، وفي سنة 954هـ جاء مولاي الناصر وانكسر في كبرتن"²؛ وهذه التجاذبات تدل على أن توات كانت منطقة حرة ذاتياً رغم أطماع دول الجوار فيها، لكن اللافت للانتباه أنها في حالة تعرضها للخطر ذكر المؤرخون عدة حالات عن تطلع التواتيين للجزائر العثمانية واستجداهم بها كذا مرة عن رغبة واختيار، ثم سريعاً ما يعودون للتحرر من أي تبعية.

ففي عهد صالح باي بقسنطينة تأخر بعض سكان توات عن دفع الضريبة، ومالوا للاستقلال الذاتي عن أي ارتباط خارجي، فقام صالح باي بغزو المنطقة سنة 1788م، وعلى ذلك الأساس أطلق اسم الباي على مدينة عين صالح، وبعد سقوط شمال الجزائر بيد الفرنسيين، كانت إمارة بني جلاب بتوقرت سنة 1850م قد وصل امتدادها حتى توات من جهة تيديكلت³. وتتكم كتابات فرنسية عن هذا الارتباط بالأتراك، بأن أهل توات رأوا أن يطلبوا حماية فرنسا وأن يدفعوا لها الضريبة كما كانوا يفعلون مع الدايات، وذكروا أن بعثة من عين صالح سنة 1857 وصلت إلى الجزائر العاصمة لذلك الغرض على منوال ما فعله بنو ميزاب⁴.

2-2- وأما عن محاولات المخزن:

البداية كما سلف ذكره كانت من السعديين منذ منتصف القرن 16م، حيث حاولوا غزو توات عدة مرات، ففشلوا في موقعة كبرتن سنة 1552م، وفي محاولة أخرى سنة 1557م حيث ردت عليهم كوكبة من جنود الأتراك، ثم في سنة 1578م كان أول انتصار بعد أن ارتكبوا مجازر رهيبة راح

¹ . محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج2، المرجع السابق، ص 47

² . محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأقاليم...، المصدر السابق، ص 52

³ . محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج2، المرجع السابق، ص 41

⁴ . Elisée Recluse, *Nouvelle Géographie Universelle la Terre et les Hommes*, Librairie Hachette et Cie, Paris 1886, p.849

ضحيتها أكثر من 1300 قتيل، وتوالت حملاتهم حتى إخضاع توات سنة 1584م على يد أحمد المنصور الذهبي، رغم أن قورارة انتفضت مجدداً ضدهم مما استدعى منهم حملة جديدة ضخمة سنة 1589م، وبدأ بعدها حكمهم يتلاشى شيئاً فشيئاً¹؛ مما جعل الدولة العلوية تتحى منحى السعديين وتسير حملة أخرى إلى توات سنة 1055هـ/1645م، نزل خلالها المولى امحمد بن الشريف في تمنطيط، وقام ببعض التنظيمات والإجراءات ثم القائد أحمد بن عبو ثم ضمت توات إلى سبلماسة، وتجددت زيارات ممثلي العلويين من أجل الاستفادة من خيرات وضرائب توات سنة 1652 و1671م². وقد اندلعت عدة ثورات عارمة في توات تمرداً على العلويين أيضاً، مثل الاحتجاج على الضرائب المجحفة والمعاملة السيئة من القياد، مما دفع بأهل تيميمون الثورة على القائد عبد العزيز سنة 1690، وتم الرد عليهم بقوة بتخريب بساتينهم ومحاصرة قصورهم، ومثل انتفاضة أولاد محمد في دلدول سنة 1711م ضد محمد الصفار عامل المخزن في المنطقة، وكان الرد أن حوصروا في إحدى قصبات أوقروت وجُوعوا فيها³، وثورة 1140هـ/1728م التي تزعمها الشيخ عمر بن محمد التمنطيطي وانتهت بطرد القائد المخزني حمدون، ثم تمكن المخزن بعد ذلك من إخماد الثورة⁴.

كما شهدت المنطقة ثورات الخنافسة والمحارزة وأولاد محمد أواخر القرن 18م، مما جعل المخزن يصف أهل توات قاطبةً بالمُصِرِّين على تغذية الفوضى والخارجين عن السلطة، ويدعوهم للطاعة أو الضرب بقوة ضدهم في رسالة لأحد خدامه وقضاته سنة 1211هـ/1797م⁵؛ واستمر ذلك التجاذب رديحاً من الزمن بين التمرد والاستقلالية تارةً، وبين الغلبة للمخزن بمنطق القوة تارةً أخرى، حتى كان العقد الأول من القرن 19م كآخر ما ذكرته المصادر التاريخية، من كونه أرّخ لآخر مراسلة وارتباط

¹ . محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج2، المرجع السابق، ص ص 48-54

² . مقدم أم الخير، الحرف والمهن بحواضر توات...، المرجع السابق، ص 68

³ . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, pp.68,79

⁴ . أحمد بوسعيد، الحياة الثقافية والاجتماعية...، المرجع السابق، ص 35

⁵ . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, p.110

بين توات والمخزن؛ خاصةً أن المنطقة بعدما كثرت فيها الاعتداءات وحالة التسيب وبدى واضحاً غياب أي دولة حاكمة وراذعة، يذكر (مارتن أ.ج.ب) من خلال وثيقة مؤرخة بسنة 1805، أن مندوبين من تيمي وتمنيط وأوقروت ودلدول والمطارفة وتيميمون والخنافسة اجتمعوا في زاوية سيدي أحمد بن عثمان بتيميمون، وقرروا تنظيم قوة شرطية لتأمين المنطقة والدفاع عنها¹.

ولعل رؤية أحمد مزيان في كتابه (المجتمع والسلطة المخزنية) من خلال تتبعه لمراسلات المخزن المركزي بعد منتصف القرن 19م مع ولايته ورعاياه في الجنوب المغربي ومع الفرنسيين، أن معرفة المخزن بالمجال الجنوبي كانت ضعيفة ومشوشة²؛ تدل على أن توات لم تكن تخضع للمخزن حينها؛ بل ويذكر أن السلطان "مولاي الحسن" سأل عن منطقة تندراة وحميان هل هي تابعة للمغرب أم لا؟؟ فأجاب قائد وجدة بوشتي البغدادي بأن تندراة وجبل فالط وحميان شافع من حساب الصحراء، وأن الصحراء لا حدادة فيها بين الجانبين³؛ فأن يجهل سلطان المخزن حدود وانتماء المناطق إلى مملكته، لدليل قاطع على غياب سلطته على تلك الواحات والقصور الواقعة جنوب "تندراة"، بل حتى أنه وفي سنة 1830م أكد سلفه مولاي عبد الرحمن استقلال واحات توات وقورارة، وإعفائها من الضرائب في رسالة وجهها إلى سكان المنطقة⁴، مما يعني التخلي الرسمي عن الإخضاع بالقوة والذي تميز به المخزن سابقاً، والذي لطالما رد عليه سكان المنطقة بالمقاومة والتمرد من حين لآخر.

ثم حاول المخزن استقطاب توات في أواخر عهد المولى الحسن بإرساله عدة رسائل تجاوزت 80 رسالة، وبعثات لشخصيات مخزنية إلى قصور وقبائل توات لكسب تأييدهم وإعلامهم بأن السلطان مهتماً ومتابعاً لأخبارهم ولخطورة الفرنسيين ضدهم، وما إلى ذلك من محاولات استباقية للمخزن على

¹ . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, pp.120,121

² . أحمد مزيان، المجتمع والسلطة المخزنية في الجنوب الشرقي المغربي خلال القرن التاسع عشر (1845-1912)،

ج1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط المغرب 2007، ص 248

³ . نفسه، ص 252

⁴ . إبراهيم مياشي، توسع الاستعمار الفرنسي...، المرجع السابق، ص 27

حساب فرنسا. ومن تلك البعثات: بعثة القائد الدليمي في 1889، وبعثة محمد الرشيد في 1890 و1891، وبعثة العربي المنيعي (نسبة لقبيلة دوي منيع) في 1891¹.

وعن تسيير أحوال وإدارة المنطقة، فقد كان أهل توات يعتمدون على نظام الجماعة -سبق وتطرقنا إليه في الأوضاع الاجتماعية- وإن كانت صلاحياته محدودة، فالمنطقة على العموم كانت متحررة تماماً، حتى ولو كان السكان أحياناً يدعون تبعيتهم لسلطان المغرب، فإنها في الواقع كانت وهمية فرضها التخوف من الاحتلال الفرنسي لا غير²؛ لكن المخزن استغل حاجة أهل المنطقة له من باب أنها الدولة المسلمة الوحيدة المتبقية بجوارهم، استجاءاً وتحالفاً ضد أي غزو فرنسي محتمل، فأعلن عن تنظيم إداري سنة 1892 منح بموجبه منطقة توات صفة مقاطعة، ونصب من خلاله مجموعة من القياد والقضاة بهدف التنظيم الإداري وجباية الضرائب³.

وعلى العموم، ما يمكن استنتاجه أنه في القرن 16م حاولت توات تأسيس قوة مركزية تهيمن على الواحات، ثم خضعت سنة 1584م بعد حملة أحمد المنصور، ومن 1584 إلى 1800 كان للمخزن نفوذاً متقطعاً على منطقة توات تداخل فيه الشأن مع الأتراك، أما ما بعد 1800 وإلى غاية 1880 فقد كانت واحات توات غير خاضعة للمخزن، ومن 1880 إلى 1900 برز الصراع والاستقطاب بين المخزن وفرنسا⁴؛ وهذه شهادات وكتابات عن باحثين مغاربة من دولة المخزن نفسه.

2-3- وأما عن المحاولات الفرنسية:

ليس من باب الصدفة أو المعرفة التي صاحبت حملات الاستطلاع والاستكشاف الفرنسية، أن تكون محاولات وصول المد الفرنسي إلى توات مرتبطة باحتلال شمال الجزائر، فقد أشار باحثون

¹ . أحمد العماري، توات في مشروع...، المرجع السابق، ص ص 104-107

² . Voinot Louis, *Le Tidikelt*, Op.Cit, p85

³ . أحمد العماري، توات في مشروع...، المرجع السابق، ص ص 117، 118

⁴ . محمد أغيف، "واحات توات في نهاية القرن 19 وبداية القرن 20م"، *مجلة دار النيابة*، العدد 5، طنجة 1985، ص ص 67-69

ورحالة فرنسيين أنه قبل 1830 كان سكان منطقة توات يدفعون الضرائب لداي الجزائر، وعلى ذلك الأساس كانت رغبتهم في التوسع الاستعماري واحتلال كامل القطر الجزائري، فكان الفرنسيون يقولون أنه "ستحل سلطتنا محل سلطة الدايات السابقة"¹.

أما معاهدة لالة مغنية² سنة 1845 فقد عبرت بوضوح عن تطلعات فرنسا نحو أقصى الجنوب، حيث ورد في شرطها الرابع: أن أهل الصحراء لا حد فيه بين الجانبين لكونها لا تحرث، وإنما هي مرعى فقط لعرب الإيالتين التي تنزل فيها وتتفتح بخصبها ومائها، ولكلا السلطانين التصرف في رعيته بما شاء وكيف شاء...، والشرط الخامس الذي حدد آخر القصور بين المغرب والجزائر قبل التوغل في مناطق الصحراء، حيث ورد فيه: "... أما قصور فيجيج وقصر ييش فلعمالة المغرب، وأما عين الصفراء وسفيسفة وعلة وتيوت وشلالة والأبيض وبوسمغون فلعمالة الشرقية"، والشرط السادس الذي أبرز: "أن الأرض التي هي قبلة قصور الفريقتين في الصحراء لا ماء فيها، فلا تحتاج للتحديد لكونها أرض فلاة"³.

إذن، نستنتج أن الحدود من خلال هذه المعاهدة امتدت من الشمال من ملتقى وادي عجرود مع البحر، إلى ثنية الساسي جنوباً على مسافة حوالي 100 كلم نحو الصحراء؛ مما كان يعني تعمد فرنسا عدم تحديد ارتباط الواحات الصحراوية ما بعد فيقيق بأي دولة أخرى لحاجة في نفسها، بل حتى أن وزير خارجية فرنسا سنة 1901 (ديلكاسي Delcassé) قالها صراحةً "لدينا كل الامتيازات للتوغل في

¹ . Mémoires de la Société Bourguignonne Géographie et d'Histoire, Tome 12, Imprimerie Darantiere, Dijon 1896, p.91

² . **معاهدة لالة مغنية**: جاءت بعد انهزام المغرب أمام فرنسا في معركة إيسلي وخضوعه لمعاهدة طنجة 1844، فكانت هذه المعاهدة مكملية لسابقتها وتم توقيعها في 18/03/1845، تطرقت لترسيم الحدود بين المغرب والجزائر المستعمرة فرنسياً، وامتد التحديد من البحر إلى فيقيق جنوباً وما بعد ذلك اعتبر مشاعاً ليس ملكاً لأحد. ينظر: طهيري عبد الكريم، توات في مشروع...، المرجع السابق، ص ص 508، 509

³ . عبد الرحمن ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**، تح: علي عمر، ج5، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة 2008، ص ص 197، 198

أقصى الجنوب، فاتفاقية 1845 قد خلفت ظروفًا جد ملائمة¹، أما توقيع المخزن على معاهدة 1845 فإما كان عن جهل، أو عن قصدٍ لظنه أن فرنسا تجهل وجود تلك المناطق، أو لمعرفة منه أن تلك المناطق كانت لا تخضع لأيٍّ كان، وأن علاقته بها والتي كانت قائمة على القوة والجباية، انتهت منذ فترة طويلة.

ويرى الباحث المغربي أحمد العماري أن مشروع احتلال فرنسا لمنطقة توات بدأ منذ سنة 1848 حينما قررت إقامة امبراطورية لها انطلاقاً من مراكزها التجارية في السنغال، وأن الشركات التجارية الفرنسية مثل شركة النورماندي وشركة السنغال أخذت في نفس السنة تنشط عبر الخط الرابط بين النيجر وتوات، على أساس أن خطط فرنسا كانت تتجه للربط بين تمبكتو وتوات، وبذلك ظهر مشروع احتلال توات، وبدأ تجسيد المشروع بعد مؤتمر برلين 1884/1885 وسقوط باماكو في 1883 ثم احتلال تمبكتو في 1894².

ولم يكن أهل المنطقة يجهلون الأطماع والمحاولات الفرنسية، بل شعروا بخطورتها قبل حتى أن يدخل المخزن على الخط، فقاد بعض أعيان تيديكلت حملة رد الأطماع الفرنسية بالحيلة والتفاوض المسبق، حيث أنه في سنة 1857 وبعد احتلال فرنسا لمدينة الأغواط أرسل الحاج عبد القادر باجودة مبعوثين إلى الجزائر العاصمة، ليتفاوضوا مع الحاكم العام سعياً للحصول على اتفاق مشابهاً لاتفاق ميزاب سنة 1853 بهدف منع الفرنسيين من احتمال احتلال توات، وكإشارة عن حسن النية تمت حماية الرحالة الألماني جيرهارد رولفس من طرف الشيخ باجودة³.

وقسم العماري تاريخ محاولات الاحتلال الفرنسي لمنطقة توات إلى: ما بين (1848-1890) مرحلة تردد السياسة الفرنسية اتجاه توات نظراً لاعتبارات داخلية ودولية، وما بين (1890-1900)

¹ . محمد مزيان، "جذور النزاع الحدودي بين المغرب والجزائر"، *مجلة كان التاريخية*، ع22، ديسمبر 2013، ص 39-55

² . أحمد العماري، *توات في مشروع...*، المرجع السابق، ص 70، 71

³ . Voinot Louis, *Le Tidikelt*, Op.Cit, p85

كانت مرحلة تحرك المشروع الفرنسي خاصةً بعد مؤتمر برلين 1885 والاتفاق الفرنسي البريطاني سنة 1890 حول توات ومصر وحوض النيجر¹، في حين كان التنفيذ بدءاً من أواخر سنة 1899 وإلى غاية 1901م.

ومن مظاهر البيئة السياسية لمنطقة توات خلال القرن 19م، أنها كانت طيلة تلك التجاذبات السياسية الخارجية قد آوت واحتضنت الكثير من قادة المقاومة الشعبية، بل وكانت مطلباً عزيزاً للفارين واللاجئين من أنحاء كثيرة من المغرب وحتى من المشرق²؛ ولعل كونها صارت مرتعاً ومقصداً لكل الفزار والكرار من المناوئين والمعارضين لفرنسا والمخزن على حد سواء، فقد سلّطت عليها الأضواء وجعلها كلا الطرفين الفرنسي والمخزني هدفاً لاستقطابها وضمها إليه.

خلاصة الفصل:

تلك العوامل الجغرافية الطبيعية والبشرية التي تميزت بها منطقة توات، منحتها هبة وهيبة جعلتها تتبوأ بها أهمية استراتيجية بالغة، تجاوزت بها حتى أهمية الواجهة الأطلسية لإفريقيا؛ خاصةً أنها كانت تشكل بيئة حضارية في وسط الصحراء الكبرى، وكانت بذلك تربط بموقعها وحيويتها عدة حواضر وبلدان مجاورة، واستمر ذلك العطاء وتلك المكانة لقرونٍ خلت.

وقد اشتهرت قصور المنطقة بحواضر عامرة ومزدهرة ثقافياً وتجارياً، مثل تمنطيط وبودة ورقان في توات الوسطى، وتيميمون وأولاد سعيد في قورارة، وعين صالح وأولف في تيديكلت، كما تميزت معظم قصور المنطقة بطابع عمراني فريداً من نوعه، كانت هندسته تدل على عبقرية الإنسان هناك خاصةً أنها ستتجلى تلك العبقرية في كونها وُضعت للدفاع والمقاومة ضد أي اعتداء وغزو أجنبي، وقد ضربت المنطقة أمثلة في ذلك مع محاولات المخزن فرض سيطرته وسلطته عليها، إلى درجة اختفاء قبائل وقصور عريقة.

¹ أحمد العماري، توات في مشروع...، المرجع السابق، ص 73

² محمد أعيف، "واحات توات في نهاية القرن 19 وبداية القرن 20م..."، المرجع السابق، ص 67

وأما عن فسيفاء المجتمع التواتي، وتلك التقسيمات والتصنيفات التي تبدو كأنها تشكل نظام طبقي متناقض، فإنها لم تخضع للعامل الاقتصادي على أساس التمايز في الثروة، بل كان فيها العامل الديني والإثني هو الأساس، ومما يلفت الانتباه أن ذلك التقسيم لم يؤدي إلى التنافر والتصادم داخل المجتمع التواتي، بل بالعكس كان هناك تعاون وتكامل وظيفي يسوده نوعاً من الرضا والتفاهم. كما أن تلك العناصر تهجنت وانصهرت في كثير من الحالات، حيث تجدها تتشابه في الألوان واللهجات رغم حفاظها على سيرورة الأنساب والألقاب، وهذا دليل على أن المنطقة كانت أبعد ما تكون من أي تمييز عنصري لطرفٍ على آخر.

ولعل ذلك التنوع الإثني والعرقى وتعدد الطبقات الوظيفية، بالإضافة إلى أهمية المنطقة جغرافياً وتجارياً واجتماعياً، قد انعكس إيجاباً على المناطق التواتية في تشكل حواضرها وإثراء ثقافتها وتنوع علاقاتها الخارجية، مما جلب إلى المنطقة عدة هجرات قارة واستكشافية، ولجوء العديد من الزوار والفاشرين من شمال الجزائر وجنوب المغرب، خاصة في ظل زحف فرنسا الاستعمارية وسياساتها القمعية، وانكسار الكثير من المقاومات الشعبية.

كما لاحظنا أن تركز قصور توات حول هضبة تادمايت لها علاقة وطيدة بوجود الماء هناك، خاصة أن حدود المنطقة كانت كلها عبارة عن مصبات للأودية، ولعل هذا ما يفسر وجود نظام "الفقارات" وتدفق مياهها الدائم وبشكل طبيعي وعجيب، وقد شكلت توات بتلك القصور أرخبيل من الواحات الخضراء في صحراء قاسية ومقفرة؛ وأنتجت اقتصاد محلي لا بأس به كماً وتنوعاً، وفرضت به حيوية ودوراً تجارياً لافتاً، جعلها أحياناً سلة لجباية الضرائب عند بعض دول الجوار، وأحياناً أخرى كانت سبباً للإستقطاب والتجاذبات الخارجية، خاصة في ظل تذبذب أوضاعها السياسية والأمنية من حين لآخر.

تلك التجاذبات والأوضاع السياسية التي عاشتها المنطقة، ورغم ما تميزت به من اللأمن وعدم

الاستقرار، والفتن والاعتداءات من الداخل والخارج، إن دلت على شيء إنما كانت تدل على أن قصور توات كانت أشبه بإمارات مستقلة عن أي كيان سلطوي، وكانت في نفس الوقت تسيل لعباب الطامعين والطامحين لإخضاعها واستقطابها، تارةً بالجباية والمراسلات وتارةً أخرى بالقوة والغلبة، حتى دخل الاحتلال الفرنسي على الخط بحملاته التوسعية وأهدافه الاستعمارية.

الفصل الثاني:

مظاهر الاهتمام الفرنسي بالمنطقة

المبحث الأول: دور الرحلات والبعثات الاستكشافية

- الاهتمام بكتابات الرحالة المحليين
- الاستفادة من الرحالة الأوروبيين
- البعثات والرحلات الفرنسية

المبحث الثاني: الخطوات والمشاريع التمهيدية لاحتلال المنطقة

- مشروع السكة الحديدية العابر للصحراء
- إنشاء المراكز العسكرية على حدود المنطقة
- فكرة الاحتلال السلمي للمنطقة
- المراسلات والتحرشات الفرنسية

خلاصة الفصل

المبحث الأول: دور الرحلات والبعثات الاستكشافية

منذ أن وطأت أقدام الفرنسيين أرض الجزائر وبدأت تتوسع شرقاً وغرباً، اشتربت أعناقهم نحو الجنوب الجزائري أيضاً، فسعت فرنسا لتثبيت أقدامها واختلاق الظروف والأسباب والأهداف للوصول إلى تلك المناطق البعيدة، ولتجسيد طموحاتها وأحلامها التوسعية مهدت لها بمجموعة من الخطوات والمراحل تسهيلاً وتذليلاً للصعوبات وتقديماً للمجهول الذي قد تواجهه، فكان لجوئها للاستكشاف والاستعلام عن مناطق الجنوب من حين لآخر، والتي تجلت مظاهرها في اهتمامها بالرحالة وكتاباتهم والبعثات الاستكشافية ومعلوماتهم، وغيرها من الخطوات التمهيدية لتطلعاتها وأهدافها التوسعية، التي نوردتها فيما يلي:

1- الاهتمام بكتابات الرحالة المحليين:

تجدر الإشارة إلى أن منطقة توات قد عرفت مرور أو كتابات لرحالة مشهورين عليها أمثال ابن بطوطة والحسن الوزان ومارمول كريخال والعايشي وابن مليح، كما خرج من رحمها رحالة محليين قبل فترة الاحتلال الفرنسي كالشيخ سيدي ضيف الله ابن أب المزمري ورحلته خلال 1747م، ومولاي أحمد بن هاشم ورحلته خلال 1798م، والشيخ عبد الرحمن بن إدريس التتيلاني ورحلته إلى ثغر الجزائر سنة 1816م، فالمنطقة كانت معروفة بحيويتها التجارية والثقافية ما جعلها مقصداً لرحلات علمية واستكشافية، من داخل وخارج الإقليم التواتي.

1-1- رحلة الحاج ابن الدين الأغواطي:

يذكر المؤرخ أبو القاسم سعد الله في ترجمته لهذا الرحالة أنه سأل عنه بعض المثقفين في مدينة الأغواط، فأخبروه أن عائلة ابن الدين لا تزال موجودة وهو شخصية معروفة في زمانه، وأنه كتب عملاً

استحوذ عليه الفرنسيين من خلال شيخ مدينة الجزائر¹، وبالتالي فلم يُعثر له على أي ترجمة، ونفس الشيء لم نجد له نحن كباحثين أية معلومة عن ميلاده ووفاته وبقية أعماله، وإنما من البديهي أنه وُلد في النصف الثاني من القرن 18م، وعاش خلال النصف الأول من القرن 19م، وأنه رغم كونه رحالة أفادنا بمعلومات رحلته القيمة لكن يبدو من خلال بساطة مستواها أنه كان على قدر محدود من التعلم. تم العثور على مخطوط الرحلة من طرف الدكتور أبو القاسم سعد الله حيث ذكره في كتبه مثل "تاريخ الجزائر الثقافي"، و"أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر"، ثم في "مجموع رحلات" الذي يضم رحلات جزائرية منها رحلة الأغواطي، هذا الكتاب قدمه في طبعة خاصة بمناسبة اعتبار تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية سنة 2011م²، هذه الرحلة ترجمها وحققها أبو القاسم سعد الله من الإنجليزية نقلاً عن القنصل الأمريكي بالجزائر (ويليام هودسون) الذي يبدو أنه تعرف على ابن الدين الأغواطي ما بين 1825-1829، ولأنه كان مستشرقاً مهتماً باللغتين العربية والبربرية فقد ترجمها إلى الإنجليزية بمساعدة أحد الطلبة الزاوية³.

وقد ذُكرت في هذه الرحلة عدة بلدان في الجزائر وشنقيط وتمبكتو وليبيا وتونس، انطلق فيها صاحبها من الأغواط ثم متيلي وادي ميزاب، وورقلة والمنيعية ثم توات، مروراً على كثير من الآبار والمحطات الصحراوية، وفي توات تكلم عن تميمون وأوقروت وأولف وتيط وتوات الحناء وعين صالح وقورارة، وأعطى عن المنطقة معلومات وإحصائيات هامة جداً، اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً وجغرافياً، وقدم صورة عن المعيشة والمجتمع في توات إلى درجة يمكن اعتباره بالغ في وصفها، وأنهى كلامه بخصوص توات عن ذكره للقوافل التجارية التي كانت تنطلق من السودان الغربي إلى توات، وما

¹ ابن الدين الأغواطي، رحلة الأغواطي، المصدر السابق، ص 80

² سياب خيرة، "رحلة الصحراء لابن الدين الأغواطي المعروفة بالرحلة الأغواطية دراسة طبيعية اقتصادية اجتماعية

عمرانية"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع13، جوان 2015، ص ص 167-184

³ ابن الدين الأغواطي، رحلة الأغواطي، المصدر السابق، ص ص 80-82

كانت تحمله من سلع وعبيد وما كانت تتعرض له من اعتداءات ومخاطر¹؛ ويبدو من خلال كثرة ذكره ووصفه لتيميون بأنه أعجب بها كثيراً فعرف بها كثيراً على خلاف غيرها، حتى أنه لم يخطيء في بعض التوصيف لها على عكس بعض القصور الأخرى².

الرحلة الأغواطية كما أشار ناقلها (هودسون) كانت على قدر من الأهمية البالغة لم يسبق للأوروبيين معرفتها، حيث قدمت معلومات اجتماعية واقتصادية وجغرافية ولغوية عن المناطق التي زارها صاحبها، ومنها على وجه الخصوص قصور توات. ونظراً لأهميتها سارع الفرنسيون إلى ترجمتها وتداولها، فنشرتها مجلة (Nouvelles Annales de Voyages) في نوفمبر 1832، كما ترجمها (دافيزاك D'avezac) إلى الفرنسية وعرضها في 1833م على الجمعية الجغرافية الفرنسية في باريس، ثم أضاف لها تعليقات وتذييلات ونشرها سنة 1836 في كتابه (دراسات في الجغرافيا النقدية)³؛ لكن ما يثير الانتباه كون الرحلة قصيرة واهتمت بالمناطق التي زارها جنوب الجزائر دون غيرها، ولأنها كانت بطلب من القنصل الأمريكي -حسب قوله- والذي ذكر أن الأغواطي رفض أن يسلمه منها إلا حوالي 14 صفحة مقابل ثمن مادي، وعن ذلك يقول أبو القاسم سعد الله "نتصور أن ابن الدين قد كتب أكثر من ذلك لنفسه ولكنه لخص للقنصل ما رآه كافياً"⁴.

1-2- الرحالة الحاج عبد القادر بن أبي بكر هيبة الله التواتي:

الأرجح أنه ولد مطلع القرن 19م بجهة أولف، بدأ رحلته منذ سنة 1266هـ/1849م زار خلالها توقرت وميزاب وورقلة وقسنطينة وبلاد السودان الغربي، ولما دونها سنة 1268هـ/1851م ونظراً لأهميتها ترجمها القس الفرنسي بارجس⁵؛ كانت تلك الترجمة الفرنسية من طرف (القس بارجيس

1. ابن الدين الأغواطي، رحلة الأغواطي، المصدر السابق، ص ص 92-95

2. سياب خيرة، "رحلة الصحراء لابن الدين الأغواطي..."، المرجع السابق، ص ص 167-184

3. ابن الدين الأغواطي، رحلة الأغواطي، المصدر السابق، ص 83

4. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998، ص 386

5. مبارك جعفري وعبد الله مقلاتي، معجم أعلام توات، المرجع السابق، ص 241

(Abbé Barges) قد طُبعت في 21 صفحة سنة 1853م تحت عنوان: (Le Sahara et Le Soudan, Documents Historiques et Géographiques)¹.

ولأنه كان ذو ثقافة واسعة بالصحراء فقد تواصل معه بعض الضباط الفرنسيين للحصول على معلومات عن الصحراء، فانطلق في تلك المهمة التي جاب فيها عدة مناطق، حيث مر من توات إلى توفرت وبسكرة وقسنطينة وتماسين وورقلة وميزاب ومنتيلي والمنيعية ثم تميمون وصولاً إلى أولف حيث مسقط رأسه²، وكانت تلك الخدمة التي قدمها الحاج عبد القادر التواتي للضابط الفرنسي (بواسوني Boissonnet) مقابل أجرة قدرها 500 فرنك استعان بها على تكملة رحلته ذهاباً وإياباً، وفي الأخير كانت النتيجة أن قدم معلومات عن المناطق التي زارها وقائمة بالأسماء عن القادة والقبائل هناك، وحتى عن لغة الطوارق وأبجديتها³.

وبواصل رحلته بعد عودته من شمال وجنوب شرق الجزائر إلى تيديكلت نحو الجنوب، حيث يذكر الحاج عبد القادر التواتي مروره بكل من عين صالح وإينغر وتيط وأقبلي وتنزروفت⁴ حتى وصوله تمبكتو، وذكر في هذا المسار عدة محطات توقف عندها كالأبار والقرى والقبائل المتواجدة على أطرافها كالبرابيش والكننة والفلان⁵؛ ومما يلفت الانتباه أن هذا الرحالة أعطى معلومات عن ثروات السودان كمناجم الذهب، والأخطر من ذلك أنه ذكر أن الطوارق وقبائل السودان الغربي كانوا قد أخبروه بأنهم يستحسنون مجيء الرجل الفرنسي إليهم، وأنه سيكون مسروراً بينهم وسيتلقى منهم حسن

¹ . Elhadj Abd Elkader Ben Abou Bekr Ettouaty, **Le Sahara et Le Soudan**, Documents Historiques et Géographiques, Traduits: M.L'abbé Barges, Just Rouvier Libraire-Editeur, Paris 1853, pp.1-3

² . مبارك جعفري، مقالات وأبحاث...، المرجع السابق، ص 19

³ . Elhadj Abd Elkader Ben Abou Bekr Ettouaty, **Le Sahara et Le Soudan**..., Op.Cit, pp.5-9

⁴ . تنزروفت: حالياً ترتبط بولاية برج باجي مختار إلى حدود مالي. وهي منطقة من الحمادة السهلية في الصحراء الجزائرية، تمتد غرب بلاد الطوارق من الهقار والمويدير وأهنت والأزجر إلى بلاد السودان، وهي مساحات شاسعة مخيفة وصعبة التحديد نظراً لخلوها تماماً من الماء والسكان والنبات. ينظر: Gautier Emile Félix, **Missions**

Au Sahara, Tome1, Sahara algérien, Librairie Armand Colin, Paris 1908, p.17

⁵ . Elhadj Abd Elkader Ben Abou Bekr Ettouaty, **Le Sahara et Le Soudan**..., Op.Cit, pp.5-9

الضيافة والضمانات¹.

وعلى العموم فرحلة الحاج عبد القادر التواتي التي يراها البعض كأنها بعثة محلية ذات أغراض فرنسية، تُدرج وفق قراءاتهم ضمن العيون والجواسيس الذين وظفتهم فرنسا في أطماعها التوسعية²، في رأيي هذا الوصف في غير محله بحكم أنه كانت من دوافع الناس لمساعدة الغريب ولو كانوا فرنسيين، الحاجة للمال والتجارة أو لامتهان الترحال وحب الأسفار لا غير، لكن ذلك لا يمنع القول بأن تلك المعلومات المقدمة في هذه الرحلة أعطت ملمحاً عن ظروف ومعطيات المنطقة سياسياً وتاريخياً وجغرافياً وبيولوجياً وثقافياً، أخذ من خلالها المستعمر صورة عن المنطقة بأدق التفاصيل مثل مواقع الآبار ومصادر الماء، ومسار القوافل التجارية وأسواقها، وأهم الثروات والموارد والمنتجات، وأسماء القبائل والشخصيات والأسر الفاعلة.

1-3- الخوجة عبد الرحمن سلكة*:

الراجح أنه وُلد في النصف الثاني من القرن 19م بمدينة تيميمون، وتعلم الفرنسية هناك مما أهله للعمل (خوجة) في المكتب العربي بتوات سنة 1913م، وهي السنة التي قدّم فيها كتابه عن توات من 32 صفحة بعنوان (Notice sur le Touat)³، دَوّن من خلاله دراسة حول تاريخ ومجتمع توات، ذكر فيها أهم الأحداث والقصور والعادات والتقاليد والأنشطة والعلماء في المنطقة، كما قدم إحصائيات عن عدد السكان والفئات العرقية للمجتمع التواتي، واستند في كتابه على المخطوطات والروايات الشفوية التي استطاع الوصول إليها⁴.

¹ . Elhadj Abd Elkader Ben Abou Bekr Ettouaty, **Le Sahara et Le Soudan...**, Op.Cit, p.10

² . عبد المالك طاهري، منطقة توات في القرن 19م خلال كتابات الرحالة والمستكشفين، أطروحة دكتوراه،

إشراف أحمد بوسعيد، جامعة أحمد درايعية أدرار، الجزائر موسم 2023/2022، ص 37
* . وللإشارة وجدنا أن المجاهد القدير سلكة بومدين (1926-2005) الذي كان مناضلاً في الحركة الوطنية منذ الأربعينيات، وانضم إلى جبهة التحرير منذ 1956، ومعتقلاً طيلة فترة 1957-1961، هو ابن عبد الرحمن سلكة.

³ . Abderrahman Selka, "Notice Sur Touat, Bulletin de la Société de Géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord", Volume 23, N° 87-92, Alger 1922, pp.523-555

⁴ . مبارك جعفري، مقالات وأبحاث...، المرجع السابق، ص ص 20، 21

ولا نستطيع الجزم أن تلك المعلومات التي جمعها عن توات كانت بغرض تأليفه لكتاب، أو أن اهتمام الضباط الفرنسيين بذلك هو ما جعله يوفر لهم تلك الدراسة المحلية المهمة، ورغم أن تلك المعلومات تم جمعها أواخر القرن 19م، أي: قبل الغزو الفرنسي للمنطقة، إلا أنها لم تُنشر إلا سنة 1922م تزامناً ونشر دراسات وأبحاث (A.G.P Martin)¹، مما يجعلنا نستنتج أنه ربما كان مكلفاً بمهمة قبل تنفيذ فرنسا احتلالها للمنطقة، خاصة أنه ذكر أن من دواعي تأليفه ذلك، التعريف بالحالة العقلية لأهل توات، وسعياً لفهم تركيبة المجتمع وفنائه، كما تحدث بإسهاب عن علاقة توات الثقافية بالجزائر وذكر عدة علماء في ذلك الإطار².

وعلى العموم فكتاب عبد الرحمن سلكة الذي ظهر في نشرة الجمعية الجغرافية الفرنسية بالجزائر سنة 1922، أعطى للفرنسيين معلومات وإحصائيات عن المجتمع التواتي وتاريخه، وهو أول دراسة محلية تاريخية وثقافية وأنثروبولوجية للمنطقة، رغم أنه اقتصر في دراسته على توات الوسطى، وقد أشار إليها من خلال قصور (اسبع، وبودة، وتيمي، وتمنيط، وفنوغيل، وتامست، وزاوية كنتة، وأنزجير) فقط³؛ مستثياً من توات الوسطى كل من رقان وسالي وتسابيت وقصور هذه الجهات.

ولأن هذا الكاتب كان يتقن الفرنسية فقد حافظ على مصداقيته المحلية دون ترجمة، ولأن الفرنسيين كانوا يجهلون القطر التواتي وكان بعض الرحالة الأجانب قد أخطأوا في تدوين بعض أحوال ومصطلحات المجتمع التواتي، فإن عبد الرحمن سلكة قد أعطاهم مصدراً ربما نعتبره أكثر وثوقية من غيره، كما يمكننا الاستنتاج أن دور الخوجة كان قبل أو بالتزامن مع الغزو الفرنسي للمنطقة، وأن الغرض من كتابه جمع أعماله ومعلوماته السابقة لتمكين فكرة ارتباط توات بالجزائر، خاصة أنه لم يُطبع إلا تزامناً مع خروج كتابات مارتن للعلن، والتي كانت تخدم التوجه المخزني، ولعل هذا الطرح

¹ . عبد المالك طاهري، منطقة توات في القرن 19...، المرجع السابق، ص 39

² . مبارك جعفري وعبد الله مقلاتي، معجم أعلام توات...، المرجع السابق، ص 195

³ . Abderrahman Selka, "Notice sur Touat...", Op.Cit, pp.523-555

كانت تبحث عنه فرنسا في صراعها مع المخزن ضمن سياسة استقطاب المنطقة.

2- الاستفادة من الرحالة الأوروبيين:

كانت الأنظار مصوبة نحو استكشاف توات ومناطق أخرى من الجنوب الجزائري من طرف الفرنسيين وغير الفرنسيين، فالرحالة الإنجليز والألمان على وجه الخصوص كانوا سابقين في هذا المجال، ورغم أنهم حاولوا أن يخدموا أجندة وطموحات بلدانهم الاستعمارية، إلا أن الاستفادة منهم ومن كتاباتهم نال منها حظاً الفرنسيين أنفسهم، بحيث قدموا خدمات كبيرة للتطلعات الفرنسية التوسعية في أقصى الجنوب الجزائري، وهذا ما استدعى منا إدراج شيئاً من دراستنا لأولئك الرحالة الأوروبيين مثل:

2-1- الرحالة الإنجليزي (غوردن لانغ Gordon Laing):

وُلد ألكسندر غوردن لانغ في ضواحي أدنبرة¹ سنة 1794 وترى وترعرع على الطريقة الانجليزية، وانضم للجيش البريطاني حوالي سنة 1811م ليترقى فيه لرتبة ملازم ثم ملازم أول وينتقل إلى لواء جزر الهند الغربية، وتنقل في خدمة الجيش ما بين جامايكا وسيراليون متدرجاً أيضاً في الرتب العسكرية، ثم تم اختياره سنة 1821 في بعثة انجليزية نحو غامبيا والداخل الإفريقي، فكانت أول رحلة استكشافية له، ثم تبعها رحلات أخرى في سنة 1822 وما بعدها، حيث كان حلمه الوصول إلى تمبكتو ونهر النيجر².

وعلى ذلك الأساس والرغبة كان اللورد (باثيست) وزير المستعمرات قد كلفه بمهمة استكشاف تمبكتو انطلاقاً من طرابلس سنة 1825، فانطلق في تلك الرحلة من طرابلس إلى غدامس³ ثم عين صالح ثم عبر أقبلي إلى تمبكتو التي وصلها سنة 1826، والتي غادرها مكرهاً بعد حوالي شهر ولم

¹ . عاصمة اسكتلندا حالياً، وهذه الدولة هي جزءاً من المملكة المتحدة.

² . غوردن لانغ، رحلة ورسائل الرائد ألكسندر غوردن لانغ 1824-1826 (رحلتان عبر ليبيا)، تر: دار الفرجاني، الطبعة الأولى، مكتبة الفرجاني، طرابلس ليبيا 1974، ص ص 179-181.

³ . غدامس: أو تُكتب أيضاً أقدامس وهي مدينة ليبية تتواجد قرب المثلث الحدودي بين الجزائر وليبيا وتونس، تبعد عن العاصمة الليبية حوالي 545 كلم غرباً.

يبتعد كثيراً حتى قُتل في أروان¹ وأُحرقت مستنداته ومذكراته في نفس السنة، ولم يبق منها سوى تلك الرسائل التي كان يبعث بها إلى المسؤولين الإنجليز بطرابلس². وكان (لانغ) قد استعان في رحلته هذه بالشيخ "باباني"³ الذي كان يتمتع بأهمية روحية في طرابلس، حيث أنقذه من موت محقق بعد أن هاجمه بعض الطوارق، لكن بعد وصوله إلى تمبكتو وخروجه منها قُتل من طرف قائد القافلة الذي يبدو أنه تخلص منه خوفاً من الوباء الذي أصابه⁴.

وبعد مرور سنتين من وفاته نُشرت مذكرات ورسائل عنه في مجلات مختلفة، ومنذ ذلك الحين ظل اسمه يتردد في مؤلفات لا حصر لها مما كان يدور حول تاريخ واكتشاف إفريقيا، وعن بعض مراسلاته التي نجت من الضياع بيد القناصلة الإنجليز في طرابلس، كما كانت لوفاته تداعيات دبلوماسية كبيرة نشبت بين بريطانيا وفرنسا المتهمة بأنها كانت السبب في اختفاء بعض أوراقه، حيث قيل أن القنصل الفرنسي في طرابلس كان وراء سرقة الأوراق المفقودة، خاصةً أنه كان على علاقة بباشا طرابلس الذي قد تكون له صلة بمقتل غوردن لانغ⁵.

ولعل أهمية رحلة (لانغ) كانت في كونها عُرِفت ببعثة تمبكتو وأنه الرجل الذي اكتشف تمبكتو، وأن الطريق التي سلكها اخترق فيها الشرق عبر طرابلس-غدامس-ورقلة-توات-تمبكتو، وهي المسالك التي كان يقل فيها وجود مخاطر تدخل الفرنسيين الذين كانوا يوطدون دعائمهم في مراكز غرب طرابلس⁶، وأنه كان أول من دخل تيديكلت مستكشفاً إياها وماكثاً فيها حوالي شهراً كاملاً

1. أروان: مدينة من حواضر السودان الغربي، كانت خلال القرنين 17 و18م مزدهرة ثقافياً وتجارياً، تقع شمال مدينة تمبكتو.

2. عبد المالك طاهري، منطقة توات في القرن 19...، المرجع السابق، ص 44

3. ذكره لانغ على أنه من غدامس الليبية أقام داخل وخارج تمبكتو حوالي 30 سنة رافقه كمرشد في معظم مسار رحلته، ووجدنا أن الإنجليز حينما كلفوا لانغ بمهمة رحلة تمبكتو، اشترطوا عليه أن يصطحب معه دليل من الطوارق يسمى (حطيطه Hatita)، هذا الشخص كان له ميلاً شديداً للتعاون مع الأوروبيين مستفيداً من هداياهم وعطاياهم.

ينظر: غوردن لانغ، رحلتان عبر ليبيا، المصدر السابق، ص ص 215، 285

4. إبراهيم مياشي، الاحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص ص 402، 403

5. غوردن لانغ، رحلتان عبر ليبيا، المصدر السابق، ص 172

6. نفسه، ص ص 193-197

(ديسمبر 1825-جانفي 1826)، استضافه حينها المدعو حيدا ولد باجودة الذي تجول به في واحات عين صالح وعرفه عليها، ورغم أن رحلته لم تؤتي ثمارها بشكل كامل إلا أن رسائله نُشرت في بعض المجلات بعنوان (عجوز عين صالح)¹.

ومن الظلم أن نقل من مراسلات ودور (لانغ) في رحلته عموماً وتعريفه بمنطقة توات خصوصاً، حيث أبرز على موهبة لافتة كباحث متحري ومستكشف ماهر في التقصي عن الحقائق والأخبار، حتى أنه أرسل لمسؤوليه ذات مرة صندوقاً من النماذج الجيولوجية عن توات²؛ فقد زود المهتمين وعلى رأسهم الفرنسيين بمعلومات هامة عن المنطقة وعاداتها وطبائع سكانها، ومعلومات جغرافية وفلكية حول موقعها ومسالكها، ولأنه كان أول أوروبي وصل إلى توات خلال القرن 19م فقد اعتُبر مرجعاً وحافزاً لمغامرات وطموحات أخرى، خاصةً أنه كتب عن توات لوحدها في حوالي 12 رسالة مليئة بالمعلومات القيمة عنها؛ ولأن الفرنسيين استفادوا منه كثيراً فقد شهدوا له بالفضل فكرموا بعد وفاته علناً، حيث قدموا لأرملته ميدالية ذهبية بباريس سنة 1829م³.

2-2- رحلة (أوجين دوماس Eugene Daumas):

ميلشيو جوزيف أوجين دوماس رحالة من أصل سويسري وُلد في سويسرا سنة 1803م وتوفي سنة 1871م، التحق بالخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي في سن 19 سنة، وهاجر في إطار عمله إلى الجزائر سنة 1835م ضمن الفرقة الثانية الإفريقية تحت قيادة المارشال (كلوزيل Clauzel)، هناك تعلم اللغة العربية وأتقنها⁴؛ عُين بعدها قنصلاً لفرنسا لدى دولة الأمير عبد القادر بين 1837-1839، ثم رئيساً للمكاتب العربية سنة 1841، ثم مسؤولاً في وزارة الحربية سنة 1850، ثم مستشاراً

¹ . L.Voinot, *Le Tidikelt*, Op.Cit, p.83

² . غوردن لانغ، *رحلتان عبر ليبيا*، المصدر السابق، ص ص 228، 229

³ . نفسه، ص 233

⁴ . هرباش زاجية، "الصحراء الجزائرية في كتابات المستشرقين الفرنسيين دوماس أنموذجاً"، *مجلة عصور الجديدة*، ع6، 2012، ص ص 29-40

ومنتخباً في البرلمان الفرنسي 1852، له عدة كتب عن رحلاته واهتماماته العلمية مثل (الصحراء الجزائرية دراسة تاريخية وجغرافية وإحصاء) في 1845، و(الصحراء الكبرى) في 1848¹.
خلال فترة عمله في الجزائر قام (دوماس) بعدة رحلات ما بين 1843-1845 قسّمها إلى مناطق في الجنوب الشرقي ومناطق الجنوب الغربي، ودوّن الكثير من الكتابات والملاحظات والشهادات الموثقة عن سكان الصحراء وعاداتهم وطبائعهم ومعيشتهم، وأشار للمسالك المؤدية إلى الصحراء ومحطاتها وقوافلها، ووصل في ترحاله من الجزائر العاصمة إلى عين صالح، فتكلم عن عين صالح وتوات وأوقروت والمحارزة (تينركوك) وتيميمون². وتجلت قيمة كتاباته في كونها كانت دراسة جغرافية واجتماعية ميدانية وتحليلية عن المجتمع الصحراوي، حتى أنه كتب عن العادات والتقاليد والفؤول والطقوس في السلم والحرب، خاصةً أنه عايشها وتابعها عن كثب مثل حضوره ذات مرة مراسيم زواج بنت الشيخ الحاج محمد بن المهدي في تيميمون، وكتب عن العرب والزناتة والطوارق واليهود والتعاليم الدينية وتحضيرات الحرب والمرأة واللباس والزوايا...، وغيرها من مظاهر الحياة آنذاك³.

ولعل خطورة رحلات وكتابات (دوماس) قد تجلت في تكوينه العسكري والمناصب التي شغلها، وفي مدى تغلغله في المجتمع الصحراوي ومعايشة أوضاعه شرقاً وغرباً، وهو ما يعني تعرفه على مواطن القوة والضعف في تلك المجتمعات والمناطق، حتى أنه تكلم عن تقسيمات المجتمع النواتي وعن الطيبة والسداجة في إيمانهم بالقضاء والقدر، وأعطى لمحة عن أسوار ودفاعات المنطقة الهشة- كما وصفها- وذكر قصورها ومحاصيلها وبعض أعيانها⁴. وكانت ثمرة أعماله أن تُوجت باحتلال

¹ . ميلشيبور جوزيف أوجين دوماس، الصحراء الجزائرية...، المصدر السابق، ص ص 9-12

² . Daumas Eugène, **Le Sahara Algérien: études géographiques, statistiques et historiques sur la région au sud des établissements français en Algérie**, Langlois et Leclercq, Paris 1845, pp.273-291

³ . هرباش زاجية، "الصحراء الجزائرية في كتابات المستشرقين..."، المرجع السابق، ص ص 29-40

⁴ . Daumas Eugène, **Le Sahara Algérien...**, Op.Cit, pp.275-294

مدينة الأغواط سنة 1852 وتوقرت سنة 1854 ثم سقطت بقية مناطق الجنوب تبعاً.

2-3- الرحالة الألماني (هنري بارث Henri Barth):

وُلد هنريش بارث في همبورغ بألمانيا سنة 1821 وتوفي في 1865م، درس الفلسفة ونال فيها الدكتوراه سنة 1844 بجامعة برلين، اشتهر خلال القرن 19م باستكشاف إفريقيا، فقام برحلات جريئة في الجزائر وتونس والمغرب، ثم رحلته الجريئة إلى الداخل الإفريقي فيما بين 1850-1855 والتي احتاج فيها النفقة من الإنجليز لاستكمالها¹، فتحوّلت مهمته من خلالها لصالح الإنجليز سنة 1271هـ/1854م، وكانت الرحلة انطلاقاً من طرابلس الليبية إلى تمبكتو التي استقر فيها حوالي 6 أشهر تحت حماية سيدي أحمد البكاي، ولما عاد إلى أوروبا استُقبل في إنجلترا من طرف الملكة فيكتوريا وملك بروسيا وطُبعت أعماله².

ورغم أنه لم يصل إلى توات واكتفى بمكوته في تمبكتو والترحال نحو النيجر وتشاد وطرابلس، إلا أنه أثناء تلك الرحلة وقف على أهمية توات والمسالك الصحراوية التي مر بها أو سمع عنها، إلى درجة أن الفرنسيين ترجموا أعماله في حوالي 4 أجزاء، من خلالها نجد كتاباته التي تكلم فيها عن توات، مثل قوله "أن توات بامتدادها الشمالي الغربي، شكلت وسيطاً طبيعياً للتجارة خلال القرون الوسطى مع تافيلالت وسجلماسة من جهة، وتمبكتو وولاته³ وغاناتا من جهة أخرى، وساهمت في إرساء علاقات دولية ومبادلات تجارية بين تلك المراكز..."، كما تكلم عن صادرات وواردات تمبكتو والقوافل التجارية التي تتعامل معها، فذكر منطقة توات وأعطى عنها معلومات قيمة عن أهميتها

¹ . منير الفندري، سبع رسائل مخطوطة لهانريش بارث عن رحلته إلى تونس 1845-1846، ط1، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقق والدراسات بيت الحكمة، تونس 1987، ص ص 5، 9

² . محمد حوتية، توات والأزواد، ج2، المرجع السابق، ص ص 441، 442

³ . ولاته: مدينة موريتانية تاريخية، تقع في جهة الحوض الشرقي على الحدود مع مالي، وتبعد عن العاصمة نواكشوط 1350 كلم.

التجارية في المنطقة¹، كما ذكر أنه رأى قافلة كبيرة من توات عند مغادرتها تمبكتو سنة 1270هـ/1853م².

وعن أهمية ودور هذا الرحالة بالنسبة للتوسع الفرنسي بالمنطقة، فقد قدم معلومات دقيقة جغرافياً وجيولوجياً وتاريخياً عن الصحراء، وساهم في ربط العلاقات التجارية بين تلك المناطق والدول الأوروبية، بل حتى أنه قبل وفاته مطلع سنة 1865م كتب مقالة في نشرة الجمعية الجغرافية بباريس حث فيها فرنسا على بذل مجهودات جبارة في الصحراء الإفريقية، ونصحها بالاستحواذ على تلك المناطق وربطها بمستعمراتها الجزائر، وأن تتعرف على عقلية السكان هناك وأن تحترم شؤونهم وأحوالهم، وأن تحسن اختيار ممثليها في استكشاف المنطقة، وأن تتوَّع أساليبها معهم بالقوة واللين والحرب والسلم والبندقية والقلم...³

2-4- الرحالة الألماني (جيرهارد رولفس (Gerhard Rohlfs):

وُلد جيرهارد فريديريش رولفس سنة 1831 قرب مدينة بريمن بألمانيا، تخرى عن الدراسة في المرحلة الثانوية وانضم للجيش سنة 1849، ثم للفيلق الأجنبي بفرنسا حيث شارك في المعارك بالجزائر سنة 1856-1857، ونظراً لشجاعته تمت ترقيته لرتبة ملازم ثم رقيب، ثم قرر دراسة الطب والصيدلة، ثم رحل إلى المغرب سنة 1861 بعد أن تعلم اللغة العربية في الجزائر، حيث تظاهر هناك باعتناق الإسلام ومن ثمة بدأت مغامرات رحلاته منذ 1862 إلى أن توفي في ألمانيا سنة 1896م⁴. كانت رحلته الأولى انطلاقاً من جهة السوس بالمغرب إلى تافيلالت وفيقيق ثم وهران بالجزائر،

¹ . Henri Barth, **Voyages et Découvertes dans L'Afrique Septentrionale et Centrale (1849-1855)**, Traduction: Paul Ithier, Tome 4, 2^{ème} Edition, A. Bohné (Paris), A. Lacroix et F. Van Meenen (Bruxelles), 1863, pp.106.107

² . مبارك جعفري، مقالات وأبحاث...، المرجع السابق، ص 67

³ . إبراهيم مياشي، الاحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص ص 406، 407

⁴ . غيرهارد رولفس، عبر إفريقيا رحلة من البحر المتوسط إلى بحيرة تشاد وإلى خليج غينيا، ج1، تر: عماد الدين غانم، مركز البحوث والدراسات الإفريقية سبها، طرابلس ليبيا-1987، ص ص 18-30

ثم رحلته الثانية من طنجة إلى وادي زيز ثم وادي الساورة وإيقل وبنو عباس ثم توات وتيديكلت وعين صالح، ثم إلى الشرق حيث غدامس وطرابلس، ثم رحلة الثالثة من طرابلس إلى عرق مرزوق وتشاد وبورنو ثم لاغوس، فكان بذلك أول رحلة أوروبية يخترق إفريقيا من البحر المتوسط شمالاً إلى ساحل غانا على الواجهة الأطلسية جنوباً¹.

وكان رولفس قد وصل إلى تمقطن في 12 سبتمبر 1864 مرتدياً ملابس محلية، ومدعياً أنه طبيب تركي مصطحباً معه أحد الطوارق يدعى سي عثمان، ثم واصل مسيره إلى أولف حيث استقبله شيخ أولاد زنان، ثم إلى تيط واينغر فعين صالح التي استضافه فيها الحاج عبد القادر باجودة² وبقي هناك حوالي شهر ونصف، ثم بعد دخوله فقارة العرب أعدل عن الذهاب إلى تمبكتو وتحول إلى جهة طرابلس شرقاً، ومن خلال هذه الرحلة أعطى معلومات جد مهمة عن تيديكلت³.

تكمن أهمية رحلة رولفس إلى توات أنه قدم من خلالها بعض الخرائط عن مسالك الجزء الغربي من الصحراء والأطلس الكبير، ناهيك عن تحديده للاتجاهات والمسافات وقياسه للارتفاعات في المنطقة، وعنون رحلته تلك (رحلة عبر المغرب وصعود الأطلس الكبير واكتشاف واحات تافيلالت وتوات وتيديكلت ورحلة عبر الصحراء الكبرى إلى طرابلس مروراً بـ غدامس)⁴، والتي من خلالها انتقد فرنسا في أخطائها مع بعثاتها ومستكشفيها حيث قال: "لم أكن لأدلي برأيي لولا إقامتي الطويلة في الجزائر، ورحلتي التي دامت 3 سنوات عبر المغرب وصحراءه، واستكشافي لمنطقة توات بأكملها، هذه

¹ . إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص ص 416، 417

² . من أعيان منطقة عين صالح، والد الشيخ الحاج المهدي باجودة الذي قاد معركة عين صالح في بداية الغزو الفرنسي سنة 1899

³ . L.Voinot, **Le Tidikelt**, Op.Cit, pp.83,84

⁴ . Gerhard Rohlfs, **Reise Durch Marokko**, Uebersteigung Des Grossen Atlas, Exploration Der Oasen Von Tafilet, Tuat Und Tidikelt Und Reise Durch Die Grosse Wüste Über Rhadames Nach Tripoli, Verlag Von J.Kuhtmann's Buchhandlung, Bremen 1868

الواحة التي لم ينجح معها الفرنسيين لا باللفظ ولا بالقوة...¹

ولأنه مكث طويلاً في توات واستطاع الاندماج في المجتمع القصورى هناك، مستفيداً من تظاهره بالإسلام واتقانه للدارجة العربية ومدعياً أن اسمه "الحاج عبد الملك"، فقد نجح في اختراق الصحراء والحصول على معلومات هامة جداً عنها، فقد اعتبر أول أوروبى يُعرّف بعين صالح بشكل مستفيض، وقد أعد عنها تقاريراً استكشافية ذات طابع عسكري حول أوضاع المنطقة، أفاد بها الفرنسيين كثيراً إلى درجة أنها كانت أكثر التقارير التي سهلت لهم احتلال المنطقة، وتكريماً لمجهوداته منحتة الجمعية الجغرافية الفرنسية في باريس ميدالية ذهبية²؛ بل حتى أنه نصح فرنسا بنقل حدودها إلى ما بعد وادي الساور (يقصد توات)، وإلا فلن يكون في الجنوب الوهراني أي هدوء دائم³.

3- البعثات والرحلات الفرنسية:

رغم أن فرنسا كانت لا تتردد في التواصل مع الرحالة الأوروبيين من غير جنسها والاستفادة منهم، إلا أنها تخوفت من تهافت الإنجليز والألمان على اكتشاف دواخل إفريقيا، واستحواذهما على مقدرات هذه القارة، مما حدا بها لتشجيع المغامرين والطامحين من مواطنيها لاستكشاف إفريقيا حتى قبل 1830، ولتحفيزهم على تلك المهمة الاستكشافية أعلنت فرنسا سنة 1855 من خلال جمعياتها الجغرافية جوائزاً مالية خصيصاً لذلك الغرض، ناهيك عن دوافع وحوافز أخرى جعلت الكثير من الفرنسيين يتهافتون على الوصول إلى الصحراء الجزائرية والكتابة عنها، خاصة بعد سنة 1857 حيث بدأت مرحلة معلنة ورسمية من الحملات الفرنسية الاستكشافية، وفي ورقتنا البحثية هذه سنركز على المستكشفين الفرنسيين سواء كانوا قبل سنة 1830 أو بعدها، أو كانوا زاروا توات أو اقتربوا منها، ما داموا قد كتبوا عنها وخدموا برحلاتهم المشروع الفرنسي التوسعي.

¹ . Gerhard Rohlfs, **Land Und Volk in Afrika, Berichte Aus Den Jahren 1865-1870**, Verlag Von J.Kuhtmann's Buchhandlung, Bremen 1870, p.2

² . عبد الملك طاهري، **منطقة توات في القرن 19...**، المرجع السابق، ص 56

³ . تواتي دحمان وآخرون، **دور أقاليم توات خلال الثورة الجزائرية...**، المرجع السابق، ص 13

3-1 - الرحالة (ريني كايي René Caillié):

وُلد سنة 1799م، بدأ مغامراته في سن 17 سنة، وألّف كتابين هامين أحدهما بعنوان (رحلة المسلم الكاذب إلى إفريقيا) في حوالي 180 صفحة¹؛ وكانت بدايات رحلاته من السنغال سنة 1816، ثم بعد إعلان الجمعية الجغرافية بباريس عن حوافرها سنة 1824، انطلق مجدداً سنة 1825 قائلاً عن تلك الجائزة "حياً أو ميتاً سأنالها، إذا لم استمتع بها فأختي ستستفيد منها"²، ثم حاول سنة 1827 الوصول إلى تمبكتو من طنجة ثم الرباط وفاس ثم تافيلالت ثم توات وأخيراً تمبكتو التي بقي فيها 14 يوماً، واستغرقت رحلته هذه 18 شهراً و2500 ميل³، فأثارت دهشة كبيرة خاصة أنه عاد حياً وقام بها بدون موارد خاصة، ذهاباً وإياباً من السنغال إلى تمبكتو ثم عبر مراکش خلال 1827-1828م⁴.

وخلال عودته أصيبت قدماه بجراح خطيرة فبقي في تيمي حتى شفي مطلع 1828م⁵، سجل حينها ملاحظات ورسومات ومعلومات في غاية الأهمية عن توات، قدمها لاحقاً لمصالح بلاده التي استغلتها تمهيداً لتوسعاتها في الجنوب الجزائري⁶، ورغم أنه أشاد بالرعاية التي لقيها في تيمي خلال مداواة جرحه البالغ طيلة 3 أشهر، إلا أنه كتب أوصافاً مشينة عن الناس مثل قوله "أن الرجال كانوا لا يتحدثون إلى نساءهم إلا كسادة، وكانوا كثيراً ما يجلدونهن ولا تستطعن حتى رفع أيديهن دفاعاً عن أنفسهن..."⁷؛ لكن يبدو لي جهله بحقيقة الوضع الاجتماعي في توات أو تعمد الإساءة⁸.

¹ . René Caillié, **Voyage d'un Faux Musulman à Travers l'Afrique: Tombouctou, le Niger, Jenné et de Désert: à Travers le Continent Noir**, E. Ardant (Limoges), Paris 1882

² . Ibid, p.23

³ . جوزفين كام، **المستكشفون في إفريقيا**، تر: السيد يوسف نصر، دار المعارف، القاهرة 1983، ص 165

⁴ . ريمون فيرون، **الصحراء الكبرى**، تر: جمال الدين الدناصري، مؤسسة سجل العرب، القاهرة 1963، ص 110

⁵ . إبراهيم مياشي، **الاحتلال الفرنسي...**، المرجع السابق، ص 404

⁶ . عبد المالك طاهري، **منطقة توات في القرن 19...**، المرجع السابق، ص 46

⁷ . René Caillié, **Voyage d'un Faux Musulman...**, Op.Cit, pp.79,80

⁸ . فالراجح أنه كان يتكلم عن العبيد خاصة أنه ذكر أن مضيفه كان قد خصص له امرأة سوداء تخدمه، ثم أنه قارن بين نساء تيمي المستعبدات -في نظره- ونساء قرية البامبارا. للمزيد ينظر: René Caillié, **Voyage d'un Faux Musulman...**, Op.Cit, pp.80-86

ونظراً لأن (ريني كايي) كان من أوائل الرحالة الفرنسيين الذين توغلوا في دواخل الصحراء الإفريقية، تارةً من السنغال إلى تمبكتو، وتارةً من تمبكتو إلى طنجة أو من طنجة إلى تمبكتو، مروراً ومكوثاً في توات لعدة أشهر، قدم خلالها معلومات وخبايا اجتماعية وثقافية وجغرافية وحتى عسكرية عن توات، استفادت منها المصالح الفرنسية في مخططاتها التوسعية¹، فبعد أن كتب كتاباته عن تلك الرحلة كافأته الجمعية الجغرافية الفرنسية بالمنحة المالية² التي وعدت بها قبل وفاته سنة 1839 وهو لا يتجاوز 40 سنة³؛ ورغم أن بريطانيا كانت سباقة إلى استكشاف إفريقيا، إلا أن أخبار رحلة (ريني كايي) دفعته للدخول في سباق محموم مع فرنسا من أجل الصحراء الإفريقية.

3-2 - بعثة الجنرال (كافينياك Cavaignac):

وُلد لويس أوغين كافينياك سنة 1802 في العاصمة الفرنسية باريس، درس في المدرسة المتعددة العلوم والفنون، ثم ترقى إلى رتبة ملازم أول سنة 1827، شارك في الحرب على تلمسان مع (كلوزيل) سنة 1835، وكان على رأس الحامية العسكرية في تلمسان وضد تحركات الأمير عبد القادر، ليكلف بحملة أخرى نحو الصحراء سنة 1847م⁴، ثم أصبح جنرالاً وحاكماً عاماً على الجزائر سنة 1848م ثم رئيس الهيئة التنفيذية التي لم يمكث فيها طويلاً حيث خسر الانتخابات وصار معارضاً، وتوفي في فرنسا سنة 1857م⁵.

كُلف كافينياك بين سنتي 1847-1848 من طرف المؤسسة العسكرية والغرفة التجارية بالجزائر باستكشاف الطرق التجارية لتسويق منتجاتها، فانطلق في رحلته تلك من تلمسان إلى عين الصفراء ثم

¹ . إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص 405
² . كانت الجمعية الجغرافية بباريس قد وعدت سنة 1825 بجائزة قدرها 6000 فرنك لمن يقوم برحلة من السنغال إلى الجزائر أو العكس، بشرط أن يمر على مدينة تمبكتو، وأن يأتي بمعلومات دقيقة عن القوافل التجارية وتلك المناطق. ينظر: إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار...، المرجع السابق، ص 50
³ . جوزفين كام، المستكشفون في إفريقيا...، المصدر السابق، ص 170
⁴ . عبد القادر مرجاني، السياسة الفرنسية ودور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن 19م، إش: محمد مجاود، أطروحة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر موسم 2020/2019، ص 35
⁵ . عبد المالك طاهري، منطقة توات في القرن 19...، المرجع السابق، ص 49

واحة عسلة إلى أن بلغ توات، ورغم ما عانت به بعثته من صعوبات ومخاطر من بعض السكان المحليين، إلا أن رحلته أفادت سلطات بلاده في سياستها التوسعية نحو الصحراء، حيث كان يرسل الغرفة التجارية بتقاريره المفصلة مدوناً ملاحظاته الهامة، والمعلومات التي استقاها عن أصل وتاريخ ومعيشة السكان، وضمّنها بمعطيات عن حدودهم وطرقهم وتجاريتهم وقادتهم¹.

كان (كافينياك) سباقاً للتعرف على الكثير من مسالك الصحراء وخبائرها ومعلومات عن المحطات التي نزل بها، وحقق بفضل معلوماته وتقاريره نشاطاً للتجارة الفرنسية في المناطق الجنوبية، زاحمت من خلالها فرنسا تجارة القوافل والبلدان المجاورة، وأعطى معلومات عن تركيبة المجتمع الصحراوي حيث أشار إلى وجود العرب والبربر وخصوصياتهم وأنشطتهم، والعلاقة بينهما، مثل ذكره محاصيل التمر المعروفة بها منطقة توات، وطبيعة المناخ والموقع الجغرافي والفلكي فيها². وذكر توات وعين صالح ورقان وتيميمون بأنها كانت كالعواصم تربط بين مناطق أولاد سيدي الشيخ إلى وهران شمالاً وتمبكتو جنوباً، في تجارة القوافل المزدهرة، ووصفها بأنها واحات هائلة ومكتظة بالسكان، وأعطى معلومات عن الطرق والمسافات المؤدية إليها، مبرزاً أيها أكثر أمناً من الشمال إلى الجنوب³.

وعن مدى استفادة فرنسا الاستعمارية من كتابات (كافينياك)، فإنه شجعها بتقاريره ودراساته وخرائطه على التوغل في أعماق الجنوب الغربي، ومن خلالها أيضاً نصح سلطات بلاده على تفضيل السير نحو جهة المسالك الشرقية المؤدية إلى توات، خاصة أنه زودها بمعلومات مستفيضة عن بعض الواحات من تلك الجهة، مثل بسكرة وتوقرت وورقلة والوادي مبرزاً طبيعة السطح والنشاط التجاري

¹ . جمال حريشة، "الصحراء الجزائرية في كتابات البعثات الفرنسية: بعثة لويس أوجين كافينياك (1847-1848) أنموذجاً"، مجلة السائرة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج9، ع2، 2023، ص ص 27-08

² . Jacquot Félix, **Expédition du Général Cavaignac dans le Sahara Algérien en Avril et Mai 1847: Relation du Voyage, Exploration Scientifique, Souvenirs, Impressions, etc**, Gide et J. Baudry, Paris 1849, pp.259-265

³ . Ibid, pp.201,202

ومستعيناً برسومات ومخططات عن الثروات والمنافع الاقتصادية المحتملة¹؛ لكن وبالرغم أننا لم نجد أنه دخل إلى توات، لكن الأكيد أنه لامس حدودها وأعطى عنها معلومات هامة، وربما كان المتسبب في توجيه التوغل الفرنسي نحو توات من جهة الشمال الشرقي عبر البيض والأغواط ومثلي والمنيعة، خاصة أن البرلمان الفرنسي كان قد أصدر في عهد (كافينياك) سنة 1844 قانوناً بإنشاء المراكز العسكرية في المدن تمهيداً للتوسع نحو الصحراء.

3-3 - رحلة الضابط (دي كولومب De Colombe):

وُلد لويس جوزيف فرانسوا دي كولومب فرنسياً سنة 1823، والتحق بالمدرسة العسكرية في "سان سير" ليتخرج منها كملازم سنة 1844م، درس اللغة العربية وأتقنها ولغة الطوارق التماشاق، وعمل في المكاتب العربية وقائداً عسكرياً في وهران ومعسكر والبيض والأغواط بين 1844-1860م، ليترقى بعدها في الجيش إلى رتبة جنرال سنة 1864م ثم مفتشاً عاماً سنة 1872، وتوفي سنة 1902م²، وكانت أولى رحلاته مع نهاية سنة 1856 من معسكر إلى أقصى الجنوب الغربي، حيث وصل إلى توات مطلع سنة 1857 مستعيناً ببعض زعماء أولاد سيدي الشيخ والشعانية³.

كان (دي كولومب) قد زار وتكلم عن بعض القصور في توات مثل تملكوزة، تقانت، شروين، طلمين، أوقروت، تسابيت، تيمي، تامست، مستعرضاً رحلته عبر قورارة وتوات وتيديكلت، واصفاً إياها بأنها "جزر خضراء وسط محيط من النار، رسمتها العناية الإلهية"، ذاكراً أنها كانت تتردد عليها كثيراً قبائل حميان وترازا والأغواط بقوافلها التجارية، مبرزاً أهم السلع والمنتجات المصدرة والمستوردة من توات⁴. كما أشار إلى أن الدافع وراء رحلته كان استكشاف منطقة توات كونها كانت ملجأ لقبائل

¹ جمال حريشة، "الصحراء الجزائرية في كتابات البعثات الفرنسية..."، المرجع السابق، ص 24، 25.

² عبد المالك طاهري، منطقة توات في القرن 19...، المرجع السابق، ص 51.

³ إبراهيم مياشي، توسع الاستعمار...، المرجع السابق، ص 52.

⁴ Louis de Colomb, *Exploration des Ksours et du Sahara de la Province d'Oran*, Impr. du Gouvernement, Alger 1858, pp.59,60.

الجنوب الوهراني خاصةً في ظل الظروف المناخية الشتوية، ولجهل فرنسا بالمعلومات الطبوغرافية عن المنطقة، وذكر أنه اصطحب معه طبيباً مختصاً في الجيولوجيا والأرصاد الجوية¹.

وتوج (دي كولومب) رحلته التي استغرقت 25 يوماً² بتقارير ومذكرات دونها في كتابين وهما (استكشاف قصور وصحراء إقليم وهران، وملخص عن واحات الصحراء والطرق المؤدية لها)، والتي من خلالها أفاد مشروع بلاده الاستعماري بدراسة مهمة عن قصور توات ومواردها الاقتصادية ودورها التجاري في الجنوب الغربي، وأعطى معلومات طبيعية وجغرافية عن أهم المسالك المؤدية إليها؛ والأخطر من ذلك أنه اقترح إنشاء مراكز تجارية شمال الصحراء وبالضبط من البيض إلى الأغواط، بهدف التحكم في تجارة القوافل وربط توات بالمناطق التي استعمرتها فرنسا في الشمال³.

3-4 - حملة الجنرال (كولونيو Colonieu) والملازم (بورين Borin):

وُلد (فيكتور كولونيو) فرنسياً وعاش ما بين 1826-1902، وأما (جون باتيست بورين) فقد وُلد سنة 1823 وتوفي في وهران سنة 1870م⁴، وكانا كلاهما قد تجندا في الجيش الفرنسي وتمت ترقيتهما، فبلغ (كولونيو) رتبة رائد و(بورين) ملازم وكان عملهما في الدائرة العسكرية بالبيض، ومن هناك انطلقا في محاولة جريئة لاستكشاف قورارة وتوات برفقة قافلة تجارية كانت قادمة من سعيدة مروراً بالبيض والأبيض سيدي الشيخ⁵، وترقى (كولونيو) إلى رتبة جنرال أيضاً كما أصبح عضواً في لجنة بوزارة الأشغال العمومية لدراسة مشروع السكك الحديدية بين الجزائر والسنغال، فكتب عن ذلك بحثاً سنة 1880م بعنوان (الطريق المركزي لسكة الحديد العابر للصحراء)⁶.

¹ . Louis de Colomb, **Exploration des Ksours...**, Op.Cit, pp.10,11

² . إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص 410

³ . عبد الملك طاهري، منطقة توات في القرن 19...، المرجع السابق، ص 52

⁴ . موقع Data، البحث في البيانات، التصفح يوم 2024/01/29، التوقيت 20:27 ليلاً، <https://data.bnf.fr>

⁵ . إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص 413

⁶ . Victor Colonieu, **Le Tracé Central du Chemin de fer Trans-Saharien**, Imprimerie de E.l'Huillier, Langres 1880

كما تميز الجنرال (كولونيو) بعدة مؤلفات عن الرحلات منها: رحلة إلى قورارة وتوات، ورحلة الكونت كولوميو والسيد بوران إلى قورارة وأوقروت، ورحلة في الصحراء الجزائرية من البيض جبريفيل إلى ورقلة، وتُنسب له أيضاً مؤلفات أخرى في القانون¹، في تلك الكتابات تكلم عن رحلته التي انطلق فيها مع الرائد (بورين) سنة 1860 إلى قورارة برفقة تلك القافلة التجارية الضخمة، مصطحباً معه فرقة عسكرية لأول مرة، وهو ما رفضه سكان قصور تيميمون وتورسيت² وحتى قصر بلغازي في دلدول وتيبرغمين في أوقروت وتيمي، واشتروا على القافلة الدخول بدون تلك الفرقة العسكرية³. وتكمن خطورة وأهمية رحلات (كولونيو وبورين) أنها كانت في غالب الأحيان تحت غطاء عسكري، وكانا يصطحبا معهما جنود الصبايحية⁴ ومهندسين ورسامين ومكلفين بالمؤونة ومرشدين من أولاد سيدي الشيخ والمكتب العربي، بما لا يدعو أي مجال للشك بأن رحلاتهما كانت لها طموحات توسعية تخدم أجندة الاحتلال الفرنسي. ورغم أن هذه الكتابات ظلت حبيسة الأرشيف إلا أنها طُبعت ورأت النور في أعوام 1863 و1880 و1971، وقد أفادت فرنسا بمعلومات قيمة عن توات والصحراء ووضعت لها رسومات وخرائط ورصد بيئي وجيولوجي⁵.

ورغم فشل الرحلة إلى توات وعودة الجنرال (كولونيو) خائباً مطروداً أينما حل على أبواب قصورها، إلا أنه كان يُدَوّن أية معلومة يحصل عليها، حتى أنه تكلم عن امتداد ثورة الشريف محمد بن عبد الله من ورقلة إلى توات وعين صالح، حيث أشار إلى أنه لجأ إلى المنطقة واستطاع جمع الأنصار من توات والطوارق والشعانية؛ وأشاع هناك على أن رحلات فرنسا نحو المنطقة هي حملات

1. ودان بوغافلة، "الصحراء الجزائرية والطموح الاستيطاني خلال القرن 19م"، *جريدة الجمهورية*، صفحة أوراق الجمهورية، ع36، وهران 2024/01/27، ص 16.
2. إبراهيم مياشي، *الاحتلال الفرنسي...*، المرجع السابق، ص 414.
3. التواتي بومهلة، *الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934*، دار المعرفة - الجزائر 2012، ص 16.
4. *الصبايحية*: فرقة عسكرية تسمى أيضاً السبايس كانت موجودة في الجزائر خلال العهد العثماني، ثم أعادت فرنسا تأسيسها وتنظيمها منذ 1834 واستخدمتها في معاركها التوسعية بالجزائر إلى جانب فرقة الزواف، ينظر: عائشة ناقل، "فرق الصبايحية واستغلالها داخل الاستراتيجية الاستعمارية 1830-1845"، *الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية*، مج12، ع1، 2019، ص ص 141-149.
5. ودان بوغافلة، "الصحراء الجزائرية والطموح الاستيطاني..."، المرجع السابق، ص 16.

استطلاعية لاحتلالها¹، كما نصح بالاستعانة في مشروع السكة الحديدية بالشعائبة الذين لهم علاقات وطيدة حتى المنيعه وتيميمون وعين صالح وأوقروت، ووصف الطريق المؤدية إلى توات بدون مساعدتهم لن تكون آمنة ولن تُستكشف المنطقة²؛ وبذلك أعطى معلومات هامة عن الجغرافيا والسكان وحالة الأمن في المنطقة.

3-5- الرحالة (بول سولايلي Paul Soleillet):

جون جوزيف ماري ميشال بول سولايلي من مواليد مدينة نيم الفرنسية سنة 1842، تربى وترعرع في مدينة أفينيون، انضم للمشاة في الجيش الفرنسي سنة 1870، كان محباً للسفر والترحال والبحث عن المناطق المجهولة خاصة في إفريقيا حتى توفي في أودان سنة 1888م³ أو في مرجع آخر توفي سنة 1886م⁴. وكان قد بدأ تحضير أولى رحلاته نحو الجزائر سنة 1866 بالتعود على اللغة العربية، واطلع على عادات وتقاليده السكان، ودرس كتباً من التاريخ والجغرافيا وبعض الكتابات عن إفريقيا، وانطلق في زيارته إلى الجزائر وتونس خلال هذه الفترة كرحلة استطلاعية أولية⁵.

أما رحلته الحقيقية والتي كلفته بها غرفة التجارة والمؤسسة العسكرية فكانت نحو عين صالح، حيث انطلق في مهمة استكشاف تيديكلت في 06 سبتمبر 1872 من مرسيليا إلى الجزائر العاصمة ثم الأغواط ثم عين صالح، وطيلة مساره ذلك كان يكتب ما يقف عليه وقد أبدى إعجابه بالطبيعة وجمال المدن التي مر عليها⁶، حيث نجد له عدة تقارير ومؤلفات نذكر منها حسب ما استعنا به في دراستنا: إفريقيا الغربية (الجزائر، ميزاب، تيديكلت)، استكشاف الصحراء الوسطى (رحلة من الجزائر

¹ . Victor Colonieu, **Voyage dans le Sahara Algérien, de Géryville à Ouargla**, Édition Hachette, Paris 1971, p.164

² . Victor Colonieu, **Le Tracé Central du Chemin de Fer Trans-Saharien**, Op.Cit, p.10

³ . عبد القادر مرجاني، **السياسة الفرنسية...**، المرجع السابق، ص 42

⁴ . صفحة **Paul Soleillet**، Gallica، التصفح: 2024/01/30، التوقيت 16:15 مساءً، <https://gallica.bnf.fr>

⁵ . إبراهيم مياشي، **توسع الاستعمار...**، المرجع السابق، ص 59

⁶ . Paul Soleillet, **l'Afrique Occidentale: Algérie, Mzab, Tildikelt**, Imprimerie de F.Seguin aîné, Avignon 1877, p.7

إلى عين صالح)، استكشف الصحراء الوسطى (مستقبل فرنسا في إفريقيا)، رحلات واستكشف في الصحراء والسودان (من أجل مشروع السكة الحديدية).

وفي رحلته إلى تيديكلت التي كان مسروراً بها تجهز (سولايي) بقافلة مكونة من مرافقين من الشعانبة وبعض الخدم، وكاتبه الشخصي و14 حارساً و2 من رعاة الإبل، فكان مجموع البعثة 26 شخصاً و10 جمال و3 خيول¹، وكان وصوله إلى عين صالح عبر المنية ثم قصر مليانة الذي وصله يوم 06 مارس 1874، لكن الحاج عبد القادر باجودة رفض استقباله في عين صالح، فعاد إلى المنية عن طريق قصر فقارة الزوى².

وقد اندهش (سولايي) من نشاط القوافل التجارية بمنطقة تيديكلت والجنوب الجزائري، مما جعله ينصح دولته بضرورة إقامة علاقات ومبادلات تجارية هناك، وضرورة "الفتح السلمي للمنطقة"³ -على حد وصفه- وذكر أنه في عين صالح وتيميمون وجميع أنحاء توات توجد بها تجارة قوية ونشطة، لكن لا تتحكم فيها الجزائر ولا تونس، لكنه في المقابل أشار إلى أن الجزائر تتمتع بخاصية القرب الجغرافي من المنطقة على عكس تونس، ثم وهو يسترجع مغامرات ورحلات سابقه ودور الجمعية الجغرافية الفرنسية في ذلك ذكر دولته بمدى التحول الكبير الذي ستعرفه حينما يرتبط المحيط الأطلسي بالبحر المتوسط عبر هذا البر الصحراوي⁴.

تكمن أهمية رحلة (بول سولايي) رغم قصر أيامها في قصور تيديكلت، إلى أنه استطاع أن يقدم للسلطات الفرنسية معلومات في غاية الأهمية، خاصةً حول هضبة تادمايت وما جاورها، استندت

¹ . Paul Soleillet, *l'Afrique Occidentale...*, Op.Cit, pp.205,206

² . L.Voinot, *Le Tidikelt*, Op.Cit, pp.83,84

³ . Paul Soleillet, *Exploration du Sahara Central: Voyage de Paul Soleillet d'Alger à l'Oasis d'In-Çalah* : Rapport Présenté à la Chambre de Commerce d'Alger, Éditeur: [s.n.], Alger 1874, pp.6,7

⁴ . Paul Soleillet, *Exploration du Sahara Central : Avenir de la France en Afrique*, Éditeur: Challamel aîné, Paris 1876, pp.5-7

عليها فرنسا إلى نتيجة حتمية للتوسع لبلوغ ثروات تلك المنطقة¹، كما نستنتج من قراءتنا لبعض الصفحات من كتاباته أنه أعطى معلومات ودراسات حول أهمية المنطقة تجارياً وإقليمياً، وأوصى دولته بضرورة ربط تلك المسالك والقوافل الصحراوية بمستقبل فرنسا، وأعطى فكرة عن مشروع السكة الحديدية وضرورة ربط الواجهة الأطلسية بالمتوسطية عبر الجزائر، كما شجع بلاده من خلال الأصدقاء والمساعدين الذين استعان بهم في رحلته، على رسم مسار آمن لأي رحلة آخر بنفس منواله.

3-6 - مهمة الملازم (مارسيل بالات Marcel Palat):

جوستين مارسيل بالات رحالة فرنسي وُلد سنة 1856، كان مغرمًا بالصحراء حتى أنه خطط لربط الجزائر بتمبكتو لكنه قُتل في فيفري سنة 1886م²، تخرج من المدرسة العسكرية "سان سير" سنة 1870م، أصبح ضابطاً في الفرقة العسكرية بوهران، تعلم اللغة العربية وأتقنها فعُين ملحقاً للمكتب العربي بسعيدة، ثم انضم لفرقة الخيالة 11 بتونس، وألف عدة كتب منها: وردة الحلفاء، زواج بإفريقيا، مذكرات حول القرون العتيقة³، يوميات الطريق والمراسلات، وقصة ضابط صبايحي وغيرها...

حصل بالات سنة 1885 على مهمة لتحقيق حلمه الاستكشافي إلى عين صالح ثم السودان الغربي، فانطلق من باريس إلى الجزائر العاصمة ثم المنيعية التي انتظر فيها مرافقة سي قدور بن حمزة، ولما تأخر عليه أخذ طريقه في 03 ديسمبر 1885 إلى قورارة، ووصل قصر تعنطاس ببنيركوك في 12 ديسمبر حيث رفضه أهل القصر، ثم قصر سموطة الذي وصله متخفياً كي يخدع الناس، لكنه كان يتعرض للمضايقات والطرده أينما حل وارتحل، حتى أن سي قدور بن حمزة حاول مساعدته في جانفي 1886 ولم يفده بشيء، ثم واصل مسيره لوحده فزار الشيخ بوعمامة في دلدول ثم

¹ . إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار...، المرجع السابق، ص 60

² . موقع Data، البحث في البيانات، التصفح يوم 2024/01/30، التوقيت 18:15 مساءً، <https://data.bnf.fr>

³ . إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص ص 427، 426

أخذ طريقه إلى عين صالح عبر هضبة تادمايت، ليلقى حقه هناك قرب حاسي حتو يوم 21 فيفري 1886 على يد رجلين من أولف وأولاد بادحان¹.

وقد عثرنا على رسالة مخطوطة موجهة من قايد بوسمغون إلى حاكم البيض والتاريخ الوارد فيها مارس 1886، أي: أنها أقرب مصدر موثوق لتاريخ وفاة (بالات)، ورد فيها أن هذا الملازم الفرنسي لما نزل في قصر الحاج قلمان رفض جماعة القصر إقامة خيمته بينهم إلا إذا دفع الكراء، وهناك قدم إليه سي الأعلى بن بوبكر أخو سي حمزة وبقي معه حتى جاء 4 مهابيست من أولاد باحمو وعرضوا عليه القدوم إلى بلادهم، فوافق على الفكرة رغم تحذير كبير قصر الحاج قلمان له، وفي الطريق قرب بلاد تيديكلت قتلوه²، وفي رسالة أخرى من سليمان ولد حمو عمرو قايد الشلالة الظهرانية إلى حاكم البيض بتاريخ 29 ماي 1886، ورد فيها أن بالات قُتل من طرف 4 رجال من أولاد باحمو ونهبوا له 2 من الإبل وبنديقية ومسدس و10 دورو، وأن الحاج عبد القادر بن باجودة عاقبهم ونفاهم من البلاد، وأن بعض أغراضه سلمها إلى الشيخ بوعمامة في دلدول وهو بدوره أرسلها إلى حاكم عين الصفراء³.

ويبدو من خلال الرسائل التي كان يتبادلها (مارسيل بالات) قبل مقتله، أنه سار في رحلته من الجزائر إلى وهران ثم سعيدة ثم البيض ثم المنيعية ثم قورارة، وكانت قافلته تتكون من دليل صحراوي وراعي إبل و3 حراس ورجل من المهابيست⁴ و6 جمال وحصان⁵، وخلال تلك الرحلة تجول (بالات) في قصور قورارة حوالي 40 يوماً، ورغم أن زعماء أولاد سيدي الشيخ (سي حمزة، وسي قدور وابنه

¹ . L.Voinot, *Le Tidikelt*, Op.Cit, p.84

² . رسالة من قايد بوسمغون إلى حاكم البيض، مارس 1886، أرشيف المكتب العربي بالبيض، رمز علبة الأرشيف: GGA 33JJ 3

³ . ورد في نهاية هذه الرسالة عبارة: هذا ما سمعه الخليفة عبد القادر بن أحمد من عند الرقاس الذي أرسله حاكم عين الصفراء إلى قورارة. ينظر: رسالة من سليمان ولد حمو عمرو قايد الشلالة الظهرانية إلى حاكم البيض، 29 ماي 1886، أرشيف المكتب العربي بالبيض، رمز علبة الأرشيف: GGA 33JJ 3، الملحق رقم 45 ص 432

⁴ . المهابيست: وهي فرقة صحراوية من مستخدمي الجمال، وظفتهم فرنسا في بدايات توسعها في الجنوب الجزائري إلى جانب الصبايحية والزواف، والشعانية كانوا أكثر المجندين فيها رغم تمردهم فيها من حين لآخر، وقد نظمها القائد الفرنسي لابيرين لاحقاً في توات سنة 1902. ينظر: عبد الله بابا، الأوضاع...، المرجع السابق، ص 54، 55

⁵ . Marcel Palat, *Journal de Route et Correspondence*, Édition: G.Charpentier, Paris 1886, pp.35-58

سي محمد) حاولوا التوسط له ومرافقته، إلا أنه كان منبوءاً مطروداً في القصور التي زارها، ومن خلال تلك الجولة اكتشف (بالات) الطريق الرابط بين البيض وعين صالح، وتعرف على القصور والواحات والنشاطات التجارية والمنتجات المتداولة عبر هذا المسلك الصحراوي¹.

ويبدو أن معظم كتاباته عن المنطقة كانت بتواجده في المنية طيلة شهر كامل، ثم تحول إلى الشمال الغربي من توات وبالضبط جهة تينركوك في 11 ديسمبر 1885م²، ومن أخطر ما كتبه (بالات) أنه نصح بلاده بضرورة احتلال المنية للتحكم في العلاقات مع توات بحزم وقوة، ووصف توات بأنها منطقة مأهولة بالسكان تناهز 300 ألف نسمة وأن فيها حوالي 10 مليون نخلة، وبالتالي فهي تستحق كل العناية والمشقة، وذكر أنه ينبغي التحكم في المتمردين الذين يلجأون إلى توات، وأعطى معلومات عن المسافة المؤدية إلى توات من جهة الحدود المغربية³؛ ثم أخبر بلاده أنه استطاع أمر الشيخ بوعمامة في المنطقة وقد جاءت رسالة من الشيخ بوعمامة إلى أعيان قصر الحاج قلمان هدهد فيها وحذرهم منه⁴.

ويبدو من خلال رسائله التي كان يكتبها عن يومياته كلما حل بقصر ما من المنطقة، أنه كتب عن الصراع الذي كان قائماً بين سي قدور بن حمزة والشيخ بوعمامة، وأن قصور المنطقة كانت منقسمة بين تأييد هذا أو ذاك، ومن خلال تواجده هناك أعطى معلومات في غاية الأهمية عن تلك القصور والقبائل والأعيان فيها، وعن حالة الغليان فيما بينهم، وكان آخر ما كتبه وهو في قصر سموطة بتاريخ 25 جانفي 1886م⁵؛ ولم نجد بعد ذلك أي شيء كُتب عن زيارته إلى دلدول ولقاءه مع الشيخ بوعمامة، أو ربما كتاباته ضاعت مع حادثة مقتله بعد تجاوزه أوقروت ودخوله منطقة

¹ . عبد المالك طاهري، منطقة توات في القرن 19...، المرجع السابق، ص 60

² . Marcel Palat, *Journal de Route et Correspondence*, Op.Cit, p.207

³ . Ibid, p.143

⁴ . Ibidem, p.245

⁵ . Ibidem, p.311

تادمايت في طريقه إلى عين صالح، وما بين هذا التاريخ ووفاته شهراً كاملاً، ربما زار فيه قصوراً أخرى بعد سموطة، أو لعله ارتحل مع أولاد باحمو مباشرة إلى تادمايت نحو عين صالح.

3-7- الرحالة (كاميل دولس Camille Douls):

رحالة فرنسي معروف بأنه مستكشف الصحراء الغربية¹، وُلد بمدينة أفيرون سنة 1864 وقُتل في منطقة أقبلي جنوب الجزائر 1889م²، كان مهتماً منذ شبابه بمجال علوم الطبيعة واستكشاف إفريقيا، اشتهر برحلاته بين سنتي 1887-1889 جنوب المغرب والصحراء الغربية وأقصى الجنوب الغربي للجزائر، حيث استكشف تيندوف³ سنة 1887م⁴، أراد تكرار تجربة (بالات) سنة 1888 فانطلق في رحلة سرية متكرراً في زي عربي تحت مسمى "الحاج عبد المالك"، حيث شوهد في تافيلالت ثم وادي الساورة ثم توات، اصطحب قافلة لأولاد زنان حتى وصل إلى أولف ثم أقبلي التي قُتل فيها على يد شخصين من الطوارق كانا يرافقانه⁵؛ وهناك من يقول أنه ادعى أنه شريف وزاني، وأن الصبية في رقان اكتشفوا أنه غير مختون حينما اختلى بنفسه، وأن الطوارق الذين رافقهم طلبوا منه في الطريق الصلاة فرفض وهددهم بالمسدس فقتلوه خنفاً سنة 1889، وقد أقام له الفرنسيون نصب تذكاري بالتزامن مع احتلالهم للمنطقة⁶.

وكان (دولس) قد تعرض في أولى رحلاته للاعتقال على يد أولاد دليم جهة الصحراء الغربية بعدما دخلها سنة 1887 متكرراً كتاجر جزائري، ثم لما استطاع النفاذ بنفسه من أولاد دليم وعودته إلى بلده، حاول بعد أشهرٍ فقط الترحال مجدداً نحو تمبكتو عبر المغرب، ولما وصل إلى تيديكلت بين

1. الصحراء الغربية: المقصود بها منطقة وادي الذهب والساقية الحمراء، المستعمرة الإسبانية السابقة الواقعة بين الجزائر والمغرب وموريتانيا.

2. موقع Data، البحث في البيانات، التصفح يوم 2024/01/30، التوقيت 18:15 مساءً، <https://data.bnf.fr>

3. تيندوف: مدينة وولاية في الجنوب الغربي للجزائر، تبعد عن الجزائر العاصمة حوالي 1750 كلم، وهي آخر منطقة احتلتها فرنسا.

4. عبد المالك طاهري، منطقة توات في القرن 19...، المرجع السابق، ص 60

5. L.Voinot, Le Tidikelt, Op.Cit, p.84

6. محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج2، المرجع السابق، ص ص 302،303

أولف وأقبلي أُعتيل على يد المرشدين الذين رافقهم، ورغم أن رحلته لم تحقق سوى نتائج علمية قليلة، إلا أنه كان من الأوائل الذين استكشفوا جهة الساقية الحمراء وتندوف¹؛ كما نشر مذكراته على صفحات مجلة "جولة حول العالم" سنة 1888، بعنوان (خمسة أشهر بين البدو الرحل في الصحراء الغربية) في حوالي 47 صفحة، أعطى من خلالها تفاصيل هامة جداً عن مجتمع البداوة في الصحراء الغربية وتيندوف، مجتهداً في دراسة تلك الأوضاع بالكثير من المعلومات والرسومات والخرائط².

ورغم أننا لم نجد شيئاً كتبه أو ذكره عن منطقة توات، لكن يبقى وصوله إليها ومقتله فيها من الأسباب التي أزعجت فرنسا، أما ما يُستفاد من رحلة (دولس) فيمكن القول أنه أعطى لمحة عن الوصول إلى منطقة توات عن طريق الصحراء الغربية والجنوب المغربي، كما أنه ساهم في استكشاف المنطقة وربطها بتيندوف القريبة من الجنوب الغربي الجزائري، بالإضافة إلى كون السلطات الفرنسية ربطت أطماعها التوسعية بتلك المناطق مع بعضها البعض، وكانت لجرأة (دولس) وشجاعته ومقاومته للظروف والمخاطر دافعاً لرحالة ومغامرين آخرين، كالراهب (دي فوكو) الذي حذا حذوه لاحقاً في تتبع مساره والحصول بذلك على مكاسب جغرافية وعلمية عظيمة³.

3-8 - بعثات (فورو Foureau) و(لامي Lamy):

وُلد الفرنسي فرناند فورو سنة 1850 بضواحي "سان باريانت"، واستقر في الجزائر جنوب قسنطينة ثم تحول إلى رحالة في أنحاء الجنوب الجزائري وجواره من 1883-1898، فاجتاز الصحراء من ورقلة إلى الهقار وغدامس وحتى بحيرة تشاد مع (لامي)، عُين كذلك كحاكم عام على جزر القمر، وتوفي في باريس سنة 1914م، أما الضابط (أميدي لامي) فقد وُلد في "موجينس" فرنسياً سنة 1858،

¹ . F. Demoulin, "Camille Douls", *Annales de Géographie*, T. 46, N°259, Librairie Armand Colin, Paris 1937, pp.102,103

² . Douls Camille, **Cinq mois chez les Maures nomades du Sahara occidental**, le Tour du Monde, 1888, pp.177-224

³ . F. Demoulin, "Camille Douls...", Op.Cit, p.103

انضم للمدرسة العسكرية "سان سير" وعمره 19 سنة، عُرف برحلته الشهيرة العابرة للصحراء مع (فورو)، وله تجارب في الخدمة العسكرية في المغرب والغابون ومدغشقر وتشاد التي قُتل فيها سنة 1900م¹. وللثنائي كتابات كثيرة فردياً ومع بعضهما، مثل كتابهما سنة 1897 بعنوان: مذكرات حول مسألة الصحراء، وكتاب (فورو) بعنوان: رحلاتي الصحراوية في العرق الكبير 1896/1895م².

ورغم كثرة وتنوع رحلات وبعثات هذا الثنائي منذ سنة 1883 إلا أنه ما يهمننا من مساهمتهما تلك الرحلات الممتدة من 1890-1897، حيث كان (فورو) قد سار سنة 1890 بمحاذاة عين صالح ووصل إلى عين الطيبة وتادمايت وأبعد من ذلك، ثم في سنة 1893 استئذن من الحاكم العام للجزائر باستطلاع الطريق الرابط بين المنيعية وعين صالح، وبه أغلقت قائمة المستكشفين المسالمين³. وكانت مهمة البعثة سنة 1893 عبور منطقة الهقار انطلاقاً من بسكرة ثم المنيعية ثم هضبة تادمايت ثم عين صالح، ثم توجهت القافلة إلى منطقة الطاسيلي، ثم عودتها إلى بسكرة بعدما اعترضها بعض الطوارق⁴.

وتكمن أهمية رحلات (فورو ولامي) في شساعة المساحة المستكشفة، والتي امتدت من بسكرة شمالاً إلى عين صالح غرباً وغدامس والطاسيلي شرقاً والأهقار وحتى بحيرة تشاد جنوباً، حيث قاما بين 1882-1897 بـ 9 رحلات استكشافية استطاعا فيها مسح ما مساحته حوالي 21 ألف كلم² من الطرق والمسالك الصحراوية⁵، وللعلم فبعثة (فورو) إلى تادمايت سنة 1890 كانت بتكليف من وزارتي التعليم العالي وشؤون المستعمرات بدعم مالي قيمته 7000 فرنك، استعان فيها (فورو) بمرشدين من

¹ . عبد القادر مرجاني، *السياسة الفرنسية...*، المرجع السابق، ص ص 53، 54.

² . موقع Data، *البحث في البيانات*، التصفح يوم 2024/02/01، التوقيت 00:20 ليلاً، <https://data.bnf.fr>

³ . L. Voinot, *Le Tidikelt*, Op.Cit, p.86

⁴ . Fernand Foureau, *Rapport sur ma Mission au Sahara et chez les Touareg Azdjer 1893-1894*, Librairie Coloniale, Paris 1894, pp 107-114

⁵ . Yves Boulvert, "*Fernand Foureau (1850-1914) Explorateur Saharien*", *Hommes et Destins*, Tome 11, Afrique Noire, Publications de l'Académie des Sciences d'Outre-Mer, l'Harmattan, Paris 2011, p.311

الشعائبة وجمال ومؤونة ووسائل الرصد والتصوير، حتى أنه أدرج خلالها صوراً حقيقية عن العرق الغربي الكبير والحمادة والهضبة في تادمايت والآبار التي توقفوا عندها والنباتات التي صادفوها، ومن خلال كتاباتها تم تحديد مستويات الانخفاض والارتفاع ووضع خرائط ورسومات لتلك المناطق، وتقديم دراسات حول مصادر المياه وطبيعة الطقس والمناخ ومعلومات حول نباتات وأسماء الأماكن والمسالك¹.

3-9- دور (لويس فوانو Louis Voinot):

وُلد لويس فوانو في مدينة ليون الفرنسية سنة 1869، تطوع في الجيش عام 1888 والتحق في الخدمة بالجزائر سنة 1898 لينتقل في العام الموالي إلى الجنوب ضمن سلاح المدفعية، شارك في عملية الغزو الفرنسي في تيديكلت 1899-1900، رفع حينها العلم الفرنسي في قصبة باجودة بعين صالح، وشارك في حملة غزو إينغر وأصيب حينها لينال وسام شرفي، وأكمل مشواره العسكري 13 سنة وتم تعيينه سنة 1902 في شركة تيديكلت الصحراوية، شارك في عدة بعثات استكشافية وعسكرية بدءاً بحملة (فلامون) 1899 وحتى 1906م حينما التقى بالراهب (شارل دي فوكو)²؛ كرس العقيد (لويس فوانو) حياته للعديد من الرحلات والدراسات الصحراوية، فصدر له ما بين 1902-1920 كتابات ومؤلفات كثيرة نذكر منها: العمليات في الواحات الصحراوية واستخدام الأصداف الطويلة، وعبر الموبدير، وملاحظات حول الأنتوغرافيا في الصحراء الوسطى، ومدفعية الجمال، والتيديكلت، والمسألة عبر إفريقيا... توفي في مدينة نيس سنة 1960م³.

¹ . Foureau Fernand, **une Mission au Tademayt (territoire d'In-Salah)**, en 1890. Rapport à M. le Ministre de l'Instruction Publique et à M. le sous-Secrétaire d'Etat des Colonies, Impr. de C. Schlaeber, Paris 1890, pp.1-181

² . Jean Charles Humbert, **Avant-Propos, le Tidikelt Étude sur la Géographie l'Histoire les Mœurs du Pays**, Éditeur: Jacques Gandini, Calvisson 1909

³ . ليلي ابلالي، "استكشاف الضابط الفرنسي لويس فوانو لمنطقة أقبلي في القرن 19م من خلال كتابه "Le Tidikelt"، **مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والإنسانية**، مج22، ع2، 2023، ص ص 509-534

ساهم (لويس فوانو) خاصةً من خلال كتابه (تيديكلت) في التعريف بتاريخ المنطقة ووصف أوضاعها الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، مبرزاً دراسته على أساس جغرافية وتاريخ وأخلاق المنطقة -على حد وصفه- وركز تلك الكتابات على فترة القرن 19م، كما تكلم عن الرحالة والمستكشفين الذين سبقوه، وعن الأحداث والقبائل والقصور في تيديكلت، وقدم معطيات وإحصائيات في غاية الأهمية عن المنطقة، ورغم أنه أشاد بالأهمية التجارية للمنطقة واستتباب الأمن حينها وتميزها في بعض المنتجات والثروات، إلا أنه حينما تكلم عن مستقبل تيديكلت نصح بلاده عنها بأنها "لا يمكن أن تكون أرض استعمار"، مبرراً ذلك بالمناخ والبيئة القاسية، ولأنه عمّر طويلاً وعاش أحداث المنطقة فقد كتب عن الغزو الفرنسي والمقاومة في المنطقة¹.

ومن خلال اطلاعنا على كتاب تيديكلت والدراسات حول هذه الشخصية، استنتجنا أن أهمية كتابات (فوانو) عن المنطقة تمثلت في كونه تفرغ للكتابة عنها بشكل كبير ومستقر، حتى تحولت دراساته وكتبه لمراجع للسلطات الاستعمارية استغلته ووظفتها في سياساتها أثناء وبعد الغزو، حيث كان لها دور فعال في فهم سكان المنطقة والتحكم فيهم ومحاولة إدماجهم في الوضع الاستعماري القائم، ورغم أن (فوانو) لم يسجل نفسه كرحالة مستكشف، وكان في بداية الأمر مصاحباً (فلامون) في بعثته إلا أنه أفاد بلاده بمفرده طيلة السنوات التي تواجد فيها بتيديكلت، حقق من خلالها جانباً علمياً أكثر منه عسكري، ذلك لأن بعثة (فلامون) كانت حملة عسكرية مغلقة ببعثة علمية فتحقق الهدف الأول أكثر من الثاني، في حين كان دور (فوانو) العلمي أكثر من العسكري، ولأنه جمع بين القلم والجندي فقد كان منظرًا لدولته وسياساتها في المنطقة طيلة فترة تقاعده وحياته الممتدة 91 سنة.

3-10- بعثة (فلامون Flamand):

وُلد جورج بارثيلمى ميديريك فلامون سنة 1861 في باريس، كان باحثاً في الجيولوجيا وأستاذاً

¹ . L.Voinot, **Le Tidikelt**, Op.Cit, pp.23-91

بالمدرسة العليا للعلوم بالجزائر العاصمة، ثم مدير الدائرة الجغرافية للجنوب الجزائري سنة 1905م، له رحلات وكتابات إلى منطقة توات مثل (ملاحظات رحلة من وهران إلى قورارة) سنة 1898، ومداخلة في ملتقى الدراسات الجزائرية 14 ماي 1900 بعنوان (احتلال عين صالح والنشاط الفرنسي في الصحراء)، ودراسة علمية سنة 1902 تمحورت حول (وجود رواسب النترات في توات وقورارة وتيديكلت)، وله بحوث أخرى كثيرة حول الرسومات والنقوش وتاريخ الجمل وعصور ما قبل التاريخ في الجنوب الوهراني ومنطقة توات، قام بها كلها في ظل بداية الغزو الفرنسي للمنطقة ما بين 1901-1906 إلى أن توفي سنة 1919م¹.

وبحكم تخصص فلامون الجيولوجي الذي كان قد بدأ أبحاثه ورحلاته سنتي 1890 و1891، استطاع من خلالها الوصول حتى إلى واحة البنود²، حيث أشار إلى وجود أكثر من 20 محطة نقوش ورسومات في المنطقة الممتدة من أفلو وفيقيق إلى واحة البنود³، وكان قد أنهى مهمة استكشافية أيضاً سنة 1896 من الأبيض سيدي الشيخ إلى حصن (مكماهون) بالمنيعه، تعرف فيها على المظاهر الطبيعية بالجنوب الغربي، وعلى المناطق المحاذية لهضبة تادمايت والعرق الغربي الكبير، من تينركوك إلى أمقيدن والأودية المنتشرة بها⁴.

ثم يقول (فلامون) أنه تم تكليفه من طرف وزارة التعليم والفنون الجميلة باستكشاف علمي للصحراء واستكمال مهمة أبحاثه الجيولوجية السابقة، فانطلق في تلك المهمة من الجزائر العاصمة في 8 نوفمبر 1899، إلى أن وصل بسكرة ثم توقرت وورقلة مروراً ببعض محطات الآبار ومصادر

¹ . موقع Data، البحث في البيانات، التصفح يوم 2024/02/01، التوقيت 21:20 ليلاً، <https://data.bnf.fr>

² . واحة البنود: قرية صغيرة تابعة حالياً للأبيض سيدي الشيخ، وهي محاذية للحدود مع منطقة قورارة.

³ . G.B.M. Flamand, **Recherches sur les Stations de "Pierres Écrites" ou Hadja Mektouba de l'Extrême-Sud Oranais** [article], Comptes Rendus des Séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 36^e année, N. 1, Paris 1892, p.7

⁴ . A.Bernard, N. Lacroix, **La Pénétration Saharienne (1830-1906)**, Éditeur: J. Gandini, Calvisson 1906, p.121

المياه، إلى أن بلغ قسبة باجودة في 27-28 ديسمبر 1899، ثم عين صالح 29 ديسمبر حتى 20 جانفي 1900 حيث عاد عبر المنيعه وغرداية والأغواط إلى الجزائر العاصمة في 24 فيفري 1900م، ويذكر في بداية وصول بعثته إلى عين صالح أنه من باب "الصدفة الإلهية" تعرضت بعثته "السلمية" إلى هجوم من أولاد باحمو، مما أدى بالفرنسيين إلى الاستيلاء على عين صالح¹؛ وهنا نلاحظ أن عاطفته وميولاته تغلبت عليه في كتاباته، حيث وصف بعثته بالسلمية وأن هجوم ناس عين صالح كان مجرد صدفة، في حين كل المصادر والحقائق تثبت العكس.

والحقيقة أن بعثة (فلامون) التي نال فيها الدعم أيضاً من طرف الحاكم العام في الجزائر (لافيريار)، وبدوره رئيس المجلس الحربي (ليفي) أوعز بحمايتها عسكرياً، من طرف النقيب (بان Pein) الذي اصطحب معه 140 جندي، بالإضافة إلى بعض القوات من القبائل الصحراوية² التي كان يقودها كل من النقيب (جيرمان) والكومندو (بومقارتن)³، بل حتى (فوانو) الذي كان يصاحب تلك البعثة يشهد بقوله "مهمة فلامون كانت محمية جيداً، فلما هوجمت في إقسطن ردت ودخلت إلى عين صالح والسلاح في اليد"⁴؛ وكان ذلك الهجوم المفاجيء من أهل عين صالح لما اكتشفوا حقيقة ونوايا البعثة المحمية عسكرياً، حيث استعد لها حوالي 1200 رجل بقيادة الحاج المهدي باجودة ودافعوا عن قصورهم يوم 28 ديسمبر 1899 دفاعاً مستميتاً⁵.

ورغم أن بعثة (فلامون) في بداياتها ورحلاتها الأولى استطاعت أن تقدم معلومات ودراسات جيولوجية هامة عن مناطق الجنوب الغربي، بما فيها منطقة قورارة التي لامس حدودها انطلاقاً من

¹ . G.B.M. Flamand, **une Mission d'Exploration Scientifique au Tidikelt** [article], Annales de Géographie, T. 9, N°45, Librairie Armand Colin, Paris 1900, 233,234

² . كانت الفرقة العسكرية متكونة من 90 مھاريست و15 من الخيالة ومقدم الطريقة القادرية بصحبة 40 من المھاريست، وفرقة النقيب جيرمان من الصبايحية لحماية البعثة بشكل إضافي. ينظر: إبراهيم مياشي، الاحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص 459

³ . ريمون فيرون، الصحراء الكبرى...، المرجع السابق، ص 114

⁴ . L.Voinot, **Le Tidikelt**, Op.Cit, p.86

⁵ . عبد القادر مرجاني، السياسة الفرنسية...، المرجع السابق، ص ص 55،56

جهة البنود، والتي اكتشف فيها (فلامون) أنواعاً هامة من الفحم الحجري وتعرف عليها علمياً، مما جعل الفرنسيين يدعمونه لاستكمال أبحاثه في توات، والتي كانوا يحتاجون من خلالها لتلك المعادن والثروات لازدهار صناعته¹؛ والأخطر من ذلك أن من نتائج بعثة (فلامون) دورها الفعال والمباشر في البدء بالغزو الفرنسي للمنطقة، وساهم بدوره في الحرب والدعاية الكاذبة عن بعثته التي كان ظاهرها علمي وحقيقتها التوسع الاستعماري، وحتى ولو تغطت مهمته بالجانب العلمي فإن اكتشافاته ودراساته عجلت بوصول أولى طلائع الاحتلال الفرنسي للمنطقة، وحتى ولو هوجمت في بداية الأمر من أهالي عين صالح فإن أبسط المحللين يستنتجون أن تلك البعثة كانت مصحوبة بقوة عسكرية ضخمة، إن دل على شيء إنما يدل على النية المقصودة للاحتلال، خاصة أن القوات الفرنسية كانت قبيل تلك البعثة تقوم بحملة استطلاعات من المراكز العسكرية التي أنشأتها على مشارف حدود توات كما كان الشأن في مدينة المنيع.

رأي واستنتاج:

يمكن تفسير ذلك الاهتمام الفرنسي باستكشاف الجنوب الغربي عامةً ومنطقة توات خاصةً، نظراً لعدة دوافع وأهداف كانت مقصودة بشكل مباشر أو غير مباشر، كان الهدف الأساسي فيها الرغبة في التوسع الاستعماري تحت غطاء الاستكشاف، وربط مستعمراتها الإفريقية في الشمال والغرب والداخل الإفريقي عن طريق الصحراء الجزائرية، وأهداف أخرى استراتيجية وتجارية لها علاقة بسعي فرنسا للتحكم في تجارة القوافل والتي كانت تتميز بها توات أكثر من غيرها، وذلك من خلال محاولة تجسيد حلم شبكة السكك الحديدية العابرة للصحراء، ناهيك عن توظيف تلك الأهداف في توفير الأمن واستتبابه في الجنوب دعماً لسياسات فرنسا الاستيطانية في الشمال الجزائري.

وأما من حيث الدوافع فالظاهر أن الدافع الشخصي للرحالة من باب حب الاستطلاع والمغامرة،

¹ . إبراهيم مياي، توسع الاستعمار...، المرجع السابق، ص 84

والدافع العلمي وحاجة الصناعة للثروات والموارد الأولية، كانت أهم الحوافز بحثاً واستكشافاً للمنطقة، وكذا الدافع الاقتصادي خاصة أن الأوروبيين تفتنوا لخيرات وثروات الصحراء من خلال تلك البعثات العلمية، ناهيك على أن توات كانت منطقة محورية في تجارة القوافل التي أثارت انتباه أوروبا وأزعجتها؛ فظهرت جمعيات ومؤسسات علمية واقتصادية شجعت الباحثين والمغامرين على ولوج الصحراء، كلجنة اكتشاف الجزائر العلمي سنة 1837، والجمعية الجغرافية بباريس سنة 1821 وزادت عليها فرنسا بإنشاء أكثر من 15 جمعية ما بين 1873-1882، دعمتها بمجلات علمية وإخبارية للنشر والطباعة على غرار المجلة الجغرافية الباريسية ومجلة جولة حول العالم والمجلة البحرية وغيرها من الإصدارات في الفترة المصاحبة للبعثات وكتابات المستكشفين ما بين 1821-1898¹، ناهيك عن الجوائز والحوافز المالية التي كانت تخصصها للباحثين والمستكشفين من خلال هذه الجمعيات والمؤسسات ثم من طرف الوزارات والهيئات الحكومية.

وما تميزت به تلك الفترة التي عرفت حركية كبيرة للرحالة والمستكشفين، أن جنسياتهم كانت متنوعة ورغم اختلاف أهدافهم ودوافعهم أحياناً إلا أن فرنسا الاستعمارية كانت لا تتوانى في دعمهم واستغلال كتاباتهم، رغم أن فيهم من كانوا من الجزائريين أو الإنجليز أو الألمان أو السويسريين أو الطليان، ثم شيئاً فشيئاً بدأ يظهر للعالم أن توات وجوارها هي مجال حيوي للوجود الفرنسي بالجزائر، فركزت على البعثات والرحلات الاستكشافية الخادمة للمشروع الفرنسي، وقد وظفتها فرنسا بألوان مختلفة من الوسائل والأساليب، متكرين أحياناً بادعاءات العروبة والإسلام تارةً والتجسس تارةً أخرى، من أجل التعرف على أوضاع سكان المنطقة وجس نبضهم وعلاقتهم بالأجانب والغرباء، والتي وقفوا على جزء منها عن كذب من خلال دراسة تلك المجتمعات، ومواقف السكان المحليين من الغرباء كحالات الرفض والمنع والقتل التي واجهوا بها كثيراً من المستكشفين.

¹ . عبد المالك طاهري، منطقة توات في القرن 19...، المرجع السابق، ص ص 41، 47.

المبحث الثاني: الخطوات والمشاريع التمهيدية لاحتلال المنطقة

بالتزامن مع تلك المرحلة الفرنسية من البعثات والرحلات الاستكشافية، شرعت فرنسا قبل أن تبشر في حملاتها العسكرية التوسعية لاحتلال منطقة توات، في تبني وسائل وأساليب استباقية تغلغت بها في أقصى الجنوب الغربي، كان واضحاً من خلال تلك المشاريع والاستراتيجيات أن فرنسا كانت تخشى ردة فعل السكان المحليين، حيث لاحت لها عدة أفكار ومحاولات وظفتها كخطوات تمهيدية لمشروعها التوسعي، ورغم أنها حاولت أن تغطيها وتغلفها بمسميات وأهداف غير مباشرة، إلا أنها شيئاً فشيئاً بدأت تنكشف على حقيقتها حتى انفضحت بشكل رسمي وعلني مع نهاية القرن 19م من خلال بعثة (فلامون) وتبعاتها، ومن تلك المشاريع والخطوات التمهيدية ما يلي:

1- مشروع السكة الحديدية العابر للصحراء:

لقد تميزت الصحراء الجزائرية عموماً ومنطقة توات خصوصاً بكونها كانت محوراً هاماً لتجارة القوافل، هذه التجارة الحرة التي لم تكن تتحكم فيها أية دولة إقليمية أو أوروبية، أزعجت فرنسا الموجودة في شمال الجزائر وأسالت لعبائها، فحاولت التدخل في حركتها ومسارها وأن تستفيد منها وتتحكم فيها، كما حاولت المرور عبر محطاتها إلى حيث مستعمراتها الإفريقية المترامية الأطراف. ورغم أن فرنسا تظاهرت بحجة لجوء الفارين من المقاومة إلى الجنوب لملاحقتهم والوصول إلى حيث لجوئهم، إلا أنها كانت تخفي وراء رغبتها بالتوسع والتعرف على الصحراء عدة نوايا وأهداف اقتصادية وتجارية أخرى.

فقد عبر عن تلك النوايا الماريشال (سولت Solt) وزير الحربية في تقريره إلى الملك (فيليب) فقال فيه: "يجب أن تؤلف الصحراء صنفاً ثالثاً من الجهات الإدارية، ففي هذه الجهات لا أثر للمعمرين، ولا تطأها الجيوش إلا عرضاً لقمع الفوضى، أو لإعداد ظروف ملائمة لإقامة العلاقات التجارية أو لتوسيعها، وهي مناطق هامة في الحركة التجارية المؤمّنة". وعلى هذا الأساس فكرت فرنسا

الاستعمارية في مد شبكة من طرق المواصلات وربطها بسكة حديدية وأسلاك الهاتف ومراكز عسكرية لتأمينها، ولتحقيق هذا الحلم شجعت الدولة الفرنسية الباحثين والرحالة على الاستكشاف ودراسة المظاهر التضاريسية والطبوغرافية والجيولوجية والمناخية، والغرض تحديد المناطق والمسالك التي تصلح لمرور مشروع السكة الحديدية العابر للصحراء¹.

ولعل اهتمام فرنسا بمشروع خط السكة الحديدية بالصحراء يعود إلى المهندس (دي بونشال)² صاحب أول الدراسات عنه سنة 1874م، حيث أشار فيها إلى أن هذا المشروع سيسمح بالتوغل إلى الداخل الإفريقي من خلال ربط الساحل الجزائري ببلاد السودان الغربي، وأنه سيساهم في الاستحواذ على تجارتهم النشطة، وأنه سيعطي لفرنسا مزايا سياسية واقتصادية تجعل منها إمبراطورية استعمارية في إفريقيا، هذا وقد نشر الدراسة في كتابه سنة 1878م بعنوان (السكة الحديدية عبر الصحراء الكبرى: الربط الاستعماري بين الجزائر والسودان)، والذي من خلاله أعطى دراسة أولية للمشروع وأرفقها بخرائط عامة وجيولوجية³؛ وقد تكونت لجنة تحضيرية لدراسة المشروع قدم بعدها وزير الأشغال العمومية (فرايسيني Freycinet) تقريره يوم 12 جويلية 1879 للرئاسة ملفتاً انتباهها بأن المشروع فرصة للتوغل في الصحراء الكبرى⁴.

ويتضح من خلال تلك الخرائط* التي أدرجها (دي بونشال) في كتابه، انطلاقة مسار السكة في خط موحد من الجزائر العاصمة إلى منطقة بوغار⁵، ثم تتفرع إلى ثلاث خطوط، شرقاً عبر سكة

¹ . علاء زريقة، رحالة فرنسيون وصفوا الصحراء الجزائرية ومهدوا لاستعمارها، موقع رصيف22، كتبها يوم 2022/06/08، التصفح: 2024/02/02، التوقيت: 20:30 ليلاً، <https://raseef22.net>

² . أدولف دي بانشال: من مواليد مدينة فلوراك سنة 1821، كان مهندس جسور وطرقات (بوليتيكني)، له عدة أبحاث ودراسات منها: مشروع السكك الحديدية العابر للصحراء 1879، عبر الصحراء 1885، الاستقطاب الإفريقي 1890 وغيرها، توفي في مدينة مونبولي سنة 1903. ينظر:

https://data.bnf.fr/fr/12361448/adolphe_duponchel

³ . Duponchel Adolphe, **Le Chemin de fer Transsaharien, jonction coloniale entre l'Algérie et Le Soudan**, impr. de Boehm, Montpellier 1878, P.Avant-Propos

⁴ . إبراهيم مياشي، الاحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص 438

*. ينظر الملحق رقم 07 ص 404

⁵ . بوغار: هي حالياً بلدية تابعة لدائرة أولاد عنتر بولاية المدية، وتبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 144 كلم جنوباً.

جانبية نحو بوسعادة وبسكرة وتوقرت وورقلة ثم عبر هضبة تادمايت إلى عين صالح حتى تاويريرت¹، ومسار رئيسي ينطلق من بوغار إلى جهة الوسط عبر الجلفة والأغواط وغرداية ومتليلي والمنيعية ثم عبر هضبة تادمايت إلى أوقروت واسبع وزاقلو حتى تاويريرت، ومسار جانبي غربي من بوغار إلى سعيدة وسفيسيفة بمحاذاة فيقيق ثم تاغيت وقصور وادي الساوره حتى إلى برينكان بتسابيت والمنصور في بودة ثم من تيمي إلى تيلولين حتى تاويريرت، لتلتقي هذه الخطوط كلها بمحاذاة قصر تاويريرت جهة رقان، ثم تتحول في مسار وخط موحد للسكك الحديدية عبر صحراء تنزروفت نحو تمبكتو².

وقدر (دي بونشال) مسافة المشروع الرئيسي حتى إلى تمبكتو بحوالي 2574 كلم بتكاليف مالية تناهز 200 مليون فرنك، بما في ذلك تكاليف الوسائل والاحتياجات المائية³. ولأن أهداف هذه السكة الحديدية من عبورها عبر الصحراء هي استجابة لحاجات المستعمر العسكرية والتوسعية، وربطها من خلال الجزائر بمستعمراتها في غرب إفريقيا، وكذا السعي للقضاء على ثورة أولاد سيدي الشيخ المستمرة منذ 1864م في الجنوب الغربي، وكل العناصر المتمردة والفارة من الشمال إلى الجنوب، والقضاء على تجارة القوافل العابرة للصحراء، ناهيك على أن الفكرة وضعت استراتيجية تنمية من خلال هذا المشروع، تمثلت في وضع محطات يستفيد منها حوالي نصف مليون ساكن و450 قرية وغرس 7 ملايين نخلة، واختصار مسافة القوافل التجارية إلى 4 أيام فقط⁴.

فقد شرعت فرنسا في معاينة إمكانية تنفيذ المشروع بخطوطه الثلاث، حيث أرسلت عدة بعثات استكشافية واستطلاعية: بعثة العقيد (فلاترز Flatters) سنة 1879 المكلفة بوضع تصميم للخط الشرقي جنوب قسنطينة حتى منطقة الهقار، وبعثة (شوازي Choizy) خلال 1879-1880 المكلفة

¹ . تاويريرت: من القصور التابعة لدائرة رقان بولاية أدرار حالياً، تبعد عن رقان حوالي 5 كلم جنوباً وعن أدرار 155 كلم.

² . Duponchel Adolphe, *Le Chemin....*, Op.Cit, p.373

³ . Ibid, p.317

⁴ . محمد حوتية، توات والأزواد، ج2، المرجع السابق، ص 468

بدراسة مخطط الوسط عبر الأغواط، وبعثة (بويان Pouyane) سنة 1879 المكلفة بالنظر في مخطط الجنوب الوهراني من جهة الغرب في اتجاه منطقة توات، هذه الأخيرة كانت مهمتها اختيار أحد المسارات الثلاث المحتملة (عبر تيارت أو سعيدة أو راس الماء¹)، فتم تفضيل خط راس الماء الذي يوصل إلى مغلار ثم الوند دون التوغل في الصحراء، ورغم أن بعثة (فلاترز) استطاعت سنة 1880 مسح حوالي 1200 كلم من الطريق المخصص للسكة الحديدية جنوب بسكرة، إلا أنه حينما انطلقت ثانية باتجاه الجنوب الغربي سنة 1881 تعرضت لمواجهة عنيفة مع الطوارق في جهة الأهفار والطاسيلي وأبيدت عن آخرها².

ثم انطلقت فرنسا في تجسيد مشروعها من جهة المسار الغربي في مرحلته الأولى، من مدينة أرزيو بوهران إلى عين الصفراء ثم جنين بورزق في الفترة الممتدة بين 1879-1892 وانجزت منه ما يقارب 539 كيلومتر³، وبقيت لها المرحلة الثانية من جنين بورزق إلى توات ثم المرحلة الأخيرة من توات إلى تمبكتو، لكن المشكل الذي واجهها آنذاك اندلاع الثورات والعصيان في الجنوب الغربي، على غرار مقاومة الشيخ بوعمامة 1881-1883، بالإضافة إلى لجوء تلك الثورات إلى توات كقاعدة خلفية لها، ناهيك على أن توات لم تدخل ضمن أراضيها المحتلة بعد، فكانت هدفاً لها على هذا الأساس.

وللإشارة ففكرة مشروع السكك الحديدية العابرة للصحراء لم تقتصر على المهندس (دي بونشال) فقط، بل هناك باحثين وخبراء مدنيين وعسكريين مثله قدموا دراسات وقراءات أخرى، مثل الجنرال (كولونيو) الذي وصل في رحلته إلى أوقروت، ولما أصبح عضواً في لجنة وزارية بهيئة الأشغال العمومية لدراسة مشروع السكك الحديدية بين الجزائر والسنغال، كتب عن ذلك بحثاً سنة 1880م

¹ . راس الماء: حالياً هي بلدية تابعة لولاية سيدي بلعباس وتبعد عنها حوالي 100 كلم جنوباً.

² . عبد القادر خليف، المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة، ديوان مطبوعات جامعية، الجزائر 2010، ص ص 51-53.
³ . Forestier Georges, **Notice sur Les Chemins de Fer Algériens**, Éditeur: Alger-Mustapha, Alger 1900, pp.24,25

بعنوان (الطريق المركزي لسكة الحديد العابر للصحراء)¹، ومشروع (دوريان Durien) الذي اقترح مد خط سكة حديدي من وهران إلى توات عبر جهة تلمسان بمحاذاة الحدود المغربية².

2- إنشاء المراكز العسكرية على حدود المنطقة:

كما عرفنا سلفاً فقد تعرضت البعثات الاستكشافية لمخاطر ورفض من طرف السكان المحليين في الجنوب عامةً وتوات خاصةً، بما في ذلك البعثات التي كانت تسعى لمعاينة إمكانية تجسيد حلم مشروع السكة الحديدية، تلك الأوضاع الأمنية غير المستقرة انزعجت منها فرنسا في مشاريعها المستقبلية وعرقلت أطماعها التوسعية، مما حدا بها إلى إنشاء مراكز وحصون عسكرية على تخوم منطقة توات، كان الهدف الظاهر منها مراقبة حركة السكان المحليين وتأمين تحركات بعثاتها ومشاريعها، وأما الهدف الحقيقي فقد كان واضحاً على أن ساعة غزو توات قد حانت، ومن بين تلك النقاط العسكرية التي أقامتها تمهيداً لغزو المنطقة ما يلي:

2-1 - من جهة شمال شرق منطقة توات:

لعل احتلال مدينة الأغواط في معركة حاسمة أواخر سنة 1852 شارك فيها ثوار من ورقلة وتوقرت والأغواط والشعانية وأولاد سيدي الشيخ، سمح بالمارشال (راندون Randon) إلى أن يجعل منها نقطة ارتكاز استراتيجية كونها بوابة للصحراء، وأملاً في استمالة سكان الصحراء بطريقة سلمية، ولكنها جوبهت بثورات ومقاومة عنيفة في كل مكان من الجنوب الشرقي، إلى أن سقطت توقرت سنة 1854 وورقلة 1861، وأملاً في المزيد من التوسع أنشأت السلطات الفرنسية مراكز عسكرية أخرى بين ورقلة والمنيع³؛ زحف من خلالها الجنرال (قاليفت Gallifet) على مدينة المنيع فسقطت سنة

¹ . Victor Colonieu, **Le Tracé Central du Chemin de fer Trans-Saharien**, Imprimerie de E.l'Huillier, Langres 1880

² . عبد القادر مرجاني، **السياسة الفرنسية...**، المرجع السابق، ص 259

³ . عميرواي احميده وآخرون، **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916**، دار الهدى، الجزائر 2009، ص ص 45-47

1873م، مما جعل جماعة عين صالح يرسلون احتجاجات خوفاً من تقدم الفرنسيين نحو الجنوب¹. كان لسقوط مدينة المنيعية تحت الاحتلال الفرنسي سنة 1873م مكنم الخطورة على توات وجوارها، خاصة أن هذه المدينة التي كانت توصف بحصونها المنيعية أو القليعة، ولأن موقعها يرتبط بشرق جهة تيديكلت وقورارة كبوابة شمالية وشرقية على القطر التواتي، فقد قامت فرنسا بتشييد حصون عسكرية على مشارفها، البداية كانت بحصن المنيعية سنة 1888م الذي تحول لاحقاً إلى مركز عسكري دائم سنة 1891م، ثم برج "مكماهون" سنة 1892م وبرجي "حاسي مية" و"ميريبال"، وكلها حصون قريبة من توات على جهة تيديكلت وقورارة². كان حصن ميريبال في حاسي شبابة سنة 1893 على بعد 135 كلم على طريق عين صالح عبر هضبة تادمايت، وحصن (مكماهون) في حاسي عمار على بعد 165 كلم غرباً على طريق قورارة عبر وادي مقيدن، وفي 1897 نقلت فرنسا مركز دائرة أقصى الجنوب من غرداية إلى المنيعية³.

وعن أهمية تلك المراكز والحصون الفرنسية بين المنيعية وتوات، تفاخر اللورد (سالزوري) بعد الاتفاق الفرنسي الإنجليزي⁴ في 5 أوت 1890 قائلاً: "إذا أردنا الاستفادة من هذه الاتفاقية فإن أول شيء يجب فعله هو الاستحواذ على توات دون مزيد من التأخير"، ولتحقيق ذلك الهدف أشار إلى أن الفرنسيين راضون تماماً بإنشاء مركز عسكري دائم في المنيعية سنة 1891، خاصة أن موقعه استراتيجي حيث يطل على عدة أودية ويتاخم هضبة تادمايت ومن خلال مسالكه يمكن المراقبة في اتجاه أوقروت، مما يسهل هذا الإجراء التمهيد للعمل بشأن عين صالح، وفي نفس السياق كتب الحاكم

¹ L. Voinot, **Le Tidikelt**, Op.Cit, p.86

² نواصر عبد الرحمن، "السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجنوب الجزائري ما بين 1873-1962م منطقة المنيعية نموذجاً"، **مجلة روافد للبحوث والدراسات**، جامعة غرداية الجزائر، ع1، ديسمبر 2016، ص 113

³ إبراهيم مياشي، **الاحتلال الفرنسي...**، المرجع السابق، ص 457

⁴ ساهم هذا الاتفاق في تسوية بين الإنجليز والفرنسيين سمحت بإطلاق يد فرنسا في الصحراء الكبرى وحوض نهر النيجر، مقابل حصول بريطانيا على حق التصرف في حوض نهر النيل. ينظر: عبد الكريم طهيري، توات في مشروع التوسع...، المرجع السابق، ص 515

العام (جول كامبون)¹ في أوت 1891: "وأخيراً من الضروري أن تتخذ فرنسا قراراً بشأن نهائي يضمن هدوء الجزائر والهيمنة على واحات الجنوب"، ثم قال بصريح العبارة: "إن توات وقورارة وتيديكلت كانت ملجأً للمتمردين، ومصدراً للاضطرابات ضدنا، حيث هناك في لدول بوعمامة الذي يسعى لتشجيع الغارات والتمرد علينا..."، وعلى هذا الأساس قام بزيارة إلى مدينة المنيعنة سنة 1892م².

ناهيك على أننا رأينا في مباحثنا السابقة أن معظم البعثات الفرنسية الاستكشافية كانت تسيورها وتحميها عسكرياً انطلاقاً من مراكزها ومكاتبها في شرق وشمال شرق توات، بل حتى الفرق العسكرية المحلية من مهاريست وصبايحية كانت تستعين بهم فرنسا من ورقلة والأغواط والمنيعنة، بالإضافة إلى أعوانها من المكاتب العربية وزعماء الطريقة الصوفية الذين رافقوها في حملاتها العلمية أو العسكرية، مثل حملة (فلامون) سنة 1899 التي اصطحبت معها الكثير من مهاريست والقناصة الصحراويين ومقدم الطريقة القادرية في ورقلة محمد بن الطيب، هذا الأخير الذي رافقها أيضاً في احتلال منطقة قورارة وقتل على إثرها في معركة شروين سنة 1901م؛ مما يجعلنا نستنتج أن تلك المراكز العسكرية المتاخمة لمنطقة توات كانت بؤر انطلاق لتجسيد أهداف فرنسا التوسعية، وليس كما كانت تدّعي بحجج واهية لاستتباب الأمن ومطاردة فلول المقاومة.

2-2- من جهة شمال وغرب منطقة توات:

كان أول توغل للاحتلال الفرنسي في مناطق الجنوب الغربي للجزائر في النصف الثاني من القرن 19م، أي: مباشرة بعد معاهدة لالة مغنية 18 مارس 1845 ونهاية مقاومة الأمير عبد القادر 1847؛ حيث قاد العقيد (جيرى Géry) عدة حملات عسكرية إلى ناحية البيض ما بين 1845-1852، انتهت بسقوط المنطقة التي ستحمل بلدة (البيض جيرى فيل) اسمه، والتي سيقم فيها

¹ . جول كامبون: عاش بين 1845-1935، كان الحاكم العام الفرنسي على الجزائر خلال الفترة 1891-1897، ينظر: موقع المكتبة العامة الفرنسية Gallica.bnf.fr

² . A.Bernard, N. Lacroix, *La Pénétration Saharienne...*, Op.Cit, pp.112,113

الفرنسيون أول مركز عسكري سنة 1853م¹؛ ثم زحف الاحتلال على مدينة الأبيض سيدي الشيخ سنة 1895 مما أتاح للفرنسيين إقامة مركز استراتيجي للمراقبة خلف سلسلة الأطلس الصحراوي، وهو ما لم يتحقق للاحتلال من خلال مراكز البيض جيريغيل وعين الصفراء².

وكانت السلطات الفرنسية منذ سنة 1884 قد اهتمت بإنجاز العديد من المشاريع الاستراتيجية لتثبيت أقدامها في الجنوب الوهراني، حيث قرر الجنرال (دليبيك Delebecque) سنة 1885 إقامة مركز عسكري محصن في جنين بورزق واحتلاله بشكل نهائي، ودعمه بخط السكة الحديدي المنطلق من المشربة سنة 1882 ثم مع مركز عين الصفراء الذي وصلها سنة 1887م³، وكان الغرض من تلك المشاريع والإجراءات مراقبة المناطق الحدودية، والمتابعة عن كثب لحركة القوافل والاتصالات بين جهة عين الصفراء وفاق وافي وأقصى مناطق الجنوب الغربي، ناهيك عن تحركات الشيخ بوعمامة الذي كان يعمل على تأليب السكان والقبائل في مناطق الجنوب الوهراني⁴، وهو الثائر الوحيد المتبقي من أولاد سيدي الشيخ مناوئاً ورافضاً لإغراءات وامتيازات الفرنسيين، حيث كان مرابطاً ولجئاً في منطقة قورارة منذ عام 1883م.

اعتبرت تلك المراكز العسكرية نقاط ارتكاز ثابتة لحركة التوسع الاستعماري في الجنوب الغربي، أنفقت الدولة الفرنسية عليها أموالاً طائلة ووفرت لها الإمكانيات والوسائل والأسلحة، وكان لبعض الرحالة والمستكشفين دوراً بارزاً في التعريف بها وتبنيها السلطات الاستعمارية لها؛ حيث كان (بالات) مكتشف الطريق الرابط بين البيض وعين صالح، قد تعرف على القصور والواحات والنشاطات التجارية والمنتجات المتداولة عبر هذا المسلك الصحراوي، وكان (دولس) قد مر على المسار الغربي من المغرب عبر وادي الساور إلى توات، وكان (فلامون) أهم رحالة اصطحب معه حماية عسكرية

¹ . عبد القادر خليف، المقاومة الشعبية...، المرجع السابق، ص 55

² . A.Bernard, N. Lacroix, *La Pénétration Saharienne...*, Op.Cit, pp.114,115

³ . Ibid, p.95

⁴ . إبراهيم مياشي، الاحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص 456

ضخمة ووصل منذ 1891 إلى واحة البنود كأقرب منطقة مطلة على جهة قورارة وتوات.

وقد رأى الفرنسيون أن تلك النقاط كانت ضرورية ومبررة بهدف السير المباشر نحو عين صالح، حيث ومنذ سنة 1886 نصح القائد (رين Rinn) بإنشاء مراكز عسكرية مباشرة قبالة العرق الغربي الكبير، وأوصى باحتلال منطقة "إيقل" الواقعة على ضفاف وادي الساورة ما دامت توات لم تحتل بعد، ومنه الإنجاز التدريجي للسكك الحديدية وضمان خضوع المناطق الخلفية، ناهيك على أن تلك المراكز والمحطات العسكرية الثابتة كان يعتبرها الفرنسيون تغنيهم عن تكاليف وإمدادات كثيرة وخطرة، كأن يتوقفوا ويتزودوا من خلال تلك النقاط والمرتكزات دون الحاجة لأن يصطدموا بالسكان والبدو المحليين في مسالك ومناطق أخرى¹.

3- فكرة الاحتلال السلمي للمنطقة:

قبل شروع فرنسا في حملتها العسكرية المباشرة لاحتلالها منطقة توات، اعتمدت بعض الوسائل الاستباقية تغلغل بها في أقصى الجنوب الغربي، تزامنت مع بعثاتها الاستكشافية ومراكزها العسكرية التي أنشأتها شرق وشمال غرب توات، حيث نظراً لعدة ظروف وعوامل محلية ودولية، لاحت لها فكرة احتلال الصحراء بالطرق السلمية الهادئة منذ أواخر القرن 19م، من خلال ربط تلك المناطق بشبكاتها الاقتصادية، ولتهيئة السكان لقبول التعامل مع الغريب عموماً والفرنسيين خصوصاً، وفي هذا الإطار كثفت فرنسا من مبعوثيها ومستكشفيها وعلاقاتها وجواسيسها وممثليها المحليين من مناطق أخرى، وحتى توظيف الأعيان والجهات التي لها قداستها وأهميتها روحياً وقبلياً وجهوياً، وتجلت الفكرة في:

3-1- التغلغل الاقتصادي في المنطقة:

رغم أن توات بدأت تفقد بريقها ودورها الاقتصادي في الصحراء تدريجياً أواخر القرن 19م، خاصة بعد وقوع بلدان السودان الغربي في قبضة الاستعمار الأوروبي، والتي بدورها تلك البلدان

¹ . A.Bernard, N. Lacroix, *La Pénétration Saharienne...*, Op.Cit, pp.97,115

غيّرت مسار تجارتها من الصحراء إلى الواجهة البحرية الأطلسية، إلا أن فرنسا الاستعمارية في حد ذاتها لم تتوانى في الاستثمار في تجارة القوافل مع منطقة توات، حيث سمحت بها من الشمال الجزائري عبر الجنوب الوهراني نحو توات، تلك التجارة استطاعت من خلالها الوصول إلى توات وإنشاء علاقات اقتصادية عبرها مع قصور وقبائل توات والجنوب الغربي، وشيئاً فشيئاً تحكمت فيها وحولتها لمصلحتها.

فحسب ما ورد في بعض أعداد جريدة المبشر لسنة 1900م تحت عنوان: قرار في القوافل إلى قورارة 1900/1899، أن تلك القوافل كانت تنطلق من الجزائر إلى توات في شهر ديسمبر من كل سنة، محملةً بالسلع والبضائع لتتم مبادلتها بالتمور ومنتجات منطقة توات، وأشارت التقارير الفرنسية أن التجار كانوا حريصين من خلال تلك العلاقات التجارية مع توات على تحقيق الأرباح، وأن تلك القوافل كانت تتبادل السلع والخدمات بالفرنك الفرنسي، وكانت تخضع للطرق والمسالك التي سمحت بها فرنسا ذهاباً وأياباً¹؛ بحيث كانت مثلاً القوافل المنطلقة من جهة المشربة وعين الصفراء تمر على ضابط من مكتب المشربة ليحصيهم ويأمر بالإجراءات اللازمة قبل مسيرهم². وقد سبق لنا وأن أشرنا لبعض تفاصيل تلك القوافل في الفصل الأول بخصوص الأوضاع الاقتصادية لمنطقة توات خلال القرن 19م.

ولأن تلك المبادلات والقوافل التجارية التي كانت تتم بين منطقة توات والجنوب الوهراني أو الجنوب المغربي، كانت كثيراً ما تكون غير آمنة فتتعرض للصوصية والاعتداءات والإغارة من بعض القبائل وقطاع الطرق، فإن تلك القوافل القادمة من جهة البيض جيريغيل نحو قورارة، بدأت تعود بانطباع حسن نظير الإجراءات الأمنية التي اتخذتها السلطات الفرنسية لحمايتها، حتى ازداد عددها

¹ . فرج محمود فرج، إقليم توات...، المرجع السابق، ص 119

² . نفسه، ص 122

مقارنةً بقوافل أخرى لا تمر على المراكز والإجراءات الفرنسية¹؛ وهذه السمعة الطيبة كانت تخدم فرنسا في سياسة تغلغلها السلمي بالمناطق التي لم تحتلها بعد مثل منطقة توات، خاصةً أنها كانت تسعى جاهدةً لقطع تلك المبادلات التجارية مع المغرب وجنوب الصحراء، وتحويل مسارها نحو شمال الجزائر فقط.

وحتى أن مشروع السكة الحديدية الذي سعت فرنسا بكل قوتها لتجسيده على أرض الواقع، فقد أشار فيه صاحبه المهندس (دي بونشال) إلى أنه سيسمح بالتوغل حتى إلى السودان الغربي، والاستحواذ على تجارة القوافل الصحراوية المؤدية إلى تلك الديار، وأن هذا المشروع من شأنه أن ينهض بالجهات الداخلية والنائية اقتصادياً واجتماعياً²؛ ناهيك على أن بعض الرحالة المستكشفين كانوا يندسّون في ترحالهم ضمن تلك القوافل التجارية ويقدمون من خلالها معلومات في غاية الأهمية للسلطات الفرنسية، حيث نالت التجارة التواتية حصة الأسد من اهتماماتهم وكتاباتهم.

ولأن التجارة بين توات ومناطق الشمال في الجزائر تأثرت في كثير من الأحيان بأخبار التوسع الفرنسي والمقاومة ضده، فقد حاولت فرنسا أن تعيد لها بريقها وتحولها إلى الجهات التي احتلتها، فكلفت الغرفة التجارية بالجزائر (بول سولايي) سنة 1874 بمهمة تقديم بعض منتوجاتها الصناعية لسكان وسط الصحراء³. كما أنشأت سلطات الاحتلال سنة 1880 لجنة مختصة للنظر في تنظيم وتطوير تجارة القوافل بين مناطق التل وجهة توات، ومرسوماً في 1896 حول إعفاء بعض المنتجات الفرنسية من الضرائب المنقولة باتجاه الواحات بالجنوب، ناهيك عن دور الحصون والمراكز العسكرية في إعادة انبعاث تلك التجارة، وكل هذه الخطوات والإجراءات زادت من العلاقات التجارية بين توات

¹ . محمد حوتية، توات والأزواد، ج1، المرجع السابق، ص 149

² . إبراهيم مياي، الاحتلال الفرنسي...، ص ص 437، 439

³ . عبد القادر بوباية، "دور الرحالة والمستكشفين في حركة التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية"، مجلة عصور، العدد 5/4، ديسمبر 2003/جوان 2004، ص 160

والمناطق التي احتلتها فرنسا، حتى أن عائدات تلك المبادلات نمت نمواً سريعاً بعد سنة 1886م¹، وتجاوزت قيمة السلع والمنتجات الفرنسية إلى قورارة وحدها سنة 1898 أكثر من 1.5 مليون فرنك².

وشياً فشيئاً بدأت القوة الاقتصادية الناعمة لفرنسا تتسرب إلى قصور توات، من جهة الغرب نحو قورارة وشرقاً نحو عين صالح، حتى تحولت المراكز العسكرية الفرنسية إلى محطات ومراكز تجارية على غرار مركز عين الصفراء ومركز بني ونيف وبشار، وأنشأت بالتوازي معها أسواقاً متنوعة لاستقطاب التجارة الصحراوية إليها. وحينما بدأت تجارة القوافل تنهار أواخر القرن 19م ركزت فرنسا على التسويق لمنتجاتها وتحويل وسيلة الدفع إلى التعامل بالنقود، فدخل الفرنك الفرنسي بقوة إلى قورارة وبدأ يحل محل المقايضة والعملات السابقة مثل الموزونة والأوقية والريال والسلطاني³.

كما اهتمت بتأسيس الشركات والمؤسسات الاقتصادية التي لها أغراضاً بطموحاتها في احتلال الجنوب عموماً وتوات خصوصاً، حيث ومنذ سنة 1848 بدأت شركة النورماندي وشركة السنغال الفرنسيين تحولان اهتمامهما بتنشيط الخط الرابط بين نهر النيجر وتوات، والهدف هو ربط تمبكتو وتوات بشكل كامل⁴. ثم ظهرت شركات أخرى ناشطة في الجنوب الجزائري كالشركة الصحراوية للسيارات في مجال النقل سنة 1890، وشركة الصحراء الجزائرية للزراعة والصناعة في سنة 1880، التي كان من مهامها في الجنوب حفر الآبار الجوفية وغرس النخيل وجذب المستوطنين للاستثمار والاستقرار بالصحراء الجزائرية⁵. وكانت بعثة (فلامون) في هذا المجال قد حفرت سلسلة من الآبار بمحاذاة العرق الغربي الكبير منذ سنة 1896، وكثفت تردها ذهاباً وأياباً حول مراكز تينركوك وأمقيدن وتادمايت⁶.

1. عبد المالك طاهري، منطقة توات في القرن 19...، ص ص 229، 230.

2. أحمد العماري، توات في مشروع...، المرجع السابق، ص 191.

3. Marcel Palat, *Journal de Route...*, Op.Cit, p.242.

4. أحمد العماري، توات في مشروع...، المرجع السابق، ص 71.

5. عبد القادر مرجاني، السياسة الفرنسية...، المرجع السابق، ص ص 240-243.

6. أحمد العماري، توات في مشروع...، المرجع السابق، ص 147.

3-2- تسخير الأعوان وأصحاب النفوذ:

لقد أنفقت السلطات الفرنسية منذ فترة الرحالة والمستكشفين أموالاً طائلة على العيون والجواسيس، ولم تتوان في استغلال أية فرصة وأي شخص لهذا الغرض، فكان بعض الرحالة يقومون بهذه المهمة لأهدافهم ومغامراتهم الشخصية أو لدعم التطلعات الاستعمارية لفرنسا، وقد ذكرنا بعض الأمثلة عن أولئك المغامرون الذين تتكروا بأسماء عربية أو تركية وبألبيسة محلية، وادّعوا أحياناً كثيرة أنهم مجرد أطباء أو حجاج مارين بأرض توات، حتى لما اكتشف أهل المنطقة حقيقتهم قتلوهم أو طاردوهم أو توجسوا منهم خيفة، منهم مثلاً (مارسيل بالات) الذي قُتل سنة 1886، و(كاميل دولس) الذي عُرف باسم كمال أو الحاج عبد المالك والذي ادّعى أنه شريف وزاني ولما اكتُشف أمره قُتل سنة 1889، وعلى غرار بعثة (فلاترز) التي أُبيدت عن آخرها قبل وصولها إلى عين صالح سنة 1881؛ كان بعضهم يفدون على المنطقة من جهة غرداية والمنيعية، والبعض الآخر غرباً من جهة الجنوب المغربي ووادي الساوره.

ومن العيون والجواسيس الذين استخدمتهم فرنسا سنة 1885 للاطلاع على أوضاع المنطقة والتعرف على أخبارها، خلية جواسيس مرسلة من متليي كانت متكونة من 5 أشخاص على رأسهم المسمى حمادي العسكري، هذه المجموعة دخلت قصر العرب في عين صالح متكرين بالأزياء الشعبية المحلية، واستغلوا فرصة حضور أحد الأعراس في القصر، لكن الناس اكتشفت أمرهم وسلموا إلى الحاج المهدي باجودة الذي بدوره أعادهم إلى المركز العسكري بغرداية، وبادلهم بأسرى أولاد الزوبير من إقسطن كانوا محتجزين بقاقلتهم عند الفرنسيين¹؛ وبعض الأعوان الذين ساعدوها في الأخبار والدعاية مثل محمد بن قدور وعبد القادر بن علال صاحب رسالة تيمي التي بعثها مستطلعاً أمر المنطقة من قصر خنافسة الكاف إلى الجنرال (سيرفيار) في بداية غزو توات سنة 1900م،

¹ . محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج2، المرجع السابق، ص 305

ومفادها: أن الطريق آمن حتى إلى تيميمون¹.

كما استعانت فرنسا ببعض الشخصيات القيادية والروحية من أولاد سيدي الشيخ، مثل سي حمزة وأبناءه سي الزبير وسي بوبكر الذين كان لهم دور في سقوط بعض واحات الجنوب والحصول على معلومات عن توات في الفترة بين 1852-1861، وخاصةً استعانة بعض الرحالة الفرنسيين بهم أمثال كولونيو وغيره². ولا ينكر أحداً دور قبيلة أولاد سيدي الشيخ في المقاومة الشعبية التي أرهقوا بها فرنسا، لكن سلطات الاحتلال استطاعت بعد ذلك إغراء بعضهم بمزايا وامتيازات، والبعض الآخر مورس ضده ضغط عسكري وفتنة قبلية فيما بينهم، مما جعل بعض قياداتهم تميل لخدمة فرنسا وتيسير أمورهم في باقي مناطق الجنوب الغربي.

فأولئك القادة الذين انحرفوا عن ثورة أولاد سيدي الشيخ، استفادوا من الرواتب و5% من الضرائب ورتبة الآغا وغير ذلك من مزايا اتفاقية (ثوماسين) سنة 1883، مما جعلهم سعداء بدورهم في الواحات من أجل ضمها إلى إقليم الآغا الذي أنشأته لهم فرنسا في الجنوب الوهراني، ومنهم أيضاً سي الدين بن حمزة الذي استطاع بفضل أتباعه التجسس ومراقبة أية مراسلات أو اتصالات في المنطقة وإعلام السلطات الفرنسية بها، كما نجح في جذب بعض الشخصيات من قورارة مثل الشيخ حمو بن الحاج أحمد من الخنافسة، الذي حاول مع بعض أنصاره التفاوض باسم قبيلة الخنافسة، وهو ما أثار حفيظة ناس قورارة وشوّه سمعتهم³، خاصةً أن الفرنسيين نجحوا في عقد اتفاقيات مع بعض الفصائل من قورارة وعين صالح ومن قبيلة دوي منيع والغنامة⁴.

أما سي قدور بن حمزة⁵ الذي قاوم فرنسا سابقاً، فقد استمالته هو أيضاً ومنحته امتيازات خاصة

¹ إبراهيم مياشي، الاحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص 489

² مولاي التهامي غيتاوي، لفت الأنظار...، المرجع السابق، ص ص 72، 73

³ A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, pp.224,225

⁴ أحمد العماري، توات في مشروع التوسع...، المرجع السابق، ص 83

⁵ سي قدور بن حمزة: من أبرز القيادات والزعماء في قبيلة أولاد سيدي الشيخ الشراقة، قاد المقاومة ضد الفرنسيين منذ 1868 ثم توافق مع فرنسا ضمن اتفاقية ثوماسين سنة 1883، لكنه لم يوقع عليها إلا في سنة 1892، ومع ذلك فقد

في 1883م، فساعد الرحالة الفرنسي (بالات) في مروره بمنطقة قورارة الذي شهد في رسالة بتاريخ 25 جانفي 1886 بقصر سموطة أن سي محمد ولد سي قدور زاره ووفر له الحماية ومرشدين موثوقين لاستكمال رحلته¹، وتسهيلاً وتأميناً لمسار مشاريع فرنسا التوسعية، قام سي قدور بعملية صلح في 27 مارس 1887 بين دوي منيع وأولاد جرير، وناب عن الخنافسة والمحارزة والشعانية في قورارة، وكدليل على العظمة والكبرياء كان يمضي بالختم الذي تسلمه من فرنسا²، ومع الجنرال (ثوماسين Thomassin) في إطار زيارته إلى المنية سنة 1892 صحبة الحاكم العام (جول كامبون)، وعد سي قدور بتوجيه جهوده نحو تحقيق مصالح فرنسا في توات³.

3-3 - استغلال التأثير الديني في المنطقة:

كما استعانت فرنسا في تغلغلها وبداية احتلالها للمنطقة ببعض القيادات الروحية من شيوخ بعض الطرق الصوفية والقبائل النافذة في الجنوب، فكان شريف وزان⁴ سنة 1888 قد استغل نفوذه وأعوانه في منطقة قورارة ليخبر الفرنسيين أنه ورد عليهم شخص من توات وأعطى معلومات عن الشيخ بوعمامة في لدول⁵، ونظراً لمكانته بالنسبة لأتباع الطريقة الطيبية في الواحات، قام بتهئية وطمأنة ناس قورارة فيما يخص بناء فرنسا لتلك الأبراج العسكرية في المنية، حيث راسلهم في 30 نوفمبر 1887 قائلاً: "تأكدوا أنه لا خوف عليكم من أي شيء أو من أي جهة كانت..."، كما كان

رفض تقاضي أي أجره شهرية أو منصب، واعتزل بقية حياته حتى توفي سنة 1897، وقد أقرت الصحافة الفرنسية أنه قاوم 15 سنة. ينظر: حاكمي مصطفى، ترجمة الولي الصالح سيدي قدور بن حمزة، التصفح: 2024/05/03، التوقيت: 23:10 ليلاً، <http://www.cheikhiyya.com/Sidi-Kaddour.php>. وينظر الملحق 11 ص 408.

¹ . Marcel Palat, *Journal de Route et Correspondence*, Op.Cit, p.311

² . Ibid, pp.237,238

³ . A.Bernard, N. Lacroix, *La Pénétration Saharienne...*, Op.Cit, p.114

⁴ . شريف وزان: الحاج مولاي عبد السلام شيخ الزاوية الوزانية الطيبية بجنوب المغرب، كان على خلاف مع المخزن سنة 1872م، لعب أدواراً مشبوهة ضد أولاد سيدي الشيخ والشيخ بوعمامة، استعانت به فرنسا في الجنوب الجزائري حتى إلى قورارة 1891-1892م، وتزوج امرأة أوروبية، توفي سنة 1892 م فأتى خدماته لصالح فرنسا خليفته في الزاوية. ينظر: العمراني محمد، "الجزائر والشرقاء الوزانيون في نهاية القرن 19م"، *مجلة الحوار المتوسطي*، مج10، ع2، جوان 2019، ص ص 418-422

⁵ . متحف قلعة الشيخ بوعمامة، مغرار التحتاني، النعمة 2022/12/10، زيارة شخصية

يجمع الهدايا ومحاصيل الزاوية التابعة له من قصر سيدي منصور بتينركوك إلى تيمي وعين صالح، ووضع نفوذه وتأثيره كله في خدمة فرنسا¹.

ونظراً لأن منطقة توات كانت تقديس الزوايا والطرق الصوفية، وقد عرفت انتشاراً واسعاً في قصورها، ولها من الأتباع والمريدين والأملأك ما يجعلها مؤثرة في الأوضاع الثقافية والاجتماعية والاقتصادية السالفة الذكر، خاصة الطريقة القادرية والتيجانية والطيبية والسنوسية والشيخية، وقد رأينا في هذا الجانب أن بعض الأحيان كان الرحالة والمستكشفين الأوروبيين يتغطون برداء المشيخة الصوفية، مثل الرحالة (كاميل دولس) الذي ادعى أنه مبعوث من شريف وزان برسائل خاصة، وبعدة (فلامون) 1899-1898 التي اصطحبت معها نائب مقدم الطريقة القادرية في ورقلة محمد بن الطيب، الذي كان يقود فيلق العرب القومية وقد كان وجوده معنوياً بهدف التأثير الروحي، هذا الأخير كان قد رافقها أيضاً في احتلال منطقة قورارة وقُتل على إثرها في معركة شروين سنة 1901م، فحزن عليه الفرنسيون ونكسوا له الأعلام.

كما أوعزت السلطات الفرنسية إلى شيخ الطريقة التيجانية أحمد التيجاني بتوظيف سلطته الروحية في مناطق الجنوب الجزائري تسهياً وتمهيداً لتوغلها السلمي، فطالب أتباعه في تيديكلت وتوات تقديم يد المساعدة للفرنسيين والدخول في طوعهم²، وكان قائد الطريقة التيجانية بزاوية تيماسين سيدي محمد العيد قد تولى المشيخة والخلافة في الفترة بين 1853-1876، منتهجاً سياسة مسالمة الفرنسيين والتعاون معهم، هذه الطريقة ساعدت الرحالة أيضاً في مهامهم مثل (هنري ديفيري) سنة 1860 و(فلاترز) في 1879 الذي كان يرافقه مقدم الطريقة التيجانية في ورقلة عبد القادر بن حميدة والذي قُتل مع البعثة قرب عين صالح، ونفس الشيء عن زاوية عين ماضي التي أعطت رسائل من

¹ . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, p.233

² . عبد القادر بويه، صفحات من تاريخ الصحراء...، المرجع السابق، ص 59

الشيخ أحمد عمار التيجاني لبعثة (شوازي) سنة 1880 تحت مسلي وأتباع المناطق التي قد تمر بها تلك البعثة على تسهيل مهمتها¹.

والأغرب من كل ذلك أن الحاكم العام (جول كامبون) الذي كان والياً على الجزائر خلال الفترة 1891-1897، سعى لتوظيف نازلة قورارة لأهدافه الاستعمارية، تلك النازلة التي كان مضمونها عبارة عن فتوى أرسلها أحد شيوخ المنطقة إلى مشايخ وعلماء مكة يستفتيهم فيها حول حكم الشرع: فيما إذا تغلب الكفار على "وطن من أوطان المسلمين"، ولم يكن باستطاعتهم الرد، وأن المحتل الكافر سمح بإقامة الصلاة والشعائر الدينية، وأنهم نظراً لضعفهم وخوفهم من مشقة الطريق لا يستطيعون الهجرة عن الأوطان؟؟ وكان هدف السلطات الفرنسية من تزوير واستغلال هذه الفتوى، هو استمالة أعيان المنطقة وتدجينهم والعمل على نشر النفوذ الفرنسي في الصحراء بكل هدوء، وإدماج السكان المحليين في الحضارة الفرنسية.²

وعلى هذا الأساس والمقصود أرسل الحاكم العام (جول كامبون) نازلة في سنة 1893 إلى نفس شيوخ مكة، وسألهم مستفتياً حول: شرعية وجود الفرنسيين بديار المسلمين إذا كانت دولته لا تتدخل في الشؤون الإسلامية، وهل يبيح الشرع إقامة المسلم تحت سلطة الكافر؟؟ ويظهر من خلال رسالة الفتوى أنها كُتبت باللغتين العربية والفرنسية، وكان الجواب على نفس الوجه من كلا الصيغتين وفي نسخ مختلفة، وأن مَوْقَع نسخة 1894/01/17 هو (قارودي Grodet) حاكم مالي، مع ورود عبارة (رد كاتب الدولة للمستعمرات)، وأما النسخة الباريسية المؤرخة في 1894/03/05 فمَوْقَعها (موريس ليلو Maurice Lelou)³، ومما نستنتجه فإنه ومن خلال تاريخ الرسالة وفترة حكم (جول كامبون) فإن

¹ . بن يوسف تلمساني، الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر 1782-1900، رسالة ماجستير، إش:

ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، موسم 1997/1998، ص ص 234-237

² . محمد الأمين بلغيث، تاريخ الجزائر المعاصر دراسات ووثائق، دار مدني للطباعة والنشر، الجزائر 2008، ص

ص 54، 55

³ . نفسه، ص ص 322-334

فرنسا حاولت الاستثمار في النازلة تزويراً وترويجاً قبل الغزو الفرنسي لمنطقة توات، وما نسخها عدة مرات وتوزعها في كذا مكان ودولة إلا دليل آخر، وبالتالي فلم يقتصر أمر الفتوى على منطقة قورارة كما حمله اسمها بل جعلت منها فرنسا دعاية وترويج ديني يخدم مشروعها الاستعماري في الصحراء وإفريقيا جنوب الصحراء.

وأصل هذه الفتوى أن الجاسوس الفرنسي (ليون روش)¹ بعدما فر من معسكر الأمير عبد القادر في 1839، حمل فتوى صاغها بعض الموالين لفرنسا من الزاوية التيجانية والطيبية ورافقه فيها سنة 1841 إلى القيروان والأزهر الشريف ومكة المكرمة، حيث وافق عليها أولئك العلماء حسب قول (ليون روش)، فنشرت بعد ذلك السلطات الفرنسية وروجت لها في الجزائر. وفي 1893 حاول (جول كامبون) أن يكرر الفكرة فصاغ فتوى قورارة لكي يمنع هجرة الجزائريين، ويهديء بها المناطق التي كانت تسعى فرنسا لاحتلالها في الصحراء مثل منطقة قورارة وتوات - وكانت نتيجة تلك الفتوى: أن فرنسا زعمت على أن المفتين في مكة المكرمة قد أجابوا بما يُرضيها، وقد أشاد (كوبولاني وديبون) بالفتوى لأنها سمحت لفرنسا باستعمال سياسة الجزرة والعصا، كما أن نصها المطاط أعطاه مبررات يمكن استعمالها لصالحها، ويشكك الدكتور أبو القاسم سعد الله في الفتوى متسائلاً: كيف اطلع علماء مكة على الفتوى؟؟ هل وجد (جول كامبون) شخصية أخرى كشخصية الجاسوس (ليون روش)؟؟ أم قام بعض الحجاج الجزائريين بالمهمة؟؟²

وحسب سؤال حول نازلة قورارة طرحته على الدكتور أحمد الحمدي في الملتقى الوطني الرابع للمخطوطات الجزائرية في الخزائن والمكتبات الإفريقية: واقع وآفاق، الذي نظمته جامعة أحمد دراية

¹ . ليون روش: ولد في غرونوبل الفرنسية سنة 1809 وتوفي في 1901، عمل مترجماً مع المارشال كلوزيل سنة 1836، والتحق بجيش الأمير عبد القادر في 1837-1839، فخدم فرنسا كجاسوس وكان من أهم ما قام به أنه حاول الإيقاع بين الملك المغربي مولاي عبد الرحمن والأمير عبد القادر بين 1845-1847. ينظر: يوسف منصورية، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832-1847، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1990، ص ص 13-20

² . أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج6، ص ص 363-365

بأدرار يوم 2023/11/27، أجب: أن هذه النازلة تدخل ضمن أحكام قضاة الدجن، بمعنى القضاة الذين قبلوا العمل تحت سلطة الاحتلال، وسياق الفتوى أنه كان في المنطقة تحرك لبعض المشايخ تمهيداً للاحتلال الفرنسي، ربطها الدكتور بزيارة شريف وزان للمنيعة ثم لبعض الزوايا بالمنطقة، فكان مضمون الفتوى هو مسألة "الولاء والبراء" ورغم استحضار السياق الديني فيها من عهد مسألة هجرة النبي محمد (ص)، إلا أنها كانت تخدم الاحتلال الفرنسي أكثر من الوضع العام في المنطقة آنذاك¹، حيث استمرت فرنسا تزوج لها منذ 1893 وحتى بعد الغزو الفرنسي للمنطقة بسنوات، وأوصلت صداها حتى إلى بلاد السودان الغربي والسنغال².

3-4- كسب قضية توات دولياً:

لقد ظهرت المنافسة بين الدول الأوروبية الاستعمارية على إفريقيا قوية خلال القرن 19م، وبرزت بشكل جلي بعد مؤتمر برلين الثاني 1884-1885م خاصة بين بريطانيا وفرنسا وألمانيا، وكانت نتائج مؤتمر برلين قد فضحت ذلك السباق المحموم بين الدول الكبرى على الداخل الإفريقي، ولما كانت فرنسا السبابة في احتلال شمال الجزائر منذ 1830م انطلقت في توسعها نحو الجنوب كـمجال حيوي لها، ولم تكن منطقة توات ذات الأهمية البارزة بين حواضر الصحراء الإفريقية غائبة عن الأطماع الفرنسية، ولعلها كانت من بين المناطق التي فضحت ذلك الصراع الدولي الاستعماري، خاصة أن بعد مؤتمر برلين 1885 طفت قضية مقتل مارسيل بالات 1886م وكاميل دولس 1889 وهزت الرأي العام الأوروبي.

وعن تلك القضية التواتية بين دول أوروبا، سعت فرنسا من خلالها للربط بين مستعمراتها في

¹ . الحمدي أحمد، الحضور الجزائري في النوازل المخطوطة الأفريقية: المسائل والأعلام، مداخلة في الملتقى الوطني الرابع للمخطوطات الجزائرية في الخزائن والمكتبات الإفريقية: واقع وآفاق، جامعة أحمد درابعية أدرار، الجزائر 27 و2023/11/28

² . مارية (ب إ ك)، سياسة فرنسا للتوغل في الجنوب الغربي الجزائري و بلاد السنغال، مقالة بتاريخ 2009/07/03، التصفح: 2021/03/09، التوقيت 00:40 ليلاً، <http://mokhtari.over-blog.org/article>

الجزائر وغرب إفريقيا، في حين كانت بريطانيا بمواقفها التنافسية أكبر عقبة لها في تلك الرغبة التوسعية، حتى لما احتلت بريطانيا مصر سنة 1882م استغلت فرنسا الورقة وساومتها بها ليتم عقد اتفاقية لندن بينهما في 5 أوت 1890م، تنازلت من خلالها فرنسا عن حقوقها في حوض النيل مقابل اعتراف بريطانيا لفرنسا بموجب الفصل الثاني في المعاهدة بحقوقها في حوض النيجر وتوات¹، ولأن المخزن كان يتطلع للمنطقة -السائبة حسب اتفاقية لالة مغنية- فقد راسلته فرنسا سنة 1891 بمذكرة تخبره بحقوقها في توات، ودعمها الوزير الأول البريطاني (ساليزوري) بتصريحه في مجلس اللوردات، أعلن فيه عن حرية تصرف فرنسا جنوب أملاكها الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط².

ولتفويت الفرصة على الدول الأوروبية الأخرى (ألمانيا، وإسبانيا، وروسيا، وإيطاليا) ضغطت فرنسا على بريطانيا في 21 مارس 1899م وتوصلت معها إلى اتفاق آخر حول النيل الأعلى وتوات يؤكد ويحدد بوضوح صيغة اتفاق 5 أوت 1890م السالف³، ورغم أن المخزن حاول خلال سنة 1892 استقطاب أعيان ووجهاء القصور في توات، من خلال مراسلتهم بأكثر من 80 رسالة وبمعية مبعوثين من الجنوب المغربي، حتى أن بعضاً من القبائل والقصور في المنطقة ظنوا أن المخزن قد يدعمهم في حالة استئثار فرنسا بهم⁴، إلا أنه سرعان ما أظهر موقفه المخيب، ووقع مع فرنسا ما عُرف ببروتوكول 20 جويلية 1901م كإطار للتعاون الفرنسي المغربي، نصت بنوده بشكل واضح على أن توات تعتبر جزءاً من تراب فرنسا، تلاه تعاون عسكري وسياسي وتجاري في مناطق الحدود بينهما⁵؛ وبذلك خلى أمر توات لفرنسا بشكل ودي ونهائي مع تلك الأطراف.

4- المراسلات والتحرشات الفرنسية في توات:

1. مولاي التهامي غيتاوي، *لفت الانتظار...*، المرجع السابق، ص 92
2. أحمد العماري، *توات في مشروع...*، المرجع السابق، ص 100، 96
3. بنعمر رشيد، *تاريخ المقاومة والحركة الوطنية بالمغرب 1912-1956م*، محاضرات في تاريخ المقاومة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، المغرب 2020، ص 4
4. أحمد العماري، *توات في مشروع...*، المرجع السابق، ص 104-107
5. نفسه، ص 10

لعل أول المراسلات والتواصل المباشر بين ناس توات والسلطات الفرنسية، كانت في حيز ما كتبه (سولايي) نقلاً عن (ماكارتى Mac Carthy)، أنه في سنة 1857 بعد احتلال الأغواط وبوساطة من سي حمزة آغا الأغواط الجديد، أرسل الحاج عبد القادر باجودة مبعوثين إلى الجزائر العاصمة، للتفاوض مع الحاكم العام على اتفاق مشابه لاتفاق ميزاب¹ سنة 1853، مقترحاً على الفرنسيين دفع الضريبة والاعتراف بالتبعية لفرنسا، وقد استقبل الوفد لكن لم يتلقوا أي رد عليهم حينذاك، وكان الهدف من تلك المحاولة منع الفرنسيين من التفكير في احتلال منطقة توات، وبعد سقوط المنية سنة 1873 قام جماعة من عين صالح وقدموا احتجاجات على الفرنسيين كرد فعل وكإشارة على رفض الوجود الفرنسي قرب المنطقة².

وكانت القوات الفرنسية وكثائب المهاريست التابعة لها في مدينة المنية، قد بدأت بتحركاتها مطلع سنة 1897، حيث أحدثت فصائل عسكرية فرنسية إنذاراً مفاجئاً في المنطقة، لما قامت بدوريات أمنية في هضبة تادمايت انطلاقاً من مراكزها العسكرية الجديدة³، وفي شهر سبتمبر 1897 وصلت فصيلة من المهاريست التابعة لفرنسا إلى منطقة أوقروت، ولم تتوقف إلا على بعد بضعة أمتار من القصور والواحات، ثم عادت أدراجها وقد تسبب ذلك الإنذار في تجمع الناس بأسلحتهم، وعبر قائد تيمي حينها عن قلقه في رسالة إلى الدولة الفرنسية، ثم في شهر مارس 1898 قام النقيب (جيرمان Germain) والنقيب (لابيرين Laperrine) بمعية 40 جندي من فرقة الصبايحية، بعملية استطلاعية في هضبة تادمايت واقتربوا من عين صالح، وأرسلوا رسالة لأهلها مفادها: طلب تسهيل مرورهم لشراء

¹ . هذه الاتفاقية تم توقيعها في الأغواط بتاريخ 29 أبريل 1853 بين وفد بني ميزاب عن قراهم السبعة وعن الفرنسيين الرائد (دو باراي)، وتضمنت احترام خصوصية بني ميزاب وعدم التدخل في شؤونهم وحفظ بلادهم، مقابل دفع ضريبة سنوية للفرنسيين وعدم تعاونهم مع أعدائهم. ينظر: عبد الله بكوش، واقع مجتمع الجنوب الجزائري خلال الفترة الاستعمارية (1852-1914)، أطروحة دكتوراه تاريخ معاصر، إش: فتيحة سيفو، جامعة وهران 01، موسم 2022/2023، ص 39

² . L.Voinot, **Le Tidikelt**, Op.Cit, p.86

³ . A.G.P Martin, **Quatres Siécles...**, Op.Cit, p.303

بعض الاحتياجات¹.

كان موقف جماعة عين صالح من تلك الزيارة الفرنسية المفاجئة والطلب الغريب غير المرغوب فيه، أن رفضوا كل علاقة مع النصارى، بل ورفعوا شكاية في شهر أبريل إلى قائد تيمي ذكروا فيها أن المسيحيين حاولوا الاستيلاء على عين صالح، وفي نفس الوقت وجهت جماعة عين صالح احتجاج رسمي ضد الفرنسيين المقيمين في برج (ميريبال)، ثم تكررت الاستفزازات الفرنسية في 10 جويلية 1898 حينما أناخت دورية مكونة من 24 مھارس قرب فقارة قصر المبروك المھجور، فخرج إليهم سكان الحاج قلمان مسلحين بـ 40 بندقية و 2 من الفرسان و 2 من المھارس، وانتظروا مغادرة الدورية قبل عودتهم إلى القصر².

رأي واستنتاج:

المنتبع لعلاقة التوسع الفرنسي بمنطقة توات يجد أن تلك الإمبراطورية الاستعمارية لفرنسا في إفريقيا، ما كان لها أن تكتمل دون المرور والوصول إلى منطقة توات، وأن هذه الأخيرة لفتت الأنظار والأطماع إليها من خلال أهميتها التاريخية والجغرافية والتجارية، ولتحقيق أهداف فرنسا في توسعها الاستعماري كان لابد لها أن تدرس منطقة توات جيداً، وأن تضع مجموعة من الاستراتيجيات المسطرة لتحقيق غاياتها وطموحاتها، فكانت فكرة السكة الحديدية والبعثات الاستكشافية والتغلغل السلمي والاقتصادي.

وعن الأسباب والدوافع التي جعلت فرنسا تلجأ لطريقة مغايرة في التوغل نحو توات، من خلال تغلغلها السلمي اقتصادياً وسياسياً، نستطيع القول: أن التجارب السابقة مع الرحالة المستكشفين والذين دفع فيهم بعضهم الثمن بحياته، وكذا التنافس الدولي على منطقة توات خاصة بين فرنسا وإنجلترا

¹ . A.G.P Martin, **Quatres Siècles...**, Op.Cit, p.311

² . Ibid, pp.312,313

والمخزن، والثورات الشعبية التي أرهقت فرنسا خاصةً في جهة الجنوب الغربي الجزائري، وكذا اتفاقية لالة مغنية في 1845 والتي كانت تعتبر ما بعد فيقيق فلاة ليس تابعاً لأي دولة، وحتى التخوف الفرنسي من احتمال وقوع خسائر وتهديدات مكلفة لها، لا سيما أن الصحراء بشساعتها وقساوتها كانت تحول بين إمكانية وقدرات إيصال العتاد والقوة العسكرية لفرنسا دون وسيلة نقل متطورة؛ أرى أن هذه العوامل هي من جعلت فرنسا تبلور فكرة التغلغل السلمي في منطقة توات، وإيجاد أساليب ووسائل تخدم تلك الرؤية والاستراتيجية ولو كحالة مرحلية زماناً ومكاناً.

ومن خلال سردنا وبحثنا التاريخي هذا، وجدنا أن تلك الأهداف والأساليب والطموحات الفرنسية في سياستها التوسعية، كانت كلها تخدم بعضها البعض بشكل متسلسل وممنهج، حتى أن الرحالة كانوا كأنهم يكملون بعضهم البعض ويواصلون مسيرة بعضهم بعضاً، وأنهم كانوا كأنهم يولون أهمية بالغة لحاجة فرنسا للتحكم في تلك الطرق والمسالك الصحراوية، وكانت دوافعهم ونتائجهم تصب في مصلحة الخطوات والمشاريع الفرنسية المنتظرة، تمهيداً للتوسع والاحتلال لمنطقة توات وجوارها، ورغم أن بعض الأحلام والتطلعات تحققت وأخرى لم تتحقق، لكنها لا تزال تثير الإعجاب والاستغراب من ذلك الكم والكيف الهائل من الدراسة والاهتمام اللذين عرفتهما منطقة توات، سواء من طرف الفرنسيين أو من غيرهم.

وكل هذه الدراسة الفرنسية المستفيضة لمنطقة توات طيلة أكثر من نصف قرن، كانت تبرز مدى أهمية المنطقة وعلاقتها بمستقبل غيرها، ولعل ما نالته من حظوة واهتمام كان إما هو استفادة للفرنسيين من أخطائهم السابقة في مناطق أخرى، أو أنها خصوصية تميزت بها توات وكان يجب أن تدرس وتستههدف بأشكال مختلفة، وعلى هذا الأساس وبقدر ما يحزنني احتلال المنطقة وضياح عمراً من أعمارها الحضارية، بقدر ما استفدت كباحث من تلك الكتابات والدراسات الفرنسية والانجليزية والألمانية عن توات، وهو في نظري كنز من الكنوز والرؤى الأجنبية التي ينبغي لنا أن نترجمه ونبحث

فيه ونسلط عليه الضوء.

خلاصة الفصل:

عرفت منطقة توات خلال القرن 19م وخاصة بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830 حركة كبيرة من الاستقطاب للأوروبيين والفرنسيين على حد سواء، ذلك الاهتمام تبلور في الكتابات المحلية التي تم الاستثمار فيها والاستفادة منها، وفي الرحلات الاستكشافية المتعددة الجنسيات والمقاصد، والتي زارت أو مرت أو كتبت على قصور توات وأهميتها؛ فالدوافع والأهداف والنتائج التي ارتبطت بها علاقة توات بتلك الكتابات والرحلات، كانت في معظمها منطلقاً لطموحات وأطماع شخصية أو دولية تخدم الأجندة الاستعمارية التي تميز بها العالم خلال القرن 19م، قد يقول قائل أن الثورة الصناعية والتنافس الاستعماري الأوروبي والازدهار الاقتصادي والأهداف التجارية والاستراتيجية، كانت من مظاهر وملامح العلاقات الدولية آنذاك، لكن أن تجد توات هي محور تلك المظاهر والعلاقات فهذا ما يدل على قيمة البحث والمبحث عنه.

فتلك البعثات والرحلات الاستكشافية كان اهتمامها بدراسة إمكانات الماء وتحديد النقاط الاستراتيجية، ووضع خرائط علمية جغرافية وطوبوغرافية للمنطقة، وجمعاً لمعلومات دقيقة في دراسات عميقة، لتحقيق بعض المشاريع كالسكة الحديدية العابرة للصحراء. ورغم أن بعض الرحالة نجحوا لكن الكثير منهم دفع الثمن؛ فقد قُتل سنة 1876 ثلاثة من الآباء البيض للكاردينال لافيغري (مينوري، وبولمي، وبوشارد) في حاسي (إينيفل)، وأبيدت بعثة (فلاترز Flatters) قرب عين صالح سنة 1881م¹، وقُتل (بالات Palat) على يد السكان المحليين بعدما غادر أوقروت في 1886م، وقُتل الرحالة (كاميل دولس Camille Douls) قرب أقبلي سنة 1889م، مما جعل فرنسا لاحقاً تصطب

¹ . Auguste Terrier, dans les Oasis du Touat, Journal des Voyages et des Aventures de Terre et de Mer, N° 284, Éditeur: Librairie illustrée et M. Dreyfous, Paris 11/05/1902, p.419

مع تلك البعثات فرقاً عسكرية مثل بعثة (Gendror) سنة 1895م وبعثة (جيرمان ولابيرين Laperrine, Germain) سنة 1896م إلى قورارة، وبعثة (فلامون Flamand) إلى هضبة تادمايت سنة 1899م والتي كانت الأضخم والأخطر على المنطقة.

وتزامناً مع تلك البعثات الاستكشافية سعت فرنسا للتمدد والتوسع الاستعماري بأهدافها واستراتيجيتها الاقتصادية، من خلال مشروع السكة الحديدية العابر للصحراء من الجزائر إلى تمبكتو، والذي كانت دراسته تضع منطقة توات فيه كملتقى لخطوطه ذهاباً وأياباً، وهو ما يعني ضرورة الاحتلال الفرنسي للمنطقة، خاصة أن أولئك الرحالة كانوا قد مسحوا تلك المنطقة جيولوجياً وطبوغرافياً، فخلصوا إلى مدى أهميتها الاقتصادية والأمنية والإقليمية؛ كما خلصوا إلى ضرورة التغلغل الاقتصادي سلمياً، من خلال تلك التجارة الصحراوية التي كانت تتمحور حول منطقة توات، ومن خلال تلك الثروات المائية والفلاحية والمعدنية التي كانت تحتاج إليها الشركات والمصانع الأوروبية.

وفي خضم ذلك الزخم التواتي المتخم بحركة المستكشفين والتطلعات الاقتصادية الفرنسية، والتنافس الأوروبي في الداخل الإفريقي، كان لزاماً على فرنسا أن تسارع إلى دراسة المنطقة والتعرف عليها أكثر من غيرها، مما حدا بها أيضاً للبحث عن أفكار واستراتيجيات توسعية مغايرة لما جريته وعهدته في شمال الجزائر، حيث لاحت لها فكرة التغلغل والاحتلال السلمي للمنطقة، فتبنت مشاريعاً وأساليباً أكثر ذكاءً وسلمية، ناورت من خلالها وفاوضت واستعانت واستثمرت بها محلياً، اقتصادياً وسياسياً ودينياً وقبلياً، ووظفت ما أتيح لها من أدوات التجسس والتأثير والتغلغل والاستهداف، خاصة أن نسيج المجتمع التواتي كان أكثر تماسكاً وتضامناً وتديناً، كأن تلك الفكرة التي تبلورت عندها اجتمعت فيها الظروف والدوافع والخطط الاستراتيجية، حتى أن أحد الكشافين قالها بصريح العبارة فيما معناه: أن توات كانت تستحق كل ذلك العناء والاهتمام.

كما أعطينا لمحة مقتضبة عن تحول منطقة توات إلى قضية دولية، وكان ذلك في إطار

الصراع والتنافس الاستعماري على الداخل الإفريقي، ونظراً لأهمية المنطقة فقد تنافست عليها القوى التوسعية (بريطانيا وفرنسا والمخزن)، حيث قاومت فرنسا وبريطانيا بعض المناطق فيما بينهما، في حين حاول المخزن استغلال ظروف تاريخية ودينية ومحلية للحصول على حق التصرف والتوسع في توات، خصوصاً أنه كان الدولة العربية والمسلمة الوحيدة المتبقية في جوار توات، وفي نهاية المطاف شارك فرنسا في مساعيها وأتاح لها فرصة الانفراد بمنطقة توات واحتلالها، وقد أوردنا في هذا السياق بعض المعلومات والشهادات التي كتبها باحثون مغاربة، وكانت محصلة تلك المواقف أن أُطلقت يد فرنسا في توات كما لو كانت حقاً لها.

وفي الأخير رأينا كيف انتقلت فرنسا من مرحلة إلى أخرى بسلاسة وتداول، من مرحلة الدراسة والبحث مع الرحالة والمستكشفين، إلى مرحلة الاهتمام والسعي لربط المنطقة باسمها، إلى مرحلة التنفيذ والتخطيط بالطرق المباشرة وغير المباشرة، إلى مرحلة القوة والغزو الاستعماري كما هو ديدنها، ورغم طول تلك المراحل زمنياً حيث ما بين احتلالها للجزائر 1830 ووصولها لاحتلال توات سنة 1900 قرابة 70 سنة من الانتظار والاهتمام والمحاولة، لكن في نهاية المطاف نستنتج أن الاستعمار الفرنسي لا تتغير حقيقته البغيضة وإن تلون جلده وأسلوبه، وأن الجزائر كوطن لم تغب عن توات كمنطقة سواء كانت قبل الاحتلال الفرنسي أو بعده، ولعل هذا ما رأيناه من خلال علاقة توات بالمقاومة والقبائل في الشمال الجزائري، أو ما سنتعرف عليه من خلال دور منطقة توات في النضال والمقاومة في جميع الظروف والفترات والجهات.

الفصل الثالث:

دعم المنطقة للمقاومة الشعبية وطنياً

المبحث الأول: علاقة توات بالمقاومة الشعبية الوطنية

- منطقة توات قاعدة خلفية في الكر والفر
- ثورة الشريف محمد بن عبد الله
- ثورة محمد بن التومي المدعو بوشوشة
- انتفاضة أولاد سيدي الشيخ

المبحث الثاني: لجوء الشيخ بوعمامة إلى المنطقة (1883 - 1894)

- الشيخ بوعمامة سيرة ومسيرة
- لجوء الشيخ بوعمامة إلى واحة لدول
- علاقة المنطقة بدعم الشيخ بوعمامة
- مغادرة الشيخ بوعمامة لمنطقة توات

خلاصة الفصل

المبحث الأول: علاقة توات بالمقاومة الشعبية الوطنية

لم تكن منطقة توات بوجودها في أقصى الجنوب الغربي للجزائر بعيدة عن أحداث المقاومة الشعبية وتوسع الاحتلال الفرنسي، ولأنها كانت مرتبطة منذ قرون بالتل الجزائري¹ ارتباطاً وثيقاً تاريخياً وجغرافياً وتجارياً وثقافياً، فإنها تأثرت بتداعيات التوسع الفرنسي شمالاً، ولم تنقطع تلك العلاقة حتى ولو كانت انعكاسات تلك التحولات والأحداث كبيرة، حيث ما فتأت قصور توات أن انحازت للمقاومة الشعبية ولقياداتها ونشاطاتها بطريقة أو أخرى، وقد ساعدتها في ذلك ظروف وأساباً متنوعة، استقطبت بها ذلك الحراك والنضال الشعبي، وكانت بسمعتها ومكانتها قاعدة خلفية للكرّار والفّرّار واللاجئين والمناوئين للاحتلال الفرنسي من كل حدبٍ وصوب.

1- منطقة توات قاعدة خلفية في الكر والفر:

الكر والفر استراتيجية عسكرية معروفة ورد ذكرها في السيرة النبوية الشريفة في غزوة مؤتة، فقد روى إسحاق عن عروة قال: لما أقبل أصحاب مؤتة تلقاهم رسول الله (ص) والمسلمون معه، قال: وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون: يا فرار فررتم في سبيل الله، قال: فيقول رسول الله (ص) "ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى"²؛ وفي اللغة كر كروراً أي: رجع وعطف، يقال: انهزم عنه ثم كرّ عليه، بمعنى: رجع وعطف عليه، والفر: هو الهروب، وفي معنى الكلمتين: فرّ للجلولان ثم عاد للقتال فهو كرّار ومنه يقال أيضاً: الجواد يصلح للكر والفر، وفرسٌ مكرٌّ مفرٌّ³؛ ولهذا فلجوء قيادات المقاومة لمنطقة توات لم يكن مكوّناً وهروباً نهائياً، بل هو ظرف تكتيكي مؤقت الهدف

¹ التل الجزائري: عبارة عن شريط ساحلي واسع بطول 1200 كلم وعرض ما بين 100 إلى 200 كلم، تحده من الجنوب سلسلة جبلية متوازية مع الساحل والتي تمتد من منطقة تلمسان في الغرب إلى الحدود التونسية في الشرق وتتشكل ضمنها مجموعة من السهول الخصبة أين تتمركز غالبية السكان وحقول وجبال الأطلس التلي التي يتجاوز ارتفاعها عادة 2000 متر. ينظر: موقع وزارة السياحة والصناعة التقليدية، تعرف على الجزائر، التصفح: 2024/05/02، التوقيت: 22:30 ليلاً، <https://www.mta.gov.dz>

² حديث نبوي شريف، محمد بن يوسف الصالح، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج6، المكتبة الإسلامية، موقع إسلام ويب، التصفح: 2024/07/19، التوقيت: 22:25 ليلاً، ص 156

³ المنجد في اللغة والأعلام، ط42، دار المشرق، بيروت 2007، ص ص 573، 678

منه إعادة التنظيم والتجيش ثم العودة للقتال، وكلما ضاقت بهم السبل كانوا يترددون على توات من حين لآخر وهكذا دواليك.

وليس غريباً على قصور توات أن تكون قاعدة خلفية لقبائل التل الجزائري والشخصيات المناوئة للاحتلال الفرنسي، فالامتداد الجغرافي للمنطقة بالنسبة للجزائر كان ضمن المجال الحيوي لها، ناهيك على أن الظروف الطبيعية والتاريخية والعلاقات الثقافية والاجتماعية والسياسية كانت كفيلة بتصنيف منطقة توات كقاعدة وظهر يُستند عليه في السراء والضراء، وقد اكتشف الاحتلال الفرنسي هذا الدور الذي لعبته توات حتى قبل أن تطأ أقدامه أرضها وقصورها، فاعترف بذلك بعض الرحالة مثل (جيرهارد رولفس وبول سولاوي)، بل كذلك الحاكم العام الفرنسي (كامبون) أشار إلى خطورة احتضان قصور توات للمعارضين والمتمردين، والأسباب والظروف التي تفسر هذه النقطة نوجزها فيما يلي:

1-1 - العوامل الطبيعية والجغرافية والتاريخية:

إن الامتداد الجغرافي لمنطقة توات ضمن المجال الحيوي جنوب الجزائر معروفاً منذ قرون غابرة، حتى أن أشهر المصادر التاريخية أشارت لذلك في أمهات كتبها وكتاباتهما، حيث نجد مثلاً ابن خلدون يقسم توات حسب الامتداد الجغرافي بين المغربين الأقصى والأوسط فيقول "مثل بلاد بودة وتمنطيت في قبلة المغرب الأقصى، وتسابيت وتيكورارين في قبلة المغرب الأوسط..."¹، ثم وهو يتكلم على قصور توات وتمنطيط يضيف "ومن هذه القصور قبلة تلمسان، وعلى عشر مراحل منها قصور تيكورارين وهي كثيرة..."²؛ والحسن الوزان إذ يضع البلاد التي ينمو فيها النخيل ضمن أقسام نوميديا، فيذكر منها: توات وتسابيت وتيكورارين³، ثم يقول كإضافة أخرى أن "تيكورارين منطقة مأهولة في

1. ابن خلدون عبد الرحمن، ديوان المبتدأ والخبر...، ج6، المصدر السابق، ص 131

2. ابن خلدون عبد الرحمن، ديوان المبتدأ والخبر...، ج7، المصدر السابق، ص 77

3. الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج1، المصدر السابق، ص 32

صحراء نوميديا...¹

بل حتى بمجيء الفرنسيين ومحاولاتهم الاستكشافية في الصحراء الكبرى، شهدوا بأن منطقة توات كانت ضمن امتداد الجزائر الجنوبي، فالرحالة (بول سولايي) ذكر أن الكولونيل (ميرشر) في تقريره (مهمة غدامس) أهمية موقع توات فقال: "لو ألقينا نظرةً على خارطة إفريقيا نلاحظ أن الطريق الطبيعية للجزائر نحو بلاد السودان، تمر عبر أرخبيل واحات توات...²؛ وعلى هذا الأساس فقد كانت قصور توات جنوب الجزائر -أو ما كان يُعرف سابقاً بمملكة نوميديا- مرتبطة ارتباطاً وثيقاً كنفوذ جغرافي ومجال حيوي بالقبائل والتجمعات الحضرية للتل الجزائري.

أما عن الجانب التاريخي وارتباطاته بين توات وشمال الجزائر فهي معروفة وكثيرة، فقد ارتحلت قبائل عربية من بني هلال وعلى رأسها بنو عامر الذين هاجروا من تلمسان واستقروا في صحراء قورارة³، وقبائل زناتة التي استوطنت نفس المنطقة بعد سقوط دولتها هاجرت أفواجاً كبيرة منهم خلال القرنين 4 و 5 للهجرة ونزلوا في توات وقورارة، بل وحفروا الآبار والفقارات واختطوا لهم قصوراً كثيرة وسكنوها⁴. ولم تتوقف الهجرات من الشمال الجزائري فقد غادر الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي والكثير من أتباعه من تلمسان، وحتى بعض الموريسكيين واليهود الفارين من الأندلس خلال القرنين 15 و 16 للميلاد، واستوطنوا قصور توات، ومنذ تلك الفترات توطدت العلاقة بين المنطقة وشمال الجزائر، فكانت جاذبة وحاضنة لحالات كثيرة من اللجوء والاستيطان والهجرة المتبادلة.

ناهيك على أن منطقة توات كانت مزدهرة تجارياً، فالقوافل والتجارة الصحراوية كانت أكثر نشاطاً على خط توات، وسبق لنا وأن أشرنا إلى أنه بفضل تلك الحيوية كانت توات تجذب القوافل التجارية وركب الحجيج، من حواضر السودان الغربي جنوباً والمغرب الأقصى والجنوب الوهراني شمالاً، وعلى

¹ . الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، المصدر السابق، ص 133

² . جعفري مبارك وعبو الطاهر، منطقة توات ودورها في تجارة القوافل...، المرجع السابق، ص 6، 7

³ . الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج1، المصدر السابق، ص 51

⁴ . محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأقاليم...، المصدر السابق، ص 2

أساس تلك الأوضاع تنوعت علاقات توات مع قبائل التل الجزائري وازدادت، حيث كانت القوافل من أولاد سيدي الشيخ وعين الصفراء والمشرية وسعيدة كفيلة بتعريف المنطقة وربط علاقاتها المتينة؛ بل كانت بذلك قطب تجاري جذاب للهجرات والباحثين عن لقمة العيش كلما ضاقت بهم الظروف والسبل في مواطنهم الأصلية.

كما لا ننسى أن للظروف الطبيعية للبيئة الصحراوية التي تتميز بها منطقة توات، مبرراتها الجاذبة للهجرات اللاجئة إليها بعيداً عن كل تهديد وخطورة، فالطبيعة الحارة والقاسية للمنطقة كانت أشبه بمنفى اختياري لكل قاصدٍ لها، فنظراً لموقعها الجغرافي البعيد عن الشمال الجزائري، وطبوغرافيتها الوعرة ومناخها القاسي وفيافيها المجهولة، كانت ملاذاً آمناً للفايرين من أي قوة أو دولة سائدة¹؛ لكن ورغم ذلك، فبالمقارنة مع مناطق صحراوية أخرى فقد كانت قصور توات أرخبيل من الواحات التي تنبض بالحياة، والتي من خلالها توفر سبل المعيشة الممكنة على خلاف أماكن أخرى، بل حتى أنها وبما كانت توفره من مراعي ومياه ومحاصيل زراعية، صارت مكاناً مناسباً لانتجاع وترحال بعض البدو الرحل في فصل الشتاء نظراً لكثرة إبلهم وبرودة مناطقهم².

بل حتى أن الرحالة الفرنسي (دي كولومب) ذكر أن الدافع وراء رحلته كان استكشاف منطقة توات كونها كانت ملجأ لقبائل الجنوب الوهراني خاصة في ظل الظروف المناخية الشتوية، والتي كانت تحتم عليهم التنقل بحثاً عن الدفء والمراعي حيث كانت الواحات توفر ذلك³. وتشير أيضاً النتائج الجغرافية لرحلة القائد (كولونيو) سنة 1860 إلى معلومات مثيرة عن العلاقات التجارية بين القبائل الجزائرية وتوات، حيث كانت قبائل حميان تقصد قصور دلدول والمطارفة وتساهبت في جهة قورارة، وقبيلة الطرافي إلى تيمي وبودة، وأولاد زياد إلى تيميمون، والرزاينة نحو تمنطيط، وأولاد سيدي الشيخ

¹ . محفوظ رموم، "الاحتلال الفرنسي لأقصى الجنوب الغربي الجزائري والمجاهدة العسكرية والثقافية"، مجلة الحوار الفكري، مج11، ع11، 30 جوان 2016، ص ص 53-88

² . الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج1، المصدر السابق، ص 51

³ . Louis de Colomb, *Exploration des Ksours et du Sahara...*, Op.Cit, pp.10,11

إلى أوقروت التي كانوا يملكون فيها بساتين نخيل كثيرة؛ وكانت هذه القبائل تفضل بناء علاقاتها في تجارة التمور مع توات على السودان الغربي¹.

1-2- الارتباط الروحي بالطرق الصوفية الجهادية:

لقد كانت منطقة توات أيضاً بقصورها وتأثيرها الثقافي، جاذبة للطرق الصوفية بكل مسمياتها وأقطابها، بل كانت الزوايا في المنطقة حاضنة لكثير من تلك الطرق الصوفية القادمة من الشمال الجزائري، وكان نشاطها مكثفاً وواضحاً خلال القرن 19م، مما جعل مشايخ وقيادات تلك الطرق يزورون ويترددون على قصور توات في كذا مرة، كانت علاقاتهم تتمثل في نشر الصوفية وأورادها، وفي تعيينات حول مقدمي الطريقة والعائلات الحاضنة لها، وفي تحصيل الهبات والعطايا ومتابعة شؤون أوقافها وأملاكها، وبطبيعة الحال في تلقين تعاليم الطريقة ومباركة أتباعها، وفي هذا الإطار كان للطرق الصوفية ذات النهج الجهادي تأثيرها ودورها في زرع بذور المقاومة ورفض الأجنبي (الكفار).

وكانت على رأس تلك الطرق الجهادية الحركة السنوسية القادمة من معقلها في مدينة مستغانم وضواحيها، والتي تأسست على يد الشيخ محمد بن علي السنوسي² (1787-1859) الذي زار عدة بلدان إلى أن أنشأ أول زاوية له في مكة المكرمة، ثم أظهر حركته التجديدية بشكل لافت في ليبيا بعد شعوره بمدى ضعف المسلمين وتأخرهم دينياً ودنيوياً، فبعد أن أصيبت الجزائر وتونس وليبيا ومصر

¹ . P.Vidal de La Blache et Marcel Dubois, "Sahara", *Annales de Géographie*, T. 4, N°13, Bibliographie de l'année 1893.1894, Editeurs: Armand Colin et Cie, Paris 1894, pp. 167-169

² . محمد بن علي السنوسي: وُلد سنة 1202هـ/1787م بالمحلة الواسطة بالجزائر (في عمالة وهران)، نشأ في عائلة شريفة عرفت بالعلم والتقوى والفروسية، درس وتعمق في الصوفية بفاس، ولأنه لم يميل للبلاط الملكي هناك فقد تعرض للرقابة في تحركاته بفاس، ترك أيضاً مؤلفات في الفقه والتصوف مثل كتاب المسائل العشر وكتاب إيقاظ الوسنان، وكان في طليعة المصلحين في العقيدة والداعين للتجديد ومسيرة التطور وفي نفس الوقت الدعوة لمواجهة الاستعمار، حتى نظم على ذلك الأساس طريقة صوفية خاصة به سميت بالسنوسية، وأسس لها زاوية في جبل أبي قبيس بمكة سنة 1837، ثم انتقل إلى برقة في ليبيا سنة 1844 ثم واحة جغبوب التي مكث فيها إلى آخر حياته سنة 1859. ينظر: ميلود بلعالية، "الشيخ محمد بن علي السنوسي (1787-1859)"، *مجلة عصور*، مج5، ع2، 2006/12/30، ص ص 108-132

والشام والحجاز بالضعف الشديد والتدهور المريع، بسبب الظلم والاستبداد وانتشار الجهل والجمود وغياب القادة¹، أخذت على عاتقها هذه الحركة مسؤولية الدعوة الإصلاحية والجهادية بنقّس صوفي جديد، وكان هدفها الرئيسي منذ منتصف القرن 19م هو مقاومة الجيوش الاستعمارية الغازية.

وكان وصول الطريقة السنوسية إلى توات على يد مؤسسها نفسه، بعد أن زار المنطقة فاحتضنتها قبيلة أولاد باجودة في تيديكلت وهي في مهدها خلال القرن 13هـ، وبرز أعلامها التواتيين كدعاة مشاركين السنوسي أعباء حركته، ومنهم مثلاً أحمد أبو القاسم التواتي ومحمد عبد الله التواتي. هذه الطرق الصوفية نشر أفكارها ومبادئها العلماء والزوايا المنتشرة في ربوع توات²؛ بل كان لدخولها إلى أرض توات أن زادت من ازدهار حركة القوافل التجارية وكذا التصدي للتوسع الفرنسي، حتى أن (ديبورتر) قال عنها "إن السنوسية قد أحرزت في هذه المناطق خلال السنوات الأخيرة تقدماً سريعاً، حتى أن رئيس مقاطعة إن صالح قد أصبح واحداً منهم، إن السنوسيين هم أعداؤنا، ولا يمكن أن نستخف بهم وعلينا مراقبتهم عن كثب"³.

أما عن الطريقة القادرية فقد ظهرت بالمنطقة منذ مجيء الشيخ المغيلي خلال القرنين 15 و16م، كما ساهم مولاي عبد الملك بن عبد الله الرقاني في نشرها بالمنطقة وجوارها، وحفيده الشهيد مولاي عبد الله بن العباس (ت 1317هـ/1900م) الذي تزعم المقاومة باسمها في بداية الغزو الفرنسي⁴، واتسع نشاطها أيضاً على يد الشيخ المختار الكنتي (ت 1226 هـ/1811م)، حتى صار لهذه الطريقة في توات أملاك وأضرحة زادت في حراكها الثقافي والروحي والجهادي، ونفس الشيء عن الطريقة الشاذلية وفروعها خاصة الطيبية والشيخية⁵؛ وعلى ذلك الأساس وجد الشريف محمد بن عبد

1. علي محمد الصلابي، الحركة السنوسية في ليبيا، ج1، دار البيارق، عمان الأردن 1999، ص 7

2. أحمد بوسعيد، الحياة الثقافية والاجتماعية بإقليم توات...، المرجع السابق، ص 49

3. امحمد جعفري، الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بتدكلت...، المرجع السابق، ص 247

4. مبارك جعفري وعبد الله مقلاتي، معجم أعلام توات، المرجع السابق، ص ص 227-234

5. أحمد بوسعيد، الحياة الثقافية والاجتماعية بإقليم توات...، المرجع السابق، ص 48

الله ضالته في توات وهو التلمساني المتصوف، واحتفى الشيخ بوعمامة أيضاً بمنطقة قورارة في قصور دلدول من 1883 إلى 1894م لما ضاقت به السبل، نظراً لوجود مريدين للطريقة الشيخية فيها¹.

وتشير بعض الإحصائيات الفرنسية أواخر القرن 19م عن تزايد حجم نشاط تلك الطرق الصوفية، حيث كان ثلثا سكان توات وربع السكان في الساورة وقورارة مرتبطين بالطريقة القادرية، وأما الطريقة الطيبية الوزانية فقد ازداد أتباعها بقوة في توات العليا وتمنيط، كما استطاعت السنوسية رغم تأخر دخولها إلى توات أن تُنصب مقدماً لها في سالي برقان².

وبالتالي فإن منطقة توات كانت كالخيمة التي تحتضن تلك العائلات الصوفية، فكان السبب الروحي قوي للغاية في تمتين أواصر العلاقة بين الطرق الصوفية وتوات، بل حتى أن فرنسا في محاولاتها التوسعية جربت الاستعانة ببعض الشخصيات الشاذة والتي كانت تنتمي لهذه الطريقة أو تلك، تلك المحاولات كانت في إطار تغلغلها السلمي وعلى أساس دراساتها السابقة التي استنتجت من خلالها دور وعلاقة توات في جذب ودعم القيادات الصوفية ثقافياً وجهاًياً.

1-3- الظروف والدوافع السياسية:

أما بخصوص العوامل السياسية التي جعلت من توات كقاعدة خلفية لأي معارضين أو مناوئين، فلأن المنطقة كانت معروفة بعدم خضوعها لأي دولة، وفي هذا السياق تحدث الفشتالي عن لجوء الملوك المغلوبين قديماً وحديثاً إلى قطري توات وتينقورارين، وضرب مثلاً بأبي حمو الزياني ملك المغرب الأوسط الذي سقطت دولته على يد بنو مرين فهرب من تلمسان إلى قورارة، وأبي العباس الأعرج الذي فر من مراكش وسجل مأساة إلى المنطقة منذ 1544م، ويضيف مؤرخ السعديين عبد العزيز الفشتالي واصفاً توات على أساس ما كانت تتبوأه بذلك الوضع فقال: "وبقي هذا الصقع منتبذاً

¹ . تواتي دحمان وآخرون، دور أقاليم توات...، المرجع السابق، ص ص 8-10

² . Camille Sabatie, *La Question du Sud-Ouest*, Adolphe Jourdan, Libraire-éditeur, Alger 1881, pp.32-34

عن الدولة لانحصار تيارها عنه..."، ثم ذكر أن هذه المنطقة بقيت مستعصية ومأوى للكرار والفرار حتى جاء زمن المنصور الذي بدأ أمر "فتوحاته" بصقع بلاد توات وتينقورارين¹.

ورغم سقوط توات في فترات متقطعة تحت حكم السعديين بالقوة والغلبة، إلا أنها استمرت في لعب دور الملجأ والمأوى خاصة بعد سقوط الجزائر بيد الاحتلال الفرنسي سنة 1830، ناهيك على أن وقوعها في قلب الصحراء الكبرى كان له ميزة سياسية خاصة، جعلتها بعيدة عن مشاكل وأزمات دول الشمال سواء كانت الجزائر أو المغرب أو غيرها، ولم يتغير هذا الدور مع مجيء الفرنسيين بل ازدادت الحاجة إلى اللجوء والارتكاز على منطقة توات احتماً وانبعاثاً من جديد². ولم تكن المنطقة مركزاً ومأوى الهاربين والناجين بأنفسهم كما لو كانت الحبشة لا يمس فيها أحد وحسب، بل كان القاصدون كلاجئين أو كرار وفرار إلى قصور توات، يجدون فيها الأمن وعدم المتابعة، ويستطيعون حينها التزود بالمؤن والعتاد وتجميع الفلول والأنصار استعداداً للمقاومة والثأر مرة أخرى.

ثم ما فتأت أن جاءت معاهدة لالة مغنية سنة 1845 لتكرس ذلك الوضع السياسي لمنطقة توات على أساس أنها من بين مناطق الجنوب الغربي التي لا تتبع لأحد، فقد عبرت بوضوح عن إشكالية تنازع الحدود بين فرنسا الاستعمارية والمخزن، حيث جاءت بعد انهزام المغرب أمام فرنسا في معركة إيسلي وخضوعه لمعاهدة طنجة 1844، فكانت هذه المعاهدة مكمله لسابقتها وتم توقيعها في 18 مارس 1845، تطرقت لترسيم الحدود بين المغرب والجزائر المستعمرة فرنسياً، وامتد التحديد في إطارها من البحر الأبيض المتوسط إلى فيقيق جنوباً واعتبر ما بعد ذلك مشاعاً ليس ملكاً لأحد³.

فقد ورد في شرطها الرابع: "أن أهل الصحراء لا حد فيه بين الجانبين لكونها لا تحرث، وإنما هي مرعى فقط لعرب الإيالتين التي تنزل فيها وتتنعق بخصبها ومائها، ولكلا السلطانين التصرف في

1. أبي فارس عبد العزيز الفشتالي، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء، المصدر السابق، ص ص 73-75.

2. محفوظ رموم، "الاحتلال الفرنسي لأقصى الجنوب..."، المرجع السابق، ص ص 56، 57.

3. طهيري عبد الكريم، "توات في مشروع..."، المرجع السابق، ص ص 508، 509.

رعيته بما شاء وكيف شاء..."، والشرط الخامس حدد آخر القصور بين المغرب والجزائر قبل التوغل في مناطق الصحراء، حيث ورد فيه: "...أما قصور فيجيج وقصر ايش فلعمالة المغرب، وأما عين الصفراء وسفيسيفة وعلة وتيوت وشلالة والأبيض وبوسمغون فلعمالة الشرقية"؛ والشرط السادس الذي ذُكر فيه: "أن الأرض التي هي قبلة قصور الفرقتين في الصحراء لا ماء فيها، فلا تحتاج للتحديد لكونها أرض فلاة"¹؛ وهذه العبارة كانت واضحة وصريحة خاصة في سياق لفظة "أرض فلاة"².

ولأن معاهدة لالة مغنية أشارت لحالات التجاء القبائل بين الدولتين شرقاً أو غرباً، وسمحت بذلك على ضوء الشرط السابع الذي يرخص "أن جميع من التجأ من رعية الفريقين إلى الآخر فلا يرده من التجأ إليه لموضعه..."، لكنها استثنت بعض القبائل وأشارت لها، كما ذكرت حالة الصحراء التي لا حد فيها حسب قول الشرط الرابع بأنه "لكلا السلطانين التصرف في رعيته بما شاء وكيف شاء..."، وفي حالة اختلاط رعيته برعية غيره فليكيف عن غير رعيته ويحدث في رعيته بما يشاء³؛ وهذا ما أتاح لكلا الطرفين حرية مطاردة أعدائهما ومعارضيهما، مما يعني أن أقصى الجنوب الغربي بما فيه منطقة توات ستكون ملجأً للثوار والمتمردين والعصاة، وازدادت كمقصد لهؤلاء خاصة بعدما أتاحت معاهدة لالة مغنية حق الدولتين في مطاردة معارضيهما، وحق كلا الدولتين بتسليم المطلوبين والسماح بمطاردتهم وهو ما لا يتاح في جهة توات (الأرض الفلاة).

وفي ظل هذه الأوضاع المترتبة عن اتفاقية لالة مغنية، بدأت تظهر تحالفات محلية لقصور توات مع بعضها البعض ومع القبائل والقيادات الأخرى من خارج المنطقة، يمكن تفسير تلك التحالفات على أساس أنها كانت ضماناً لعدم تسليم اللاجئين والمطاردين، ولمنع الغزاة من الوصول لأرض توات بأي حجة؛ حيث نجد أن أولاد سيدي الشيخ الشراقة كَوَّنوا صداقات وأحلاف مع عدة قصور في قورارة،

¹ . عبد الرحمن ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس...، ج5، المصدر السابق، ص ص 197، 198.

² . الفلاة: وجمعها فلوات أو فلا (بفتح الفاء وتشديد اللام)، وهي الأرض الواسعة المقفرة. ينظر: مجمع اللغة العربية بمصر، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة 2004، ص 702.

³ . عبد الرحمن ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس...، ج5، المصدر السابق، ص ص 197، 198.

على غرار جهة تينركوك مع سي قدور بن حمزة وجهة لدول مع الشيخ بوعمامة. واتحاد القصور ذات الارتباط بصف سفيان سنة 1895، والتقارب بين الغنامة وأهل بودة سنة 1898، والاتفاق السلمي بين الطوارق وأولاد باحمو جنوب عين صالح سنة 1899¹.

ومن بين القبائل التي التجأت إلى توات ووجدت في أهلها وقصورها الحاضنة والحليف لها، كانت قبيلة الجرامنة الذين بسببهم اندلعت ثورة بوعمامة سنة 1881 ومن خلالها تميزوا بالترحال والبحث عن ملجأ لهم، حيث بقيوا مع الشيخ بوعمامة لمدة في لدول، ثم توجه بعض أفراد القبيلة نحو توات الوسطى وبالضبط إلى سالي وبوعللي وأولف، ثم في سنة 1887 تجمعت معظم القبيلة عند شيخ عين صالح الحاج عبد القادر باجودة بدعوة منه، وكان هذا الأخير على غرار حلفائه الطوارق خصم عنيد للفرنسيين، ورغم أن الاتهامات له بأنه كان وراء اغتيال (مارسيل بالات) لم تثبت، إلا أن استدعائه للجرامنة والتحالف معهم كان جزءاً من سياسته الدفاعية عن الواحة ضد أي هجوم فرنسي محتمل². وأما عن قادة ورجال المقاومة الجزائرية نذكر منهم:

2. ثورة الشريف محمد بن عبد الله:

1.2. من هو الشريف محمد بن عبد الله؟؟

لقد وجدنا صعوبة في ضبط تعريف وترجمة هذه الشخصية الوطنية الثائرة، فالمؤرخ أبو القاسم سعد الله يقول أن اسمه الحقيقي هو إبراهيم بن أبي فارس مع إضافة كلمة "المدني" في توقيعه، وأن بعض الروايات تربطه بأولاد سيدي الشيخ، وأنه تعلم في قرية قرب تلمسان، وأنه كان إلى غاية 1840 يُدرّس في زاوية سيدي يعقوب التابعة لأولاد سيدي الشيخ³. وكان هذا الرجل الغامض من المرابطين البسطاء، وُلد خلال القرن 18م في أولاد سيدي أحمد بن يوسف، وهي فرقة من قبيلة "الغسول" ناحية

¹ . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, pp.278,321

² . Pierre Boyer, "l'Odyssée d'une Tribu Saharienne: les Djeramna (1881-1929)", *Revue des Mondes Musulmans et de La Méditerranée*, N°10, Lyon 1971, pp. 27-54

³ . أبو القاسم سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992، ص 355

تلمسان، كان يحفظ القرآن الكريم ويعلمه بين بني قومه في زاوية سيدي يعقوب، لكنه لم يكن على قدر عال من العلم ولم ينل أية إجازة رغم تنقله إلى مصر والحجاز وليبيا وتونس¹.

وكان مولاي الشيخ علي الآغا الذي يمثل الأمير عبد القادر على الغسول قد رأى مدى انتشار سمعة هذا المرابط في المنطقة، فخرج بعد سنة 1840 معه على رأس قبائل الطرارة والغسول وبني عامر لمحاربة الفرنسيين، ثم نظراً لطموحه الشخصي وعدم رضاه بحكم البوحميدي² خليفة الأمير عبد القادر على تلمسان، خرجا كلاهما عن طاعة الأمير عبد القادر ثم عرض نفسه على الفرنسيين في رسالة ذكر فيها أن الناس قد دعوه لمحاربة الأمير عبد القادر، ليعينه الجنرال (بيجو) خليفة على تلمسان بعد سقوطها سنة 1842م³. وعلى هذا الأساس يمكن القول أن آغا الغسول أراد استغلال محمد بن عبد الله، وأن هذا الأخير كان يسايره لبلوغ طموحاته لا غير، وهذا ما سيكتشفه الفرنسيون أنفسهم والموالين له أيضاً.

ففي يوم تنصيبه خليفة ولما حانت لحظة القسم بالولاء لفرنسا، رفض محمد بن عبد الله القسم في البداية ثم قام به بطريقة غير صادقة، حيث وضع بعض أصابعه فقط على المصحف، ولما سلّمت له مجموعة عسكرية أهلية سعى لتغييرها بعناصر أخرى من الموالين له، وكان هدفه الانقلاب على فرنسا والتمرد عليها حينما تتاح له الفرصة، إلا أنه تعرض للخيانة واكتشفت فرنسا أمره ووضعت

¹ . عبد القادر مرجاني، "مقاومة الشريف محمد بن عبد الله (1851-1871)"، *مجلة الباحث*، مج12، ع3، 2020/10/25، ص ص 325-348

² . البوحميدي: هو أبو عبد الله محمد البوحميدي الولهاسي وُلد بين 1811-1812 بولهاصة (في جهة عين تموشنت)، تعلم منذ صغره القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، كما شب فارساً وكان ماهراً في استخدام السيف والبندقية، عينه الأمير عبد القادر خليفة له على الغرب ثم تلمسان منذ 1833، كما أشرف على ترتيب لقاء الأمير عبد القادر مع الجنرال بيجو في معاهدة التافنة 1837، وكان قد تقطن للجاسوس "ليون روش" وحاول إعدامه، وخاض عدة معارك في مقاطعته بتلمسان وانتصر فيها مثل معركة سيدي إبراهيم 1845، انتهى به الأمر بمصير مجهول لما كلفه الأمير بسفارة إلى فاس للقاء السلطان المغربي سنة 1847 حيث توفي بعد ذلك في ظروف غامضة. ينظر: محمد السعيد قاصري، "سفارة محمد البوحميدي خليفة الأمير عبد القادر إلى السلطان المغربي سنة 1847"، *مجلة المعارف للبحوث*

والدراسات التاريخية، مج2، ع2، 2016/05/25، ص ص 98-144

³ . أبو القاسم سعد الله، *الحركة الوطنية*، ج1، المرجع السابق، ص ص 355، 356

تحت المراقبة¹؛ ومع ذلك فقد واصل العمل مع الفرنسيين ومن جهة أخرى كان الاحتلال يتعامل معه على مضض، خاصةً أن شبهات كثيرة صارت تصل إليهم عنه كان خلالها يكتب عبارات مهينة في حق فرنسا، ووصل به الأمر أنه ذات مرة قال للناس: "أن الله هو الذي وضعني وسيطاً بينكم وبين النصارى...، وأنا لم أتحالف مع الفرنسيين إلا طاعةً للرسول (ص)"²، ويرر ذلك بأنه رأى الرسول (ص) في الحلم يضعه فوق فرس وهو علامة القيادة، وأنه عليهم الصبر فالموعد قريب³.

وفي سنة 1847 نصحته السلطات الفرنسية بالقيام بالحج، ففهم الأمر على أنه نفي من نوع خاص، وأنه صار غير موثوق به وهو بذلك المنصب الذي لا يزال يحوذ عليه يشكل إجحافاً للفرنسيين وأهل المنطقة، فرحل إلى البقاع المقدسة في عام 1849 وهناك التقى في مكة المكرمة مع الشيخ محمد بن علي السنوسي العدو اللدود لفرنسا، ومن هناك انطلق كلاهما في تأسيس زاوية ونشر مبادئها وتعاليمها، وحث أتباعهما وأصدقائهما في الجزائر على المقاومة⁴. أو بمعنى آخر فقد تتلمذ وانضم للطريقة السنوسية في مكة المكرمة، بل حتى أنه اتصل بالسلطات العثمانية في المشرق خاصةً أن هذه الأخيرة لم تكن قد اعترفت بسقوط الجزائر حتى 1847، ثم عاد إلى الجزائر وبالضبط إلى ورقلة ما بين سنتي 1849-1851 وبدأ هناك الدعوة لحركته الجهادية باسم محمد بن عبد الله تمويهاً للفرنسيين⁵.

بعد وفاة الحاج بن بابية سلطان ورقلة اختار وفداً من أحياءها وقصورها وقبائلها محمد بن عبد الله سلطاناً عليهم سنة 1851، وهو ما جعله يبدأ نشاطه بالتحالف وكسب التأييد من بن ناصر بن

¹ . س. تروملي، الفرنسيون في الصحراء "يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية"، تر: محمد المعراجي، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر 2013، ص ص 73، 74

² . Corneille Trumelet, **Les Français dans Le Désert : Journal Historique, Militaire et Descriptif d'une Expédition aux Limites du Sahara Algérien**, Éditeur: Challamel aîné, Paris 1885, p.50

³ . س. تروملي، الفرنسيون في الصحراء...، المصدر السابق، ص 75

⁴ . Corneille Trumelet, **Les Français dans Le Desert...**, Op.Cit, pp.51,52

⁵ . أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج1، المرجع السابق، ص ص 356، 357

شهرة¹ عن قبيلة الأرباع، وسي النعيمي عن أولاد سيدي الشيخ، وقبيلة سعيد عتبة والشعانية والمخادمة وبني ثور، وانضم إليه الكثير ممن كانوا رافضين للخضوع للفرنسيين من ورقلة وضواحيها، وانطلق في غزواته وحروبه التوسعية على توقرت سنة 1851 وفي مناطق أولاد نايل والزيان وميزاب سنة 1852، إلى أن اصطدم مع الفرنسيين في متليلي فكانت أول هزيمة له في نفس السنة، مما جعله بعد ذلك يبحث عن الثأر ورد الاعتبار فأزعج فرنسا في عدة مواقع ومناطق، ولما ضاقت به الأوضاع لجأ إلى تونس ما بين 1854-1858م²؛ ليعود بعدها ويواصل تحركاته في مناطق أخرى من الجنوب ومنها قصور توات.

2.2. مساهمة منطقة توات في ثورته:

كانت أولى بدايات علاقة الشريف محمد بن عبد الله بتوات بسبب تعاطف أولاد سيدي الشيخ في البداية معه مثل سي حمزة³ وسي النعيمي، ومن خلال ذلك جدد جيشه وثار على الفرنسيين مرة أخرى ما بين 1855-1857، لكن لما استطاعت فرنسا استمالة حلفاءه من أولاد سيدي الشيخ بمناوراتها واغراءاتها⁴؛ وخاصة لما نصبت سي حمزة باشا آغا على الأغواط، انقلب على الشريف محمد بن عبد الله سنة 1853، فطورد على إثرها بفضل القوات الفرنسية ودعم سي حمزة لها حتى انهزم في موقعة

¹ . بن ناصر بن شهرة: وُلد سنة 1219هـ/1804م بالأرباع قرب ورقلة، ينتمي لقبيلة أولاد عيسى إحدى عشائر الأرباع بمحيط الأغواط، كان معروفاً بارتدائه اللثام في حروبه ضد الفرنسيين، وكان صوفياً ينتمي للطريقة القادرية، اعتقلته السلطات الفرنسية سنة 1851 وهو يخطط للثورة ثم في نفس السنة فر من معتقله، وتحالف مع الشريف محمد بن عبد الله وبدأت مقاومته سنة 1852، ولما سقطت الأغواط التجأ إلى الجنوب التونسي وقاد من هناك هجمات على الفرنسيين في الجزائر، ثم لما اندلعت انتفاضة أولاد سيدي الشيخ سنة 1864 انضم إليها، كما انضم لثورة بوشوشة سنة 1869، كما ساعد آل المقراني على اللجوء إلى الصحراء بعد سنة 1871، وواصل مناوراته ضد الاحتلال حتى لجوءه مرة أخرى إلى تونس سنة 1875، ثم انتهى به المطاف مقيماً إلى جانب عائلة الأمير عبد القادر بدمشق حيث توفي فيها سنة 1301هـ/1884م. ينظر: نور الدين السد وآخرون، الموسوعة الجزائرية، الأعلام، المجلد الأول، الناشر: المجلس الأعلى للغة العربية، طباعة دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر 2020، ص ص 85، 86.

² . عبد القادر مرجاني، "مقاومة الشريف محمد بن عبد الله..."، المرجع السابق، ص ص 325-348.

³ . كان سي حمزة في البداية متعاطفاً مع حركة محمد بن عبد الله، وبعدما نال منصب الخليفة قاد هجمات واسعة ضده بقوة قوامها 1200 جندي، حتى انهزم محمد بن عبد الله في معركة عرق بوسروال سنة 1854، أخضع من خلالها سي حمزة مناطق متليلي وميزاب وورقلة. ينظر: عبد الحميد زوزو، محطات في تاريخ الجزائر، دار هوم، الجزائر 2011، ص 101.

⁴ . أحمد العماري، توات في مشروع التوسع...، المرجع السابق، ص 67.

الرويسات*، ليضطر بعدها إلى الاحتماء بعين صالح في جهة تيديكلت بعيداً عن ورقلة التي سقطت، وبعد 8 سنوات توفي سي حمزة فجأة، فوجد الشريف محمد بن عبد الله الفرصة سانحة ليزحف على ورقلة مجدداً بمئاتٍ من أنصاره الذين جندهم في توات ومن الطوارق والشعانية¹.

يقول الجنرال (كولونيو) في سرده للوقائع أن فرنسا اضطرت هذه المرة للاستعانة بسي بوبكر الذي بحكم نفوذه وعلاقات أولاد سيدي الشيخ الروحية في توات، ولأنه كان يعرف طريق السودان عبر عين صالح، ويعرف دور وقوة الشعانية في القتال، كما أنه تواصل مع الطوارق وأهل تيديكلت لإقناعهم عن العدول عن العدوان، لينجح في إلحاق الهزيمة بالشريف محمد بن عبد الله واعتقاله². والأحداث توات لما أفلت من الإقامة الجبرية التي بقي فيها في تونس حتى سنة 1858، ثم توجه إلى توات واستطاع الحصول على بعض التأثير، حيث جمع هناك المئات من الأنصار الذين دخل بهم إلى نواحي الأغواط، وظهر للعلن بالضبط في 14 سبتمبر 1861³؛ فخرج سي بوبكر ومعه سي الأعلى في جيشٍ من البيض جيريغيل يوم 08 أكتوبر 1861 وطاردوه حتى نشبت بينهما موقعة حاسمة قرب ورقلة أواخر سنة 1861، أُسر فيها الشريف محمد بن عبد الله ونُقل إلى مكان يسمى قارة الحاج، ثم سُلم للفرنسيين الذين نقلوه إلى وهران ثم كورسيكا ثم بقي في عناية شبه ميت سنة 1863م⁴. والواضح من خلال مسار مقاومة الشريف محمد بن عبد الله أنها انقسمت إلى عدة مراحل، من 1851-1854 الثورة انطلاقاً من ورقلة ضد الفرنسيين ثم ضد باشاغاوات فرنسا، ومن 1854-1858 اللجوء إلى تونس وبقاءه فيها تحت إقامة جبرية ومراقبة الفرنسيين، ثم من 1858-1861

*. يقول س. تروملي الذي كان نقيباً في فرقة القناصة الجزائريين عن الرواية الأرجح بأن سي حمزة ترك الشريف بن عبد الله يفر، بحكم أن حفيد سيدي الشيخ لا يستطيع إلقاء القبض على مرابط ويسلمه للفرنسيين حتى لا تلتصق به صفة الردة التي كان يتهمة بها محمد بن عبد الله. ينظر: س. تروملي، الفرنسيون في الصحراء...، المصدر السابق، ص 153

¹. Victor Colonieu, **Voyage dans Le Sahara Algérien...**, Op.Cit, p.164

². Ibid, p.169

³. س. تروملي، الفرنسيون في الصحراء...، المصدر السابق، ص 153

⁴. أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج1، المرجع السابق، ص 362

الهروب من تونس والعودة إلى الجزائر وبالضبط إلى توات، حيث أستطاع من خلالها تجميع المئات من المتطوعين من تيديكلت والطوارق والشعانية ثم هاجم مجدداً الفرنسيين والفرق القومية نواحي ورقلة والأغواط.

ولأن رحلة إسماعيل بوضربة¹ تزامنت مع أحداث ثورة الشريف محمد بن عبد الله، فقد أشار إلى أنه سمع عن أخباره وحلوله بأرض توات والتفاف الناس حوله وترحيبهم به، وأن تأثيره وصل حتى إلى منطقة الطوارق إلى درجة أنه كان يُصلح حتى بين القبائل المتنازعة في تلك المناطق، مثل ما حققه من صلح وتوافق بين قبيلتي "كلغلا" و"تايتوق"². وحتى الرحالة الألماني (رولفس) الذي وصل إلى توات سنة 1864 وسمع عن ثورة الشريف بن عبد الله وعلاقته بالمنطقة، نصح الفرنسيين بقوله: "يجب على الفرنسيين نقل حدودهم حتى وادي الساورة، إذ من هناك تتطلق فعلاً الثورات والصعوبات والفوضى التي يواجهها الفرنسيون..."³، وقال أيضاً: "أن توات جزءاً من المناطق النائية للجزائر، وأنه من مصلحة الفرنسيين الاستيلاء عليها دون تأخير"⁴.

وفي تتبعنا لبقية مسار نضال الشريف محمد بن عبد الله وثورته خارج توات، حيث أن انكساره سنة 1861 كان بوشاية عجوز من داخل ورقلة لها علاقة بأولاد سيدي الشيخ، وأن انتصار سي بوبكر عليه بعد استعماله لنفوذه على قصور وقبائل توات والشعانية، وبعد حصوله على قوة كبيرة من الفرنسيين بلغت 300 فارس، فسقط الشريف الثائر في المعركة مصاباً بجراحه واعتُقل وسُلم للفرنسيين، ثم ظهر على مسرح الأحداث مجدداً ما بين 1864-1871 في تونس، التي سُجن فيها وتوفي بها

¹ . إسماعيل بوضربة: رحلة جزائري وُلد في مرسيليا سنة 1823 من أم فرنسية، كانت عائلته من دعاة الإدماج، شارك في حملات التوسع الفرنسي ونال عضوية عدة جمعيات ومنظمات فرنسية، حتى كلفه الحاكم العام راندون سنة 1858 برحلة استكشافية نحو غات وخدامس، توفي في الجزائر العاصمة سنة 1875. ينظر: محمد مبارك كديده، "رحلة إسماعيل بوضربة إلى غات 1858"، المجلة التاريخية الجزائرية، مج6، ع1، 2022/05/09، ص ص 834،833

² . محمد مبارك كديده، "رحلة إسماعيل بوضربة..."، المرجع السابق، ص ص 832-847

³ . أحمد العماري، توات في مشروع التوسع...، المرجع السابق، ص 66

⁴ . A.Bernard, N. Lacroix, "La Pénétration Saharienne...", Op.Cit, pp.38,39

سنة 1895 بعد نضال وحراك طويل ومرهق¹؛ تنتقل فيه من تلمسان إلى البقاع المقدسة ثم سلطاناً على ورقلة وثائراً على الفرنسيين بين ورقلة وتوقرت والأغواط والعمور وسوف وميزاب وملتيلي وتوات والأهقار.

3. ثورة محمد بن التومي المدعو بوشوشة:

1.3. من هو الثائر بوشوشة؟

هو محمد بن تومي بن إبراهيم* من مواليد منطقة الغيشة بجبال عمور، وسُمي بوشوشة لغزارة شعره ووفرتة، أما عن تاريخ ميلاده فهناك تضارب في المعلومات وعدم دقتها، حيث ورد في العدد 39 من المجلة الافريقية لسنة 1895 ص 134 أن عمر بوشوشة سنة 1870 كان 23 سنة، أي: أنه من مواليد سنة 1847م². في حين أورد الدكتور يحيى بوعزيز أن بوشوشة وُلد في 1826 أو 1827م³، وهناك من ذكر أن مولده في سنة 1839، والغالب أن عمره لما أُلقي عليه القبض سنة 1862 كان 35 سنة، أي: أنه من مواليد سنة 1827؛ حفظ القرآن الكريم ومارس الرعي صغيراً قريباً من مسقط رأسه ضواحي مدينة أفلو، وأتقن عدة لهجات كالتارقية والميزابية وواصل تعليمه في عدة زوايا بمنطقة الزيبان وجبل عمور، اعتُقل بحجة إثارة الفوضى في مسقط رأسه ثم بناحية الأبيض سيدي الشيخ سنة 1862 ثم سُجن في سعيذة ومعسكر وسيدي بلعباس⁴.

وكان بعض الضباط الفرنسيين قد ألصقوا بالثائر بوشوشة صفة اللصوصية وقطع الطريق والتي

¹ . عبد القادر مرجاني، السياسة الفرنسية...، المرجع السابق، ص 197
* . في حين ورد تعريفه في إحدى الوثائق الفرنسية الأرشيفية أنه الشريف سي محمد بن إبراهيم، أصله من جبال العمور من أولاد السيد الناصر. ينظر: قضية برج بوعريريج، نشرة وثائق وبيانات متنوعة: N°2. A15-A41، وثائق محضر استجواب لقاضي التحقيق بسطيف 23 مارس 1872، 1-3 MIOM 119، Cote: GGA 2T، (الملحق 66 ص 438). وعن صورة بوشوشة ينظر الملحق 12 ص 408.

² . محمد بن معمر والنوي مزيد، "الشريف بوشوشة زعيم ثورة 1871م في صحراء الجزائر الشرقية"، مجلة عصور، المجلد 01، العدد 01، 2002/06/30، ص ص 105-120

³ . عواريب لخضر، "بعض الحقائق عن مقاومة الشريف بوشوشة من خلال بعض المصادر المحلية ومنها الشهادة التي أملاها بوشوشة على سجانه"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع17، ديسمبر 2014، ص ص 295-304

⁴ . عيسى بوقرين، "أضواء على مقاومة الشريف بوشوشة 1863-1875"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، مج1، ع2، 2019/07/01، ص ص 111-126

اصطلح عليها آنذاك بعبارة "المدققات"، وفي الحقيقة هذه الكلمة ارتبطت بأحد الطوارق يُدعى "مدقن" طُرد سنة 1860 حينما حط رحاله بالقرب من شعانة ورقلة، وكان له 07 أبناء فروا إلى أودية تادمايت ومكثوا هناك يغزون ويغيرون على الناس والقوافل¹، حتى أصبحت الناس تُلقب وصف اللصوصية مرادفة لعمل المدققات؛ ولو كان بوشوشة حقاً يمارس قطع الطريق لما كان تلقى رسائل الدعم من طرف بن ناصر بن شهرة والأمير محي الدين بن الأمير عبد القادر ومعظم الشعانة في الصحراء الجزائرية². بل حتى أن السلطات الفرنسية لما حاكمته وسجنته اتهمته بالتمرد وعاقبته بعقوبات أكثر من أن يكون مجرد لص.

كانت مقاومة بوشوشة قوية ومثيرة للاهتمام حتى أنه أثنى في أعدائه الخسائر والنكبات، وكان يستهدف بحركته كل القبائل والمناطق والشخصيات المتعاملة مع الفرنسيين، وقد لا يسعنا المقام للخوض في حيثيات كل مقاومته ومعاركها وأحداثها، لكن يمكننا استنتاج مراحلها من خلال الدراسات التي اطلعنا عليها، كما يلي: مرحلة الإعداد والتحضير (1863-1869) اتخذ خلالها من قصور توات قاعدة خلفية له، ومرحلة القوة والتحريك ضد الفرنسيين والمتعاملين معهم (1870-1872) وفيها حقق انتصارات ونتائج باهرة في المنيعه ومثليي وبريان وورقلة وتوقرت ووادي سوف، كما تحالف خلالها مع بن ناصر بن شهرة والشريف محمد بن عبد الله وسي الزبير، وضمن دعم أو حياد أغلب الزوايا والطرق الصوفية³، ومرحلة الضعف والتراجع (1873-1875) والتي ركزت فيها فرنسا على قواتها الرسمية ودعمت بها أعوانها المحليين، ليتم أسر بوشوشة بعد عدة معارك شرسة في 31 مارس 1874 وحكم عليه بالإعدام ونُفذ فيه في معسكر الزيتون قرب قسنطينة في 29 جوان 1875م⁴.

1. عيسى بوقربين، "أضواء على مقاومة الشريف بوشوشة..."، المرجع السابق، ص 112
 2. الشيخ لكحل، مقاومة منطقة مثليي الشعانة للاستعمار الفرنسي في الفترة ما بين 1851-1908، دار صبحي للطباعة والنشر، ط1، غرداية الجزائر 2019، ص 180
 3. عواريب لخضر، "بعض الحقائق عن مقاومة الشريف بوشوشة..."، المرجع السابق، ص 299، 300
 4. يحيى بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج1، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر 1996، ص 226

2.3. مساهمة توات في ثورته:

بعد خروجه من السجن سنة 1863 اتجه بوشوشة إلى فيقيق ثم إلى توات التي شرع في جمع الأنصار بها، فقد حل برقان التي وجد فيها دعماً كبيراً من سكانها، لينضم إليه بعد ذلك عدد كبير من الطوارق، ثم انتقل إلى عين صالح حيث استقر هناك وقد دعمته قبيلة أولاد لشهب وأولاد باحمو وبوخشبة ومعطالله بن بوظفر من الشعانية القادمين إليه من ورقلة والمنيعية¹. وبقي يتردد على عين صالح حوالي 6 سنوات إعداداً للمقاومة، بايعه خلالها الناس وخاصة سكان عين صالح والشعانية* وجعلوه شريفاً² في سنة 1869، والتف حوله الكثير من الغاضبين والساخطين على فرنسا وأعوانها، هؤلاء الذين وصفتهم فرنسا بأنهم كانوا مجرد لصوص وقطاع طرق أو ما سُمي حينها "المدققات"، انطلق بفضلهم من معقله في عين صالح بأول هجوم على قبيلة سعيد عتبة والمتعاونين مع فرنسا في ورقلة والمنيعية ومثلي³.

وقد ورد في نشرية خاصة بملف ثورة المقراني حول وثائق عن محضر استجواب بسطيف بتاريخ 23 مارس 1872، أن بوشوشة: "أتى إلى الغرب في اتوات ونزل في بلاد بودة ومن بلاد بودة نزل في بلاد رقان ومن بلاد رقان نزل في بلاد أولف ومن بلاد أولف نزل في بلاد تيط ومن بلاد أولف نزل في بلاد إنغر ومن بلاد إنغر نزل في بلاد عين صالح، ولما نزل في بلاد انصالح ذهب إلى بلاد

1. سعودي أحمد، سلطان الصحراء الشريف بوشوشة الغشاوي ومقاومته للفرنسيين 1862-1875، ط1، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعريش الجزائر 2020، ص 88
* والشعانية المعنيين هنا هم الشعانية المواضي، وكما هو معلوم فالشعانية خمس مجموعات: شعانية بوروبة في جهة ورقلة، شعانية برزقة في مثلي، شعانية المواضي في المنيعية، شعانية الوادي في واد سوف، وشعانية آخرون منتشرون بين تيماسنين في الهقار وقورارة. ينظر: محمد بن معمر وآخرون، دور الطرق الصوفية في المقاومة الشعبية خلال القرن 19م، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر (ب ت)، ص 50

2. جرت العادة باستدعاء العمق والتأثير للنسب الشريف لإضفاء الشرعية على الكيانات والشخصيات الحاكمة والتأثرة في المغرب الأوسط، نظراً لحظوة هذه الفئة واحترام الجزائريين لها، ومنهم مثلاً: الأمير عبد القادر، والشريف بوبغلة، والشريف محمد بن عبد الله... وغيرهم. ينظر: سعودي أحمد، سلطان الصحراء...، المرجع السابق، ص 94

3. Louis Rinn, *Histoire de l'Insurrection de 1871 en Algérie*, Librairie A. Jourdan, Alger 1891, pp.79,80

التوارق، ورجع إلى البلاد المذكورة سمعوا به أهل القليعة وأتوا له الكبير متاعها علي بن الأشهب وقبيلته ومعه شيء من قبيلة أولاد افرج وأولاد عيش..."، ثم يُذكر في محتوى الوثيقة بقية نشاط بوشوشة في منطقة عين صالح والتفاف الناس حوله حيث ورد أنه: "وسمعوا به أيضاً ناس من أهل ورقلة الشعانبة بخشبة وإخوانه..."، وفي سياق هذه الوثيقة وردت كثيراً من تفاصيل وأحداث ثورة بوشوشة، وأنه وصل إلى واد سوف وورقلة وتوقرت وبسكرة وباتنة وقسنطينة وبوسعادة والجلفة والأغواط وتيارت والبيض ومعسكر¹.

ومنه فإنه من الواضح عن تلك الحركة الثورية لبوشوشة أواخر ستينات القرن 19م، أنه تعاون فيها مع قيادات ومناطق أخرى مثل بن شهرة وفلول المقراني، والشريف بن عبد الله ومحيي الدين بن الأمير عبد القادر، وأثاروا كل سكان الواحات انطلاقاً من عين صالح²، وأنه كلما قام بهجوماته الواسعة على مراكز وقوافل وأعوان العدو الفرنسي، كان يعود إلى معقله بعين صالح حتى أنه بقي فيها مدة 10 أشهر من ماي 1870 إلى مارس 1871، قضاها في جمع الأنصار والتواصل مع الشعانبة وتحريضهم ضد الفرنسيين وأعوانهم، وكان في نفس الوقت يتحجج الفرصة للعودة للمقاومة³؛ وأن امتداد ثورته كان شرقاً وغرباً وجنوباً، وهذا ما تدل عليه تلك الوثيقة التي كانت بمثابة محضر جلسة في ملف حركة المقراني، والتي لم نتأكد من كان وراء هذه المعلومات والاعترافات، لكن الأكيد أنها بحكم ورود سنة 1872 أن بوشوشة آنذاك لم يُقبض عليه بعد.

فبوشوشة كان في فيفري 1871 موجوداً بعين صالح وهناك راسله بن ناصر بن شهرة وانضم إليه في فيفري 1871، كما التقى بسي الزبير في أوت 1871 بمتليلي وتحالف معه حفاظاً على

¹ قضية برج بوعريريج، نشرة وثائق وبيانات متنوعة: N°2. A15-A41، وثائق محضر استجواب لقاضي التحقيق بسطيف 23 مارس 1872، Cote: GGA 2T, 119 MIOM 1-3. ينظر الملحق رقم 47 ص 433

² يحيى بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999، ص 312

³ محمد بن معمر والنوي مزيد، الشريف بوشوشة زعيم ثورة 1871م...، المرجع السابق، ص 109

قاعدته الخلفية في تيديكلت وقورارة، ولتمتين تلك العلاقة تزوج فاطمة بنت جلول إحدى قريبات سي الزبير، خاصة أن أولاد سيدي الشيخ كانوا معروفين بعلاقاتهم الروحية والتجارية والقبلية في تيديكلت وقورارة، ولعل ذلك ما جعل بوشوشة لا يتردد في قبول التحالف مع سي الزبير والزواج من قريبته رغم أن الفرنسيين يقولون أنها لم تكن تحبه نظراً لنسبها ومكانتها، كونها ابنت عم الخليفة سي حمزة¹، لكن بوشوشة كان يحبها ويحتاج إلى تأثيرها في توات، خاصة أنها من أولاد سيدي الشيخ وأن أهلها (أمها وأختيها وأخويها) كانوا موجودين في قورارة². ولأن بوشوشة كان في 1871 يجند الناس من قلب توات لمهاجمة منطقة ميزاب وورقلة وتوقرت، حتى حينما وصل الرحالة (بول سولايي) إلى توات وجد أصدقاء العداوة والتجبيش ضد الفرنسيين في أوجها، مما اضطر هذا الأخير ومرافقيه للهروب من المنطقة على عجل³.

ثم ولما صار مطارداً مطلع سنة 1872 وكاد يُغتال، بقي وحيداً منكسراً وتائهاً في الصحراء مع امرأتين و 4 من الإبل، ليعسكر في طريقه بعيداً عن المخادمة وأولاد مقران ومجموعة من أولاد سيدي الشيخ، خوفاً من أي خيانة أو اغتيال أو تسليمه للعدو، فلما تفرقوا بعيداً عنه وتشتتت زمالته، انسحب إلى عين صالح عند قبيلة الخنافسة⁴ وحاول كسب المزيد من الأنصار وإعادة تنظيم صفوفه، وواصل نشاطه وتحركه حتى إلى زاوية كرزاز ثم مناطق أولاد سيدي الشيخ مع بداية سنة 1873 وقام بغارات نواحي ورقلة، ثم عاد أدراجه في أبريل 1873 إلى قورارة حيث أولاد علي بن لشهب الذين بقوا أوفياءً له، وظل يتردد هناك بين قورارة والمنيعية وعين صالح حتى استطاع أن يجمع حوله عدداً من قبائل عين صالح والطوارق وأولاد علي بن لشهب وبعضاً من أولاد سيدي الشيخ⁵؛ ومن قورارة أغار على

¹ . Louis Rinn, **Histoire de l'Insurrection de 1871...**, Op.Cit, pp.616,617

² . سعودي أحمد، **سلطان الصحراء الشريف بوشوشة...**، المرجع السابق، ص 135

³ . Mario Vivarez, au sujet du Touât, Éditeur: Michel Ruff, Alger 1896, p.24

⁴ . **الخنافسة:** قبيلة عربية تنتشر حالياً في تيديكلت وقورارة، ومن قصورها في قورارة قصر الحاج وتالة وتيبرغمين في أوقروت والقصة والحاج قلمان في تيميمون. سبق التعريف بها في الفصل الأول.

⁵ . عيسى بوقرين، "أضواء على مقاومة الشريف بوشوشة..."، المرجع السابق، ص 121

قرية بركان دون جدوى، ثم انتقل إلى بودة في توات حيث أعاد بناء وتنظيم قواته من جديد¹. وفي نفس السنة 1873 حتى وهو في وضع ضعيف ومتراجع، قام بوشوشة بالكثير من الغارات شمال الصحراء كراً ثم كان يعود إلى معاقله في توات استراحةً وقرأً، حتى تعرض بعض حلفاءه القادمين من قورارة إلى مقتلة عظيمة من طرف سعيد بن إدريس أخ آغا ورقلة قرب حاسي الناقة في سبتمبر 1873، ووصلته خلالها معلومات عن اختطاف زوجته وأنها سُلمت إلى أعداءه التيجانيين بتماسين، فعاد على إثرها بوشوشة إلى عين صالح واستطاع أن يجمع حوالي 150 رجلاً مطلع سنة 1874 وانتقم بهم من أعدائه، وتواصلت مناوراته وتحركاته الخاطفة حتى التقى مع أخ آغا ورقلة مرة أخرى في معركة الميلوك جنوب غرب عين صالح في مارس 1874، والتي جرح فيها واعتُقل على إثرها².

وفي الأخير ما يمكن استنتاجه من علاقة بوشوشة بمنطقة توات وخاصةً جهة عين صالح فيها، أنه كان يتردد عليها معظم فترات مقاومته وتحركاته، من 1863 وحتى سقوطه جريحاً وأسره في سنة 1874، وأنه تلقى الدعم المطلق من أهل منطقة تيديكلت وقورارة وفي هذا الإطار نذكر الذين ناصروه وآووه مثل الشعانبة والخنافسة وأولاد علي بن لشهب وبعض أولاد سيدي الشيخ والطوارق، وكلهم كانوا إما من سكان المنطقة أو النافذين فيها والمتعاملين معها. كما أن منطقة توات وخاصةً حدودها الشرقية والشمالية كانت عرضةً لأحداث مقاومة بوشوشة، فقد ذكرنا أن زمالته تعرضت لاعتداء أخ آغا ورقلة وقُتل فيها بعض أنصاره من قورارة، كما وقعت معركته الأخيرة جنوب غرب عين صالح، بل حتى أن الجنرال الفرنسي (دو لأكروا) قبل تلك المعركة كان قد حاصر عين صالح عبر قوة من 700 جندي في المنيعه، وهددها آنذاك الجنرال (قاليفث) لأول مرة طالباً أهلها تسليم بوشوشة والثوار الذين معه³.

¹ . محمد بن معمر وآخرون، دور الطرق الصوفية في المقاومة الشعبية...، المرجع السابق، ص 60

² . عيسى بوقرين، "أضواء على مقاومة الشريف بوشوشة..."، المرجع السابق، ص 122

³ . A.Bernard, N. Lacroix, "La Pénétration Saharienne...", Op.Cit, p.61

وكان ردهم كما رأينا سابقاً إرسال عريضة احتجاج.

وما يمكن استنتاجه أيضاً أن بوشوشة حينما اتخذ من عين صالح معقلاً لثورته وحركته، كان على أساس بُعدها عن العدو الفرنسي وتأثير العيون والجواسيس، وعدم خضوع أهل توات للفرنسيين أو غيرهم مما يجعله في مأمن من أي رد فعل فرنسي أو من أتباعها، كما أنه تلقى الدعم والاحتضان من أهل المنطقة، بل ووجد في توات البيئة المناسبة لمعاداة فرنسا، خاصة أن الطريقة السنوسية كانت نشيطة في تيديكلت وكانت عائلة باجودة حاضنة لها كما رأينا في المباحث السابقة، بل حتى أن هناك من يؤكد انتماء بوشوشة للسنوسية كان عن طريق مقدمها في الصحراء الحاج أحمد التواتي، هذا الأخير هو من جند بوشوشة وحرّضه ضد الفرنسيين¹.

كما أن بوشوشة حتى بعد اعتقاله وإعدامه خلف من بعده خلايا مقاومة وتمرد ضد الفرنسيين من الفلول الذين لجأوا إلى قورارة بقصورها الكبرى تيميمون وشروين وطلمين وأوقروت ودلدول، هذه الأخيرة التي التحق فيها بعضهم بالشيخ بوعمامة وانضموا إليه (1883-1894)²، فالتأثر بوشوشة الذي كان يجوب المناطق التواتية ووصل حتى إلى تيمي وتلقى الدعم والإعانات فيها، تفرق من بعده أتباعه كلاجئين منذ سنة 1876 على الواحات في تيديكلت وقورارة، وكانوا يتعرضون للقوافل والبعثات التي كانت تمر عبر الأهقار وتوات وتادمايت³.

4. انتفاضات أولاد سيدي الشيخ:

1.4. التعريف بمقاومة أولاد سيدي الشيخ:

ترتبط هذه القبيلة بأحد أجدادها المعروف بسيدي الشيخ الذي وُلد سنة 1533م، وهو عبد القادر

¹ . عبد القادر المليلق، "مقاومة شريف بوشوشة من خلال الكتابات الفرنسية"، *دورية كان التاريخية*، السنة 13، العدد 43، مارس 2019، ص ص 54-62

² . أحمد عبد العزيز، *صحراؤنا في مواجهة الاستعمار*، دار رحاب للنشر والفنون المطبعية، الجزائر (ب.ت)، ص 47

³ . المهدي البوعبدلي، *تاريخ المدن*، جمع وإعداد: عبد الرحمن دويب، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 2013، ص 388

بن محمد بن سليمان بن بوسماحة، يصل نسبه إلى الخليفة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ويعتبر سيدي الشيخ المؤسس الأول للطريقة الشيعية، وكان معروفاً بالترحال والسفر في الجزائر والمغرب، حتى أنه زار أهم الحواضر المعروفة مثل فاس وتلمسان ووهران وبني عامر وعين ماضي وقورارة وتوات وتافيلالت، بعد وفاته انتقلت الخلافة والمشيخة في أبناءه وأحفاده إلى أن وصلت إلى سي أبو حفص الحاج الذي توفي في مصر، بعده حدث الخلاف والانقسام في القبيلة لتظهر: زاوية في أولاد سيدي الشيخ الغرابية الذين كانوا يقيمون في القصر الغربي لضريح سيدي الشيخ، وزاوية في أولاد سيدي الشيخ الشراقة شرق الضريح¹.

وكان سيدي الشيخ الذي حارب الإسبان في وهران قد توفي سنة 1616م، ودُفن في المنطقة التي تتسمى باسمه الأبيض سيدي الشيخ، وخلف من الأولاد 18 عاش منهم 11 حيث تفرعت منهم القبيلة، حتى أن أحدهم والذي يُدعى الحاج إبراهيم دفين منطقة أوقروت في قورارة². وكانت لأولاد سيدي الشيخ حظوة ومكانة كبيرة في كل الجنوب الجزائري والمغربي على حدٍ سواء، حتى أن الكاتب الفرنسي (لويس رين) يذكر أنهم كانوا أسياد المنطقة حتى سنة 1830م، وكان يمتد نفوذهم من ورقلة شرقاً إلى فيقيق غرباً، ومن مدينة سعيدة شمالاً إلى جنوب توات وشمال الهقار جنوباً³، بل يقول المؤرخ أبو القاسم سعد الله أن نفوذهم الدنيوي والروحي اتسع إلى أواخر القرن 19م، وأن نسبهم الروحي ارتبط بالقادرية والشاذلية، وأنهم كانوا مزيجاً بين أهل الدين والدنيا فكسبوا الأملاك والزوايا والزيارات والأتباع والإخوان والعبيد، إلى أن قسمتهم معاهدات المغرب وفرنسا ما بعد سنة 1844 بين الشراقة تحت سلطة الفرنسيين والغرابية تحت سلطة المخزن⁴.

1. عبد القادر خليفي، الطريقة الشيعية...، المرجع السابق، ص ص 25-31

2. محمد بن الطيب البوشيخي، أولاد سيدي الشيخ الشراقة والغرابية، الطبعة الثالثة، مطبعة أطلال، وجدة 2013، ص ص 40، 68، 70

3. عبد القادر خليفي، الطريقة الشيعية...، المرجع السابق، ص 67

4. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 1، دار البصائر، الجزائر 2007، ص ص 179-181

وعن ثورة أولاد سيدي الشيخ التي اندلعت سنة 1864 وامتدت لتشمل سائر مناطق الصحراء، فقد كانت ملحمة ثورية كبيرة حتى أن المارشال (مكماهون) هدد بأن تجند لها فرنسا 800 ألف جندي¹، وخاصةً أنها عرفت سلسلة من القادة كان من أهمهم: سليمان بن حمزة وأخويه أحمد ومحمد وسي الأعلى²، ويذكر معهم أبو القاسم سعد الله سي بويكر وسي قدور بن حمزة الذي واصل مع سي الأعلى الثورة من 1869-1892م³*. هذه الثورة قال عنها صاحب (طلوع سعد السعود) أنه خرج في بادئ أمرها سليمان بن حمزة عن طاعة الفرنسيين، قائداً عن أولاد سيدي الشيخ والأحرار وحميان⁴ وفليتة، امتدت شمالاً إلى ناحية راس الماء بسيدي بلعباس وإلى جهة الونشريس والشلف حيث قبيلة فليتة، وإلى غاية البنود بالأبيض سيدي الشيخ جنوباً، ووقعت فيها مقتلة عظيمة من جهة قيادات أولاد سيدي الشيخ والفرنسيين على حدٍ سواء⁵.

وقد لا يعنينا أمر التوسع والتعمق في أسباب وأحداث انتفاضة أولاد سيدي الشيخ، لكن يمكن تلخيص مدى قوتها أنها امتدت ووصلت حتى إلى مناطق خارج نطاق الجنوب الوهراني، مثل قصر

1 . محمود الواعي، "أولاد سيدي الشيخ والقبائل المؤيدة لها"، *مجلة الجيش*، ع404، مارس 1997، ص 6
 2 . علي محمد الصلابي، *كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي*، الصحوة للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة 2015، ص ص 631، 632
 3 . أبو القاسم سعد الله، *الحركة الوطنية*، ج1، المرجع السابق، ص 207
 * الشخصيات القيادية في قبيلة أولاد سيدي الشيخ الشراقة كانت كالتالي: سي حمزة ولد أبي بكر تولى الخلافة سنة 1850 حتى قتل مسموماً سنة 1861، وسي النعيمي ولد أبي بكر كان آغا على ورقلة سنة 1850 ثم حليفاً لمحمد بن عبد الله ثم مع سي حمزة حتى اغتيل سنة 1856، وسي الأعلى ولد أبي بكر كان آغا على ورقلة ثم استمر في المقاومة من 1864 إلى 1895 وبعدها بعام واحد توفي، وسي الزبير كان مع سي حمزة ضد محمد بن عبد الله وصار آغا على ورقلة في 1853، وأبوبكر بن حمزة كان باشاغا خلفاً لأبيه حتى توفي مسموماً سنة 1863، وكان أهم من حارب محمد بن عبد الله وألقى عليه القبض سنة 1862، وسليمان بن حمزة خلف أخيه أبوبكر وهو من أعلن الجهاد سنة 1864 واستشهد في نفس السنة، وسي محمد بن حمزة خلف أخيه سليمان حتى استشهد سنة 1865، وسي أحمد بن حمزة خلف أخيه محمد وواصل الثورة مع عمه سي الأعلى إلى أن توفي سنة 1868، وسي قدور بن حمزة خلف أخيه أحمد وواصل الثورة إلى غاية سنة 1884 وتوفي سنة 1897، وسي الدين بن حمزة الذي تفاوض مع الفرنسيين بين 1872-1883 ووقع معهم على الصلح في 1883 ثم صار آغا على البيض، وأما سي بحوص فقد كان صغير السن أثناء الثورة. ينظر: محمود الواعي، ثورة أولاد سيدي الشيخ والقبائل المؤيدة لها...، المرجع السابق، ص ص 13، 14
 4 . *حميان*: قبيلة عربية من بني هلال اشتق إسمها من الحماية، استقروا في المناطق الصحراوية بين المسيلة وتلمسان وحتى حدود المغرب، ومن فروعها شافعة، وطرافي، وأولاد جريو... أنظر: Dr.Wateau, *Documents Pour Servir a l'Histoire des Hamyans et de la Region Qu'ils Occupent Actuellement 1914*, Timimoun 1914, pp.3,8
 5 . الأغا بن عودة المزارى، *طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر*، تح: يحيى بوعزيز، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990، ص ص 259، 260

البخاري والظهرة شمالاً والحصنة شرقاً، وقُتل فيها سي سليمان في 1864 وأخويه محمد وأحمد سنتي 1865 و 1868 على التوالي، ومن جهة الفرنسيين قُتل العقيد (بوبريتر) في مبارزة سي سليمان، كما جندت فرنسا ضد هذه الثورة قيادات كثيرة منهم: الجنرال (اللقيط يوسف) والجنرالات (مارتمبري وليبير ولاباسي) وغيرهم¹. وتواصل الاقتتال والعداوة بين أولاد سيدي الشيخ وفرنسا إلى أن تم عقد الهدنة مع سي قدور بن حمزة سنة 1883، ورغم ذلك فقد ظهر منهم الشيخ بوعمامة وأعلن الحرب والجهاد سنة 1881 ورفض أية هدنة أو تعاون مع الفرنسيين². هذا الأخير تواصلت ثورته وتحركاته بين الجزائر والمغرب حتى وفاته سنة 1908.

وخلال هذه الفترات الطويلة والمتعاقبة من انتفاضة أولاد سيدي الشيخ بل وحتى قبلها، كانت قيادات هذه القبيلة تتردد على منطقة توات وقصورها، وكانت لهم علاقات قوية روحية وتجارية ومصاهرة، لذلك سنجد أن فرنسا حاولت في كثير من الأحيان استغلال ذلك النفوذ للولوج إلى منطقة توات، كما حاولت توظيف علاقاتهم وتأثيرهم كما رأينا سابقاً في إخماد ثورات الشريف محمد بن عبد الله وبوشوشة وبن ناصر بن شهرة، وكان لها ذلك من خلال سي حمزة وهو والد الإخوة سي بوبكر وسي سليمان وسي محمد وسي أحمد وسي قدور وسي الدين، وأخ سي الأعلى وسي الزبير، والذي يعتقد الكثيرون أن وفاته -سي حمزة- الغامضة في إقامته الجبرية بوهران سنة 1861، كانت بفعل فرنسا لأنها شكت في ولاءه خاصة أن بعض المصادر الفرنسية تذكر بأنه لما هزم الشريف محمد بن عبد الله سمح له بالفرار، وهو ما لم يعجب الفرنسيين الذين يُحتمل أنهم عاقبوه بتلك الطريقة، فكانت لها تداعيات غضب ورغبة في الانتقام تجلت بعد فترة من خلال هذه الثورة.

2.4. علاقة منطقة توات بأولاد سيدي الشيخ:

¹ . أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، المرجع السابق، ص ص 187-189
² . عبد القادر خليف، الطريقة الشيخية...، المرجع السابق، ص 69

للحديث عن علاقة أولاد سيدي الشيخ بمنطقة توات أو العكس قد نعود إلى أواخر القرن 8هـ وبالضبط سنة 1426م، حيث كانت وفاة سيدي بوسماحة زعيم البكريين ومؤسس العشيرة السماحية في المغرب الأوسط، وهو أيضاً جد عبد القادر بن محمد بن سليمان بن بوسماحة، هذا الأخير توفي ودُفن في قصر تبو ناحية شروين بمنطقة قورارة حيث لا تزال تقام له هناك وعدة سنوية يأتي إليها أولاد سيدي الشيخ وأتباع الطريقة الشيخية¹، كما نجد أن عبد القادر بن محمد المكنى بسيدي الشيخ كانت له زوجة من منطقة قورارة، وهي: خديجة بنت القاضي محمد عبد الله بن عبد الكريم بن عبد الحكم من أولاد المسعود (الذين يُسمّون اليوم بالجوزي)، وهي المعروفة في الأبيض سيدي الشيخ بلالة كيجة، ومن أولاده منها سيد الحاج إبراهيم دفين أوقروت بمنطقة قورارة، وتزوج قاضي قورارة هو أيضاً إحدى بنات الشيخ عبد القادر بن محمد السماحي². ناهيك على أن منطقة قورارة توجد بها قبيلة الخنافسة العربية التي لها علاقة وطيدة مع أولاد سيدي الشيخ.

كما كانت بين مناطق توات وأولاد سيدي الشيخ علاقات تجارية وروحية، تجسدت في الارتباط بالطريقة الشيخية من جهة والتبادل التجاري بين القوافل الصحراوية من كلا الطرفين من جهة أخرى، خاصة أن مناطق تواجد فروع قبيلة أولاد سيدي الشيخ كانت كهمة وصل بين توات والتل الجزائري، وأن هذه القبيلة كانت تمارس تجارة المقايضة بالسلع والبضائع التي تنتجها والتي تجلبها من الشمال ومنتجات توات المحلية. أما بخصوص المقاومة وطيلة فترة السبعينات من القرن 19م وما بعدها، فقد لعبت قصور توات دوراً مهماً في مقاومة أولاد سيدي الشيخ، لكونها كانت مركزاً لارتكاز المقاومة

1. محمد بن الطيب البوشيخي، أولاد سيدي الشيخ...، المرجع السابق، ص 236

2. عبد الرحمن الجوزي، إمام وقائم على خزانة آل الجوزي للمخطوطات، الوثائق الرسمية والأرسام والرسائل والفتاوى والأحكام القضائية في خزانة آل الجوزي العامة، أولاد سعيد في: 2024/06/07، مقابلة شخصية. وقد أورد في سياق حديثه عن علاقة أولاد سيد الشيخ بأولاد القاضي أن الفقيه ابن أبي محلي السجلماسي في المنجنيق أثناء تحديثه عن قاضي قورارة وشيخه السماحي والمصاهرة المتبادلة بين الطرفين ما نصه (وهو صهر شيخه، بل كل واحد منهما تحته بنت الآخر)، وأضاف أن صاحب كتاب "تذكرة الخلان في مناقب العلامة سيدي سليمان" بخصوص قاضي قورارة أثناء تحديثه عن تلامذة الشيخ عبد القادر بن محمد السماحي (وممن أخذ عنه وانتفع به القاضي الأجل الفقيه الأديب السيد محمد عبد الله الجوزي دفين قرية أولاد سعيد، توفي سنة 1035هـ/1625م، وهو صهره وجد ولديه لأُمهما "السيد الحاج عبد الحكم، والسيد محمد عبد الله" وتولى الصلاة عليه بوصية منه).

والثوار من تلك القبيلة، لذلك عازمت فرنسا بكل حزم على السعي لاحتلال منطقة توات وبسط نفوذها على كل جهات الجنوب الغربي للجزائر¹.

بل حتى أن لجوء محمد بن عبد الله إلى توات في أوج ثورته ما بين 1855-1857، كان بمساعدة سي حمزة زعيم فصيلة أولاد سيدي الشيخ الشراقة، والتي لم تستطع فرنسا القضاء عليها إلا باستمالة سي حمزة وسي النعيمي وسي الدين²، ثم رأينا كيف أن فرنسا لما شكت في سي حمزة وضعته في الإقامة الجبرية حتى توفي أو قُتل، كما ذكرنا أيضاً أن بوشوشة اضطر للتحالف مع سي الزبير نظراً لمكانته في قورارة وضواحيها، وتزوج على إثرها من فاطمة بنت جلول بنت عم الخليفة سي حمزة، وكيف أن فرنسا مجدداً استعانت بأولاد سيدي الشيخ مثل سي بوبكر للقضاء على ثورة بوشوشة، ويغض النظر عن الدور الذي لعبته تلك القبيلة تارةً مع فرنسا وتارةً أخرى ضدها، إلا أن علاقاتها ونفوذها في توات كان لا يُستهان به. وحتى قبيل اندلاع الانتفاضة نجد رسالة من سي الأعلى سنة 1862 موجهة إلى قاضي أولاد سعيد بقورارة الشهيد محمد عبد الكريم الجوزي يستفتيه فيها في مسألة فقهية حول امرأة حراثانية استجارت به من ظلم أحد أبناء عمومته³؛ مما يعني أن حاضرة قورارة كانت روحياً وعلمياً بالنسبة لأولاد سيدي الشيخ مهمة جداً واللجوء إليها كان له قداسته بينهم.

أما من ناحية دورهم في المقاومة ورغم تسلسل قيادات ثورة أولاد سيدي الشيخ واستشهاد الكثير منهم ما بين 1864-1868، إلا أن شعلة الثورة استمرت متقدة منذ سنة 1870 بفضل سي قدور بن حمزة في القسم الممتد من زوزفانة ووادي الناموس، وهي المناطق التي كان يتواصل عبرها مع أهل توات الذين كانوا يزودونه بمختلف المساعدات*، ثم حتى لما ضاق الخناق بسي قدور تراجع تكتيكياً

¹ . إبراهيم مياشي، توسع الاستعمار...، المرجع السابق، ص 34

² . أحمد العماري، توات في مشروع...، المرجع السابق، ص 67

³ . سي العلا بن أبي بكر النعيمي، نازلة المرأة الحراثانية (رسالة إلى قاضي أولاد سعيد)، خزانة آل الجوزي للمخطوطات، قصر أولاد سعيد، تيميمون الجزائر. ينظر الملحق رقم 46 ص 433

*. ينظر للملحق 49 ص 434

سنة 1872 إلى المنيعية وقورارة عند حلفاءه في قبيلة الخنافسة، وأخذ ينظم صفوفه بالتواصل مع هذه القبيلة التي كانت في طليعة المشاركين في ثورة أولاد سيدي الشيخ من بدايتها إلى نهايتها¹، مما جعل الفرنسيين يستهدفون المنيعية سنة 1873 ويقيمون فيها الأبراج لمراقبة تحركات المنطقة، كما وجهوا حملة (فلاترز) في اتجاه عين صالح سنتي 1879 و1881، والتي أُبديت عن آخرها بكمين قيل أنه دُبر بين الطوارق وأولاد سيدي الشيخ والحاج عبد القادر باجودة ممثلاً عن توات².

وفي سياق الحديث عن تحركات أولاد سيدي الشيخ في جهات توات قاطبة، تجدر الإشارة إلى أن سي قدور بن حمزة بدأ ترده على جهة قورارة منذ معركة عين ماضي سنة 1869، حتى أنه أسس فيها حصن عسكري وهو ما تتسمى باسمه حالياً بلدية "قصر قدور"، وحذا حذوه الكثير من أولاد سيدي الشيخ حتى تملكوا بالمنطقة العقارات والضياح، ولا تزال تينركوك وقصر الحاج قلمان وجهة أوقروت مستقراً لأحفادهم إلى يوم الناس هذا، ونقلًا عن رواية شفوية أوردها صاحب زاوية سموطة الشيخ امحمدي عن المقدم الشيخ سيدي محمد الميلود بن موسى موساوي (1911-2008): أن الولي الصالح سيدي عبد الحي بن موسى من البكريين في قصر أمراد بقورارة، كان دائماً ما يشارك هو وابنه عبد الجبار في معارك أولاد سيدي الشيخ أبناء عمومته، وكانا يكتمان ذلك عن الأهل حتى عاد ذات مرة سي عبد الجبار مثخناً بالجراح، فلما سأله الناس قال لهم "كنت أقاتل مع الجن"، وكان ذلك منذ سنة 1872 تحت قيادة سي قدور بن حمزة³.

وعلاوة على تردد سي الزبير وسي قدور بن حمزة على قصور توات واستفادتهما في إطار نشاطهما الثوري من المنطقة، فإننا وجدنا أن سي سليمان بن قدور من فرع أولاد سيدي الشيخ الغرابية

¹ . المهدي البوعبدلي، تاريخ المدن، المرجع السابق، ص 388

² . مولاي التهامي غيتاوي، لفت الأنظار...، المرجع السابق، ص ص 75، 76

³ . محمد بن محمد السالم امحمدي، دور رجال زوايا قورارة في المقاومة والنضال ضد الاحتلال الفرنسي، الملتقى الرابع للثورة التحريرية بقورارة، طبع زاوية الشيخ سيدي احمد بن عبد الله البوكري بسموطة، تميمون الجزائر 2021، ص ص 48-52

ورغم الخلاف مع أبناء عمومته، إلا أنه وجد في منطقة توات متانة تلك الجذور والعلاقة دون أية حسابات أو اصطفااف ضدهم، حيث وصل هذا الأخير إلى بودة لاجئاً وأرسل ابنه إلى تيمي، ونصب هو معسكره في قصر الدغامشة بين دلدول وأولاد راشد، وجمع عن الناس في المنطقة الهبات والمساعدات ثم عاد في كره وفره إلى الجنوب المغربي¹.

وفي سياق كلمة الحق تاريخياً فإن سي قدور بن حمزة لم يكن استسلامه المزعوم سوى منعطفاً في مساره وبشهادة الفرنسيين أنفسهم، حيث بقي في قورارة على ذلك الأساس لمراقبة مصالح قبيلة أولاد سيدي الشيخ الشراقة، وقد كان قائداً عسكرياً حقيقياً وأخطر خصم في نظر الفرنسيين، وكان مع عمه سي حمزة رافضاً العيش في البيض جيريغيل تحت رعاية الفرنسيين، مفضلاً البقاء ولو وحيداً في جهة توات، وفي نفس الوقت لم يعد عدواً لفرنسا².

وبالتالي نستنتج أنه خلال هذه الانتفاضة التي قادها أولاد سيدي الشيخ، بأن سي الزبير كان إلى جانب بوشوشة في جهة عين صالح، وأن سي قدور بن حمزة كان متحالفاً مع الخنافسة في جهة تينركوك وأوقروت، وأن سي سليمان بن قدور وصل حتى إلى بودة وتيمي والساهلة الدغامشة، ثم جاء الشيخ بوعمامة في إطار ثورته العنيفة لاجئاً بقصور دلدول ما بين 1883-1894. ناهيك على أن ترددهم أحياناً لم يكن ثورياً فقط بل كذلك لظروف اقتصادية كانت توات المنفذ فيها من حين لآخر، حيث زار أولاد سي الأعلى المحارزة طلباً للتمور، وقدم سي قدور بن حمزة إلى قورارة كذا مرة لأجل التمر أيضاً³®.

¹ . المهدي البوعبدلي، تاريخ المدن، المرجع السابق، ص 389

² . Colonel Malher, **La Question du Touat**, Editeur Militaire Henri Charles-Lavauzelle, Paris et Limoges 1895, p.33

* . وهذه شهادة فرنسية أخرى بأن سي قدور بن حمزة واصل القتال ضدهم لما يقرب من 15 سنة، ثم تمكن من التتحي مؤقتاً في عام 1883 ليحل محله سي الدين مفاوضاً باسم أولاد سيدي الشيخ، وبقي سي قدور متردداً في ذلك حتى عام 1892 ورغم موافقته على ما اتفق عليه سي الدين لاحقاً، إلا أنه بقي بعيداً عن الأنظار إلى أن توفي سنة 1897. ينظر: G.B.M Flamand, **de l'Oranie au Gourara, Note de Voyage**, Editeur Augustin Challamel, Paris 1898, pp.208,209

رأي واستنتاج:

تعددت الأسباب والظروف التي جعلت من قصور توات قاعدة خلفية وملجأ لعدة ثورات وانتفاضات شعبية، لكن المميز فيها أنها حقاً تستحق الإعجاب والإشادة والدراسة على أساس أن ذلك الدور الذي لعبته كان تحدياً للاحتلال الفرنسي وأعوانه، وأن البيئة الصحراوية والبعد الجغرافي الذي قد يكون تفسيراً لتلك الوظيفة التي تبوأها توات، كانت أيضاً مدعومة بالبيئة السياسية والروحية والقبلية التي تمخضت عنها القابلية للمقاومة ولدعم النضال والجهاد ضد الكفار، خاصة أن الزوايا النشطة في المنطقة مثل المرتبطة بالطرق الصوفية السنوسية والقادرية والشيخية، كانت تُغذي وتُعرض ضد الفرنسيين حتى قبل وصولهم، وكانت تُدعم المناوئين لكل دولة ظالمة في الشمال الإفريقي.

كما يمكن استنتاج أن اللاجئين الذين كانوا يترددون على منطقة توات، كانوا في غالب الأحيان معارضين لفرنسا وأعوانها وللمخزن وأطماعه، بحيث لا نكاد نجد أي احتضان شعبي للمتعاونين مع هاتين الدولتين، حتى ولو أن بعض القيادات والشخصيات حاولت ذلك بما كانت تملكه من نفوذ وتأثير، لكن أهل المنطقة في أقصى الحالات كانوا يسايرون ويفاضون ولا يفسدون للود قضية، ثم سرعان ما نجد أن ولائهم ودعمهم كان أقوى وأوضح لكل القيادات الثورية والمتمردين عن هذه الدولة أو تلك.

كما استنتجنا من خلال هذا المبحث أن اللاجئين إلى توات ورغم خلافاتهم وصراعاتهم أحياناً، إلا أنهم لم ينقلوا تلك المشاكل إلى المنطقة ولم تتساق لهم قبائل وقصور توات في أخطائهم، ورغم أن

أما عن نهاية دوره في المقاومة فحسب المصادر الفرنسية أن سي قدور بن حمزة غادر مخيمه في الجنوب الوهراني وقدم لملاقة الحاكم العام جول كومبون بالتزامن بزيارته للمنيعة يوم 29 فيفري 1892، وقدم له جواد "القادة" كدليل على خضوعه واعترافه بسلطة فرنسا. ينظر: *Le Temps*, N° 11248, Paris 07/03/1892

³ .رسالة من عبد الله بن سالم إلى القبطان بناصر، ب.ت، أرشيف مكتب البيض، رمز علبة الأرشيف: GGA 33JJ

3، أرشيف ANOM

®. ينظر للملحق 44 ص 432.

بعض الجهات والقبائل كانت لها علاقات مصاهرة وتجارة مع هذا أو ذاك، إلا أنهم لم يدخلوا في متاهة تقديم خدمات ضد بعضهم البعض، والأهم في كون منطقة توات ملجأ للمقاومة أنها كانت ترفض أي فرنسي سواء كان رحالة أو عسكري، حتى ولو حاول بعض النافذين التوسط له، والمثير للاهتمام أننا رأينا مدى التنسيق والتحالف بين أهل توات والطوارق والشعانية والزوى، وهذه الكيانات كانت تشكل قوى الجنوب الجزائري وتتحكم في شؤونها، مما يعني أن توات لم تكن تعيش بمنأى عن علاقات الجوار بما يخدم مصالحها، والعكس صحيح بالنسبة للآخرين وعلاقتهم بقصور وقبائل توات.

المبحث الثاني: لجوء الشيخ بوعمامة إلى المنطقة (1883 - 1894)

لم تنطفيء جذوة مقاومة أولاد سيدي الشيخ باستشهاد أو استسلام أو خضوع هذا أو ذاك من قياداتها المتسلسلة، بل استمرت من زعيم لآخر، ومن فرع في القبيلة لآخر، وانتقل فيها الثوار في الكر والفر من منطقة لأخرى، حتى وصل مشعل الانتفاضة والنضال إلى الشيخ بوعمامة وهو سليل سيدي الشيخ في أحد فروع أحفاده، فكانت ثورة هذه الشخصية العظيمة قوية بأحداثها العسكرية والسياسية وبامتدادها الزمني والمكاني، حيث عرفت في معقلها الجغرافي ناحية مغرار وعين الصفراء ومعظم أنحاء الجنوب الغربي الأعلى جانباً عسكرياً في مرحلتها الأولى من 1881-1883، وجانباً سياسياً في مرحلتها الثانية بمنطقة توات ما بين 1883-1894، هذه الفترة مسكوت عنها أو قل أنها غير مطروقة كثيراً وهو ما سنحاول تسليط الضوء عليه.

1- الشيخ بوعمامة سيرة ومسيرة:

في وثيقة مختومة بأختام متنوعة عن بعض فروع أولاد سيدي الشيخ، يتضح لنا أن الشيخ بوعمامة ينحدر من سلالة عبد القادر بن محمد (سيدي الشيخ)، فهو الشيخ أبي عمامة بن العربي بن الشيخ بن الحرمة بن محمد بن إبراهيم بن التاج بن عبد القادر بن محمد، وفي جملة الشجرة التي

ينتقل فيها عبر 32 جداً فإن نسبه يصل في آخر المطاف إلى سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه¹، وتختلف الروايات عن تاريخ ومكان مولد الشيخ بوعمامة ما بين 1838 و1840، في قصر الحمام الفوقاني بمنطقة فيقيق، وفي رواية أخرى أنه وُلد في "فرات مستورة" قريباً من منطقة نخلة بن براهيم بوادي زوزفانة²، ويؤيد هذا الرأي الدكتور عبد القادر خليفي استناداً على (Palaska) صاحب مقال "أولاد بلحرمة"، وشهادة أحمد بن المنور ابن عم وصهر الشيخ بوعمامة، وحفيد الشيخ بوعمامة سي حمزة في عين بني مطهر بالمغرب، ويضيف هذا الأخير أن الشيخ بوعمامة وُلد في زوزفانة وكانت لأسرته البدوية دار في فيقيق كانوا يترددون عليها في فصل الخريف فقط³.

فنسب الشيخ بوعمامة الذي ينحدر من أولاد سيدي الشيخ الغرابية جعل فرع عائلته يتحرك جهة فيقيق كثيراً، حيث حفظ القرآن الكريم هناك وكان من أبرز شيوخه سيدي محمد بن عبد الرحمن بن عيسى مقدم زاوية الطريقة الشيخية بفقيق، حيث سلمه مفتاح زاوية سيدي سليمان بوسماحة⁴، ثم انتقل مع أسرته سنة 1874 للإقامة في قصر مغرار التحتاني قرب ضريح جده ابراهيم بن التاج، وهناك أعاد انبعاث زاوية جده الأكبر سيدي الشيخ والتي كان يديرها جده ابراهيم بن التاج خلال القرن 17م⁵، وإلى غاية 1878 لم يظهر للعلن إلى أن بدأ يكتسب شهرة روحية بين الناس، وبدأ يجمع من حوله الأتباع والمريدين، وأصبح معروفاً بأنه صاحب خير وكرامات؛ وما يميز نشاطه ما بين 1878-1881 أنه كان محاطاً بالمعارضين والكارهين لفرنسا بين القبائل المتواجدة جنوب تلمسان، ورغم ذلك فإن الفرنسيين انخدعوا فيه واستنتجوا حينها أن الشيخ بوعمامة لم يكن يشكل خطراً عليهم وأنه لم يكن

1. وثيقة شجرة نسب الشيخ بوعمامة بعنوان: سلسلة الولي الصالح الشيخ بوعمامة، عن طريق العربي بوعمامة من قبيلة أولاد سيدي الشيخ، عين الصفراء 2022/12/09. أما عن الرسة الوحيدة عنه ينظر الملحق 13 ص 408.

2. عبد الحميد زوزو، محطات في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 164.

3. عبد القادر خليفي، الطريقة الشيخية، المرجع السابق، ص 114، 115، وبالتالي فهذه المصادر والدلائل تثبت جنسيته الجزائرية ناهيك عن أصله من أولاد سيد الشيخ دفين الأبيض سيد الشيخ.

4. عبد الرحمن فاروقي، مقدم الطريقة الشيخية في قلعة الشيخ بوعمامة، حوار حول الشيخ بوعمامة، مغرار التحتاني، النعامة 2022/12/10، التوقيت: 20:00 مساءً، مقابلة شخصية.

5. عيسى روشام، مقاومة قصور الجنوب الوهراني من الشيخ بن الطيب إلى محمد ولد علي قائد مقاومة بني سمير 1900-1849، منشورات دار الأديب، الجزائر 2018، ص 47، 48.

يفكر في الانتفاضة ضدهم¹.

في حين تؤكد بعض الكتابات التاريخية أن الشيخ بوعمامة بدأ منذ سنة 1878 بإرسال أتباعه للإغارة على القوافل والمراكز الفرنسية جنوب عمالة وهران، فبلغت أخباره مسامع الناس الذين بدأوا يلتفون حوله كزعيم روحي وجهادي ضد فرنسا، لينادي بشكل رسمي وعلني بالجهاد الأكبر في أبريل 1881، حيث راسل شيوخ القبائل في الجزائر والمغرب يحثهم على حمل السلاح وأن وقت الخلاص قريب². وفعلًا فقد اندلعت شرارة ثورته في مرحلتها الأولى بعد مقتل ملازم فرنسي وبعض أعوانه، لما حاولوا اعتقال أحد أقارب الشيخ بوعمامة في 22 أبريل 1881، فحرك الشيخ بوعمامة أنصاره وحلفاءه من قبائل القصور الجنوبية والنقوا مع الفرنسيين في معركة مولاق يوم 19 ماي 1881م³، وتسمى هذه المعركة أيضاً بمعركة تازينة ومعركة الشلالة نسبةً للمكان الذي وقعت فيه، ومن خلالها انضم إليه كبار الأعيان والقبائل من أولاد سيدي الشيخ والشعانية وحميان وغيرهم، بعدما راسلهم واستنهمهم مستجداً بهم⁴.

وعقب معركة مولاق التي حقق فيها انتصاراً باهراً، حيث خلفت 53 قتيل أوروبي بتقديرات فرنسية و134 قتيل بما أعلنت عنه الحكومة الإسبانية⁵، وحتى في الصحف العربية والعالمية فقد أشير إلى مقتل 100 جندي وجرح نحو ذلك القدر نفسه⁶. بعدها مباشرة قام الشيخ بوعمامة باختراقات مذهلة في مسيرة نحو التل، واجه فيها الآغاوات والباشاغاوات المتعاونين مع فرنسا في كل من الأغواط وأفلو والبيض جيريغيل وسعيدة وفرندة والخيثر وتيارت وحتى إلى حدود معسكر، كان هدفه كرسالة تهديد

¹ . E.Graulle, **Insurrection de Bou-Amama (Avril 1881)**, Henri Charles-la Vauzelle, Editeur Militaire, Paris 1905, pp.7,8

² . عبد الوهاب بن منصور، **أعلام المغرب العربي**، الجزء الثاني، المطبعة الملكية، الرباط 1979، ص 74

³ . عبد الحميد زوزو، **ثورة بوعمامة 1881-1908**، ج1، موفم للنشر، الجزائر 2010، ص 11

⁴ . عبد الكريم طهيري، "دور المراسلات في ثورة الشيخ بوعمامة 1881-1900"، **مجلة عصور**، مج22، ع1، جوان 2023، ص ص 268-297

⁵ . عيسى روشام، **مقاومة قصور الجنوب الوهراني...**، المرجع السابق، ص 56

⁶ . حمزة فتح الله، "أبو أمامة"، **صحيفة البرهان المصرية**، السنة الأولى، العدد 14، الإسكندرية: 09 رمضان 1298هـ/04 أوت 1881

للفرنسيين وللقبائل المناوئة له¹، ثم عاد نحو الجنوب ماراً على خط المشرية وعين الصفراء إلى بوسمغون وبوقطب، قاطعاً مسافة تجاوزت 730 كلم خلال 23 يوماً ما بين 30 ماي و21 جوان 1881، هاجم خلالها مراكز وشركات الأوروبيين كما قطع فيها أسلاك التلغراف وأوقع خلالها قتلى وأسرى من العمال الإسبان، ثم قام بمسيرة أخرى في جويلية 1881 نحو المشرية والبيوض والخيثر ومدرسة، وكانت النتيجة أن انضمت إلى انتفاضته عدة قبائل أخرى². وعن هذه التحركات قالت صحيفة البرهان المصرية الصادرة في 04 أوت 1881 أن الشيخ بوعمامة نجح في أسر 300 أسير و1000 مركبة مشحونة بالحبوب³.

كان رد الفعل الفرنسي على تحركات الشيخ بوعمامة عنيفاً إذ فجروا قبة سيدي الشيخ في يوم 15 أوت 1881م⁴، ونقل الفرنسيون رفاة جد أولاد سيدي الشيخ إلى البيض جيريغيل وأعادوا دفنه وتحصينه⁵؛ كما دمروا في ديسمبر 1881 قصر مغرار الفوقاني ومغرار التحتاني وزاوية الشيخ بوعمامة وصودرت أملاك عائلته، خاصة وأن سي سليمان بن قدور تحرك على الحدود المغربية الجزائرية دعماً للمقاومة⁶، وكان رد الشيخ بوعمامة بقوة في معركتي شط تيقري وفندي خلال شهر أبريل 1882 وفي واد الشارف في ماي 1882 وغيرها من الأحداث التي تزامنت مع انتفاضة الشيخ بوعمامة في المنطقة⁷، وقد تكبدت فيها القوات الفرنسية خسائراً فادحة حتى أن الصحافة العالمية مثل جريدتي التايمز الإنجليزية والبرهان المصرية، أطلقت على الشيخ بوعمامة تسمية (عبد القادر

1. جيلالي صاري، انتفاضة 1881-1882 ملحمة الشيخ بوعمامة، تر: نصيرة بن تركي، موفم للنشر، الجزائر 2013، 123، 124.

2. عبد الكريم طهيري، "دور المراسلات..."، المرجع السابق، ص 273.

3. حمزة فتح الله، "أبو أمامة"، صحيفة البرهان المصرية، السنة الأولى، العدد 14، المصدر السابق.

4. E.Graulle, *Insurrection de Bou-Amama...*, Op.Cit, p.107.

5. أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تح: ناصر الدين سعيدوني، ط2، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2013، ص 24.

6. عبد القادر خليفي، المقاومة الشعبية...، المرجع السابق، ص ص 84، 85.

7. E.Graulle, *Insurrection de Bou-Amama...*, Op.Cit, pp.117-121.

الثاني)¹، ثم كانت معارك وتحركات الشيخ بوعمامة سجال بينه وبين الفرنسيين وأعوانهم، إلى أن بدأت حدة انتفاضته تتراجع مطلع سنة 1883 نظراً لعدة ظروف وأسباب تراكمت على الشيخ بوعمامة.

وبمختصر مسيرة الشيخ بوعمامة الثورية يمكن تقسيمها إلى ثلاث مراحل: الجانب العسكري داخل التراب الجزائري من 1881 إلى 1883، والجانب السياسي في منطقة توات من 1883 إلى 1894، والمرحلة الأخيرة ما بعد مغادرته لمنطقة توات من 1894 إلى غاية وفاته سنة 1908، وهذه المرحلة عاد فيها الشيخ بوعمامة إلى تحركاته العسكرية رغم أنه لم يتخلّى عن جانبه السياسي، وفيها أيضاً قام بتحركات ومعارك وتحالفات داخل التراب الوطني في جهة الساور وواادي زوزفانة، وواصل نشاطه أيضاً داخل التراب المغربي بين منطقتي فيقيق ووجدة، ولأن ما يعيننا في بحثنا هذا هو فترة لجوءه² في منطقة توات وبالضبط في واحة لدول، سنركز اهتمامنا على نشاطه وأدواره حينها.

2- لجوء الشيخ بوعمامة إلى واحة لدول³:

2-1- الظروف والعوامل:

لماذا اضطر إلى اللجوء؟؟

من خلال تتبعنا لمسار ثورة الشيخ بوعمامة، كانت سنة 1883 مفصلية بأحداثها وتداعياتها، والتي من خلالها استنتجنا عدة ظروف وأسباب دفعت بالشيخ بوعمامة إلى التنقل من منطقة مغرار

¹ حمزة فتح الله، "أبو أمامة"، صحيفة البرهان المصرية، السنة الأولى، العدد 14، المصدر السابق

² الملجأ: هناك من انتقد توظيف هذه الكلمة على مرحلة وجود الشيخ بوعمامة في واحة لدول، وحسب رأي لا أراها تنتقص من جهاده وثورته شيئاً؛ فالملجأ يعني الحصن والملاذ لذوي الحاجة، سواء في الحرب احتماؤه به أو في السلم لتحسين أوضاع اللاجئين إليه، والكلمة مشتقة من الفعل لجأ يلجأ لجوءاً أي: لجأ إلى الحصن وغيره بمعنى احتفى واعتصم به (وهذا ما كان في شأن الشيخ بوعمامة في لدول). ينظر: جبران مسعود، المعجم الرائد، ط7، دار العلم للملايين، بيروت 1992، ص ص 685، 765

³ لدول: هي حالياً بلدية تابعة لدائرة أوقروت ولاية تيميمون تتشكل من 10 قصور، تبعد عن مدينة أدرار 120 كلم شمالاً وعن تيميمون 61 كلم جنوباً. ذكرها بطليموس ضمن 17 قرية مهمة كانت تقع على حوض فير كم منطقة عبور بين جنوب الجيتول وإفريقيا الرومانية، كان اسمها القديم قبل الميلاد (دودوم Δουδοῦμ). ينظر: Vivien de Saint-Martin, Le Nord de l'Afrique, Imprimerie Impériale, Paris 1863, p.432، وقد أشار مارتن أ.ج.ب. أنها هي لدول التابعة لإقليم توات. ينظر: A.G.P Martin, Les Oasis Sahariennes..., Op.Cit, p.31. وفي نسخة أخرى وردت (دوردم Δουρδοῦμ) جنوب نهر فير. ينظر: كلاوديوس بطوليموس، وصف ليبيا (قارة أفريقيا) ومصر، تر: محمد المبروك الدويب، ط1، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي ليبيا 2004، ص 96

وعين الصفراء وفيقيق ومغادرة حيز تلك القصور والقبائل المشكلة لها، ولأنه أحس بتراجع وانحسار قوة انتفاضته ومحاولات الفرنسيين النيل منه بكل الطرق التي لطالما جربوها مع غيره، فإن الشيخ بوعمامة آثر الانسحاب واللجوء جنوباً كتكتيك حربي مقصود، تلك الظروف والعوامل التي أوصلته إلى واحة لدول يمكن استنتاجها واستعراضها على أساس مجموعة من المستندات والقراءات، وأما الحقيقة المطلقة فلا تزال غامضة وغير ثابتة إلى يومنا هذا، ومما توصلنا إليه ما يلي:

يشير الجيلالي صاري في كتابه "انتفاضة 1881-1882" أنه من بين الأسباب القوية لنزوح الشيخ بوعمامة جنوباً نحو قصور لدول، بأن سنوات ثورته الثلاث من 1881 إلى 1883 كانت ظروفها الاقتصادية صعبة للغاية، خاصة الجفاف الذي ضرب أولاد سيدي الشيخ أواخر سنة 1881، وأن الكثير من المقاتلين في صفوف تلك الثورة حتى من قبائل أخرى أُجبروا على العودة إلى عائلاتهم بشكل مُطرد لاسيما في سنة 1883، ولأن الشيخ بوعمامة لم يستطع تكرار مسيرته نحو التل، واكتفى في هذه الفترة بالتحرك في المنطقة وجوارها، إلا أن حصوله على مخزون من التمر والحبوب كان غير كافٍ، مما جعله يواجه عقبات في البحث عن مصادر التموين والدعم فاضطر إلى الدخول لمنطقة قورارة أواخر سنة 1883م¹.

وفي نفس الوقت كانت فرنسا قد نجحت على ذلك الأساس في حصر الثورة داخل نطاق الصحراء، وتمكنت من عزل بعض القبائل بالضغط عليها ونهب أموالها من جهة، وبث الفرقة والوقية وتشيت كلمتها ووحدتها من جهة أخرى، وفي نفس السياق عملت على كسب البعض بالجاه والمال والمناصب، مثل الآغا صحراوي والباشا أحمد ولد القاضي، وكلاهما كان لهما نفس الدور في إضعاف ثورة الشيخ بوعمامة، بما قدماه من أخبار ومراسلات للجنرال (كولونيو)²؛ ناهيك عن قبول بعض

¹ . جيلالي صاري، انتفاضة 1881...، المرجع السابق، ص 173

² . عبد الحميد زوزو، محطات في تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص 160

قيادات أولاد سيدي الشيخ مثل سي الدين بالتفاوض والهدنة في اتفاقية (ثوماسين) 1883، هذه الاتفاقية¹ التي عززوا بها مركزهم مادياً وسلطة²؛ بالإضافة إلى تحريك أبناء عمومة الشيخ بوعمامة الغرابة سي سليمان وسي علال، واستمالة فرنسا لقبائل الأغواط اكسيل³ وحميان وبعضاً من بني غيل ودوي منيع، مما جعل بوعمامة معزولاً ومضطراً لمغادرة المنطقة⁴.

وعن هذه القضية أشار أبو القاسم سعد الله إلى أن الفرنسيين حقاً نجحوا في التفريق بين أولاد سيدي الشيخ الشراقة والغرابة باتفاق 1883، بغرض عزل ثورة الشيخ بوعمامة المحسوب على الغرابة، ولكنهم لم ينجحوا في استمالة سي قدور بن حمزة وسي الأعلى إلا سنة 1892م⁵، في حين يرى عبد القادر خليف أن زعماء أولاد سيدي الشيخ سي قدور وأخيه سي الدين وسليمان بن قدور وعلال بن الشيخ قاموا بمحاولات الضغط على الشيخ بوعمامة للتخلي عن الزعامة، إلى درجة أنه وقع بين سي قدور بن حمزة والشيخ بوعمامة ذات مرة نقاش حاد، قال فيه سي قدور: "لماذا أعلنت الجهاد؟ من قال لك ذلك؟ أنت لست أهلاً للزعامة، فنحن المدافعون عن راية سيدي الشيخ ولست أنت، إن الحرب مسألة جدية، لماذا انتظرت حتى فشلنا لتتهض أنت؟ هذا ليس جيداً منك"⁶.

وفي ظل تلك المشاحنة بين أبناء العمومة في القبيلة الواحدة، ونظراً لتعرض زاويته في مغرار للتخريب من طرف الفرنسيين، ناهيك على أن دعوات لاغتيال الشيخ بوعمامة أو القبض عليه بدأت تتعالى، اضطر الشيخ بوعمامة لدخول فيقيق تجنباً لأي صدام دموي مع قبيلته، خاصة أن بعض الروايات الشفوية تذكر أنه رأى رؤيا لجده الأكبر سيدي الشيخ يقول له فيها: "إذا أردت ذل يوم وعز

¹ . حيث نال سي الدين منصب آغا على جبل عمور، ولأمانة فإن سي قدور بن حمزة بقي في حالة ثورة إلى سنة 1892. ينظر: أبو القاسم سعد الله، *الحركة الوطنية...*، ج1، المرجع السابق، ص 205

² . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, p.223

³ . قبائل الأغواط اكسيل: التسمية مأخوذة من جبل الاكسل في جبال عمور شمال غرب الأغواط، وهم 5 أقسام: الرزيقات، أولاد مومن، فرارجة، أولاد عيسى، أولاد عمران. ينظر: مياسي إبراهيم، "الأشعار الشعبية في المقاومة الوطنية"، *مجلة Annales de l'université d'alger*، مج16، ع2، 2006/06/15، ص 205

⁴ . أحمد العماري، *توات في مشروع...*، المرجع السابق، ص 67

⁵ . أبو القاسم سعد الله، *الحركة الوطنية...*، ج1، المرجع السابق، ص 207

⁶ . عبد القادر خليف، *المقاومة الشعبية...*، المرجع السابق، ص 91

الأبد اترك الزاوية لإخوتك واخرج برأسك، وإذا أردت عز يومٍ وذل الأبد فإنك تغلبهم لكن ستفقد العز الدائم"، فلما استفاق اكتشف أن هناك محاولات انتقامية ضده، فأثر الانسحاب خفيةً واللجوء إلى قصر فيقيق في الجهة الغربية¹.

ورغم أن المخزن كان منذ ديسمبر 1881 قد كشف عن موقفه من الشيخ بوعمامة فيما يسمى برسالة الأجلاف، التي أعطى من خلالها أوامره لعاملي وجدة وتافيلالت بمخادعة الشيخ بوعمامة والقبض عليه، ثم في رسالة مخزنية بتاريخ 12 ماي 1882 تصريح للفرنسيين بملاحقة سي سليمان والشيخ بوعمامة في التراب المغربي، ورسالة أخرى من أمين أمناء المخزن محمد التازي يفند فيها ادعاءات القنصل الفرنسي بأن الشيخ بوعمامة تلقى عوناً من فاس ومكناس²؛ إلا أن الشيخ بوعمامة وهو قاصداً فيقيق كان مضطراً لمراسلة المخزن برسالة مؤرخة في 5 رجب 1300هـ/ 11 ماي 1883م، وجهها إلى محمد بركاش نائب السلطان يطلب فيها العافية والأمان، ويعترف فيها بالسلطان ويستأذنه في العودة، ويقترح حتى التعويض عما بدر منه³.

لكن أوامر المخزن بتحذير الناس في فيقيق من السماح له بدخولها كانت قد فصلت في الرد عليه، بل حتى أن المخزن كان يسعى لاعتقاله وطالب أهل المنطقة بذلك⁴، حيث جاء في رسالة ملكية إلى سكان فيقيق: "بلغ لعلنا الشريف أن بوعمامة طلب منكم النزول معكم ببلادكم فعلقتم له المساعدة على استئذان جنابنا العالي بالله فيه، وعليه فإن صح ذلك فإننا لا نأذن لكم في نزوله معكم، ولا نوافقكم عليه، ولا نقره عليه، لأنه خليط سوء..."⁵؛ فكان موقف جماعة فيقيق على هذا الأساس

1. أحمد حاكمي، تفاصيل وتحاليل عن الشيخ بوعمامة، مطبعة الصقر، وجدة 2011، ص 84

2. عبد الهادي التازي، رسائل مخزنية على عهد السلطان مولاي الحسن وابنه 1875-1904، المعهد الجامعي للبحث العلمي، مطبعة أكدال، الرباط 1970، ص ص 46، 47

3. رسالة من أبي عمارة بن العربي إلى نائب السلطان سيد محمد بركاش، بتاريخ 5 رجب 1300هـ، عن طريق أحمد حاكمي وجدة 2022

4. عبد القادر خليف، "موقف السلطات المغربية من حركة الشيخ بوعمامة"، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، المجلد 17، العدد 2، 2002/09/15، ص 179

5. أحمد حاكمي، تفاصيل وتحاليل...، المرجع السابق، ص 83

حيث ردوا على الشيخ بوعمامة بمقولتهم الشهيرة: "الخييط خييط والحييط حييط"، أي: أنهم متخوفون من دعمه وهو صاحب الخيمة الذي لا خوف له على أي شيء، في حين هم يخشون من ردة فعل فرنسا التي قد تدمر قصرهم¹، صف إلى ذلك فإن الجنرال (سوسيبي) قائد الفيلق 19 كان قد طالب حكومته في 08 سبتمبر 1883 بالضغط على المغرب لطرد الشيخ بوعمامة من فيفيق².

لماذا كانت وجهته قورارة ودلّول بالذات؟؟

ونظراً لكل تلك الظروف والدوافع كانت منطقة توات وجهته في كره وفره، على غرار من سبقوه من رجال المقاومة والمناوئين، ولأن توات عموماً وقورارة خصوصاً كانت لها علاقة روحية وتجارية وطيدة مع أولاد سيدي الشيخ، سبق وأن أشرنا لها في بداية هذا الفصل، لكن السؤال الذي يجب طرحه والإجابة عليه: لماذا لجأ الشيخ بوعمامة إلى قورارة بالضبط دون غيرها؟؟ ولماذا واحة دلّول بالذات؟؟ أم أنها كانت مجرد صدفة ووجهة عفوية فقط؟؟ للإجابة على هذه التساؤلات نحتاج إلى النّش في بعض العلاقات التاريخية واستنتاج أسباب وظروف خاصة بالمنطقة، والربط بين آخر ما توقفنا عنده في الظروف الخائفة التي تعرض لها الشيخ بوعمامة في مغلار وفيفيق، وبين مساره ووجهته وما اكتنفها من غموض وروايات.

فعن علاقة المنطقة بأولاد سيدي الشيخ عرفناها منذ عهد سيدي بوسماحة دفين جهة شروين، وأيضاً منذ عهد جدهم عبد القادر بن محمد صهر قاضي أولاد سعيد، وسيدي إبراهيم دفين قصر تالة في أوقروت، ناهيك عن نفوذ الطريقة الشيعية في المنطقة بأوقافها ومريديها وروابطهم، ومنهم الحاج امر بن الحاج أحمد قائد جماعة دلّول الذي كان مقدماً لأولاد سيدي الشيخ والطريقة الطيبية في آنٍ واحد، وكانت علاقاته القوية تمتد إلى منطقة تيديكلت والمغرب الأقصى، وكان إلى غاية سنة 1893

¹ عبد الكريم طهيري، مرحلة لجوء الشيخ بوعمامة بمنطقة قورارة 1883-1894، الملتقى الدولي السادس: الطريقة الشيعية وأعلامها بالجزائر وإفريقيا وأوروبا وعموم العالم، جامعة غرداية 16-17/11/2022، المطبعة العالمية، ط1، غرداية-الجزائر 2023، ص 525

² عبد الكريم طهيري، "دور المراسلات..."، المرجع السابق، ص 276

في الخمسينات من عمره أن صار صديقاً عظيماً للشيخ بوعمامة¹، بالإضافة إلى أن ساكنة دلدول كانوا من أكثر الناس تواصلاً مع أولاد سيدي الشيخ، فمثلاً كانت للمجاذبة من أولاد سيدي الشيخ داراً في قصر أولاد عبد الصمد²، وأن قصر البركة كان ثلثي سكانه من الزوى المنحدرين والمتصاهرين مع أولاد سيدي الشيخ³.

كما أن المنطقة لم تكن خاضعة بموجب اتفاقية لالة مغنية لأي دولة، وقد أشرنا لهذا السبب ضمن ظروف لجوء عناصر المقاومة إلى توات؛ وليس هناك أوضح في تبيان هذا السبب مما ذكره الحاكم العام الفرنسي (تيرمان) في رسالة له إلى وزير الداخلية مؤرخة في 19 نوفمبر 1890، إذ قال: "... بوعمامة مستقر منذ مدة في دلدول على مسافة 5 أو 6 أيام سير جنوب قورارة في منطقة ليست تحت سلطتنا، لكن اتفاقية 1845 لا تعتبرها تابعة للمملكة المغربية. وهو الهارب من البحث عليه على إثر الجرائم التي ارتكبها سنة 1881، وهناك يعيش في سلام ويؤدي فروضه الدينية"⁴؛ وهو السبب والظرف الذي استقطب الشيخ بوعمامة ورجال المقاومة الآخرين ممن سبقوه إلى المنطقة، وهو ما أثار حفيظة الفرنسيين أيضاً إذ قال (تيرمان) في فقرة أخرى: "والخوف من الفشل -يقصد فشل القضاء عليه- مما يكون لغير صالحنا في أراضٍ ستكون لنا مستقبلاً"⁵.

ثم ما أمكننا استنتاجه أن منطقة قورارة بحكم موقعها الجغرافي كانت أقرب جهة من توات مفتوحة على التل الجزائري، وأنها كانت كهمة وصل بين توات جنوباً وتيديكلت شرقاً والمنيعة والشعانية

¹ . La Croix et de La Martinière, "Documents Pour Servir a l'étude du Nord Ouest African", T.4..., Op.Cit, p.385

² . عبد الكريم باحمد، رئيس جمعية في قصر أولاد عبد الصمد وحفيد سي محمد الشاهد قاضي دلدول الذي عاش بين (1893-1969)، شهادة عن أبيه عن عمه سي أحمد الشاهد (المتوفي في 1974)، قصر أولاد عبد الصمد بدلدول،

تيميمون 2024/01/03، التوقيت: 19:00 مساءً، مقابلة شخصية

³ . عبد الكريم طهيري، مرحلة لجوء الشيخ بوعمامة...، المرجع السابق، ص 527

⁴ . لويس تيرمان، رسالة من الحاكم العام لوزير الداخلية بخصوص مقترح للتخلص من الشيخ بوعمامة، بتاريخ: 19 نوفمبر 1890، Cote: 22H9/GMM، أرشيف ANOM

⁵ . لويس تيرمان، رسالة من الحاكم العام لوزير الداخلية بخصوص مقترح للتخلص من الشيخ بوعمامة، بتاريخ: 19 نوفمبر 1890، المصدر السابق

والبيض سيدي الشيخ شمالاً وجهة الساوره وزوزفانة غرباً؛ أضف إلى ذلك أن القوافل التجارية كانت تمر عبر قصور قورارة في ذهابها وأيابها مع الجنوب الوهراني والمغربي، وأن منطقة دلدول كانت معروفة بكونها واحة مزدهرة فلاحياً ورعياً، فاخترت بوعمامة لواجهة دلدول كان فيه كثيراً من المنطق بحكم موقعها في مفترق طرق بين الجزائر والمغرب، وبقرتها من تميمون وتيمي معاً، ونظراً لتوفر مراعي كثيفة وممتازة محيطة بها ساهمت في إطعام الإبل والأحصنة والأغنام، ناهيك على ما تزخر به هذه الواحة من موارد سهلت إمداد الشيخ بوعمامة في احتياجاته¹.

2-2- الروايات عن وصول الشيخ بوعمامة للمنطقة:

تضاربت الروايات عن كيف وصل الشيخ بوعمامة إلى واحة دلدول، ولا يزال هذا الغموض الذي يكتنف تلك الرحلة قائماً نظراً لشح المعلومات الموثقة، لكن من خلال بحثنا وتحرياتنا تمكننا من حصر هذا التضارب في روايتين، تبدأ كلتيهما مما توقفنا عنده حينما توترت علاقته مع بعض أبناء عمومته (سي قدور بن حمزة وسي سليمان بن قدور)، خاصة سي سليمان الذي تذكر بعض الروايات أنه حاول القبض عليه والاستيلاء على زاويته، أو كما روت إحدى قريبات الشيخ بوعمامة التي عمّرت طويلاً²؛ وبعدما ضاق به الخناق في فيقيق، حيث رفض المخزن لجوئه بل وسعى لاعتقاله، وحيث صارحه أهل فيقيق بأن "الحيط حيط والخيط خيط"؛ وحيث سعت فرنسا لاغتياله أو أسره وضغطت بذلك على المخزن وأعاونها بحثاً عنه، فمن خلال كل هذه الظروف والأحداث خرج الشيخ بوعمامة

¹ . "Comité l'Afrique Française", *Bulletin Mensuel*, N° 1, Renseignements Coloniaux, La Colonne Servièrre au Tidikelt, au Touat et au Gourara (21 Mai-18 Aout 1900), Paris Janvier 1902, p.26

² . بوعامر ميمونة بنت عبد الرحمن (تجاوزت القرن وتوفيت سنة 1996)، من فرع أولاد سيد التاج، عين الصفراء: فيفري 1995، مقابلة شخصية ع/ط الدكتور عبد القادر خليفي. وفي هذا السياق قالت الراوية: "خرج سيدي بوعمامة من الخيمة صحبة زوجته لالة ربيعة وهي تحمل ابنها سي الطيب ومعهم ابنته فاطمة ويحملها سيدي عبد القادر بن الجودي على كتفه، وحملوا معهم قربة ماء، لقد تحاشوا إهراق دم المسلمين وتركوا كل شيء مبني، لم يكونوا خائفين، لكنهم لم يرغبوا في الصدام مع الإخوة..."؛ وهي الشهادة نفسها التي قالها: قاسمي بوعمامة ولد محمد (87 سنة)، من قبيلة الكرامة ووالده كان مقدماً عند الشيخ بوعمامة؛ المقابلة كانت في البيض 22 أكتوبر 1995. ينظر: عبد القادر خليفي، الشيخ بوعمامة في صحيفة البرهان المصرية، مجلة عصور الجديدة، مج14، ع1، مختبر تاريخ الجزائر، جامعة وهران1، ماي 2024، ص ص 154-185

باحثاً عن ملجأ ومأمن لنفسه وعائلته، رافضاً الاستسلام والخضوع لفرنسا، ومن هنا برزت الروايات المتضاربة في مساره ومآله.

الرواية الأولى:

تتردد هذه الرواية شفويّاً عند كثير من الناس في منطقة قورارة، ومفادها: أن الشيخ بوعمامة راسل أهل دلدول طالباً الالتجاء إليهم، فوافقوا على استقباله واحتضانه¹. ويذكر الدكتور عبد القادر خليفي أنه علم من خلال بعض الروايات الشفوية أن الشيخ بوعمامة راسل أهل تينركوك وأهل دلدول، فقبل هؤلاء استقباله بحكم أنهم كانوا خداماً لسيدي بحوص الحاج حفيد سيدي الشيخ²، وأن أول وصوله للمنطقة في بادئ الأمر كان مروراً بقصر أولاد سعيد، حيث يذكر الشيخ عبد الرحمن الجوزي نقلاً عن "النّا ممّا أقبو" التي عايشها في الثمانينات وقد عمّرت أكثر من قرن، أنها روت عن زيارة الشيخ بوعمامة بفرسه وبرنوسه الأحمر، حيث توقف عند خلوة جده سيدي الشيخ (يُعرف الآن بجامع الشيخ بوعمامة)، كما زار حينها ضريح القاضي سيدي امحمد عبد الله بن عبد الكريم بن أحمد القوراري عام 1299هـ/1882م³، ثم واصل مسيره نحو دلدول حيث توقف قبل ذلك في قصر ظلمين أيضاً⁴، وأنه بقي في ظلمين مدة في مكان يسمى "بور طاغارات"، وأنه في البداية طلب من ناس ظلمين العون

¹ هذه الرواية تتردد في واحة دلدول شفويّاً، وقد سمعتها على لسان كل من: والدي رحمه الله الحاج أحمد الشيخ طهيري (1938-2006) حفيد الحاج محمد بن الشيخ أحد كبار أعيان وملاكي قصر أقبور ومن أصدقاء الشيخ بوعمامة، والحاج عبد الحي طلباوي (مواليد 1943) نقلاً عن والده سي محمد بن أحمد (1873-1968) من أعيان قصر أقبور، وعبد الكريم باحمد (مواليد 1969) نقلاً عن أبيه عن عمه سي أحمد الشاهد قاضي قصر أولاد عبد الصمد توفي في 1974، وبولاه الحاج عبد الله (مواليد 1943) نقلاً عن والده محمد عبد الله (1889-1995) وعبد السلام أحمد بلخير (مواليد 1946) وهما من أعيان قصر أولاد عبو.

² عبد القادر خليفي، **المقاومة الشعبية...**، المرجع السابق، ص 99.

³ عبد الرحمن الجوزي، **القاضي الشهيد سيدي محمد عبد الكريم بن محمد عبد الله بن الجوزي ودوره التعليمي والجهادي في إقليم قورارة**، الملتقى الرابع للثورة التحريرية بقورارة، طبع زاوية الشيخ سيدي احمد بن عبد الله البوكرري بسموطة، تيميمون الجزائر 2021، ص 85.

⁴ عبد الله بابا، **الاحتضان الشعبي لمقاومة الشيخ بوعمامة بقصور واحة قورارة 1883-1894**، الملتقى الدولي السادس: الطريقة الشيعية وأعلامها بالجزائر وإفريقيا وأوروبا وعموم العالم، جامعة غرداية 16-17/11/2022، المطبعة العالمية، ط1، غرداية-الجزائر 2023، ص 27.

فتركوا له البور تحت تصرفه¹.

ورغم أن ما يؤخذ على هذه الرواية أن المراسلة التي قيل أن الشيخ بوعمامة أرسلها لأهل المنطقة لا تزال مفقودة، وأن كل الذين ذكروها قالوا أنها إما ضاعت أو أنهم يكتفون بقولهم: "الله أعلم، هكذا سمعنا"؛ لكن في المقابل يذكر الرواة بدلول أنه كان قد راسل عدة مناطق لاستقباله مثل ورقلة والمنيعية وجماعة دلدول²، وأن مضمون الرسالة كان فيها "أعدوا الزرع للخليل، وإذا لم يوجد أعدوا المرعى"³، ومن جهة أخرى استنتجنا أن كثيراً من الروايات كانت تحكي على الشيخ بوعمامة في زيارته لقصور المنطقة، وهذا لا خلاف عليه حينما كان مقيماً في دلدول، وأن بعض الروايات كانت مجرد إضافات شعبية للتشريف بالانتماء لاسم الشيخ بوعمامة، أما عن كلام الشيخ عبد الرحمن الجوزي فرواية تلك المرأة عن فرس وبرنوس الشيخ بوعمامة صحيحة⁴، وإنما الخطأ الوحيد هو التاريخ 1882 وكما هو معلوم فكل المصادر تتفق على أن الشيخ بوعمامة دخل قورارة سنة 1883.

فالأرجح أن مجيء الشيخ بوعمامة للمنطقة كان في غاية السرية، إلى درجة أنه حتى عيون فرنسا والمخزن لم تكتشف أمره إلا بعد ما زار (بالات) المنطقة سنة 1885، حيث أورد قايد الشلالة الظهرانية أول المعلومات عنه في 29 ماي 1886م⁵، كما وجه شريف وزان رسالة إلى الوالي العام الفرنسي سنة 1888، أخبره فيها بأن شخصاً من توات ذكر لهم عن استقرار الشيخ بوعمامة في دلدول⁶. ناهيك على أن المنطقة الممتدة من تينركوك إلى غاية بعض قصور أولاد سعيد كان كثيراً ما

1 . قادة بوجمعة، من أعيان وكبار السن في ظلمين، شهادات عن الشيخ بوعمامة والمقاومة الشعبية المحلية، ظلمين تيميمون في 2023/12/14، مقابلة شخصية

2 . بولاه الحاج عبد الله (مواليد 1943) نقلاً عن والده محمد عبد الله (1889-1995)، من أعيان قصر أولاد عبو، حوار حول الشيخ بوعمامة، قصر أولاد عبو بدلول، تيميمون 2024/01/03، التوقيت: 14:00 زوالاً، مقابلة شخصية

3 . قالها بالدارجة: وجدو لنا الزرع للخليل وإيلا ما كان الزرع وجدو ليراع -أي القصب للمرعى- عبد الكريم باحمد، الشهادة نفسها

4 . حيث ورد في رسالة سليمان ولد حمو عمرو قايد الشلالة الظهرانية إلى حاكم البيض، 29 ماي 1886، المصدر السابق، أنه كان للشيخ بوعمامة فرساً أحمرأ.

5 . رسالة من سليمان ولد حمو عمرو قايد الشلالة الظهرانية إلى حاكم البيض، المصدر السابق

6 . الرسالة مؤرخة في 18 أفريل 1888، معروضة في متحف قلعة الشيخ بوعمامة، مغرار التحتاني، النعامة 2022/12/10، زيارة شخصية

يتردد عليها سي قدور بن حمزة في تلك الفترة، وكما هو معلوم فالعلاقة بينهما كانت متوترة، ضف إلى ذلك أن هذه القصور تتواجد فيها قبيلة الخنافسة حليفة سي قدور بن حمزة، وقد ذكر (بالات) مطلع سنة 1886 كيف واجه صعوبة وخطورة حتى على حياته وهو في قصر سموطة، نظراً لعلاقته بسي قدور وابنه محمد وخوفه من ردة فعل حلفاء الشيخ بوعمامة قبل مروره بالمنطقة¹.

الرواية الثانية:

بعد التضييق المتعدد الأطراف على الشيخ بوعمامة من طرف أبناء عمومته وأهل فيقيق والمخزن والفرنسيين، تقول هذه الرواية: أن الشيخ بوعمامة خرج من فيقيق نحو الصحراء جنوباً، وقد اصطحب معه زوجته لالة ربيعة وابنه سي الطيب وخادمين من خدمه²، يذكر مقدم الطريقة الشيعية فاروقي عبد الرحمن بن عبد القادر في مزار التحتاني أنه كان برفقته في الطريق أحد خدامه كان يسميه الشيخ بوعمامة "الدقلة"³، في حين يذكر (A.G.P Martin) أن الشيخ بوعمامة بعد سنة 1882 هجره جميع العرب، وبقي محاطاً ببعض المريدين والأنصار لزوايته، وبهؤلاء غادر وادي قير برفقة قافلة لقبيلة دوي منيع وصل بصحبته إلى واحة لدول⁴.

ونقلاً عن مخطوطة في الزاوية الشيعية لصاحبها سي حمزة حفيد سي الطيب بن الشيخ بوعمامة في بني مطهر بالمغرب الأقصى، فإن الشيخ بوعمامة سعى للبقاء في فيقيق لكن الظروف المحيطة به اضطرته للانسحاب منها نحو الصحراء، فأقام أولاً في منطقة قاحلة قريبة من "ضاية الصوان" لمدة ستة أشهر، حتى أنه كان بمعية مرافقيه يقتاتون في الأودية من أوراق الشجر، إلى أن مرت بالقرب

¹ . Marcel Palat, **Journal de Route et Correspondence...**, Op.Cit, p.244

² . يذكر مارسيل بالات الذي مر بالمنطقة سنة 1885 أن الشيخ بوعمامة كان في لدول مع 20 نفر من أنصاره. ينظر:

Marcel Palat, **Journal de Route et Correspondence...**, Op.Cit, p.244

³ . كما يذكر أن عم أبيه سيدي أحمد بن الشيخ كان الجراح الذي يرافق الشيخ بوعمامة كطبيب. وفعلاً فإسم هذا الخادم وصورته وردت في مقال لمجلة l'illustration للصحفيين Nicora و Gyout بعد زيارتهما لمخيم الشيخ بوعمامة في لدول. ينظر: خليفي عبد القادر، **محطات من تاريخ الشيخ بوعمامة**، شركة الأصالة للنشر، الجزائر 2021، ص 131

⁴ . A.G.P Martin, **Quatres Siècles...**, Op.Cit, p.214

منهم ذات يوم قافلة عَلم من خلال رفيقه محمد بن الشيخ أنها من الشعانية، فاكترى الشيخ بوعمامة منهم 6 من الإبل ارتحل بها في اليوم الموالي نحو دلدول¹.

ويواصل الباحث المغربي أحمد حاكمي قراءته لمضمون ذلك المخطوط فذكر أن الشيخ بوعمامة حط بأول واحة من دلدول في الخريف، فأقاموا خيمتهم عند مؤخرة أحد البساتين ولم يمسا تمورها المتساقطة بأي حال، حتى جاء صاحب البستان وأخبر جماعة القصر بهؤلاء الغرباء، فاستضافه قائد القصر وجرى بينهم حواراً وتبادل للهدايا تعرفوا من خلالها على الشيخ بوعمامة، فعرضوا عليه البقاء معهم فأجابهم بالقبول، ثم شاع خبره في قصور دلدول²، وفي هذا السياق ذكر لنا الشيخ عبد الكريم باحمد رئيس نادي إحياء التراث في جمعية آغام عبد الصمد: أن نزول الشيخ بوعمامة في دلدول كان أولاً بقصر أولاد عبد الصمد وبالضبط عند نخيل البور المحاذية لبساتين القصر، بحكم أن هذا القصر كان واجهة دلدول وبوابتها الغربية، ويضيف محدثنا أن الذين استقبلوه واستضافوه من قبائل القصر كل من عائلة سي عبد الصمد (لقبهم الحالي باحمد) وبوشمية والانصاري³.

وهذه الرواية رغم أنني أراها الأقرب للحقيقة على أساس أن لها سند مخطوط عند أحفاد الشيخ بوعمامة في المغرب الأقصى، وأن المطلع عليها هو الباحث أحمد حاكمي المعروف بقره من عائلة الشيخ بوعمامة وباهتمامه بالكتابة عن ثورة وزاوية بوعمامة، وأنها توافقت مع روايات أهل دلدول، حيث لا يزالون يذكرون بعض النخلات الكثيفة التي كان يتواجد قربها الشيخ بوعمامة، سُميت عندهم "عش بوعمامة" وأن مجيئه كان بدون جيشه⁴. إلا أن هذه الرواية لا تنفي احتمال مراسلة الشيخ بوعمامة

1. أحمد حاكمي، تفاصيل وتحاليل...، المرجع السابق، ص 82

2. نفسه، ص 82، وللعلم فقد تواصلت شخصياً مع الباحث أحمد حاكمي عبر الواتساب يوم 19 أوت 2023، وذكر لي أن هذه المخطوطة التي تورد قصة قدوم الشيخ بوعمامة إلى دلدول، لا تزال موجودة في الزاوية الشيعية البوعمامية بني مطهر جنوب شرق المغرب الأقصى.

3. عبد الكريم باحمد، الشهادة نفسها

4. عبد السلام الحاج أحمد بن محمد بلخير (من مواليد 1946، من أعيان قصر أولاد عبو)، نقلاً عن حساني مولاي عبد القادر بن مولاي أحمد قاضي دلدول في فترة وجود الشيخ بوعمامة، حوار حول الشيخ بوعمامة، قصر أولاد عبو بدلدول، تيميمون 2024/01/03، التوقيت: 14:00 زوالاً، مقابلة شخصية

لأهل المنطقة قبل قدومه، كما أننا لم نطلع على مخطوط هذه الرواية ولا على كاتبه وتاريخه، مما يجعلنا نفتح باباً للتأويلات والاحتمالات.

ورغم ذلك التضارب والتقارب في رواية وأخرى، فإننا نستنتج عن مجيء الشيخ بوعمامة إلى دلدول المتفق عليه هو وصوله في خريف 1883، وأن أول قصر دخله هو قصر أولاد عبد الصمد شمال غرب المنطقة، وأن أهم الشخصيات التي رافقته في رحلته هي زوجته وابنه وبعض خدمه، وأنه وصل إلى دلدول في لجوء مقصود وليس عفوي، وأن أهل دلدول وقصورها رحبت به واستضافته ولم تبالي بأي ضغوطات أو عقوبات أو تخرج، وأن اكتشاف الفرنسيين والمخزن للجوءه كان متأخراً بعض الشيء، وكل ذلك الغموض إن دل على شيء إنما كان يدل على نجاح الشيخ بوعمامة في المناورة والتخفي، ومعاناته في ظل تلك الظروف القاهرة التي تعرض لها.

3- علاقة المنطقة بدعم الشيخ بوعمامة:

3-1- القبائل والشخصيات التي دعمت الشيخ بوعمامة:

وكان ممن دعموا الشيخ بوعمامة في سنواته الأولى بدلدول، عائلة سي عبد الصمد وبوشمية والانصاري، هؤلاء استقبلوه واستضافوه في قصر أولاد عبد الصمد، وأن صالح بن رابح الذي عمّر أكثر من قرن والمتوفي سنة 1971 كان من خدامه¹ يرفع إبل الشيخ بوعمامة في مراعي القصر²، ولما انتقل إلى مقر قيادة جماعة دلدول في قصر أولاد عبو احتضن الشيخ بوعمامة في بادئ الأمر عند القائد الحاج اعمر، هذا الأخير وقر له جناحاً خاصاً من قصره، بل وصار له من يخدمه مثل أحمد بن ابراهيم (أحفاده وأبناء عمومته يُلقبون حالياً حميدي ويسكنون في قصر أولاد عبو وأورير)³.

¹ الخدام: ومفردها خادم ويقصد بها في المصطلحات الصوفية بالجنوب الغربي أتباع المراتب الذين يخدمونه بكل تقان وإخلاص. ينظر: عبد القادر خليف، محطات من تاريخ الشيخ بوعمامة...، المرجع السابق، ص 74

² عبد الكريم باحمد، الشهادة نفسها

³ عبد السلام بلخير، مدير ابتدائية متقاعد (من مواليد 1956 بقصر أولاد عبو)، نقلاً عن والده المتوفي سنة 1999، حوار حول الشيخ بوعمامة، قصر أولاد عبو بدلدول، تيميمون 2024/01/03، التوقيت: 10:00 صباحاً، مقابلة شخصية

وشياً فشيئاً انتشر خبر الشيخ بوعمامة في منطقة توات وخارجها، فبدأت تتوافد عليه القبائل والمناصرين له حتى ضاق بهم القصر فخرجوا على حوافه ونصبوا زرائبهم وخيامهم هناك¹، وقد ورد في رسالة من أرشيف المكتب العربي للبيض أن أنصار الشيخ بوعمامة كانوا يسكنون الزرائب في حين كانت له هو دار في القصر²، وكان صديقه الحميم الشاعر محمد بلخير الذي سعت فرنسا لكسبه وإسكاته، من أهم العناصر التي لحقت بالشيخ بوعمامة إلى لدول، رغم أنه لم يستقر فيها بشكل دائم مما جعل الفرنسيين يلاحقونه ويقبضون عليه خارج توات ويُنفى إلى كورسيكا³.

ويتضح لنا من خلال رسائل للشيخ بوعمامة بعثها لأهل لدول بعدما غادرها، بعض الأسماء التي يبدو أنه كان لا يزال في تواصلٍ معها، نظير جميلها وعلاقاتها الداعمة له حينما كان يربط بالمنطقة، حيث اطلعنا على بعض الرسائل المؤرخة في الفترة بين 1894-1900، يسأل فيها عن أحوال الناس ويبلغ سلامه لكافة جماعة لدول، ويخص بالذكر الوجهاء والأعيان الذين دعموه وناصروه ومنهم: الحاج اعمر بن الحاج أحمد، وسيدي محمد بن عبد العالي، والحاج محمد بن الحاج اعلي، وعبد السلام بن الحاج الطيب، والحاج عبد القادر بن الحاج أحمد، وأبا سالم بن عبد الرحمن، والحاج العربي بن عبد القادر، والحاج أحمد والمهدي، والحاج محمد بن الشيخ، والحاج عبد الرحمن، والحاج عبد المولى⁴.

وللإشارة فهذه الأسماء ترددت كثيراً في مراسلات الشيخ بوعمامة وابنه سي الطيب من بعده، ورغم أن بعضها لا يزال يحتاج للتدقيق للتعرف على أصحابها وأحفادهم، فإننا وباجتهاد منا والتواصل مع بعض كبار السن في لدول، استطعنا التعرف على بعضها مثل: الحاج اعمر بن الحاج أحمد

1. عبد القادر خليف، المقاومة الشعبية...، المرجع السابق، ص 117

2. من القايد الحاج حمزة بن قدور، رسالة إلى حاكم البيض، 08 مارس 1890، أرشيف مكتب البيض، رمز علبة الأرشيف: 33JJ GGA، أرشيف ANOM

3. جيلالي صاري، انتفاضة 1881...، المرجع السابق، ص 174

4. الشيخ بوعمامة، رسالة إلى أهل لدول، عن طريق العربي بوعمامة وعبد الملك حمدي، ينظر: الملحقين رقم 61 و62 ص 436

وأخوه الحاج عبد القادر وهو شخصية ثرية وبارزة كان يقود جماعة دلدول وينحدر من أولاد عبد المولى (ألقابهم حالياً: محمدي، مهداوي، عزيزي، سالمى، ويسكنون قصور أولاد عبو والمنصور والساهلة وأورير)، وأما سيدي محمد بن عبد العالي فقد كان عالماً جليلاً في دلدول ومن عائلة الأشراف بالمنطقة (وتسمى عائلته حالياً: مولاي حساني، ويسكنون قصر أولاد عبو)، والحاج محمد بن الشيخ من كبار أعيان وملاكي قصر أقبور وفقارة يغنو (تسمى عائلة أحفاده الآن: طهيري، وهم يسكنون قصر أقبور)¹.

ومن القبائل والشخصيات التي جاءت إلى دلدول من أجل مبايعة ودعم الشيخ بوعمامة، شعانبية متليلى وورقلة والمنيعية الذين غص بهم قصر أولاد عبو، كما بعثت تيمي وفداً منذ مجيئه في عام 1883 تمثل في: الشيخ بآ حسون وأخيه محمد عبد الرحمن، وبآ الصديق بن بابا علي من قصر أولاد عروسة، والحاج محمد بآ خيي من قصر بني تامر، ومولاي الصديق بن العربي من قصر آدغا، وكان برفقتهم أيضاً الشريف سيدي محمد بن هاشم حامل رسالة البعثة من تيمي، ذلك الوفد الضخم كان يتكون من 24 فارساً وبعض المؤن والهدايا، وقد خرج إليهم الشيخ بوعمامة بنفسه لاستقبالهم والترحيب بهم²، وزارته حميان من المشرية والرزانية من سعيدة³، وقدم إليه أيضاً وفداً من البرابر آيت خباش رفقة ابنه سي الطيب في 12 فارس، وعرضوا عليه أن تُرعى إبله في أراضيهم وقدموا له أحمالاً من القمح والشعير، وتاجروا معه أيضاً نقداً وتمراً⁴؛ كما أشار (تيرمان) في رسالته سنة 1890 أن بعض المواضي الشعانبية انضموا إلى بوعمامة وكانوا يقدمون له الغفار⁵، وقد كوّنوا حوله قوة معتبرة¹.

¹ . عبد الكريم طهيري، "دور المراسلات..."، المرجع السابق، ص 289

² . A.G.P Martin, Quatres Siècles..., Op.Cit, p.214, 215

³ . رسالة من القايد الحاج حمزة بن قدور إلى حاكم البيض، 08 مارس 1890، المصدر السابق

⁴ . من قايد عرش أولاد سيد أحمد المجذوب، رسالة إلى الكومندار حاكم دائرة البيض، 27 جوان 1890، أرشيف مكتب البيض، رمز علبة الأرشيف: GGA 33JJ 3، أرشيف ANOM

⁵ . الغفار: يسكون الغين وفتحة الفاء مخففة، وهي تعني قيمة مالية أو شاة أو كمية من المزروعات تقدم سنوياً ودورياً لشيخ الطريقة، وهناك كلمة مرادفة هي "القبض"، وهي تختلف عن كلمة "الزيارة" التي تعني ما يقدمه زائر المقام أو زائر الشيخ أو زائر المقدم من أشياء مادية أو معنوية عند زيارته للمكان، أي أنها مؤقتة وليست دائمة كالغفار. ينظر:

كما خيم قرب زمالة الشيخ بوعمامة في دلدول "المداقنة" الذين جاؤوا من تيديكلت عبر تيط وأولف وأقبلي وتيدماين وأنزجمير وسالي التي تركوا فيها أطفالهم وعيالهم، ثم رحلوا مع أولاد المولات إلى دلدول بين 50 و 80 خيمة²، وفي نفس السياق ورد أنه هربت حوالي 100 خيمة من عرش ورقلة إلى بوعمامة³. كما يُذكر في المأثور الشفوي أن وفداً من فقارة الزوى وعين صالح جاء إلى الشيخ بوعمامة، وطلبوا منه الانتقال معهم والإقامة بينهم في جهة تيديكلت، لكنه رفض ذلك مفضلاً تواجده بدلدول⁴؛ وللإشارة فقد ذكر المؤرخ الفرنسي (شارل روبير أجيرون) أن الشيخ بوعمامة أثناء لجوءه بتوات، كان على علاقة بشيخ السنوسية سنة 1885، وكانت علاقته طيبة مع الحاج المهدي باجودة مقدم الطريقة في عين صالح⁵.

3-2- الاحتضان الشعبي للشيخ بوعمامة بالمنطقة:

إذا كانت الروايات عن مجيء الشيخ بوعمامة إلى دلدول تختلف في السرد والتوصيف، فإن المتفق عليه أن ساكنة المنطقة قد رحبوا به واحتضنوه ضيافةً ودعمًا، سواءً صحت رواية المراسلة فهم بذلك وافقوا عليه، أو صحت رواية قدومه السري والعفوي فهم حينما تعرفوا عليه عرضوا عليه الإقامة بينهم؛ وفي هذا الإطار يقول (مارتن أ.ج.ب) أنه حينما انتشر خبر وجود الشيخ بوعمامة في دلدول، كثرت عليه الزيارات والوفود والراغبين في الانضمام إليه، حتى ضاق به القصر الصغير فاضطر للخروج على حوافه وغير إقامته، حيث بُنيت من أجله ولأصحابه بناءات جديدة وأقيمت بين محيط

خليفي عبد القادر، دكتور وأستاذ جامعي متقاعد، درشة حول الشيخ بوعمامة، أوقروت تيميمون: 2024/05/24، مقابلة شخصية، عبر: khelifi.abd2009@yahoo.fr

¹ . لويس تيرمان، رسالة من الحاكم العام لوزير الداخلية بخصوص مقترح للتخلص من الشيخ بوعمامة، بتاريخ: 19 نوفمبر 1890، المصدر السابق

² . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, p.219

³ . من الخليفة بن عامر، رسالة إلى الكومندار سبريور حاكم البيض، 16 سبتمبر 1890، أرشيف مكتب البيض، رمز علة الأرشيف: 33JJ 3 GGA، أرشيف ANOM

⁴ . بولاه الحاج عبد الله (مواليد 1943) نقلاً عن والده محمد عبد الله (1889-1995)، من أعيان قصر أولاد عبو، حوار حول الشيخ بوعمامة، قصر أولاد عبو بدلدول، تيميمون 2024/01/03، التوقيت: 14:00 زواً، مقابلة شخصية

⁵ . عبد القادر خليف، *المقاومة الشعبية...*، المرجع السابق، ص 104

نخيل لدلول الملاحيء للأتباع، استُبدلت فيما بعد بالخيام التي تكاثرت¹.

كما يقول الدكتور عبد القادر خليف أن وفد تيمي لما زار الشيخ بوعمامة في لدلول وجد أن ذلك المخيم كان يتكون من 400 رجل، وكانوا كلهم يتناولون القهوة والشاي صباحاً ومساءً والغذاء بالكسكسي، وأن عدد الخيام التي كانت متواجدة بجوار بوعمامة سنة 1890 تعدت 100 خيمة، وقد تشكلت من 84 خيمة للشعانية، و6 خيام لأولاد زياد الشراقة (الجرامنة)، و3 خيام لأولاد بودواية، و5 خيام لأولاد سيد الحاج أحمد، وخيمة واحدة لأولاد سيد الحاج بوحفص، وكان قبلهم معه أيضاً المجادبة والطرافي والكرارمة ممن رافقوا الشيخ بوعمامة في سنواته الأولى ثم رحلوا².

ومن خلال اطلاعنا على بعض الرسائل من أرشيف مكتب البيض، وجدنا أن الشيخ بوعمامة كانت معه قبائل الشعانية وأولاد سيد الحاج الجيلالي والزوي، في مخيم من 44 خيمة وكان له هو شخصياً 12 حصان، أحدهما أحمر اللون فقدّه وهو لا يزال في لدلول³، وفي نص آخر أنه كان معه 6 قرابة و15 رجلاً و30 ناقة وفرسه الأحمر، وأن الناس كانت تأتيه من كل مكان ويأكلون عنده⁴، وفي سنة 1890 كان عنده حوالي 100 بغير و12 حصان، وأن رجاله المرابطين على حدود لدلول الشمالية في قصر بلغازي، استقبلوا مبعوثين أو كشافيين تابعين لمكتب البيض، فأكرمهم بالطعام والقهوة والشاي واللعب بالبارود⁵.

فالواضح أن اللاجئين والوافدين عليه ممن ذكرنا، كانوا من الماكثين في لدلول بشكل ثابت ناهيك عن الضيوف والوافدين، وبطبيعة الحال كلهم كانوا يحتاجون للمؤونة ويد المساعدة والدعم

¹ . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, p.214

² . عبد القادر خليف، *المقاومة الشعبية...*، المرجع السابق، ص 102، 117

³ . من عبد الله بن سالم، رسالة إلى القبطان بنصار حاكم مكتب البيض، ب ت، أرشيف المكتب العربي بالبيض، رمز غلبة الأرشيف: 33JJ GGA، أرشيف ANOM

⁴ . من سليمان ولد حمو عمرو قايد الشلالة الظهرانية، رسالة إلى حاكم البيض، 29 ماي 1886، المصدر السابق

⁵ . من قايد عرش أولاد سيد أحمد المجدوب، رسالة إلى الكومندار حاكم دائرة البيض، 27 جوان 1890، المصدر السابق

الشعبي من قصور دلدول خاصة وتوات عامة؛ وبطبيعة الحال فإن ذلك الدعم والاحتضان الشعبي كان وراءه الطابع الرسمي، من خلال جماعة دلدول وسلطتها وإمكانياتها، فعلاقة الشيخ بوعمامة آنذاك بقائد جماعة دلدول الحاج امير بن الحاج أحمد كانت علاقة وطيدة وقوية، ساهم من خلالها هذا القائد وعائلته والأعيان في دعم بوعمامة سياسياً واجتماعياً ومادياً، خاصة أنه كان شخصية ثرية ببساتينه ووفرة أملاكه ومياهه، وعلاقاته القوية مع القبائل والقياد بلغت كافة أرجاء منطقة توات وأولاد سيدي الشيخ وحتى المغرب؛ ناهيك أن الحاكم العام (تيرمان) اعترف سنة 1890 أن سكان قورارة وأوقروت كانوا يقدمون للشيخ بوعمامة الغفار دورياً¹.

وقد خدّ الشاعر الشعبي محمد بلخير وهو رفيق درب الشيخ بوعمامة، تلك اللحمة والعلاقة بين الضيف والمضيف فقال:

احنا مجاهدين ما هو قول ضعيف

تبّعنا ما قال ربي في القرآن

واحنا فزنا على العرب جيد واشريف

وافرح بينا الهاشمي شارع الاديان

ثم يضيف:

كذا من حد تنصره يصبح سلطان

رجال الله من توات إلى سطيف

رضوا على الشيخ سقام الفرسان²

ولما تعرضت زاوية الشيخ بوعمامة لحريق كبير سنة 1885م وقيل أنها تعرضت لحريقين، ساهم

¹ . لويس تيرمان، رسالة من الحاكم العام لوزير الداخلية بخصوص مقترح للتخلص من الشيخ بوعمامة، بتاريخ: 19 نوفمبر 1890، المصدر السابق

² . عربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، دار المعرفة، الجزائر 2006، ص ص 245، 246

سكان دلدول في إعادة إعمار وإحياء الزاوية والزمالة، حيث يذكر محمدي محمد بن عبد السلام ابن أخ قايد دلدول أن جماعة دلدول اتفقوا على أن يجمعوا "فريضة" من المال والقمح عوناً للشيخ بوعمامة، وعن كل قبيلة وقصر من دلدول كلفوا مسؤولاً لتلك المهمة، حتى أن القايد في دلدول فرض الأمر بالقوة على الجميع¹؛ وعن هذا الحريق الذي ضرب زاوية الشيخ بوعمامة حينذاك يذكر أحد الرواة في مدينة الأبيض سيدي الشيخ (الزاوي محمد الطيب بن الشيخ من مواليد 1941) أن الشيخ بوعمامة كان ينظر للمؤونة والخيام وكل الطعام المحترق بكل هدوء وطمأنينة، وهو يردد "لقد قبله رب العالمين دون أن نتعب عليه ونعطيه"، ثم جاء كل أهل دلدول وقورارة وجددوا له كل شيء بشكل آخر².

وحول سؤال في إطار مقابلاتنا الشفوية: هل كان حريق زاوية الشيخ بوعمامة مفتعلاً بفعل فاعل؟؟ فكانت الإجابة أن الحريق كان مجرد خطأ بشري ساعدت فيه الرياح كظاهرة طبيعية، وأن وجوده آنذاك بين جماعة دلدول كان مؤمناً ومحمياً بسمعة وقوة دلدول في منطقة توات، وأن القبائل والقيادات والشخصيات التي كانت تشكل سلطة جماعة دلدول كانت معروفة بالقوة والنفوذ محلياً وجواريماً، فلم يكن بإمكان أيأ كان أن يستهدف الشيخ بوعمامة وهو بين ظهرانيتهم³. وقد أشرنا سابقاً إلى أنه حقاً واحة دلدول كانت تقري فريها في القوة والشدة، إلى درجة أنها عرفت انتفاضةً ضد المخزن سنة 1711م وخاصةً من أولاد محمد وأولاد عبد المولى وغيرهم، وأن سلطتها كانت تضم حتى قصر اعبود من أوقروت وكبرتن وأوفران من خارج دلدول.

3-3- دور الشيخ بوعمامة في المنطقة:

¹ . محمدي محمد بن عبد السلام، ابن أخ قايد دلدول، 75 سنة بتاريخ تسجيل الشهادة، حول حريق زاوية الشيخ بوعمامة في دلدول، مقابلة شخصية عن طريق د. عبد القادر خليفي، أولاد عبو دلدول 1994/12/28، تم الاستلام في 2023/03/16 khelifi.abd2009@yahoo.fr

² . عبد القادر خليفي، الماثور الشعبي لحركة الشيخ بوعمامة، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة وهران 2001، ص 591

³ . عبد السلام بلخير، الشهادة نفسها

في لدول كان الشيخ بوعمامة يمارس طريقته الصوفية الشيعية البوعمامية¹، معلماً للقرآن الكريم وقواعد الشريعة الإسلامية، مقدماً تعاليم طريقته إلى كل ذوي النوايا الحسنة بشخصيته القوية المتميزة بالزهد والتقوى، وكان الزوار يقصدونه لرؤيته وللنهل من تعليمه وطعامه²، ففي زاويته تلك كان يُطعم الطعام ويجمع حوله الأنصار والمريدين، حيث كان الناس كل خميس من الأسبوع يأتون إليه من كل القصور يرددون عبارات التهليل والأذكار والأوراد، وهي من شروط الجلوس عنده والأكل في زاويته، وفي تلك الفترة اخضرت أرض لدول وأينعت ببركته وتأثيره الروحي (أو هكذا يعتقد الناس في لدول)، وكان يقيم جلسات ذكر ودروس دينية ينصح فيها الناس ويعظهم في أمور الدين والدنيا، ومما يروى عنه أنه كان يحذرهم من الفرنسيين بقوله مثلاً "اياكم والكافرين لا يغروكم..."³.

والواقع أن شخصية بوعمامة الصوفية لم يتخلى من خلالها عن دوره الروحي الذي وظفه في تعليم الناس مبادئ طريقته وفي نفس الوقت مستهضاً وملهماً لهم ضد الفرنسيين، فلم يكن التجاهل إلى تواتر يعني العزلة ونهاية نشاطه ونضاله، وإنما كان الغرض منه تنظيم الصفوف والاستعداد من جديد لاستئناف حركته، وقد شجعه على ذلك ما لقيه من احتضان شعبي ودعم، تنافست فيه تواتر وتيديكلت وقورارة وحتى قبائل البرابر بتافيلالت جنوب المغرب، على استقباله وتأييده والتردد عليه طيلة تلك الفترة⁴، وهذا ما صنفه عبد الحميد زوزو ضمن الجانب السياسي والروحي لثورة بوعمامة خلال

1908-1883.

¹ . الطريقة البوعمامية أو الإيمانية: يصفها بعض الباحثين بأنها مزيج بين الطريقة الشيعية والطريقة الطيبية، ويضيف الضابط الفرنسي دوفريي بأن طريقة بوعمامة تتشابه مع الطريقة السنوسية أيضاً، وقيل أن بوعمامة أدخل تعديلات طفيفة على طريقة أجداده الشيعية الشاذلية فسميت باسمه، وانتشرت في الجنوب وغرب الهضاب العليا وعلى المناطق الحدودية بين الجزائر والمغرب، بل ووصلت حتى تركيا والسودان وبعض البلدان الآسيوية، واستندت مبادئها على القرآن والسنة، كما تميزت برفض النزاعات بين الطرق الصوفية، ورفض مفهوم البركة الوراثية، وأن لكل فرد بركته حسب عمله وتقواه. ينظر: قوراري عيسى، دور الطريقة العمامية أو الإيمانية في مقاومة الشيخ بوعمامة، الملتقى الدولي 11 التصوف في الاسلام والتحديات المعاصرة، جامعة أحمد درايعية أدرار، من 9-11 نوفمبر 2008، ص ص 499، 500.

² . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, p.214

³ . طلباوي عبد الحي بن محمد، نقلاً عن والده سي محمد بن أحمد (1873-1968)، الشهادة نفسها

⁴ . عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة...، ج2، المرجع السابق، ص 16

كما كان للشيخ بوعمامة أيضاً أدواراً اجتماعية واقتصادية، فقد كانت له تحركات بين قصور المنطقة وصل فيها حتى إلى تيلكوزة بناحية تينركوك، عقد هناك صلحاً مع الخنافسة برفقة دوي منيع¹، وورد عبر بريد لقائد البكاكرة وقائد أولاد منصور بتاريخ 03 مارس 1888 خبراً يتسائل فيه حاكم البيض جيريفيل عن صحة معلومة تقول بأن الشيخ بوعمامة حاول الصلح بين خنافسة أوقروت وجماعة دلدول لما اعتدى الخنافسة على نخيل دلدول وسعى الآخرون للرد والانتقام²؛ كما لعب أيضاً دوراً في توحيد الشعانبة والطوارق والصلح بينهما سنة 1891م³، كما وجدنا في أرشيف المكتب العربي بدائرة البيض رسالة ورد فيها أن الشيخ بوعمامة نزل في 1892 غرب بني عباس وبالضبط في مكان يسمى حاسي الجديد، ليصلح بين دوي منيع وأولاد جرير⁴. ونظراً لتأثيره ومكانته فقد توسط به أهل تيديكلت في حادثة مقتل (بالات) سنة 1886 حيث أعطاه الحاج عبد القادر باجودة ساعة مارسيل بالات الثمينة، والذي بدوره أرسلها إلى حاكم عين الصفراء⁵.

وكان مجيئه إلى دلدول متزامناً مع فترة قصيرة من أحداث غزو تعرضت لها من برابرة الجنوب المغربي، حيث خلفوا فيها بعض الخسائر والأضرار، فكان له دور بوجوده في استتباب الأمن والتواصل في حالات النزاعات والفتن المحلية، ناهيك على أنه وجد بعض آبار الفقارات في دلدول قد جفت وتوقفت عن الجريان، فدرس وضعيتها وأعاد حفرها من جديد، في جو مهيب من الدعاء والطقوس الصوفية التي كان يمارسها⁶، وهذه القصة تشهد عليها حتى الروايات الشفوية بالمنطقة،

¹ من مولاي عبد الله بن سالم، رسالة إلى الجنرال حاكم دائرة البيض وإلى القبطان بنصار حاكم مكتب البيض، ب ت، أرشيف المكتب العربي بالبيض، رمز علبة الأرشيف: GGA 33JJ 3، أرشيف ANOM. ينظر الملحق 44 ص 432

² بوعمامة ولد محمد بكاري والحاج الحبيب ولد المبخوت، يفتقر رسائل البراوات لكافة قياد حميان شافع (10 فيفري 1888-11 أبريل 1889)، بريد بتاريخ 03 مارس 1888، أرشيف مكتب المشربة، رمز علبة الأرشيف: GGA 35JJ 50، أرشيف ANOM

³ عبد القادر خليف، المقاومة الشعبية...، المرجع السابق، ص 120

⁴ من قايد الشلالة الظهرانية، رسالة إلى الكومندار سيربور حاكم البيض، 26 أكتوبر 1892، أرشيف مكتب البيض، رمز علبة الأرشيف: GGA 33JJ 3، أرشيف ANOM

⁵ رسالة من سليمان ولد حمو عمرو قايد الشلالة الظهرانية إلى حاكم البيض، 29 ماي 1886، المصدر السابق

⁶ Marcel Palat, *Journal de Route et Correspondence...*, Op.Cit, pp.244, 245

حيث يُروى أنه نصح الناس في دلدول وخاصةً أصحاب فقارة "أمراج"¹ بتفريع مسارها إلى فرعين، فرع يمر على قصر أورير إلى غاية البور بين إقسطن وأقبور، والفرع الذي يصب في قصر أولاد عبو والواحات المحيطة به².

ورغم أن النشاط السياسي والروحي للشيخ بوعمامة كان السمة البارزة في وجوده بأرض توات ما بين 1883-1894، إلا أنه لم يتخلّى عن الجانب العسكري في حركته، حيث كان يُعلم الناس في دلدول الرماية بالبنادق حتى لغير المجندين في صفوف جيشه، وقد خصص لذلك الغرض مكاناً محدداً في البطحاء المحيطة بقصر أولاد عبو كان يسمى "حفرة بوقاس"، حتى أن ابنه المولود في دلدول "سيد السهلي" توفي بمسدس أبيه وهو يعبث به ودُفن في مقبرة القصر³، وفي هذا السياق تتوافق الرواية الشفوية مع المصادر المكتوبة، حيث ورد في رسالة مؤرخة في 1890 خبراً من صاحب الرسالة يقول للمرسل إليه: "تعلمك بولد بوعمامة الصغير مات وهو يلعب بالكبوس"⁴، كما ذكر (بالات) بأنه حينما كان في قصر سموطة أواخر سنة 1885 علّم أن الشيخ بوعمامة في دلدول كان يتهيء للحرب، وأنه كانت له 80 جملاً محملة بالبارود، وأنه كان يومياً يذيب الرصاص ويصنع البارود في مقر إقامته هناك⁵.

كما أنه جند في دلدول عدداً من مناصريه وأعاد تجديد جيشه من دوي منيع والغنامة والشعانية وأولاد جرير وأولاد سيد الشيخ الغرابية والمهاية، ثم كان يبعث بالسرايا ويقوم بالكمائ للقوافل الفرنسية والمتعاونين معها، ويذكر رواة دلدول أنه شارك بنفسه في إحدى الخرجات سنة 1886 جرح فيها

¹ . أمراج: أكبر فقارة في دلدول وتصب في قصور أولاد عبو وأورير والمنصور، وهي الفقارة التي كان يسكن الشيخ بوعمامة بمحاذاتها.

² . وقال الشيخ بوعمامة عن فكرته إذا طبقت "عمرو دلدول ما يخلّى". من رواية: بولاه الحاج عبد الله، الشهادة نفسها

³ . بولاه الحاج عبد الله، الشهادة نفسها

⁴ . من الخليفة بن عامر، رسالة إلى الكومندار سبريور حاكم البيض، أوت 1890، أرشيف مكتب البيض، رمز علبة الأرشيف: GGA 33JJ، أرشيف ANOM

⁵ . Marcel Palat, *Journal de Route et Correspondence...*, Op.Cit, p.245

وأصيب فرسه الذي كان يسميه المجاهد، ومن حبه له كَفَنَه ودفنه مثل البشر¹، وربما هذا ما كُتِبَ عنه في متحف قلعة الشيخ بوعمامة بمغرار التحتاني أنها معركة دلدول 1886 (بمعنى انطلاقاً من دلدول وليس فيها)، ومعركة أفلو وجنين بورزق في 1889م².

والثابت أن القبائل الموالية للشيخ بوعمامة في توات وتيديكلت والشعانية والطوارق بدأوا يستهدفون المراكز والحصون الفرنسية، وكذا القوافل التجارية والموالين لفرنسا، وكانت انطلاقاً هذه الهجومات من توات وتوجيه وتنظيم من طرف الشيخ بوعمامة نفسه، لكن تبقى قضية مشاركته فيها تتقاذفها الألسن وغير دقيقة؛ ومن تلك الحوادث: أنه في سنة 1886 نظم أولاد المولات غزوة من توات ضد بعض القبائل الموالية لفرنسا جنوب مغرار، وفي 1887 إغارة للطوارق والشعانية³.

وكانت هجومات أتباع الشيخ بوعمامة أكثر جرأة منذ أن نصبت فرنسا شبكة أبراجها الدفاعية في الصحراء، ومن هؤلاء أولاد بوخشبة⁴ الذين لم تحصى عدد عملياتهم وأصبحت لهم شهرة واسعة في الجنوب الجزائري، ومن معاركهم معركة "مالح القبول" سنة 1893 أين اشتبك منهم 30 فرداً مع قومية توقرت وقتلوا فيهم 18 رجلاً، وفي 1894 كانت 4 غزوات استولت على 650 جملاً، وانطلقت الغزوة الخامسة من قورارة لتهاجم فيلقاً فرنسياً شرق برج (مكماهون) وقتلوا منه 5 رجال⁵، ولعلها نفس الإغارة على قافلة التموين الفرنسية في حاسي بوخفوس 45 كلم شمال شرق حصن (مكماهون) قرب المنيعية، والتي قد أخبر فيها المهاجمون مرشدي القافلة بأنهم يعملون لصالح بوعمامة، وخلفت مقتل 5 جنود في

¹ عبد القادر خليف، المقاومة...، المرجع السابق، ص 101، 92

² متحف قلعة الشيخ بوعمامة، مغرار التحتاني، النعامة 2022/12/10، زيارة شخصية

³ La Croix et de la Martinière, "Documents Pour Servir a l'étude du Nord Ouest African", T.2, Éditeur: **Gouvernement Général de l'Algérie**, service des affaires indigènes, Alger 1897, pp.142,143

⁴ أولاد بوخشبة: فرع من هذه العائلة لا يزال يسكن في قصر أولاد عبو بدلدول، ويبدو أنهم لم يرحلوا مع الشيخ بوعمامة بعد سنة 1894، بل ونجد أنهم استمروا في هجوماتهم على الفرنسيين وأعوانهم انطلاقاً من وجودهم بالمنطقة.

⁵ A.G.P Martin, **Quatres Siècles...**, Op.Cit, p.284

القافلة الفرنسية، و 10 قتلى من الشعانبة أنصار بوعمامة¹.

ويعترف الفرنسيون بأن الشيخ بوعمامة في سنة 1890 كان لا يزال متواجداً في قورارة، وأن تلك الهجمات المتكررة على قوافلهم ومراكزهم كانت مرتبطة بوجوده هناك، وأن المتواجدين معه كانوا لاجئين ساخطين ومعادين لفرنسا، وذلك كان مصدر تهديد دائم للفرنسيين في مراكزهم وتحركاتهم وأعاونهم بالمناطق الجنوبية². ومن المعارك التي تُنسب للشيخ بوعمامة وقيل أنها وقعت بين تينركوك والبيض، معركة حاسي الشيخ بين قورارة والمنيع³، ويذكر المجاهد الحاج الدين سليمان أن الشيخ بوعمامة حتى عند خروجه من المنطقة اصطدم مع الفرنسيين في معركة بالعرق الغربي الكبير في مكان يسمى "اعريس سيدي بوعمامة"، وذكر أنه وقف على المكان بنفسه فوجد فيه مقبرة للشهداء لا تزال قائمة⁴.

أما سياسياً فحدث ولا حرج، حيث صارت لدول أشبه بعاصمة من خلال مراسلاته والبعثات التي كانت تقد عليه، فما إن استقر في قورارة حتى عمل على التواصل المستمر بمنطقة فيقيق ووجدة، واهتم أيضاً بمراسلة جميع الجهات والقبائل في المناطق الأخرى، حيث كانت سنة 1888 عام انبعاث حاول خلاله إيصال نفوذه حتى إلى الجنوب المغربي والجنوب الجزائري الأوسط، فراسل الشعانبة قبيلةً وقياداً وتواصل مع أبناء عمومته رغم التوتر بينهم مثل سي قدور بن حمزة، وشيئاً فشيئاً بدأ نفوذه يزداد في أوساط الشعانبة والطرافي وحميان وأولاد سيدي الشيخ الشراقة، ثم وصل بعلاقاته حتى إلى الطوارق ودوي منيع وأولاد جرير، وكلهم عبروا له عن استعدادهم للالتحاق به في الوقت المناسب⁵.

¹ الشيخ لكل، مقاومة منطقة متليلي...، المرجع السابق، ص ص 256، 257.

² . La Croix et de la Martinière, "Documents Pour Servir a l'étude du Nord Ouest African", T.2, Op.Cit, pp.139-141

³ . في هذا السياق يرجح الشيخ مولاي غيتاوي أن اسم "حاسي الشيخ" نسبةً للشيخ بوعمامة. مولاي التهامي غيتاوي، لفت الأنظار...، المرجع السابق، ص 86

⁴ . محمد بن محمد السالم امحمدي، دور رجال زوايا قورارة...، المرجع السابق، ص 50

⁵ . عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة، ج2، المرجع السابق، ص ص 16-18

تلك الاستجابة التي تلقاها الشيخ بوعمامة من القبائل الصحراوية جعلت منه قطباً رانياً تلقى من خلالها تقدير أشرف تافيلالت واعتراف المخزن به، ولم يقدر حينها حتى غريمه سي قدور بن حمزة على منازعته في النفوذ، ولا حتى سي محمد بن العربي شيخ المداغرة الذي تخلت عنه قبائل البرابر وطلبت في المقابل رئاسة بوعمامة¹. وقد صوّر الشاعر سيد المهناي تلك اللحمة بين الشيخ بوعمامة والقبائل في دلدول، فقال:

ايجوه الواردين من بر السودان *** وتجي لركاب من اطرافي وزيادي

ويجوه الزايرين من عرش حميان *** وتجي لعمور لشيخه كلش مهدي

وتجي الشعانية كي الشايب والشبان *** أهل النية داك جايل ودا غادي

جا المنيعي والجريري والعطوان *** وتجي لركاب شامي أو بغدادي²

تلك التحركات العلاقاتية الكثيفة للشيخ بوعمامة ساوم بتأثيرها مع الفرنسيين، فتبادل معهم أيضاً المراسلات بكل حنكة ودبلوماسية مثيرة للاهتمام، فقد وظف في تواصله معهم ما عُرف بطلب الأمان مع الحكام العسكريين والمدنيين تارةً، ومع وزير الحرب ورئيس الجمهورية تارةً أخرى، ولم يكن يقصد بوعمامة بطلب الأمان "الخضوع أو الاستسلام" كما ظنت فرنسا، وإنما كان يسعى لنيل الاعتراف به من جهة، وللضغط على السلطة المباشرة في الجزائر وفرنسا من جهة أخرى، كأسلوب ذكي ومراوغ للإبقاء على الحوار بينهما، وفي نفس الوقت التحضير في توات وإعادة بناء زمالته وحركته³.

وعن تواصل الفرنسيين معه، هناك من يرى أن زيارة الرحالة الفرنسي (مارسيل بالات) إلى دلدول مطلع سنة 1886 كان في هذا السياق، فقد بقي هذا الرحالة في دلدول أسبوعاً كاملاً تحت ضيافة الشيخ بوعمامة قبل أن يغادرها نحو أوقروت ثم مروراً بهضبة تادمايت، التي قُتل فيها قرب

1. عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة، ج2، المرجع السابق، ص ص 16-18

2. الشيخ لكحل، مقاومة منطقة متليلي...، المرجع السابق، ص ص 246، 247

3. عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة، ج2، المرجع السابق، ص 15

حاسي حتى يوم 21 فيفري 1886 على يد رجلين من جهة تيديكلت¹؛ وقُتل معه أيضاً مرافقه ومترجمه بلقاسم أما خادمه المسمى الفراجي فقد كان الناجي الوحيد، والذي ذكر أن (بالات) تلقى معاملة حسنة في لدول من طرف الشيخ بوعمامة².

ورغم أن فرنسا الاستعمارية قد تقطعت لحيلة مراسلات الشيخ بوعمامة، إلا أنها دقت ناقوس الخطر من دوره وعلاقاته المنطلقة من توات، فقد جاء في مراسلة وزير الحربية بباريس بتاريخ 17 فيفري 1891 تحذيره من تحالفات قبائل الجنوب مع الثائر بوعمامة، مما جعلها تتحرك لإنشاء مراكز عسكرية قرب المنيع، كما حاول الفرنسيين توظيف سي قدور بن حمزة للتفاوض مع بوعمامة³، حينها زار الحاكم العام الفرنسي (جول كامبون) المنيع سنة 1892 مرفوقاً بالجنرال (ثوماسين) وسي قدور والآغا لخضر وسي حمزة⁴، وفي نفس الوقت أرسلت مبعوثها الحاج علي بوطالب قادماً من طنجة وزار بوعمامة في لدول، عارضاً عليه وثيقة الأمان التي وقعها نائب الدولة الفرنسية (سوهار F.Souhart) مطلع سنة 1892م⁵.

وقد ذكرت التقارير الصحفية الفرنسية أن زيارة (كامبون) للجنوب كانت على ذلك الأساس، فقد كان الحاكم العام للجزائر يساير السياسة العامة لحكومة باريس، والتي أرسلت عبر وزير الخارجية إلى المقيم العام في طنجة تفويضاً لإعطاء الأمان لبوعمامة لينتقل إلى المخيم الذي أُعد له على بعد 80 كلم جنوب غرب المنيع، وكان الشيخ بوعمامة قد خرج من لدول واقترب بالفعل من المنيع⁶، لكنه

¹ . L.Voinot, *Le Tidikelt*, Op.Cit, p.84

² . Auguste Terrier, *dans Les Oasis du Touat*, Op.Cit, p.419

³ . في حين يذكر تيرمان سنة 1890 أن سي قدور بن حمزة والآغا سي الدين وعدا بالقبض على بوعمامة حياً أو ميتاً وتسليمه للفرنسيين، وأنه عندهما 200 فارس وبطلون من أجل التنفيذ 100 فارس للدعم من أولاد يعقوب الزرارة من ملحقة أفلو أتباعهم والسماح بإعطاء الأمان للشعائبة من حوله، وأن الفرنسيين كانوا يخشون فشلها وتغير موقف الأهالي منها. ينظر: لويس تيرمان، رسالة من الحاكم العام لوزير الداخلية بخصوص مقترح للتخلص من الشيخ بوعمامة، بتاريخ: 19 نوفمبر 1890، المصدر السابق

⁴ . الشيخ لكحل، *مقاومة منطقة متليلي...*، المرجع السابق، ص ص 247، 248

⁵ . عبد الحميد زوزو، *ثورة بوعمامة*، ج2، المرجع السابق، ص 11

⁶ . Hébrard Adrien, *"Affaires Coloniales Algérie"*, *Le Temps*, N° 11265, Paris 24/03/1892

تراجع قبل وصوله إليها ببضع عشرات الكيلومترات بعدما شم رائحة الغدر وبعض الأخبار التي وصلتته عن حبس مبعوثه إلى حاكم غرداية، وفي هذا السياق قال السيد (لاقاديك Lagadec) محلل بصحيفة الأخبار: "الشعب لم يجد ما يفسر به رفض المحادثات مع بوعمامة، وحسب وجهة نظري لو تصرفت السلطات بشكل مختلف، لكننا اليوم أسياداً على توات بدون أية طققة رصاص..."¹؛ وعلى هذا الأساس يقول عبد الحميد زوزو أن الشيخ بوعمامة التفت للتفاوض مع المخزن، لكن دون رفض نهائي للمبادرات الفرنسية من باب المساومة والمناورة.

وكانت علاقة الشيخ بوعمامة مع المخزن باردة نوعاً ما، خاصةً بعد التضيق عليه في فيقيق وطرده بشكل رسمي سنة 1883، لكن يبدو أنها خفّت شيئاً ما خاصةً أن الحسن الأول راسل الشيخ بوعمامة وهو في لدول، أكد له فيها أنه مستعداً لحمايته بشرط هدوءه وألا يقوم بأي ثورة ضد الفرنسيين، وفي نفس الوقت طلب من أهل توات عدم إثارة المشاكل مع الفرنسيين². والغريب مدى التناقض الذي كان يتعامل به المخزن مع الشيخ بوعمامة، حيث كشفت مراسلة من الحاكم العام الفرنسي (تيرمان) إلى وزير الداخلية بتاريخ 23 فيفري 1891: أن السلطان الحسن الأول بعث برسالة إلى أهل قورارة يطالبهم فيها بطرد بوعمامة، ورسالة أخرى إلى الشيخ بوعمامة عبر عامله على فيقيق³، وفي 1892 وصلت فعلاً رسالة ملكية تعرض على الشيخ بوعمامة مغادرة توات والعودة إلى حيث كانت زاويته في مغلر التحتاني⁴.

ومن خلال ما رأينا من تلك المراسلات ونشاط الشيخ بوعمامة في توات، فقد أدرك الفرنسيين والمخزن العلوي سنة 1892 مدى نفوذ وتأثير الشيخ بوعمامة في الصحراء، فسعى كلا الطرفين لكسبه والتواصل معه في إطار تنافسهما حول رغبتهما التوسعية في المناطق الجنوبية، فالقصر المغربي كان

¹ . عبد الكريم طهيري، "دور المراسلات..."، المرجع السابق، ص 282، 283.

² . أحمد العماري، توات في مشروع...، المرجع السابق، ص 68.

³ . عبد الكريم طهيري، "دور المراسلات..."، المرجع السابق، ص ص 284، 285.

⁴ . عبد القادر خليف، المقاومة الشعبية...، المرجع السابق، ص 121.

يريد مدافعاً عن منطقة توات باسمه؛ فوقع الشيخ بوعمامة حينها في مفترق طرق بين ثلاث خيارات: وثيقة الأمان لدى الطرف الفرنسي، أو عرض المخزن الذي يسمح له بالعودة إلى مغرار وفيقيق، أو رغبة أهل توات بالبقاء بينهم معزلاً مكرماً؛ فجرب التفاوض مع الفرنسيين دون أن يثق فيهم أو يتخلّى عن مبادرتهم، ثم اختار العرض المغربي بحكم أن المخزن العلوي كان الدولة الإسلامية الوحيدة المجاورة له¹، وربما كذلك حيناً منه لزأوبته ولقصر فيقيق.

4- مغادرة الشيخ بوعمامة لمنطقة توات:

لعل اقتراب الاحتلال الفرنسي من قاعدته الخلفية في دلدول كان من أهم دوافع رحيل الشيخ بوعمامة عن المنطقة، وخاصةً أن الفرنسيين أنشأوا بجواره مراكزهم العسكرية في كل من البيّض وجنين بورزق والمنيعّة، وبدأوا في مد الخط الحديدي من عين الصفراء نحو أقاصي الجنوب، والأدهى من ذلك أن مفاوضاتهم معه كانت عبثية وهو الذي كان في مطلع 1892 على بعد 150 كلم من المنيعّة من أجل ملاقة الحاكم العام الفرنسي الذي زارها آنذاك، هذا الأخير اصطحب معه بعض الأعيان من أولاد سيدي الشيخ المناوئين للشيخ بوعمامة، وكان بوعمامة أيضاً قد أرسل في نفس السياق موفده إلى الحاكم العسكري بغرداية طلباً للأمان إلا أنه اعتُقل، فنظراً لكل هذه الظروف والأحداث عاد الشيخ بوعمامة أدراجه إلى دلدول متيقناً من عبث الفرنسيين ولم ينجح اللقاء والتفاوض الرسمي بينهما، ثم سرعان ما كشفت الصحافة الفرنسية أن السلطات العسكرية كانت تسعى لاختطاف أو اغتيال الشيخ بوعمامة، على عكس إرادة السلطات الفرنسية المدنية.

تلك الدوافع والظروف لم تثني الشيخ بوعمامة عن مواصلة التواصل والتراسل مع الفرنسيين، لكنه بالفعل التفت إلى الطرح المغربي المنافس والذي تلقى من خلاله اقتراحاً يسمح له بالعودة إلى فيقيق وإعادة بناء زأوبته هناك، مقابل الانسحاب من منطقة توات التي كان يرى المخزن وجوده فيها قد

¹ . عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة، ج2، المرجع السابق، ص ص 18، 19

يكون مدعاةً للاحتلال الفرنسي للزحف نحوها¹، ورغم التحفيزات الفرنسية الممنوحة للشيخ بوعمامة بعد فشل التفاوض إلا أنه بدأ جمع زمالته مفضلاً اللجوء إلى التراب المغربي²، وفي نفس الوقت بدأ المخزن يرسل قصور المنطقة عارضاً عليهم الانتماء إلى سلطته بمجموعة قرارات ومبعوثين وتعيينات للموالين له وكثف تلك العملية سنة 1892، وقد فهم الشيخ بوعمامة أن كل تلك الأحداث والظروف المتسارعة تحرض على الانفجار في آن واحد³، فقرر الانسحاب من المنطقة تفادياً لأي انزلاقات وحمايةً للمنطقة ولزمالته من تشتيت أهدافها.

ولما قرر بوعمامة مغادرة لدلول تألم الناس كثيراً وترجوه البقاء معهم معزراً مكرماً، داعمين له كما السابق في السراء والضراء⁴، لكنه رفض البقاء حباً فيهم مبرراً ذلك على أساس احتمال وصول الفرنسيين وأنه لا يرغب في مواجهتها على الأرض التي دعمته وآوته، لكي يجنبها خسائراً جسيمة قد يدفع فيها أهل لدلول الثمن الذي لا يقبله لهم، ويضيف محدثي والذي -رحمه الله- وهو الذي سمع عن جده علال بن محمد الشيخ (هذا الأخير كان صديقاً للشيخ بوعمامة)، فيقول: "قال الشيخ بوعمامة للناس: فرنسا قادمة، وأنا لا أقبل ملاقاتها هنا..."، لكن بالمقابل أوصاهم بخليفته الذي تركه بينهم وهو مولاي امحمد بن دغرة⁵. ففهم الناس أن رحيله كان مضطراً فيه كرد جميل وعربون مودة للمنطقة التي آوته عقداً من الزمن.

ومما يُروى في الموروث الشفوي بقصور لدلول أن الشيخ بوعمامة في يوم مغادرته للمنطقة من

1. عبد القادر خليفي، المقاومة الشعبية...، المرجع السابق، ص 121

2. الشيخ لكحل، مقاومة منطقة متليلي...، المرجع السابق، ص 250

3. عبد الكريم طهيري، مرحلة لجوء...، المرجع السابق، ص 534

4. عبد القادر خليفي، المقاومة الشعبية...، المرجع السابق، ص 123

5. طهيري الحاج أحمد الشيخ (1938-2006)، من أعيان قصر أقبور ولدلول، شهادة حول الشيخ بوعمامة، أقبور لدلول 2004/03/30، مقابلة شخصية، ومولاي امحمد بن دغرة شخصية مغربية غامضة التحق بالشيخ بوعمامة في لدلول وصار من المقربين منه، بقي في المنطقة إلى غاية وفاته سنة 1967، عاش طيلة تلك الفترة بين ظهراي الناس بين قصري أولاد عبو وأقبور، وكان صديقه المقرب منه سي امحمد بن الشيخ طهيري، كما كان معروفاً في لدلول بكراماته وعصيانته للفرنسيين، لم يتزوج قط وعاش أكثر من قرن وتوفي ودفن في لدلول، ولا تزال تقام له وعدة سنوية إلى اليوم. المرجع: الموروث الشفوي في لدلول مثل ما ذكره طهيري الحاج أحمد الشيخ، وطلبواي الحاج عبد الحي، وبولاه الحاج عبد الله وغيرهم.

سنة 1894، خرج غرباً في موكبه والناس تتبعه وتشيع ناظريها منه حتى آخر نخلة بين بور لدول وقصر أولاد راشد، والمسار هذا يؤدي إلى وادي زوزفانة عبر الساوره، في تلك اللحظات الجياشة توقف الشيخ بوعمامة ملتفتاً إلى الناس راسماً خطأً بعصاه ترجاهم ألا يتجاوزوه، ثم دعا لهم بالخير وبما فاضت به قريحته وما عُرف عنه من أوراده وأذكاره، ثم قرأ معهم الفاتحة واستودعهم الله¹. ومن خلال تلك الروايات أيضاً يضيف الباحث عبد الرحمن الضب، أن أهل لدول في تلك الوداعية المؤثرة بكوه وناشدوه بدعواتهم وأشعارهم، مرددين وراء موكبه:

الشيخ بوعمامة يا سيدي وين راك رايح... ولّي في حالك
بجاه الصبيان ومسورطة اللي يقرأو القرآن... ولّي لبلادك
بجاه الشبيان والنسا دوك الحاملات... اقعد لينا في حالك
ستين رابطة والمجروح بلا عداد... والمهدي يشرح فيها
في واد بوجردة نمشي ما نخاف... ندي زادي وزنادي
كمية نشدها وتساررو من نحاس... بارودو جا من مصر
الشيخ بوعمامة يا سيدي وين راك رايح... ولّي في حالك²

ومن خلال اطلاعنا على بعض المراسلات المتبادلة من وإلى الشيخ بوعمامة يبدو أنه لم يستعجل الوصول إلى فيقيق، بل كان يعتمد التباطؤ في مسيره مروراً ببعض قبائل وقصور منطقة الساوره ووادي زوزفانة، حتى أن خروجه من لدول كان في شتاء سنة 1894 ووصله إلى ناحية بني ونيف كان في شهر سبتمبر 1894، وخلال تلك الفترة والرحلة تدعم موقفه دولياً حيث تشير تقارير الحاكم العسكري بوهرا ما بين فيفري وأبريل 1894، أن السلطنة العثمانية والمخزن بما فيه حاكم

¹ . الرواية يذكرها ناس قصر أولاد عبو كثيراً، ومنهم بولاه الحاج عبد الله وعبد السلام الحاج أحمد وغيرهما.
² . طهيري عبد الكريم، مرحلة لجوء الشيخ بوعمامة...، المرجع السابق، ص ص 535، 536.

تأفيلت اعترفوا له بمشيخته على الصحراء كخليفة لسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه¹. وكان بقاءه في المنطقة الممتدة بين بني ونيف وفيقيق في غاية الحذر والترقب مع فرنسا، ولم يتردد في قيامه ببعض المناوشات معها من حينٍ لآخر، مما جعل فرنسا تسعى للضغط مرة أخرى على المخزن للوقوف ضده وعدم استقباله².

في تلك الفترة والرحلة والمناوشات فيها بين الشيخ بوعمامة وفرنسا والموالين لها، وفي ترقبه وحذره من تغيير موقف المخزن من عرضه خاصةً بعد الوفاة المفاجئة للسلطان الحسن الأول سنة 1894، لم يتردد الشيخ بوعمامة في مراسلة أهل توات وخاصةً لدول من باب السؤال عن أحوالهم والحنين إليهم، حيث نجده مثلاً في رسالة غير مؤرخة يوجهها لأعيان جماعة لدول، يسأل عن أحوالهم ويخبرهم بتطورات أحداث المغرب وإسبانيا وفرنسا³، ورسالة أخرى مؤرخة بسنة 1900 يذكر فيها نفس الأسماء عن جماعة لدول⁴، بل وحتى في مراسلاته مع أعوان فرنسا كأنه يبدي فيها نوعاً من الندم على رحيله عن توات، حيث نجد في رسالة له إلى الوالي العام الفرنسي بتاريخ 28 رمضان 1311هـ / 04 أبريل 1894م، يجدد فيها طلبه للأمان من خلال وساطة الحاج علي بوطالب، ويضيف: "لولا كتابكم الذي أتاني من طنجة لا رحلت من توات (لعله يقصد ما رحلت)..."⁵.

ومنه نستنتج أن توات كانت لا تزال عالقة في ذهن الشيخ بوعمامة بما وفرت له من دعم واحتضان شعبي، بل حتى أن مراسلات ابنه سي الطيب بعد وفاة أبيه سنة 1908 كانت أيضاً تشهد على تلك العلاقة، إلى درجة أنه كان يتابع بعض أحداث منطقة توات ويراسله أهلها ويراسلهم، فينصحهم ويعظهم ويصلح بينهم في حالات كثيرة، والرسائل بين سي الطيب وأهل لدول كثيرة

1. عبد القادر خليفي، المقاومة الشعبية...، المرجع السابق، 127.

2. أحمد حاكمي، تفاصيل وتحاليل...، المرجع السابق، ص 90.

3. الشيخ بوعمامة، رسالة إلى جماعة لدول، ع/ط العربي بوعمامة وعبد الملك حمدي، ينظر ملحق رقم 43 ص 431.

4. الشيخ بوعمامة، رسالة إلى جماعة لدول، ع/ط العربي بوعمامة وعبد الملك حمدي، ينظر ملحق رقم 42 ص 431.

5. زوزو عبد الحميد، ثورة بوعمامة، ج2، المرجع السابق، ص ص 81-83.

وموجودة عند بعض الجهات والعائلات، إن دلت على شيء إنما كانت تدل على أن حبل الود والعلاقة والجميل بين آل الشيخ بوعمامة ودلدول وقورارة وتوات قاطبة، لم ينقطع بوفاة ذلك الثائر الكبير وتلك الفترة الطويلة التي عاشها بين ظهرانهم من 1883 إلى 1894، وهي فترة خصبة بأحداثها ونضال المعاصرين لها في ذلك الزمان والمكان.

رأي واستنتاج:

في مبحثنا هذا والذي تناولنا فيه علاقة منطقة توات بثورة الشيخ بوعمامة، والتي لم يتطرق لفترة وجوده بها طيلة 1883-1894 سوى الدكتور عبد القادر خليفي ببعض محاولاته البحثية التي نال بها فضل السبق، إلا أنه ما يمكننا قوله أننا اعتمدنا على بعض الكتابات التي أشارت لواحة دلدول وعلاقتها بالشيخ بوعمامة، وكانت كتابات أو مجرد أسطر مقتضبة، وفي نفس الوقت جمعنا بعض الروايات الشفوية من المنطقة، فوجدنا تطابقاً شبه كلي بينهما، مما يجعلنا نفخر باحتمال صدق هذه الكتابة البحثية، ومما يعطي للرواية الشفوية ثقة أكبر بحكم أنها لا تختلف عما كتبه الفرنسيون والباحثين ولو ببعض إشاراتهم الشحيحة.

كما استنتجنا وبغض النظر عن الدور الذي لعبته توات في احتضان الكرار والفرار من المقاومة الشعبية، وعلاقتها كقاعدة خلفية سبق وأن تحدث بموقفها فرنسا دعماً لكل قضايا التل الجزائري، فإن وجود الشيخ بوعمامة في المنطقة كان مؤثراً وإضافةً لها، بدوره في التغذية الروحية الصوفية والثقافية، وفي التسوية والصلح وجمع الكلمة بين قبائل وقصور المنطقة، وفي شحذ الهمم والتحريض ضد الفرنسيين، وفي الإبقاء على شعلة المقاومة متقدة ورفض كل صنوف الخضوع والضعف والهوان، ولعل اندلاع معارك المقاومة المحلية بعد رحيل الشيخ بوعمامة، كان ثمرة من ثماره، خاصة أن الذين ناصروه وتعلموا على يديه منهم من واصل معه مسيرته ومنهم من انتظر فرنسا ليقاومها على أرضه. فمثلاً في سنة 1895 تشكلت فرقة من منطقة توات أغارت على بعثة علمية فرنسية جنوب ورقلة

واستولوا على 700 جمل بين غات وغدامس، وواصلوا عملياتهم نواحي المنيعَة ووادي زرقون وجنوب بريزينة¹.

وبمختصر القول فالفضل بما شهد به الأعداء أنفسهم، حيث يعترف الجنرال ليوطي² في رسالة مؤرخة في 14 نوفمبر 1903 بعين الصفراء قائلاً: "يبدو أن بوعمامة هو الذي يجب أن نعزوا إليه جميع همومنا وما نعانيه دائماً من مضايقات، فموقفه موقف واضح العداء منذ مدة طويلة، إننا نجد أثره في كل مكان..."، ويضيف "وأن الزوابع والفتن والاضطرابات هو الذي يقف وراءها، وهو الذي يجب أن نقضي عليه ونتخلص منه..."، وحتى بعد انقضاء أربعة أشهر كتب ليوطي يقول مرة أخرى "يجب ألا يغرب على البال، لا سيما وأن هناك بوعمامة العدو الدائم ومنطلق كل الاعتداءات، إنه عقدة القضية، وللتخلص منه يجب أن تتجه جميع جهودي. وإذا ما سقط هو، سقطت معه تقريباً جميع المتاعب التي نعانيها على حدود الجنوب الوهراني"³، بل حتى أن (لاقاديك Lagadec) محلل صحيفة الأخبار أوضح ذلك بصريح العبارة إذ قال: "الشعب لم يجد ما يفسر به رفض المحادثات مع بوعمامة، وحسب وجهة نظري لو تصرفت السلطات بشكل مختلف، لكننا اليوم أسياداً على توات بدون أية طاقة رصاص..."⁴.

خلاصة الفصل:

من خلال تتبعنا لمسار المقاومة الشعبية في الجنوب الغربي أو ما كان يعرف بالجنوب الوهراني، وخاصةً بعد انتهاء مقاومة الأمير عبد القادر سنة 1847، وجدنا أن معظم الانتفاضات

¹ . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, p.284

² . الجنرال ليوطي: كان قائد المنطقة العسكرية بالجنوب الغربي في عين الصفراء بين 1903 و1907، ثم أصبح قائد إقليم وهران حتى سنة 1910، ثم انطلق من هناك لاحتلال مدينة وجدة وكثير من المناطق الحدودية ليرسم بعدها الوضع بفرض الحماية على المغرب سنة 1912. ينظر: خليفي عبد القادر، محطات من تاريخ الشيخ بوعمامة، المرجع السابق، ص ص 171، 172

³ . بوعلام بسايح، أعلام المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي بالسيف والقلم 1830-1954، وزارة الثقافة، الجزائر 2007، ص 202

⁴ . خليفي عبد القادر، محطات من تاريخ الشيخ بوعمامة...، المرجع السابق، ص ص 282، 283

والثورات الشعبية في هذه المنطقة كانت لها علاقة بقصور توات، حيث كانت قياداتها تنتردد على المنطقة كراً وقرأً على منوال حرب العصابات، وكانت تتغذى منها كقاعدة خلفية مالياً وروحياً وشعبياً، وهذا الدور الذي لعبته توات لم يكن وليد فترة الاستعمار الفرنسي، بل كانت لها سوابق تاريخية تمتد من ما قبل الميلاد مروراً بعصور ما بعد الفتح الإسلامي، حيث لجأ إليها الجيتول واليهود والعرب والزناتة والشيخ المغيلي وكل مغلوب عن أمره أو مظلوم أو متمرّد على ظلم ووضع بائد في شمال إفريقيا، وكأن توات كانت كالحبشة التي لا يُظلم فيها أحد.

وما يمكننا تلخيصه عن لجوء قيادات المقاومة الشعبية الجزائرية إلى توات، نذكر أولاً لجوء الشريف محمد بن عبد الله وبالضبط إلى جهة تيديكلت ما بين 1858 إلى 1861، ولجوء محمد بن التومي المعروف ببوشوشة وخاصةً عين صالح التي اتخذها عاصمةً لتحركاته وثورته بين 1863-1874، وانتفاضة أولاد سيدي الشيخ خاصةً مرحلة سي قدور بن حمزة الذي كان يتردد فيها على قورارة كثيراً من 1869 إلى 1883، ليأتي دور ومرحلة الشيخ بوعمامة الذي عاش في دلدول مواصلاً خلالها مسيرة نضاله ولو بطابع سياسي أكثر من سنة 1883 إلى 1894، وبعد هذه الفترة بدأت خطوات الاحتلال الفرنسي لغزو المنطقة تتجسد على أرض الواقع.

وحينما ذكرنا لجوء كل من الشريف محمد بن عبد الله ومحمد بن تومي بوشوشة، وأولاد سيدي الشيخ بما فيهم سي قدور وسي سليمان ثم الشيخ بوعمامة، إلى منطقة توات وجهاتها الثلاث، فإننا أشرنا إلى أن المنطقة كانت مستقلة سياسياً عن أي ارتباط بأي دولة، لكنها كانت أقرب إلى الجزائر بحكم وقوعها ضمن مجالها الجغرافي الحيوي، وليس هناك من دليل أكبر من لجوء تلك القيادات والشخصيات وهي جزائرية محضة، كما عرفنا أن منطقة توات لم تنتهيا تهديدات وطموحات الفرنسيين ولا علاقاتها الثقافية والتاريخية مع المخزن، من دعم واحتضان تلك القيادات المقاومة والمناوئة لكلا الطرفين.

ثم ما لفت انتباهنا أن رجالات المقاومة الشعبية حينما لجأوا إلى توات كأنهم استفادوا من خطأ الأمير عبد القادر، هذا الأخير حوَّصر بين كماشة فرنسا والمخزن وعجز عن اللجوء إلى الجنوب الذي ربما كان سيجد فيه الحل، وكانت معاهدة لالة مغنية 1845 الثغرة التي نفذ منها أولئك القادة، وهي التي تعتبر ما بعد فيقيق وثنية الساسي فلاة لا تتبع لأي دولة، وبذلك فقد كانت توات المنطقة التي لن تطالب فيها هذه الدولة بتسليم المتمردين من تلك الدولة، وكانت توات مقارنةً بأي منطقة أخرى من الجنوب الأصلح والأوفر بيئةً اقتصاديةً وجغرافياً وتاريخياً، كما أن توات ومن خلال تجاربها مع الرحالة والبعثات الاستكشافية أعطت ملمحاً للكرار والفرار بأنها تعارض الاحتلال الفرنسي.

لكن وفي المقابل لا ننكر عن توات كونها كانت قاعدة خلفية للجوء المقاومة الشعبية الجزائرية، أزجبت الفرنسيين كثيراً وجعلتهم يفكرون فعلياً في احتلالها، خاصةً مع ظهور أفكارهم التوسعية والتي كانت فيها توات كهزمة وصل لابد من المرور عليها، ناهيك عن مقتل بعض الرحالة ومنع مرور بعض البعثات وإزعاج المخزن بتنافسها على ضم المنطقة، فكانت عواملاً وملاحماً على برمجة توات في قائمة التوسع الفرنسي بالصحراء الجزائرية، وقد عرفنا أن الرحالة الألماني (جيرهارد رولفس) كان منذ 1864 قد نصح فرنسا بنقل حدودها إلى ما بعد وادي الساور (يقصد توات)، وإلا فلن يكون في الجنوب الوهراني أي هدوءٍ دائم، ونفس الشيء الحاكم العام الفرنسي (جول كامبون) الذي أشار سنة 1892 أن معظم القلاقل والمشاكل كانت تأتي من توات وضرب مثلاً ببوعمامة الذي كان لاجئاً فيها.

الفصل الرابع: **الغزو الفرنسي للمنطقة**

المبحث الأول: ظروف وأسباب الغزو الفرنسي

- الأهمية الاستراتيجية لمنطقة توات
- مرحلة التمهيد للمشروع الاستعماري
- ما تعرض له الرحالة المستكشفون
- مطاردة فلول المقاومة الشعبية
- التنافس الدولي على توات
- المحاولات الأولى للفرنسيين ومواقف التواتيين

المبحث الثاني: حملات الغزو الفرنسي على المنطقة

- الغزو من جهة تيديكلت
- الغزو من جهة قورارة
- الغزو المتعدد الجبهات (تيديكلت-توات-قورارة)

المبحث الثالث: السياسة الفرنسية في غزو المنطقة

- السياسة العسكرية وإدارتها
- الآليات الدبلوماسية ودعايتها
- الإجراءات الاقتصادية والاجتماعية
- السياسة الثقافية والدينية

خلاصة الفصل

المبحث الأول: ظروف وأسباب الغزو الفرنسي

لم يكن وصول الاحتلال الفرنسي إلى قصور توات وليد الصدفة، بل سبقت خطوات تجسيده على أرض الواقع ظروفًا ودوافعًا أوصلته لهدفه المنشود، وقد مرت توات من خلالها بمراحل وأحداث مدّ وجزر تبلورت بشكل ملحوظ خاصةً أواخر القرن 19م، حاول فيها التواتيون النأي بقصورهم عن سقوطها في استراتيجيات الفرنسيين، لكن تلك الظروف تراكمت على بعضها بشكلٍ أو بآخر، لاسيما تأثير مناطق الجوار على غرار التل الجزائري والمخزن المغربي، وكانت فرنسا من خلال تربصها بمنطقة توات منذ فترة البعثات الاستكشافية تتحين الفرص المباشرة وغير المباشرة للانقضاض على هذه المنطقة الاستراتيجية، حتى لما أتيحت لها في العقد الأخير من القرن 19م ومطلع القرن 20م سارعت لتنفيذ مشروعها الاستعماري التوسعي. فكيف توفرت تلك الظروف والأسباب؟؟ وما الأساليب والوسائل؟؟

1- الأهمية الاستراتيجية لمنطقة توات:

لقد عُرفت منطقة توات تاريخياً وجغرافياً بأهميتها الاستراتيجية التي لعبتها في الصحراء الكبرى، تلك الأهمية التي تجلت في دورها كم منطقة عبور للقوافل التجارية وركب الحجيج، كانت خلالها توات همزة وصل بين حواضر الجزائر والمغرب شمالاً والسودان الغربي جنوباً والأهقار وليبيا وتونس شرقاً وشنقيط غرباً، إلى درجة أنها استقطبت الهجرات واللاجئين من الزناتة واليهود والعرب والتجار والمعارضين والمتمردين نظراً لخصوصيتها وتوفرها على ظروف الحياة والحضارة.

وقد سبق لنا وأن أشرنا إلى أنه كتب عن أهميتها الكثير من الرحالة والمهتمين، من ابن بطوطة ومارمول كاربخال والحسن الوزان وابن خلدون والعياشي وابن مليح والأغواطي وغيرهم، وعن الكتابات المحلية والفرنسية حدث ولا حرج، أعجبوا فيها بحواضر توات واشعاعها واستقطابها، وأسهبوا من

خلالها في التعريف بدورها وتأثيرها، ولأننا أردنا جزءاً غير يسير من هذه الأهمية في مباحثنا السابقة سنكتفي بالإشارة إلى أنها كانت دافعاً للفرنسيين لاحتلال المنطقة.

ذلك الدافع استنتجه الفرنسيون من خلال رغبتهم التوسعية نحو الداخل الإفريقي، فكان لزاماً على المنظرين الفرنسيين أن يوجهوا أنظار دولتهم الاستعمارية إلى قيمة وأهمية توات، في الربط بين شمال إفريقيا والواجهة المتوسطية مع مستعمرات فرنسا في وسط وغرب إفريقيا والواجهة الأطلسية، وقد ذكرنا كيف أن الرحالة بشتى مشاربهم وأصولهم وأهدافهم، قد نصحوا الفرنسيين بضرورة بسط فرنسا لنفوذها على منطقة الساوره وتوات على أساس أهميتها الاقتصادية والأمنية، خاصة أنهم لم يكونوا مجرد رحالة ومغامرين بسطاء، بل كان أغلبهم باحثين ومهتمين بالدراسات العلمية التي من خلالها سلطوا الضوء على كنوز وثروات المنطقة وأهميتها الاستراتيجية.

وأمثلة عن أولئك الرحالة فقد تعرفنا إلى مثل ما أوصى به أوغين دوماس وهنري بارث وجيرهارد رولفس وريني كاييه وكافينياك ودي كولومب وغيرهم، ممن كشفوا عن أهمية توات وصرحوا بصريح العبارة أنه لا بد للفرنسيين بسط سيطرتهم ونفوذهم على منطقة توات لتحقيق أحلامهم التوسعية، ناهيك على أن تلك الأحلام كانت تحتاج فيها فرنسا لوسائل ومخططات كمشروع السكك الحديدية العابر للصحراء الذي اقترحه (دي بونشال) منذ سنة 1874، وكانت توات أهم ممراتها ومسالكها.

2- مرحلة التمهيد للمشروع الاستعماري:

ومن الدوافع والظروف التي ساهمت في فكرة الغزو الفرنسي، تلك الرحلات والبعثات الاستكشافية الفرنسية وغير الفرنسية، بما وفرت من معلومات ودراسات معمقة تعرف من خلالها الفرنسيين على منطقة توات، بأهميتها الاستراتيجية وثرواتها وإمكانياتها الباطنية والسطحية والبشرية والاقتصادية، ووقفوا فيها على مكان القوة والضعف في المجتمع التواتي، فكانت تلك الدراسات أوراق بحث واطلاع مهدت الطريق للغزو الفرنسي، وسهلت له المهمة فيما اصطلح عليه بفكرة التغلغل

السلمي في المنطقة.

فبدأ تجسيد الفكرة بمشروع السكة الحديدية العابر للصحراء والذي كان يهدف للتحكم في تجارة القوافل، وفي ربط مستعمرات فرنسا في الداخل الإفريقي، وفي تسهيل مهمة وصول جحافل القوات الفرنسية في حالات الزحف العسكري في الجنوب الجزائري، ناهيك على أنه في نفس السياق شُيّدت الحصون والأبراج العسكرية بمحاذاة منافذ منطقة توات، فكانت حصون المنيعية من 1888-1892 وحصون البيض والمشرية وجنين بورزق ما بين 1885-1895، وهذه المشاريع كانت من مظاهر الاهتمام الفرنسي باحتلال توات، استطاع من خلالها التمهيد لطوابيره وحملاته العسكرية، ورغم أن أهل توات فهموا أنها ستتسبب لهم في مشاكل مع فرنسا ودقوا ناقوس الخطر من احتمال استغلالها في غزو قصورهم، إلا أنهم لم يترددوا في التحرك ضدها من حين لآخر.

وفكرة التغلغل السلمي التي سعى لتجسيدها الاحتلال الفرنسي صاحبها ذلك التغلغل الاقتصادي، ذلك أن أهمية منطقة توات في التجارة الصحراوية فرضت على الفرنسيين الدخول من باب الاستثمار ومحاولة التحكم فيها، والسعي للتقرب من التواتيين عبر تلك التجارة وربطها بالاقتصاد الفرنسي، ثم وفي نفس الفكرة استثمرت فرنسا روحياً وسياسياً في أعوانها وأصحاب النفوذ الصوفي والقبلي، بعضهم وظفته محلياً والبعض الآخر جلبته من خارج القطر التواتي، وكانت لهذه الفئة أدواراً بارزة في تسهيل مهمة الفرنسيين من الرحالة والبعثات إلى الطوابير العسكرية، فكانوا كالعيون والجواسيس أحياناً وكالوسطاء والممثلين لفرنسا أحياناً أخرى، وساهموا بقدرٍ واسع في تذليل صعوباتها وفي التأثير والترويج لها محلياً.

ولقد كانت لبعض الطرق الصوفية كالتيجانية والطيبية الوزانية وبعض أولاد سيدي الشيخ مهاماً موكلة تخدم أجندة الفرنسيين، ربما نعتبرهم من أهم أسباب جلبهم وترسيخ أقدامهم في المنطقة، بل ولم تكن فرنسا بهؤلاء وإنما حاولت توظيف النوازل والفتاوى التي تسير في فلكها، حيث استعانت بفتوى

قورارة 1893 وروجت لها في المنطقة وخارجها واجترتها كذا مرة قبيل وأثناء وبعد الغزو، وساهمت بفضلها في إشاعة أن الاستعمار قضاء وقدر، واستمالت من خلالها بعض أعيان المنطقة ودجنتم، وعملت بها على نشر نفوذها في الصحراء بكل هدوء، وإدماج السكان المحليين في الحضارة الفرنسية بكل سلاسة، أو هكذا كانت تتبنى وتستهدف المنطقة، فهي سبباً ووسيلةً وظرفاً صنعت به بيئة مواتية لأولى خطواتها في الغزو.

3- ما تعرض له الرحالة المستكشفون:

ومن أهم العوامل والأوضاع التي أفلقت فرنسا الاستعمارية وفتت انتباهها إلى ضرورة احتلال منطقة توات، ما تعرض له الرحالة والبعثات الاستكشافية حين مرورهم أو زيارتهم لقصور توات، فرغم أنه من المعلوم أن أهل توات كانوا معروفين بحبهم للغرباء وحسن الضيافة والكرم في أخلاقهم، إلا أنهم لما اكتشفوا حقيقة الأوروبيين الذين كانوا يستهدفون التغلغل في الداخل الإفريقي، وأن معظم الرحالة والمغامرون الذين كانوا يتجولون في الصحراء وأدغال إفريقيا، كانوا مجرد وسائل وأعوان للحركة الاستعمارية الأوروبية، فسرعان ما نبذوهم وأبانوا لهم عن موقفهم الراض لزياراتهم ولو مروراً بهم، إلى درجة أننا رأينا كيف أن بعض الرحالة اضطروا للتكر بملابس وشخصيات ووظائف كاذبة تمويهاً لجنسياتهم الحقيقية.

وفي هذا السياق لا بأس بالتذكير بتلك المواقف المحلية ضد البعثات والرحلات الاستكشافية، فقد قبل سنة 1861 الرائد (كولونيو) ومرافقه الملازم (بورين) برفض دخولهما لقصور قورارة في كل من لدلول وأوقروت، وعادا أدراجهما إلى البيض جيريغيل دون أن تكتمل رحلتها، وأغلقت أبواب القسبة في عين صالح في وجه الرحالة (بول سولايي) سنة 1873، كما قُتل سنة 1876 ثلاثة من الآباء البيض (مينوري، وبولمي، وبوشارد) في حاسي (إينيفل)، وأبيدت بعثة (فلاترز Flatters) قرب عين

صالح سنة 1881م¹، وقُتل (مارسيل بالات) سنة 1886 بين أوقروت وعين صالح، ونفس الشيء اغتيل (كاميل دولس) في جهة أولف سنة 1889م، ورُفض مرور بعثة (فلامون) على عين صالح سنة 1899...

هذه التصرفات والأحداث ضد الرحالة الأوروبيين سواء كانت فردية أو رسمية كانت محسوبة على منطقة توات، وكانت مزعجةً للفرنسيين على وجه الخصوص، إلى درجة أنها جعلت منها شناعة علقت عليها مبررات أطماعها وطموحاتها التوسعية، وربما يعتبر بعض المحللين حادثة مقتل (مارسيل بالات) سنة 1886 أكبر حدث مزعجاً ومقلقاً للفرنسيين، تلك الحادثة التي اتهم فيها أولاد باحمو من تيديكلت بارتكابها، ووجهت سهامها إلى عائلة باجودة المتحالفة مع السنوسيين أعداء فرنسا، ورغم أن الحاج عبد القادر باجودة عاقب مرتكبيها وأرسل أغراض الفرنسي المقتول إلى حاكم عين الصفراء عبر الشيخ بوعمامة، وهي محاولة لإبعاد تحركات فرنسا نحو المنطقة بالادعاء بذلك السبب أو غيره، إلا أن تلك الوقائع ما فتأت تكرر.

لعل تلك الأحداث هي ما جعلت الفرنسيين يصطحبون بعثاتهم ومستكشفيهم بطوابير² عسكرية، فقد اصطحبوا بها بعثة (فلاترز) سنة 1880، وبعثة (جندورر Gendror) سنة 1895 إلى تيلكوزة وقورارة، وبعثة (جيرمان ولابيرين Laperrine, Germain) سنة 1896 إلى قورارة كذلك، وبعثة (فلامون) سنة 1899 وهي الأضخم والأخطر عسكرياً³؛ وهو ما فهمه سكان المنطقة بأنها تحرشات فرنسية متعمدة غرضها استفزازهم بغية إثارة شرارة مباشرة لاحتلال المنطقة، وحقاً ففي سنة 1897 قامت فرنسا بدوريات أمنية في هضبة تادمايت، ووصلت فصيلة من المهاريست في نفس السنة إلى

¹ . Auguste Terrier, dans les Oasis du Touat, Op.Cit, p.419

² . الطابور: الجماعة من الجند أقل من ألف شخص، وجمعها طوابير، وقد أوردها المعجم الرائد بحرف التاء وترادفها في اللغة العربية كلمة "الصف"، كما أن لها معنى آخر يُقصد به الجواسيس والأعوان من البلد الذين يخدمون العدو، وتقابلها أيضاً كلمة الرتل التي تعني صف من الجند متراس أو جماعة من الخيالة يتبع بعضهم بعضاً. ينظر: جبران مسعود، المعجم الرائد، المرجع السابق، ص ص 385، 187

³ . مولاي التهامي غيتاوي، لفت الأنظار...، المرجع السابق، ص 70

أوقروت، وسيّرت عملية استطلاعية من فرقة الصبايحية سنة 1898 بين تادمايت وعين صالح، وقد احتج سكان المنطقة على هذه المحاولات واستعدوا لها¹، فكانت من أقوى الظروف والأسباب المساهمة في بداية الغزو الفرنسي للمنطقة بشكل رسمي.

4- مطاردة فلول المقاومة الشعبية:

ثم ما يمكن استنتاجه من الظروف والعوامل التي ساهمت في احتلال فرنسا لقصور توات، أننا عرفنا بأن المنطقة كانت قاعدة خلفية للمعارضين والمقاومين للفرنسيين في التل الجزائري، تلك الوظيفة الحيوية التي تبوأها توات منذ قرون وازدادت أكثر خلال فترة الاحتلال الفرنسي، سلطت عليها الضوء وفتت انتباه الفرنسيين وعيونهم، وكان مثلاً الرحالة الألماني (جيرهارد رولفس) قد قالها بصريح العبارة ناصحاً الفرنسيين بنقل حدودهم إلى ما بعد وادي الساور (يقصد توات)، وإلا فلن يكون في الجنوب الوهراني أي هدوء دائم²، وكذلك (بول سولايلي) الذي نصح دولته على ذلك الأساس بضرورة الفتح السلمي للمنطقة (حسب وصفه)³.

ذلك الوضع الذي تميزت به توات في كونها كانت منطقة التجاء للفرار والكرار، جلبت إليها لجوء شريف تلمسان محمد بن عبد الله خاصةً من 1858-1861، والشريف محمد بن تومي بوشوشة الذي جعل فيها عين صالح معقلاً له من 1863-1874، وتردد عليها أولاد سيدي الشيخ كثيراً منذ اندلاع انتفاضتهم سنة 1864، نذكر منهم على وجه الخصوص سي قدور بن حمزة الذي استلم مشعل الثورة من 1869-1883، وكانت قورارة وقبيلة الخنافسة أهم المناطق والحلفاء له، ثم فترة الشيخ بوعمامة الذي التجأ إلى واحة لدول ما بين 1883-1894، حيث جعل من المنطقة كالعاصمة السياسية والروحية لثورته، وأحى فيها نبض المقاومة لدى قصور وقبائل المنطقة وكل الجنوب

¹ . A.G.P Martin, **Quatres Siècles...**, Op.Cit, p.311

² . تواتي دحمان وآخرون، دور أقاليم توات...، المرجع السابق، ص 13

³ . Paul Soleillet, **Exploration du Sahara central...**, Op.Cit, pp.6,7

الجزائري؛ أو كما وصفهم أحد العسكريين الفرنسيين: "هم تحت سلطته ولا يسمعون إلا له، ومستعدون للقيام معه مثلما فعلوا مع محمد بن عبد الله وبوشوشة، وبقي بوعمامة مول الساعة، حيث لا يحلف الصحراويون سوى بسيدنا الشيخ دون ذكر اسمه الحقيقي"¹.

لقد ساهمت توات بتلك الأوضاع وذلك التحدي ضد الفرنسيين، في خلق بيئة مناهضة للاحتلال الفرنسي، حتى أن (جول كامبون) الحاكم العام الفرنسي في أوت 1891 بعدما وضعت فرنسا أبراجها وحصونها على مشارف توات، صرح قائلاً: "وأخيراً من الضروري أن تتخذ فرنسا قراراً بشأن نهائي يضمن هدوء الجزائر والهيمنة على واحات الجنوب"، ثم قال بصريح العبارة: "إن توات وقورارة وتيديكلت كانت ملجأ للمتمردين، ومصدراً للاضطرابات ضدنا، حيث هناك في دلدول بوعمامة الذي يسعى لتشجيع الغارات والتمرد علينا..."، وعلى هذا الأساس زار مدينة المنيعه سنة 1892م².

بل حتى أن (Robert De Caix) قالها أواخر سنة 1899 بصريح العبارة في مقاله المعنون (Le Touat): "... هؤلاء البرابرة المستعصين يسكنون بلداً يجب أن تهيمن عليه إمبراطوريتنا، لأنه منطقة تتداخل بين مناطقنا، ولأنهم أيضاً شجعوا وجمعوا كل أعدائنا في أقصى الجنوب الجزائري، وهذا يكفي ليكون الاحتلال ضرورياً، حيث يجب أن تكون توات ووادي الساوره في أيدينا، وبالفعل ستمتد القاطرة في الأول من فبراير تحت خط فيقيق استعداداً للنزول إلى الجنوب لضمان هيمنتنا، وحتى للتحقق من الثروات المعدنية التي قد تكون تحت هذا الوادي وهذه الصحراء..."³؛ وهو بهذا المقال الصحفي المنشور في نشرة لجنة إفريقيا الفرنسية لسنة 1900 قد أوجز أسباب الغزو بشكل واضح وفاضح.

ذلك لأن توات لم تكن تخضع لأي دولة حسب اتفاقية لالة مغنية 1845، هذه المعاهدة التي

¹ . خليف عبد القادر، محطات من تاريخ الشيخ بوعمامة، شركة الأصالة للنشر، الجزائر 2021، ص 169

² . A.Bernard, N. Lacroix, *La Pénétration Saharienne...*, Op.Cit, pp.112,113

³ . Alis Harry et Terrier Auguste, *Bulletin du Comité de l'Afrique française*, Éditeur: Comité de l'Afrique française, Paris 1900, p.51

أعطت الحق لفرنسا وللمخزن بمطاردة القبائل والرعايا التابعين لهما، وبتسليمهم لكلا الطرفين في حالة طالب أيّاً منهما بذلك، مما ألجأ الكثير من الفارين إلى توات على ذلك الأساس، بحكم أن هذه المنطقة كانت "قلاة" لا تتبع لأحد في نظر الفرنسيين والمخزن، وما دامت بقيت كأنها مشاعة وجاذبة للمعارضين والمتمردين، فقد حركت في فرنسا غريزتها الاستعمارية التوسعية، وحجتها في ذلك ما أزعجها من توات كقاعدة خلفية وما نصحتها به المستكشفون بأن القلاقل والأمن للفرنسيين تتحكم فيه قصور توات. وقد أشار (مارتن أ.ج.ب) أن فرنسا أعلنت أنه من حقها متابعة (قطاع الطرق) من أتباع بوعمامة، وأنها شرعت في تلك العملية من خلال تقدم مراكزها الحدودية شيئاً فشيئاً عبر تحريك أبراجها العسكرية¹.

وهذا التفسير فهمه حتى المخزن الذي كان يحلم بالتوسع في المنطقة، إذ راسل السلطان الحسن الأول الشيخ بوعمامة وهو في دلول يطالبه بالهدوء، وأنه مستعداً لحمايته بشرط هدوءه وألا يقوم بأي ثورة ضد الفرنسيين، وفي نفس الوقت طلب من أهل توات عدم إثارة المشاكل مع الفرنسيين². ولأن النظام العلوي في المغرب أحس بحاجة أهل توات للتحالف والاستجداء به كأقرب دولة إسلامية إليهم، فقد حاول استغلال تلك الوضعية ودخل على خط التنافس الدولي مع الأوروبيين على توات، وفهم الفرنسيين ذلك الطموح المخزني فازدادت الطين بلة، وتسارعت وتيرة التهافت الفرنسي من أجل احتلال منطقة توات واستكمال مشروعه الاستعماري على كامل الجنوب الجزائري.

5- التنافس الدولي على توات:

فمما عرفته منطقة توات في أواخر القرن 19م، ذلك التهافت والتنافس الدولي ضمن الحركة الاستعمارية التي كانت تستهدف الداخل الإفريقي، وقد برزت تلك الحركة أكثر بعد مؤتمر برلين الثاني

¹ . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, p.268

² . أحمد العماري، توات في مشروع...، المرجع السابق، ص 68

1884-1885، وكان وجود الشيخ بوعمامة في المنطقة من 1883-1894 قد كشف عن اشتداد ذلك الصراع خاصةً بين فرنسا والمخزن، حيث حاول كل منهما التفاوض مع الشيخ بوعمامة وكسبه من جهة، والتغلغل في المنطقة من خلال كسب أعيانها والاستعانة بالنافذين فيها من جهةٍ أخرى، فكثرَت الزيارات والرسائل المتبادلة بينهما وبين منطقة توات، واتضحت تلك الحركية بشكل أنشط وأوضح خاصةً بعد مقتل (مارسيل بالات) سنة 1886 وتشديد الفرنسيين للحصون والأبراج العسكرية.

ذلك الصراع الدولي نجحت فيه فرنسا في تحييد بريطانيا منه، حينما وقَّعت معها معاهدة 5 أوت 1890 نالت بموجبها فرنسا حرية التصرف في الصحراء الكبرى وحوض النيجر، مقابل التنازل للإنجليز عن حقوقها في وادي النيل، وقد اعترفت بريطانيا بالفعل لفرنسا بموجب الفصل الثاني في المعاهدة بحقوقها في توات¹. وعلى إثر ذلك راسلت فرنسا المخزن بمذكرة تشير بها إلى حقوقها في توات، ودعمها الوزير الأول البريطاني (ساليزبوري) بتصريحه في مجلس اللوردات، أعلن فيه أن لفرنسا حرية التصرف في توات، جازماً أن أي قوة عالمية لا يمكنها ادعاء أي حق في توات².

وبدأ (جول كامبون) منذ 1892 التحرك العسكري انطلاقاً من المنيةة للتحكم في الطرق الصحراوية المؤدية إلى توات وتمبكتو، ثم التحرك دولياً حيث توافقت فرنسا مع إسبانيا حرصاً منها على مصالحها في المغرب، وفي هذا السياق أكد (كامبون) بأن "فرنسا إذا نجحت في الدخول إلى توات بدون حرب مع السلطان المغربي، فإن إسبانيا لن تقول شيئاً"³. ثم ما فتأت وأن أكدت بريطانيا دعمها لفرنسا في 21 مارس 1899م على ضوء ما ورد في اتفاق 5 أوت 1890م، ولما حاول السلطان المغربي "المولى عبد العزيز" استمالة بريطانيا في رسالة وجهها إلى الملكة البريطانية سنة 1900م، مقترحاً التدخل لترسيم الحدود بين المغرب وفرنسا، فكان رد السفير البريطاني "بأن الحكومة

¹ . مولاي التهامي غيتاوي، *لفت الأنظار...*، المرجع السابق، ص 92

² . أحمد العماري، *توات في مشروع...*، المرجع السابق، ص ص 95-97

³ . مولاي التهامي غيتاوي، *لفت الأنظار...*، المرجع السابق، ص 94

الفرنسية لا تتوي مهاجمة المغرب..."، ما يعني أن المغرب لا علاقة له بمنطقة توات في الموقف البريطاني¹.

وفي إطار دخول المخزن في صراعه مع الفرنسيين وادعاءاته بحقه في المنطقة، فقد رأينا كيف أنه كُثِف من مبعوثيه ومراسلاته للمنطقة ما بين 1888-1892 إلى درجة أن رسائله تجاوزت 80 رسالة، وأنه نصَّب من خلالها قياداً وقضاةً لاستمالة وجهاء وأعيان المنطقة خاصةً سنة 1892، هذه السنة كانت قد عرفت زيارة (جول كامبون) إلى المنية قرب توات، ورد عليه السلطان الحسن الأول بجولة خاطفة إلى الجنوب المغربي بحجة زيارة أجداده في تافيلالت، وهو ما فهمته فرنسا بأنه إشارة من المخزن باحتمال الزحف على جهة توات والساورة.

وفعلاً فقد كانت سنة 1895 مفصلية حيث بعد مقتل القائد حسون قايد صف يحمى على تيمي في 07 ديسمبر 1894 على يد الغنائمة، وهو في مهمة بين المخزن وتوات في إطار الاستجد والتعاون لتجنيب سقوط المنطقة بيد فرنسا، تشكل جيش تواتي قوامه 1800 رجل كما شكّل الحاج أحمد رزوق² قائد تيميمون القادم من تافيلالت جيشاً قوامه 800 مقاتل مستعيناً بأسلحة ومدفع ملكي، واتجه كلا الجيشين إلى قصور الغنائمة بالساورة فخربوها، مما جعل الغنائمة يستجدون بقائد منطقة جيريغيل التابع لفرنسا الذي وصل فعلاً إلى تيلكوزة، أما طائفة سفيان في قورارة وتيمي فقد التزمت الحياد وأعلنوها صراحةً أنه لا يعنيه أمر الحكومتين، واتفقوا فيما بينهم على حماية بعضهم البعض في اتفاق بتاريخ 20 سبتمبر 1895م³.

وللعلم، ففكرة استجد ناس المنطقة بالمخزن ليست وليدة استنتاجاتنا واجتهاداتنا، بل حتى

¹ . أحمد العماري، توات في مشروع التوسع...، المرجع السابق، ص 165

² . أحمد بن رزوق البخاري: أصله من جيش عبيد البخاري البيض، تم تعيينه باشا على جهة تيميمون سنة 1895 رغم أن جماعة سفيان في قورارة رفضته، وهو أصلاً أول ما عُيِّن كان في توات ورفضه الناس هناك ليستبدل بالباشا إدريس الشراي ويحول إلى تيميمون. ينظر: A.G.P Martin, Quatres Siècles..., Op.Cit, pp.280-282

³ . A.G.P Martin, Quatres Siècles..., Op.Cit, pp.277,278

الفرنسيين قبل الغزو بفترة قرأوها وفهموها، فهذا العقيد (مالهر Malher) كتب في سياق تساؤلاته عن توات سنة 1895 قائلاً أنه: "أصبح جزءاً من سكان توات الذين كانوا يرون أنفسهم مهددين بشكل مباشر من الزحف الفرنسي نحو الجنوب، يقتربون من المغرب ويريدون تعزيز الروابط التي كانت سابقاً دينية وليست سياسية..."، ويضيف أنه ومنذ وصول الفرنسيين إلى المنية تزايدت المخاوف وأصبح ذلك التقارب أكثر وضوحاً، وأن الإذعان الذي صار يبدية الناس في توات للمغرب سببه فقط الخوف من الهيمنة الفرنسية، وأنهم بذلك وقعوا بين أمرين أحلاهما مر، مفضلين فيه الهيمنة المخزنية التي يستطيعون التخلص منها في أي وقت يشاؤون¹.

وإذا كان المخزن قد استغل هذه الفرصة بتلك المراسلات والتعيينات، مثل أنه نصب الحاج أحمد رزوق قائداً على تميمون، رغم أن موقف قصور المنطقة كان متذبذباً منه، ليرسل في سنة 1896 إدريس بن الكوري الشراذي² قائداً باسمه على تيمي³، مستغلاً مخاوف أهل المنطقة من احتمال زحف الفرنسيين، واستمرت المناوشات بين المخزن والفرنسيين إلى درجة أنه في 1901 راسل السلطان عبد العزيز قبائل الجنوب المغربي استعداداً لتحركات الفرنسيين ناحيتهم، فردت فرنسا بتحريك باخرتها العسكرية "عساس" في المياه المغربية لدعم ممثليها في طنجة، ولإزالة الشائعات واللبس حول موقف حكومة المخزن اتجاه التحركات الفرنسية في الجنوب، ولتذكيرها بأن معاهدة لالة مغنية 1845م تعطي الحق في إرسال قوات فرنسية للغرب في حالة أي تدخل للمخزن بالجنوب⁴.

وانتهت تلك المناوشات بسبب توات إلى خضوع المخزن وعقد ما عُرف ببروتوكول 20 جويلية

¹ . Colonel Malher, *La Question du Touat...*, Op.Cit, p.17

² . إدريس بن الكوري النعيمي الشراذي: أصله من شراردة ناحية فاس، وهو خال القائد المغربي جيلالي بن رحمون المبعوث من السلطان بـ 16 رسالة لأهل توات من أجل البيعة والضرائب مقابل الدعم في سنة 1900، وقد تم تعيينه قائداً في تيمي على صف يحمد منذ سنة 1896، شارك في معركة إينغر لكنه استسلم وأسر فيها واختفى بعد مارس 1900. ينظر: A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, pp.320-329، وأحمد العماري، توات في مشروع... المرجع السابق، ص 146

³ . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, p.252

⁴ . كرم إدريس، الموقف المغربي من التحرك الفرنسي في الجنوب بين 1901 و1903م، صفحة هوية برس، 11، 05، 2021، تم الاطلاع: 2022/12/25، <http://howiyapress.com/author/drisskaram/page/2>

1901م كإطار شكلي للتعاون الثنائي الفرنسي المغربي، نصت شروطه وينوده على أن توات تعتبر جزءاً من التراب الفرنسي، تلاه التوقيع على اتفاقيتين إضافيتين في 20 أبريل و 7 ماي 1902م، مركزتين هذه المرة أكثر على التعاون العسكري والسياسي والتجاري في مناطق الحدود الشمالية والجنوبية بينهما¹. وبذلك أثبت المغرب أن الضجة التي أثارها من أجل توات ما هي إلا زوبعة في فنجان، كشف من خلالها عن وجهه الاستعماري التوسعي الذي لا يختلف عن الحركة الاستعمارية الأوروبية، ولربما كانت تحركاته تلك مدعاةً لإسراع فرنسا في بسط نفوذها على المنطقة بشكل نهائي.

6- المحاولات الأولى للفرنسيين ومواقف التواتيين:

وبالإضافة إلى الاحتضان الشعبي لفلول ولاجئي المقاومة الشعبية بقصور توات، ومعارضة أو حتى استهداف البعثات والرحالة الفرنسيين من حين لآخر، وهما حالتين واضحتين من موقف أهل توات من الاستعمار الفرنسي، والذي تجلى بالرفض والوقوف ضده حتى قبل زحف الفرنسيين إلى الأراضي التواتية، ورغم أن السلطات الفرنسية بمسؤوليها وممثليها وأعوانها حاولت مراراً التواصل مع سكان وأعيان المنطقة تمهيداً لقبولها وللتعامل معها، إلا أن معظم تلك المحاولات اصطدمت فيها بمواقف سلبية اتجاهها.

ورغم تلك العلاقات المتوترة بين ناس توات والفرنسيين، إلا أن بعض القصور والأعيان حاولوا الرد على فرنسا بنفس ألاعيبها وأفكارها، حيث سبق وأن أشرنا إلى أن حادثة مقتل (مارسيل بالات) 1886 التي أزعجت الفرنسيين، جعلت الحاج عبد القادر باجودة ممثلاً عن أهل عين صالح يعاقب الفاعلين ويسلم أغراض (مارسيل بالات) الثمينة إلى الشيخ بوعمامة في دلدول كوسيط بينه وبين الفرنسيين، والذي بدوره أرسلها إلى حاكم عين الصفراء². وكانت الخطوة حسب قراءة الفرنسيين محاولة

¹ . بنعمر رشيد، تاريخ المقاومة والحركة الوطنية بالمغرب 1912-1956م، محاضرات في تاريخ المقاومة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس المغرب 2020، ص 10

² . من سليمان ولد حمو عمرو قايد الشلالة الظهرانية، رسالة إلى حاكم البيض، 29 ماي 1886، المصدر السابق

لتهدئة الأوضاع وإبعاد أنظارهم والحيلولة دون التبرير لمشروعهم التوسعي المرتقب.

كما يذكر (لويس فوانو) أنه نظراً لقدوم الكثير من الرحالة إلى المنطقة وخاصةً من بوابتها في الشمال الشرقي حيث جهة تيديكلت، ففي ظل تلك الأوضاع وصل رسولان من سكان عين صالح إلى شعانة ورقلة برسالة يطلبون فيها عدم مرافقة "الكفار"، وأنهم يرفضون إدخالهم إلى بلادهم عن طريقهم، وفعلاً فقد استجاب لهم الشعانة وألغيت رحلة (لارغو Largeau) التي كانوا يرافقونها في مسيرها إلى الهقار عبر تيديكلت¹؛ مما يعني أن التواتيين كانوا يرفضون مرور الرحالة الأوروبيين على قصورهم، ولكن في المقابل كانوا يتعرضون لهم بالطرد والإعتداء في حالة ما غامر بعضهم ورفض الامتنال لقرارهم.

وفي نفس السياق حاول بعض كبار الشخصيات من توات التواصل مع الفرنسيين والتفاوض معهم دفعاً للبلاء الاستعماري الذي قد يحيق بهم، حيث يقول في هذا الباب (فوانو) أن "أغلبية سكان تيديكلت كانوا يكونون لنا مشاعر قليلة التعاطف..."، ورغم ذلك فقد أبدى الحاج عبد القادر باجودة بعض التقرب للحكومة الفرنسية لكن لم يكن إلا تجنباً للتدخل الفرنسي في المنطقة، ويذكر في هذا الإطار أنه في سنة 1857 نقلاً عن (مكارتى) وبعد احتلال الأغواط، أرسل الحاج عبد القادر باجودة مبعوثين إلى الحكومة العامة بالجزائر للتفاوض معهم على اتفاق مشابه لاتفاق بني ميزاب سنة 1853، بل وقال "أن مفاوضاته عرضوا دفع الضريبة والاعتراف بالتبعية لفرنسا"، لكن لم يتم الرد عليهم، كما ذكر أنه بعد سقوط المنيعه سنة 1873 أرسل سكان عين صالح إلى الفرنسيين احتجاجات الصداقة².

وكانت المواقف والمناورات لبعض قيادات توات لا تُختزل في رفض الفرنسيين أو التواصل

¹ . L.Voinot, **Le Tidikelt**, Op.Cit, p.84

² . Ibid, p.86

والتفاوض معهم فحسب، بل سعت بعض قصور وقياد المنطقة للتحالف والاستتجاد بالقصر العلوي المغربي، يقول الكثير من المحللين والباحثين بحكم أن المخزن كان الدولة العربية والمسلمة الوحيدة بجوارهم، وبحكم علاقاتهم الثقافية والتاريخية على غرار علاقات توات بالجزائر العثمانية سابقاً. فمثلاً انتفض أهل توات سنة 1886 ضد المراكز العسكرية في المنيعه ووجهوا رسائل احتجاج للفرنسيين وتواصلوا مع السلطان المغربي تقريباً منه لعله يرد عنهم خطر الفرنسيين، مما جعل السلطات الفرنسية تستعين بشريف وزان الذي كتب إلى أهل المنطقة رسالة يطمئنهم فيها ويدعوهم إلى تقبل وجود الفرنسيين¹.

وفي هذا السياق يذكر (مارتن أ.ج.ب) أنه حدثت عدة مراسلات وبعثات بين أهل توات والمخزن، حيث ضرب مثلاً بقائد أوقروت الذي برر تواصله مع السلطان المغربي بأن الفرنسيين كانوا لا يزالون يواصلون بناء الحصون قريهم، وأن القائد حسون قائد تيمي قام بمهمة التواصل مع المخزن وزار تافيلالت منذ سنة 1893، ولما عاد إلى توات زار عين صالح وراسل بعض أعيان الطوارق من أجل جمع الهدايا والأختام والاستعجال بها إلى السلطان المغربي لإثبات حاجتهم واستتجادهم به². ولإشارة هناك من يرى أن هذه الحركة الدبلوماسية حاول المخزن الاستثمار فيها وطلب من أهل المنطقة مبايعة السلطان، ولا غرابة أن نجد بعض الحالات في هذا الإطار بحكم أن الخطر الذي كان يتربص بأهل توات ينطبق عليه القول "صاحب الحاجة أعمى".

وبالتالي، ومن خلال تلك التحركات المحلية مع المملكة المغربية، خاصة أن المخزن استغل الفرصة وكثف من مبعوثيه ورسائله لجس نبض سكان توات، فعين على إثرها ممثلين له على جهات وقصور تيمي وتيميمون وعلى كلا الصفين يحمد وسفيان خلال الفترة بين 1892-1896، على

¹ . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, p.232

² . Ibid, pp.273-276

رأسهم الباشا إدريس الكوري الشرادي ومحمد بن عمر المراكشي والحاج أحمد رزوق البخاري. وكان رد الفرنسيين أن أرسلوا قائد البيض جبريفيل إلى تيلكوزة خاصةً بعد أحداث مقتل با حسون ومعارك الجيش التواتي مع الغنامة في منتصف 1895م¹. فكانت هذه العلاقات المتوترة بين التواتيين والفرنسيين لا سيما التواصل مع المخزن المغربي، شكلت إزعاجاً مزمناً وقلقاً كبيراً ساهم في تعجيل الفرنسيين بالزحف المباشر نحو توات.

بل وكانت المحاولات الأولى للفرنسيين بالزحف على توات منذ عام 1890 حيث أثّرت أول مرة مسألتها، وأمر وزير الحربية آنذاك بدراستها، وكان الهدف الاحتلال المؤقت للمنطقة لتقوية الفرصة على المخزن ولاستتباب الأمن المتعلق بمشروع السكك الحديدية والنفوذ في جهة المنيعة؛ وفي سنة 1891 تمت دراسة النفقات المتوقعة والوسائل المستخدمة وكان الاقتراح قيادة طابور مزدوج نحو تيميمون وعين صالح بحوالي 1500 رجل، وأن يكون المسير إما عبر جهة إيقلي وتجمع الساور أو عبر المنيعة، وتم تفضيل هذا المشروع ذو الهدف المزدوج (المؤدي إلى عين صالح وتيميمون)، لكن وزارة الحرب أجلت الفكرة معللةً ذلك بالاعتمادات المتاحة لمد خط حديد عين الصفراء وجنين بورزق، وفي عام 1893 أعيد فتح المسألة بناءً على طلب الحاكم العام (جول كامبون) وتم ربط خططها بالمراكز العسكرية في المنيعة، ثم تأجل التنفيذ مرة أخرى لاعتبارات دولية، لكن الاستعدادات تواصلت طيلة فترة 1891-1896 وبعدها بدأ (كامبون) في باقي عهده بالتحرش بالمنطقة².

ولما وصل الأمر بين التواتيين والفرنسيين إلى تلك التحرشات العسكرية التي سبقت عملية الغزو، حيث في سنة 1897 قامت فرنسا بدوريات أمنية في هضبة تادمايت، ووصلت فصيلة من المهاريست في نفس السنة إلى مشارف واحات أوقروت، وسيّرت عملية استطلاعية من فرقة

¹ . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, pp.276-299

² . Tillion André, *La Conquête des Oasis Sahariennes: Opérations au Tidikelt, au Gourara, au Touat, dans La Zousfana et dans la Saoura en 1900 et 1901*, Publisher: H. Charles-Lavauzelle, Paris 1903, pp.07-10

الصبايحية سنة 1898 بين تادمايت وعين صالح قادها النقيبان (جيرمان Germain) و(لابيرين Laperrine)¹، ودورية فرنسية أخرى اقتربت من قصر المبروك المهجور (جهة قورارة) في 10 جويلية 1898، وكان احتجاج سكان المنطقة ضد الفرنسيين مبرراً للاستغاثة بالمخزن ودفعه للتدخل بينهما، وفي المقابل استعدوا لأي طارئ فأعلنت جماعة عين صالح رفض أية علاقة مع النصارى، وجّه سكان قصر الحاج قلمان أنفسهم وتسلحوا ترقباً للمواجهة، ونفس الشيء في أوقروت رداً على تلك الدوريات².

المبحث الثاني: حملات الغزو الفرنسي على المنطقة

بعد كل تلك المراحل من خطوات ومظاهر الاهتمام الفرنسي بمنطقة توات، وتلك العقود من الاستكشاف والدراسة والترقب لأوضاع المنطقة التي عشناها وذكرنا أحداثها بعد معاهدة لالة مغنية سنة 1845، والتي عُرفت فيها توات بأهميتها الاستراتيجية والثقافية والتاريخية، وكقاعدة خلفية تجددت وانطلقت فيها المقاومة الشعبية من حينٍ لآخر، رغم أنها لم تكن خاضعة لفرنسا ولا لأي دولة أخرى، وبعد شدٍ ومدٍ وجزرٍ ومدٍ من العلاقات بين توات والنل الجزائري وفرنسا المستعمرة والمخزن المتربص، دقت ساعة الزحف الفرنسي نحو المنطقة بحجة مصطنعة وسبب مباشر يراه الباحثون بأنه كان الشرارة التي أشعلت فتيل الحرب والمقاومة بين فرنسا الاستعمارية وقصور توات، تلك هي بعثة (فلامون) 1899 التي كان ظاهرها الاستكشاف العلمي وحقيقتها تنفيذ المشروع الفرنسي التوسعي.

1- الغزو من جهة تيديكلت:

¹ . وُلد هنري لابيرين سنة 1860 بمدينة كاستلنوداري، درس في كلية سورييز وسان سير ومدرسة سومور، وفي 1881 انضم لفرقة الصيادين الأفارقة، ثم فرقة الصبايحية في المدينة سنة 1885، ثم إلى الجزائر والسنغال، ثم في طابور تمبكتو، ثم غادر في 1897 إفريقيا وشارك في الحملة على عين صالح، وفي 1901 تم تعيينه قائد كبير على الواحات الصحراوية، وكان له دور في التوسع جهة الطوارق، لتتم ترقيته إلى جنرال سنة 1914، ثم إلى قائد أعلى للمناطق الصحراوية، توفي في سقوط طائرته بصحراء تنزروفت سنة 1920. ينظر:

Jean Ferry, Henri Laperrine, Site Mémoire D'Afrique du Nord,

www.memoireafriquedunord.net

² . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, pp.311,312

سبق وأن أشرنا إلى أن عملية الغزو الحقيقية سبقتها تحرشات وحملات استطلاع فرنسية للمنطقة، وأن الاستعدادات تواصلت طيلة فترة (جول كامبون)؛ والذي حاول من خلالها توظيف بعض أولاد سيدي الشيخ وضباط الشؤون المحلية في العملية، وهو ما رفضه قائد الفيلق 19 (Bataillon) الذي اقترح حملة عسكرية من ثلاث طوابير (من المنيع إلى تميمون، ومن المنيع إلى عين صالح، ومن البيض جبريفيل إلى تيلكوزة)، وكان وزير الحربية قد حسم الأمر مطلع سنة 1896 بموافقة على المشروع الذي أعدته السلطة العسكرية، لكنه أجل تنفيذه بداعي النفقات الباهضة وانشغال فرنسا بحروبها في الهند وسيام والهند الصينية¹. ولكن في نفس الوقت استمرت تلك الخطوات والتحرشات للوصول إلى توات.

ففي نوفمبر 1896 أرسلت فرنسا محمد بن الطيب ممثل الزاوية القادرية في ورقلة إلى أهل عين صالح، كمحاولة لاستمالة بعض قادة القصور، وكان له الحاج المهدي باجودة² بالمرصاد فطرده شر طرد³، ثم في سبتمبر 1897 اقتربت فصيلة (Troupe) من المهاريست من واحات أوقروت قادمة من تادمايت، وفي مارس 1898 عملية استطلاع أخرى قادها النقيبان (جيرمان ولابيرين) بمعية 40 جندي من الصبايحية (Les Spahis)، عبرت هذه الحملة تادمايت واقتربت من عين صالح حيث راسل قائدها جماعة القصر برسالة مفادها: "منذ مدة طويلة ونحن جيران، ولا زلت أستقبل بإقامتي أهاليكم بترحاب، وبودي التعرف عليكم واستغل فرصة مروري لأطلب منكم تسهيل شراءنا لبعض احتياجاتنا..."، فاجتمع جماعة القصر وقرروا رفض كل علاقة مع النصاري، وفي جويلية 1898

¹ . Tillion André, *La Conquête des Oasis Sahariennes....*, Op.Cit, p.10

² . هو الحاج المهدي بن الحاج عبد القادر بن محمد بن سيد الحاج بن باحمو بن اعمر ملوك، قائد قبيلة باجودة ومقيم الزاوية السنوسية في عين صالح، ولد حوالي 1854 بعين صالح وله جذور بالعائلة السنوسية بمستغانم، كان مصلحاً ورحالة وصل إلى تونس والمغرب وليبيا وشنقيط والحجاز، التقى في الحج مع السنوسي الذي أعطاه الورد وكلفه ببناء الزاوية. ينظر: مياسي إبراهيم، الاحتلال الفرنسي للصحراء...، المرجع السابق، ص 505، نقلاً عن أحفاد المهدي باجودة ومنهم دحاج السنوسي، عين صالح في: 1997/12/24-22

³ . مولاي التهامي غيتاوي، *لفت الأنظار...*، المرجع السابق، ص ص 104، 105

تكررت حملة أخرى قريباً من قصر الحاج قلمان بناحية قورارة وكان موقف أهل القصر رافضين لها أيضاً¹.

ولعل تأكيد بريطانيا دعمها لفرنسا في 21 مارس 1899م على ضوء ما ورد في اتفاق 5 أوت 1890م، كان كضوء أخضر لبدء عملية غزو توات بشكل رسمي، حيث أعلن (لافيريير) بوضوح لأعضاء المجلس الأعلى سنة 1900: "أنه لم يعد بإمكان أيّا كان من المنظومة الدولية عرقلة أهدافنا منذ اتفاق 5 أوت 1890 والمكملة بمعاهدة 21 مارس 1899، التي اعترفت بأراضي جنوب البحر المتوسط كجزء لا يتجزأ من أراضينا الداخلية، أي تلك التي تمتد بين الجزائر والسودان..."². لتتجسد الأحلام الفرنسية بإجراءات متسارعة تسهياً للعملية، ففي 08 جوان 1899 كُلف (فلامون) بمهمته نحو الجنوب، وفي 25 جوان 1899 خصصت لجنة الميزانية مبلغ إضافي لاحتلال الواحات بلغ 11.3 مليون فرنك³.

وانطلقت البعثة في 28 نوفمبر 1899 من ورقلة نحو عين صالح بحجة استكشاف هضبة تادمايت علمياً، وقد اصطحبها النقيب (بان Pein) بقوة عسكرية قوامها 700 فرد لتصل إلى أولى قصور تيديكلت يوم 26 ديسمبر 1899م⁴، حيث كان نزولها في بادئ الأمر بقصر فقارة الزوى، وبحكم أن معظم سكان هذه الواحة كانوا تابعين لأولاد سيدي الشيخ فإنهم لم يقاوموا، ذلك أن الذين استخدمتهم فرنسا من بعض قبيلة أولاد سيدي الشيخ أحرزوا تقدماً ملحوظاً منذ 10 سنوات، بل ويذكر بعض الفرنسيين بأنهم حثوهم على القدوم وحفر الآبار الارتوازية في أراضيهم⁵.

يقول (فوانو Voinot) الذي كان يصاحب تلك البعثة أن سكان عين صالح لما سمعوا بهم راسلوا

¹ . A.G.P Martin, **Quatres Siècles...**, Op.Cit, pp. 311,312

² . Alis Harry et Terrier Auguste, **Bulletin du Comité de l'Afrique française**, Op.Cit, pp.11,12

³ . Ibid, p.246

⁴ . مياسبي إبراهيم، الاحتلال الفرنسي للصحراء...، المرجع السابق، ص ص 459، 460

⁵ . Alis Harry et Terrier Auguste, **Bulletin du Comité de l'Afrique française**, Op.Cit, p.52

المخزن من باب الاستجداء والتوسط منعاً للفرنسيين من التوغل في المنطقة، ثم لما وصلت البعثة في 27 ديسمبر 1899 قرب قصر إقسطن تأهب لها السكان بالاستعداد للمقاومة¹، وأن مهمة (فلامون) كانت محمية جيداً ودخلت إلى عين صالح والسلاح في اليد². بل حتى (فلامون) وهو يحاول في مذكراته تبرير احتلال عين صالح قال: أنه من باب "الصدفة الإلهية" تعرضت بعثته "السلمية" إلى هجوم من أولاد باحمو، مما أدى بالفرنسيين إلى الاستيلاء على عين صالح، ويسرد الوقائع في كرونولوجيا رحلته أنهم اقتحموا قصبة باجودة في 27-28 ديسمبر 1900، ودخلوا القصر الكبير في عين صالح في 29 ديسمبر ماكثين فيه إلى غاية 20 جانفي 1900 حيث قفل راجعاً إلى الجزائر العاصمة على نفس خط المجيء³. وهذا مختصر حديثه عن بعثته الذي ركز فيه على ما حققه علمياً خاصةً في هضبة تادمايت دون الغوص في عملية الغزو العسكرية.

وفي واقع الأمر أن أهل عين صالح لما اكتشفوا حقيقة ونوايا البعثة المحمية عسكرياً، كانوا قد استعدوا لها بمئات من الرجال بقيادة الحاج المهدي باجودة، وبمجرد وصولها قرب قصورهم هاجموا يوم 28 ديسمبر 1899 ودافعوا عن قصورهم الواحدة تلو أخرى⁴، ذلك أن النقيب (بان Pein) كان قد طالب سكان عين صالح بتسهيل مرور البعثة، فلما رفض مجلس أعيان القصر وعلى رأسهم باجودة نشبت معارك الفتيقيرة (إقسطن) وعين صالح توالياً⁵. ولما استشعر الفرنسيون بانتظام مقاومة جديدة قادمة من توات الوسطى بقيادة مولاي عبد الله الرقاني، استجدوا بقوات إضافية من دائرة المنيعه قوامها 300 جندي بقيادة (بومقارتن Baumgarten) ليتواجه الطرفان في معركة طاحنة في 5 جانفي 1900 قرب الدغامشة، وسقطت بذلك قصور عين صالح⁶.

¹ . Voinot Louis, **Le Tidikelt...**, Op.Cit, p.91

² . Ibid, p.86

³ . G.B.M. Flaman, **une Mission d'Exploration...**, Op.Cit, p.234

⁴ . عبد القادر مرجاني، السياسة الفرنسية ودور المستكشفين...، المرجع السابق، ص 55، 56

⁵ . رموم محفوظ، "الاحتلال الفرنسي..."، المرجع السابق، ص 65

⁶ . مياسي إبراهيم، الاحتلال الفرنسي للصحراء...، المرجع السابق، ص 465

وكان لسقوط عين صالح صدى مدوي في الجزائر، أبانت خلالها فرنسا عن حقيقة أهدافها، حيث لما عاد (فلامون) إلى الجزائر العاصمة استقبل بشكل رسمي، وأصدر الحاكم العام الفرنسي (لافيريير Laferrière)¹ تعليماته إلى الرائد (بومقارتين) لإتمام عملية الاحتلال لكل منطقة تيديكلت، هذا الأخير كلف الملازم (كلوستر Claustre) بالسير نحو إينغر على رأس 100 فارس لاستطلاع واحاتها في 21 جانفي 1900، ثم التحق به في 24 جانفي على رأس 120 من القومية (Les Goumiers)² وكتيبة (Compagnie) من الصبايحية، وطالب من سكان القصبات الخضوع والاستسلام، فكان ردهم على لسان الزعيم الحاج محمد عزي بمقولته الشهيرة "والله لو ماتوا كبارها وطاحوا أسوارها وتخلطت نساها مع صغارها، لا نستسلم"³.

ودون الخوض في أحداث المقاومة لأننا خصصنا لها الفصل الأخير، فإن سكان قصر إينغر تركوا الفرق القومية المصاحبة للقوات الفرنسية تدخل القصر، حتى لما وصل الرائد (بومقارتين) مع قواته الأخرى، رفض الناس الاستسلام وأغلقت قصباتهم واستعدوا للمعركة، ولم يتمكن القومية والصبايحية الصحراوية من دخول القصبات، ليقرر (بومقارتين) في 26 جانفي العودة إلى عين صالح، وفي نفس الوقت تمكن باشا تيمي إدريس بن الكوري الشراي من جمع مئات من الرجال عبر قصور توات، ووصل إلى إينغر في 26 فيفري وبدأ في تنظيم دفاعات قصبته⁴.

¹ إدوارد لافيريير: وُلد فرنسياً سنة 1841، كان رجل قانون ودولة، تبوأ عدة مناصب منها: رئيس قسم الادعاء بمجلس الدولة 1879-1885، ثم نائب رئيس مجلس الدولة 1886-1898، ثم والي عام للجزائر 1898-1900، توفي سنة 1901. ينظر: <https://www.conseil-etat.fr>

² القومية: والقاف هنا تقرأ Go، وهي فرقة من المجندين الأهالي في صفوف الجيش الفرنسي، وكانت أولى الفصائل القومية تحت إمرة المرتزق التونسي يوسف الذي مولها بنفسه وخدم بها الفرنسيين، ثم قبائل الدوير والسملة جنوب شرق وهران والتي ارتبطت خدماتهم بالفرنسيين بموجب اتفاقية في 1835، ثم ظهرت فرق قومية بزعامة الأغا مصطفى بن إسماعيل ضد الأمير عبد القادر، وفي جهة الشرق كانت القومية من اتباع بن قانة شيخ العرب البسكري، وباختصار فالقومية نوعان: فرق مشاة تشارك في عملية الغزو، وفرق شرطة إقليمية تابعة للسلطات الفرنسية. ينظر: محمد بجاوي، المجندون الجزائريون في الجيش الفرنسي 1830-1900، إيش: شاوش حباسي، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، موسم 2005/2006، ص 88

³ مياسي إبراهيم، الاحتلال الفرنسي للصحراء...، المرجع السابق، ص ص 467-469

⁴ Voinot Louis, Le Tidikelt..., Op.Cit, pp.93-95

وفي تسلسل للأحداث انطلق الطابور الكلي بتجهيزات وقدرات عسكرية إلى عين صالح يوم 14 مارس، كان مدعوماً بعتاد يتكون من 600 بندقية و 50 سيف ومدفعين¹، ومن حيث التعداد كان مقررًا انطلاق قوة مشكلة من 200 من القناصة الصحراوية (Les Chasseurs) و 100 جندي قومي و 60 من الصبايحية في 17 مارس، ثم يلتحق بهم الرائد (بومقارتن) من عين صالح، وبحوزة المشاة 20 صندوق من خراطيش الرصاص و 150 طلقة مدفعية، وفي ليلة 18 مارس أرسل الفرنسيين دورية إلى جماعة القصر للتفاوض معهم ومعرفة نواياهم فاستقبلوهم بطلقات البنادق مما اضطرهم للانسحاب، وتجددت طلقات النيران من داخل القصر في المساء، ليخبر كشافة الطابور أن أهل إينغر يرفضون أي حوار فكانت المعركة العنيفة في اليوم الموالي²، والتي كان فيها سلاح المدفعية هو الفيصل رغم المقاومة الشرسة.

وبعد سقوط إينغر الملحمي وأصداء المجزرة الرهيبة التي ارتكبتها القوات الفرنسية في حق أهلها، توجه الغزو الفرنسي إلى بقية قصور تيديكلت، فسقطت تيط وأقبلي وبقية القصور كأحجار الدومينو في 24 و 25 مارس 1900، إلى أن تم احتلال أولف أكبر وأجمل قصور المنطقة في 28 مارس 1900، وبذلك توجت المهمة الفرنسية بالاحتلال الكامل لجهة تيديكلت، بطريقة ما سمي بالدخول الهاديء والسلمي إلى الصحراء³. يقول (فوانو) أن هذه القصور رغم أنها لم تقاوم لكنها استقبلت الفرنسيين بصفة سيئة للغاية، وبعد ذلك تم تعيين حامية عسكرية (Garnison) بعين صالح وإينغر وتيط، ودخلت تيديكلت في عهد جديد حيث أعلنت منطقة فرنسية⁴.

وتجلت أهمية سقوط عين صالح ومقاطعة تيديكلت بأنها كانت من أهم أحداث الاحتلال

¹ . Voinot Louis, **Le Tidikelt...**, Op.Cit, pp.93-95

² . Colonel D'eu, **In-Salah et Le Tidikelt**, Librairie Militaire R. Chapelot et C^e, Paris 1903, pp.36-39

³ . مياسي إبراهيم، **الاحتلال الفرنسي...**، المرجع السابق، ص 477

⁴ . Voinot Louis, **Le Tidikelt...**, Op.Cit, p.95

الفرنسي مطلع القرن 20م، فقد اعتُبرت بمثابة حجر الزاوية في استكمال مشروعه الاستعماري التوسعي، حتى أن الوالي العام الفرنسي (لافيريار) صرح في حفل غداء يوم 03 أبريل 1900 قائلاً: "إن هذا الإنجاز الملهم قد تم بفضل مجهودات أسلافنا، الذين أشيد بأعمالهم وبصيرتهم...، ذلك أنه عندما ينضج العمل المهم يجب قطفه في حينه ولا ننتظر سقوطه فجأةً من شجرة غامضة، حتى إذا كانت بعثة فلامون قد أسقطت تلك الثمار الناضجة بالفعل، فإننا رأينا مدى خطورة أوضاع المنطقة منذ 1890، بل وحتى بعد وصولنا إلى هذه الواحات اعترضتنا الكمائن والمواجهة المحلية في عين صالح وإينغر..."، وفي نفس المأدبة قال السيد (إيتيان Etienne) "لقد تمكنت فرقة من الجنود الأقوياء بقيادة الكابتن (بان Pein) من دخول واحة عين صالح وتثبيت الوجود الفرنسي، ومن الآن فصاعداً يمكن القول أن الجزائر صارت مرتبطة بالسودان"¹.

وبعدما سقطت تيديكلت بدأت بعض قيادات قصور توات تجهز بعثة للاستتجاد مجدداً بالسلطان المغربي، فتحرك طابور فرنسي من وهران نحو إيقلي كإجراء احترازي، بدأ بنزول قوات (دوفريي) في منطقة زوزفانة يوم 25 مارس، ثم بسقوط قصر إيقلي يوم 05 أبريل 1900م دون أية صعوبة²؛ ليسيتر بذلك طابور (بيرتراند Bertrand) على المركز الجغرافي الهام المشرف على وادي قير (القاف هنا تُقرأ غين أو G) ووادي الساورة معاً، ومنه فما بين منطقتي إيقلي وبني قومي (والقاف في هاتين الكلمتين تُقرأ G) أقام الفرنسيون حواجزهم لمنع مرور أي مبعوثين نحو فيقيق، وكان يوجد تحت إشراف (بيرتراند) 1773 جندي و53 ضابطاً و2500 جمل لحمل المؤونة والمعدات العسكرية واللوجيستية، وبذلك تم تحصين احتلال عين صالح من جهة الشمال الغربي، وتم عزل منطقة توات عن أي تواصل شمالاً وتطويقها بصفة تامة، وهو ما سوف يعين الحملات الفرنسية على إنجاح عملية

¹ . Alis Harry et Terrier..., **Bulletin du Comité de l'Afrique française**, Op.Cit, p.179

² . Ibid, p.177

غزوها للمنطقة¹.

وفي نفس الوقت وجه الفرنسيون أسرى معركة إينغر يوم 21 أبريل 1900 تحت حراسة مشددة من عين صالح إلى المنيعه، وكان ضمن الأسرى قائد تيمي الباشا إدريس الشراي*، هذا الأخير الذي سلم نفسه ورغم مشاركته في المقاومة بإينغر إلا أنه كاد يحبط معنويات الناس بقصد أو غير قصد، حيث شرح لهم قبل سقوط القصر أن هناك وسيلة وحيدة مضمونة توقف النصارى عندما نعجز على مقاومتهم، وهي رفع خرقة بيضاء، ولكن الناس رفضوا ذلك وتركوه وحيداً ليحرب وسيلته منفرداً ويختفي بعد ذلك².

ويبدو أن الفرنسيين من خلال مسارعتهم الزمن ووصولهم بأقصى وقت ممكن إلى جهة الساوره، انطلاقاً من المنيعه وعبر مسار العرق الغربي الكبير، أنهم سعوا لمحاصرة منطقة توات من جهاتها الشمالية لمنع أي استجداد أو دعم، وبالفعل فقد كانت الخطة هي بدء الغزو مجدداً من جهة قورارة، والزحف مرة أخرى على قصور المنطقة، ولم يكن وصولهم إلى إيقلي حيث قصور الغنامة إلا حلاً سريعاً ومستعجلاً للإطباق على المنطقة، ومنع تحركات المقاومة ووضعها بين فكي كماشه، شرقاً حيث سقطت تيديكلت وقصورها، وشمالاً وغرباً حيث كانت التحركات الفرنسية عبر خط المنيعه والعرق الغربي الكبير، ليأتي الدور على جهة قورارة في تلك الاستراتيجية.

2- الغزو من جهة قورارة:

سقطت قصور تيديكلت في غضون ثلاثة أشهر لكن توات الممتدة من قورارة شمالاً إلى تنزروفت جنوباً لم تسقط بعد، ولأن منطقة قورارة كانت بوابة توات الشمالية والمنفتحة على الجنوب الوهراني والجنوب المغربي معاً، فقد سارعت فرنسا بالعودة إلى حصونها في المنيعه ثم الانطلاق في

¹ . أحمد العماري، توات في مشروع...، المرجع السابق، ص 157

*. ينظر الملحق 15 ص 409، والملحق 19 ص 411

² . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, pp.347,348

غزو المجال التواتي من بوابته الشمالية، خاصةً أن لها مراكزاً عسكرية على مشارف العرق الغربي الكبير في المنيعية والأبيض سيد الشيخ والبيض جيريغيل والأغواط، وهو ما يساعدها في إمداد طوابيرها بالدعم والمؤونة، والهدف كما ذكرنا هو الإطباق على توات الوسطى بين فكي كماشة؛ حيث واعتباراً من 05 أبريل 1900 بدأت التحركات نحو قورارة، والتي تم فيها توجيه سرية من الزواف (Les Zouaves)¹ من الأغواط إلى المنيعية لهذا الغرض، وسرب من الصبايحية من الجلفة، ليتشكل بذلك طابور العقيد (مينيستريل)².

وفعلاً ففي 27 أبريل 1900 تحرك طابور عسكري من المنيعية في 800 رجل ومدفعين بقيادة العقيد (مينيستريل Menestrel)³، وتقدم الطابور نحو قصر تعنطاس بجهة تينزوكوك يوم 11 ماي 1900، وبعد إخضاع هذا القصر الصغير تدعمت قوات الفرنسيين بفرقة أخرى قوامها 400 رجل قادمة من البيض جيريغيل عبر العرق، ووجهوا نداءات إلى قصور الناحية يطالبونهم بالاستسلام، وفي القصر المجاور فاتييس تجمع الأعيان ورفضوا الانصياع لدعوات وإنذار الفرنسيين، فاندلعت المعركة التي قادها قائد المحارزة⁴ لكن القصر الصغير لم يتحمل قذائف المدفعية وفي نفس الوقت تسرب المشاة عبر البساتين، فسقطت الواحة وتم أسر القائد عبد الكريم المحرزي⁵.

¹ الزواف: نسبة للزواوة قبائل أمازيغية كانت تقطن خلف جبال جرجرة، تميزوا بكونهم من أحسن الجنود الذين قدموا خدمات عسكرية للأتراك، ليتمكن الفرنسيين من استمالتهم منذ 25 أوت 1830 وتجنيد ما يقارب 2000 جندي في باديء الأمر عن طريق دي بورمون، وهناك من يحدد موقع الزواوة عموماً على بلاد القبائل الكبرى في حين أن الزواوة الذين قدموا خدماتهم للفرنسيين سنة 1830 تقع مضاربهم حول جبال الظهرة بالأطلس التلي شمال غرب المدينة وجنوب غرب البليلة. ينظر: محمد بجاوي، المجندون الجزائريون في الجيش الفرنسي...، المرجع السابق، ص 199

² . Tillion André, *La Conquête des Oasis Sahariennes....*, Op.Cit, pp.42,43

³ . فريدريك منيستريل: وُلد سنة 1848، أصبح عميداً سنة 1901 ثم جنراً لفرقة عامة سنة 1905، وتولى عدة مناصب عسكرية مثل قائد اللواء الثاني للخيالة الجزائريين وفرقة تلمسان، ثم قائد أركان الفيلق 19، إلى أن صار قائد الفيلق العاشر وعضو المجلس الأعلى للحرب، ثم في قسم الاحتياط سنة 1913، ومفتشاً للمناطق الداخلية ومفتشاً لقوات وخدمات الجزائر وتونس، كما نال وسام شرف في حرب 1870-1871، وتوفي سنة 1919. ينظر:

Site du Musee des Etoiles, Général de Division Menestrel, museedesetoiles.fr

⁴ . حسب تحرياتي فإن عائلة هذا القائد تلقب حالياً بلقب كريمي ويسكنون مدينة تيميمون، وهو المسمى عبد الكريم بن محمد قائد جماعة يحمد منذ 1892 على كل من قصور فاتييس وزاوية الدباغ وأولاد عياش. ينظر: أحمد العماري، توات في مشروع...، المرجع السابق، ص 118

⁵ . A.G.P Martin, *Quatres Siècles....*, Op.Cit, p.349

بعد سقوط قصور تينركوك واصل الطابور الفرنسي طريقه مروراً على قصور خنافسة قورارة وأولاد سعيد، حتى الوصول إلى عاصمة المنطقة تيميمون في 22 ماي 1900 والتي نظراً لأصدقاء معركة إينغر ومصير الباشا إدريس، اختفى باشا جماعة سفيان وقائد تيميمون معاً¹، لترفع القوات الفرنسية العلم الفرنسي فوق القصبه التي فر منها ممثل الملك²، وقد فسر ذلك محمد بن عبد الكريم البكري في تقييده حيث ذكر أن رؤساء توات اجتمعوا في تيمي، ورغم أنهم تشاوروا فيما بينهم حول الأوضاع والأحداث المترتبة عن سقوط تيديكلت، لكنهم لم يتفقوا على رأي، مما جعل عامل تيميمون يتقرس بعقله أنه لا طاقة له على مقابلة الدولة الفرنسية³.

وكان لنجاح هذا التوغل السلس نظير الخدمات المقدمة من بعض مرابطي أولاد سيدي الشيخ، خاصة أن المنطقة كما عرفنا سابقاً فيها قبيلة الخنافسة حليفة أولاد سيدي الشيخ. وحتى في الروايات الشفوية لا يزال الناس في توات يتذكرون دور بعضاً من أولاد سيدي الشيخ في إحباط معنويات القصور بقولهم: "أنكم لا تقدرون على فرنسا"⁴. فساهموا بقدر كبير في شل المقاومة وتسهيل سقوط قورارة بأقل الأضرار، أو على الأقل كان هذا الموقف نتيجة صدمة المنطقة في بداية الغزو الفرنسي.

وفي ذلك السياق أورد (مارتن أ.ج.ب) رسالة من باشا آغا البيض جيريغيل سي الدين بن حمزة إلى الخنافسة بتاريخ 23 أبريل 1900، جاء في بعضها: "إلى كل جماعة تيبيرغمين واعبود بأوقروت وبالأخص (فلان بن فلان والحاج فلان بن فلان) وغيرهم...، ما كنت أخشاه بالنسبة لكم فقد وقع، وكم كنت متخوفاً من ضياع مصالحكم وتقتيل أهلكم وتخريب بلادكم...، إني وجهت لكم هذه الرسالة مع

¹ . وهو محمد بن عمر المراكشي كان عامل السلطان المغربي على فيقيق، ثم في إطار محاولات المخزن استغلال حاجة ناس توات للاستجداد به تم تعيين هذا الشخص باشا قورارة سنة 1896 على طائفة سفيان، وأما قائد تيميمون فكان المسمى الحاج أحمد بن رزوق وهو أيضاً من المخزن وليس من المنطقة. ينظر: A.G.P Martin, Quatres Siècles..., Op.Cit, pp. 294,295

² . A.G.P Martin, Quatres Siècles..., Op.Cit, p.349

³ . محمد بن عبد الكريم البكري، تقييد حول تاريخ توات...، المصدر السابق، ص 7

⁴ . بريوشي الحاج أحمد الرقاد، الشهادة نفسها

أولادي وأبناء عمومتي حتى تكونوا تحت رعايتهم، وسيكونون وساطة خير بينكم وبين الحاكم الفرنسي، فلا تترددوا...، إنكم تعلمون أنه ليس لكم القوة الكافية لردع هذه المعاناة، والله سبحانه وتعالى حرم على الانسان أن يلقي بنفسه إلى التهلكة، هو الملك القدوس له ما أعطى وله ما أخذ. وكونوا على يقين وثقة من نزاھتي، ولا تضعوا أنفسكم إلى جانب أولئك الذين يخربون أنفسهم بمقاومتهم"¹.

ورغم ذلك فالطابور الفرنسي لم يمر على أوقروت بل توجه إلى جهة لدول التي دخلها في 31 ماي 1900، وإلى غاية هذا الحد لم ينجح طابور (مينيستريل) في إخضاع المنطقة بكل قصورها². ورغم أن جماعة لدول أبلغت الحاكم الفرنسي بتييمون (فالكونتي) بأن حلفائهم بالمطاربة موافقون على شروط الاستسلام، إلا أن المبعوث علي بن سعيد إلى قائد المطاربة الحاج عبد العزيز بن أحمد ذكر للفرنسيين أن المطاربة رفضت استقباله وطردته بسفالة، وفي الوقت الذي غادرت فيه الفرقة الفرنسية نحو المنية أخذ كبير المطاربة تحضير نفسه للمقاومة، وفي ذلك الإطار أبرم اتفاق تحالف مع جماعة تسابيت في جوان 1900، ونقض كل علاقاته مع حليفه القديم لدول، وبذلك بقيت المطاربة عدواً متمرداً في نظر حاكم ملحقة قورارة³.

3- الغزو المتعدد الجبهات (تيديكلت-توات-قورارة):

وبعد تلك المرحلة الجريئة في كل من تيديكلت وقورارة، جاءت الخطوة الحاسمة في احتلال كل منطقة توات، وذلك باقتحام طابور الجنرال (سيرفيار Serviere)⁴ قائد الشعبة العسكرية لإقليم الجزائر لكل من تيديكلت وتوات وقورارة في آن واحد، وقد رافقه في مهمته تلك مجموعة من المساعدين كالرائد

¹ . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, p.350

² . مياسي إبراهيم، *المقاومة الشعبية الجزائرية*، دار مدني، الجزائر 2009، ص 120

³ . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, p.351

⁴ . تيودور سيرفيار: وُلد في كوربيفوا ضواحي جهة السين سنة 1842، خدم في الحملة على المكسيك 1870-1871 والحملة داخل الجزائر، وفي 1892 عُين رئيساً للجنة ترسيم الحدود في الصين وجوارها، ترقى عسكرياً في رتب مرموقة بين 1894-1900، فصار قائد الفيلق التاسع عشر بالجيش الفرنسي، وساهم في التوغل الفرنسي ناحية الجنوب الغربي للجزائر، توفي سنة 1921. ينظر: Armand Théodore Servière, <https://gw.geneanet.org>

(لاكيار Laquiere) قائد مصلحة الشؤون الأهلية بنفس الشعبة، والنقيب (دوبليسيكس Du plessix) ضابط الأركان العامة، والضابط المترجم (ريمون Raymond)، والملازم (بيليتي Pelletier) قائد القناصة الصحراوية¹، فوصل الجنرال (سيرفيار) إلى عين صالح يوم 24 جوان 1900، ثم واصل تفقده لجهة تيديكلت على رأس قوة قوامها 250 بندقية، ثم سار نحو توات أين استقبله بعض الأعيان والعبيد في رقان وسالي وزاوية كنتة وتمنطيط وتيمي في 30 جويلية 1900، ثم استكمل طريقه مروراً على اسبع وكبرتن ودلدول، ثم تيميمون التي وصلها يوم 7 أوت 1900 وانعطف بعدها إلى المنيع². ويضيف الدكتور إبراهيم مياسي أن طابور الجنرال (سيرفيار) في جولته العابرة لتوات الوسطى من الجنوب، كان يتكون من 07 ضباط و 234 رجلاً و 56 حصان و 299 من المهاريس³، وأنه توقف في قصر بوعلي يوم 26 جويلية 1900 للراحة، وتلقى فيه رسالة من تيمي عن خنافسة قصر الكاف بواسطة المسمى محمد بن قدور وعبد القادر بن علال، مفادها أن الطريق آمن إلى درجة أنه يمكنك حمل الذهب والفضة فوق رأسك ولا يحدث لك أي مكروه، أي: بدون أي خوف من الطريق حتى تصل إلى تيميمون، كما تلقى تطمينات من محمد بن سعيد بن يزيد حامل الرسالة، حول تحركات القبائل والأهالي عند مروره بهم، وأن الجميع متخوفين من الفرنسيين ومستعدين لاستقبالهم⁴. ومما يمكن استنتاجه أنه حقاً كانت لفرنسا بعض العيون والجواسيس في قصور توات، وقد ذكر (سيرفيار) كيف أنه كان يستطلع أخبار القصور والمقاومة عبر بعض الأسماء المحلية وغير المحلية، سعياً منه للتوغل السلمي في الصحراء، لكن في حقيقة الأمر أن السكان في توات آنذاك قبلوا بواقع الأمر على مضض، ولعل السبب في ذلك نظراً لتأثير مجزرة الفرنسيين في إينغر عليهم، ونظراً

¹ . مياسي إبراهيم، المقاومة الشعبية الجزائرية، المرجع السابق، ص 120، 121

² . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, p.352

³ . مياسي إبراهيم، المقاومة الشعبية...، المرجع السابق، ص 124

⁴ . Comité L'Afrique Française, *Bulletin Mensuel*, N° 1, Renseignements Coloniaux, "La Colonne Servière Au Tidikelt, au Touat et au Gourara (21 Mai-18 Aout 1900)", Paris Janvier 1902, pp.18,19

لفقدانهم القيادة والزعامة والقدرة على تنظيم صفوفهم في ظل تلك الأوضاع والأحداث المتسارعة، ورغم ذلك فالمواقف لم تكن على نفس الرأي من الغزو الفرنسي، حيث لا تزال المطارفة وتسابت وبودة وشروين وظلمين وأقروت لم يصلها الفرنسيون، ويبدو أنه ومن خلال تجنب هذه القصور من طرف طابور (سيرفيار) أنها كانت رافضة ومستعدة للمقاومة، وهذا ما سنراه في باقي تسلسل أحداث الغزو والموقف الشعبي المحلي منه.

أما عن نتائج تلك الجولة لطابور (سيرفيار) فقد قام هذا الأخير بتهيئة الأرضية والظروف لاحتلال هذه المنطقة بشكل نهائي، حيث استنتج أن توات كانت تتمتع بحكم شبه مستقل من خلال نظام الجماعة في كل قصر، وأن جهة تيمي يمكن جعلها عاصمة للمنطقة بحكم توسطها المحاور والمسالك، وأنه يمكن تعيين ممثلين ومراكز للفرنسيين بالمنطقة، كما استوعب أن مشروع الغزو يحتاج لرصد أموال وأسلحة وظروف مواتية، ومن خلال هذه القراءة والدراسة أنشأت المصالح الفرنسية ملحقة عسكرية في تيميمون على رأسها النقيب (فالكونتي Falconetti)، هذا الأخير بادر باستكمال مشروع الغزو بجولة تفقدية ناحية دلدول أواخر شهر أوت 1900، اصطحب فيها فرقة من الصبايحية الصحراوية مع النقيب (بان Pein)¹؛ والواضح أنه كان يستهدف إخضاع المطارفة المتمردة.

يقول (دو لا كروا) أن بعض الواحات في قورارة دعت البرابر² في المنطقة لتنظيم المقاومة ضدهم، وفي 30 أوت 1900 واجه (فالكونتي) أولئك الخصوم في الساهلة والمطارفة، حيث تحصنوا في القصبات وقاوموا كل الهجمات الفرنسية حتى اضطرت قواتهم للانسحاب يوم 5 سبتمبر 1900، وأن تلك المقاومة كلفتهم قتلى وجرحى حتى من كبار الضباط كالقبطان (جاك Jacque)، رغم أنهم

¹ . مياسي إبراهيم، المقاومة الشعبية الجزائرية، المرجع السابق، ص ص 126، 127

² . أحيانا نجد إشكالا في التفريق بين البربر والبرابر، خاصة أن الفرنسيين في بعض المرات يكتبونها Beraber وتارة أخرى Berber، وفي هذا الحدث ظهرت هذه المجموعة شمال دلدول وبالضبط في قصر بلغازي، والتي تشير المصادر الفرنسية أنهم كانوا من أهم أسباب التحريض والمساهمة في معركة المطارفة، مع مرورهم على قصر أولاد راشد، والمعروف عن هاتين المنطقتين أنهما من الزناتة البربر، في حين البرابر قبائل من جهة الساورة وضواحي تافيلالت.

استعانوا بتعزيزات مسلحة في جهة الجنوب الغربي¹. ودون الخوض في أحداث هذه المعركة العظيمة التي سنتناولها في الفصل الأخير بالتفصيل، فلإشارة وقبل المعركة حاول قائد لدول وبمساعدة كبير قصر أولاد محمود التوسط بين الفرنسيين وجماعة قصر المطارفة، لكن محاولتهما باءت بالفشل نظراً لتعنّت كلا الطرفين².

وحسب نفس المصدر الفرنسي للباحث (مارتن أ.ج.ب) فإن أحداث المطارفة رمت بظلالها، فتشكلت فرقة فرنسية جديدة أواخر سنة 1900 انطلاقاً من المنية بهدف استكمال احتلال توات، وتمهيداً لتلك الحملة أطلقت السلطات الفرنسية سراح أسرى معركة إينغر وسمحت لهم بالعودة إلى قصورهم، ثم غادرت القوة الفرنسية المنية في 8 جانفي 1901 ودخلت تيميمون في 26 جانفي، وحينها قرر الجنرال (سيرفيار) انطلاق فرقتان في نفس الوقت: الأولى من تيميمون قوامها 800 رجل و4 مدافع يقودها بنفسه، والثانية مكونة من 300 رجل تتطوّل من جهة تيديكلت، وكان مخططاً ومقرراً لهما الالتقاء في تيمي يوم 30 جانفي من نفس السنة³.

فبعد استتباب الوضع ولو بالتسوية والصلح في المطارفة، تشير الأوساط العسكرية إلى أن الطابورين اللذان تحركا كان أحدهما تحت قيادة العقيد (كوشماز Cauchmez)⁴ انطلاقاً من الأغواط، والآخر هو طابور الجنرال (سيرفيار) انطلاقاً من المنية، فكان مجموعهما 1100 جندي و4 مدافع،

¹ . A.Bernard, N. Lacroix, "La Pénétration Saharienne...", Op.Cit, p.155

² . A.G.P Martin, **Quatres Siècles...**, Op.Cit, p.352

³ . Ibid, pp.356,357

⁴ . **أوغست كوشماز**: وُلد سنة 1844 في سانت سيريان، خدم أول مرة في فرقة للمشاة وأصيب على إثرها سنة 1870، ثم تحول للشؤون الأهلية بالجزائر سنة 1873، ثم الشؤون العربية بتونس 1882-1887، ثم رئيس للبعثة العسكرية بالمغرب بين 1889-1893، لتتم ترقيته إلى مقدم عام 1893 وقائد عسكري لقابس بتونس، ثم عقيد للفوج الرابع للزواف 1897-1900، ثم تولى قيادة إقليم الواحات الصحراوية في الجزائر، ثم عميد في منطقة عين الصفراء، ثم لما فشل في القضاء على المقاومة في الجنوب الغربي حل مكانه ليوطي، وأنهى حياته المهنية سنة 1906 كقائد أول في وهران. أنظر:

Site du military-photos, Le 4e régiment de Zouaves (1897), Colonel Cauchemez, www.military-photos.com

اتجهوا نحو توات الوسطى مجدداً لإعادة إخضاع القصور والقرى فيها، ونجحوا في تلك المهمة إلى أن دخلوا أدرار العاصمة الجديدة لمنطقة توات في 10 فيفري 1901م ووضعت تحت قبضة القائد الفرنسي، ثم تحركت الطوابير من جديد في مهمة تطهير المنطقة من المقاومة، واستكمال التوسع نحو المناطق البربرية التي استعصت عن السقوط¹.

لكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، حيث اندلعت معارك قوية من جانفي إلى مارس 1901 في كل من تيميمون وشروين وطملمين، وتشتتت قوات وطوابير فرنسا ما بين أحداث تيميمون في جانفي والوصول إلى تيمي في 10 فيفري 1901، ثم التحاق الفرقة القادمة من تيديكلت، وعملية سريعة في بودة في 12 فيفري 1901، وتحالف المطارفة مع برينكان في تسابيت، ومعارك شروين وطملمين من 28 فيفري إلى 9 مارس 1901، مع تحرك للمقاومة في كل من بودة وقورارة والساورة، وهي أحداث سنصل إليها بالتفصيل في الفصل الموالي، مع الإشارة إلى أن الفرنسيين على إثر تلك الأحداث شرعوا في تنظيم الواحات بقرارات وسياسات إدارية وعسكرية لضمها بشكل رسمي ومهيكل.

وفي نهاية أحداث الغزو الفرنسي لمنطقة توات، يمكن القول أنه لم يستتب الأمر لفرنسا بالشكل الذي كانت تحلم به، وإنما كلفتها طوابيرها فترة طويلة ممتدة من ديسمبر 1899م إلى ماي 1901م، تشتتت فيها بين تيديكلت وتوات الوسطى وقورارة، تارة كانت تمر بهدوء وتارة أخرى تعترضها قصور وقبائل توات من حيث لا تدري، ورغم ذلك فإن جيوب المقاومة استمرت في المنطقة وعلى حدودها إلى غاية سنة 1903م، مما جعل السلطات الفرنسية تسارع لاتخاذ إجراءات وسياسات إدارية وسياسية واقتصادية وثقافية خاصة بقصور توات، الهدف منها اللاحاق والضم والإخضاع لها بشكل نهائي.

رأي واستنتاج:

لقد رأينا كيف أن هذه القصور القليلة من حيث عدد السكان، والمتناثرة في صحراء قاسية من

¹ . مياسي إبراهيم، الاحتلال الفرنسي للصحراء...، المرجع السابق، ص 493

أقصى الجنوب الغربي للجزائر، والتي كانت تظن فرنسا بأنها قد لا تطلق فيها رصاصة واحدة، وقد يكفيها الزحف السلمي والهادئ الذي مهدت له منذ عقود، لكنها اصطدمت بمقاومة عنيفة طال من خلالها زمن الغزو لأكثر من عامين، يرى فيها المحللون والباحثين أن الفرنسيين لجأوا حينها للاستعانة بتعزيزات عسكرية عدة مرات، ناهيك عن استفادتهم من سلاح المدفعية الذي تفوقوا به، لدليل على أن توات استعصت عليهم ولم تسقط بتلك السهولة التي كانوا ينتظرونها.

وأن فرنسا وظفت في غزوها للمنطقة أهم الوسائل والأساليب التي ذكرناها آنفاً، فكانت حصون المنيعه والبيض والأغواط تمدّها بالتعزيزات والدعم اللوجيستي، وأنها كانت تتمترس بقوات العملاء من الصبايحية والقومية والمهاريست في الصفوف الأولى للقتال، وكان للعيون والجواسيس وبالأعلى أهل توات بما بثوه من شائعات ونداءات إحباط، وبما قدموه من معلومات ومساعدة للفرنسيين، كما أنها لعبت بهم على وتر الحرب النفسية والدعائية، ناهيك عن أساليبها المنحطة التي تعودت عليها وظنت أنها ستقضي بها وطراً، كتهديداتها واغراءاتها ومجازرها وتشويهها للمقاومة ورجالاتها، حتى أننا في اعتمادنا على كتابات ومصادر فرنسية استشفنا ذلك الانحياز لدولتهم والاحتقار والانتقاص والاستغراب من مقاومة المنطقة.

كما استنتجنا بما لا يدعو مجالاً للشك أن أحداث ومجريات الغزو الفرنسي للمنطقة، كانت متشابهة ومترابطة بين كل جهات وقصور المنطقة، وأن احتلال تيديكلت وقورارة والمقاومة فيهما كان له علاقة بتوات الوسطى، وأن هذه الأخيرة وضعها الفرنسيون بين فكي كماشة، وأن تحركات وردود الفعل في كل الحيز التواتي كانت غير منفصلة عن بعضها البعض، حيث أمدت توات الوسطى بخيرة رجالها في معارك تيديكلت وقورارة، كما أن بعض القصور استفادت من بعضها في الأخطاء والتجارب، ونفس الشيء فالسلطات الفرنسية تعاملت مع قصور توات بنفس المنطق والسياسة في توغلها وعلاقاتها.

كما رأينا قبل الغزو الفرنسي للمنطقة أن توات كانت كالقضية الدولية في محافل الدول الاستعمارية، فكذلك سقوطها كان مؤثراً وله ارتدادات وصدى وطني ودولي، حيث هلت فرنسا الاستعمارية في الجزائر العاصمة لسقوط أولى القصور في عين صالح، فدعمت قواتها وجنرالاتها بطوابير وحملات خصيصاً لاستكمال تلك المهمة، كما أدى سقوط توات لزحف الفرنسيين من خلالها إلى جهة الساوره والتي ستسقط مع تيندوف تبعاً، كما حاول المخزن اللعب على حبل دعم أهل توات ولو ببعض المساعدة والأعوان، لكن للأسف كانت مواقفه ضعيفة ومخيبة خاصة أنه اعترف في 20 جويلية 1901 بتبعية توات لفرنسا، وكانت تلك الضربة موجعة لأهل توات وهم في عز المقاومة.

المبحث الثالث: السياسة الفرنسية في غزو المنطقة

كما اصطحبت فرنسا معها وسائل وأساليباً في غزوها لمنطقة توات، فقد وظفت في بداية احتلالها للمنطقة سياسات واستراتيجيات متنوعة ومستعجلة، الهدف منها تثبيت أقدامها وإنجاح عملياتها التوسعية، والضم النهائي لقصور المنطقة والانطلاق منها للزحف نحو باقي مناطق الجنوب الجزائري، وقد يتساءل سائل لماذا أوردنا هذا العنصر في فصل الغزو الفرنسي بالضبط؟؟ ذلك لأننا استنتجنا أن تلك الإجراءات والسياسة المتبعة كانت متزامنة ومصاحبة لأحداث الغزو في المنطقة، أو أنها استمرت بعده بسنوات قليلة حيث كانت معارك المقاومة والمد والجزر بين الفرنسيين والسكان المحليين، فهي في حد ذاتها جزءاً من عملية الغزو ومظهراً من مظاهر الاحتلال الفرنسي الذي اتضحت من خلاله سوء نواياه وطبيعة عاداته التي لا تتغير.

1. السياسة العسكرية وإدارتها:

1.1. استخدام القوة العسكرية ترهيباً وتغديباً:

لقد ظهرت مقدمات الغزو الفرنسي لمنطقة توات جلية، منذ أن شرعت في تشييد الحصون

والأبراج العسكرية في النقاط المرورية المؤدية إلى قصور توات الشرقية والشمالية، حيث أنشأت حصن المنيع عام 1888م والذي حولته سنة 1891م إلى مركز عسكري دائم استعداداً للتوسع على عين صالح ووحدات توات، وكثفت تشييدها لتلك الحصون المتاخمة للمنطقة من جهة المنيع والبيض سنوات 1893 و 1895 و 1897م، لتتطلق منها أولى بعثاتها وطواويرها العسكرية التوسعية في خريف 1899م، وكانت النية واضحة أنها ستأخذ المنطقة بمنطق القوة العسكرية في حالة لم تستجب لها محاولاتها الأخرى¹.

كما أنها جيّشت لعملية الغزو طواويرها العسكرية بقوة، وجنّدت فيها الكتائب والفرق الفرنسية الرسمية وأعوانها المحليين من قومية وصبايحية ومهاريست، استفادتهم من خارج توات، ناهيك عن العدة فالعتاد العسكري الذي وظفته كان متطوراً وحاسماً مثل سلاح المدفعية، حيث رأينا كيف أنها كلما استعصت عليها واحة أو قصر إلا وكان للمدافع كلمتها في ترجيح كفة الموازين، وعلى العموم فمن خلال جمعنا لإحصائيات تلك الطواوير وقفنا على ما يلي: 1100 جندي و 4 مدافع في غزو منطقة قورارة، وأكثر من 1500 جندي و 2 من المدافع و 20 صندوق من خراطيش الرصاص و 150 طلقة مدفعية في بداية غزو جهة تيديكلت، وقربة 2000 جندي و 2500 جمل مؤونة في خنق المنطقة من جهة الساورة.

والى غاية 01 جويلية 1902 كانت القوات الفرنسية الثابتة تتوزع وتتمركز في جهات توات على النحو التالي:

جدول رقم 06: توزيع قوات الاحتلال الفرنسي في جهات توات ما بين 1900-1902

تيميمون	-مخزن وقسم لشؤون السكان	تيمي	-القائد الأعلى للوحدات الصحراوية
	-مفرزة (Détachement) من الصبايحية		-مخزن وقسم لشؤون السكان

¹ . إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص ص 455-458

الصحراوية		-سرية من القناصة الصحراوية -مفرزة من كتبية إفريقيا -مفرزة من قطعتين للمدفعية -خدمات مساعدة (مستشفى، إدارة، تلغراف)
عين صالح	أولف	-مخزن وقسم لشؤون الصحراء -مجموعة من المهاريس -قسم من القناصة الصحراويين -مفرزة من كتبية إفريقيا -خدمات مساعدة (مستشفى، إدارة...)

المصدر: ¹ بتصرف.

ولم تتوانى القوات الفرنسية في توظيف سياسة الترهيب والوعيد، فهذا الحاج عبد السلام بن د كان بوقاً يحث باسم فرنسا أهل إينغر على الاستسلام للأسياد الجدد-كما سمّاهم- في رسالة بتاريخ 29 رمضان 1317 هـ/31 جانفي 1900م، متوسلاً لهم باسم الأخوة والمحبة ألا يرفعوا السلاح أمام فرنسا، حيث يقول في بعض سطورها: "... لقد جاء إلى هنا سيد العربي بن قدور بن حمزة الزاوي الأغا ومعه فرق عديدة من شعانبة المنيعه وورقلة ومثيلي، وكذلك العساكر الفرنسية ومعهم ثلاثة مدافع، سيحل بكم عن قريب أمر فظيع، أيها الإخوة والأصدقاء إننا إلى جانبكم كرجل واحد، لكن اليوم قدمت علينا وعليكم قوة لا تقهر، سيبيدونكم بأسلحتهم الفتاكة"، ثم يضيف "إنني لم أكتب لكم أبداً كذباً أو أخباراً ضارة أو مؤذية، لكنني أرى مجزرة تهددكم وأريد أن أجنبكم ذلك إن لم تعصوني، أخبرونا

¹ . Guillaume de Champeaux, a Travers Les Oasis Sahariennes..., Op.Cit, pp.67,68

بجوابكم عاجلاً قبل أن يهاجموكم، وبما ستحاولون القيام به مما لا يؤدي بكم إلى الخراب، والسلام"¹.
 وفعلاً ففي معاركها الأولى بمنطقة تيديكلت كشفت فرنسا عن وجهها القبيح، حيث ارتكبت أعمال عنف وحشية اتجاه الساكنة المحلية وعناصر المقاومة، ممارسةً بذلك لسياسة الأرض المحروقة والإبادة الجماعية كما هي عاداتها، فقد كثفت قصفها المدفعي في غزوها للقصور والواحات مثلما حدث في قصبات إينغر في 19 مارس 1900، فدمرت كل القصر وقتلت العديد من السكان بمن فيهم النساء والأطفال وحتى المواشي²، حيث ارتقى في إينغر وحدها في ظرف يوم أو يومين أكثر من 500 شهيد و 450 أسير بينهم 20 رجلاً من كبار المنطقة³، وكانت القوات الفرنسية بتلك المجزرة تستهدف إشاعة الخوف والرعب كرسالة للقصور الأخرى التي قد تقاومها، واستعراضاً لقوتها بأنها لا تقهر.

بل حتى أن الجنرال (دو D'eu) الذي كان مشاركاً في عملية اقتحام إينغر يقول بعظمة لسانه عن ضحايا السكان: "أعداد العدو كانت كبيرة ويمكن تقديرها بحوالي 600 قتيل و 50 جريح و 450 أسير"، وقد تم إطلاق ما مجموعه 136 قذيفة مدفع على القصر، و 12000 خرطوشة رصاص، وأن إطلاق النار كان يأتي من كل الجهات حتى أنه من المستحيل أن تتعرف على نفسك في ظل تلك الغزارة من القذائف والرصاص، وذكر هذا الجنرال أن ذلك كان مستمراً لحوالي 24 ساعة من الخامسة صباحاً حتى الرابعة ونصف صباحاً في اليوم الموالي، ويضيف أن عدد القتلى الهائل اضطرهم لدفنهم بشكل جماعي في خنادق، وأنه وبالرغم من أن نهاية المعركة كانت لصالح الفرنسيين إلا أن (بومقارتن) أعطى الأوامر بنسف ما تبقى من حصون وأسوار القصر⁴.

ويضيف (فوانو) أن المقاومين قاتلوا بشراسة وراء الثغرات ومن منزل إلى منزل مما اضطر جنود

¹ . A.G.P Martin, **Quatres Siècles...**, Op.Cit, p.328

² . إبراهيم مياشي، توسع الاستعمار...، المرجع السابق، ص 113

³ . Voinot Louis, **Le Tidikelt...**, Op.Cit, p.95

⁴ . Colonel D'eu, **In-Salah et Le Tidikelt**, Op.Cit, pp.42-52

الهندسة إلى ضرب سطوح البيوت بمفرقات من المتفجرات، تحت تغطية لكتيبة الصيادين الأفارقة والرماة الصبايحية¹. وكانت قوات الجنرال (سيرفيار) قد استخدمت قوة كبيرة من المهاريست في احتلالهم لمنطقة توات بما فيها الآلاف من الجمال، بحكم أنها كانت وسيلتهم المتوفرة في التنقل والتحرك العسكري²، إلى درجة أن (مارتن أ.ج.ب) ذكر أنه من كثرة خسائهم وفقدانهم لعدد كبير من الجمال عُرفت سنة 1900 بعام "الفطور"، فاستفاد العبيد والبسطاء من كميات كبيرة من اللحم جراء ذلك العدد الهائل من الجمال الهالكة التي تركها جيش الجنرال (سيرفيار) طوال طريقه³.

وبخصوص تلك الممارسات البشعة التي ارتكبتها تلك الطوابير، هذا الشاعر عبد النبي بوتقي الذي كان حاضراً، يقول في وصف ملحمة ومجزرة إينغر التي لم يسلم منها البشر ولا الحجر:

واطلع فوق العروق وانصب آلات الدمار... ودقق البروج تحت منها خرجنا
من البكرة إلى غدا في شو النهار... هو القرطاس بينا عامل مزنا
ماتت الأطفال مع النسا وشيوخ اكبار... بالجملة في احفير راها مردومة
وين جوامع وين خمسات التكرار... وين قصابي واش فيهم من خزنة
عادوا كاملين في يد الاستعمار... وهداك اللي اكتب علينا مولانا⁴

ومثله وصف الشيخ البكري بن عبد الرحمن (ت 1339هـ/1921م) أحوال وأهوال المنطقة أثناء

الغزو الفرنسي، فكتب شعراً ونثراً في غاية الأهمية الأدبية والتاريخية، قال في بعضه:

ربّ إن فرنسا الكفر جاروا... في توات وجازفوا بفساد
ختلوا قتلوا وصالوا ونالوا... وأضلوا وخاطروا بعناد
خوفوا أمةً توحد رباً... واحداً أحداً بلا أضداد¹

¹ . Voinot Louis, **Le Tidikelt...**, Op.Cit, p.94

² . مولاي التهامي غيتاوي، **لفت الأنظار...**، المرجع السابق، ص 122

³ . A.G.P Martin, **Quatres Siècles...**, Op.Cit, p.352

⁴ . عبد القادر بويه، **صفحات...**، المرجع السابق، ص ص 82، 83

وعن مجزرة ملحمة إينغر الرهيبة، هذه شهادة أحد جنود سلاح المدفعية الفرنسيين، نشرتها مجلة (نشرة لجنة إفريقيا الفرنسية) عبر رسالة بتاريخ 23 مارس 1900 جاء فيها: "وبعد أن تم تطهير الثغرات وتدمير القسبة تحت نيراننا، عندها تمكنا من إدراك قوة الدمار التي تسببت فيه مدافعنا، لقد كان كل شيء مجرد جثث، أناساً بدون رؤوس، وبدون أذرع، وبلا أرجل، وفيهم من كانت بطونهم مبقورة، لقد كان الرجال والنساء والأطفال والخيول والجمال مختلطين على بعضهم البعض، ومن بين ألف ومائتي ساكن لم يوجد إلا مائة وإثنين وستين سجيناً، أما الباقون فقد قُتلوا جميعاً وطُمرُوا في الخنادق..."²

وفي تتبعنا لأحداث الغزو الفرنسي، أن القوات الفرنسية كانت لا تتردد وبنفس الأسلوب الهتمي في استخدامها لسلاح المدفعية المتطور في دك القصبات والقصور كلما استعصت على السقوط والاستسلام، وقد حدث ذلك في قصبات تعنطاس وفاتيس والمطارفة سنة 1900م، وشروين وطمين سنة 1901م، رغم أن تلك الواحات كانت مجرد قصور طينية صغيرة من حيث عدد السكان، وضعيفة من حيث التسليح والتحصين، ورغم أن الفرنسيين كانوا يروجون أنهم يسعون "للفتح السلمي" في أنحاء المنطقة، إلا أن أولى خطواتهم كانت كفيلة بفضح ممارساتهم البائدة والتي تعودوا عليها في كامل التراب الوطني.

وأما بالنسبة لتعاملها مع الأسرى فقد ساءت القوات الفرنسية الأسرى من عين صالح إلى المنيعه ولم تطلق سراحهم إلا في العام الموالي، وتم تعذيبهم والتتكيل بهم وحكم على بعضهم بالإعدام، منهم 13 سجيناً نُقلوا إلى المنيعه ثم الأغواط، بل حتى أن الشاعر عبد النبي بوتقي سُجن وعُذب بسبب مشاركته في المقاومة واستخدامه لأشعاره في تدوين وقائعها، ثم نُقل إلى سجن "تاعضميت" في باتنة

¹ . عبد الله بابا، الحياة الاجتماعية والاقتصادية...، المرجع السابق، ص 45، 46

² . Alis Harry et Terrier..., Bulletin du Comité de l'Afrique française, Op.Cit, p.178

وحُكم عليه هناك بالإعدام¹، وخلال معركة فاتيس 1900م تم أسر القائد عبد الكريم مع 15 شخصاً من المقاومة، وعقاباً له تم ربطه في بغير وجُر من فاتيس إلى قصر قدور²؛ ونفس الشيء عن الشهيد محمد المعزوز قائد معركة ظلمين 1901 الذي أُخذ إلى سجنٍ بالأغواط مشياً على الأقدام، وعُلقت له صفائح حديد وألواح وساوموه ترغيباً وتهيباً³، ويذكر عنه أحفاده أنه سُم في السجن واستشهد هناك⁴. ويذكر (سيرفيار) في سرده لمجريات الأحداث المصاحبة لمسار طابوره في توات، أنه أثناء توقيفه في تمنطيط يوم 29 جويلية 1900، وباستخدامه لأحد أعوانه المحليين المسمى "دوغو"، هذا العميل الذي خدمهم كثيراً بنقله للأخبار والمعلومات وإحباط الناس بحجة توسطه بينهم وبين الفرنسيين، أنه جاءه من أدرار حيث كان في مهمة لجس نبض جماعة تيمي حول موقفهم من الطابور الفرنسي، وأنه أوعز إلى شقيق محمد عبد الرحمن الذي كان ضمن أسرى إينغر، بأن إطلاق سراحه مرهون بمدى استقبالهم اللائق للطابور الفرنسي، وأنه شخصياً سيتوسط بينهم وبين الجنرال (سيرفيار) لإطلاق سراح بقية الأسرى المتواجدين في الأغواط⁵.

ويذكر الدكتور عبد الله بابا أنه حتى في سقوط أولف انتهجت القوات الفرنسية نفس العقلية والسياسة، حيث ولما سعى سكان أولف إلى التنظيم والتكتل تحت قيادة شيخ قبيلة أولاد زنان الحاج أحمد دحه، أُلقي عليه القبض وتم إعدامه وعاقبت 40 شخصاً ممن انضموا إليه بالجلد والتعذيب⁶. ولعل هذه السياسة من التكتيل والوحشية تارةً والتهديد والمقايسة والابتزاز بالأسرى تارةً أخرى، حيث كان يلجأ إليها القادة الفرنسيين في توغلهم بعد ملحمة إينغر، كانت تفسيراً لمرور طابور (سيرفيار)

1. عبد القادر بوييه، صفحات...، المرجع السابق، ص 71، 82.

2. عبد الحميد بولغيتي، من أبناء زاوية الدباغ بتينركوك، مدير مدرسة وكاتب حول الموروث الشعبي المحلي، معلومات عن أعلام وأعيان جهة تينركوك، تينركوك تيميمون في: 2024/03/24، مقابلة شخصية.

3. أحمد عبد العزيز، صحراؤنا في مواجهة الاستعمار، المرجع السابق، ص 52.

4. عبد القادر معزوز، من أحفاد الشهيد محمد معزوز، شهادة حول المقاومة الشعبية المحلية، ظلمين تيميمون في: 2023/12/14، مقابلة شخصية.

5. Comité l'Afrique Française, *Bulletin Mensuel*, N° 1, Renseignements Coloniaux, "La Colonne Servièr au Tidikelt", Op.Cit, pp.21-23.

6. عبد الله بابا، الحياة الاجتماعية والاقتصادية...، المرجع السابق، ص 39.

عبر قصور توات بكل هدوء وسلاسة، وكانت دليل على تخوف الفرنسيين من احتمال تكرار المقاومة الشرسة على غرار ما حدث في إينغر والدغامشة والفقييرة.

كما أن الاحتلال الفرنسي منذ شروعه في غزو المنطقة كان قد استعان بفرقٍ من القومية والصبايحية والزواف والمهاريست، هذه الفرقة الأخيرة قام بإنشاء وحدات خاصة لها بالمنطقة؛ حيث تشكلت من القبائل البدوية في منطقة الهضاب العليا كتيبة المهاري الصحراوية، وُظفت أول الأمر في قمع ثورات الجنوب الجزائري بعد تحكمها في الطرق التجارية التي كانت تسترزق منها تلك القبائل، مما سهّل مهمة دمجهم في الجيش الفرنسي، ناهيك على أن الظروف المعيشية المتدهورة بالمنطقة دفعت بعض الشباب إلى التجند في صفوف تلك الكتائب¹. وكان الحاكم العام الفرنسي (جول كامبون) قد استند في هذه القضية على قانون 5 ديسمبر 1894 الذي رخص له إنشاء قوات خاصة من السكان المحليين، ونظراً لخبرتهم بالصحراء واستخدام الجمال فقد أعانوا فرنسا حقاً في التوغل نحو توات من جهة المنيعية والبيض، بل وتمددت بفضلهم حتى إلى جهة الهقار والسودان الغربي².

ثم أنشأت مهاريست توات سنة 1902م من طرف الرائد (لابيرين) في عهد الحاكم العام (جونار)، وقُسمت هذه الكتيبة لاحقاً إلى خمس فرق، الأولى للقيادة ومقرها أدرار، والثانية بمنطقة رقان والثالثة بتيميمون، أما الفرقتان الرابعة والخامسة فقد كانتا محمولتين على متن شاحنات من نوع (دودج Dodge)، وخُصص لهذه الفرقة تجمع سنوي بمنطقة حاسي صاكة في العرق الغربي الكبير، وكان اختيار معظم عناصر هذه الفرقة من قبائل خارج منطقة توات لمعرفتها بمسالك الصحراء وخبرتها في حمل السلاح مع مقاومات سابقة، ولإتقانها التعامل مع الجمال³. ومن السخرية أن (لابيرين) حينما أعلن عن تأسيسه المهاريست (Les Méharistes) في 01 أبريل 1902، وهي كما عرفنا سرايا

¹ . تواتي دحمان وآخرون، دور أقاليم توات...، المرجع السابق، ص 26

² . رموم محفوظ، الاحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص 79

³ . عبد الله بابا، الحياة الاجتماعية والاقتصادية...، المرجع السابق، ص ص 54، 55

عسكرية (Les Escadrons)، لما قصّ شريط بدايتها بتتصيب الكتيبة المهارية لأقاليم منطقة توات لقب لاحقاً بأنه صانع السلام في الصحراء، عرفاناً له بهذا الإنجاز¹.

2.1 الإدارة العسكرية للمنطقة:

كانت فرنسا قد اعترفت بجزائرية الصحراء التي احتلتها من خلال القانون الخاص في 1884م، وألحقت بالوالي العام للجزائر مباشرةً ولها ممثليها في المجالس المنتخبة²، لكنها وفي مستهل احتلالها تديكلت مطلع سنة 1900م أصدرت قرارات تعتبر الإقليم منطقة عسكرية من طرف الوالي العام (لافيريار Laferriere)، ادّعت بتلك القرارات تنظيم الإقليم الصحراوي مؤقتاً، وتتضمن إنشاء إدارة ملحقة للشؤون الأهلية متصلة بقائد ناحية الجزائر بالنسبة لمنطقة توات، وإلى الناحية الوهرانية بالنسبة لمنطقتي زوزفانة ومنطقة الساورة، وإنشاء ملحقات في عين صالح وإيقلّي تُسيّر من طرف ضباط للشؤون الأهلية برتبة نقيب، ونائب برتبة نقيب أو ملازم أول، ومترجم وخوجة وكاتب، وتعيين قياد جزائريين للإدارة المحلية وشؤون الأهالي من طرف رئيس الملحقة³.

وكان قرار تنظيم الإقليم الصحراوي ذلك صادراً عن الحاكم العام (لافيريار)، وفي نفس الخطوة تم تعيين النقيب (دو سيسبيال De Susbiell) على ملحقة عين صالح، والنقيب (نوشيز Nochez) على ملحقة إيقلّي، والنقيب (بان Pein) في ورقلة، وتم الإعلان عن القرار بشكل مستعجل، ودُيّل بعبارة في بنده الرابع: يُكلف جنرالات ناحيتي الجزائر ووهران بتنفيذ هذا القرار⁴. والغريب أن هذا الإجراء تم إصداره وحاول الفرنسيون تنفيذه وعملية الاحتلال الكلي لمناطق توات لم تكتمل بعد، إن دل على شيء إنما كان يدل على السياسة الممنهجة لضمها وليس كما كانت فرنسا تتحجج من قبل

¹ . أحمد بوسعيد، ساحة الشهداء بأدرار تاريخ وذاكرة مدينة، صفحة موقع جامعة أدرار، التصفح يوم 2024/03/19، التوقيت: 23:10 ليلاً، <https://www.univ-adrar.edu.dz/18626/>

² . صالح بوسليم، "جوانب من السياسة الاستعمارية الفرنسية بالصحراء الجزائرية 1962-1956"، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، مج2، ع25، جامعة غرداية 2015/12/15، ص 546

³ . بابا عبد الله، الحياة الاجتماعية والاقتصادية بتوات...، المرجع السابق، ص 49

⁴ . إبراهيم مياشي، توسع الاستعمار...، المرجع السابق، ص 113، 114

بإدعاءاتها حول البعثات العلمية الاستكشافية.

ثم وفي أولى الإجراءات على ذلك الأساس، وبعدما ظنت فرنسا أن العمليات العسكرية قد انتهت، قامت مصالحها الاستعمارية بتنصيب الحاميات العسكرية وإنشاء الدوائر والملحقات، يرتبطون مباشرة تحت قيادة عسكرية لقائد مجموعة الجزائر العاصمة، والذي كان فيها التدرج عبر المكاتب العربية وفروعها ثم الدوائر وفروعها ثم الملحقات، فقسمت المنطقة إلى: ملحقة قورارة ومقرها تيميمون في 25 ماي 1900، وملحقة تيديكلت ومقرها عين صالح في أوت 1900، وملحقة توات ومقرها أدرار في تيمي منذ جانفي 1901، وفي سنة 1902 وُضعت هذه الملحقات الثلاث تحت السلطة السامية للقائد العسكري للوحدات، في البداية كان مقره تيميمون ثم تحول لاحقاً إلى تيمي¹.

فأما ملحقة تيميمون فقد نُصب على رأسها النقيب (فالكونتي) وملحقة عين صالح على رأسها النقيب (دو سيسبيال de Susbiell)، وأما مدينة أدرار² الجديدة فقد تحولت إلى عاصمة بقيادة الجنرال (سيرفيار)، وبعد هذه التنظيمات عينت السلطات الفرنسية على رأس هذه المراكز (لابيرين Laperrine) قائداً أعلى للوحدات الصحراوية نظراً لخبرته في هذا الميدان، هذا الأخير قام بتنظيم الفرق الصحراوية وفق طبيعة المنطقة، كما أنشأ الإقليم الصحراوي الذي سوف ينفصل عن الشمال ابتداءً من 31 ديسمبر 1902م³.

وقبل ذلك يقول (فوانو) أنه بعد الاجتياح الفرنسي لتيديكلت أصبحت تشكل ملحقة تابعة لدائرة المنيع، ثم إلى القيادة العسكرية لوحدات أدرار التي أعطيت لها نظام ذاتي تابع لقسم عين الصفراء⁴، وكان (لابيرين) قد أصدر القانون الأساسي لأراضي الإقليم بتاريخ 24 ديسمبر 1902، الذي اعتبر

¹ . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, p.363

² . أدرار: هذه المدينة بدأ في تشييدها القائد الفرنسي (لابيرين) سنة 1902، والتسمية مأخوذة من أدغاغ أحد قصور تيمي، كما أن هذه التسمية موجودة في إحدى مناطق موريتانيا. وهي الآن عاصمة ولاية أدرار التي تمثل توات الوسطى.

³ . مياسي إبراهيم، *المقاومة الشعبية...*، المرجع السابق، ص 129

⁴ . Voinot Louis, *Le Tidikelt...*, Op.Cit, p.39

توات وجهاتها الثلاث مناطقاً عسكرية منفصلة عن الشمال يتولى شؤونها الوالي العام مباشرة، حيث قسّم الجنوب إلى أربع دوائر منفصلة عن بعضها، كانت توات فيها تابعة لدائرة عين الصفراء التي تضم أيضاً الهضاب العليا الغربية ووحدات الساورة، والمراكز الرئيسية لها في تيميمون وأدرار ورقان، وأما عين صالح وأولف أطلق عليها اسم "مكتب العرب"؛ كما عُيّن على رأس كل عرش أو قبيلة قائداً يقوم بدور الوسيط بين الفرنسيين والسكان¹.

ومنه فقد عهدت النقاط الهامة والاستراتيجية في الصحراء في إقليم توقرت وغرداية وعين الصفراء والوحدات الصحراوية إلى ضباط الشؤون الأهلية تحت سلطة القائد الأعلى المرتبط مباشرة بوالي الجزائر العام، وهؤلاء الضباط برتبة رائد كلّ منهم مسؤول عام عسكري وإداري أمام الوالي العام، ومن خلال هذا التقسيم في 1902م وقوانين أخرى في 1903 و1905م، تم إلحاق عين صالح بمنطقة الواحات التي كانت عاصمتها ورقلة، وإلحاق توات وقورارة بمنطقة عين الصفراء².

ودخلت هذه التنظيمات الجديدة حيز التطبيق الفعلي بعد صدور قرار 14 أوت 1905م، وجاء هذا القرار في مادته الخامسة ينص على تقسيم مناطق الجنوب إلى أربعة أقاليم هي: إقليم عين الصفراء وعاصمته عين الصفراء، إقليم غرداية وعاصمته الأغواط، إقليم توقرت وعاصمته بسكرة، وإقليم الواحات وعاصمته أدرار، وعلى رأس كل إقليم قائد عسكري مهمته تسيير الأمور العسكرية والإدارية للإقليم تحت سلطة الحاكم العام، أما بخصوص الجانب العسكري فإن قائد الإقليم ملزم بمراجعة القيادة العامة العسكرية للفيلق التاسع عشر³.

وفيما يخص الأقاليم الأربعة المستحدثة فقد صدر مرسوم بتاريخ 12 ديسمبر 1905م يعمل على تنظيمها وهيكلتها من جديد، ثم جاء مرسوم 3 ديسمبر 1907م ليعيد توزيع الدوائر والبلديات بين

¹ . تواتي دحمان وآخرون، دور أقاليم توات...، المرجع السابق، ص 30

² . صالح بوسليم، جوانب من السياسة الاستعمارية...، المرجع السابق، ص 547

³ . بابا عبد الله، الحياة الاجتماعية والاقتصادية بتوات...، المرجع السابق، ص 51، 52

الأقاليم وهو ما جعل توات تابعة لإقليم عين الصفراء، ونتيجةً لتغير النظرة الفرنسية تجاه أدرار من الناحية الاستراتيجية والاقتصادية، حصل تغيير كلي في التنظيم الإداري لكلٍ من أدرار وتيميمون، فبعد نقل مقر عاصمة إقليم الواحات من أدرار وضم توات إلى إقليم عين الصفراء لم تعد لأدرار تلك الأهمية، مما دفع بالحكومة الفرنسية إلى إحداث تغيير في مقر القيادة حسب المرسوم المؤرخ بتاريخ 23 سبتمبر 1909م من أدرار إلى تيميمون، بحجة أن الموقع الجغرافي لتيميمون له أهمية أكثر استراتيجية، ومنه فقد تم تحويل العاصمة الإدارية أيضاً إلى تيميمون مع أهم مقراتها الرئيسية¹.

وبالإضافة إلى إدارتها وتنظيماتها السالفة الذكر، فقد حافظت فرنسا الاستعمارية على السلطة التقليدية المتواجدة على مستوى القبائل والقصور محلياً، وذلك بقبولها بفكرة نظام الجماعة التواتية المشكلة من الأعيان والوجهاء، والتي يرأسها شيخ يُلقب بـ "الكبير"، هذه الجماعة تكون مسؤولة على تنفيذ قرارات السلطة الفرنسية تحت سلطة "القايد" صاحب الكلمة العليا بينهم، كما يتمتع بامتيازات معنوية ومادية هامة، ويُميز عليهم بارتدائه البرنوس الأحمر والخاتم الدائري، وله الحق في التواصل المباشر مع حاكم الملحقة، وعلى هذا الأساس عينت الكثير من القياد ممن كانوا متواجدين قبل الغزو الفرنسي حفاظاً على خصوصية المنطقة وكسباً لولائهم ودعمهم بحكم تأثيرهم ووزنهم المحلي، باستثناء بعض الأسماء المغضوب عليها جراء مقاومتهم ورفضهم للوجود الفرنسي².

وكان أولئك القياد يقومون بخدمات جليلة لفرنسا ارتكبوا خلالها عدة مظالم واعتداءات على الناس، فكانوا عيوناً وجواسيس ومترجمين لفرنسا، بل وكانوا أدلاء لها حتى في القفاية وتتبع الآثار داخل المجتمع المحلي، ومن مظاهر خدماتهم أنهم كانوا أيضاً جباة ضرائب أو ما سُمي محلياً "البزرة"، استغلوا في التضييق على أرزاق ومنتجات السكان في الزراعة والثروة الحيوانية³، وفي نظر

¹ . بابا عبد الله، الحياة الاجتماعية والاقتصادية بتوات...، المرجع السابق، ص ص 51، 52.

² . A.G.P Martin, *Les Oasis Sahariennes*, Op.Cit, p.193.

³ . طهيري الحاج أحمد الشيخ، الشهادة الشفوية نفسها.

الفرنسيين فقد لعبوا ضمن إدارة المنطقة في استتباب الأمن وتوجيه السكان نحو النمو الاقتصادي للبلاد، وكان يتم اختيارهم من طرف جماعة القصر بتزكية من السلطة الفرنسية، وتكفلوا من جهة أخرى بالأحوال الشخصية والمشاكل المدنية للجزائريين، كتسجيل الزواج والمواليد والوفيات وحالات القضاء وتسوية الخلافات المحلية¹، والتي يبدو أن فرنسا لم تكن ترغب في الهيمنة عليها إلا في حدود ضيقة.

وكان التقسيم الفرنسي للجماعات القصورية وتعيين القياد وكبار الشخصيات فيها قد تمخضت عنه في سنة 1900 المعطيات التالية: في جهة قورارة 26 مجموعة بقيادها من تعنطاس شمالاً إلى الهبله جنوباً، وفي توات الوسطى 13 مجموعة بقيادها من اسبع شمالاً إلى تاويريرت جنوباً، وفي تيديكلت 14 مجموعة بقيادها من إقسطن شمالاً إلى الطوارق والأهقار جنوباً، ومما يُلاحظ في هذا التنظيم أن المجموعات القصورية قد تضم عدة قصور أو أحياناً قصرًا واحدًا أو قبيلة واحدة، فمثلاً جعلت فرنسا لكل قصرٍ من قصور تسابيت كبيراً خاصاً به، كما قسّمت القيادة في دلدول بين دلدول ومقرها قصر أولاد عبو وزوى دلدول ومقرها قصر البركة، والأغرب من ذلك هو تحديد منطقة الأهقار ضمن هذا التقسيم، حيث ذكر اسم "موسى آق آمستان" أمنوكال² على طوارق الأهقار، واسم "سيدي آق كاراجي" أمنوكال على طوارق تايتوك وكلاهنت³، وهذا دليل على تأثير سقوط توات على الجوار.

كما نلاحظ أن تلك التعيينات لم تخرج عن الأسر الحاكمة سابقاً، وأنها مست بعض العائلات والشخصيات التي قاومت، وبعضها الآخر فيها أسماء لبعض أعوان فرنسا الذين ساعدوها في عملية الغزو، وبعض الأشخاص أُعفيوا من مناصبهم التي كانوا يشغلونها قبل سنة 1900م، فمثلاً نجد

¹ . Voinot Louis, **Le Tidikelt...**, Op.Cit, p.39

² . أمنوكال: هذه الكلمة التارقية معناها: أمين عقال ويتم تعيينه من طرف مجلس شيوخ القبائل والعشائر في الهقار، وله دور فعال داخل وخارج المنطقة بتسوية النزاعات والمساهمة في حسن الجوار والتواصل مع السلطات القائمة في الجزائر. ينظر: النهار اونلاين، صفحة قناة النهار، جزائريون: أمنوكال أمين عقال الطوارق، نشر في 2021/07/25، التصفح: 2024/03/31، التوقيت: 22:35 ليلاً، <https://www.ennaharonline.com>

³ . A.G.P Martin, **Les Oasis Sahariennes**, Op.Cit, pp.194-197

تعيين محمد عبد الرحمن بن الحاج محمد على تيمي وهو الذي شارك في معركة إينغر وأسر فيها، والقايد دحاج بن باجودة على جزء من عين صالح وإقسطن، أما القايد دوغو عبد القادر بن أحمد الذي عُين على الساهلة ومليانة فيبدو أن السلطات الفرنسية كافأته نظير خدماته لطابور (سيرفيار)، وتعيين قايد دلدول الحاج عبد القادر بن الحاج أحمد أخو القايد السابق الذي احتضن الشيخ بوعمامة في عهده، والحاج عبد العزيز بن أحمد كبير قصر المطارفة وقائد معركتها، والحاج عبد القادر بن معزوز أخو الأسير محمد المعزوز قايد معركة ظلمين 1901، والشيخ محمد عبد القادر بن بلقاسم البوداوي الذي شارك في معركتي تيميمون وشروين 1901.

2. الآليات الدبلوماسية ودعايتها:

1.2. فكرة التوغل السلمي الهادئ:

كما رأينا سابقاً فقد صاحبت السياسة الفرنسية العسكرية والإدارية سياسة ترغيب ودعاية مغرضة في آن واحد، حاولت من خلالها إخضاع المنطقة بالطرق السلمية المهادنة والمخادعة لاستمالة السكان، حيث لجأت إلى ما سمته بالتوغل السلمي للصحراء بإبداء حسن نواياها على أنها لا تريد تكرار المجازر السابقة، واعتمدت في هذه الفكرة على عملائها وعيونها ومن استسلم لها، ووظفتهم من بعض الباشاوات والأعيان من داخل أو خارج المنطقة، ووجهت عبرهم الرسائل والمفاوضين إلى القصور والواحات التي لم تصلها أقدامها بعد.

وكانت فرنسا في هذا السياق قد أنفقت أموالاً طائلة على العيون والجواسيس، ووظفت الأعوان والمتعاملين ومنحتهم امتيازات كبيرة، وكانت تختارهم على أساس تأثيرهم الروحي والقبلي محلياً وإقليمياً، كانوا يأتون إلى توات من منافذها الشمالية، من غرداية والأغواط شرقاً ومن البيض وعين الصفراء شمالاً ومن الجنوب المغربي غرباً، وقد يضيق بنا المقام في ذكرهم، لكن ممن اشتهر بلعب ذلك الدور كانت بعض الأسماء المحلية، وبعض الشخصيات من أولاد سيدي الشيخ من أبناء وأحفاد

أولئك القادة الذين ثاروا ضد فرنسا من 1864-1893.

وأما عن بعض الحالات المنفردة من مقدمي الطريقة التيجانية والطيبية الوزانية والقادرية، نذكر منهم دور الحاج عبد السلام شريف وزان¹، بما لعبه من وساطة بالنيابة عن الفرنسيين وبما قدمه من معلومات عن الشيخ بوعمامة في لدول، وعن زيارته إلى توات في 1892 تمهيداً للغزو الفرنسي، وأما نائب مقدم الطريقة القادرية في ورقلة محمد بن الطيب فقد صاحب فرنسا في غزوها للمنطقة وقُتل على إثرها في معركة شروين 1901، وحتى بعض الأسماء من عائلة شخصيات ثورية هامة مثل الحاج علي بوطالب الذي كان مبعوثاً إلى الشيخ بوعمامة، وهو من أقارب الأمير عبد القادر.

وكان من هؤلاء الأعيان المستخدمون ما قام به الحاج عبد السلام من عين صالح بتوصية من العربي بن قدور بن حمزة من أولاد سيدي الشيخ واللذان حثا أهل إينغر على الاستسلام في رسالة بتاريخ 29 رمضان 1317 هـ/31 جانفي 1900م، متوسلين لهم فيها باسم الأخوة والمحبة ألا يرفعوا السلاح أمام فرنسا، حيث ورد في بعض سطورها: "... لقد جاء إلى هنا سيد العربي بن قدور بن حمزة الزاوي الآغا ومعه فرق عديدة من شعانبة المنيعية وورقلة ومثليي، وكذلك العساكر الفرنسية ومعهم ثلاثة مدافع، سيحل بكم عن قريب أمر فظيع، أيها الإخوة والأصدقاء إننا إلى جانبكم كرجل واحد، لكن اليوم قدمت علينا وعليكم قوة لا تقهر، سيبيدونكم بأسلحتهم الفتاكة...، فإذا كان رأيكم من رأينا ورأي سيد العربي فلا تحصلون إلا على السلم والعافية، وستجنبون بلادكم الخراب..."². وعلى غرارها تلك الرسالة نيابةً عن خنافسة الكاف في تميمون لطمأنة الجنرال (سيرفيار) وهو في قصر بوعلي في 26 جويلية 1900م: على أن الطريق آمن ويمكن أن تحمل الذهب والفضة فوق رأسك ولا يحدث لك أي مكروه.

¹ . حتى أن هذا الشخص لما انتفض أهل توات سنة 1886 ضد المراكز العسكرية في المنيعية ووجهوا رسائل احتجاج، كتب إليهم رسالة يطمئنهم فيها ويدعوهم إلى تقبل وجود الفرنسيين. ينظر: A.G.P Martin, Quatres Siècles..., Op.Cit, p.232

² . A.G.P Martin, Quatres Siècles..., Op.Cit, p.328

وكما سلف وأن أشرنا إلى أن (سيرفيار) لما استراح في قصر بوعلي، كان قد أرسل المسمى "عبد القادر دوغو" لابتزاز ومساومة أهل تيمي باستقباله اللائق مقابل النظر في شأن سجنائهم في الأغواط؛ فكان لما دخل تيمي في 30 جويلية 1900 استقبلته جماعة تيمي، واعتذروا له نيابةً عن شقيق الأسير محمد عبد الرحمن الذي ادعى المرض ولم يحضر في الاستقبال، فتفهم ذلك وأبدى لهم مدى تأثره عن حالة الأسرى في الأغواط، ووعدهم بأنه سيبلغ حكومته حول إمكانية العفو عنهم، لكنه في المقابل نبههم إلى أن تلك "النعمة" متوقفة على طريقة سيطرة الفرنسيين على تيمي ومناطق نفوذها، وأشار لهم أنه: "على الجميع الحفاظ على السلم والهدوء، وأنه عليكم أن تعلموا أنه لدينا القوة على الردع والوصول إلى أعدائنا أينما كانوا، وأن فرنسا كريمة ووصولها إليكم نعمة، وأنه بفضلها ستنتعش تجارتكم وتتطور صناعتكم، وأنه لا خوف على دينكم وعائلاتكم وممتلكاتكم..."¹

ولعل من أوضح ما استعان به المحتل الفرنسي في هذا السياق أيضاً، تلك الرسالة التي أرسلها باشاغا جيريغيل سي الدين بن حمزة إلى خنافسة أوقروت بتاريخ 22 ذي الحجة 1317هـ/23 أبريل 1900م، قبيل بدء حملته على منطقة قورارة، حيث ورد في مضمونها: "من عبد ربه تعالى الباشاغا سي الدين بن حمزة -أعانه الله- إلى أصدقائنا الأعزاء في تيبيرغامين وعبود بأوقروت...، كيف حالكم أصدقائي؟؟ إنني أخشى أن تتقلب الأمور عليكم ويذبح شعبكم ويُدمر بلدكم، أرسلت لكم هذه الرسالة لتضعوا أنفسكم تحت حماية الفرنسيين وتخضعوا لهم، واعلموا أنه من يأتي أولاً سيفُضِّل على البقية وتيقنوا أنه لا طاقة لكم بهم، فلا تضعوا أنفسكم في صف المقاومين لهم...، والسلام عليكم"². وكما يبدو فغاية الرسالة تسهيل خضوع قورارة دون قتال.

وكمثال آخر، فمع تولي النقيب (فالكونتي) مهامه بتيميمون في ماي 1900م، بعث برسالة إلى

¹ . Comité l'Afrique Française, *Bulletin Mensuel*, N° 1, Renseignements Coloniaux, "La Colonne Servièr au Tidikelt", Op.Cit, p.23

² . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, p.350

قائد مقاومة المطارفة عبد العزيز بن الحاج أحمد يدعو فيها لقبول العمل مع فرنسا، لكن عبد العزيز بن الحاج أحمد رمى الرسالة في وجه حاملها علي بن سعيد، هذا الأخير عاد إلى رئيس الملحقة وأخبره أن المطارفة ترفض الخضوع، ثم جدد النقيب (جاك) نفس الخطاب على أهل المنطقة في 29 أوت 1900م ولقي نفس الرد؛ بل حتى أن فرنسا أرسلت كتاباً إلى شيخ قصر المطارفة الشيخ عبد الكبير بن محمد بعنوان "إقامة البراهين العظام على نفي التعصب في الدين في الإسلام" لمؤلفه مصطفى بن خوجة الجزائري، يبين من خلاله ما يجب على المسلمين من الطاعة والولاء لذوي السلطان من الفرنسيين¹.

2.2. الدعاية المغرضة إحباطاً وتشويهاً:

وكما أسلفنا ذكره أن فرنسا كانت تسعى في إطار سياسة التغلغل السلمي الهادئ إلى إفشاء ثقافة الخضوع والاستسلام وألا يرفع الناس السلاح أمامها، فإنها أيضاً لعبت على وتر المشاعر الإيمانية، حيث سعت لفرض الأمر الواقع من باب التسليم بأن وجودها بالمنطقة قضاءً وقدر، وفي هذا السياق أورد المشرفي في كتابه (الحل البهية)، منشوراً يدعو إلى التسليم بقدر سقوط توات، قال عنه أنه نص لائحة تتضمن النصيحة بعدم الإصغاء للأجانب²، ونظراً لطول المنشور³ سنكتفي بسرد أهم مضامينه كما وردت عباراته، والتي منها:

¹ . عبد الله بابا، الحياة الاجتماعية والاقتصادية...، المرجع السابق، ص 41
² . يقصد بالأجانب هنا: إنجلترا وألمانيا وإسبانيا التي كانت تتنافس مع فرنسا على مصالحهم الاستعمارية. ينظر: محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، الحل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية، الجزء الثاني، تح: إدريس بوهليلة، الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط 2005، ص 234
³ . ويبدو هذا المخطوط المنشور الذي ترجمه سالمون إلى الفرنسية في مجلة الوثائق المغربية، أنه كان موجهاً لأهل توات والجزائر والمغرب جميعاً، خاصة أنه يبدأ بعبارة "وبعد، أيها الإخوان من مسلمين المغرب خصوصاً وعموم الأوطان..."، وبعدما أشار صاحبه في نهاية المنشور أن قرى توات وما يضاف إليها من البقاع داخلية في قسم الصحراء الجزائرية، ختم كلامه بدعوته لعدم الإصغاء لأقوال المفسدين وذوي الأغراض من الأجانب الذين دأبهم انقطاع العلائق بين الدولتين المتجاورتين -وكاتب النص هي المخابرات الفرنسية في المغرب حسب رأي محقق المخطوطة، وأما تاريخ النص ففي رأيي ربما تزامن مع عقد الفرنسيين والمخزن لبروتوكول 20 جويلية 1901 وعودة المياه بينهما إلى مجاريها، خاصة أن تأليف المشرفي للجزء الثاني من كتابه كان في حدود سنتي 1902 و1903- ينظر: المشرفي، الحل البهية، ج2 المصدر السابق، ص ص 234-236

"... ووقايةً من الأهوال في كل مكان وزمان إذ شأن العوام مرتبط معنيّ بشؤون الحدثان، ولا ملجأ من القضاء والقدر، لكن الإنسان مأمور بالنظر في العواقب..."، ويضيف: "... وحيث قدر الله بدخول العساكر الفرنسية إلى خطوط الصحراء الجزائرية وضواحي توات، واستيلائه على قصور عين صالح وعين الغار وإكلي وكثير من الجهات، وذلك لمصلحة عمومية وحكمة إلهية لا يعلم حقيقتها إلا الله عظيم الشأن كبير السلطان، فعلى العاقل التسليم للقضاء..."، ثم يقول: "... مع أن الدولة الفرنسية كما هو محقق عند سائر الناس من غير التباس، مشهورة بالرحمة والشفقة...، واحترام الشرائع والأديان، ولا تتعرض للأموال ولا للأموال، ولا لعرف الأوطان، بل تؤمن خوفهم، وتحقق دمائهم...، والكل في الأمان في ظل السلطان، إلا من بغى وطغى...، فالدولة الفرنسية لا تسمح بذلك، وتعاقب من تمرد عليها..."، ويقول أيضاً: "... وحيث أن قرى توات وما يضاف إليها من البقاع، داخلية في قسم الصحراء الجزائرية، فالأمر مسلم في الاستيلاء من غير نزاع، والمعارضة من قبيل العبث، بل هي ضرب من المحال..."¹

وكان الحاكم العام (لافيريار) لما سمع بأولى معارك المقاومة المحلية أمر الجنرال (بومقارتين) بالتحرك من المنية لدعم القوات الفرنسية، فوصل هذا الأخير برتلٍ عسكري قوامه 300 جندي إلى الدغامشة في 05 يناير 1900، ووجه نداءً للسكان المحليين بعد المجابهة القوية منهم، فقال متوعداً ومتودداً في نفس الوقت: "الخسائر الفادحة التي تكبدتموها في مواجهتين لابد أن تثبت لكم أنه وبالرغم من شجاعتكم لم يكن لرصاصكم أي تأثير علينا، وعلى العكس من ذلك فنحن جننا لكم بالنظام والازدهار والتجارة النشيطة، ولأن فرنسا قوية وكريمة فسوف تنسى أنكم هاجمتم بعثة سلمية، وسوف تعاملكم بلطف واحترام على غرار ما أظهرته لإخوانكم في الشمال، تحدثوا معهم وسيخبرونكم بأننا

¹ . محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية، ج2، تح: إدريس بوهليلة، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط 2005، ص ص 234-236

سنحترم عاداتكم ودينكم وأملاككم، ولكن عليكم بالخضوع وإلا انتظروا غضبنا وعقابنا الشديد في أي هجوم على قواتنا...¹

كما وظفت فرنسا دعايتها الإعلامية الترويجية لسياستها كمحاولة منها للتغطية على جرائمها وأساليبها القذرة، فنجدها مثلاً لما ثارت ضجة حول مجزرة إينغر في الرأي العام الفرنسي، أنها حاولت التبرير لأفعالها حيث وصفت نشرية لجنة إفريقيا الفرنسية لسنة 1900 "أن سكان المنطقة حتى ولو كانوا لطفاء مسالمون فإنهم يتحملون مذبة بعثة فلاترز والآباء البيض ودولس وبالات ولينغ وغيرهم....، وأن بعثة فلامون كانت مضطرة للدفاع عن نفسها"، ويضيف المقال الصحفي بكل وقاحة قائلاً: "والحقيقة أن سكان توات يتكونون من طبقة أرستقراطية متعطشة للدماء وهم مجرد تجار عبيد ولصوص وشعب من الأقنان استغلاليون بشكل فظيع"²؛ وهي محاولة قذرة لتشويه الشخصية التواتية وتسويقها للأوروبيين بشكل خاطيء، وفي المقابل كسب التعاطف على أساس الإدعاء بأن دور الغزو الفرنسي حضاري.

3. الإجراءات الاقتصادية والاجتماعية:

وسعيًا منها لاحتلال الصحراء بالطرق السلمية الهادئة، سعت فرنسا لإنشاء المؤسسات الاقتصادية والمراكز التجارية في كل من توات وتيديكلت حتى تدخل هذه المناطق في قيود التبعية لها، كما كثفت من دراستها لهذه المناطق للتعرف أكثر على جوانبها البشرية والجغرافية والاقتصادية والمائية، وسبق أن أرسلت في هذا الإطار بعثة (فلامون) لإتمام أبحاثه ودراساته حول الجنوب سنة 1898م، وكانت قبل ذلك لها أطماع وطموحات في مد خطوط السكك الحديدية حتى إلى منطقة توات وقورارة، لولا أن وجود الشيخ بوعمامة آنذاك عرقل مشاريعها، لاسيما بعد مقتل بعض الكشافين الذين

¹ . Alis Harry et Terrier Auguste, *Bulletin du Comité de l'Afrique française*, Op.Cit, p.53

² . Ibid, p.180

بعثتهم تبعاً.

كما مارست القوات الفرنسية في احتلالها للمنطقة، سياسة اقتصادية عقابية تعتمد على فرض الضرائب والغرامات المالية على السكان، خاصةً الذين شاركوا في المقاومة المحلية، كفرض عقوبات والإرغام على العمل بالسخرة، ودفع تعويضات عن خسائرها في المعارك حتى بعد أن استسلمت بعض القصور وأعطتهم الأمان، وقسمتها على فرق القومية والصباحية التي ساهمت في احتلال المنطقة، كما فرضت عليهم المساهمة بإقامة تحصينات في قصورهم واتخاذها مركزاً لقوات العدو وسجناً للأسرى، وبتقديم مبالغ مالية فدية لهم، بل وأجبر البعض على إخلاء سكناته لصالح ضباط الجيش¹، وعلى سبيل المثال فقد فرضت فرنسا عقوبات قاسية على سكان شروين وطمين بعد معركتهما في 1901م، قال عنها (مارتن أ.ج.ب) في تدوينه للأحداث، أنه عند انسحاب المقاومين من شروين، اشترط الجنرال (سيرفيار) على سكان القصر مقابل الأمان شروطاً قاسية كأن يدفعوا تعويضات مالية ثقيلة².

وعن السياسة الضريبية الفرنسية التي أرهقت سكان المنطقة، عملت قيادة الملاحق على تحديد نظام ضريبي يتوافق مع خصوصية توات الاقتصادية، حيث درسوا نوعية الإنتاج الزراعي من حبوب وتمور، ثم وضعت له الحكومة الفرنسية ضريبة ثابتة عُرفت محلياً بـ "اللزمة" أو "البزرة" على أساس تعداد أشجار النخيل المحصاة، وكانت قيمتها 20 سنتيم لكل نخلة مسجلة، ويذكر (مارتن أ.ج.ب) أن مجموع الضرائب على نخيل الواحات بلغ سنة 1905م مقدار 270000 فرنك، وهو كباحث فرنسي يرى -حسب رأيه- بأن هذه الضريبة كانت مرتفعة جداً، خاصةً في ظل غياب إنتاج صناعي أو حركة تجارية بالواحات آنذاك، وبالطبع فلم يكن بإمكان الناس تسديدها³.

¹ . محفوظ رموم، "الاحتلال الفرنسي لأقصى الجنوب..."، المرجع السابق، ص 66

² . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, p.362

³ . عبد الله بابا، *الحياة الاجتماعية والاقتصادية...*، المرجع السابق، ص 293

وشهد شاهد آخر من أهلها، إذ أشار (فوانو) إلى أن "اللزمة" التي فُرضت على تيديكلت عوض الضرائب والزكاة والعشور، كانت تصل قيمتها الإجمالية إلى 52000 فرنك أي: ما يعادل 25 فرنك على الفرد الواحد، وهي حملٌ ثقيل على السكان الذين كان أغلبهم فقراء جداً في ظل تلك الظروف، خاصةً أن محاصيلهم الزراعية آنذاك لم تكن تلبي كل احتياجاتهم الضرورية، والتي كانت تتأخر 6000 طن من التمور و 10000 هكتار من القمح، كان يعتاش عليها حوالي 8830 نسمة، ويضيف أن تلك الضريبة كانت قاسية وصعبة حتى أنه في سنة 1905 حينما كان عليهم دفعها دفعةً واحدة، اضطرت السلطات الفرنسية إلى تخفيضها والموافقة على ما قيمته ثلث "اللزمة"¹.

ومما يُذكر شفويًا في المنطقة، أن القايد محلياً كان يقوم بجمع الضرائب على المنتج الزراعي الذي يعتبر الدخل المعيشي الأول لسكان المنطقة، بمقدار ما كان عند الشخص من قمح أو تمر، حيث يحدد له المقدار الذي يأخذه وينطبق الأمر على الماشية والإبل كذلك، إلى درجة أن الشخص إذا كان يملك مجموعة من المواشي يترك أحسنها وأسمنها للقايد؛ هذا الأخير كان يجمع "البزرة" كل ثلاثة أشهر، وإذا لم تتوفر هاته المحاصيل كان يضطر السكان إلى دفعها نقداً، وكثيراً ما أرغم الناس على بيع ما يملكون من أجل تسديدها أو تتخذ ضدهم إجراءات ردية كالضرب المبرح والسجن².

وبعد أن استتب للفرنسيين احتلالهم، توالى ضرائبهم على سكان المنطقة بعد سنة 1905م، فكانت على معاملاتهم التجارية مثل ضريبة "الطكس"، وعلى فئاتهم النشطة مثل ضريبة "الكرفي"، بل وحتى على ممارسة عاداتهم وتقاليدهم كالزيارات مثل ضريبة "الزهو"، بالإضافة إلى الغرامات الخطية الغريبة والمثيرة للسخرية مثل عقوبة المشي بالحمار في الطريق المخصص للسيارات³. والواضح من كثرة هذه الضرائب أن السلطات الاستعمارية كانت تُشغل بها الناس عن المقاومة، وترهقهم بها لضمان

¹ . Voinot Louis, **Le Tidikelt...**, Op.Cit, p.39

² . طهيري الحاج أحمد الشيخ، الرواية الشفوية نفسها

³ . عبد الله بابا، **الحياة الاجتماعية والاقتصادية...**، المرجع السابق، ص 299، 300

خضوعهم وتبعيتهم.

كما استُغل الإنسان المحلي بطريقة بشعة، فضيّقت السياسة الفرنسية الخناق على حرياته العامة كعدم التنقل إلا بجوازات مرور، وسُخّر في يد الحاكم العسكري جسدياً ومادياً، لتموين جيش الاحتلال بالمنتجات المحلية كاللحوم والحليب والحبوب والتمور والحشف والطحين، وكان هدف هذه السياسة تفجير وتجويع الساكنة المحلية، كما فرضت عليهم تقديم خدمات مجانية كبناء مساكن ومرافق إدارية لأفراد المحتل، مع جلب الأخشاب للتسقيف من أماكن بعيدة عن مركز الحاكم العسكري، والعقاب مصيرهم في أي خدمة رديئة، مما سبب أتعاباً لا تطاق بحكم الطبيعة الصحراوية الشاسعة والقاسية¹. ووفق سياسة الأرض المحروقة التي كانت ديدن فرنسا، أحرقت ودمرت الكثير من النخيل والبساتين في غزوها للقصور، ولأنها تعلم أهمية هذا المورد فقد هدّدت باستهدافه حتى وهي تفاوض أهل المطارفة على الصلح بعد المعركة في سبتمبر 1900م. كما شرعت في إقامة المشاريع الاستعمارية لامتناس غضب السكان، فأنشأت بموجب مرسوم 01 أبريل 1902م شركات صحراوية من أجل استغلال إمكانيات هذه المناطق، وتوطيد دعائم الاستعمار فيها، وتوظيف السكان حتى يكون لهم مورد اقتصادي مضمون يبعدهم عن المقاومة².

وعلى إثر تلك الظروف القاسية التي بدأ فيها الاستعمار الفرنسي يتمدد في المنطقة، بدأت أوضاع المجتمع التواتي تتدهور بشكل رهيب تحت وطأة الفقر والمجاعات والأوبئة والعقاب الضريبي والاستعباد ومصادرة الأملاك، مما أدى إلى تناقص كبير في تعداد السكان بواحات قورارة وتوات وتيديكلت، سواءً بالوفيات أو بالهجرة خارج المنطقة التي بدأت تظهر بشكل مخيف. حتى أن (لويس فوانو) يذكر أنه بعد احتلال تيديكلت سنة 1900 عرض الطوارق على سكان المنطقة الفرار إليهم

¹ . قلوب مكي، "الغزو والاحتلال الفرنسي لمنطقة توات"، *مجلة القبس*، مديرية التربية لولاية أدرار، ع15، مارس 1980، ص ص 26، 27

² . ابراهيم مياي، *توسع الاستعمار...*، المرجع السابق، ص 117

وترك البلاد للفرنسيين، ويضيف "أن البعض منهم فروا حقاً في حين الذين كانوا مُلاكاً اختاروا البقاء وسط بسايتينهم...¹، ويشير أن الاجتياح الفرنسي بين 1900-1901 أدى إلى تناقص عدد السكان (وفيات، هروب...)، ثم لما عاد الاستقرار الأمني في الخمس سنوات الأخيرة بدأ عدد السكان يتعافى². وفي ظل تلك الظروف أصبح تعداد سكان توات يتراجع بشكل ملحوظ، حتى ولو اختلفت الاحصائيات والتقديرات، فحسب إحصاء سنة 1906م لم يتجاوز العدد 60 ألف نسمة³؛ في حين كان حسب تقرير للضابط (ديبيرتير) عدد سكان توات سنة 1889م يقدر بحوالي 100 ألف نسمة⁴، وحسب معطيات (هنري بيسسال H.bissuel) سنة 1891م كان يبلغ تعدادهم حوالي 192 ألف نسمة⁵. بل ونجد أن معظم التقديرات قبل سنة 1900 كانت تذكر هذه المعطيات أو أكثر، في حين سنجد العكس بعد الغزو الفرنسي وخاصةً في السنوات الأولى منه.

ومنه فهذه الأرقام توضح مدى التراجع الرهيب للسكان بالمنطقة بعد أولى السنوات من الاحتلال، وهي تثبت ما عاناه المجتمع التواتي من انعكاسات سلبية للسياسة الفرنسية حتى وهو في بدايات الاحتلال، والأخطر من ذلك أن ذلك التراجع ليس فقط على أساس الهجرة من المنطقة بل كذلك تراجعاً في النمو الديمغرافي؛ فقد أشار (مارتن أ.ج.ب) أنه بين سنتي 1905 و1906 كانت الزيادة الطبيعية سلبية بشدة، حيث بلغت (-9) في جهة قورارة و(-8) في جهة توات الوسطى عن معدلاتها الطبيعية، وأضاف قائلاً: "لو استمرت هذه النسب من الخسائر لاختفى مجموع السكان في نهاية العام، وتُرك المجال لفراغٍ مطلق"، ناصحاً سلطات بلاده بالتعجيل باتخاذ الإجراءات اللازمة لتحسين ظروف السكان المحليين⁶.

¹ . Voinot Louis, **Le Tidikelt...**, Op.Cit, p.96

² . Ibid, p.42

³ . عميرايو احميده وآخرون، السياسة الفرنسية...، المرجع السابق، ص 148

⁴ . إبراهيم مياشي، الاحتلال الفرنسي للصحراء...، المرجع السابق، ص 487

⁵ . Guillaume de Champeaux, **a Travers Les Oasis Sahariennes**, Op.Cit, p.27

⁶ . A.G.P Martin, **Les Oasis Sahariennes**, Op.Cit, p.222

جدول رقم 07: مقارنة في تعداد سكان توات قبل وبعد الغزو الفرنسي

تقديرات سنة 1891	تقديرات سنة 1897	تقديرات سنة 1902	تقديرات سنة 1906
191 ألف نسمة ¹	225 ألف نسمة ²	52 ألف نسمة ³	49 ألف نسمة ⁴

ملاحظة: هذه المعطيات عبارة عن تقديرات من مصادر متعددة

4. السياسة الثقافية والدينية:

1.4. استهداف الجانب الروحي:

كما ذكرنا سابقاً فقد استثمرت فرنسا في الفتاوى الدينية وتأثيرها كوسيلة لتغلغلها السلمي، فالإدارة الاستعمارية الفرنسية كانت على يقين من أنها لا تستطيع فرض هيمنتها على المنطقة بسهولة، فلعبت على وتر الدين وزوّرت مخابراتها فتوى قورارة الصادرة في 22 جوان 1893م، والأصل في هذه النازلة كما عرفنا سلفاً أن أحد علماء منطقة قورارة أرسل خطاباً إلى شيوخ الإسلام بمكة المكرمة يطلب فيها حكم الشرع "فيما إذا تغلب الكفار على وطن من أوطان المسلمين، ولم يكن في وسعهم رد الاعتداء، كما أن المحتل الكافر لأرض المسلمين، رغبهم في إقامة الصلاة...، وأنهم لا يستطيعون مغادرة أراضيهم لاستضعافهم وخوفهم..."⁵

وعلى حسب ما ذكرناه سابقاً في إطار هذا العنصر، فإنه إذا كان أصل هذه الفتوى هي تساؤلات أحد شيوخ الجنوب الغربي، حاول إرسالها إلى علماء الحجاز، فإن (جول كامبون) استصدر الفتوى بصفته الرسمية وكلف أحد الحجاج الجزائريين بنقلها، وزوّده بهدايا للحصول على فتوى من شيوخ المذاهب السنية في مكة المكرمة، فكان جواب كل من مفتي الحنفية والشافعية والمالكية على حدٍ

¹ . H.bissuel, *Le Sahara Français*, Op.Cit, pp.15-40

² . Jean Hess, *l'Extrême-Sud Algérien et Le Touat...*, Op.Cit, pp.162-164

³ . Guillaume de Champeaux , *a Travers Les Oasis Sahariennes...*, Op.Cit, p.27

⁴ . A.G.P Martin, *Les Oasis Sahariennes*, Op.Cit, p.220

⁵ . محمد الأمين بلغيت، تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص 55

سواء، بجواز البقاء في أرض الإسلام تحت سلطة الكفار، على ألا يُمسوا في دينهم ولا في أمنهم وألا تكون بلادهم أرض حرب.

وفي إجابات هذه الفتوى يستنتج الباحث عميراي احميده أنها كانت موجهة لخدمة المصالح الاستعمارية، حتى أن المستفتين فيها لم يحثوا في إجاباتهم على جهاد العدو والكافر، وأنهم ركزوا على التسليم بالأمر الواقع، وأن براهينهم كانت قليلة الاستدلال من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وأما عن تأثير الفتوى فقد أحدثت انقساماً في المجتمع الجزائري، وأن فرنسا استطاعت بها كسب الكثير من الأسر وسحبت عنهم الغطاء الروحي والسياسي، وفي ظل تأثير هذه الفتوى وجد الاستعمار الفرنسي متنفساً نجح في استغلاله في التوسع بالجنوب الجزائري¹. وفي هذا الإطار لا تزال روايات بعض كبار السن في المنطقة شائعة، عما ذكر لهم على أن بعض المبعوثين ورجال الزوايا كانوا يترددون على قصور توات تحذيراً من أي مقاومة ومواجهة للفرنسيين، وكان كلامهم كله إحباطاً للمعنويات على أساس "أنه عبثاً تحاولون مجابهة فرنسا القوية"².

وكانت لهذه الفكرة التي حاول (جول كامبون) أن يكررها على منوال ما فعله (ليون روش) زمن الأمير عبد القادر أهدافاً منها مثلاً: منع هجرة الجزائريين، وتهدة المناطق التي كانت تسعى فرنسا لاحتلالها في الصحراء (كمناطق قورارة وتوات)، وغالب الظن أن فرنسا زعمت أن المفتين في مكة المكرمة قد أجابوا بما يُرضيها، وقد أشاد (ديبون وكوبولاني) بها لأنها سمحت لفرنسا باستعمال سياسة العصا والجزرة³، كما أن نصها المطاط أعطى لفرنسا مبررات يمكن استعمالها لصالحها، أما الدكتور

¹ . عميراي احميده وآخرون، **السياسة الفرنسية في الصحراء...**، المرجع السابق، ص ص 93-96
² . بربوشي الحاج أحمد الرقاد، من مواليد سنة 1928، من أعيان قصر أقبور دلدول، حوار حول المقاومة الشعبية في المنطقة، أقبور دلدول تيميمون في 2024/03/07، مقابلة شخصية
³ . **العصا والجزرة**: تعبير مجازي مصدره من أوروبا، حيث كانوا يروضون البغال والحمير باستخدام العصا والجزرة، وقد أطلقت العبارة في إشارة إلى عربة سائق تتدلى منها جزرة أمام بغل، مع حمل العصا خلفه، فإن سمع وأطاع فله الجزرة وإن عصى فله العصا، وبالتالي فهذا المصطلح كان يشير إلى سياسة قائمة على المزج بين الثواب والعقاب للحث على سلوك معين. ينظر: صباح الزهيري، **العصا والجزرة**، صفحة وكالة الحدث الإخبارية، نشر في:

أبو القاسم سعد الله فقد شكك في الفتوى أصلاً، وفي كيفية وصولها إلى علماء الحجاز¹. واستمرت فرنسا تروج لها منذ 1893 وحتى بعد الغزو الفرنسي للمنطقة بسنوات، بل وأوصلت صداها حتى إلى بلاد السودان الغربي والسنغال.

وأثناء احتلالها للمنطقة، بدأت فرنسا انتقامها بالزوايا نظراً لعملها الاجتماعي ودورها في المقاومة المسلحة والثقافية، حيث شكلت إزعاجاً مزمناً لها في أهدافها الاستعمارية، فاستهدفتها وضيق عليها الخناق واستولت على أموال الأوقاف فيها، وقطعت عنها كل الموارد، وقيدت أنشطتها وألصقت بها دعاية البدع والشعوذة والخرافات، ناهيك أنها شجعت قيام زوايا موالية لها تكريساً لثقافة الرضوخ والاستسلام والدروشة². كما استهدف الاحتلال قادة الزوايا النشطة كالشيخ محمد عبد الكريم بن محمد عبد الله الجوزي شيخ الزاوية الأدهمانية وقاضي قصور أولاد سعيد، الذي أعتقل وأحرقت مكتبته وخربت نخيله وأملاكه، ثم نُقل إلى قصر الشلالة بتيارت حيث بقي سجيناً 10 سنوات، حتى حُكم عليه بالإعدام واستشهد سنة 1328هـ/1910م³.

2.4 النشاط التنصيري:

وفيما يخص سياسة التنصير فقد بذلت الإدارة الاستعمارية كل ما في وسعها لطمس معالم هوية المجتمع الجزائري بهذه الجهات، حيث أعطى حلول الكاردينال (لافيجري) بالجزائر، دفعاً كبيراً لعملية التنصير وتوسيع دائرة الاحتلال في المناطق الصحراوية بالجنوب الجزائري، وفي هذا الإطار وصل الراهب (شارل دي فوكو Charles de Foucaul) إلى منطقة بني عباس بالجنوب الغربي في 28 أكتوبر 1901م، وحصل على موافقة الحاكم العام وإرساليات (لافيجري) للقيام بدور مبعوث مجموعة

2023/09/05، التصفح: 2024/03/31، التوقيت: 23:27 ليلاً،

<https://www.alhadathcenter.net/index.php/views>

¹ . أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج6، ص ص 363-365

² . مبارك جعفري، مقالات وأبحاث...، المرجع السابق، ص ص 126، 127

³ . عبد الرحمن الجوزي، القاضي الشهيد سيدي محمد عبد الكريم...، المرجع السابق، ص ص 97-101

الآباء البيض بالمنطقة نظراً لعدم وجود من يقوم بالطقوس الدينية المسيحية للجنود المعسكرين هناك، فقام برحلة سنة 1904م بصحبة خادمه (Paul) دامت ثمانية أشهر، جاب فيها واحات تيميمون وأدرار وعين صالح وغيرها، برفقة صديقه (لابيرين) القائد الأعلى للقوات الصحراوية الرامي إلى تنفيذ خطة توسيع الاحتلال وتهيئة ساكنة المنطقة لذلك، مما سمح بتغلغل الآباء البيض في المجتمع¹. واتخذت فرنسا من بني عباس والمنيعية مركزين هامين لبعثاتها وسياساتها التنصيرية، استهدفت بها مناطق الساورة وتوات وقورارة والمنيعية وتيديكلت، حيث استقر الأب (دي فوكو) في بني عباس ما بين 1901 و 1905م لهذا الغرض، كما أقام في عين صالح قبل أن يتوجه إلى تمنراست²، ودامت إقامته في عين صالح سنة 1904م ثلاثة أشهر كان يتردد خلالها بين قبائل الطوارق وتمنراست مستكشفاً وباحثاً ومحاولاً اختراق المجتمع المحلي آنذاك، وكان أن صادفت جولاته في المناطق الصحراوية مجاعة حلت بالمنطقة، فاستغل الوضع لكسب ود الناس بتوزيع القمح والشعير والتمور على الأطفال والنساء، وفي تجواله بين تمنراست وبني عباس زاول مهامه المشبوهة مروراً على إينغر وأولف وأدرار وغرداية وتيميمون وغيرها³.

أما الحامية الفرنسية في المنيعية بمنطقة بلشير سنة 1890م فكانت قد بنت مركزاً هناك بغرض التنصير، حيث قامت بعدة أعمال انطلاقاً من المراكز والبعثات التي ارتبطت بها تبعاً، كبناء دور للأيتام حتى يشبوا على الدين المسيحي، وإنشاء أماكن لتعليم النسيج والخياطة من أجل استقطاب البنات والنساء بكثرة وإخراج المرأة من بيتها، واستخدموا كذلك التطبيب بأخوات بيض ممرضات، تمكن من الدخول إلى البيوت، وكانت هذه الطريقة قد شجعها (لافيجري) من قبل كثيراً. كما منحت فرنسا

¹ . عبد الرحمن لمحرزي، "دور شيوخ الزوايا في الثورة التحريرية الجزائرية شيخ الزاوية الطاهرية ومسألة فصل الصحراء أنموذجاً 1944 – 1962"، *المجلة التاريخية الجزائرية*، مج4، ع2، جامعة المسيلة 2020/12/09، ص ص 225، 226

² . عبد الفتاح لعروسي، *المقاومة الثقافية في إقليم توات...*، المرجع السابق، ص 354

³ . عميرواي حميده وآخرون، *السياسة الفرنسية في الصحراء...*، المرجع السابق، ص ص 122-124

أراضي فلاحية للذين تنصّروا وجلبتهم من عدة مناطق من الصحراء الجزائرية وأسكنتهم مدينة المنيع، وكانت قد خصصت لهم أيضاً حقولاً تسمى "حقول جوزاف"، وجهزت كل هكتار منها ببيتٍ له نصيبه من ماء الآبار الارتوازية التي حفرتها، وكانت منطقة بلبشير التي جهزتها بمركز استشفائي تعليمي فيه أخوات لتعليم المنتصرين الجدد قد استقطبت لاحقاً حوالي 25 عائلة من ذلك المشروع التنصيري، تم استقدامهم من عدة جهات كطلمين وتيط وعين صالح وأقبلي وورقلة...¹

وخلال فترة بدايات التواجد الاستعماري بمنطقة توات، دشنت فرنسا أول كنيسة لها في أدرار وأخرى في تيميمون؛ حيث لم يغفل الفرنسيون عند بناء مدينة أدرار في الفترة الممتدة من 1901 إلى 1925م في إظهار خلفيتهم الصليبية ونزعته العسكرية القمعية، فأقاموا كنيسة كبرى في الطرف الجنوبي لساحة "لابيرين" (المسماة حالياً ساحة الشهداء)، كانت ضمن مخطط تأسيس مدينة أدرار منذ سنة 1901، واختاروا لها موقعاً استراتيجياً عند الممرات المؤدية إلى قصور وبساتين الساكنة المحلية، وبالضبط خلف البرج العسكري الكبير لقصبة (سيرفيار)²؛ هذه القصبة تسمى حالياً قصبة القايد.

3.4 سياسة التجهيل والفرنسة:

في هذا السياق كان الحاكم العام الفرنسي قد أصدر قراراً في 24 ديسمبر 1904م، يمنع بموجبه فتح أي مدرسة تدرس اللغة العربية بدون رخصة من عامل العمالة أو ضابط المنطقة العسكرية³، وعلى إثر القوانين الفرنسية المنظمة للبلديات الكاملة الصلاحيات والبلديات المختلطة كالقانون التعديلي في 1892م ومرسوم سنة 1906م، والقاضي بإنشاء مدارس ابتدائية عمومية حدد آليات التنفيذ والمتابعة، فهناك مجلس للتعليم على مستوى البلدية، وآخر على مستوى العمالة⁴؛ فقد قررت فرنسا

1. نواصر عبد الرحمن، "السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجنوب الجزائري"، المرجع السابق، ص 115، 116.

2. أحمد بوسعيد، ساحة الشهداء بأدرار تاريخ وذاكرة مدينة...، المرجع السابق.

3. عبد الفتاح لعروسي، المقاومة الثقافية في إقليم توات...، المرجع السابق، ص 343.

4. جمال قنان، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار 1830-1944، وزارة المجاهدين، الجزائر 2009، ص 76، 75.

مثلاً إنشاء أول مدرسة ابتدائية أساسية للذكور بتيميمون، شرعت في بناءها سنة 1903م في قصر أولاد ابراهيم، وبعد 4 سنوات تم افتتاحها لكن كانت خصيصاً لأبناء الأعيان والوجهاء وأعوان الفرنسيين القادمين من خارج المنطقة، وابتداءً من سنة 1935 فتحت أبوابها للجميع وكانت تسمى "مدرسة الذكور"¹.

ويتضح من خلال واجهة السجلات المدرسية في هذه المدرسة لسنة 1935، أنها كانت ملحقة بمفتشية التعليم الابتدائي لمديرية التربية لعمالة وهران، القسم الإداري بالجنوب الوهراني بلدية تيميمون (توات-قورارة). وحسب الروايات الشفوية المحلية فإنه عند بناء فرنسا للمدرسة، صادرت الأملاك المحلية للسكان بحكم خضوع المناطق الصحراوية للحكم العسكري، وبحجة مصادرة الأراضي من أجل المنفعة العمومية، فقد صادرت أملاك قبيلة آت اعمر في قصر أولاد ابراهيم بتيميمون، وجردتهم من بستانين (جنان عدنان وجنان البراني)، كما استولت على فقارة "حبابو" التي كانت تسقي البساتين هناك².

لكنها وفي المقابل سعت للتدخل في شأن الزوايا ومنظومة المدارس التقليدية المحلية ومناهجها، فعلى سبيل المثال كنموذج على حرص فرنسا لتنفيذ أجندتها بالتدخل في التعليم والقضاء والأحوال الشخصية التي سعت لفرنستها، بعث الضابط (لابيرين) رسالة إلى فقهاء توات وقورارة وتيديكلت بتاريخ 03 أوت 1905م، يلومهم فيها على عدم إرسال مجموعة من تلاميذهم إلى المدرسة الشرعية بتلمسان، وأعلمهم بالشروط والتدابير الفرنسية في شأن التولية في القضاء المحلي، وعلى ذلك الأساس أشار إلى أنه لن يسمح لأحد بتولي أي منصب في القضاء إلا بإجازة فرنسية من مدرسة تلمسان³. وهذا دليل

¹ . عبد الكريم الجوزي، مدير مدرسة عبد الحميد بن باديس الابتدائية، نبذة تاريخية عن مدرسة الذكور بتيميمون سابقاً، تيميمون في: 2024/04/30، التوقيت: 09:45 صباحاً، زيارة خاصة

² . عماري محمد، من أعيان المنطقة، شهادة حول مدرسة الذكور بتيميمون، تيميمون 2018/11/05، مقابلة شخصية نقلاً عن إبراهيم رحمان

³ . عبد الله بابا، الحياة الاجتماعية والاقتصادية...، المرجع السابق، ص 59. ينظر أيضاً الملحق رقم 41 ص 430

على أن فرنسا انزعجت من المدرسة التقليدية التي كانت تحافظ على خصوصيات ومقومات الشخصية الوطنية، وأن اشتراط القضاء بإجازة من مدرسة تشرف عليها، كان تدخلاً سافراً في التعليم والقضاء المحلي.

وفي سياق التدخل الفرنسي في القضاء المحلي لجماعات توات، ولما كان الاحتلال قد سيطر على شؤون الحياة برمتها في المنطقة، اضطربت الأمور ورجعت في التحكيم القضائي إلى سنة 1328هـ، حيث أنشأت الإدارة الفرنسية محكمة شرعية في تيمي بجانب محكمة القاضي الفرنسي، ونصبت فيها 3 قضاة من الفقهاء المحليين، واحداً منهم قاضي للجماعة، وجعلت ميقاتاً لاجتماعهم كل شهرين أو ثلاثة، يُعلمون مسبقاً أهل الدوائر بذلك التاريخ ومن أدوارهم الفصل في القضايا المحلية، وخصص لهم المستعمر الفرنسي مؤونة على حساب بيت المال عن كل قضية 7 فرنك من المحكوم عليهم، فكان منهم: الشيخ عبد الله البلبالي (ت 1329هـ) في منصب قاضي الجماعة، والشيخ الحاج بن الشيخ البكري البلبالي (ت 1330هـ)، والشيخ العربي بن امحمد التمنيطي (ت 1354هـ)، ثم تراجعت فرنسا عن هذا النظام الثلاثي، لتترك الأمر شورى في اختيار الفقهاء محلياً¹.

رأي واستنتاج:

لقد ذكرنا أن فترة الترقب والاستكشاف والتخطيط للتوسع الفرنسي بتوات دامت حوالي أربعة عقود، منذ ما بعد معاهدة لالة مغنية 1845، حال فيها دور توات وتأثيرها ولجوء رجال المقاومة إليها وتأثيرها، عن التعجيل بوصول الاحتلال الفرنسي إلى المنطقة، فكثيراً من ضباط ومستكشفي فرنسا وعيونها تم اكتشافهم وقتلهم أحياناً، وكثيراً من الصعوبة والعرقلة تعرضت لها مخططات فرنسا حينذاك، ولما اقتربت فرنسا من المنطقة ووضعت أبراجها وحصونها العسكرية على المراكز المؤدية إلى توات،

¹ . زهير قزان، حاضرة توات المالكية أعلامها ونوازلها وخصائصها، إ.ش: محمد الصالح حوتية، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية أدرار، موسم 2010/2011، ص ص 93، 94.

وبمجرد أن خطت أول خطوة بطوابيرها زحفاً لاحتلالها مع نهاية سنة 1899م، جوبهت بمقاومة محلية عنيفة وردود فعل متنامية.

ولأنها كانت تسعى جاهدة لدخول المنطقة والاستيلاء عليها دون إطلاق رصاصة واحدة، وهو ما سمّاه الفرنسيون بالتوغل السلمي الهادئ، فقد وظفت أساليب ووسائل واستراتيجيات تلك الفكرة، ومارست سياسات خاصة تخدم ذلك المشروع، ثم ما فتأت وأن كشفت عن نواياها وسياساتها البائدة ووظفتها أيضاً، والغريب أنها طبقت تلك المظاهر من سياساتها في فترة زمنية قصيرة، وكأنها كانت تسارع الزمن لتثبيت أقدامها في الأرض التواتية، أرى في دراستي المتواضعة هذه أن تلك الطوابير الفرنسية المحتلة وسياساتها المتبعة كانت تتم عن مدى أهمية توات في المشروع الفرنسي الاستعماري، على مستوى الداخل الإفريقي والجوار المغربي عموماً والجنوب الجزائري خصوصاً.

وكان لتنوع أشكال المقاومة المحلية واستمرارها في كل أرجاء توات، رغم قلة تعداد السكان في تلك القصور الطينية، ورغم عدم تكافؤ القوى مع عدو يملك أعتى الأسلحة والفرق العسكرية المدربة، أن انبهر وانصدم الفرنسيون من رد الفعل الشعبي المحلي الرفض والمجابه لهم، مما جعلهم يمارسون سياسات استعمارية استباقية وأثناء وبعد الغزو، تفننت من خلالها الآلة الاستعمارية في اختراع أفكاراً واستراتيجيات استعمارية مست كل المجالات، بعضها جريته في شمال الجزائر وبعضها طبقته لأول مرة، ظناً منها أن للمنطقة خصوصية خبرتها ودرستها منذ زمن البعثات الاستكشافية، وظناً منها أنها تستطيع بتلك السياسة إخماد شعلة المقاومة وإخضاع المنطقة على المدى القريب، لكنها رغم انعكاساتها السلبية القاسية على الساكنة المحلية، إلا أن فرنسا اصطدمت باستمرار رباطة جأش ونضال تواتي قلّ نظيره زماناً ومكاناً.

خلاصة الفصل:

لقد تميزت توات بالتزامن مع مرحلة الغزو الفرنسي للمنطقة بأحداث وخصوصية نضحت بها، فقد كان للظروف والأسباب الممتدة من منتصف القرن 19م والمتأثرة فيها بمحيطها الجوّاري، زخماً تاريخياً له مبرراته وانعكاساته محلياً وإقليمياً، فلم يكن بيد الفرنسيين التوسع نحو توات دون الأخذ بذلك الزخم والتحليل به في خطواتها الموعلة بها في توات، فمن الأهمية التاريخية والجغرافية والاقتصادية إلى الدور السياسي والنضالي الذي لعبته مع التل الجزائري والمخزن المغربي، إلى موقف المنطقة من تلك البعثات الاستكشافية ورد فعلها من التحرشات الفرنسية، إلى اتقانها للمناورة الدبلوماسية في تعاملها مع الفرنسيين والمخزن، إلى تأثرها بذلك النفوذ الروحي والتجاري ودور القبائل والأعيان في توات والجنوب الغربي.

ثم ومن خلال متابعتنا للأحداث استنتجنا أن التجاذبات بين فرنسا والمخزن في إطار سياسة الاستقطاب لمنطقة توات، ومقتل وطرّد الكثير من الرحالة الأوروبيين في المنطقة، وخروج الشيخ بوعمامة من لدول في سنة 1894، كانت من أهم أسباب التعجيل بحملة الغزو الفرنسي، هذه العملية احتاجت فيها فرنسا لعدة طوابير عسكرية مجهزة عدة وعتاداً، دامت على عكس التوقعات لأكثر من سنتين من 1899-1902 دون أن يستتب لها الأمر، وكلفتها خسائراً فادحة وتداعيات كبيرة محلياً وإقليمياً، لكنها في المقابل انفتحت من خلالها كل مشاكلها التوسعية، واستطاعت بعد احتلالها لتوات استكمال مشروعها الاستعماري في جهة الهقار والساورة وتيندوف وطنياً، وإلى بلاد شنقيط والسودان الغربي جنوب الصحراء.

ونظراً لأهمية خطوة احتلال توات، فقد سارعت فرنسا الاستعمارية لممارسة استراتيجيتها وسياستها الكولونيالية، وكانت تلك السياسة ومظاهرها بهدف الضم النهائي لمنطقة توات، وشيئاً فشيئاً كانت تطبق وتربط أفكار ونظريات ساستها وقادتها كما لو كانت توات جزءاً لا يتجزأ من فرنسا، إلى درجة أنها بدأت في تنفيذ مشروعها الاستعماري اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً ودينيّاً بمجرد أن انتصرت

سياسياً وعسكرياً، والأخطر من ذلك أنها استفادت من موقف المخزن المتخاذل، وكأن التاريخ أعاد نفسه على غرار ما حدث بينهما في ترسيم الحدود سنة 1845 مقابل التسليم بالأمير عبد القادر وبحلم الدولة الجزائرية، فكذا تم التسليم والتضحية بمنطقة توات والقبول باتفاقيات ترضية بين الطرفين، وكان أهل توات آنذاك أحوج ما يحتاجونه من دعم في مقاومتهم المحلية.

ومن خلال تتبعنا لمحطات الغزو الفرنسي للمنطقة قبيل وأثناء العملية، يمكننا تقسيم تلك الأحداث التاريخية التي تعرضت لها توات، أو كانت لها علاقة بالمشروع الاستعماري حول توات، إلى ما يلي:

- من 1845 إلى 1890: مرحلة التمهيد غير المباشر لاحتلال توات (بعثات استكشافية، التأكد

من علاقة توات بالجزائر، التغلغل الهاديء اقتصادياً وروحياً وسياسياً...)

- من 1890 إلى 1899: مرحلة التمهيد المباشر لاحتلال توات (كسب قضية توات دولياً،

إبعاد الشيخ بوعمامة من المنطقة، زيارة شخصيات فرنسية وأعوانهم للمنطقة أو قريباً منها،

تقريب الحصون والأبراج العسكرية من توات، البعثات والتحرشات العسكرية في المنطقة...)

- من 1899 إلى 1903: مرحلة الغزو الفعلي للمنطقة (بعثة فلامون، الطوابير والمعارك،

التنظيم الإداري والسياسة المتبعة، الاتفاقيات والبروتوكولات مع المخزن، التوسع على

حساب منافذ توات كالساورة والهقار...)

كما لابد من الإشارة إلى أن عملية الغزو الفرنسي للمنطقة لم تكن سهلة على الفرنسيين، فقد

استمرت ببطء شديد ورغم التصريحات بأنها لم تكلفهم من الرجال إلا العدد القليل، إلا أنهم اعترفوا بأن

الإنفاق المالي كان فيها كبيراً للغاية، فقد أشارت بعض الكتابات إلى أنه خلال الفترة الممتدة من

جانفي إلى جوان 1900، هلك للفرنسيين 19 ألف جمل واستنزفت حوالي 10 مليون فرنك فقط في

تكاليف النقل، من مجموع 13.5 مليون التي طلبتها الحكومة من البرلمان لتلك الحملة¹؛ وقد ذكر (مارتن أ.ج.ب) أنه من كثرة خسائر الفرنسيين وفقدانهم لعدد كبير من الجِمال عُرِفَت سنة 1900 بعام "الفتور"، لأن في هذه السنة استفاد العبيد والبسطاء في توات من كميات كبيرة من اللحم جراء ذلك العدد الهائل من الجِمال الهالكة التي تركها جيش الجنرال (سيرفيار) طوال طريقه².

تلك الأحداث والزخم المترتب عن مرحلة الغزو الفرنسي للمنطقة، لم تخبر خلالها شعلة المقاومة المحلية التي ساهم بها أهل توات في مسيرة المقاومة الشعبية بالجزائر، بل كانت أمجاداً تتكلم من قصرٍ إلى قصر، ومشعلاً محمولاً من رجلٍ إلى رجل، ولأن أحداثها عظيمة وجسيمة لم نشأ أن نعجزها مع محطات الغزو وطوابيره، بل خصصنا لها فصلاً كاملاً سيدلو بدلوه وعلوه، كان فيه أهل القصور التواتية على قدر المسؤولية الوطنية والنضالية، من عين صالح والفقيرة والدغامشة وإينغر في جهة تيديكلت خلال 1899-1900، إلى فاتيس والمطارفة وتيميمون وشروين وطملمين في جهة قورارة خلال 1900-1901، إلى انتفاضات أخرى ومقاومة ثقافية من نوع خاص في السنوات الأخرى، ولعل ما نختم به خلاصة الفصل ونكمل به البحث للفصل الموالي، ما قاله الزعيم الحاج محمد عزي دفاعاً عن عرضه وأرضه: "والله لو ماتوا كبارها وطاحوا أسوارها وتخلطت نساها مع صغارها، لا نستسلم".

¹ . René Pinon, "Les Marches Sahariennes: Autour de Figuig, Igli, Le Touat", *Revue des Deux Mondes* (1829-1971), Cinquième Période, Vol.7, No.2, Paris (15 Jan 1902), p. 386

² . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, p.352

الفصل الخامس :

المقاومة الشعبية في توات

المبحث الأول: معارك المقاومة في جهة تيديكلت

- معركة الفقيقية (إقسطن)

- معركة الدغامشة

- ملحمة إينغر

المبحث الثاني: معارك المقاومة في جهة قورارة

- معركة فاتيس وبداية غزو قورارة

- معارك المطارفة

- هجومات تيميمون

- معركة شروين

- معركة ظلمين

- موقعة حاسي لغزال

المبحث الثالث: المقاومة الثقافية في توات

- دور الزوايا والمدارس القرآنية

- أعلام وعلماء ومواقف خالدة

- دور الموروث الشعبي المحلي

خلاصة الفصل

المبحث الأول: معارك المقاومة في جهة تيديكلت

بمجرد وصلت الأنباء في منتصف شهر ديسمبر 1899 عن تحرك بعثة (فلامون)، وأن الفيلق الفرنسي المصاحب لها كان قادماً من ورقلة نحو تيديكلت أو الهقار، كان أهل المنطقة وأعيانها يتابعون أخبار تلك التحركات فلما سمعوا عن وصولها إلى هضبة تادمايت بدأت الاستعدادات على قدم وساق، حتى أن أولاد باجودة¹ بعثوا مجدداً إلى السلطان المغربي يستجدون به لعل وعسى بتدخله ووساطته يمنع عنهم هذا البلاء العظيم*، لكنهم وفي المقابل قرروا المقاومة ورفض الوجود الفرنسي ولو مروراً على أراضيهم، كان ذلك القرار قولاً وعملاً قد تم توجيهه إلى الفرنسيين بمجرد وصولهم إلى منطقة تادمايت، فكيف تجلت مظاهر المقاومة في جهة تيديكلت؟؟ وما أهم أحداثها وتداعياتها؟؟

1. معركة الفقيقية:

تقع قرية الفقيقية شرق قصر إقسطن بحوالي 5 كلم وهي في مقدمة مداشر وقصور عين صالح المقابلة لهضبة تادمايت غرباً، وهذه المعركة تسمى أيضاً بمعركة إقسطن بحكم أن الفقيقية القرية الصغيرة كانت جزءاً من واحة إقسطن، والفقيقية تصغيراً لكلمة "الفقارة" التي تشتهر بها توات كمجرى مائي تقليدي، أما قصر إقسطن التابع حالياً لبلدية فقارة الزوى ودائرة إينغر، يذكر محمد باي بلعالم أن هذه الكلمة بربرية وتعني "أمانتك محفوظة"²، في حين نجد قصر إقسطن بنفس التسمية في جهة لدول بمنطقة قورارة يذكر الناس أن الكلمة في معناها مشتقة من "القسط والعدل".

وبخصوص بعثة (فلامون) فقبل وصولها إلى جهة تيديكلت كما كان منتظراً، أرسل أعيان عين

¹ . عائلة باجودة كانت تسكن في قرية الفقيقية ثم انتقلت لاحقاً إلى قصر العرب في عين صالح: عبد القادر بويه (من مواليد 1966 بقرية الزاوية في عين صالح)، مفتش التربية الوطنية لمادة التاريخ والجغرافيا وباحث ومؤلف في التاريخ المحلي، دردشة حول المقاومة المحلية، عين صالح في 2024/04/12، التوقيت: 20:45 ليلاً، مقابلة شخصية * . وقد قالها العقيد (مالهر Malher) بصريح العبارة سنة 1895 أنه ومنذ وصول الفرنسيين إلى المنيعة تزايدت مخاوف أهل توات وأصبح تقاربهم مع المغرب أكثر وضوحاً، وأن الإذعان الذي صاروا يبدونه لممثلي السلطان سببه فقط الخوف من الهيمنة الفرنسية، وأن التواتيين اختاروا من الشرين الشر الأقل ضرراً بالنسبة لهم، وأنهم كانوا على يقين من قدرتهم من التخلص من هيمنة المخزن في اليوم الذي تنتهي مصلحتهم منه. للمزيد ينظر: Colonel Malher, La Question du Touat..., Op.Cit, pp.17,18

² . بلعالم محمد باي، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج1، المرجع السابق، ص 18

صالح برسالة استباقية إلى القافلة الفرنسية لإخبارها بعدم السماح لهم بدخول عين صالح، وكان حامل الرسالة قد انتظر مرور البعثة بتادمايت يومين أو ثلاثة إلى أن نفذت مؤننته، فقام بدفن البئر وترك بالقرب منه تلك الرسالة وغادر، ولما وصلت البعثة إلى البئر اضطرت إلى التوجه إلى الفقارة الكبيرة¹، وفي هذا السياق يقول (فوانو) الذي كان ضمن البعثة أنهم عند وصولهم إلى "حاسي منقار" وجدوا هناك رسالة تهديد، فقرروا عدم السير أبعد من تلك النقطة خاصة أنهم علموا بأن القوم كانوا يستعدون لمهاجمتهم، لكن البعثة اقتربت من فقارة الحاج عبد القادر قرب إقسطن يوم 27 ديسمبر 1899².

وبمجرد وصول الفرنسيين أرسل أصحاب الفقارة خبراً إلى قيادة عين صالح، فاجتمع في تلك الليلة الحاج المهدي باجودة بالسكان واستدعى أهل القصور المجاورة (الساهلة، حاسي لحجر، أولاد يحيى، أولاد دحان...)، ثم قدم شخصياً إلى قصر إقسطن، وفي فجر اليوم الموالي خرج على رأس 300 شخص بملابس الأعياد والرايات، وتقدم نحو الفرنسيين حتى لم تبق تفصل بينهما سوى 100م، وفي تلك اللحظة تقدم رجلان من كلا الطرفين للتفاوض، لكن حدث ما لم يكن في الحسبان، حيث انفجرت طلقة نارية مفاجئة حوّلت اللقاء إلى معركة حامية الوطيس³. وفعلاً فالفرنسيين حاولوا التفاوض من خلال شيخ الطريقة القادرية محمد بن الطيب بحجة السعي لتجنب إراقة الدماء، في حين كان رجال المقاومة يتظاهرون بالرفض والتماطل واشتروا التعامل مع رئيس الحكومة الفرنسية مباشرة⁴.

وحسب رأي الشيخ محمد باي بلعالم فإن رجال باجودة كانوا قد خططوا لمخادعة العدو بقبول الصلح والتفاوض، والهدف من ذلك الاقتراب منه ومباغتته عن كثب، لكن أحد الرجال المحليين يدعى "قوفا" لم يتمالك نفسه حينما رأى جنود فرنسا فضغط على زناد بندقيته وأطلق طلقاته تلك، حتى سمي

¹ . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, p.323

² . Voinot Louis, *Le Tidikelt...*, Op.Cit, p.91

³ . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, pp.323,324

⁴ . Tillion André, *La Conquête des Oasis Sahariennes...*, Op.Cit, p.16

ذلك المكان بـ "عمارة قوفا"¹، فبدأت المعركة وكان القتال شرساً استمر من فجر يوم 28 ديسمبر 1899 حتى الساعة العاشرة صباحاً، كان يقود الجانب الفرنسي النقيب (بان Pein) بقوة من 140 جندي، ومع ذلك لم تتحول مجريات المعركة لصالح الفرنسيين إلا لما قُدمت نجدة قوامها 80 رجلاً بقيادة النقيب (جيرمان Germain)، حيث ساهم في مطاردة المقاتلين المحليين حتى القصر الكبير ثم قسبة باجودة، في حين لجأت بقية عناصر المقاومة نحو قصر إينغر².

وكانت النتائج حسب ما ورد في المصادر الفرنسية³، من رجال المقاومة 50 شهيداً منهم الحاج المهدي باجودة وأخيه بوعمامة وعدداً من أعيان العرب والمرابطين، و150 جريحاً و64 أسيراً، وأما الفرنسيين فلم يصرحوا إلا بسقوط قتيل واحد و4 جرحى⁴. وعلى إثر ما ترتبت عنه هذه المعركة توغلت الحملة الفرنسية في المنطقة فاحتلت فقارة الزوى وعين صالح، وتم رفع العلم الفرنسي في قسبة باجودة يوم 29 ديسمبر 1899⁵؛ كما فرضت على السكان دفع فدية جماعية قدرها 10 آلاف فرنك مقابل إطلاق سراح الأسرى، وقد حصّلتها من الناس في يومين ووزعتها كمكافئة على الفرق القومية الذين كانت تصطحبهم وتوجههم في مقدمة جبهات القتال.

ورغم أن السكان المحليين قاوموا بشراسة وواجهوا العدو بكل أبهة واقتدار، رافعين في المعركة راياتهم ومرتدين للشهادة أجمل ملابسهم، إلا أن عدم تكافؤ القوى رجح كفة القوات الفرنسية التي وصل تعدادها إلى 700 شخص، كان منهم حوالي 140 جندي بصفة عسكري منظم، ناهيك عن أسلحة البعثة الفرنسية المتطورة وفي المقابل أسلحة محلية بيدائية (أسطمبولية وذخيرتها 24 خرطوشة، وسطا عشية وذخيرتها 16 خرطوشة، وتسيعية 09 خرطوشات، وزويجات البارود، والبوشفر، ومكحلات

¹ . بلعالم محمد باي، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج2، المرجع السابق، ص 7

² . Alis Harry et Terrier..., **Bulletin du Comité de l'Afrique Française**, Op.Cit, p.52

³ . هناك تضارب في الأرقام في المصادر الفرنسية حيث يذكر (مارتن أ.ج.ب) 90 شهيد، وتشير نشرة لجنة إفريقيا الفرنسية لسنة 1900 إلى أن عدد الجرحى والأسرى 60 فقط، ولهذا فمعطيات الفرنسيين قد نأخذها بحذر.

⁴ . Ibid, p.10

⁵ . Voinot Louis, **Le Tidikelt...**, Op.Cit, p.92

البارود العادي والسيوف والخنجر)¹، ضف على ذلك أن الفرنسيين كانوا متحصنين بالكثبان الرملية وكان رجال المقاومة مكشوفين في العراء². ولعل هذه الوضعية تثبت حقاً ما أشار إليه الشيخ باي بلعالم بمحاولة خداع العدو من خلال الاقتراب منه، لولا تلك الطلقة العشوائية من المدعو "قوفا".

هذه المعركة كان قائدها الحاج المهدي باجودة بن الحاج عبد القادر بن محمد بن سيد الحاج بن باحمو بن امير ملوك، الذي وُلد في عام 1854 بعين صالح، تعود جذوره إلى العائلة السنوسية بمستغانم، ومنذ شبابه عُرف عنه أنه كان مصلحاً ورحالة وصل إلى تونس والمغرب وليبيا وبلاد شنقيط والحجاز، وفي أدائه لمناسك الحج يُذكر أنه التقى مع محمد بن علي السنوسي الذي أعطاه الورد وكلفه ببناء الزاوية³؛ وإن كانت المعلومة الأخيرة غير دقيقة إذا ما اعتبرنا ميلاده في 1854 ووفاته الشيخ السنوسي في 1859م⁴، لكن أصله السنوسي وارتباطه بالسنوسية لا خلاف عليه، قد يكون ذلك من خلال والده الحاج عبد القادر باجودة أو أن تاريخ ميلاده كان قبل ذلك.

كما كان شخصية ثرية جداً ومؤثرة سياسياً، عُرف بعلاقاته القوية مع الطوارق والسكان المحليين، ومواقفه ضد الفرنسيين كانت واضحة منذ نزولهم في المنيع حيث احتج ضد وجودهم وحصونهم، كما يقال أنه كان مع بعض زعماء الطوارق من المحرضين في الهجوم على بعثة (فلاترز) سنة 1881 ومقتل (مارسيل بالات) سنة 1886، كما كان مقدماً للسنوسية ومنتمياً للطريقة الطيبية أيضاً⁵. وكان قائداً على أولا باحمو وأولاد الحاج وقصور إقسطن والسهلة والدغامشة وإينغر، إلى أن أصيب في معركة الفقيقية بثلاث رصاصات، استشهد على إثرها بعد يومين في قصره⁶.

¹ . عبد القادر بويه، صفحات من تاريخ الصحراء...، المرجع السابق، ص 68

² . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, p.324

³ . مياي إبراهيم، الاحتلال الفرنسي للصحراء...، المرجع السابق، ص 505، نقلاً عن أحفاد المهدي باجودة ومنهم دحاج السنوسي، عين صالح في: 1997/12/24-22

⁴ . ميلود بلعالية، "الشيخ محمد بن علي السنوسي (1787-1859)"، مجلة عصور، مج5، ع2، 2006/12/30، ص 132-108

⁵ . La Croix et de La Martinière, "Documents pour servir a l'étude du Nord Ouest African", T.4, Op.Cit, p.548

⁶ . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, pp.263,324

2. معركة الدغامشة:

تقع الدغامشة جنوب عين صالح بنحو 4 كلم، وكان أهل توات لما سمعوا بسقوط عين صالح قد تحركوا في تعبئة شعبية قادها مولاي عبد الله الرقاني، هذا القائد الفذ استطاع حشد الناس من حوله وجمع السلاح والمؤونة ومراسلة الأعيان في قصور توات، حيث بايعه حوالي 1300 رجل على الجهاد، وتهيئوا تحت رايته بارتدائهم أجمل الثياب، وتعطروا وتخضبوا بالحناء تحضيراً للشهادة ولقاء ربهم، وكانوا قد تنادوا مقبلين من تسابيت حتى إلى أولف، ونفروا بهدف الزحف على عين صالح لتطهيرها من الفرنسيين، حتى لما وصلوا إلى قصر البركة أشار عليهم أحد العيون المندسين بأن يعودوا فلا قَبِلَ لهم بالعدو الفرنسي، لكنهم أبوا وعدّوا ذلك من الفرار يوم الزحف، وقد قال شاعرهم عبد النبي بوتقي¹ قولته المشهورة "تصحتونا صحيح، ونصيحتكم عيب وعار لو كان من البركة ولينا"².

وفي نفس السياق يؤكد (فوانو) المعلومة بأن حوالي 1300 مقاتل وصلوا إلى منطقة البركة يوم 04 يناير 1900، ولما توقفوا فيها راسلوا الحامية الفرنسية يطلبون منها مغادرة البلاد فوراً، ثم واصلوا سيرهم حتى وصلوا إلى قصر الدغامشة في اليوم الموالي³. ونقلًا عن مقطع من مخطوط عثر عليه (مارتن أ.ج.ب) في بودة: أن تلك التعبئة امتدت من أولف إلى إينغر وصل فيها ما يزيد عن 800 رجل إلى الدغامشة يوم المعركة 03 رمضان 1317هـ/05 يناير 1900م، وفي الدغامشة قبل المعركة حاولوا الحصول على معلومات عن القوات الفرنسية وأوقدوا حولهم النيران بكثافة، وأخذوا يتشاورون حول الخطة فكان رأي أولاد زنان "الهجوم المفاجئ خلال تلك الليلة"، وأصر الآخرون على

¹ . عبد النبي بوتقي: وُلد سنة 1860 كان من قيادات المقاومة الشعبية في تيديكلت، حيث اعتقل وعذب لدوره المقاوم بشعره وفصاحته، قضى فترة سجنه في باتنة بين 1914-1916، وهناك حكم عليه بالإعدام لكن نجى بأعجوبة وتوفي سنة 1920. ينظر: عبد القادر بويه، صفحات من تاريخ الصحراء...، المرجع السابق، ص 71

² . محمد الهادي الحسني، الدغامشة، صفحة الشروق أونلاين: الرأي، مقالة بتاريخ 2014/12/22، التصفح: <https://www.echoroukonline.com>، التوقيت: 20:10، 2024/04/13

³ . Voinot Louis, Le Tidikelt..., Op.Cit, p.93

أن يكون الهجوم صباحاً وأنهم واثقون من هزيمة الكفار¹.

ولأن الفرنسيين كانوا يعلمون أن هناك احتمال لتجدد المقاومة في المنطقة، فقد وجهوا في 03 يناير 1900 فرقة استطلاعية مكونة من 10 قومية و 20 من الصبايحية الصحراوية، كانت الفرقة التي يقودها الملازم (سودانت Soudant) قد علمت أن طابوراً قوياً من رجال المقاومة في طريقه نحو عين صالح، فعادت الفرقة الفرنسية مسرعةً بالخبر مساءً، وفي اليوم الموالي لما وصلت المقاومة إلى الدغامشة تسالت فرقة القناصة الصحراوية الفرنسية إلى نهاية الكثبان الرملية، وفاجأهم يوم المعركة بكثافة النيران، وفي نفس الوقت توغلت فرقة الصبايحية في القصر، وفي ظل اشتداد المعركة اهتدى رجال المقاومة إلى حيلة وهي الطلقات الفردية المتقطعة، كان الهدف منها استنزاف ذخيرة القوات الفرنسية، كما كان البعض منهم يتقدم بين الفينة والأخرى للدفع بالفرنسيين للتقدم والكمين لهم، لكن الأسلحة والعتاد الفرنسي كان أقوى وهو ما رجح الكفة، ورغم ذلك وحتى على بُعد خطوات بعد سقوط القصبه استمر القتال مع حوالي 15 فارساً من المقاومة².

وفي سردٍ آخر عن وقائع المعركة لا يختلف كثيراً عما ورد ذكره، فإنه وقبل خروج رجال المقاومة صباحاً من الدغامشة نحو عين صالح تفاجأوا بوابل كثيف من رصاص الكشافين الذين كانوا يستطلعون الأمر لصالح الفرنسيين³، ذلك أن فرق القومية والسرية الصحراوية الاستطلاعية كانت قد تمركزت على الكثبان الرملية قرب الدغامشة، ولم يكن يفصل بينها وبين القصر سوى مسافة 1200م، ورغم أن المقاومين عند خروجهم حاولوا التمركز وراء التلال الصغيرة للفقير، إلا أن محاولتهم باءت بالفشل أمام قوة نيران وأسلحة القناصة التابعين للفرنسيين، فدامت المعركة ساعات من القتال الشرس وفي نهاية المطاف وضعت أوزارها لصالح الطابور الفرنسي⁴.

¹ . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, p.325

² . Tillion André, *La Conquête des Oasis Sahariennes...*, Op.Cit, pp.17,18

³ . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, p.326

⁴ . Voinot Louis, *Le Tidikelt...*, Op.Cit, p.93

وحسب نشرة "لجنة إفريقيا الفرنسية" فقد تم الإبلاغ عن وجود رجال المقاومة في جهة الشمال الغربي، وبأنهم من بقية رجال باجودة المنسحبين جراء معركة إقسطن، وبأنهم أعادوا تشكيل أنفسهم مع تعزيزات قادمة من إينغر وأولف. وفي هذه المعركة كانت الطليعة الفرنسية تتكون من 192 مقاتلاً، اختبأ جزءاً بقيادة النقيب (بان) تحت أسوار وبساتين قصر الدغامشة، بينما تحرك جزءاً آخرًا على الأجنحة بقيادة النقيب (جيرمان)، وبدأ القتال في نفس اليوم على الساعة التاسعة صباحاً وبعد ساعة تدعمت الجبهة الفرنسية بهجوم قوي من فرق الصبايحية والقومية الذين كثفوا من نيرانهم وقذائف مدفعيتهم وقناصتهم، فكانت النتائج من الجانب الفرنسي 1 قتيل و4 جرحى، وفي جانب المقاومة 150 شهيد و200 جريح و14 أسير¹؛ كان من بينهم نجل قاضي عين صالح سي عبد الرحمن².

ورغم كثرة تداول أرقام تلك النتائج والضحايا، فإننا إذا ما قارننا معطيات المصادر الفرنسية ببعض المصادر المحلية، سنجد مبالغة وتضخيم لخسائر المقاومة في غالب الأحيان وربما الأمر مقصوداً، فمثلاً نجد رسالة بعث بها الشيخ محمد بن بوزيان بن الحاج البكري إلى والده وخاله مؤرخة في أواسط رمضان 1317هـ/ أي: بعد 10 أيام على معركة الدغامشة تقريباً، يذكر فيها بعض الضحايا والمشاركين فيها من جهة تيمي، فيقول: "... من أهل البلاد تيمي عشرة رجال، تفكروا منهم البركة الحاج محمد بن سيدي محمد عبد الله صاحب مهديّة مات رحمه الله، والبخاري ابن القايد مجروح، وبلقاسم بن عبد الرحمن مجروح، والبركة سيدي سيد البكري بن سيد الحاج محمد الصالح مجروح...، وجميع عدد الميته ثلاثة وسبعين رجلاً، والمجروحين مئة وعشرين رجلاً وستين رجلاً مربوطة"³.

ويذكر الشيخ محمد باي بلعالم أن أول شهيد ارتقى في هذه المعركة هو ولد احميدة امحيد من

¹ . Alis Harry et Terrier..., **Bulletin du Comité de l'Afrique Française**, Op.Cit, p.53

² . Guillaume de Champeaux, **a Travers Les Oasis Sahariennes...**, Op.Cit, p.58

³ . محمد بن بوزيان البكري، رسالة من معركة إينغر، عن الحاج عبد الله بكر اوي وع/ط د. بابا عبد الله، تمنظيط أدرار، الجزائر

زاوية حينون بأولف¹، ومما ورد عن أسماء وأعداد الشهداء فمن قصر أقبلي 07 شهداء، ومن أهل إينغر 13 شهيداً، ومن قصور أولف 19 شهيداً، وبقيّة الشهداء لا تزال قائمة أسمائهم وقصورهم مفتوحة ومحل بحث؛ وحتى الكر والفر الذي كانت تشهده المنطقة بعد كل معركة، حيث لجأ البعض منهم إلى إينغر تحضيراً لمعركة أخرى، جعل النقيب (جيرمان) يرسل قائد المركز العسكري بالمنية (بومقارتن) في يوم المعركة 05 يناير 1900 قائلاً: "سيدي القائد لقد بات الوضع خطيراً جداً، وخطورة الوضع التي تتوالى أكثر فأكثر تجعلني أؤكد على ضرورة إرسال النجدة إلينا في أسرع وقت، فبعد معركة إقسطن شهدنا اليوم معركة أخرى...، فالرجاء سيدي القائد الأعلى التصرف بسرعة عاجلاً"².

وفي تحليل وتفسير أسباب الهزيمة يرى الشيخ محمد باي بلعالم أن ما قام به أحد العيون والجواسيس والذي استفاد منه الفرنسيون كانت ضربة موجعة للمقاومة، خاصة أنه من خلاله استطاعت الفرق الفرنسية الكمين والتحصن بالكتبان الرملية، وفي نفس الوقت وجدت المقاومة يوم المعركة نفسها مكشوفة وأمام مرمى نيران العدو، بل وحتى انقسام الرأي بين قيادات وكبار الشخصيات حول خطة المعركة كان من أسباب الهزيمة، وأهم نقطة في أحداث المعركة كانت انفجار برميل البارود الذي كان يتزود منه رجال المقاومة، حيث كانت أسلحة وبنادق الناس تعتمد على مسحوق البارود الذي نفذ باشتعاله³.

ورغم إدراك رجال المقاومة للكمين الذي وقعوا فيه وللهزيمة التي كانوا سيتعرضون لها، إلا أنهم لم يستسلموا ولم يلوذوا بالفرار إلا بعد ساعاتٍ من القتال أثر فيها الكثيرون نيل الشهادة، ثم لما وقعت الهزيمة فإن ما تبقى من الرجال لجأوا إلى قصر إينغر وتجمعوا فيه وراسلوا قصور توات طلباً للدعم والممدد للتصدي للعدو الفرنسي مرةً أخرى، وتصويراً لهذا المشهد رغم الانكسار، قال الشاعر عبد النبي

1. بلعالم محمد باي، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج2، المرجع السابق، ص 315

2. عبد القادر بويه، صفحات من تاريخ الصحراء...، المرجع السابق، ص ص 72-74

3. بلعالم محمد باي، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج2، المرجع السابق، ص ص 8،9

بوتقي:

الغلبة ما هيش عيب، عيب الاستدبار... هذه خلقت في عهد النبي، احراك حنا

لكن المكتوب وبين نهرب من القدر... لايد نصرفوا هذا الشي دراكنا¹

هذه المعركة الخالدة قادها الشهيد مولاي عبد الله بن العباس بن عبد الله بن عبد الملك بن عبد الله الرقاني، الذي وُلد في زاوية الرقاني حوالي 1250هـ/1833م، حفظ القرآن وتتلذذ على يد الشيخ مولاي علي الشريف في قصر أولاد ابراهيم بتيمي، وكان قد عاش رداً من الزمن في تمبكتو حتى اشتهر في السودان الغربي، وهناك بدأ تحضيراته للمقاومة حيث كان يبعث بالأسلحة خفية إلى زاوية الرقاني، وكان لما عاد إلى رقان سنة 1302هـ/1885م قد أسس دار المكايلية² في رقان وأولف، ثم لما سقطت عين صالح جمع السلاح والموؤن وراسل قصور وقبائل توات، حتى حشد حوله ما يقارب 1300 رجل من بودة ورقان وأولف وصل بهم إلى قصر البركة في 04 يناير 1900، وفي اليوم الموالي خاض معهم معركة الدغامشة التي استشهد فيها مع 150 آخرين³.

3. ملحمة إينغر:

1.3. معركة إينغر الأولى:

تقع إينغر غرب عين صالح بنحو 65 كلم، وهي حالياً دائرة وبلدية تابعة لولاية عين صالح، وهذه الكلمة بربرية تعني "الشعبة أو المكان المنخفض"⁴؛ وقعت فيها ملحمة عظيمة بدأت من نتائج

¹ . مبارك جعفري، "الشهيد مولاي عبد الله بن مولاي العباس الرقاني قائد مقاومة الدغامشة بعين صالح حياته وجهاده (1833-1900)"، *مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية*، مج4، ع3، 2018/06/02، ص 155

² . دار المكايلية: وهي بمثابة مصنع صغير كان يتم فيه إعداد البارود وصناعة وإصلاح بعض الأسلحة كالبنادق، وتدريب الشباب فيها على الرماية، حتى أنها صارت لاحقاً حرفة وورثة تميزت بها بعض القبائل، وكانت مدعاة للفخر والشرف حيث ارتبطت أحياناً بالنسب الشريف أو العائلات المرموقة. ويذكر الدكتور جعفري مبارك أن هذه الدار لا تزال موجودة في أولف وفيها: رحي وحجرة لتجهيز البارود، وآلة لتقطيع الرصاص، وأدوات وصحون لخلط وتجريب البارود، ومكان للشارة وهو جدار للتدرب على الرماية، وغرف لتحسيس وتعليم وتعبئة المجاهدين. ينظر: مبارك جعفري، الشهيد مولاي عبد الله...، المرجع السابق، ص 150

³ . مبارك جعفري، "مولاي عبد الله..."، المرجع السابق، ص ص 146-165

⁴ . بلعالم محمد باي، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج1، المرجع السابق، ص 18

معركة الدغامشة التي من خلالها تسربت فلول المقاومة إلى ناحية إينغر، وبدأت في التعبئة الشعبية مجدداً لإعادة انطلاق المقاومة ومنع الزحف الفرنسي مرةً أخرى، وهذا ما استشعره الفرنسيون فطالبوا قياداتهم في المنية بالدعم والإمداد العسكري، وبالفعل فقد وصل الطلب إلى قائد المنية (بومقارتن) في 06 يناير 1900، وهو بدوره أرسل إلى الحامية العسكرية بعين صالح طابور إغاثة من 150 جندي من القناصين و150 من القومية، وتبعته بعد 4 أيام كتيبة صحراوية تضم 50 جندي من حصن (مكماهون) ومعها مدفعاً إضافياً¹.

بعد وصول تلك القوة الفرنسية التي بلغت حوالي 350 جندي، ونظراً لأن الناجين من معركة الدغامشة توجهوا إلى إينغر في انتظار المدد والدعم من توات، ولأن الفرنسيين كانوا يحتاجون للمرعى لإبلهم، والغابة الوحيدة توجد على طريق إينغر، والأهم من ذلك أن عين صالح أصلاً لم تكن هدفهم بل كانت مجرد بداية لعملياتهم التوسعية، فعلى ذلك الأساس قرر القادة الفرنسيون الزحف على إينغر ابتداءً من 24 يناير 1900². يقول (فوانو) أن سكان إينغر في البداية سمحوا لفرقة القومية الفرنسية بالدخول إلى إينغر، لكن لما وصلت قوات (بومقارتن) رفضوا الخضوع لها، فأغلقوا قصباتهم تحت وابلٍ من السب والشتم للفرنسيين وللعملاء الذين كانوا برفقتهم، واستمر الأمر إلى غاية 26 يناير 1900 حيث يأس الطابور الفرنسي من اقتحام قصبات القصر³.

أما في حقيقة الأمر فإن (بومقارتن) أمر الملازم (كلوستر Claustre) بالزحف على إينغر بكتيبة من 100 فارس، ثم لحق به على رأس قوة إضافية من الصباحية والقومية في 21 يناير 1900، وعند مدخل القصر حاول إقناع الناس بالخضوع للفرنسيين سلمياً، فرفضوا وأصرروا على المقاومة، ويخلد التاريخ جواب زعيم قسبة المرابطين الحاج امحمد عزي بمقولته الشهيرة رداً على

¹ . Tillion André, *La Conquête des Oasis Sahariennes...*, Op.Cit, p.19

² . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, p.326

³ . Voinot Louis, *Le Tidikelt...*, Op.Cit, p.93

الفرنسيين: "والله لو ماتوا كبارها، وطيحوا أسوارها، وتخلطت نساها مع صغارها، لا نستسلم". وقد قال في ذلك الموقف العظيم الشاعر عبد النبي بوتقي الذي كان من ضمنهم:

أبعث بوشاطورة يدور التسيار... واحلفنا باليمين لا صارت منا¹

فحاولت الحملة الفرنسية اقتحام قصبات القصر ليلة 24 يناير 1900، لكن صمود واستبسال المقاومة أجبرتهم على التراجع، خاصة أن رجال المقاومة هذه المرة أبلوا البلاء الحسن من خلال تمركزهم خلف الكتبان الرملية شرق القصر، وقد استمر القتال حتى مساء يوم 25 يناير 1900، وقد صور ذلك المشهد الشاعر بوتقي فقال:

اطلع فوق العرق واقذف النيران... تسمع حس الزهير عند الحنانا

من نصف الليل إلى غدا في نصف النهار... صار القرطاس بينا عامل مزنا²

ضربناه من البعد ورجع على الأدبار... ومشى غضبان مسود المغبنا³

ويذكر العقيد (دو D'eu) الذي كان في الحملة أنه جرت قبل المعركة مفاوضات طويلة بين الجانبين، لكنها لم تقضي لأي نتيجة كما كانوا يتوقعون في عين صالح، ورغم دخولهم إلى قصر أولاد حداقة في 24 يناير 1900، إلا أن بقية القصبات قاومت حتى اضطر الرتل الفرنسي إلى الانسحاب نحو عين صالح يوم 27 يناير 1900، مصطحبين معهم حوالي 5 جرحى بينهم ضابط وملازم ثاني من القناصة والفرقة الصحراوية⁴. وحسب رواية (مارتن أ.ج.ب) فالقتال بدأ حوالي الساعة 10 صباحاً بالتقدم نحو قصبة أولاد حداقة، وبدأ الفرنسيون خلالها في إطلاق النار طيلة يومين من 24 إلى 26 يناير 1900، لكنهم في نهاية الأمر فشلوا في اقتحام القصبات، والسبب حسب رأيه أن سلاح المدفعية

¹ . مولاي التهامي غيتاوي، *لفت الأنظار...*، المرجع السابق، ص 115

² . نفسه، ص 115

³ . عبد القادر بويه، *صفحات من تاريخ الصحراء...*، المرجع السابق، ص ص 78، 79

⁴ . Colonel D'eu, *In-Salah et Le Tidikelt...*, Op.Cit, p.6

لم يكن متوفراً¹.

2.3. التعبئة الشعبية والدعاية المضادة قبل المعركة الثانية:

كان لتراجع الفرنسيين وفشلهم في دخول قصبات إينغر بالتفاوض أو القوة، أن أتاح للمقاومة فرصة طلب الدعم والمدد من قصور توات، فبدأت حملة التراسل والتواصل بين الأعيان والقبائل لذلك الغرض، وفي نفس الوقت بدأت عيون فرنسا تنقل أخبار تلك التحركات حيطةً وحذراً، حيث وصلت أخباراً للفرنسيين من المدعو "عبد القادر دوغو" إلى محمد بن الطيب، تذكر أن طابوراً من المقاومة تشكل من قورارة (من تيلكوزة إلى الساهلة، عرب المحارزة والخنافسة من تيميمون إلى أجدير...)، وأن تجمعهم سيكون في أولف، وأن مجموعهم وصل إلى حوالي 3500 رجل².

ولعل ذلك ما جعل الفرنسيين يحركون دعايتهم وحربهم النفسية، حيث بعثوا برسالة في 31 يناير 1900 عن طريق الحاج عبد السلام في عين صالح إلى جماعة إينغر، تحذر من قوة الفرنسيين وتطلب منهم الخضوع والاستعجال بالرد، لكن أهل إينغر كانوا مدفوعين نحو المقاومة³. وعلى إثر تلك الرسالة التي حاول فيها بعض أعيان عين صالح وأطرافاً من أولاد سيدي الشيخ إقناع المرابطين بإينغر بالاستسلام، راسل رجال المقاومة قصور: تيط وأقبلي وأولف ورقان وسالي وتيمي والهبله وتساييت وتيميمون، وحث الخطباء في كل مكان على النفير ونصرة الناس في إينغر، كما بعث باشا تيميمون محمد بن عمر المراكشي برسالة استخبار واستتجاد للمخزن بتاريخ 09 شوال 1317هـ/08 فيفري 1900؛ جاء في بعض سطورها: "... نحن وأهل توات رفعنا شكايتنا إلى الله وإليك أن تمن على المسلمين بالفكاكة من الكافر اللعين...، طالبين الاستغاثة وإلا الترحيل..."⁴

ومنه وفي ظل تلك الأوضاع حاول المخزن التدخل باحتشام لكنه خيب الآمال، بل وكان موقفه

¹ . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, pp.326, 327

² . Ibid, p.327

³ . Ibidem, p.328

⁴ . عبد القادر بويه، صفحات من تاريخ الصحراء...، المرجع السابق، ص ص 76-79

مضاداً للمقاومة، حيث بعث بعدة رسائل إلى باشا تيمي عبر ابن أخته القائد الجيلالي بن رحمون، يطلب منه التفاوض مع الفرنسيين، يقول في إحداها: "... ابدأ المحادثات، لقد أذنا لك في ذلك مع قائد المحتلين لعين صالح، أما نحن فإننا لا زلنا مرتبطين بمعاهداتنا معهم، خط ظفر لا يسمح بفسخ المعاهدة، وأننا نرسل إلى خادمنا محمد بن عمر المراكشي في نفس الموضوع..."؛ فما فهمته من هذه الرسائل المخزنية أن القصر العلوي تخطى عن أهل توات، بل حتى أن بعض الأعيان كانوا قد بعثوا له بعض الهدايا لعل وعسى*، أما مشاركة باشا تيمي الشراي بن الكوري في معركة إينغر رغم مطالبة المخزن له بالتفاوض، فيفسرها (مارتن أ.ج.ب) بأن الرسالة وصلته لاحقاً متأخرة¹.

ورغم ذلك فالتعبئة الشعبية المحلية تواصلت على قدمٍ وساق، فهذه رسالة شحن وشحن للهمم مؤرخة في 08 فيفري 1900، من جماعة تيمي عبر مبعوثهم القائد محمد بن الحاج امحمد، من البركة سيدي مولاي علي الشريف إلى أولاد زنان من تيمقطن إلى أقبلي (شرفاء ومرابطين وعرب) فيها: "إن الله يأمركم أن توثقوا أحزمتكم، وأن تكونوا رجالاً، إننا أرسلنا إليكم المسلمين، افعلوا معهم ما سيسجله التاريخ، لا يخيفكم الرومي...، والحرب خداع، فاعرفوا كيف تهاجمون..."، وبنفس اللهجة والعزيمة رسالة أخرى من العباس بن محمد عبد الله، من قصر باعمر إلى باشا تيمي وأولاد زنان، يقول فيها: "يا جماعة أولاد زنان حاربوا، قاوموا، وقفوا بأنفسكم على المهمة، واستقبلوا جميع المسلمين الذين سيأتونكم..."²

وعن أخبار تحرك الدعم والمدد من القصور، هذه رسالة من أحد شرفاء رقان إلى الباشا إدريس

*. والغريب أن المخزن كان قبل هذه الأحداث قد راسل مناطق الجنوب المغربي يأمرهم بالتزام الهدنة مع الفرنسيين، حيث ذكر بعض شيوخ الزوايا الحدودية بين الجزائر والمغرب في رسالة إلى الحاجب المخزني أحمد بن موسى في 13 شوال 1317هـ/14 فيفري 1900م، يُخبره أن: "النصارى دمرهم الله دخلوا لناحية توات...، وقد أتانا كتاب سيدنا سابقاً أن نكونوا على أمان منهم، فالآن خفنا من ورودهم لنا...، اكفوننا همهم الله هم الدارين وصلح منا ومنكم الظاهر والباطن". ينظر: ملوكي عبد الرحمن، "زوايا تافيلالت وعلاقتها بالمخزن وحركة المقاومة خلال التوغل الفرنسي بالجنوب الشرقي المغربي أواخر القرن 19 وبداية القرن 20م"، *مجلة عصور الجديدة*، مج14، ع1، مختبر تاريخ الجزائر، جامعة وهران1، ماي 2024، ص ص 186-204، نقلاً عن مديرية الوثائق الملكية: ملف التخوم الشرقية.

¹. A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, p.329

². Ibid, pp.331-333

الكوري الذي وصل إلى أينغر حينها، يقول صاحب الرسالة: "أنه قد وصل إلى رقان المجاهدين من تيمي وأولاد سيدي حمو بلحاج وسالي، وسيصل أيضاً أهل بودة وشرفاء الهبلّة وأصحابهم..."، ورسالة من القائد الشراذي نفسه مؤرخة بين 12-22 فيفري 1900، يذكر فيها محاولاته التفاوض واستطلاع أخبار الفرنسيين، وفي نفس الوقت يستعجل وصول قوات المقاومة من باقي قصور توات وجماعة سفيان في قورارة، والقائد محمد عبد الرحمن في تيمي، وجماعة شرفاء أخنوس، ومن أولف الحاج أحمد وأحمد كادي اللذان ذكرا في ردهما: "أن جيش الهبلّة وصل إلى تيمي، وأهل بودة وصلوا إلى تمنطيط، والبرابر¹ وصلوا إلى تامست..."²

وعن أهل أولف رسالة من مولاي هاشم بن سعيد إلى جماعة تيط، يذكر فيها: "وأن أهل تيميمون يحضرون أسوارهم وأسلحتهم وبارودهم وكل المعدات الحربية..."، وبتاريخ 17 فيفري 1900 رسالة من قائد بودة إلى قائد تيميمون يطلب منه: "فيما يخص حملة النصارى نرجو الله أن يرفع عنا هذه المصيبة..."، وإذا كان هناك جديد من جانبكم عليكم أن تعلمنا، لأن الماء في النهر يأتي دائماً من منبعه، أما فيما يخصنا فإننا دائماً على استعداد أن نجاهد من أجل الإسلام..."³

هذه الرسائل التي ساقها (مارتن أ.ج.ب) يقول عنها أنه عثر عليها في خزائن توات من بودة إلى عين صالح خلال وصوله إلى المنطقة سنة 1904، والمعروف عنه أنه حاول بكتاباتة أن يثبت ادعاءات ارتباط توات بالمغرب، إلا أنه لم ينكر أن المخزن كان موقفه باهتاً وسلبيّاً من استتجاد بعض الشخصيات والأعيان في المنطقة به، إلى درجة أنه أشار لمطالبة النظام العلوي لممثليه بالتفاوض مع الفرنسيين، مبرزاً في ذلك تحجج المخزن بالمعاهدات التي مع الدولة الفرنسية، ولعله يقصد بها معاهدة

¹ . البرابر: نجد أن الفرنسيين يربطون هذه التسمية في غالب الأحيان ببعض القبائل في وادي الساورّة وزوزفانة مثل غنانمة كرزاز وبني عباس، وبيع بعض قبائل تافيلالت مثل آيت عطا وآيت خباش وغيرها، وقد كانت للبرابر علاقات وطيدة مع أهل توات، بالتحالف والتجارة أحياناً وبالتوتر والغارات المتبادلة تارةً أخرى، لكن ما يُستنتج أنهما كانوا في إطار المقاومة على قدرٍ من التعاون والنضال المشترك.

² . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, 334,335

³ . A.G.P Martin, *Les Oasis Sahariennes...*, Op.Cit, pp.153-154

لالة مغنية سنة 1845، لكن ورغم ذلك لا ننكر المحاولة والمساعي التي قادها ممثله في توات الباشا إدريس الشراذي، والذي انضم إلى المرابطين في إينغر وساهم في جمع الناس للمعركة الثانية، وفي نهاية المطاف انتهى به الحال مستسلماً بين أيدي الفرنسيين.

3.3. معركة إينغر الثانية:

بعد تراجع الفرنسيين في أولى محاولاتهم ضد إينغر، أدرك رجال المقاومة أن ذلك التراجع تكتيكي غرضه انتظار المدد، فباشروا استعداداتهم بتحضير البارود وتقطيع الرصاص وجمع القوات والعتاد، وأرسلوا يستجدون بمختلف القصور التي لبت النداء، وجاءت من رقان وسالي وتيمي وإينغر ونيط وأقبلي وأولف، بل ووصلت الإمدادات حتى من أقصى شمال توات من الهبلة وتسابيت وتيميمون ليصل عددهم نحو 1300 مجاهد، زحفوا نحو منطقة إينغر يوم 14 فيفري 1900 يقودهم الحاج محمد عزي¹، في حين يقول (فوانو) أن الباشا إدريس الشراذي تمكن من جمع 1300 رجل ودخل بهم إلى إينغر يوم 26 فيفري 1900، فنظم دفاعات القصبات وحصد الناس في حينهم حبوبهم وخزنها مع التمور والمؤونة².

وفي الجهة المقابلة غادر طابور فرنسي بقيادة (دو D'eu) مدينة المنيعه يوم 24 فيفري 1900، وعلى متنه 700 جندي و 80 حصان و 1500 جمل، ثم انضمت له وحدات النقيب (بان)، وساروا باتجاه إينغر غرباً³، ليصبح تعداد الطابور الفرنسي في شكله النهائي ما يزيد عن 900 جندي مجهزين بأكثر من 700 بندقية و 150 سيف ومدفعين تحت قيادة العقيد (دولوك)، وبدأوا الزحف نحو إينغر بتاريخ 14 مارس 1900 ثم نزلوا في مكان يسمى "سيدي بوجناح" شرق إينغر⁴. ولما علم إدريس الشراذي بذلك حاول التواصل مع الفرنسيين لإيقاف الحرب من بدايتها متباهياً بجنسيته ووظيفته

¹ . محفوظ رموم، "الاحتلال الفرنسي لأقصى الجنوب الغربي..."، المرجع السابق، ص 68

² . Voinot Louis, **Le Tidikelt...**, Op.Cit, p.94

³ . Lieutenant Baquey, **La Pénétration Saharienne...**, Op.Cit, p.18

⁴ . مولاي التهامي غيتاوي، **لفت الأنظار...**، المرجع السابق، ص 116

المخزنية التي كان يظن أنها ستشفع له، لكنه تلقى طلقات تحذيرية من دورية للصبايحية فعاد أدراجه
يجر ذبول الخيبة¹.

وفي يوم 18 مارس 1900 تمركز المقاومون على الكتبان الرملية، ثم في ليلة 19 مارس
هاجموا الدوريات الفرنسية وبدأت المعركة، وفيها قامت فرقة القومية بالالتفاف خلف الكتبان الرملية مما
أرغم المقاومة على التراجع واللجوء إلى القصبات، حينها بدأت المدفعية قصفها، وفي ظل تلك
الوضعية هبت عاصفة رملية قوية استغلها الطابور الفرنسي فعبروا تحت جناحها إلى الواحة والتقدم
سريعاً نحو القصر، وبينما ازداد تبادل إطلاق النار بين الجانبين كانت المدفعية تدمر تحصينات
القصر، والغريب أنه كلما كان يخبو إطلاق النار كان الناس في قصبة أولاد أحمد بن جلول يُصلحون
الثغرات².

استمر القتال سجالاً بين الغزاة ورجال المقاومة إلى غاية الساعة العاشرة صباحاً تمكن الطابور
الفرنسي العبور من إحدى الثغرات، واستمات المدافعون يقاتلون بشراسة من منزل إلى منزل، الأمر
الذي جعل جنود الهندسة يستهدفون أسطح المنازل بالمتفجرات حتى أتيح الوضع لكتيبة القناصة
الإفريقية ورماة القومية (Les Tirailleurs) فسقطت القصبية الشمالية، وفي قصبة أولاد حادقة كانت
المدفعية تدك حائط المسجد الذي كان يحول بين الفرنسيين والقصبية حتى فُتحت فيه ثغرة، فدخلت منها
فرقة الرماة برفقة الصبايحية على الساعة الحادية عشر والنصف زوالاً، ومع ذلك فقد عرقل رجال
المقاومة تقدم الطابور الفرنسي بل وألحقوا فيه عدة خسائر، ولم تسقط قصبة أولاد حادقة إلا عند
الساعة الواحدة والنصف زوالاً³.

وفي ظل تلك المقاومة المستميتة من قصبة إلى قصبة، ومن دار إلى دار، ومن سطح إلى

¹ . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, p.342

² . Voinot Louis, *Le Tidikelt...*, Op.Cit, p.94

³ . Ibid, pp, 94,95

سطح، لم يتردد الباشا إدريس الشراي في إبداء تخوفه مما تفعله المدفعية، خاصة أن الناس بدأوا يشعرون بقوتها وبأنها السلاح الذي قد يفصل في نتيجة المعركة، فحدث بين الباشا والناس جدال حول تلك الوضعية الصعبة التي كانوا يسايرونها، فكان من الباشا أن أقترح عليهم بأن الوسيلة الوحيدة لإيقاف النصارى هي "رفع الراية البيضاء"¹، لكن الناس رفضوا ذلك، ليخرج الباشا وحده وسلم نفسه للفرنسيين وهو يحمل بندقية على رأسها قطعة قماش أبيض، أما المدافعون فقد رفضوا الاستسلام إلا بالتفاوض، وواصلوا بعد ذلك إطلاق نار ضعيف حتى أصيب فيهم من أصيب وأسير من أسير².

ولأن نيران المعركة من داخل القصر والقصبات والمدفعية التي استهدفتهم لم تكن تميز بين المقاومين والسكان، فإن النتائج كانت وخيمة فقد ذكر الجنرال (دو D'eu) الذي كان مشاركاً في عملية اقتحام إينغر أن: "أعداد الضحايا كانت كبيرة ويمكن تقديرها بحوالي 600 قتيل و 50 جريح و 450 أسير"، إلى درجة أنه تم إطلاق 136 قذيفة مدفع على القصر، و 12000 خرطوشة رصاص، وأن إطلاق النار كان يأتي من كل الجهات حتى أنه من المستحيل أن تتعرف على نفسك في ظل تلك الغزارة من القذائف والرصاص، وذكر هذا الجنرال أن ذلك كان مستمراً لحوالي 24 ساعة من الخامسة صباحاً حتى الرابعة ونصف صباحاً في اليوم الموالي، ويضيف أن عدد القتلى الهائل اضطرهم لدفنهم بشكل جماعي في خنادق، وأنه وبالرغم من أن نهاية المعركة كانت لصالح الفرنسيين إلا أن (بومقارتن) أعطى الأوامر بنسف ما تبقى من حصون وأسوار القصر³.

وضمن تلك النتائج تم أسر باشا تيمي و 12 قائداً محلياً آخراً نُقلوا إلى مدينة المنيعه ثم إلى الأغواط⁴. أما العقيد (دو D'eu) فيذكر أن الأسرى من كبار الشخصيات تجاوزوا 20 أسير، منهم 8 سُجنوا في عين صالح مثل عبد القادر ولد محمد كبير أولاد إيعيش وأولاد زنان من أولف العرب،

¹ . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, p.346

² . Voinot Louis, *Le Tidikelt...*, Op.Cit, p.95

³ . Colonel D'eu, *In-Salah et Le Tidikelt*, Op.Cit, pp.42-52

⁴ . Alis Harry et Terrier..., *Bulletin du Comité de l'Afrique Française*, Op.Cit, p.246

والحاج أحمد بن محمد كبير أولاد حداقة من أهل عزي في إينغر، والحاج عبد القادر بن موسى إمام إينغر وغيرهم، و13 أسير آخر حُولوا إلى المنيعة، ومنهم مثلاً الباشا إدريس بن الكوري الشراذي، والحاج أحمد ولد الحاج العربي كبير أولاد باطلحة من أولف العرب، والحاج محمد السالم ولد محمد كبير أولاد يحيى من تيمقطن، ومن تيمي كل من أحمد بن عبد الرحمن ومحمد ولد الحاج امبارك وبأسالم بن الحاج امحمد، وغيرهم من الأعيان والشخصيات المؤثرة بنفوذها وثروتها¹.

أما من حيث خسائر الفرنسيين ورغم تضارب الأرقام التي ذكروها، إلا أنهم وصفوها بالخسائر الفادحة، قال عنها (فوانو) الذي جرح فيها أنهم فقدوا 9 قتلى وأصيب منهم 46 جريح². أما من جهة الرواية المحلية نجد الشاعر عبد النبي بوتقي الذي وقع أسيراً بعد المعركة، يذكر خسائر الفرنسيين بأنهم كانوا 80 قتيلاً حيث يقول بما جادت به قريحته:

أقتلنا من العدو ثمانين أخيار... وعسكر وسويرجان شي ما سولنا

وارفد موتاتو فوق ببيان النجار... ودفنهم قبلة عين صالح جبانا

إذا كذبتوا شوفوا ما عملت الأصقار... جعلنا منهم مقبرة في وسط نخيلنا

هذه العملة راها شاعت في الأبرار... وراهم ضربوا بها المثل نوبة مزغنا³*

ولم تسلم إينغر من بشاعة الغزو الفرنسي الذي كان معروفاً بممارساته الوحشية، حتى أن أحد جنود المدفعية الفرنسيين أدلى بشهادة نشرتها مجلة (نشرة لجنة إفريقيا الفرنسية) عبر رسالة بتاريخ 23 مارس 1900 جاء فيها: "وبعد أن تم تطهير الثغرات وتدمير القسبة تحت نيراننا، عندها تمكنا من إدراك قوة الدمار التي تسببت فيه مدافعنا، لقد كان كل شيء مجرد جثث، أناساً بدون رؤوس، وبدون أنزع، وبلا أرجل، وفيهم من كانت بطونهم مبقورة؛ لقد كان الرجال والنساء والأطفال والخيول والجِمال

¹ . Colonel D'eu, **In-Salah et Le Tidikelt**, Op.Cit, pp.75,76

² . Voinot Louis, **Le Tidikelt...**, Op.Cit, p.95

³ . عبد القادر بويه، صفحات من تاريخ الصحراء...، المرجع السابق، ص 83
*. وفي نفس السياق يذكر الشاعر حمزة بن الحاج أحمد القبلاوي عددهم بـ 56 قتيلاً، ينظر للآبيات الشعرية ص 371

مختلطين على بعضهم البعض، ومن بين ألف ومائتي ساكن لم يوجد إلا مائة وإثنين وستين سجيناً، أما الباقون فقد قُتلوا جميعاً وطُمرُوا في الخنادق...¹.

كما تجدر الإشارة إلى أنه بعد سقوط إينغر وزحف الفرنسيين على باقي قصور تيديكلت، فإنه ما بين 21 و 31 مارس 1900 تحرك قائد بودة محمد عبد القادر بن الحاج بلقاسم ومعه محمد العربي من بودة، والحاج عبد الرحمن بن عبد العزيز عن جماعة تيميمون وآخرون، وقادوا وفداً جديداً عن أهل توات إلى السلطان المغربي، كمحاولة جديدة طلباً للتدخل والمساعدة بالدعم والسلاح، وأخذوا معهم هدايا قيمة جمعوها واقتترضوها بلغت 1400 مثقال أي: 3500 فرنك². هذه المحاولة سنرى في مبحثنا الموالي أنها ستفشل، لكن قائد بودة سيحولها إلى فكرة للمقاومة من نوع آخر.

المبحث الثاني: معارك المقاومة في جهة قورارة

بمجرد وصول جحافل القوات الفرنسية الغازية إلى منطقة توات من جهة تيديكلت كما أشرنا، حتى جوبهت بمقاومة عنيفة رغم عدم تكافؤ القوى بينهما، ونفس الشيء حينما استدارت فرنسا في وجهة غزوها نحو جهة قورارة منتصف سنة 1900، عرفت قصور قورارة مسرحاً لأحداث مقاومة عظيمة، صنع فيها السكان المحليين ملاحماً ووقائعاً صدمت الفرنسيين وأرهقتهم، بل ورغم سقوط بعض القصور بعد ذلك كأحجار الدومينو تبعاً، إلا أن شعلة النضال لم تنطفئ فيها من قصرٍ لآخر، ولئن تداعت قصور وقبائل توات لدعم إخوانهم في جهة تيديكلت، فإن الأمر نفسه تكرر في قورارة بل وحتى إخوانهم من جهة الساورة ووادي قير كانوا في الموعد حاضرين، وهذا ما سنتعرف عليه في أحداث ومعارك هذه المنطقة.

1- معركة فاتيس وبداية غزو قورارة:

قصر فاتيس أحد القصور الجنوبية لبلدية تينركوك، يبعد عن مقر البلدية زاوية الدباغ بنحو 12

¹ . Alis Harry et Terrier..., **Bulletin du Comité de l'Afrique Française**, Op.Cit, p.178

² . A.G.P Martin, **Quatres Siècles...**, Op.Cit, p.347

كلم، وهذا الاسم البربري مشتق من "الفايجة" وهي ممر ما بين الكثبان الرملية، ويُعرف هذا القصر محلياً ووطنياً بـزيرية فانتيس وهي من أجود وأجمل الزرابي ولها زخرفة خاصة وفريدة من نوعها، حتى أن المنطقة تُقيم لها عيداً كل عام. كان هذا القصر في مقدمة القصور المقاومة للاحتلال الفرنسي، حيث ونظراً لموقعه على طريق القوافل الصحراوية من المنيعية إلى قورارة، وبعد سقوط قصور عين صالح وأولف في جهة تيديكلت، توجهت أنظار الجيش الفرنسي نحو قورارة انطلاقاً من مراكزها العسكرية في المنيعية والبيض جيريغيل¹.

وبالفعل ففي 27 أبريل 1900 غادر طابور فرنسي المنيعية وقوامه 800 رجل ومدفعين بقيادة العقيد (مينيستريل)، وتقدم في 11 ماي 1900 نحو تعنطاس شمال تينركوك، ثم تدعم الطابور بفرقة عسكرية إضافية تعدادها 400 رجل قادمة من البيض جيريغيل عبر العرق الغربي الكبير، وبعد سقوط تعنطاس أرسل الفرنسيون إلى القصور المجاورة يطالبونهم بالاستسلام، وتم إنذار الواحات والناس مرتين على التوالي، ليجتمع الأعيان في قصر فانتيس للتشاور فيما بينهم حول الرد على الطابور الفرنسي، وقرروا عدم الخضوع².

ورغم أن القصر صغيراً حجماً وسكاناً إلا أن السكان المحليين واجهوا فيه الفرنسيين في معركة قادها القائد عبد الكريم، ولأن الطابور الفرنسي كان منتشياً من سقوط تيديكلت، وكان هذه المرة مجهزاً منذ البداية بسلاح المدفعية، فقد استهدف القصر بقصف مدفعي كثيف، رد عليه رجال المقاومة بطلقات نار من حينٍ لآخر، وواصلوا دفاعهم بنقل المعركة إلى البساتين التي تسربت إليها فرقة المشاة الفرنسية مستغلةً تغطية المدفعية التي دكت القصر بـ 21 طلقة إلى أن سقط، وتم أسر قائد المحارزة

¹ . عبد الكريم طهيري، أعلام وقصور قورارة السبابة في مقاومة الاحتلال الفرنسي، مداخل في الملتقى الوطني الأول حول تاريخ وتراث منطقة قورارة الموسوم (منطقة قورارة ودورها في مقاومة الاحتلال الفرنسي بالجزائر، من لجوء الشيخ بوعمامة إلى معارك العرق الغربي الكبير)، جامعة أحمد درايعية بأدرار وبلدية لدول بتيميمون، يومي 19 و20 مارس 2023.

² . A.G.P Martin, Les Oasis Sahariennes..., Op.Cit, p.164

الذي كان يتزعم المقاومة ومعه 15 فرداً، وفي القصر عثر الفرنسيين على كمية معتبرة من الأسلحة والبارود والملح الصخري والفحم، مما يدل على أن نوايا السكان كانت واضحة في المقاومة¹.

ولم يتوقف الأمر إلا بزحف سريع للطابور الفرنسي على القصور الموالية مروراً على خنافسة قورارة وأولاد سعيد وحتى إلى تيميمون التي سقطت في 22 ماي 1900، واختفى حينها قائد تيميمون والباشا محمد بن عمر المراكشي الذي كان يمثل المخزن، وُرفِع العلم الفرنسي على قصبة تيميمون تحت طلقات البارود والمدافع². هذا السقوط المفاجئ والسريع الذي فضح جبن العامل المغربي من خلال هروبه، فسره (مارتن أ.ج.ب) على أنه أخذ انطباعاً عن مصيره المحتمل على منوال ما حدث لباشا تيمي إدريس الشراذي، ويضيف أن تلك العملية السلسة والسهلة كانت نظير الخدمات الجليّة للأتباع المحليين لمرابطي أولاد سيدي الشيخ، بحيث ساهموا في شل المقاومة والدعاية المغرضة لصالح الفرنسيين، وضرب مثلاً برسالة الباشا آغا سي الدين بن حمزة إلى الخنافسة بتاريخ 23 أبريل 1900، والتي طالب فيها صاحبها باسم الدم وأبناء العمومة بالدخول تحت حماية فرنسا حقناً للدماء³.

في حين يذكر (تيليون Tillion) وهو قائد فرقة التتين ضمن ذلك الطابور، بأنهم أثناء عملية الغزو تمكنوا من الحصول على معلومات عن نوايا أهل تيميمون، وأن عددهم ما بين 1500 و 2000 شخص كانوا يخططون للتحصن في قصورهم والمقاومة، وأكد في سياق معلوماته أن القوراريين كانوا مصممين على الدفاع عن بلادهم ضد أي غزو فرنسي، وكذلك سكان القصور المجاورة لهم أوقروت وتينركوك، لكن الفرنسيين استنتجوا أن نقطة ضعفهم هي مصالحهم التجارية، والتي قد يتفاوضوا من أجلها في حالة ما رأوا أن علاقاتهم وتجارتهم قد تتدثر، وعلى هذا الأساس تم تهديدهم بقطع نخيلهم وتخريب بساتينهم وقنوات مياههم (الفقارات)، وبدأ تجسيد تلك الخطة منذ سقوط تيلكوزة في 15 ماي

¹ . Tillion André, *La Conquête des Oasis Sahariennes...*, Op.Cit, pp.48,49

² . A.G.P Martin, *Les Oasis Sahariennes...*, Op.Cit, p.164

³ . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, p.350

1900، من خلال توجيه عمليات استطلاع وتجنب الهجمات المبكرة واحتلال القصور غير المحمية والأراضي التي ليس لها مَلاك¹.

ويضيف (تيليون Tillion) بأن الأوامر كانت تدعوهم لاحتلال قورارة بالشكل السلمي، وعلى ذلك الأساس حاولوا جس نبض السكان من قِبَل ضباط مختصين (ولعل ذلك ما يفسر توظيفهم لبعض المحسوبين على أولاد سيدي الشيخ بحكم علاقاتهم وتأثيرهم في المنطقة)، ويضيف أن أهل تيميمون وبمساعدة من جهة أولاد سعيد صمموا على المقاومة، إلا أن الظروف لم تكن في صالحهم حيث كانوا يفتقرون لوجود الأسلحة حيث لم يكونوا يملكون سوى 07 أسلحة سريعة النيران نوع (Fusil 74,86 et Winchester)، وأن مقاومتهم توقفت بمجرد وصول سلاح المدفعية الفرنسي عند خط المواجهة². ورغم ذلك فقد قُتل للفرنسيين ثلاثة من القومية أرسلوهم كمحاولة للاستطلاع وتحسيس السكان بالاستسلام في ظلمين شهر جوان 1900³.

ومعركة فاتيس تزعمها القائد عبد الكريم بن الحاج قدور الذي كان رجلاً نبيلاً في الأربعين من عمره (حسب سنة 1897)، وهو من قبيلة أولاد عياش المتنفذة في المنطقة، وكان من خلالها يتمتع بنفوذ كبير، حيث تولى منصب القائد على قصور تينزكوك قبل الغزو الفرنسي⁴. في حين يذكره (مارتن أ.ج.ب) باسم القايد عبد الكريم بن محمد ويقول أنه كان منذ سنة 1892 قائداً على قصور فاتيس وزاوية الدباغ وأودغاغ وأولاد عياش⁵، وخلال معركة فاتيس 1900م تم أسره مع 15 شخصاً من المقاومة؛ وعقاباً له يقال أن الفرنسيين ربطوه في بغير وجروه من فاتيس إلى قصر قدور بأولاد عياش، وحسب تحرياتنا فقد ذكر لنا أن العائلة التي لها علاقة به تتسمى في لقبها حالياً (كريمي)

¹ . Tillion André, *La Conquête des Oasis Sahariennes...*, Op.Cit, pp.44,45

² . Ibid, pp.47,48

³ . Ibidem, p.55

⁴ . La Croix et de La Martinière, *"Documents Pour Servir a l'étude du Nord Ouest African"*, T.4, Op.Cit, p.316

⁵ . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, p.362

ويسكنون في مدينة تيميمون¹.

2- معركة المطارفة:

المطارفة وهي قصر تتسمى به بلدية كاملة تنتمي إليها ست قصور أخرى وهي (المطارفة، ساهلة الدغامشة، أولاد راشد، أولاد علي، أولاد محمود، أوفران)، وهي حالياً بلدة فاصلة بين آخر قصور توات الوسطى شمالاً وبداية قورارة جنوباً، تبعد عن تيميمون نحو 90 كلم جنوباً وعن أدرار حوالي 80 كلم شمالاً، ورغم أننا لم نعثر على أصل التسمية محلياً، إلا أن هناك بلدات أخرى بنفس اللفظة في ولاية المسيلة وبمنطقة الحجاز، يرى البعض أن أصل التسمية قبيلة من بني هلال العربية. وتُعرف المطارفة بخزانة مخطوطاتها الكبيرة، ومعركة المقاومة الشهيرة التي تداخلت أحداثها بين قصور دلدول والمطارفة في آن واحد، بحكم أنهم قصوراً متجاورة وبينهم علاقات مصاهرة وتحالف وتعاون، ونظراً لأنهم يقعون على تماس الطريق الصحراوي الرابط بين توات وقورارة من جهة، وبين مداخل قورارة وتوات والحدود مع منطقة الغنانمة ووادي الساور من جهة أخرى، حيث كان لابد لطواير الاحتلال الفرنسي أن تمر بمحاذاتها، ولعل هذا ما جعل الأطماع الفرنسية تستهدف المنطقة بقصورها وقلاعها، فكانت المعركة على ثلاث مواجهات متقطعة:

2-1- المعركة الأولى:

حيث وفي إطار المساعي الفرنسية للسيطرة على قصور قورارة واصل العقيد (مينيستال) مسيره فوصل إلى قصور الزوى ودلدول في 31 ماي 1900، ومع تولي النقيب (فالكونتي) مهامه بتيميمون أرسل كتاباً إلى كبير قصر المطارفة عبد العزيز بن الحاج أحمد يدعوه فيها لقبول العمل مع فرنسا والخضوع لها ودفع الضريبة، وتمادى حامل الرسالة علي بن سعيد الذي طلب حق أجرته 20 فرنك، فكان أن رمى كبير القصر عبد العزيز بن الحاج أحمد الرسالة في وجهه قائلاً له: "إذا كان الأمر

¹ . عبد الحميد بولغي، معلومات عن أعلام وأعيان جهة تينزكوك...، المقابلة والشهادة نفسها

هكذا، فإننا لن نخضع"، فعاد المبعوث إلى رئيس الملحقة وأخبره بأن المطارفة ترفض الخضوع، وأنه أهين فيها بشكل مخزٍ، فانطلق طابور فرنسي من تيميمون لإخضاعها¹.

وبمجرد عودة مبعوث الفرنسيين كالمطرود المخذول إلى تيميمون حيث كانت الملحقة العسكرية وقياداتها بانتظار الرد، بدأ أهل المطارفة التحضير للمقاومة فأبرموا اتفاق تحالف مع جماعة تسابيت، ونقضوا كل علاقاتهم مع حلفائهم السابقين في لدول، ورغم ذلك فبعد مرور طابور (سيرفيار) من عين صالح إلى تيميمون عبر توات الوسطى من 24 جوان إلى 07 أوت 1900 بقوة مكونة من 250 بندقية، حاول قائد لدول مع كبير قصر أولاد محمود التوسط بين الفرنسيين وجماعة المطارفة، لكن محاولتهما بائت بالفشل².

وفي 29 أوت 1900 وصل النقيب (بان Pein) بفرقة من القومية إلى قصر المطارفة التي وجدها محمية ومتهيئة للمقاومة، فاستدعى النقيب (جاك) قائد الفرقة الثانية للقناصة الصحراوية، وحاولوا التفاوض مع أهل وأعيان القصر فكان جوابهم "الكلمة للبارود"، ولما تحرك (بان) جنوب المطارفة و(جاك) شرقاً، كان رد المقاومة إطلاق النار والتراجع نحو القصر، ونظراً لاشتداد المقاومة اضطر القبطان (بان) للانسحاب؛ ثم وصلت قوات القناصة الصحراوية يقودها النقيب (جاك)، وحينها أمر القائد (فالكونتي) باحتلال الكتبان الرملية المقابلة للقصر، فتجدد تبادل إطلاق النار بين الطرفين طوال ساعة ونصف دون نتيجة، لينسحب الفرنسيين مجدداً ويأمر قائد الملحقة بطلب المدد من تيميمون قوامه 50 رجلاً ومدفعاً³.

في تلك المعركة الأولى حاول الفرنسيون دخول قصر المطارفة من الناحية الشرقية للقصبية بمحاذاة المقبرة، فتصدى لهم الناس وعلى رأسهم الشيخ عبد الكبير بن سيدي محمد، واندلعت المعركة

¹ . A.G.P Martin, **Les Oasis Sahariennes...**, Op.Cit, p.166

² . Ibid, pp.167,168

³ . A.G.P Martin, **Quatres Siècles...**, Op.Cit, p.352

في البطحاء المقابلة للقصر والعرق، وأوشكت القوات الفرنسية على دخول القصبة لولا استماتة قناصة المقاومة المتمركزين في أبراج قصبة "المعتوقية"، مما أدى إلى تفهقر الفرنسيين إلى جبل أولاد يحيى شرق القصر، وبعثوا بثلاث رسل يطلبون المدد من تيميمون¹. ولما طلب النقيب (فالكونتي Valconatti) النجدة من تيميمون بإرسال تلك البعثة المستعجلة، اعترضهم رجال خرجوا من قصر بلغازي في كمين عند آبار السقي بدلول، علموا منهم مجرى الأحداث ثم قتلوه وغنموا قافلتهم².

حيث في الطريق إلى تيميمون يوم 30 أوت 1900، تعرضت تلك البعثة إلى هجوم مفاجئ من 70 رجلاً من البرابر في جهة بلغازي شمال لدول، فقتلوا أحد القومية وجرحوا قائد البعثة الذي جر نفسه وبالكاد وصل إلى تيميمون وسلم رسالة النقيب (فالكونتي)، وعلى الفور غادر قائد سلاح تيميمون مع نصف سرية من الرماة إلى مكان الهجوم، لكنه لم يجد شيئاً فعاد أدراجه إلى تيميمون، وبالتزامن مع هذه الحادثة في يوم 30 أوت أمر (فالكونتي) بفرقة استطلاع على طريق برينكان ومحيط الواحة في المطارفة، فاكشف آثار عديدة وحركة غير عادية بين القصرين³. ومن الجهة الأخرى كان البرابر القادمون من بلغازي يقتفون أثر حملة البريد السابقة، فمروا على لدول ثم قصر أولاد راشد حرّضوا حينها الناس ضد الفرنسيين وتزودوا فيها بالموئونة والمعلومات، وواصلوا مسيرهم حتى فاجأوا الفرنسيين الذين ظنوا أنهم طلائع الدعم التي كانوا ينتظرونها⁴.

2-2- المعركة الثانية:

في 31 أوت 1900 ظهرت تلك المجموعة من المشاة والخيالة وراكبي الجمال في طريقهم إلى المطارفة، فلما حاولت فرقة القومية بقيادة (بان) التعرف عليهم تم استقبالها بإطلاق النار، وتم اكتشاف

¹ . الحاج الطيب بن عبد الكبير، الأضواء الساطعة على تاريخ معارك المطارفة، تقييد عند الدكتور بن عبد الكبير محمد السالم، خزانة أولاد بن عبد الكبير بقصر المطارفة، ولاية تيميمون، (مقابلة شخصية يوم: 2024/08/29)، ص 112

² . بلعالم محمد باي، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج2، المرجع السابق، ص ص 18-20

³ . Tillion André, La Conquête des Oasis Sahariennes..., Op.Cit, pp.107,108

⁴ . بلعالم محمد باي، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج2، المرجع السابق، ص 21

أنهم فرقة البربر القادمة من بلغازي، فكان أن اندلعت المواجهة بينهما مما دفع (فالكونتي) بطلب إغاثة بفصيلتين من القومية قوامها 60 رجلاً، وحاول احتلال الكثبان الرملية شمال الساهلة لمنع البرابر من دخول المنطقة؛ ولما وصلت فصيلة (دي بارديو Depardieu) إلى أعلى الكثبان الرملية وجدت نفسها وجهاً لوجه مع مجموعة البرابر، فتعرضوا لوابل كثيف من النيران أدى إلى مقتل الضابط الفرنسي ورقيبين و02 من القناصة الصحراويين، فاستسلمت الفصيلة وتراجعت بمن نجا¹.

وحاول النقيب (جاك Jacques) بالفصيلة الثانية الالتفاف حول رجال المقاومة من البرابر لكنه فشل؛ ليظهر عدد كبير من سكان قصر الساهلة يخرجون ويستقبلون المجموعة البرابرية، ثم هاجموا معسكر الفرنسيين مجدداً، مما دفع بالقائدين (فالكونتي وجاك) بالانسحاب إلى لدلول في انتظار الدعم من تيميمون، وبقيت الفرقة العسكرية الفرنسية في لدلول من 01 إلى 04 سبتمبر 1900². وأمام صدمة الهزيمة وتفاجؤ الفرنسيين بالمجموعة البرابرية التي انضمت لأهل الساهلة والمطارفة، يقول (تيليون Tillion) أنهم لم يكتشفوا حقيقة العدو الذي قاتلهم في تلك الغزوة إلا بعد انسحابهم إلى لدلول، حيث عرفوا أن تلك المجموعة كانت مكونة من 180 رجلاً من البرابر³ والشعانية والغنانمة والقصوريين من ظلمين وشرويين ومن انضم إليهم حتى إلى مجيئهم ووصولهم⁴.

ودامت المواجهة الثانية يومين متتاليين، استطاع من خلالها أهل المطارفة دعم مجموعة بلغازي وفك الحصار عنهم، بعدما وصلهم الخبر من أحد رجال أولاد راشد يسمى "عفا"، وشاركت فيها حتى نساء المطارفة بتقديم المؤونة من جهة قصر أولاد راشد غرباً، نذكر منهن خيرة قلبي بنت بن سعيد

¹ . Tillion André, **La Conquête des Oasis Sahariennes...**, Op.Cit, p.109

² . A.G.P Martin, **Quatres Siècles...**, Op.Cit, p.352

³ . يقول (جيلوم دو شامبو) أن هؤلاء البرابر تم استقدامهم من جنوب تافيلالت من طرف جماعة حلف سفيان الممتدة من زاوية كنتة إلى بودة. ينظر: Guillaume de Champeaux, **a Travers Les Oasis Sahariennes**, Op.Cit, p.62، في حين يذكر الحاج الطيب بن عبد الكبير أن هؤلاء البرابر وعددهم 40 كانوا قاصدين تيميمون، ولما سمعوا بخبر الفرنسيين في المطارفة من خلال ناس شرويين، انعطفوا عبر قصر بلغازي وشاركوا في المعركة. ينظر: الطيب بن عبد الكبير، **الأضواء الساطعة...**، المصدر السابق، ص ص 112، 117

⁴ . Tillion André, **La Conquête des Oasis Sahariennes...**, Op.Cit, p.110

وأختها الزهرة ومباركة بنت سالم الكبير وفاطمة بنت صالح فراجي¹؛ وأما القيادة فكانت على يد عبد العزيز بن الحاج أحمد الذي طلب فيها بالدعم من سكان قصور تسابيت، وقد تحصن المجاهدون في هذه المعركة بعرق قصر المطارفة، واستفادوا من أحداث معركة إينغر، فقاموا بإخلاء سكان القصر إلى البساتين غرباً، وذلك لتعطيل المدفعية من جهة، ولتقليل الخسائر البشرية التي غالباً ما كانت تؤثر على صمود المقاومة من جهة أخرى².*

2-3 - المعركة الثالثة:

بعد وصول الدعم من تيميمون نزل الطابور الفرنسي هذه المرة من جهة "تخيلات الداقمة" قرب قصر الساهلة، ثم مروراً على قصر أولاد زرقان المهجور إلى محاذاة جبل أولاد يحي³، ومنه اتجهت فرقة (فالكونتي) في 04 سبتمبر 1900 مصحوبة بضباط المدفعية إلى المطارفة، وفي نفس الوقت اتجه كل من (جاك وبان) إلى الربوات على طريق برينكان؛ فكان الهجوم مزدوجاً من المدفعية التي بدأت قصفها على القصر من جهة، ومن فرق (جاك وبان) من اليسار من جهة أخرى، ثم تدعم الهجوم الفرنسي بفرقة من الصبايحية من الأمام، وكان القتال عنيفاً والمقاومة شرسة إلى درجة أن قُتل للفرنسيين القائد (جاك) وجرح ملازمين ومقتل عدة قناصة صحراويين، مما جعل (فالكونتي) يقرر إيقاف المعركة نهائياً نظراً للوضع الخطير والانسحاب إلى دلدول وتيميمون يوم 06 سبتمبر 1900⁴. وحول نتائج هذه المعركة يقول (تيلليون Tillion) أنه ولما أصبح الوضع حرجاً، قرر (فالكونتي) إنهاء القتال والتراجع ببطء تحت حماية قسمين من الرماة، وأنهم عجزوا عن إجلاء القتلى وتركوهم

1. الحاج الطيب بن عبد الكبير، الأضواء الساطعة...، المصدر السابق، ص 114

2. عبد الكريم طهيري، أعلام وقصور قورارة...، المرجع السابق

*. كما استفادت المقاومة من رجل كان يتظاهر بالجنون والروشة، وفي غفلة من الفرنسيين كان يتسلق نخلة "أحرطان" طويلة بمحاذاة مكانهم، ثم يتسلل إلى القصر ويخبر رجال المقاومة بكل شاردة وواردة، مما جعل المقاومة تستفيد منه وتحتاط لتحركات الفرنسيين، ولما اكتشف الفرنسيين أمره بعد مدة تم قصصه من فوق تلك النخلة. عن بربوشي الحاج أحمد الرقاد (من مواليد سنة 1928)، الشهادة نفسها؛ وقد سمعتُ من بعض الناس في قصر المطارفة أنه نظراً لبطولة هذا الرجل سُمي بـ "الذكر"، ولعله هو الشهيد عبد الرحمن الذكر في الملحق رقم 36 ص 426.

3. الحاج الطيب بن عبد الكبير، الأضواء الساطعة...، المصدر السابق، ص 117

4. A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, p.352

على الأرض، وأنهم وصلوا إلى تيميمون في 08 سبتمبر 1900، وكانت ضحايا هذه المعركة لوحدها: 13 قتيل و 36 جريح وواحداً مفقوداً¹. وهذا دليل على الهزيمة النكراء التي تعرض لها الطابور الفرنسي في المطارفة، ولعلها أكبر هزيمة وعقبة عجز فيها الفرنسيون على إخضاع قصراً من المنطقة، مما اضطرهم للانسحاب وانتظار الأوامر الفوقية التي ستعيد تنظيم وتصحيح أوضاع الغزو الفرنسي.

2-4- النتائج النهائية لمعارك المطارفة:

لقد كانت معارك المطارفة الثلاثة ملحمة بطولية بمعنى الكلمة، ولعل نتائجها هي من تؤرخ لها أكثر، فقد وجدنا من خلال بحثنا أن الفرنسيين لأول مرة لم يستطيعوا ذكر قتلى المقاومة والسكان المحليين، بل قدموا أعداد ضحاياهم وفشلوا في الحصول على معلومات المقاومة، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على فشل سقوط المطارفة، وبغض النظر عن الضحايا فإن الفرنسيين اضطروا للانسحاب واللجوء للتفاوض مع سكان المنطقة حسب شروطهم، وعلى العموم يمكن حصر النتائج كالتالي:

- من الجانب المحلي 12 شهيد و 6 جرحى و 4 أسرى من أهل المنطقة، و 6 شهداء من المجموعة البرابرية².

- ومن الجانب الفرنسي: 19 قتيل و 37 جريح و 1 مفقود، ومعاودة صداقة وتسوية³؛ ومن قوة هذه المعارك أن سقط للفرنسيين قيادات وازنة مثل مقتل القائد (جاك Jacques)، والملازم (ديبارديو Depardieu) وعريفين، وجرح الملازم (دولافاليت De la valette) بجروح خطيرة وبليلة⁴.

¹ . Tillion André, *La Conquête des Oasis Sahariennes...*, Op.Cit, p.111

² . بلعالم محمد باي، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج2، المرجع السابق، ص ص 22-28

³ . المصادر الفرنسية تشير فقط لضحايا المعركة الثالثة، ولهذا قمنا بجمع خسائر الفرنسيين من أول هجوم في 29 أوت إلى 4 سبتمبر 1900.

⁴ . إبراهيم مياشي، الاحتلال الفرنسي للصحراء...، المرجع السابق، ص 492

- كما اتخذ قائد الفيلق 19 بعد هذه الأحداث الجسيمة إجراءات هامة في 12 سبتمبر 1900

منها: تعيين العقيد (كوشماز Cauchemez) قائد عسكري جديد للوحدات، وتوجيه سرية

من أفضل الرماة في المنية نحو تيميمون، واستدعاء القائد (كويكاندون Quiquandon)

من إجازته وتعيينه كقائد جديد للسلاح بتيميمون¹؛ وبعد ذلك تشير الأوساط العسكرية إلى

أن طابورين رُصد تحركهما نحو المنطقة، طابور العقيد (كوشماز) الذي غادر الأغواط نحو

تيميمون خلال شهر نوفمبر، وطابور ثاني نحو "زوزفانة" عند مناطق قبائل دوي منيع

لمراقبة تحركاتهم وقطع الصلة بينهم وبين قصور قورارة².

وحول المعاهدة التي تمت بين رجال المقاومة والفرنسيين، فقد أشار (تيليون Tillion) أن

الفرنسيين لكي يدفعوا بالتسوية والصلح بينهما أشاعوا بين الناس أن ثلاث طوابير فرنسية في طريقها

لتدمير القصة والبساتين، وأن فرنسا تسعى للسلام والجلوس إلى طاولة المفاوضات وتوقيع معاهدة

صلح حقناً للدماء³. وبالفعل فقد تمت التسوية في قصر أولاد راشد يوم 03 فيفري 1901، بين مبعوثي

الجنرال (سيرفيار) وكبار قصر المطارفة⁴، الذين كان على رأسهم الشيخ الفقيه عبد الكبير بن سيدي

محمد بن أحمد، والسيد محمد السالم بن عبد القادر المزوري، وشيخ زاوية المطارفة سيدي حنيني بن

الحاج عبد الرحمن، واتفقوا على معاهدة متضمنة عدة شروط وهي: عدم المساس بالدين الإسلامي،

وأن لا يدفع ناس القصر الضرائب، وعدم التعامل مع الفرنسيين بالسُخرة أو بأية خدمة مجاناً⁵.

وحول قيادات هذه المعارك لم نجد من المعلومات ما يشفع للتعريف بشخصية عبد العزيز بن

الحاج أحمد، ومع ذلك فالفرنسيين أنفسهم يشهدون أنه تحداهم من البداية رافضاً عرضهم الذي فيه

¹ . Tillion André, *La Conquête des Oasis Sahariennes...*, Op.Cit, pp.111,112

² . إبراهيم مياشي، الاحتلال الفرنسي للصحراء...، المرجع السابق، ص 493

³ . Tillion André, *La Conquête des Oasis Sahariennes...*, Op.Cit, p.114

⁴ . Guillaume de Champeaux, *a Travers les Oasis Sahariennes...*, Op.Cit, p.62

⁵ . الحاج الطيب بن عبد الكبير، *الأضواء الساطعة...*، المصدر السابق، ص 119

دعوة للخضوع ودفع الضريبة، فرمى رسالتهم في وجه حاملها قائلاً له: "إذا كان الأمر هكذا، فإننا لن نخضع"، ولما عاد المبعوث إلى رئيس الملحقة أخبره بأن المطارفة ترفض الخضوع، وأنه أهين فيها بشكل مخزٍ، فانطلق طابور فرنسي من تيميمون لإخضاعها؛ وفشل في ذلك ثلاث مرات متتالية. وقد ذكر (مارتن أ.ج.ب) أن عبد العزيز بن الحاج أحمد كان لا يزال حياً وفي منصبه ككبير لقصر المطارفة إلى غاية سنة 1907¹، وحسب تحرياتنا فإنه من المحتمل أن تكون عائلته حالياً تتسمى بلقب "حريز".

3- هجومات تيميمون:

تيميمون عاصمة قورارة وأكبر تجمعاتها السكانية، وهي ذات أصل زناتي بربري يقال أنها مكونة من شقين "تين" وتعني ملك، و"ميمون" رجل صالح يقال أنه سكن المنطقة وحكمها، وبمرور الزمن اندمجت الكلمة إلى ما هي عليه الآن²؛ ويضيف البعض على أن لها علاقة بأخوين من "لحمر" نواحي بشار نزلا بالمنطقة، كان أحدهما يُدعى ميمون حط بمكان يُدعى "قوبا" فأقاموا له أهل قورارة "أهلليل"، وأن سيدي موسى بن مسعود هو من أسس حصونها وسوقها وأطلق التسمية على سيدي ميمون³. وتيميمون هي عاصمة جهة قورارة تاريخياً، وهي حالياً عاصمة ولاية تيميمون منذ التقسيم الإداري لسنة 2021.

وبخصوص المقاومة في تيميمون فإنه وبعد معركة المطارفة ببضعة أشهر، جهّزت فرنسا من جديد طابورين كبيرين لإعادة احتلال توات وقورارة، أحدهما تحت قيادة (سيرفيار) يتشكل من 800 جندي و4 مدافع تم دمجهم مع مجموعة من 300 جندي انطلقت من تيديكلت، ليلتقي مع طابور تيميمون الذي انطلق يوم 30 يناير 1901، ووصل الطابورين إلى مدينة أدرار يوم 10 فيفري 1901،

¹ . A.G.P Martin, *Les Oasis Sahariennes...*, Op.Cit, p.166

² . توفيق بوزناشة وآخرون، دليل الجمهورية، المرجع السابق، ص 70

³ . حاج أحمد الصديق، التاريخ الثقافي لإقليم توات...، المرجع السابق، ص 80

ورغم أن السكان في تيمي حاولوا المقاومة مجدداً وحتى الاستتجاد بالسلطان المغربي مرة أخرى، لكن بدون جدوى¹؛ خاصة أن الساعين في طلب المساعدة تأخروا في العودة.

ومع ذلك فالمقاومة لم تنته ولم تخبو في مكانٍ إلا واشتعلت في مكانٍ آخر، حيث كان لها ظهوراً في عاصمة قورارة هذه المرة، وبالضبط يوم 18 فيفري 1901 حيث تعرضت الحامية الفرنسية في عاصمة قورارة لهجمات عنيفة، شنتها عدة قبائل دفعةً واحدة وبمساعدة كبيرة من أهل شروين وطملين وبالتواطؤ مع سكان تيميمون، استهدفوا فيها المركز العسكري الفرنسي بتيميمون بشكل مفاجئ، حيث كان الهجوم على البرج على الساعة الرابعة صباحاً، وتحت طلقات النيران تمكن حوالي 30 شخصاً من المقاومة الدخول بينما كانت البقية تحاول تسلق الجدران، وقد ردت الحامية الفرنسية بقيادة (رايبل Reibell) بهجوم مضاد أدى لتراجع المقاومة².

والفضل بعد الله في ذلك، أن قائد بودة محمد عبد القادر بن بلقاسم الذي كان قد عاد بخفي حنين من فاس ولم يتلقى من سلطانها أية مساعدة، تمكن بمساعدة قاضي أولاد سعيد والحاج أحمد³ مرابط تاسفاوت بقورارة، من جمع قوة قوامها 400 رجل بما فيهم جماعة كبيرة من برابر بني امحمد⁴ الذين اكتراهم بحكم خبرتهم الحربية وقدراتهم القتالية، وكان يخطط لإحضارهم إلى بودة التي سقطت في غيابه تحت تهديد المدافع يوم 12 فيفري 1901، ومن ثمة كان سيسعى للزحف على تيديكلت وقورارة لطرد الفرنسيين⁵. هذه الخطة التي فشلت بسبب استباق الفرنسيين قبله لاحتلال بودة وتيمي وانتشار قواتهم الضخمة في تلك القصور، وتسرب أخبار جيشه إلى الفرنسيين الذين كانوا مستعدين

¹ . إبراهيم مياشي، الاحتلال الفرنسي للصحراء...، المرجع السابق، ص 494

² . Tillion André, *La Conquête des Oasis Sahariennes...*, Op.Cit, pp.126,127

³ . قاضي أولاد سعيد هو: محمد عبد الكريم بن محمد عبد الله الجوزي، ومرباط تاسفاوت هو: الحاج أحمد بن الحاج موسى.

⁴ . هذه القبيلة التي يكثر وجودها في تافيلالت، كانت لها علاقات كبيرة مع أهل توات، حتى أنهم تاريخياً كانوا متواجدين في منطقة لدول أوقروت وكانوا ممن ثاروا ضد سلطة المخزن سنة 1711 وارثكت في حقهم مجزرة وحصار وتجويع، كما كانت جماعات منهم تسكن في توات خلال القرن 19م كتجار. ينظر: A.G.P Martin, *Quatres*

Siècles..., Op.Cit, p.331

⁵ . A.G.P Martin, *Les Oasis Sahariennes...*, Op.Cit, pp.174,175

لقدومه.

حيث وعندما اقترب هذا الجيش من بودة عَلم بكشافيه أن طابوراً فرنسياً كبيراً موجوداً في تيمي، وأن الفرنسيين وصلوا إلى قصر بن دراغو في بودة يوم 17 فيفري 1901، فقرروا تعديل الخطة والتوجه نحو تيميمون حيث مروا على تاسفاوت ثم دخلوا ليلاً عبر زاوية سيدي الحاج بلقاسم، وتحت أسوار تيميمون انقسمت الحملة: جزءاً منها تسلل عبر زقاقٍ يؤدي إلى القصر، وجزءاً آخرًا تجاوز القسبة من الشمال، ونجحت بذلك المقاومة في اقتحام مقر الملحقة العسكرية ودخول حوالي 300 مقاوم إلى حظيرة المركز، ومع أول وميض للفجر اكتشفت الحامية الفرنسية المفاجئة متأخرةً فبدأت بالإنذار وإطلاق النار، واستغرق الأمر ساعتين لاستعادة المركز الذي احتلته المقاومة، وبعد سقوط خسائر كبيرة من الجانبين تراجع المهاجمون بين البساتين وتمكنوا من الانسحاب بهدوء ودون أدنى ملاحقة¹.

وفي رواية أخرى يذكرها الشيخ عبد الرحمن الجوزي استناداً على وثائق ورسائل في خزانة آل الجوزي*، أن قاضي أولاد سعيد محمد عبد الكريم بن محمد عبد الله الجوزي كان وراء استقدام البرابر إلى قورارة للمشاركة مع إخوانهم المجاهدين بقيادة "الداوالحاج" الذي كان مكلفاً بمهمة إحضارهم من جهة تافيلالت وغيرها من البلدان المجاورة لها، فنزلوا بدايةً في زاوية سيدي الحاج بلقاسم عند المجاهد "سيدي الحاج محمد عبد الكريم بن الصافي" الذي كان بمثابة الذراع الأيمن للقاضي، وهناك بالزاوية المذكورة اجتمع القاضي بالبرابر وقادة المنطقة وسائر المقاومين المحليين؛ وتدارسوا الخطة التي يتم بها الهجوم على مقر الثكنة العسكرية الفرنسية بتيميمون، وبالزاوية المذكورة أيضاً وصل إليهم قائد بودة سي محمد عبد القادر بن الحاج بلقاسم مع جملة من المقاتلين من توات الوسطى وتيديكلت، وقد مروا

¹ . A.G.P Martin, **Les Oasis Sahariennes...**, Op.Cit, pp.175-177

*. ينظر مثلاً للملحق رقم 48 ص 434.

أيضاً بزاوية تاسفاوت قصد المضي مع المقدم سيدي الحاج أحمد التاسفاوتي لحضور الاجتماع¹. وكان هذا الهجوم قد خلف هلعاً كبيراً ومفاجئة مدوية بين الفرنسيين، وأسفر عن سقوط 11 قتيلاً و37 جريحاً من الجانب الفرنسي، اعتبرت خسارة كبيرة في نظرهم²؛ وكانت تلك الهجمات أشبه بعملية استشهادية تجاوزت ساعتين من القتال، قُتل على إثرها الضابط الإداري (يونكر) والنقيب (كويزارد)، وأصيب النقيب (أوجاري) والملازم (بوسار دين)، كما وُجدت 100 جثة أخرى في الميدان³ نُسبت إلى المقاومة حسب بعض المصادر الفرنسية؛ في حين أن مفاجئة الهجوم في جنح الظلام أثارت في المركز العسكري فوضى كبيرة، حتى أنه لم يكن بالإمكان التمييز بين الأصدقاء والاعداء، فتم ضرب النار من طرف الجميع ضد بعضهم البعض⁴، ولما عَلم (سيرفيار) بأخبار الهجوم وهو في تمنطيط، أرسل على الفور إمدادات عسكرية عاجلة تتمثل في 200 بندقية ومدفعين وإلى أدرار 200 آخرين، ثم خرج على عجل مع بقية قواته نحو جهة شروين التي كان رجال المقاومة قد انسحبوا إليها⁵.

وترددت أصدااء أحداث هجومات تيميمون سنة 1901م والمعارك التي بعدها، محلياً وخارجياً، حتى أن العديد من الناس كانوا يتداولون في المغرب خبر هزيمة الفرنسيين في تيميمون، وتحدث كثير من المُخبرين عن تيميمون أنها من اللحظات الرائعة للمقاومة⁶؛ وبفضلها أيضاً كادت تتدحرج كرة الثلج بين فرنسا والمخزن، حيث أن هذا الأخير خشي من توسع رقعة الهجومات ورد الفعل الفرنسي، فوجه سلطان المغرب آنذاك نداءً لسكان الجنوب المغربي بضواحي تافيلالت، يقضي بمراقبة تحركات الفرنسيين في نواحيهم، وهو ما جعل فرنسا تحرك إحدى بواخرها في المياه المغربية لدعم موقفها

¹ . الجوزي عبد الرحمن، إمام وقائم على خزانة آل الجوزي للمخطوطات، الوثائق الرسمية والأرسام والرسائل والفتاوى والأحكام القضائية في خزانة آل الجوزي العامة، أولاد سعيد في: 2024/06/07، مقابلة شخصية.

² . Lieutenant Baquey, **La Pénétration Saharienne, Résumé Historique 1899-1905**, Henri Charles-la Vauzelle, Éditeur Militaire, Paris 1908, p.27

³ . A.G.P Martin, **Quatres Siècles...**, Op.Cit, pp.358-360

⁴ . Lieutenant Baquey, **La Pénétration Saharienne**, Op.Cit, p.26

⁵ . A.G.P Martin, **Les Oasis Sahariennes...**, Op.Cit, p.177

⁶ . روس إ. دان، المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي المواجهة المغربية للأمبريالية الفرنسية 1881-1912، تر: أحمد بوحسن، منشورات زاوية للفن والثقافة، الرباط 2006، ص 214

وإثبات حقها في إرسال قوات فرنسية في الغرب في حالة أي تدخل مغربي بالجنوب، وكان هذا التحرك الفرنسي قد تم بالفعل لاحقاً¹. وهو ما جعل السلطان المغربي في جوان 1901 يقرأ في مساجد تافيلالت خطبة تمنع الهجوم على الفرنسيين، اللهم إلا إذا أغاروا على التراب المغربي²*. ثم لجأ الطرفان بعد ذلك للتوقيع على اتفاقيات وبروتوكولات تفاهم خلال سنتي 1901 و1902.

وكان من ضمن قيادات هذه الهجومات ومعركة شروين: محمد عبد القادر بن الحاج بلقاسم وهو شخصية معروفة ومشهورة في بودة، كان له تأثير كبير بدوره ووساطاته وحكمته، ورجل مال وأعمال كان يبلغ من العمر 50 عاماً (في سنة 1897)، كما كان قائداً على بودة وتمنيط وحلف سفيان في تلك القصور، وكانت علاقاته تمتد حتى إلى فاس ومع سي قدور بن حمزة من أولاد سيدي الشيخ، كما كان يرتبط بالطريقة الطيبية والكرزازية³؛ ولأنه قاد جيشاً دفع فيه حر ماله في معركتي تيميمون وشروين 1901، وأراد تكرار العمل مرة أخرى لولا أن بعض الأعيان والمرابطين ردوه، وخاصة أن الفرنسيين بعدما اعتقلوا ابنه لم يطلقوا سراحه إلا بفدية كبيرة اضطر لدفعها، ثم عُين قائداً على بودة إلى أن توفي سنة 1329هـ⁴.

وحول وفاته الغامضة سنة 1329هـ/1911م، يذكر محمد العالم بكاروي في مخطوطه (الدرة البهية في الشجرة البكرية وبعض الأخبار التواتية)، أن هذا القائد الفذ ورغم خضوعه بعد ذلك للفرنسيين وإقراره على منصبه السابق كقائد، إلا أن فرنسا كانت تتوجس منه ولم تثق به تماماً فتوفي

1. كرم إدريس، الموقف المغربي من التحرك الفرنسي...، المرجع السابق

2. روس إ. دان، المجتمع والمقاومة...، المصدر السابق، ص 214

*. بل حتى أن بعض الزوايا الحدودية بين الجزائر والمغرب راسلت الحاجب المخزني أحمد بن موسى في 13 شوال 1317هـ/14 فيفري 1900م، تخبره أنهم لا يزالون ملتزمون بالهدنة مع الفرنسيين كما أمرهم المخزن، ولكن "النصارى دمرهم الله دخلوا لناحية توات...، وقد أتانا كتاب سيدنا سابقاً أن نكونوا على أمان منهم، فالآن خفنا من ورودهم لنا...، اكفونا همهم الله هم الدارين وصلح منا ومنكم الظاهر والباطن". ينظر: ملوكي عبد الرحمن، "زوايا تافيلالت وعلاقتها بالمخزن..."، المرجع السابق، ص ص 186-204

3. La Croix et de La Martinière, "Documents Pour Servir a l'étude du Nord Ouest African", T.4, Op.Cit, pp.431,432

4. جعفري مبارك ومقلاتي عبد الله، معجم أعلام توات، المرجع السابق، ص 375

مسموماً¹. كما كان ابنه محمد محارباً لطالما اصطحبه معه في صولاته وجولاته، وحسب علمي فعائلته حالياً تتسمى بلقب "قاسمي" ولا تزال تسكن في منطقة بودة، وبعض أقاربه الآخرين في جهة عين صالح.

4- معركة شروين:

شروين بلدية ودائرة كانت معروفة باسم "شروين" حسب كتابات تاريخية وُجدت منذ القرن 16م، وظهرت بهذه التسمية الحالية في الفترة المتزامنة مع العهد الاستعماري²، تبعد عن مدينة تيميمون عبر مسافة مباشرة بحوالي 60 كلم غرباً، ولها حدوداً مباشرة مع قصور الغنانمة ووادي الساوره حيث منطقة بني عباس وبشار، وقصورها حالياً هي: شروين، أجدير الشرقي، أجدير الغربي، قصر تبو، أسفاو، بني يسلم، تاقلزي، تينكرام، قصر بكو، تاويريرت، أوماح، تين زيري؛ وتنتمي إليها كدائرة كل من بلديتي طلمين وأولاد عيسى.

4-1- المواجهة الأولى:

ومعركة شروين هذه هي امتداد لأحداث تيميمون، حيث ذكرنا أنه ولما سمع الجنرال (سيرفيار Serviere) نبأ الهجوم على تيميمون، خرج مسرعاً بقوة قوامها 600 رجل من أدرار نحو شروين؛ ولما وصلها في 28 فيفري 1901 فوجئ بالطريق مسدوداً من طرف الثوار عند مدخل قصر شروين، فنشبت المعركة الأولى التي رغم استعمال الفرنسيين لسلح المدفعية فيها، إلا أنها لم تسبب إلا أضراراً قليلة على رجال المقاومة، ومع ذلك كان لزاماً عليهم التراجع في جنح الظلام إلى ما وراء الكثبان الرملية للتخلص من نيران المدفعية، وفي نفس الوقت كانوا يردون بإطلاق النار من حين لآخر، ثم أخلوا ساحة المعركة بطريقة تكتيكية ناجحة، وحاولت فرقة استطلاع من السرية الصحراوية تتبع آثارهم

¹ . عبد الله بابا، الحياة الاجتماعية والاقتصادية بتوات...، المرجع السابق، ص 43

² . توفيق بوزناشة وآخرون، دليل الجمهورية، المرجع السابق، ص 82

مع طلوع الفجر دون جدوى¹.

وفي يوم 01 مارس 1901 ومع طلوع النهار حاولت الفرقة الاستطلاعية تحديد مكان الهجوم مجدداً فتعرضت لإطلاق النار، ليتم الرد من الفرنسيين في الليل من خلال فصيلة المدفعية التي كثفت قذائفها على القصر والواحة، وفي يوم 02 مارس تم قصف قسبة خالية كانت قد احتمت بها المقاومة، ولم يتم الرد فيها على القصف الفرنسي، وهو ما فهمه الغزاة الفرنسيين على أن رجال المقاومة قد غادروا ذلك المكان ليلاً، وأنهم اتجهوا نحو جهة الساوره، فحاولت فرقة من القومية ونصف سرية صحراوية متابعتهم شمال غرب شروين على مسافة حوالي 20 كلم، لكن دون جدوى مرةً أخرى، وخلال هذه المعركة المتقطعة كان للفرنسيين قطعتين من سلاح المدفعية و250 بندقية، في حين تم تقدير قوة المقاومة بما يناهز 300 بندقية أو أكثر².

ومن المصادر الفرنسية القليلة التي أعطت بعض التفاصيل عن هذه المعارك، وقدمت بذلك أرقاماً عن أحداثها ونتائجها، نجد نشرة اللجنة الإفريقية لشهر أبريل 1901، وكذا كتابات (تيليون) الذي كان يصاحب الحملة الفرنسية. فكانت هذه المواجهة قد خلفت في بدايتها من الجانب الفرنسي مقتل 02 وجرح 07 أشخاص منهم النقيب (برتراند) والملازم (بيليتيه) والطبيب المرافق (بوات)³؛ وعن احتضان السكان للمقاومة فقد شاهد الفرنسيون في اليوم الأول من مارس عدداً من الناس قد تسللوا من طلمين عبر الكثبان الرملية وانضموا إلى المقاومة، وأن بطاريات المدفعية نفذت من كثافة القصف ولم تؤدي إلى أي نتيجة ملموسة، وفي اليوم الثاني من مارس ليلاً شوهدت عدة مجموعات من البرابر والقصوريين يتوجهون من طلمين نحو الشمال الغربي، فأمر الجنرال (سيرفيار) النقيب (راميلون)

¹ . Lieutenant Baquey, *La Pénétration Saharienne...*, Op.Cit, p.27

² . A.G.P Martin, *Les Oasis Sahariennes...*, Op.Cit, p.177

³ . Alis Harry et Terrier Auguste, *Bulletin du Comité de l'Afrique française*, Op.Cit, avril 1901, p.115

بمطاردتهم مع فصيلتين من السرية الأولى للقناصة الصحراويين¹.

4-2- المواجهة الثانية:

ومن خلال ما ذكره (تيليون) فمن الواضح أن معركة شروين لم تقتصر على المجموعة القادمة من هجومات تميمون، بل انضم فيها سكان شروين وظلمين للمقاومة واحتضنوا المعارك في قصورهم وقصباتهم. وفي يوم 03 مارس 1901 بعد تلك المواجهة الأولى وحركة المتابعة بين الفرنسيين والمقاومة، انقسمت المقاومة إلى فرقتين: الأولى باتجاه قصر "تبو" والثانية باتجاه قصر "لقصابي"، حيث دارت معركة كبيرة تم فيها محاصرة العدو بين فكي كماشة في عرق "العميرة"²؛ حيث استطاعت المقاومة إبعاد وتأمين طابورها وجرحاها نحو الغرب، ووصلوا إلى الكتبان الرملية فكمنوا فيها منتظرين ملاحقيهم، وفي نفس الوقت قامت فرقة من السكان المحليين من الالتفاف يميناً في اتجاه الفرنسيين القادمين، ثم التظاهر بالانهزام والتراجع كمنورة³.

وبالفعل شاهد النقيب (راميلون) حركة الانسحاب تلك فطاردها بفرقته، حتى لما صعدوا الكتبان الرملية وجدوا أنفسهم فجأة أمام رجال المقاومة، فتم استقبالهم بنيران كثيفة وقعت من خلالها خسائر فادحة في صفوف الفرنسيين؛ لقد كان القتال شرساً للغاية حتى أن الفرقة الفرنسية لم تجد الفرصة لضبط أمورها، فما كان من فرق القومية والمهاريست والصبايحية سوى الانسحاب بعشوائية والمناداة بالنجدة وطلب الدعم، وفي تلك اللحظة اندفعت قوة فرنسية لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، مما جعل المقاومة تتراجع لكنها واصلت تبادل إطلاق النار لعدة ساعات حتى نفذت الذخيرة عند الفرنسيين، وفي الأخير فقدوا الأمل في التغلب على رجال المقاومة وأعطوا الإشارة بالانسحاب، تاركين ضحاياهم والغنائم في

¹ . Tillion André, *La Conquête des Oasis Sahariennes...*, Op.Cit, pp. 130,131

*. هناك ذكر لهذا العرق في بعض المصادر الفرنسية بإسم "الحميرة"، في حين تأكدنا من التسمية في شروين بأنه عرق "العميرة"، وهو ما أشار إليه الشيخ محمد باي بلعالم أيضاً.

² . حالة خديجة، "التوغل الفرنسي في الصحراء الجزائرية إقليم توات أنموذجاً"، *مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية*، ع59، ديسمبر 2019، ص 42

³ . A.G.P Martin, *Les Oasis Sahariennes...*, Op.Cit, p.178

ساحة المعركة¹.

وفي اليوم الموالي وصلت فرقة إغاثة إلى الفرنسيين على الساعة 10 صباحاً، ولما وصلت إلى مكان المعركة على الساعة 16 مساءً وجدت رجال المقاومة قد اختفوا عن الأنظار، وحينها وقف الفرنسيون على هول الهزيمة والكارثة مذهولين، فقد عثروا على 23 جثة مدفونة وممزقة إلى أشلاء، وبجثة النقيب (راميلون) البشعة التي تم التتكيل بها²؛ في حين يذكر (تيليون) أن الخسائر من الجانب الفرنسي في هذه المعركة بلغت 25 قتيلاً بينهم ضابطين و 49 جريحاً منهم 3 ضباط، وأنهم طيلة ساعات من الصباح سمعوا من معسكر شروين تبادل لإطلاق النار، وأنهم عند الساعة 10 صباحاً وصلتهم الأنباء عن الهزيمة والتراجع، فأمر (سيرفيار) القائد (ديلوز Deleuze) بفصيلة ونصف من القناصة الصحراوية مع المدفعية ومفرزة إسعاف والعودة للمساعدة³.

ولأن الجنرال (سيرفيار) لم يستصغ الهزيمة خاصة أن رجال المقاومة هذه المرة انسحبوا بسلاسة ونجاح، إلى درجة أنهم لم يخلفوا ورائهم لا قتلى ولا جرحى، فإن الفرنسيين عادوا أدرجهم إلى قصر شروين حيث بقية السكان من الضعفاء والنساء والأطفال، فقاموا بمناورة استعراضية بالمدفعية لتخويفهم ودفعهم للخضوع بشروطهم، وأعطوهم مهلة 24 ساعة للرد فلما استنفذت المهلة ولم يحضر أحداً، توجهت سريتان من المشاة إلى مدخل القصر وقصفت القسبة بالمدفعية، ثم تم إرسال مبعوثاً إلى السكان في المساء للتفاوض، وانتهت هذه المأساة في نهاية المطاف بالموافقة على شروط الفرنسيين⁴؛ وعلى العموم فقد خلفت معركة شروين بما فيها كلتا المواجهتين الأولى والثانية النتائج التالية:

-سقوط 27 قتيلاً منهم ضابطين وهما النقيب (راميلون) والملازم (هيلري) و 56 جريحاً

للفرنسيين منهم 3 ضباط، وكان من بين القتلى أيضاً محمد بن الطيب نائب الطريقة

¹ . A.G.P Martin, *Quatres Siècles...*, Op.Cit, pp. 360,361

² . Alis Harry et Terrier..., *Bulletin du Comité de l'Afrique française*, Op.Cit, p.148

³ . Tillion André, *La Conquête des Oasis Sahariennes...*, Op.Cit, pp. 133,134

⁴ . Ibid, pp. 134,135

القادرية بورقلة الذي كان يقود فيلق العرب القومية¹.

- وكان الجنرال (سيرفيار) قد اشترط على السكان مقابل الأمان شروطاً تعجيزية حقداً عليهم لما

تلقاه من مقاومة، حيث طالب بتسليم 05 وجهاء كرهائن، ونزع سلاح القصبية وتفكيكها،

ودفع تعويضات مالية ثقيلة²؛ بلغت 7500 فرنك فرنسي³.

ولما تسلم الفرنسيون الرهائن الخمس والأسلحة، وأجبر السكان على دفع جزء كبير من الغرامة

والباقي سيُدفع لاحقاً، تم احتلال قصر شروين يوم 05 مارس 1901؛ وفي سياق هذه المعارك الممتدة

من تيميمون إلى شروين، عاد العقيد (مينيستريل) إلى المنبعة ومعه 05 أسرى من البربر، أحدهما

أسير في معركة تيميمون بين جنث السكان المحليين، وفي ظل تحقيقات الفرنسيين مع الأسرى، اعترف

بعضهم أنهم على إثر هجومات تيميمون خططوا للاستيلاء على أسلحة ومؤونة الفرنسيين ثم حرقهم

في محرقة معدة مسبقاً⁴. وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن النواة الأساسية لهذه المقاومة كانت

من السكان المحليين رغم مشاركة فصائل من البرابر تم استقدامها من خارج المنطقة، إلا أن تلك

المشاركة كانت في غالب الأحيان مأجورة ومخطط لها من طرف قيادات تواتية محلية، على غرار قائد

بودة وقاضي أولاد سعيد ومرابط تاسفاوت.

5- معركة ظلمين:

ظلمين من أكبر قصور قورارة والتسمية زناتية تعني بالعربية "النوق" أي جمع ناقة، يعود

تأسيسها إلى القرن 6 هـ من طرف الشيخ يوسف أحد أعيان مملكة "أوسيف" في قورارة، حيث كان

قاصداً البقاع المقدسة فوجد مجموعة من النواق حول بئر يرتوون⁵؛ تبعد عن مدينة تيميمون عبر

¹ . تواتي دحمان وآخرون، دور أقاليم توات...، المرجع السابق، ص 21

² . A.G.P Martin, *Les Oasis Sahariennes...*, Op.Cit, p.180

³ . Tillion André, *La Conquête des Oasis Sahariennes...*, Op.Cit, p.137

⁴ . Alis Harry et Terrier..., *Bulletin du Comité de l'Afrique française*, Op.Cit, p.148

⁵ . توفيق بوزناشة وآخرون، دليل الجمهورية، المرجع السابق، ص 81

مسافة مباشرة 153 كلم في جهة الشمال الغربي، وهي بلدية تفصل بين ولاية تيميمون وبني عباس، فهي بذلك آخر قصور قورارة في الحدود مع قصور الغنائمة وجهة الساور، وقصور طلّمين كبّدية كثيرة وهي: طلّمين، تاغوزي، الساقية، باحمو، بوكزين، قلو، نعمة، تيمارين، تاغرابين، يحيا ودريس، تاكيات، قطوف، فناون، تمسقلوت، سيد المختار، تناصر، زعيتّر، راشد، تاوراخت، تاقنوت، اللجام.

وفي يوم 6 مارس 1901 بعد إجلاء جرحى معركة شروين إلى تيميمون، انطلق الطابور الفرنسي نحو طلّمين، وفي يوم 9 مارس وصل الرتل واتخذ حالة التأهب القتالية على بعد 5 كلم من قصر طلّمين في ظل وجود عاصفة رملية قوية، ومع اقتراب الفرنسيين من الواحة لاحظوا أن البساتين والكثبان الرملية كانت مليئة بالمشّاحين، فعرفوا أنه من المتوقع حدوث مقاومة جديّة، ف اتخذت قيادة الطابور الفرنسي إجراءات عاجلة تمثّلت في: القائد (ريبيل) مع سريّتين من القناصة الصحراويّين مسؤولون على الهجوم بالمدفعية من جهة شمال غرب البساتين، والقائد (ديلوز) مع كتيبة الصبايحية ونصف كتيبة إفريقيّا ومفرزة من الصبايحية كُلفوا بدعم الهجوم على الجهة اليمنى، وفرقة القومية تغطي المؤخرة اليسرى، وكل القافلة تحت حراسة أجزاء من الفيالق الصحراوية¹.

وبدأت المعركة على الساعة 03:30 فجراً وبعد ساعة كاملة من القتال وصلت المجموعة 11 من الفيلق إلى أعلى الكثبان الرملية، ولما ظهر لهم القصر على بعد 600 متر صوبوا نحوه نيرانهم، وفي نفس الوقت نجح (ديلوز) في الجناح الأيمن من الالتفاف حول الكثبان الرملية وتطهير المنطقة حتى الواحة، وهكذا استمر الحال حتى سيطرت الفرق الفرنسية على جميع التلال المؤدية إلى الواحة والقصر، وفي الساعة الخامسة صباحاً كان المقاومون قد انسحبوا كلياً إلى داخل القصر، مما جعل الجنرال (سيرفيار) يأمر بإسقاط القصر تحت ضربات القصف المدفعي، وفي المساء اضطرت جماعة القصر للخضوع بنفس الشروط المفروضة على شروين (نزع السلاح، وتفكيك القصبّة، وتسليم 4

¹ . Tillion André, *La Conquête des Oasis Sahariennes...*, Op.Cit, pp.135,136

رهائن، وغرامة مالية)¹؛ وللإشارة فالواحة تعرضت لإطلاق 4 قذائف مدفعية لإخلائها تزامناً ووصول فرقة المشاة على أطرافها².

ومن حيث الخسائر فقد أشارت المصادر الفرنسية إلى أنهم في احتلال ظلمين لم يتلقوا أية خسائر برغم مقاومة أهلها، في حين ذكرت أن المقاومة المحلية فقدت 10 شهداء³؛ وكان من بين زعماء معركة ظلمين: الشيخ محمد الهاشمي وعبد العزيز وأحمد بن مبروك، وعبد العزيز عبد القادر بن عبد الكريم بن يدا، وتم أسر الشيخ محمد الهاشمي⁴؛ ولعل المجاهد أحمد عبد العزيز صاحب كتاب (صحراؤنا في مواجهة الاستعمار) يقصد بالشيخ محمد الهاشمي هو نفسه قائد المعركة محمد المعزوز، وقد وقفنا على هذا الربط من خلال أحد أحفاد هذا القائد الشهيد.

ومحمد بن الشيخ المعزوز رجل حرب كان يبلغ من العمر حوالي 55 سنة (خلال 1897)، ينتمي لعائلة عريقة ومرموقة في المنطقة، كما كانت له علاقات جيدة مع الغنامة وأولاد سيدي الشيخ، وكان يمتد تأثيره إلى غاية تيميمون بما كان يقدمه من دعم لحلفائه وأصدقائه في حالة أي صراع، كما كان مكلفاً بمهام القائد في جهة ظلمين⁵؛ إلى أن سقط أسيراً ضمن رهائن معركة ظلمين سنة 1901، وبعد القبض عليه عُلق فيه لباساً من صفائح الحديد واللوح، وتعرض للتعذيب والإغراء لكي يعود ويُصب باسم فرنسا لكنه رفض، وانتهى به المطاف سجيناً في الأغواط حتى وافته المنية هناك⁶؛ وفي زيارتنا لأحفاده وجدنا أنهم لا يزالون يحملون لقبهم على اسمه (معزوز)، ولا تزال قصبة ظلمين القصر ضمن أملاكهم، ولا يزالون يحتفظون ببعض بقايا الرصاص والكبريت والبارود من تلك المعركة*، وقد

¹ . Tillion André, *La Conquête des Oasis Sahariennes...*, Op.Cit, p.136

² . L.Voinot, "*Opérations dans Les Oasis Sahariennes*", *Revue d'Artillerie*, Année 30, Tome 60 (Avril-Septembre 1902), Éditeur: Berger-Levrault et Cie, Paris 1902, pp. 315,316

³ . Guillaume de Champeaux, *a Travers Les Oasis Sahariennes...*, Op.Cit, p.63

⁴ . عبد العزيز أحمد، *صحراؤنا في مواجهة الاستعمار*، المرجع السابق، ص 52

⁵ . La Croix et de la Martinière, "*Documents Pour Servir a l'étude du Nord Ouest African*", T.4, Op.Cit, p.344

⁶ . عبد العزيز أحمد، *صحراؤنا في مواجهة الاستعمار*، المرجع السابق، ص 52
*. ينظر الملحق رقم 23 ص 413

ذكروا لنا أن المعلومات التي وصلت إليهم بعد وفاته، بأنه سُمِّم في سجن الأغواط ولا يزال شهيداً بدون قبر إلى يومنا هذا¹.

6- موقعة حاسي لغزال:

هذه الموقعة وقعت أحداثها غرب حدود توات²، أي: في المنطقة التي تلتقي فيها قورارة وتوات بمحاذاة وادي الساورة، وهي مكان خالٍ من السكان لكنه كان يشرف على معابر القوافل وقبائل البدو الرحل؛ كما أورد لنا أحد موظفي بلدية تسابيت معلومة قيمة عن الموقع فذكر أنه حقاً كان يوجد مكان يسمى "حاسي لغزال" أو "حاسي غزالة" على بُعد 57 كلم شمال غرب تسابيت، وهو موقع ينتمي إلى بلدية تسابيت إدارياً في اتجاه طريق بني عباس وبشار³. وهذه المنطقة مرتبطة ببئر من الآبار الصحراوية التي كانت توفر الماء والمرعى للقوافل والمسالك الصحراوية، خاصةً أنها تأتي في الجهة المرتبطة بتفرعات أودية الساورة وزوزفانة.

ورغم أن المصادر الفرنسية التي صادفتنا وصفت المعركة بأنها مجرد هجومات لصوصية للبرابر، وبعضها الآخر يربطها باتباع الشيخ بوعمامة الذي كان لا يزال نشاطه مستمراً في المنطقة الممتدة عبر وادي زوزفانة من فيقيق وبني ونيف إلى تخوم منطقة توات والساورة؛ فإن بعض المصادر الشفوية المحلية تؤكد أن التواتيين هم من كانوا يقودون المقاومة في أرضهم، وأنهم كانوا من حين لآخر يستعينون بالبرابر من الجنوب المغربي مثل آيت عطا وآيت الزدك وآيت علوان وآيت احسين وغيرهم، وهذا ما أشار إليه مولاي مبارك عوبيدي في كتابه (قورارة وتوات وما عليه احتوت من الفقارة

¹ . عبد القادر معزوز، من أحفاد الشهيد محمد معزوز، شهادة حول المقاومة الشعبية المحلية، ظلمين تيميمون في 2023/12/14، مقابلة شخصية

² . لاحظنا من خلال اطلاعنا وتحديدنا لهذه المنطقة عبر خرائط غوغل أنها تقع مباشرةً غرب دلدول والمطارفة بمسافة قليلة عن الطريق الوطني رقم 06، وهي إدارياً ضمن الإطار الجغرافي لبلدية تسابيت، في حين أن مولاي عوبيدي ذكر أنها تقع غرب بودة، ويبدو لي أنها منطقة رعوية حديثة النشأة ربما ظهرت مع بدايات الغزو الفرنسي فقط.

³ . العربي بوعلام شيخي، موظف متقاعد في بلدية تسابيت، معلومات عن موقع حاسي لغزال، قصر برينكان تسابيت 2024/07/09، مقابلة شخصية

إلى الساقيات)، نقلاً عن والده مولاي حبيبي من الهبلّة في تسابيت¹.

وقد ذكر الملازم (باكي Baquey) أن معركة حاسي لغزال وقعت في توات يوم 16 جويلية 1903، حيث تعرضت مفرزة من سرية توات الصحراوية التي كانت تحرس الإبل بأوامر من الرقيب (فريميغاسي Frémigaci)، لهجوم من طرف مجموعة بربرية قُدرت أعدادها بحوالي 300 شخص، وخلفت هذه الحادثة من الجانب الفرنسي 19 قتيل و 9 جرحى، في حين غنم المهاجمون 90 جملاً، ويضيف أن هذا الانتصار الكبير جعل الناس تنضم إلى تلك المجموعة لاحقاً، حيث في 25 جويلية 1903 انضم 55 فارساً من العاملين في مخزن بني عباس، وانشق 40 رجلاً عن ميليشيا شركة توات الصحراوية، وقد تمت مطاردتهم من طرف الفرنسيين إلى أن وقعت بينهما معركة أخرى في مكان يسمى النخيلات على بعد 300 كلم من الموقعة شمالاً، وسقط حينها 10 شهداء و 16 جريحاً².

وبالتالي ورغم أن المعلومات شحيحة عن هذه المعركة، لكن ما يمكن استنتاجه أنها حقاً وقعت في منطقة توات وإن كانت على تخوم وادي الساورّة وزوزفانة، وأن الذين شاركوا فيها كانوا من البرابر والغنانمة وبعضاً من أهل توات، خاصة أن تلك الشركة التي كانت مهمتها رعي الإبل كان ضمنها عمالاً من توات، وقد أشار الملازم (باكي) أن حوالي 40 منهم انشقوا عنها وانضموا إلى المهاجمين؛ كما ذكرت بعض المصادر الفرنسية أنه خلال الفترة الممتدة من 17 إلى 21 أوت 1903 انضم إلى الحشد البربري بعض المنشقين من أولاد جرير والشعابنة، وتجددت المقاومة في معركة المنقار بزوزفانة يوم 02 سبتمبر 1903، وهي المحاولة التي كانت بالقرب من تاغيت والتي جعلت الفرنسيين يستعينون بالجنرال (ليوطي Lyautey) لقيادة منطقة عين الصفراء³.

وحسب رأيي كما هو معلوم فهذه الأحداث كان وراءها الشيخ بوعمامة، وأن موقعة حاسي لغزال

¹ . عوبيدي مولاي مبارك، قورارة وتوات وما عليه احتوت...، المرجع السابق، ص 54

² . Lieutenant Baquey, **La Pénétration Saharienne...**, Op.Cit, pp.41,42

³ . A.Bernard, N. Lacroix, "**La Pénétration Saharienne...**", Op.Cit, p.161

ليست ببعيدة عن دوره خاصةً أنه يعرف المنطقة جيداً وأنه كان لا يزال يتواصل مع أنصاره وأتباعه في توات (لدلول وقورارة خصوصاً)؛ وأن تعيين السلطات الفرنسية للعقيد (اليوطي) على قيادة عين الصفراء كان لضمان وتأكيد السيطرة على الجنوب الغربي، ومراقبة نواحي أولاد جرير ودوي منيع في حوض زوزفانة، وتمكين القوات الفرنسية من الاحتلال الكلي والشامل لمنطقة توات¹؛ وذلك لأن توات لم تستقر أحوالها كما كان يتمنى الفرنسيون رغم مرور أكثر من ثلاث سنوات على الغزو الفرنسي.

رأي واستنتاج:

مما لمسناه من اطلاعنا على الرفض الشعبي المحلي للاحتلال الفرنسي منذ أولى المعارك سنة 1900، أن كثيراً من الوقائع والمعارك تحالفت فيها قبائل وقصور المنطقة، رغم خلافاتها السابقة، حيث تحالفت مثلاً الزناتة من شروين وطلمين وبلغازي وأولاد راشد مع عرب المطارفة وتسابيت وغنانمة الساورة وبرابرة تافيلالت في معركة المطارفة 1900م، وتحالفت الزناتة والمحارزة والخنافسة والشعانية والغنانمة والبرابرة في معركتي تيميمون وشروين 1901م، بل وفي مشهد نادر اجتمع أتباع محمد وسفيان من شروين وأولاد سعيد وبودة والساورة في معركة شروين 1901م، وهذا ما يعني أن سكان المنطقة كان لهم من الوعي ما يكفي للالتقاء في المصلحة الواحدة ضد العدو المشترك.

كما عرفنا أن قصور توات من بودة وتسابيت وتيمي وسالي ورقان قد انضموا وشاركوا إخوانهم في أولف وإينغر وعين صالح المقاومة، وكان ذلك في معركتي الدغامشة وإينغر سنة 1900، حيث سقط الكثير منهم ما بين شهيد أو جريح أو أسير، ومشاركة أهل بودة وشروين وطلمين وأولاد سعيد في معارك تيميمون وشروين وطلمين 1901، كما أن كثيراً من أولئك المشاركين في تلك المعارك الأولى كانوا من الأثرياء والشخصيات التواتية المرموقة، وبعد انتصار المحتل الفرنسي رأينا كيف أنه استعمل أولئك الأسرى كدروع بشرية وابتز بهم أهلهم وقصورهم، فطالبهم بالخضوع مقابل العفو عنهم

¹ . إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء...، المرجع السابق، ص 548

وإطلاق سراحهم، ورغم ذلك فقد ذكرنا أن الطوابير الفرنسية استقبلت بشكل سيء وبشهادة الفرنسيين أنفسهم، وهذه أدلة مختصرة على أن قصور توات الوسطى شاركت في المقاومة مع إخوانهم في جهتي تيديكلت وقورارة.

كما لا يجب أن ننكر مشاركة باشا تيمي إدريس بن الكوري الشراذي في معركة إينغر 1900، لكن نهايته كانت مخيبة للآمال حيث سلم نفسه واقترح على رجال المقاومة الحذو حذوه، في حين اختفى باشا تيميمون ولعله امتثل لرسائل المخزن التي طالبت بالتفاوض وعدم مواجهة الفرنسيين، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن محاولات أهل المنطقة الاستجداء بالمغرب وانتظار المساعدة منه، كانت كمن يتعلق بقشة في خضم بحر هائج، وقد استوعب رجال المقاومة المحلية الدرس فمنهم من قاوم بما ملكت أيديهم، ومنهم من استعان بالبرابر والبدو الرحل من جنوب تافيلالت ووادي الساور وروزفانة، فقد رأينا كيف أن أهل المطارفة وقائد بودة اكتروا المئات منهم ودفعوا في تجبيشهم الأموال الطائلة، وهذا من باب أن المنطقة فقدت الكثير من الرجال في معارك تيديكلت، وأن أولئك البرابر كانوا من أهل الحرب والقتال وبينهم وبين بعض أعيان المنطقة تحالفات، وأن الله سبحانه وتعالى يقول في محكم التنزيل: {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} ¹.

ومن أهم الملاحظات التي وقفنا عليها، أن الغزو الفرنسي لم يهدأ له بال في منطقة توات وقصورها، إلا بعد قرابة عامين من أولى وصول طلائعه، فقد كانت معارك المقاومة صدمة للفرنسيين لم يكونوا يتوقعونها، كلفتهم قتلى وجرحى وهزائم ومفاوضات وكر وفر من حين لآخر، بل واستعان فيها الفرنسيون بكثير من الفيالق والكتائب والعتاد مثل سلاح المدفعية الذي كان السلاح الفاصل في ترجيح كفة المعارك، حيث قصفت به إينغر وشروين وطلمين بما وصل إلى 137 قذيفة من النوع

¹ . الآية 41، سورة التوبة، القرآن الكريم

الممدود¹. ناهيك عن خسائر مادية ضخمة وإجراءات سياسية وعسكرية مستمرة، استدعت منهم تغيير قيادات عسكرية والقيام بتعديلات وإعادة زحف وانتشار المرة تلو الأخرى، وفي نفس الوقت استعمال الأساليب القذرة مثل التغلغل بالأعوان والأعيان والعملاء من داخل وخارج توات.

المبحث الثالث: المقاومة الثقافية في توات

إن الثراء الثقافي الذي تتميز به منطقة توات وكانت بفضلها مركز إشعاع حضاري بين الحواضر الأفريقية، لم يعدم بواسطته التواتيين أية وسيلة للمقاومة ومجابهة الاحتلال الفرنسي ثقافياً، ففرنسا التي عرّبت سياساتها التغريبية والتتصيرية المحارية لمقومات الشخصية الوطنية في كل جهات الوطن الجزائري، وجدت في قصور توات صعوبة بالغة إن لم نقل استحالة تمرير مخططاتها الاستعمارية، لعل الفضل يعود بالدرجة الكبيرة للأدوار التي لعبتها زوايا المنطقة وموروثها الشعبي المادي واللامادي، وأعلامها وعلمائها الذين تحملوا مسؤولية حماية مقومات الشخصية المحلية، والشواهد لا تزال قائمة إلى يومنا هذا؛ ففيما تجلت مظاهر هذا النوع من المقاومة؟؟ وما الأدوار والآثار التي ساهمت بها؟؟ خاصة في ظل ممارسة فرنسا لسياساتها الاستعمارية منذ بداية عملية الغزو.

1- دور الزوايا والمدارس القرآنية:

لقد لاحظنا من خلال الفصل الأول أن دور زوايا توات على المجتمع ظهر حتى قبل دخول المستعمر الفرنسي للمنطقة، فمنذ القرن 15م ظهرت أقدم الزوايا والتي تمثلت في الزاوية القادرية التي أقبل الكثير على الانخراط فيها، ولم يمضي وقت طويل حتى نشأت العديد من الزوايا الأخرى كالتيجانية والطيبية والكرزازية والبكائية والبكرية والسنوسية والشيخية وغيرها. وقد لعبت مثلاً زاوية أولاد سيدي الشيخ والزاوية السنوسية دوراً هاماً إبان الكفاح الجزائري ضد الوجود الفرنسي؛ وصل تأثيرها وامتداداتها حتى القصور التواتية، وكانت من أهم المؤسسات الروحية الجهادية التي ساهمت في إشعال

¹ . L.Voinot, "Opérations dans les Oasis Sahariennes", *Revue d'Artillerie*, Année 30, T.60, Op.Cit, p.297

فتيل المقاومة بين الناس.

وقد أشرنا إلى أنه بفضل علاقات ونفوذ تلك الزوايا والطرق الصوفية في المنطقة، التجأ واحتمى بقصور توات كل من الشريف محمد بن عبد الله التلمساني السنوسي، ومحمد بن تومي بوشوشة المتأثر بالسنوسية أيضاً، وأولاد سيدي الشيخ من سي حمزة وسي الأعلى وسي قدور وغيرهم وكلهم من المنتمين للطريقة الشاذلية، وكذلك الشيخ بوعمامة الذي كان لجوئه إلى دلدول نظراً لعلاقاته الروحية الشيعية بل وكانت له في حد ذاته زاوية وطريقة سُميت بالبوعمامية الشيعية، أما إذا ذكرنا رواد المقاومة المحلية فكلهم خريجي الزوايا والطرق الصوفية، كالمهدي باجودة والطريقة السنوسية، ومولاي عبد الله الرقاني والطريقة القادرية، ومحمد عبد القادر بن الحاج بلقاسم والطريقة الطيبية، وكبار قصر المطارفة كالشيخ عبد الكبير بن محمد وسيدي حنيني بن الحاج عبد الرحمن حيث كانوا شيوخ زوايا، والحاج أحمد مرابط تاسفاوت وقاضي أولاد سعيد وهما من علماء ومشايخ المنطقة ومدرسي القرآن فيها.

ولأن تلك الزوايا كانت وظيفتها نشر العلم ومحاربة الجهل ومقصداً للطلبة وملجأ للفقراء وعابري السبيل ومحكمة لفض النزاعات بين القبائل والقصور، فقد كان لها دور فعال في الحفاظ على تماسك المجتمع التواتي وحماية شخصيته الثقافية، وكان تأثيرها كبيراً بين الناس، حيث كان بمقدورها توحيدهم واستنفارهم للجهاد في أي زمانٍ ومكان، وعلى ذلك الأساس استهدفتها فرنسا وحاولت تدجينها تارةً، وقطع مواردها وتقبيد أنشطتها ومصادرة أوقافها تارةً أخرى، بل ولأنها كانت تعلم دور الزوايا في المنطقة فقد استعانت ببعض شيوخها محلياً ومن خارج المنطقة، لعلها تؤثر بهم في إجهاض المقاومة والقبول بالفرنسيين.

ومنطقة توات بجهاتها وقصورها وواحاتها، كانت تعج بالزوايا إلى درجة أنها فاقت 39 زاوية قبيل الاحتلال الفرنسي، وكانت هذه الزوايا تتعدد وظائفها ومهامها، فمنها زوايا العلم وزوايا الضيافة

والإطعام وزوايا الجهاد؛ بل حتى أننا نجد كثيراً من قصور مناطق توات تسمت بأسماء زواياها مثل: زاوية الدباغ في تينركوك، وزاوية سيدي عومر وزاوية سيدي عبد الله في أوقروت، وزاوية سيدي الحاج بلقاسم في تيميمون، وزاوية سيدي بونعامة وققارة الزوى في جهة عين صالح، وزاوية الرقاني في رقان، وزاوية سيدي عبد القادر في فنوغيل، وزاوية الشيخ بن عبد الكريم المغيلي في زاوية كنتة... وغيرها؛ وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أهمية هذه الزوايا بالنسبة للمجتمع التواتي.

فقد لعبت كثيراً من تلك الزوايا والطرق الصوفية دوراً مشرفاً في مقاومة الاستعمار، على غرار معظم زوايا الوطن منذ أن وطئت أقدام الفرنسيين هذه الأرض الطيبة، وقد استنشر المحتل الفرنسي خطورتها منذ بدايات غزوه للتل الجزائري، فهذا مثلاً تقرير الملازم (بوسري) بعد ثورات 1846م أشار فيه إلى خطر الزوايا حيث قال: "إن مشايخ الزوايا يختارون في تدريسهم للقرآن نصوصاً معادية لنا، مما يحطم فيهم وبسرعة الشعور الذي سعينا لتطويره فيهم من طرف مؤسساتنا، وتعتبر التأثيرات الدينية من ألد أعدائنا والتي يجب أن نخشاها ونخطط لها في سياستنا، ولقد كانت القبائل الأشد عداءً لنا هي تلك التي ينتشر فيها التعليم..."¹

وقد تجلّى ذلك الدور حتى بعد سقوط منطقة توات تحت سيطرة الاحتلال الفرنسي، حيث تحمّلت المنطقة بزواياها ومشايخها لواء المقاومة الثقافية بالحفاظ على مقومات الشخصية الوطنية في لغتها العربية، ودينها الإسلامي الحنيف، وبمواجهة محاولات التنصير والفرنسة والتغريب والتجهيل المقصود، فكانت تلك الزوايا بمدارسها القرآنية ومشايخها ملاذاً للتعليم والتوعية، كما لعبت أدواراً بارزة في الجانب الاجتماعي بدعمها وترسيخها لمظاهر التكافل والتضامن المحلي، على غرار إيواء الفقراء والمساكين وتنظيم الجنائز والأعراس والحفلات وركب الحجيج، ومست حتى الجانب القضائي من خلال الصلح

¹ أحمد جعفري الوغزيري، "دور الزوايا التواتية في حماية المقومات الوطنية إبان الفترة الاستعمارية (1830-1962)"، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، ع7، مج4، جامعة الجزائر، 2013/12/31، ص 255.

بين الناس وفك نزاعاتهم¹؛ بل وحتى أن فرنسا في سياستها لم تستطع تقييد تلك الأعمال الجبلية التي كانت تقوم بها الزوايا، وحاولت عبثاً ركوبها ومسايرتها في بعض الأحيان.

وفي هذا الباب نذكر الزاوية البكرية في تمنطيط كمثال، والتي كانت لها مواقف مشرفة في المقاومة ضد السياسة الفرنسية في المنطقة، حيث كان منها الشيخ سيدي البكري بن عبد الرحمن الذي أبدى تحفظاته من كتابات محمد بن مصطفى الخوجة ورد عليها بمجرد وصولها إليه سنة 1898، وهي الكتابات التي مجّد من خلالها صاحبها بسياسة الحاكم العام الفرنسي (جول كامبون)، وكان رد الشيخ البكري بمؤلفين يعيب فيهما التودد للدولة الكافرة، وعتاباً لأي عالم جزائري يُعظم شأن الكفار، كما أورد موقفه الصريح برفضه لفتوى قورارة 1893، ولما أحس بقرب وصول الفرنسيين إلى منطقة توات أبدى خوفه من ضياع المنطقة لولا أن يتولاها الله عن طريق فئة مجاهدة أو بدعوة أو حرز من الله².

ثم ورغم محاولات الاحتلال الفرنسي النيل من الزوايا والمدارس القرآنية، إلا أنها كانت كلما تم التضييق أو غلق زاوية من زوايا المنطقة، كانت تظهر وتتأسس زوايا أخرى وتستكمل مشروع المقاومة، حيث مثلاً في النصف الأول من القرن 20م ظهرت الزاوية الطاهرية في سالي، وزاوية الشيخ محمد بلكبير في أدرار حيث عاصمة الإدارة الفرنسية في المنطقة. بل وتعدى الدور الثقافي المقاوم لأهل توات حدود مناطقهم، حيث يذكر مثلاً المجاهد الحاج التومي سعيدان عن إنشاء المؤسسة الفدائية لجمعية الرماية والزاوية القادرية، التي كانت تنشط في منطقة تيديكلت وانتقل عملها إلى الهقار وتوات الوسطى، وكان من مهامها تدريب الشباب على الرماية وتوعية الناس، وكان نشاطها تحت مسؤولية وتوجيهات الرجال الصوفيين للطريقة القادرية، وشيوخ الزوايا بمنطقة عين صالح³.

¹ . أحمد جعفري الوغزيري، "دور الزوايا التواتية..."، المرجع السابق، ص 258
² . عبد الله بابا، الزاوية البكرية الجذور التاريخية والاسهامات الحضارية بتوات بين القرنين 10 و14هـ، دار الكتاب العربي، ط1، الجزائر 2023، ص ص 227، 228
³ . التومي سعيدان، سكان تيديكلت القدماء والاتكال على النفس، دار هوم، الجزائر 2005، ص ص 292، 293

كما شارك بعض أفراد الزوايا والبيوتات العلمية في معارك المقاومة، فمثلاً عن البيت البكري نجد الشيخ سيدي محمد بن بوزيان الذي شارك في معارك تيديكلت، والشيخ سيدي البكري بن الحاج محمد الصالح (مؤسس زاوية غوزي سنة 1927) الذي جرح في معركة الدغامشة¹، وسيدي محمد عبد الحي بن سيدي موسى وابنه محمد عبد الجبار من البيت البكري اليمرادي في جهة قورارة، حيث شاركوا في مقاومة سي قدور بن حمزة والشيخ بوعمامة، والابن شارك أيضاً في معارك المطارفة وشروين وطمين، ومثلهما نجد الشيخ سيدي عبد الكريم بن الشيخ لحسن شيخ زاوية سيدي عبد الله بن عيسى في قصر باكو بأولاد عيسى، والذي انضم للمقاومة في معركة إينغر واصطحب معه ابنه الفقيه الشيخ سيدي محمد عبد الله². ناهيك عن علماء وأعلام قاوموا وآخرون كانت لهم مواقف فردية مشرفة ضد الاحتلال.

2. أعلام وعلماء ومواقف خالدة:

1.2. الشيخ عبد الكبير بن محمد المطارفي:

هو الشيخ سيدي عبد الكبير بن محمد بن أحمد الذي كان من كبار القصر وأهل الحل والعقد في تلك الأحداث، وُلد سنة 1265هـ / 1847م بقصر المطارفة حيث تربى وترعرع في كنف عائلة ذات جاه وزاوية، إلى أن توفي سنة 1324هـ / 1906م³، كان شيخ زاوية بقصر المطارفة، ولما وصلت القوات الفرنسية إلى المنطقة قاد المقاومة ضدها رفقة سيدي حنيني بن عبد الرحمن فيما يُعرف بمعركة المطارفة، وقد حاولت فرنسا استمالته فأرسلت إليه كتاب مصطفى بن خوجة بعنوان "إقامة البراهين العظام على نفي التعصب في الدين في الاسلام" لإقناعه بالطاعة والولاء⁴؛ وهي الوسيلة التي

¹ . عبد الله بابا، الزاوية البكرية...، المرجع السابق، ص 229

² . الجوزي عبد الرحمن، القاضي الشهيد سيدي محمد عبد الكريم...، المرجع السابق، ص 51-53

³ . بن عبد الكبير محمد السالم، أستاذ بجامعة أدرار وحفيد الشيخ عبد الكبير، سيرة الجد الشيخ عبد الكبير، المطارفة في 2023/02/22، مقابلة شخصية

⁴ . الحاج الطيب بن عبد الكبير، الأضواء الساطعة...، المصدر السابق، ص 110

كانت تحاول بها تدجين المشايخ والأعيان وإقناعهم بالقضاء والقدر والتسليم بوجود الاحتلال الفرنسي. ونظراً لمكانته وعلمه فقد كان من بين أهم العلماء والأعيان الذين أدلوا بدلوهم حول نازلة قورارة 1893¹، وقد قال عنه صاحب (درة الأعلام) بأنه كان قاضي الجماعة في المطارفة إلى غاية وفاته سنة 1324هـ، ووصفه بالعالم الفقيه ابن فقيه وأبو فقيه²، ولعب هذا الشيخ المحنك دوراً بارزاً في قيادة المقاومة وحسن التفاوض حتى فرض على الفرنسيين شروط القصر، وبعد ذلك واصل تأدية رسالته التعليمية ضمن زاوية القصر إلى أن لقي ربه راضياً مرضياً³، وقد ورث وترك لأحفاده وللمنطقة أكبر خزانة مخطوطات بجهة قورارة، والتي تأسست خلال القرن 11هـ ويصل عددها إلى ما يقارب 455 مخطوط مختلفة العناوين والتخصصات⁴.

2.2. القاضي الشهيد محمد عبد الكريم بن محمد عبد الله الجوزي:

وُلد في قصر أدهمان بجهة أولاد سعيد سنة 1263هـ/1846م في بيت علم وقضاء، وأمه بنت الشيخ سيدي عبد العزيز بن عبد المالك مقدم زاوية بادريان⁵؛ تولى مشيخة الزاوية الأدهمانية وأصبح قاضياً في أولاد سعيد سنة 1892م، وبعد دخول الاحتلال الفرنسي أرض قورارة سنة 1900م أفتى بوجوب الجهاد ضده، رغم أن أعيان تميمون والكاف وأولاد سعيد والحاج قلمان اجتمعوا بزاوية بديان لمناقشة مقاومة الاستعمار وكاد موقفهم يميل إلى الاستسلام، إلا القاضي أبى ذلك وألح عليهم بضرورة المقاومة، حتى أنه اتصل بأعيان شروين وتاسفاوت وبودة وشارك معهم في معركة شروين⁶.*

كما كان له موقف معارض لنازلة قورارة 1893 وأصدر ضدها فتوى تقتضي وجوب الجهاد وعدم تسليم البلاد للنصارى دون مقاومة، كما كان من بين الأعيان الذين راسلوا السلطان المغربي سنة

1. الجوزي عبد الرحمن، القاضي الشهيد سيدي محمد عبد الكريم...، المرجع السابق، ص 89

2. محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأعلام...، المصدر السابق، ص 60

3. جعفري مبارك ومقاتلي عبد الله، معجم أعلام توات، المرجع السابق، ص 243

4. بن عبد الكبير محمد السالم، المقابلة نفسها

5. جعفري مبارك ومقاتلي عبد الله، معجم أعلام توات، المرجع السابق، ص 61

6. عفيفة حوتية، حاضرة تينجورارين دراسة تاريخية...، المرجع السابق، ص 138

*. ينظر للملحق رقم 48 ص 434

1892 استتجداً به ضد الأطماع الفرنسية، ولأنه شارك في معارك تيميمون وشروين سنة 1901 وأفتى بالمقاومة، ورفض الخضوع لفرنسا، فلما اختفى عن الأنظار، صادرت فرنسا أملاكه وأحرقت بساتينه وكتبه في بادريان وأولاد سعيد، ورصدت مكافئة مالية لمن يبلغ عن مكانه حتى تم القبض عليه في قصر أدهمان، ونُقل إلى المنيعه ثم الأغواط ثم قصر الشلالة بتيارت أين نُفذ فيه حكم الإعدام في فيفري 1910م/ صفر 1328هـ¹؛ بل حتى رفاق دربه تعرضوا للمطاردة وتصفية الحسابات معهم عقاباً لعلاقتهم به، مثل صهره الحاج عبد الحي بابولا الذي فرّ إلى فزان بليبيا وقد تأكدت وجهته تلك بعد مراسلة لأهله بتاريخ 1337هـ/1918م، والداولحاج الذي اختفى عن الأنظار بعدما صودرت أملاكه². ونقلاً عن الشيخ عبد الرحمن الجوزي (من عائلة الشهيد)، فإن هذا البطل استشهد في عام 1328هـ/1910م. وفي شهر فيفري 1910م الموافق لشهر صفر 1328هـ تمّ تحرير وثيقة بقرار حكم المحكمة العسكرية بقسم: 25 قصر الشلالة، قسمة البليدة، عمالة الجزائر، وتم إحصاء تركة الشهيد في الوثيقة رقم: 603 التي بعث بها قاضي المحكمة المذكورة مع شاهديه بتاريخ: 26 فيفري 1910م الموافق لـ 16 صفر 1328هـ إلى حاكم مكتب دائرة تيميمون بغية تسليمها لورثة الفقيد، ومعها برنوسه، و108 حبة مرجان لبناته الخمس: (فاطمة، سالمة، آمنة، أم هاني، عائشة)³.

وأما ولد الشهيد: الفقيه يوسف بن محمد عبد الكريم فقد استلم: حوالة بريدية تحت رقم: 137، وأخرى تحت رقم: 568، 577، وصندوق يحتوي على: جزئين من كتاب الشيخ داود الأنطاكي، وثلاثة أجزاء للشيخ الزرقاني على شرح الموطأ، وشرح ميارة على متن بن عاشر على جزئين، ومصحف قرآن على جزئين أيضاً، ودليل الخيرات على سفرين، وكتاب شمس المعارف الكبرى، وتاج الملوك لابن الحاج الكبير، وكتاب الرحمة للسيوطي، وكراسة في الطريقة الرحمانية والقادرية لسيد

1. الجوزي عبد الرحمن، القاضي الشهيد سيدي محمد عبد الكريم...، المرجع السابق، ص ص 90-101

2. عبد الرحمن الجوزي، إمام وقائم على خزانة آل الجوزي، الشهادة نفسها

3. الشهادة نفسها

محمد بن الحاج محمد، وكراسة أدعية، تلك تمام عدّة الكتب والمخلفات التي جردتها المحكمة الفرنسية بالوثيقة المذكورة¹.

3.2. الشيخ سيدي محمد عبد الرحمن بن سيدي محمد المبروك الدلدولي:

وُلد بقصر أولاد عبد الصمد في جهة زوى دلدول، ثم انتقل إلى قصر الحاج قلمان بتيميمون في خمسينيات القرن 19م معلماً للقرآن الكريم، أخذ عن شيخه سيدي أبي عبد الله بن أحمد الغنتاوي في توّكي بدلدول، وأخذ أيضاً عن الشهيد القاضي الشيخ سيدي محمد عبد الكريم بن محمد عبد الله الجوزي دفين قصر الشلالة بتيارت، كما أخذ الطريقة الشيعية السماحية عن قائد المقاومة الشيخ بوعمامة أثناء إقامته بدلدول فكان من أخلص مريديه. تصدى لإمامة الناس وتعليم القرآن الكريم بقصر الحاج قلمان، واشتهر بالمداومة على الذكر وتلاوة القرآن ومجاهدة النفس بالصبر والزهد في الدنيا حتى أنه لم يتزوج قط، وتتلّمذ عليه بقصر الحاج قلمان جملة صالحة من الشيوخ وأعيان البلد من عائلة حيدة قاسم وكرومي وغيرهما. كلفه شيخه قاضي أولاد سعيد بالتنسيق القضائي والشهادة في تلك الجهة مع مركز أولاد سعيد، كما اشتهر بصلاحه فأظهر الله على يده الكرامات العديدة، وغلبت عليه الدروشة والجذب في آخر عمره².

وكما أشرنا فقد كانت له علاقة وطيدة بالشيخ بوعمامة وشيخ زاوية كرزاز سيدي محمد الكبير؛ واشتهر بشخصيته القوية حتى أن له موقفاً مشهوداً ضد الاستعمار الفرنسي سنة 1900م، حيث يُذكر أنه لما كتب الحاكم الفرنسي ذات مرة برقية إلى قائد قصر الحاج قلمان باسم "الجمهورية الفرنسية"، طلب قائد القصر من الشيخ أن يرد الجواب بصيغة فيها عبارة "الجمهورية الفرنسية"، فكتب الشيخ "الحمد لله وحده والصلاة على من لا نبي بعده"، فلما وقع الجواب بين يدي الحاكم الفرنسي استاء وطلب حضور الشيخ إليه؛ فلما وقف الشيخ بين يدي الحاكم شامخاً هابه الحاكم الفرنسي، وكان رد

¹ . عبد الرحمن الجوزي، إمام وقائم على خزانة آل الجوزي، الشهادة نفسها

² . الشهادة نفسها

الشيخ "اليد التي لم تكتب الحمد لله والصلاة على رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، جزاؤها القطع..."، حينها قال عنه الحاكم الفرنسي "أنت امرابو* افندي خلوا سبيله"؛ وقد كانت له مدرسة عامرة تسمى على سيدي عبد القادر بن محمد، تأتية إليها الوفود من كل حذب وصوب، وخاصةً من الأبيض سيدي الشيخ، فكان يطعم فيها الطعام ويعلم فيها علوم الشريعة والقرآن الكريم، إلى أن توفي سنة 1339هـ/1916م¹. وقد قيل لنا أنه سليل العائلة التي تتسمى حالياً في لقبها "أخديم".

4.2. القاضي الفقيه محمد عبد الحي بن أحمد الخضير الواجدي:

وُلد في قصر الواجدة قرب تيميمون، وعُين قاضي القضاة في المحكمة الشرعية بتيميمون سنة 1317هـ/1900م، من مواقفه أنه مثلاً يوماً بين يدي ضابط فرنسي في تيميمون أراد إجباره على الإفتاء بأنه سيكون من أهل الجنة لكونه خادم خير، فلما رفض القاضي صوب الضابط مسدسه نحوه، فرد القاضي "... أيها الضابط والله لو كانت لي ألف روح أراها تخرج واحدة تلو الأخرى على أن أبدل حكم الله ما فعلت، وحسبي من ذلك أن استشهد من أجل إعلاء كلمة الله..."، فلما رأى الجنرال الفرنسي بتيميمون هذه الجرأة والصلابة، منع ضابطه قائلاً "... اتركه أيها الضابط فإن وفياً لدينه مثل هذا الرجل، قلماً تجده في هذه الدنيا الواسعة..."²

وبالإضافة إلى كونه ذو شخصية قوية تميزت بالصدق بكلمة الحق والعدل، فقد كان عالماً وفقهياً من علماء قورارة، وممن رد على نازلة قورارة 1893 وتوافق في رأيه مع الفقيه سيدي مبارك بن عبد المأمون البلبالي، والفقيه سيدي أحمد بن عبد السلام المهلالي، والفقيه سيدي عبد الكبير بن محمد المطارفي، والفقيه سيدي محمد الصالح بن علي بن عبد الله الراشدي وغيرهم³. ناهيك على أنه كان

*. والمقصود بعبارة "امرابو": مرابط، أو كما يربطها الفرنسيين بكونها شخصية مقدسة.

¹. غيتاوي مولاي التهامي، القول الميمون في تاريخ جواررة وتيميمون، مؤسسة البلاغ، الجزائر 2013، ص ص 185-187

². نفسه، ص ص 131، 132

³. الجوزي عبد الرحمن، القاضي الشهيد سيدي محمد عبد الكريم...، المرجع السابق، ص 89

من أعلام أولاد القاضي البارزين في جهة قورارة، وكان صهراً لشيخ زاوية تاسفاوت الحاج أحمد بن الحاج موسى الذي كان من قادة معركتي تيميمون وشروين سنة 1901، والمعروف في المصادر الفرنسية باسم "مرباط تاسفاوت"، حيث تزوج ابنته لالة ديمة¹؛ مما يعني أن علاقاته كانت وطيدة مع العلماء ورجال المقاومة في آنٍ واحد.

وأما عن وفاته فيقول الشيخ عبد الرحمن الجوزي القائم على شأن خزانة آل الجوزي، أن هذا البطل مات شهيداً وهو يُصلي صلاة الضحى بعد سقوط جدار بيته عليه، وأن تاريخ وفاته وإن كان ليس مضبوطاً، لكن الشيء الذي يمكن استنتاجه حسب وثائق أحكامه أنه توفي بين 1918-1923م بالواجدة، وقبره هناك بمقبرة الشيخ سيدي إبراهيم، ويضيف محدثنا أنه ينبغي القول بأن في موته تشم رائحة الخداع والمكر والإغتيال، خصوصاً إذا علمنا أنه في تلك المرحلة كان يعيش خلافاً حاداً مع السلطات الفرنسية بسبب أحكامه الصارمة التي لم تكن في مصلحتها، والغريب أن أفراداً من الجيش الفرنسي كانوا متواجدين يوم وفاته ببيته في زيارة رسمية من أجل استصدار بعض الأحكام في القضايا والفتاوى المحلية وتحريرها، وبعد انصرافهم وقبل وصولهم إلى مراكزهم أذاعوا خبر موته قبل أن يسمع به أحد، وهذا ما يدعونا إلى الشك بأن موته كان بفعل فاعل². ولا يزال أحفاده حالياً في قصر الواجدة ولقبهم "برهوم".

5.2. الشيخ سيدي البكري بن عبد الرحمن التتيلاني:

وُلد البكري بن عبد الرحمن بن الطيب بالزاوية البكرية سنة 1260هـ/1844م، ونشأ في بيت علم وزاوية من الأب والعم والخال، ثم جلس للتدريس بزاوية البكري وكان متمكناً من العلم إلى درجة أنه كان يُخَيَّر السائل "أتريد الوثيقة نظماً أم نثراً"، كما خَلَف تراثاً ضخماً من الكتب جمعها في ديوان من 4 أجزاء، منها قصائد في مدح النبي (ص) وتأريخاً لأوضاع توات خلال القرن 19م، ورداً على

¹ . الجوزي عبد الرحمن، القاضي الشهيد سيدي محمد عبد الكريم...، المرجع السابق، ص 93
² . الجوزي عبد الرحمن، إمام وقائم على خزانة آل الجوزي للمخطوطات، الشهادة نفسها

كتابات بعض علماء الجزائر حول الاستعمار الفرنسي، وقصائداً في الطب والحكم والنصائح وحتى الشاي، ومخطوط في مناقب سيدي محمد البكري... وغيرها، توفي ودُفن في الزاوية البكرية سنة 1339هـ/1921م¹.

وكان من بين الفقهاء والعلماء الذين سَخَّروا أقلامهم لمواجهة السياسة الفرنسية، فقد أبدى تحفظه من الكتب التي كانت تروج لها فرنسا تمهيداً لتغلغلها وغزوها للمنطقة، حيث أول ما وصلت إليه كتابات محمد بن مصطفى الخوجة الجزائري سنة 1898 وكانا منها كتابين بعنوان "تنوير الأذهان في الحث على التحرز وحفظ الأبدان"، و"الاكتراث في حقوق الإناث"، وهما كتابين يمجدان سياسة الحاكم العام الفرنسي (جول كامبون)، فرد عليهما الشيخ البكري بملاحظات في ديوانه تحت عنوان "الرد على بعض علماء الجزائر لما وقف على تأليفين من تأليفهم جبر الله صدعهم"².

وكان مما جاء في رد الشيخ البكري استنكاره التودد إلى الكفار، مبيناً مفاصل الاحتلال الفرنسي من جهة، ومنكراً تعظيم الدولة الكافرة التي تحتل أرض الإسلام من جهة أخرى، كما لام في ملاحظاته علماء الجزائر الذين ادَّعوا السير على نهج الشيخ عليش المصري المالكي، وأبدى موقفه في نوازل في فصل الجهاد، وهذا رد صريح على نازلة قورارة سنة 1893 التي كان هدفها منع الهجرة والرضا بالمحتل الفرنسي³؛ كما كتب هذا الشيخ عن استعدادات الفرنسيين لاحتلال الصحراء الجزائرية، وأبدى تخوفه من ضياع توات لولا أن يتولاها الله بأمره، وبكسر شوكة المحتل عن طريق فئة مجاهدة وبحرز من الله⁴.

3. دور الموروث الشعبي المحلي:

¹ . عبد الله بابا، "موقف الشيخ البكري بن عبد الرحمن التواتي من كتابات محمد بن مصطفى بن الخوجة الجزائري سنة 1898"، مجلة عصور الجديدة، مج10، ع2، جوان 2020، ص ص 277-293

² . عبد الله بابا، الزاوية البكرية...، المرجع السابق، ص 227

³ . نفسه، ص 228

⁴ . البكري بن عبد الرحمن التتيلاني، الديوان، الخزانة الأثرية، زاوية سيدي البكري تيمي، ع/ط عبد الله بابا، أدرار الجزائر، ص 351

ما يلفت الانتباه كذلك في مقاومة قصور توات، أنهم كانوا يتميزون بتنوع أشكال ومظاهر التراث الثقافي الذي كانوا يبدعون فيه منذ قرون فما بالك لما عانوا ويلات الاحتلال الفرنسي، والأزمة تلد الهمة، فقد كان الموروث الشعبي الشفهي والمخطوط أحد أهم الأسلحة الثقافية التي يجيدها الناس في تلك البقعة النائية، حيث وظف شعراء وخطباء وكتّاب المنطقة موهبتهم في تدوين أحداث الغزو والمقاومة، وعبروا من خلال تلك الصور عن مواقف السكان من المحتل وما كانت تجيش به الصدور اتجاهه، وفي هذا المجال نجد قصائدهم الشعرية التي لا زال صداها يتردد إلى اليوم، وكتاباتهم وخطاباتهم النثرية وإن شحت، كان فيها للمقاومة مساحة كبيرة تثير الإعجاب وتجذب أنظار المهتمين والباحثين لتسليط الضوء عليها.

1.3. أدب المقاومة:

لقد كانت لمعارك المقاومة المحلية دور بارز في تحريك أشجان ومشاعر شعراء المنطقة، فمنهم من شارك بجهاده وخاض معترك المعارك بنفسه، ومنهم من تفاعل إيجاباً وخلد أحداثها بأشعاره سواء كانت دارجة أو فصيحة، ونجد في هذا المقام عشرات القصائد المخطوطة في رفوف الخزائن المحلية لأمثال: الشاعر البكري بن عبد الرحمن التتيلاني والشاعر الحاج محمد عبد الرحمن السكوتي¹ والشاعر سيدي حمزة بن أحمد بن أحمد مالك القبلاوي² (1840-1916)، والشاعر عبد النبي بوتقي (1860-1920) الذي شارك في المعارك بنفسه وكان كالناطق الإعلامي عن المقاومة في ملحمة إينغر، حيث نجده يدافع عن المجاهدين رغم انكسارهم في معركة الدغامشة 05 جانفي 1900 فيقول:

¹ عبد الرحمن السكوتي: فقيه وشاعر من قبيلة أولاد ملايخاف وُلد في قصر ساهل أقيلي حوالي 1285هـ، خاله الشاعر الحاج حمزة بن أحمد القبلاوي، مؤلف كتاب الجوهرة وله عدة قصائد منها ما هو أرجوزة في علم الفرائض والمنطق والنحر، وفي مدح الشيخ أحمد التيجاني، وعن معركة إينغر 1900، كما سافر وكان له دوراً كمصلح في ورقلة وعين صالح ضد الشعوذة والخرافات، توفي في الحجاز سنة 1333هـ/1911م. ينظر: محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج1، المرجع السابق، ص ص 240-247

² حمزة بن الحاج أحمد القبلاوي: وُلد سنة 1256هـ/1840م في ساهل أقيلي، كان عالماً وشاعراً ومفتياً وقاضياً حتى وُصف بعالم توات والصحراء، وكان من رجال المقاومة في جهة تيديكلت بسلاحه ولسانه وقلمه، إلى أن لقي ربه في أولف سنة 1335هـ/1916م. ينظر: مبارك جعفري، معجم أعلام توات، المرجع السابق، ص ص 149-151، ينظر: الملحق 16 ص 410

الغلبة ما هيش عيب، عيب الاستدبار... هذه خلقت في عهد النبي احراك* حنا
 لكن المكتوب وبين نهرب من القدر... لا بد نصرفوا هذا الشي دراكنا¹
 وتصويراً لمعركة إينغر الأولى 25 يناير 1900 أشار إلى محاولات الفرنسيين الأولى حيث
 طلبوا من الناس الخضوع والاستسلام، فقال:
 أبعث بوشاطورة يدور التسيار... واحلفنا باليمين لا صارت منا²
 ثم لما اشتعلت المعركة التي انتهت بهزيمة وفشل الفرنسيين في اقتحام القصر قال:
 اطلع فوق العرق واقذف النيران... تسمع حس الزهير عند الحنانا
 من نصف الليل إلى غدا في نصف النهار... صار القرطاس بينا عامل مزنا³
 ضربناه من البعد ورجع على الأدبار... ومشى غضبان مسود المغبنا⁴
 ثم يؤرخ لمعركة إينغر الثانية 19 مارس 1900 ويعطي معلومة قيمة عن خسائر العدو الذي
 لطالما بالغ في تضخيم خسائر المقاومة وتحجيم أرقامه وضحاياه، فيقول الشاعر بوتقي:
 أقتلنا من العدو ثمانين أخيار... وعسكر وسويرجان شي ما سولنا
 وارقد موتاتو فوق ببيان النجار... ودفنهم قبلة عين صالح جبانا
 إذا كذبتو شوفوا ما عملت الأصقار... جعلنا منهم مقبرة في وسط نخيلنا
 هذه العملة راها شاعت في الأبرار... وراهم ضربوا بها المثل نوبة مزغنا⁵
 ويذكر لنا أيضاً الشاعر حمزة بن الحاج أحمد الأقبلاوي إحصاءً لقتلى الفرنسيين فيقول:
 ستاً وخمسين أهدوها إلى سقر... موتى يلقون في الجحيم خسرانا

* كلمة دارجة تعني: فما بالك

1. مبارك جعفري، "الشهيد مولاي عبد الله بن مولاي العباس الرقاني..."، المرجع السابق، ص 155

2. مولاي التهامي غيتاوي، لفت الأنظار...، المرجع السابق، ص 115

3. نفسه، ص 115

4. عبد القادر بويه، صفحات من تاريخ الصحراء...، المرجع السابق، ص ص 78، 79

5. نفسه، ص 83

ومن بقي كلهم كلمى بنتناهم... يجرعون من الآلام أحزاننا¹

وبخصوص تلك المجزرة البشعة التي خلفها الفرنسيون من خلال قصفهم المدفعي للقصر ببشره

وحيواناته وحجره، قال الشاعر عبد النبي بوتقي عن ذلك المشهد المؤلم:

واطلع فوق العروق وانصب آلات الدمار... ودقق البروج تحت منها خرجنا

من البكرة إلى غدا في شو النهار... هو القرطاس بينا عامل مزنا

ماتت الأطفال مع النسا وشيوخ اكبار... بالجملة في احفير راها مردومة

وين جوامع وين خمسات التـكرار... وين قصابي واش فيهم من خزنة

عادوا كاملين في يد الاستعمار... وهداك اللي اكتب علينا مولانا²

وأما الشاعر محمد عبد الرحمن السكوتي فقد صوّر معركة إينغر سنة 1900 تصويراً فصيحا ولا

أبلغ، في قصيدة من ثلاثين بيتاً قال في بعض المقتطفات منها:

يا أهل إينغر للسماء مجدكم... سما وصيتكم يعلو وينتشُرُ

لله دركم بعتم نفوسكم... من الإله بجنة لها خطُرُ

فحبذا ذاك من بيع وعاقده... وحبذا ثمن قد ساقه القـدر

جاهدتم بنفوسكم وأموالكم... في الله لا مسكم أذى ولا ضرر

طوبى لكم حزتم الرضوان الأكبر... من إلهكم معه مفاخر آخر

ويقول أيضاً واصفاً العدو الفرنسي:

رمت حماهم كلاب الروم من سفه... فحاق بالروم ما راموا وما مكروا

راموا خزايا حيارى يحملون على... أكتافهم جيّفاً مأواهم سقرُ

فالأرض من دم كلما هم ملونة... كما بقتلاهم ملئت حـفرُ

¹ . محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج1، المرجع السابق، ص ص 233-235
² . عبد القادر بويه، صفحات من تاريخ الصحراء...، المرجع السابق، ص ص 82، 83

قل للكوافر أن نظمت حيلة... فأهل إينغر قبل نظمكم شعروا
وأن جمعت عليهم جنود الردى... فجمع ذا اللف بالتفريق ينتشر¹
ونجد أيضاً الشاعر حمزة بن الحاج أحمد بن امحمد مالك الأقبلاوي يمجّد ويفتخر بما حقّقه
المقاومة في إينغر، فيقول في جزء يسير من قصيدته:

يا أهل إينغر يا أنصار دين الهدى... حزتم جميعاً أعز الفخر والسودا
مرابطكم وعربكم بأسرهم... كذا مواليكم يا ناصرين الهدى
إخواننا يا حماة الدين فليهنكم... نصر من الله دائماً لكم أبدا
نصرتم ملة الإسلام بشرى لكم... أنصار دين الرسول المصطفى أحمد
دفعتم بمدافع مؤيدة... رגיעها يحتف العدا إذا غرد
بيّضتم وجه أهل الدين بعد نضوبه... كما بكم اسودت وجوه العدا²

وأما الشيخ البكري بن عبد الرحمن التتيلاني الذي كان شاهد عيان عن مرحلة الغزو الفرنسي
 للمنطقة، وشارك في بعض معاركها، فقد كتب قصيدة رثاء على سقوط توات قال في بعض أبياتها:

ربّ إن فرانس الكفر جاروا... في توات وجازفوا بفساد
ختلّوا قتلوا وصالوا ونالوا... وأضلوا وخاطروا بعناد
خوفوا أمةً توحّد رباً... واحداً أحداً بلا أضداد
ثم يؤيد ويدعو للمقاومة فيقول:

إن تسلط عليهم أمة الكفر... بجورٍ وحبوب وبِعاد
فعلى المشركين فاردد لهم كراً... تهم أبداً وطول الآماد
وعلى كل من يواددهم من... قطرنا من منافقين شراد

¹ . محمد بن عبد الرحمن السكوتي، مخطوط قصائد شعر، خزانة با عبد الله أولاد أوشن، أدرار الجزائر، ص 12
² . حمزة بن الحاج أحمد الأقبلاوي، مخطوط قصائد شعر، خزانة با عبد الله أولاد أوشن، المصدر السابق، ص 5

ربّ إن تهلك أمة المصطفى لم... يبق في الأرض مومن ذو رشاد¹

وعن معركة أهل المطارفة 29 أوت-05 سبتمبر 1900م مادحاً إياهم قال:

الله در عصابتي باعوا النفوس... من الإله بجنة الرضوان

أهل المطارفة والسواهل والبر... بر قد أتوا الأبطال والشجعان

فتقدموا لما تلكاً غيرهم... لجهاد عباد الصليب ألوان²

ونجد له أيضاً من أهم النصوص النثرية المخطوطة التي سجلت حضورها مع المقاومة الشعبية وحالة توات في ظل الاحتلال الفرنسي، حيث يبدأ نصه بالبسملة والحمدلة والصلاة والتسليم والتمهيد، ثم يقول: "... أما بعد، فقد تجدد على هذا الإقليم التواتي، ما كان يخاف عليه منه قبل الآن، وهو تهافت طاغية الفرنسيين عليه لعنة الله، بالعدد والعُد، والأزل والذل، والقتل والأسر، بعام سبعة عشر وثلاثمائة وألف، في طرفه الجنوبي الذي هو عين صالح، ثم في طرفه الشمالي في هذا العام الثامن عشر..."، ثم يضيف معبراً عن موقفه من الاحتلال والمقاومة: "... فلما كان ما كان وانتدبت عصابة من هذا الإقليم لرد الكفرة المذكورين فلم تكن عاقبة، لا والله قد ضمن العاقبة للمتقين، فإننا لله وإنا إليه راجعون على ما حدث من هذا الحادث العظيم الذي احترقت منه الأكباد، لولا التفويض والتسليم لرب العباد، وقد رضينا بقضاء الله في هذه الحادثة لإخواننا المسلمين من القتل والأسر وضياع الأموال، وما رضينا بالمقضى به لهم وهو الولاية الكفرانية، لأن الرضا بالمعصية ومعصية وبالكفر كفر..."³

كما نجد المؤرخ المحلي محمد بن عبد الكريم البكري من الكتاب النادرين الذين أرخوا لأحداث منطقة توات خلال الوجود الفرنسي، وأعطى بذلك كرونولوجيا تاريخية بأسلوبه الخاص دون أن يميل للفكرة والمنظور الفرنسي، حيث وضع فصلاً في مخطوطه (درة الأقاليم) موسوماً بعنوان "ذكر الوقائع

¹ . البكري بن عبد الرحمن التتيلاني، مخطوط القصيدة الشعرية، خزانة آل البكري تمنطيط، أدرار الجزائر، ص 9

² . الحاج الطيب بن عبد الكبير، الأضواء الساطعة...، المصدر السابق، ص 120

³ . البكري بن عبد الرحمن التتيلاني، الديوان، المصدر السابق، ص ص 328، 329

وتولية الحكام في عهد الدولة الفرنسية وغيره"، ركز فيه على الأحداث المحلية المتعلقة بالقياد والأعيان وحركة العلماء والفقهاء، كما تطرق لبعض مظاهر السياسة الفرنسية في المنطقة مثل تأسيسها لأول كنيسة بأدرار سنة 1940، وتنصيبها للقضاة بأوامر فوقية، والطاعون الكبير الذي قتل خلق كبير خلال سنة 1947، وذكر أنه تعرض لضغوطات كبيرة من الحاكم الفرنسي من أجل تولية القضاء لكنه رفض ذلك¹.

وأما عن المقاومة الثقافية الإصلاحية نجد مثلاً للشاعر الحاج محمد عبد القادر بلعالم القبلاوي² (1881-1953) قصائداً في العقيدة والإصلاح الديني، ساهم من خلالها في التوجيه والإرشاد ومحاربة البدع والخرافات، حتى أن له أرجوزة من 295 بيتاً تنهى عن عدة منكرات ومظاهر اجتماعية سلبية تفشت في المنطقة، يقول في بعضها:

أهل زمني اشتغلوا يا حسرتي... بكل فاعل جالب للبدعة

يتخذون قبة للاصطياد ... يحضرها أهل الضلال والفساد

ويأخذون مال غيرهم بها ... ظلماً حراماً واعتتوا بشأنها

ويقول في جزء آخر ناهياً عن حضور النساء في الملاهي والمراقص عند زيارة الصالحين:

إن الرجال والنساء يجتمعون... ويسهرون في الملاهي يلعبون

عند زيارة المشائخ الكرام ... سادتنا نهاهم خير الأنام

عن كل فعل حادث مخالف ... للشرع فاسمع وتنبه واعرف

والأوليا لم يأذنوا لهم بما ... قد فعلوا حقاً يقيناً فافهما

¹ محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأقاليم...، المصدر السابق، ص ص 52-60

² الحاج محمد عبد القادر بلعالم القبلاوي: من مواليد سنة 1298هـ/1881م بقصر ساهل في أقبلي، لازم منذ صغره جده سيد المختار بن سيدي أحمد العالم، والحاج حمزة القبلاوي والشيخ السكوتي، فنال حظاً في علوم الفقه والنحو والفرائض والعروض، كما كان يقرض الشعر كثيراً فله قصائد في العقيدة والإصلاح الديني من خلالها ساهم في التوجيه والإرشاد ومحاربة البدع والخرافات، حتى أن له أرجوزة من 295 بيتاً تنهى عن عدة منكرات ومظاهر اجتماعية سلبية تفشت في المنطقة، وصل صداه وتأثيره إلى عين صالح والمنبعة وورقلة، توفي سنة 1372هـ/1953م. ينظر: محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج1، المرجع السابق، ص ص 249-254.

معهم النساء معطرات ... ومفتنات متزينات

بالحلي واللباس والشيطان ... بينهم يضحك، يا رحمان

أجرنا من بلائه وفتنته ... بجاء أحمد النبي وعترته¹

كما يمكن إدراج أدب الرسائل وما ورد فيها من أخبار ومعلومات ومواقف ضمن الاهتمامات البالغة الأثر، التي كانت تؤرخ للمقاومة المحلية وتلهم الناس والأجيال المتعاقبة على الحذو حذو أولئك الرجال. وفي هذا الباب مثلاً نجد التواصل عبر الرسائل بين الفقيه الأديب والشاعر سيدي محمد الطيب السعدي (ت 1327هـ/1909م) الذي كان متواجداً بأولاد سعيد، وعمه القاضي الأسير المتواجد بقصر الشلالة بتيارت، حيث كان يزوده بأخبار البلاد والعائلة، ويشدد عضده بجرعات من الدعم المعنوي وطمأننته بخصوص التكفل بأولاده واصطبار زوجته.

فقد جاء عنه في رسالة إلى عمه بتاريخ 1323هـ/1905م: "... وبعد: قال لك الأولون المذكورون -بارك الله فيهم وسدّد رأيهم وكثّر خيرهم- أنّهم اختبروا الزوجة وسيرتها وما هي عليه؛ فوجدوها مطمئنة القلب من جانبك، لا تخف من جانبها ولا تحزن ولا تحرّ في أمرها، فهي مقيمة بدارك، صابرة لقضاء ربها بطيب نفسها، وكن هنيئاً عليها أكثر الله خيرها، ورقمتُ ذلك بحضرتها معهم ومع البركة السيّد أحمد بن البركة السيّد الحاج محمد الصالح وولدك يوسف كلّنا في مجلس واحد، فإله يسهل الصعب ويُفرج الكرب، ويجعل الخيرة فيما اختار، وكُنّا كذلك أنت أبونا ونحن لك بنين، تعطف علينا كعطفة الأب على ولده، وإن سألَت عَنّا كما كُنّا نسأل عنك؛ فنحن على خير وعافية، ونعمة صافية، وعسى أن تكون كذلك، ولا يخصُّنا إلا النظر في وجهك العزيز علينا، والله العزة ولسوله وللمؤمنين..."²

1. محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج 1، المرجع السابق، ص 250

2. محمد الطيب بن محمد فتاح الجوزي، رسالة إلى عمه الأسير محمد عبد الكريم بن محمد عبد الله الجوزي، خزانة آل الجوزي للمخطوطات، قصر أولاد سعيد، تيميمون الجزائر

وكان رد الشهيد محمد عبد الكريم من سجنه برسالة عليها خاتم القائد بوديسة بن الحاج بن عودة قائد عرش أولاد أحمد الرشايفة بتيارت، بتاريخ ربيع الثاني 1324هـ/1906م، مبرراً له عدم ذكره في كتاباته السابقة، ومبلغاً له سلامه وأخباره لكل العائلة وأهل أولاد سعيد وتاسفاوت، داعياً له بالخير وبإيصال الخبر والسلام للجماعة، ومبدياً في الرسالة رباطة جأشٍ وصبرٍ حتى يأتي الله بالفتح أو أمرٍ من عنده، على حد قوله¹. وفي هذا السياق سبق وأن أشرنا إلى أن الشيخ سيدي محمد بن بوزيان البكري كان يتراسل مع والده وخاله سيدي محمد بن سيد البكري يعلمهم بتوجهه إلى عين صالح وجهاده وسلامته في معركة الدغامشة، بل ووصف بعض أحداث ومجريات المعركة وأعطى معلومات عن الضحايا والمشاركين فيها من تيمي، وهو بذلك مصدر محلي كان شاهد عيان وصانع للحدث في نفس الوقت².

2.3. الموروث الزناتي:

كما لا ننسى أن الموروث اللامادي الذي تتميز به منطقة توات وعلى رأسها "الأهلil" في قرارة وأغاني وقصائد "الطبل والحضرة والبارود"، كان له دور في مقاومة الاحتلال الفرنسي وفي تمجيد بطولات وأحداث المقاومة المحلية فريدة كانت أو جماعية؛ فالمنتبع لرقصة البارود مثلاً يلمس مدى تعلق الإنسان التواتي بالمقاومة وافتخاره بها، ونفس الشيء مع هيام الأهلil حيث تستشعر فيه ذلك الحزن والأسى والرتاء والبكاء على الأطلال التي تسبب فيها الاستعمار، فمنطقة توات وقصورها تعج بالتدوين الشفاهي المقاوم للاستعمار الفرنسي والموروث من جيل إلى آخر، في سلسلة مقاومة ثقافية فريدة من نوعها من السلف إلى الخلف، لا تزال مجالاً خصباً للبحث ولفك طلاسمها مثل فن الأهلil القوراري.

¹ . محمد عبد الكريم بن محمد عبد الله الجوزي، رسالة إلى ابن أخيه محمد الطيب بن محمد فتاح، خزانة آل الجوزي للمخطوطات، قصر أولاد سعيد، تميمون الجزائر
² . البكري محمد بن بوزيان، رسالة من معركة إينغر، المصدر السابق

والأهلِيل فنّ شعري من التراث الأمازيغي اللامادي¹ الذي تتميز به جهة قورارة، إذ أننا لا نجده في منطقة سواها، وهو بالنسبة للبعض مأخوذ من لفظة "أهل الليل" لأنه لا يمارس إلا ليلاً، وبالنسبة للبعض الآخر يروونه مرتبطاً في تسميته بالإسلام حيث يعتبرونه من "التهلِيل"، ومن جهة ثالثة هناك من يرى فيه صلة باللغة السامية فتعني كلمة "تِيهِي ليم" أي: المزامير، ويُجز الأهلِيل بأسلوب احتفالي جماعي ليلاً؛ حيث يشكلون حلقة يتوسطها شاعر يغني منفرداً يسمى (أبشنيو)، وعازف ناي وضارب طبل أو حجر، ويردد الجميع الغناء متراصين الكتف للكتف وبصوت واحد، مع ضرب الأكف بالأكف وبنفس الإيقاع².

والحقيقة هذا الفن يعج بحكايات وابتهالات عن: الدعاء والمغفرة، الحب والموت، الأطهار والأنجاس، المقدس والمدنس، وأحداث محلية وملاحم وصراعات ومبادئ وقصص معارك لا تُنسى³. ويتضمن الأهلِيل ثلاث فترات زمنية متتابعة، تبدأ السهرة بما يسمى بـ "المسرح"، وهي مرحلة تمهيد روحاني بذكر الله ونبيه المصطفى والأولياء الصالحين، والزمن الثاني يدعى "الأوقروتِي" يتم فيه التذكير بأمجاد الماضي وملاحمه البطولية، وأحياناً يتغنى فيه بقصائد الغزل والشباب، أما الزمن الأخير فيسمى بـ "الثرا" وفيه ترفع قصائد التوبة والاستغفار، وفي منطقة قورارة خمس مدارس للأهلِيل وهي: مدرسة تيميمون، ومدرسة قصور أولاد سعيد، ومدرسة قصور أوقروت، ومدرسة قصور شروين، ومدرسة قصور ظلمين⁴.

وما يلفت الانتباه في هذا التراث أنه بقي متوارثاً بالمشافهة من جيل إلى جيل، وإلى حد الآن لم يعثر الباحثون لأشعاره على أي أثر مكتوب في مخطوطات وكتابات المنطقة، لكنه رغم ذلك فهو

¹ . تم تصنيف الأهلِيل في نوفمبر 2005 في منظمة اليونيسكو كتراث عالمي شفوي لامادي، وتم إنشاء مهرجان وطني سنوي له من طرف وزارة الثقافة بموجب مرسوم مؤرخ في أبريل 2006. ينظر: M'hamed Selkh, **Timimoun La Mystique**, Op.Cit, p.15

² . جولي أحمد وآخرون، دليل مهرجان أهلِيل نشيد قورارة الأزلي، دار الثقافة الجزائر 2012، ص 25

³ . M'hamed Selkh, **Timimoun la Mystique**, Op.Cit, p.15

⁴ . جولي أحمد وآخرون، دليل مهرجان أهلِيل...، المرجع السابق، ص 28

كأسلوب ثقافي ساعد على حماية خصوصية المنطقة في بعض مقومات شخصيتها، حيث نجده يركز على الطابع الاجتماعي والجانب الروحي، ويمزج بين اللغتين الزناتية والعربية، كما أنه يمكن التفريق فيه بين نوعين منه: القصائد الملحونة التي تصاحبها الرقصات تسمى "أهلِيل"، أما القصائد وحدها دون تلحين أو رقص فتسمى "أزلوان"، لكن هذا النوع الأخير قد يصبح "أهلِيل" بمجرد تلحينه وممارسته عزفاً ورقصاً.

وقد حضرت يوم 20 أبريل 2024 ندوة علمية بتيميمون في إطار النسخة الـ 16 من مهرجان الأهلِيل، فسمعتُ ذكراً لنوع آخر من الأهلِيل يسمى "تيفقيرين أو تيفكيرين"، ومما فهمته أنه قصائد حزنٍ يتم التلحين بها رثاءً وتأبيناً وتخفيفاً، أو بوصفٍ آخر فنٍّ للعزاء والمآتم¹. كما أن هناك نوعاً يسمى "تاقربت" الفرق بينه وبين الأهلِيل أن هذا الأخير أكثر جدية وتتم ممارسته وقوفاً وفي مكان عام في أغلب الأحيان، وعدده محدود يتراوح بين 60 و100، في حين "تاقربت" يحتفل به جلوساً في الأعياد الدينية في الداخل خلال المهرجانات المحلية، ناهيك عن الاختلاف أحياناً في الألحان والنصوص، لكن كلاهما يتم أدائهما في الليل؛ وقد تمكن مولود معمري من إحصاء 46 عنوان للأهلِيل و23 آخر للتاقربت، والصيغ فيهما متنوعة زناتية وعربية².

وبالرغم من كون معظم قصائد الأهلِيل مجهولة المصدر يتم تداولها منذ ما قبل القرن 14م، إلا أن هناك بعض الأسماء المعاصرة التي ذكرها مولود معمري في بحثه مثل: مولاي لحسن من شروين صاحب رائعة (أرسول أسيدي)، ولالة مريامة صاحبة مقطوعة (صلى الله عليك أسيدنا)، وسيدي موسى أوالمسعود وابنته لالة ديمة، والمغنية الشهيرة دادا حسة التي توفيت سنة 1956، ولذلك فقد كان لذلك التنوع الكبير في رواة ومؤلفي هذا الفن سبب مزدوج، أدبي له علاقة بالتعبير عن الأفكار

¹ . مولاي عبد الله اسماعيلي، الخصائص الفنية لتيفقيرين من خلال شيوخاتها (الشيخة نأ فانة الزهراء أنموذجاً)، النسخة الـ 16 من مهرجان أهلِيل، مديرية الثقافة بولاية تيميمون، تيميمون في: 2024/04/20

² . Mammeri Mouloud et Al, **Le Gourara: éléments d'étude anthropologique**, Libya N° 21, C.R.A.P.E, Alger 1973, p.259

الشخصية للمؤلف، وبسبب إدراج فقرات تتعلق بأحداث تاريخية يتم التذكير بها لفترات طويلة جيلًا عن جيل¹. وهذا ما يهمننا في الأهلil كموروث شعبي تاريخي وتأريخي.

ولأنني لم أجد من سبقني للبحث في هذا السياق فإنني سأورد بعض صيغ الأهلil التي تطرقت للمقاومة الشعبية على شحها وقلتها، وخاصةً أنها مروية من المأثور الشفوي الذي يكاد يندثر برحيل كبار السن، وكان حصولنا على هذه المقطعات التراثية التي تعتبر مقاومة أدبية غنائية، أشبه باكتشافنا لكنز مدفون كاد يصدأ بالإهمال وعوامل الزمن، وللإشارة فبعضاً مما ورد في هذا الشعر الثوري الزناتي له حقاً ارتباطاً وعلاقة تاريخية بأحداث معارك المقاومة المحلية، والدليل في معلومات ومعاني كلماتها التي وجدت فيها من التطابق والإسقاط التاريخي ما يؤكد صدقها ومصداقية رواتها، ومن تلك المظاهر والصيغ الزناتية نذكر الأمثلة التالية:

"النّا جا بنت مولاي عبد الحي ادريس" شاعرة زناتية من جهة شروين، لها مرثية عن ابنها بعد استشهاده في معركة شروين 1901م، وفي نفس الوقت تهجو فيها فرنسا بشعرٍ من الأهلil تقول فيه:

العام نسقاسو ادغني جران انتاري

قالو اين ايجران قاعمي سالم اسوا سلنت أربي لقبابل، ويلي ويلي

واد داونكي ويعليم فالعيب نغ بلاشم اموكا عقابة الطيور

اتاتفد اكزماون تاتفد تيمصراي تبيد سيسنت اسيداون

وكالين الحلوف سالوبار يسكن في لجحيم

العبد الكبير ادغا نزلن اتبين قالوكر

اديجا لغبن ادينزل البركة قالهري نو اتخليد البيرو الود نفرانفسا اتمطام قمكان²

¹ . Mammeri Mouloud et Al, **Le Gourara...**, Op.Cit, p.260

² . عبد الله سيدي عمر، الموروث الشعري بالزناتية، شروين -تيميمون، يوم 2021/03/17، التوقيت: 17:00 مساءً، مقابلة شخصية

الترجمة¹:

الذي حدث لنا نكتبه على الألواح، ثم الألواح
الذي جرى لعمي سالم، يا ويلي يا ويلي
لم يسبق لأحد قبله أن علم بعبء لنا من غير البومة أرذل الطيور
يقتحمون مخازن رزقنا وبيوتنا ويأخذون خرافنا
أكلي لحم الخنزير سالوبار مئواهم جهنم
إن شاء الله قبل العيد الكبير، يا رب
يعود المجاهدون الأسرى إلى بيوتهم سالمين
ويذهب الغبن (فرنسا) وتنزل البركة وتصبحون بدون (فرنسا).

التعليق:

هذه القطعة الشعرية الزناتية تتكلم على أحداث ما جرى لأهل شروين، وعن أحد الأسرى الخمس
الذين اشترط (سيرفيار) اعتقالهم ضمن عقوباته على قصر شروين الذي احتضن رجال المقاومة،
ونلاحظ بلاغة اللغة ولو كانت غير عربية، خاصةً حينما تقول "الذي حدث لنا نكتبه على الألواح"،
وكأنني بها تمجد الحدث إلى درجة التقديس، كما أنها وصفت شيئاً من السياسة الفرنسية وذكرت أنهم
كانوا يقتحمون بيوتهم ويصادرون أملاكهم؛ وللإشارة فقد تمتت صاحبة هذه الأبيات عودة المعتقلين
قبل عيد الأضحى، وفعلاً حينما وقعت معركة شروين في مارس 1901 كان يوافقها من التاريخ
الهجري ذي القعدة 1318هـ، بما يعني أن عيد الأضحى لم يكن يفصلهم عنه سوى شهر أو أقل.

وهذا مقطع زناتي آخر لأحد شعراء المنطقة يقول فيه:

تقنن تاعمامت تقن تابريط أيد فسليقان صحن إيتعاسان سلكابوس نفرنسا صار حتيي تنيم

¹ . حاج حمو محمد، أستاذ في التعليم المتوسط، ترجمة المقطع الشعري الزناتي، أجدير الغربي شروين -تيميمون، يوم 2021/03/23، التوقيت: 13:20 زوالاً، مقابلة شخصية

يواتنغد اربي إن شاء الله، وتخليد البيرو اتخليد الواد نفرنسا، اد مطان اقمكان وكالين الحلوف الصالوبار يسكنو في الجحيم، نهار الخميس اوليغ اجنا ماتينغ توبا تفغد سالبيتس عينيها كابوس ويتينان أيد رومي، واتجيج تارا أولاد مي تلاقالير نالوميان... أنجمع غلقابيل¹.

الترجمة²:

يربطون العمامة ويربطون الحلي فوق رؤوسهم
حارسان يقومان بالحراسة بأسلحة الفرنسيين
أعطوني الحقيقة، قلتم لا نموت إن شاء الله
حتى نقوم بالهجوم على الفرنسيين في أوكارهم بضربة واحدة،
لا يوجد لديك القسم يا صالوبار ساكن الجحيم.
يوم الخميس صعدت إلى الأعلى حتى خرج من بيته
ورأيت السلاح حتى قالوا إنه فرنسي
لم أتركه حتى ألقاه خارجاً...، لنجمع القبائل للقضاء عليه.

التعليق:

هذا المقطع الشعري لم نعثر له على قائله، ولكنه موروث زناتي في جهة شروين التي وقعت فيها معركتين في شروين وأخرى في ظلمين سنة 1901، وفيه وصفاً لرجال المقاومة الذين كانوا يتزينون عند خروجهم للمعركة بأحلى وأجمل وأنظف الملابس، لأنهم متأكدين بأنه إذا تعذر النصر فالشهادة ولقاء الله يستحق تلك الزينة، وفي كلمات القائل يبدو أنه كان يخاطب ويعاتب أحد رفاقه، وهو في قمة الشوق والجاهزية للقاء أي فرنسي أو مهاجمتهم في مراكزهم وحصونهم، وهو ما يفهم من

¹ . اسماعيل عبد الحفيظ، أستاذ التعليم الابتدائي، الموروث الشعري بالزناتية، شروين تيميمون، يوم: 2021/03/06، التوقيت: 21:25 ليلاً، مقابلة شخصية

² . عبد العزيز رشيد، أستاذ في التعليم المتوسط، ترجمة مقطع شعري زناتي، ظلمين تيميمون، يوم: 2021/03/20، التوقيت: 16:24 مساءً، مقابلة شخصية

هذه الأبيات أن أهل المنطقة كانت مواجهة العدو في نظرهم شرف وشجاعة منقطعة النظير .
وعن اعتقال قاضي أولاد سعيد الشيخ سيدي محمد عبد الكريم بن محمد عبد الله بن الجوزي،
وهو الذي أفتى بالجهاد في المنطقة وشارك في معارك المطارفة 1900 وتيميمون وشروين 1901،
وصودرت أملاكه وأحرقت كتبه وخزائنه، وأُسر ثم حُوّل إلى الأغواط ثم إلى تيارت حيث حُكم عليه
بالإعدام، ونُفذ فيه سنة 1328هـ/1910م، فقبل فيه شعراً زنائياً من أحد شعراء الأهل في المنطقة،
يقول في مقطعه:

جيج غا ربي الخلق اد لعدو ننبى... يوي لعلامات البروج وانتخلفغ
سيدي الحاج العالم قودهمان إنضا انص... يضمن دا ملال أددول غا طاعوانس
أديفاو أدهمان يوصلد آتور آل نش... فانا اد يامينا، أتصبحاي لمشمعات
سالما دلهاني، أدقمنت اسوسان... امباك سيدي يوسف، أد الباركت حاضرا
إضمن إديوسو بابنك، ميتسولد أعليه... شدي الركاب أمومنة، أدلجيران لوالفخت
تسبق لمحبت، لنزدي طاعو... سيدي بابكو، سيدي عبد الرحمن
لنتصم، نغ لتزريم، نغ لتغيم أنوسان¹

الترجمة²:

تركت لرب الخلق من كان عدواً للنبي... حاملاً أعلام البروج لن أكون مثلهم
سيدي الحاج العالم في قصر أودهمان... وضع نصف ثروته راجياً بخيرها لذريته
أضأت أودهمان ووصل النور أيضاً... إلى فاطمة ويمينة قرورتين جميلتين ومغلقتين
سالمة والهاني تكبران ومبارك... سيدي يوسف صاحب البركة الحاضرة

¹ . الجوزي عبد الرحمن، القاضي الشهيد سيدي محمد عبد الكريم...، المرجع السابق، ص 101
² . الفاطمي محمد، دكتور في التراث اللامادي وناظر ثانوية في تيميمون، ترجمة مقطع أهليل حول الشهيد محمد عبد
الكريم الجوزي، تيميمون في 28 أبريل 2024، التوقيت: 10:30 صباحاً، مقابلة شخصية

إذا أتى أباك لا تتكلمي في حضرته... خذي الركاب أيتها المؤمنة بنت جيراننا

المحبة سابقة فينا وذريتنا مشتركة ومختلطة... أسيدي بابكو سيدي عبد الرحمن

ناموا أو عيشوا (خالدين) في ذلك الزمان

التعليق:

هذه القطعة الزناتية من الأهلil فيها من التعظيم والتأبين والتأريخ لحادثة اعتقال قاضي أولاد سعيد الشيخ محمد عبد الكريم الجوزي، ما يثير الاهتمام والأحاسيس الجياشة التي لا يزال أهل المنطقة يتغنون بها، فالشاعر هنا يشكو لله عدو النبي محمد (ص) وهو يقصد بذلك النصارى؛ ومتحدّي لهم بأنه سيجمل الرايات خفاقة ولن يكون مثلهم، وضارباً المثل بشيخ قصر أودهمان -الشيخ الجوزي- بأنه ضحى بماله صدقةً ووقفاً لذريته الصالحة، وكما هو معلوم فالفرنسيين صادروا الكثير من أملاكه وبساتينه وربما هذا هو المقصود، وبخيره وصلاحه أضاء القصر ووصلت أنواره إلى اللا فاطمة ويمينة اللتان وصفهما القائل بأنهما قرورتان جميلتان مغلفتان كناية عن العفة والجمال؛ ثم ينهي الشاعر كلماته الزناتية الجياشة بذكره وتبركه بفلان وفلانة ومنهم سيدي يوسف ابن القاضي الشهيد، وناصحاً الفتاة بأخلاق الجلوس في حضرة الأب، وداعياً بالمجد والخلود لأولئك الرجال الصالحين، وطبعاً منهم الشهداء والأولياء عبر الأزمان.

3.3. المخيال الشعبي والمقاومة:

ومن الموروث الشعبي المحلي المتوارث شفويّاً في المنطقة، المخيال الشعبي بمكوناته ومظاهره الأساسية على غرار القصص والحكايا والأمثال الشعبية، بل وحتى الأسطورة والروايات الشفوية التي قد تبدو خيالية نظراً لعظمتها وقداستها حدثاً وسرداً، وهي صورة نمطية نُسجت عن نماذج من شخصيات فذة كان لها دور وتاريخ معين في مواجهة ومقاومة الاحتلال الفرنسي ولو بشكل فردي، فألهمت معطيات أصحابها الزمكانية المجتمع التواتي وأصبحت تراثاً شعبياً يستدعي الفخر والتمجيد

وتجديد النفس النضالي من حين لآخر؛ ورغم أن المصادر المحلية سواء كانت مخطوطة أو مطبوعة لم تشر لهذا الشكل من الموروث الشعبي كمقاومة ثقافية، إلا أننا وبحكم انتمائنا للمنطقة وجدنا أثراً شفوياً متوارثاً من قصر إلى قصر، ومن قبيلة إلى أخرى، وبغض النظر عن مبالغة الناس في سردها إلا أنها في نظرنا نابعة من أحداث وشخصيات حقيقية وليست ضمن الخرافة أو الأسطورة الخيالية.

ومن هذه النماذج ما يُروى عن تلك المرأة التسابيتية التي اتخذت موقفاً شامخاً ضد الفرنسيين تزامناً مع زفافها، وهي "القائمة بنت عبد العزيز بن المهدي بعزي" والملقبة بـ "لاله قامو"، كان والدها عبد العزيز بن المهدي قد شارك في معركة المطارفة 1900 وتمنى ألا تدخل فرنسا المنطقة ما دام حياً فتوفي قبل احتلال تسابيت بأيام فقط؛ وكانت ابنته "القائمة" عروساً في أسبوعها الأول من الزفاف سنة 1901، فلما دخل الاحتلال المنطقة وطلب من الناس الخضوع ورفع رايات بيضاء على المنازل، عبرت "لاله قامو" في قصر برينكان عن رفضها الخضوع بتعليق قِدرًا أسوداً فوق البيت، فلما سُئِلت عن تصرفها ذلك، قالت مقولتها المشهورة: "هذه فرنسا جاءت بوجهٍ أسود، فلا نستقبلها إلا بالسواد"¹.

ومن النماذج الذائعة الصيت ذات المواقف الراضية للوجود الفرنسي، مولاي امحمد بن دغرة تلك الشخصية الغامضة الذي التحق بالشيخ بوعمامة في لدول وصار من المقربين منه، ثم بقي في المنطقة أو كما قيل لنا أبقاه الشيخ بوعمامة كخليفة له، وعاش فترة الاحتلال الفرنسي من الأيام الأولى للغزو إلى غاية الإستقلال، عاش طيلة تلك الفترة بين ظهراي الناس بين قصري أولاد عبو وأقبور، وكان صديقه المقرب منه سي امحمد بن الشيخ طهيري، ومما يذكره الناس عنه أنه كان معروفاً في لدول بكراماته وعصيانه للفرنسيين، حتى أنهم يروون منها أن جنوداً من الفرنسيين ذات مرة أرادوا اعتقاله ومصادرة أشياؤه وأغراضه، فدعا عليهم وتحداهم أن يقدرُوا على الخروج من لدول، فلم تتحرك سياراتهم وشاحناتهم، فلما تركه الفرنسيون وشأنه اشتغلت مركباتهم وغادروا بدونه؛ وللاشارة

¹ . عزيز عبد الرحمن، من أهل قصر برينكان مواليد 1963، موظف متقاعد في بلدية تسابيت (لاله قامو عمة أمه)، شهادة حول لاله قامو، تسابيت أدرار في 2024/08/19، مقابلة شخصية

فهو لم يتزوج قط وعاش أكثر من قرن وتوفي ودفن في دلدول سنة 1967¹، ولا تزال تقام له وعدة سنوية إلى اليوم على أساس أنه ولي صالح.

ومن مظاهر المخيال الشعبي الموروث شفويًا والمتعلق بأوجه المقاومة ضد الفرنسيين، ما ذكر عن فقارة العباس بقصر زاوية سيدي الحاج بلقاسم، في قصة شعبية عجيبة متداولة إلى يومنا هذا، ومفادها: أنه في فترة دخول الاستعمار الفرنسي للمنطقة وبعدما انتهكوا وتعذوا على حرمة مياه الفقارة، ولوثوها بنجاسة جنودهم، وصادروا بعض الفقرات والبساتين، يقال أنهم بعد ذلك أصيبوا بالأمراض وهلك بعضهم في المكان الذي تعذوا فيه على تلك المياه الطاهرة؛ وحتى لو كانت القصة تميل للنزعة الخيالية، إلا أنها شائعة ومتداولة بكثرة في الحكايات والمرويات².

وعلى العموم، ما يمكن استنتاجه: أن قيمة وأهمية هذا الموروث الشعبي الشفوي تكمن في توريث ثقافة المقاومة ورفض الوجود الفرنسي، ولو بتأليف الأسطورة والرواية الخيالية والكرامات حول ذلك، مما يعني في نظرنا أن المخيال الشعبي في توات كان حملاً لعدة أوجه: أوجه حقيقية لها وقائع وشخصيات حقيقية تم الاستثمار في أحداثها وحتى تضخيمها لحاجة في نفس يعقوب، وأوجه قد تكون غير حقيقية أصلاً لكن الهدف منها هو ترسيخ وتوريث ثقافة المقاومة وكره الاحتلال الفرنسي، وكلاهما فنٌّ كان يتقنه أهل توات وله تأثير وقداسة.

رأيي واستنتاج:

ما يمكن استنتاجه أن منطقة توات وبحكم أوضاعها الثقافية وإشعاعها الحضاري، لم يتوانى أعلامها وعلمائها وخطبائها وشعرائها في الدفاع عن خصوصيتهم وأحوالهم الشخصية وروحهم الوطنية، بالكلمة والزواوية والمؤسسات القصورية والتراث المحلي، ولعل من أهم مظاهر نجاح هذه

¹ . المرجع: الموروث الشفوي في دلدول مثل ما ذكره طهيري الحاج أحمد الشيخ، وطلبوي الحاج عبد الحي، وبولاه الحاج عبد الله وغيرهم.

² . محمد الفاطمي، الفقارة نبع وروح، دار ومضة للنشر والتوزيع والترجمة، جيجل الجزائر 2024، ص 59

المقاومة الثقافية خلو القصور التواتية من أي امتداد للثقافة الفرنسية، هذا ناهيك عن الدور الذي لعبته المنطقة ثقافياً في تنقيف وتعليم المناطق الأخرى خارج توات، حيث لا تكاد تجد مسجداً أو مدرسة قرآنية في كل الوطن الجزائري، إلا وابن توات يفري فيه فريه وذلك منذ عهد الاستعمار الفرنسي. ثم ما يلفت الانتباه أن تجد توات تتميز بالتخصص في حماية مقومات الشخصية الوطنية، اللغة العربية والإسلام والأمازيغية وروح الانتماء للجزائر كوطن، من خلال آلاف المخطوطات التي بفضلها لا تزال العائلة والقبيلة والقرية التواتية محمية في حالتها المدنية والعرفية، كما تخصصت توات من خلال جهة قورارة في إنتاج موروث شعري شعبي لامادي صنف ضمن التراث العالمي، فلأهلل لغةً وقصائداً وإيقاعاً وتميزاً لا يتقنه إلا أهله، وفيه كان الشعراء الزناتة يلجئون ويعبرون على ما لا تفهمه فرنسا ولا من يفهمها أيها، فكان وعاءً وكنزاً امتزجت فيه اللغتين العربية والزناتية في آن واحد، وفيه اجتمعت خصوصية الإنسان القوراري التواتي بروحه الصوفية وزاويته الدينية وحرية التعبيرية وعنفوانه وتمرده على المحتل، ناهيك عن المخيال الشعبي كموروث شفوي يتم تداوله من جيل إلى آخر.

خلاصة الفصل:

لقد كانت روح المقاومة في منطقة توات موجودة وسابقة لأوانها حتى قبل دخول الفرنسيين إليها، ويشهد على ذلك مرور الشريف محمد بن عبد الله وبوشوشة وأولاد سيدي الشيخ من سي حمزة وسي قدور وسي الأعلى إلى الشيخ بوعمامة، بل ويشهد فيها الرحالة والمستكشفين الذين لم يجدوا ضالتهم في قصورها، ولعل هذه الروح هي من جعلت الفرنسيين يحسبون لتوات ألف حساب، ويدرسونها ويستقرونها طيلة نصف قرن قبل الولوج إليها بقواتهم العسكرية، والأدهى من ذلك أن ظنوا أنهم قد يدخلونها "فاتحين" سلمياً، فجوبهوا فيها بمعارك ومقاومة عنيفة وأخرى ثقافية فذة، ولم يتمكنوا من إخضاعها عسكرياً إلا بعد عامين أو ثلاث سنوات، وهي المقاومة التي أرخوا لها ولم نكتب عنها للأسف حرفاً.

تلك المقاومة التي بدأت بالفقييرة في 1899 والدغامشة وإينغر في سنة 1900، من جهة تيديكلت شرقاً، وفيها التئم شمل التواتيين فتحالفوا وتهافتوا لنصرة بعضهم البعض من كل القصور، لم تكن مجرد معارك وحسب بل ملاحماً اختلطت فيها الدماء بالطين، ومعارك قورارة التي كانت رسالة بأن توات لا تسقط بمجرد هزيمة أو انكسار في قصر هنا أو هناك، حيث كانت معارك المطارفة في 1900 وتيميمون وشروين وطملمين في 1901، ولولا التفاوت في القوة عدّة وعتاداً لربما كان لها منحي آخر؛ كما ذكرنا أن التواتيين ضربوا في تلك المقاومة مثلاً في التلاحم والتعاقد والتحالف، بل وحتى حينما كاد الرجال ينقرضون في المعارك، التجأ رجال المقاومة إلى شراء واكتراء المقاتلين من خارج الإقليم والتحالف مع قبائل غيرهم، ولم يثنيهم عجز المخزن عن نصرتهم ونجدهم عن المقاومة بما ملكت أيديهم وأفكارهم.

ثم استمرت المقاومة في مواقع أخرى مثل موقعة حاسي لغزال 1903 وانتفاضة أهل باعمر 1927، وحتى خارج الإقليم حيث شارك بعض الناس من توات في معركة تيط بالهقار 1902، ومع الشيخ بوعمامة في تاغيت والمنقار 1904 وغيرها، بل ونشط أهل المنطقة في مقاومة الاستعمار ثقافياً، بفضل الأدوار التي لعبتها زواياهم ومخطوطاتهم وأدبهم وشعرهم الفصيح والملحون، بل وحتى تراثهم المادي واللامادي، وكانت بذلك قصور توات برغم الداء والأعداء، قلعة جزائرية حصينة قدمت على منوال بقية مناطق الوطن أروع التضحيات والبطولات دفاعاً ومقاومةً وصموداً، قبل وأثناء وبعد الغزو الفرنسي لقصورها وواحاتها، وستدلي بدلوها أيضاً في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر بما يشهد به التاريخ، وللباحث التاريخي محلياً كان أو وطنياً أو حتى أجنبياً، أن يسلط الضوء على بقعة الضوء الموجودة أصلاً، وسيجد ما لا عين قد رأت ولا أذن قد سمعت ولا أنامل قد خطت أو رسمت.

خاتمة

هذه الدراسة التاريخية التي تناولناها في إطارها الجغرافي حول قصور وجهات توات (توات الوسطى، قورارة، تيديكلت)، وفي مرحلتها الزمنية الممتدة من 1883 إلى 1903، تم تسليط الضوء فيها على التعريف بمنطقة توات كمدخل عام للبحث، ثم بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية خلال القرن 19م في الفصل الأول، ثم بمظاهر الاهتمام الفرنسي بالمنطقة في الفصل الثاني، ثم دور منطقة توات في المقاومة الشعبية الجزائرية في الفصل الثالث، ثم التطرق للغزو الفرنسي الذي عرفته المنطقة مطلع القرن 20م في الفصل الرابع، ثم المقاومة الشعبية المحلية ضد الاحتلال الفرنسي في الفصل الخامس والأخير؛ وبناءً على ما ذكرنا وأشرنا وقدمنا ودرسنا وحللنا من معلومات تاريخية، توصلنا في نهاية المطاف إلى جملة من الاستنتاجات والملاحظات، نذكر منها:

- وجود اختلافات واجتهادات متعددة حول تسمية توات وتحديد مجالها الجغرافي وضبط أسماء وتعداد قصورها، وأنا استندنا في رأينا في هذا السياق على التسمية العربية للمنطقة بحكم أن أول ما ذُكرت في كتابات العرب وما قبل ذلك لم يوجد لها أثرٌ، ناهيك على أن الكتابات المحلية في مصادرها تكاد تتفق على ذلك، أما المجال الجغرافي فالحقيقة أن توات الأصلية هي تيمي وما جاورها، لكن معظم المصادر المحلية وخاصةً في القرن 19م تجمع توات في جهاتها الثلاث (توات، قورارة، تيديكلت)، وبخصوص قصور المنطقة فقد ركزنا على القصور التي لا تزال موجودة وعلى تلك التي لها علاقة بالأحداث التاريخية خلال القرن 19م.

- وبخصوص الظروف والأوضاع السائدة في توات خلال القرن 19م، فإننا أشرنا لها باقتضاب وحذرٍ شديد، ذلك لأن المنطقة في تلك الفترة كانت سائبة سياسياً رغم ازدهارها تجارياً وثقافياً، وكانت لها علاقات وطيدة مع الحواضر والدول المحيطة بها وخاصةً مع السودان الغربي وبلاد شنقيط من جهة والجزائر وتونس وليبيا والمغرب شمالاً من جهة أخرى، لكن ما يلفت الانتباه أن التواصل والعلاقات مع التل الجزائري كمجال حيوي وتجاري وقبلي وصوفي وجهادي وتحالفي كان

أقوى وأوضح، وضرينا أمثلة عن ذلك حول تفضيل الرحالة والمستكشفين الوصول إلى توات عبر الجزائر، ومدى متانة العلاقات بين توات والنل الجزائري إلى درجة أنها كانت ملجأ لثوار المقاومة الشعبية، وكذلك كان الوصول الفرنسي إليها عبر الامتداد الجزائري.

- كما تطرقنا إلى تلك البعثات والرحلات الاستكشافية والكتابات الكولونيالية عن توات، وعدة مظاهر أخرى من الاهتمام الفرنسي بالمنطقة، والتي من خلالها درست وعرفت فرنسا كل صغيرة وكبيرة عن قصور توات، وبسببها حاولت الولوج للمنطقة سلمياً ووظفت أعوانها ووسائلها للتغلغل فيها، وفجرت توات كقضية دبلوماسية خارجية انفردت بأحقية احتلالها لاحقاً، كما رأينا مظاهر الرفض ورد الفعل التواتي على تلك البعثات والرحالة، وعلى تلك التحرشات والمحاولات الفرنسية التوسعية، وعلى ذلك التنافس الأوروبي ومعه المخزن على استقطاب توات، وقد شعر الفرنسيون بأن توات تشكل حجر الأساس وانطلاقة لتوسعهم نحو باقي الجنوب الجزائري والسودان الغربي.

- كما تناولنا إسهامات قصور توات في دعم واحتضان قيادات المقاومة الشعبية في النل وشمال الصحراء الجزائرية، تلك الزعامات والثورات التي وجدت في توات الملجأ والحضن والقاعدة الخفية، ذكرنا منهم الشريف محمد بن عبد الله التلمساني ونضاله عبر توات بين 1858-1861، ومحمد بن التومي المكنى بوشوشة الذي ثار من توات خلال 1869-1874، وأولاد سيدي الشيخ خاصة منهم سي قدور بن حمزة حيث كانت توات قاعدة لهم طيلة الفترة الممتدة بين 1869-1883 أو أكثر، والشيخ بوعمامة الذي جعل من توات عاصمة لزمالته وجمع فيها قبائل وثوار الجنوب طيلة فترة وجوده بها من 1883-1894؛ وهذه المرحلة التي تطرقنا لها كانت حافلة بالأدوار التي سبقت بها توات في مقاومة الفرنسيين حتى قبل غزوهم لها.

- أما عن الغزو الفرنسي للمنطقة الذي انطلق بذرائع وادعاءات كثيرة، حيث كون توات منطقة لجوء وقاعدة خلفية للمقاومة الشعبية الجزائرية، جعلها مستهدفة من طرف الفرنسيين لتأمين مشاريعهم

الاستعمارية، ولمطاردة فلول رجال المقاومة، فكان الغزو المباشر الذي جعل من إحدى بعثاته العلمية مركباً يمتطيها، وبدأ الغزو أواخر سنة 1899 ورأينا من خلاله كيف تحركت الطوابير الغازية على جبهتين من جهة تيديكلت ومن جهة قورارة، وكيف جعلت من توات الوسطى بين فكي كماشة أطبقت عليها من كلتا الجهتين؛ كما مارست سياسات استعجالية لضم المنطقة وتعديل إجراءاتها وإدارتها ومحاولة فرنستها وربطها باقتصادها، وأن تلك السياسة كانت لها تأثيرات سلبية على السكان كالتجهير والتجويع والتتصير وكثرة الضرائب والتدخل في شؤون القضاء والقصور؛ كما استنتجنا أنه كان لسقوط توات انعكاسات وتداعيات خارج المنطقة برمتها، حيث بسقوطها سقطت لاحقاً مناطق الساورة والهقار وجهة تندوف، بل وامتد التوسع الفرنسي إلى موريتانيا والمغرب الأقصى، ومن هنا تكمن أهمية توات في المشروع الفرنسي.

- وأشرنا إلى المقاومة الشعبية المحلية التي امتدت من 1899 إلى 1903، وخاضت حوالي 09 معارك قدم فيها السكان المحليين أروع الصور عن التضحيات والبطولات والتحالفات داخلياً وإقليمياً، ومما استنتجناه عن فشل تلك المقاومة رغم قوتها وعظمتها، غياب القيادات والزعامات المحلية خاصةً بعد معارك تيديكلت، وعدم تكافؤ القوى بين قصور بسيطة وقليلة السكان وطوابير الغزاة المدججة بالكتائب والفرق العسكرية وسلاح المدفعية الذي كان فاصلاً في كثير من المواجهات، لكن المثير للاهتمام أن السكان المحليين حتى حينما يغلبون على أمرهم كانوا يلجئون للتحالف واكتراء المقاتلين من خارج توات، كما كان لبعض الأعيان والأعلام مواقف بطولية تُحسب كمقاومة ثقافية، ناهيك عن دور الزوايا والموروث الشعبي الذي مجّد وعظّم وأرّخ لتلك الملاحم، وكلهم في المقاومة سواء، فما استكانوا وما خضعوا كل الخضوع وما بدلوا تبديلاً.
- ومن خلال عملية البحث التي خضناها وقمنا بها وجدنا كثرة المصادر الفرنسية عن منطقة توات، وقد امتدت كدراسات وكتابات من مرحلة البعثات الاستكشافية إلى ما بعد الغزو الفرنسي للمنطقة،

والحق يقال فقد اهتم الفرنسيون بتوات وكنّفوا أبحاثهم حولها، بل أن كثيرون منهم استعانوا بكتابات محلية وترجموها، أو فيهم من حصل على مخطوطات محلية في غاية الأهمية واستند عليها، ولكن مع كل ذلك الاهتمام الفرنسي فقد استتجنا مدى ميولاتهم وتحيزهم للدولة الفرنسية وسياساتها، بل حتى أن كثير من الكتابات والمصادر الفرنسية كان وراءها صنّاع القرار فرنسيين من ضباط وجنرالات وقيادات عسكرية ومدنية، وهذا ما جعلنا نحذر كل الحذر في التعامل مع تلك المصادر والمراجع، وقد حاولنا قدر المستطاع أن نوازن بينها وبين بعض الكتابات أو الشهادات المحلية، فأحياناً وجدنا تطابقاً وأحياناً كان هناك تحيزاً ومغالطات كما هو حال احصائيات ومعطيات الغزو والمقاومة المحلية.

ومن كل ما سبق، يمكن القول أن هذه الدراسة قد تُوجت بمجموعة من النتائج التي توصلنا إليها، نجلها في النقاط التالية:

- كشفت عن أهمية توات الحضارية والاستراتيجية والنضالية كقاعدة خلفية للمقاومة وقبائل التل الجزائري.
- سلطت الدراسة الضوء على اهتمامات الفرنسيين وكتاباتهم وأبحاثهم وأرشفهم حول توات.
- طرقت باب الغزو الفرنسي والمقاومة الشعبية في توات، وهو الباب الذي كان من الطابوهات التي يحتاج فيها المرء للشجاعة لإثارتها.
- عرّفت الدراسة بالدور الذي لعبته توات مقاومة وثقافة في إطار الانتماء للجزائر، وفندت بكثير من الحقائق والاستنتاجات بعض المغالطات التاريخية والادّعاءات من داخل وخارج الوطن.
- كما فضحت مدى بشاعة السياسة والممارسات الاستعمارية التي وظفتها فرنسا في المنطقة.
- جمعت بين المصادر المحلية المخطوطة والفرنسية من جهة، وبين المعربة والأمازيغية من جهة أخرى، وكذا المصادر المكتوبة والشفوية ومدى تطابقها كنصوص تاريخية.

- كما سلطت الضوء على التراث المادي واللامادي للمنطقة، حيث عبّرت هذه الدراسة عما تتميز به المنطقة من تراث وتاريخ شعبي محلي يمكن الحفاظ عليه وتصنيفه ودراسته.
- ساهمت من خلال الدراسة هذه إلى تبيان مدى ارتباط منطقة توات بالمجال الحيوي للجزائر، وعلاقاتها الضاربة مع قبائل التل والجنوب الوهراني، مما أكسبها مكانة وقاعدة خلفية بالنسبة لهم.

- وفي الأخير يمكن اعتبار هذا البحث لبنة متممة لباقي الدراسات حول المنطقة، وهي بذلك تملأ الفراغ التاريخي بين الدراسات السابقة التي لم تخض في باب احتلال المنطقة ومقاومتها، وبين الدراسات اللاحقة التي وصلت إلى دور المنطقة في الثورة الجزائرية.

وعلى ضوء تلك النتائج، وفي ختام هذه الدراسة التاريخية المحلية لآبد من الخروج بمجموعة من الاقتراحات والتوصيات، تكون لنا ولغيرنا كأرضية ومساهمة تاريخية وعلمية، الهدف منها خدمة البحث العلمي، وتتوير الرأي العام المحلي والوطني، وإصلاح أخطاء وممارسات سابقة أو حالية لها علاقة بالجانب التاريخي والبحث العلمي الأكاديمي، هذه التوصيات والاقتراحات اجتهدنا في تحيينها وتعيينها بما درسناه ووقفنا عليه، وبما كتبناه وبحثنا فيه، ومنها ما يلي:

- ضرورة الاهتمام بالتراث المحلي المادي واللامادي، وهذا الاهتمام في نظري يكون من خلال تشجيع البحث والدراسات التاريخية حوله، فالمخطوطات التي تعج بها المنطقة أفضل حل لإنقاذها وحمايتها هو إتاحتها للتحقيق وإخراجها كورقات بحث على شكل مقالات وملتقيات ومؤلفات، ورقمنتها وجردها وتسهيل الوصول إليها، وبطبيعة الحال دعم أصحابها في خزاناتهم وأحوالهم؛ أما التراث اللامادي مثل الشعر والأدب المحلي والأهلل وبقية أنواع الفلكلور والثقافة العامية فإن السعي لتصنيفه وإحاطته بشكل من الاهتمام كتظاهرات وملتقيات وتشجيع البحث حوله بمسابقات ومجلات ومناسبات محلية ووطنية ودولية، سياحية وثقافية وفكرية، هي بعضاً مما يجب أن يكون

كأفكار واقتراحات وغيرها.

- أما عن المصادر الشفوية التي احتجنا لها وهي مهمة للغاية في التدوين التاريخي، فلا بد من الإسراع بالالتفاف حول كبار السن وإحاطتهم بكثيرٍ من العناية والاهتمام، وتسجيل شهاداتهم وتدوينها وتكريمهم في حياتهم قبل رحيلهم، فكثيراً من التاريخ لولاهم لغاب واندثر ولم نستطع الإشارة له، وهذا الاهتمام يبدأ من مخابر البحث العلمي والجمعيات الثقافية والسلطات المحلية والولائية، ومن المعنيين الذين ينبغي عليهم التحرك في هذا السياق: الطلبة والباحثين خاصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية (تاريخ، علم الاجتماع، إعلام واتصال، الأدب بكل لغاته، الأنثروبولوجيا....).

- وبخصوص المصادر الأجنبية وخاصة الفرنسية فإنه لا مناص منها، بحيث أرى من الضروري تشجيع ترجمة تلك الكتابات التي تطرقت للمنطقة، بغية تنويع المصادر والمراجع وبهدف الوصول للحقيقة التاريخية من جهاتٍ ومصادر مختلفة؛ بل أحياناً كثيرة نجد المعلومة فيها دون غيرها، كما أننا بهذا الشكل نحمي ونوجه الدارسين والباحثين للغض منها والسمن، بمعنى أننا سنعرف بصوابها وخطأها، وبصدقها وزيفها. ونظراً لحاجتنا لمثل هكذا مصادر نقترح إيفاد بعثات بحثية وطلابية علمية من حينٍ لآخر إلى أرشيف ومكتبات ما وراء البحار، والتي تمتلكها فرنسا عن تاريخ المنطقة ولا تزال تنتظر من ينفذ عنها الغبار، ولما لا توقيع اتفاقيات علمية ولقاءات توأمة بين جامعات وطنية أو بلدياتها، خاصة ما تعلق بالجنوب أو أية منطقة لها علاقة بتلك المصادر، مع جامعات ومعاهد ومكتبات ومؤسسات أرشيفية فرنسية وأجنبية من أجل تدوين تاريخ المنطقة وتسهيل عمل الباحثين فيه من جميع الأطراف، كما أرى ضرورة المطالبة بحق منطقة توات في استرجاع ما يعنيه من أرشيف خارجي.

- كما نرى أنه من الضروري إنجاز متاحف ولائية أو حتى بلدية لا سيما في المناطق التاريخية،

والغرض ليس علمياً فقط بل كذلك سياحي وتربوي، بحكم أنها تحافظ على التراث والآثار وتعطي محاكاة عن الأحداث التاريخية التي لا بد من توريث أمجادها وبطولاتها للناشئة؛ كما نوصي وبإلحاح بتسمية المؤسسات والساحات والشوارع بأسماء رجال المقاومة المحلية تخليداً وتعظيماً لشأنهم، فمن الغريب والمعيب أننا لم نجد أي أثر لقادة معارك الفقييرة والدغامشة وإينغر والمطارفة وشروين وطمين في محيطنا ومرافقنا، فشهداء المعارك من أولئك القادة: كالمهدي باجودة ومولاي عبد الله الرقاني والحاج امحمد عزي ومحمد عبد الكريم الجوزي ومحمد المعزوز، ومن غير الشهداء مثل محمد عبد القادر بن الحاج بلقاسم وكبير المطارفة عبد العزيز بن الحاج أحمد وعبد النبي بوتقي وغيرهم، كلهم يستحقون وواجبٌ علينا التدوين لهم والتسمية عليهم؛ وفي هذا السياق نقترح أيضاً تدوين جزءاً من هذا التاريخ المحلي في البرامج والمناهج التربوية.

- كما نتمنى على دور النشر ومديريات الثقافة والمجاهدين والتعليم العالي والشؤون الدينية الالتفات إلى الأسر والزوايا العلمية ودعمها في أنشطتها الروحية والعلمية، والاهتمام بكتابات الباحثين والدارسين والمساعدة على طباعتها وإخراجها موثقة مدونة ومؤرشفة، فما لاحظناه أنه قد ينجح الفاعلون في تنظيم تظاهرات علمية وتاريخية ويساهم فيها الباحثون والمهتمون، لكنها للأسف الشديد تنتهي بصورة شاحبة بمجرد ينفض المشاركون، فلا يؤخذ بتوصياتها ولا تُطبع أعمالها وكتاباتهما، بل ومما وقفنا عليه أن هناك كثير من الكتابات التي تركها أصحابها مخطوطة نظراً لعدم قدرتهم على تكاليف النشر والطباعة، وغالباً ما يكونوا من أقارب صناع التاريخ المحلي أو القريبين منهم وشاهدي العصر معهم؛ وفي هذه الفكرة قد تتأسس مؤسسات تاريخية أو تعلن مسابقات أو تخصص لجان محددة لدراسة وطباعة الأعمال المقبولة.

- وفي إطار تنمية هذا الموضوع الذي تناول دور توات في المقاومة الشعبية الجزائرية، نقترح استكمال تسليط الضوء على إسهامات توات في النضال الوطني، مثل: دور منطقة توات في

الحركة الوطنية بالجزائر من ما قبل الحرب العالمية الأولى إلى 1954، ودور توات في الثورة الجزائرية وخاصةً في الفترة بين 1957 إلى 1962، وعلاقة توات بالجزائر تاريخاً وانتماءً طيلة الفترة الحديثة والمعاصرة، كما يمكن تسليط الضوء على مواضيع الفرنسيين التي تناولت منطقة توات وخاصةً ما قبل وما بعد القرن 19م وإسقاطها أو مقارنتها وتطابقها مع المصادر المحلية الكتابية والشفوية، وهو موضوع في نظري يصح ويحقق الأخطاء والصواب في الكتابات الأجنبية على توات؛ كما يمكن إقتراح مواضيع وأبحاث أكثر دقة وتحديداً كالتركيز على تاريخ شخصيات محلية أو مقاطعة أو جهة أو قصرٍ من توات وتيديكلت وقورارة.

وفي ختام خاتمة هذا البحث التاريخي المحلي لا يسعنا إلا أن نذكر بأن البحوث التاريخية المحلية الضيقة زماناً ومكاناً، فيها من التعب والارهاق والعمل الجبار ما يجعلها كنزاً من الكنوز، وإنا لنأمل أن يكون هذا العمل كذلك، ولعل جوهر هذا الفارق ما جعلنا نتعلق بهذا الموضوع ونغوص بالبحث في حيثياته من مصدرٍ ومرجعٍ إلى آخر، وهو في نظرنا يستحق كل هذا الاهتمام وأكثر، فتاريخ منطقة توات على غرار تاريخ كل الجنوب الجزائري العريق والزاهر بالأحداث لا تزال صفحاته عذراء وببضاء، تحتاج لمن يكتشفها ويكتبها ويسلط الضوء عليها، وهي مجال خصب وجذاب للبحث والتدوين والتأليف ليس في التاريخ وحسب بل في كل المجالات والتخصصات.

ومن الغرابة التي لازلنا عاجزين عن تفسيرها أن تغفل أنامل وأقلام المفكرين والباحثين والمؤرخين عن هكذا مواضيع ومناطق، لكن وفي المقابل لا ننكر جميل أولئك السابقين الذين نالوا فضل البدايات وبعض الباحثين المعاصرين الذين انطلقوا في إمطة الغبار عن هذا التاريخ لعله يرى النور، وبالمناسبة نوجه لهم تحية إجلال وإكبار على ما قدموه وذلّوه لنا وشجعونا عليه، راجين من المولى عز وجل أن نقف آثارهم ونقتدي بهم حباً في العلم وفي الوطن وفي توات وقصورها وتراثها، وأملنا ورجاؤنا الأخير أن تكون هذه الدراسة البحثية فاتحة خير وبقعة ضوء لدراسات أخرى تتناول جوانب

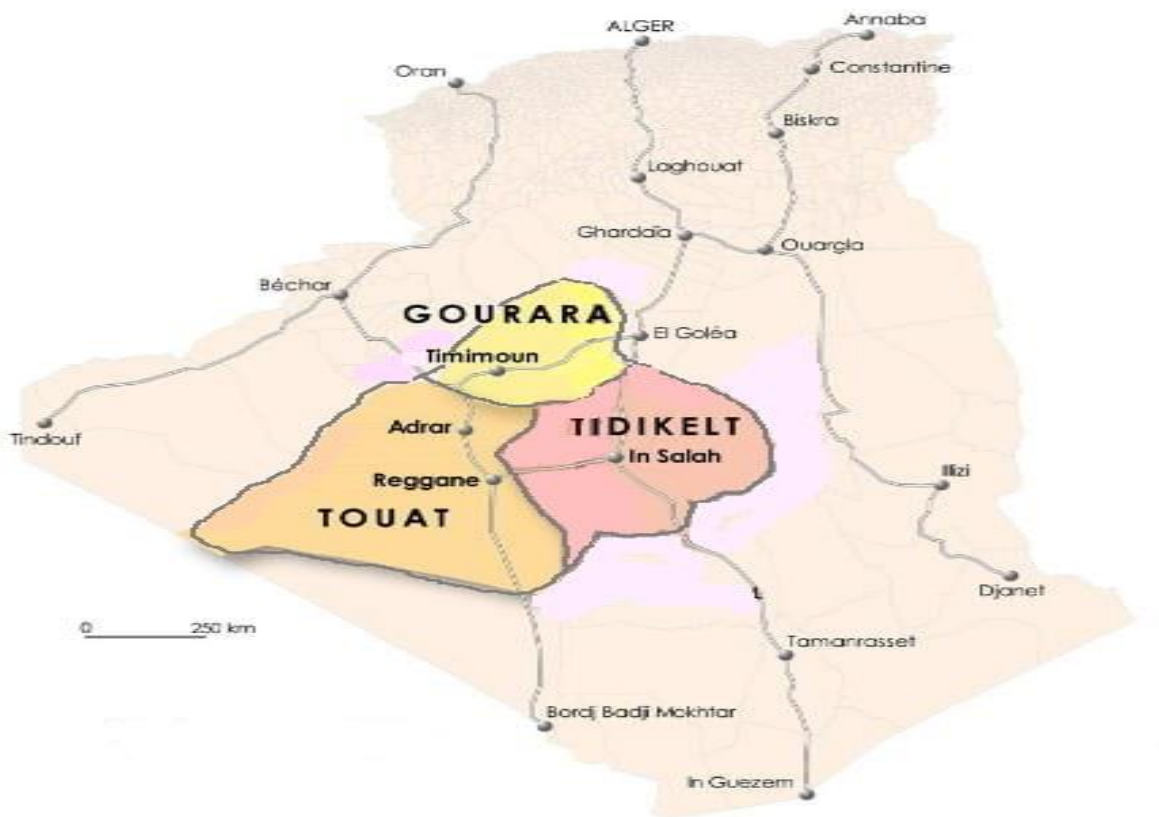
جديدة من توات والجنوب الجزائري؛ وأن يسخرنا الله بها لخدمة العلم والعلماء، والتاريخ والتاريخ، والوطن وحب الوطن.

وآخر ما نختم به مقالنا هذه الدعوات والأمنيات الخالصة: بأن يجعل عملنا المتواضع هذا في سبيل الله والوطن والعلم والعلماء؛ وهو بطبيعة الحال غير منزّه عن الضعف والأخطاء والحقيقة فيه غير مطلقة، وبغض النظر عن الجانب التاريخي والمعرفي في بحثنا هذا، فقد يخونني التوصيف والتعبير في كثير من الحالات، ما ظهر منها وما بطن، فنحن لا ندّعي الكمال فالكمال والجمال لله وحده، وإنني أقر بما كان فيه من سهو أو تقصير أو خطأ فهو من نفسي والشيطان، وما كان من صواب وسداد ونجاح فمن الله، وعلى هذا الأساس لي كل الشرف أن أضع تحت تصرف الباحثين والمهتمين هذا البحث للرأي والرأي الآخر، والنقد والنقد الآخر، والله الأمر من قبل ومن بعد واللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً طيباً وعملاً متقبلاً.

الملاحق

الخرائط:

ملحق رقم 01: خريطة تقريبية لمساحة منطقة توات وجهاتها



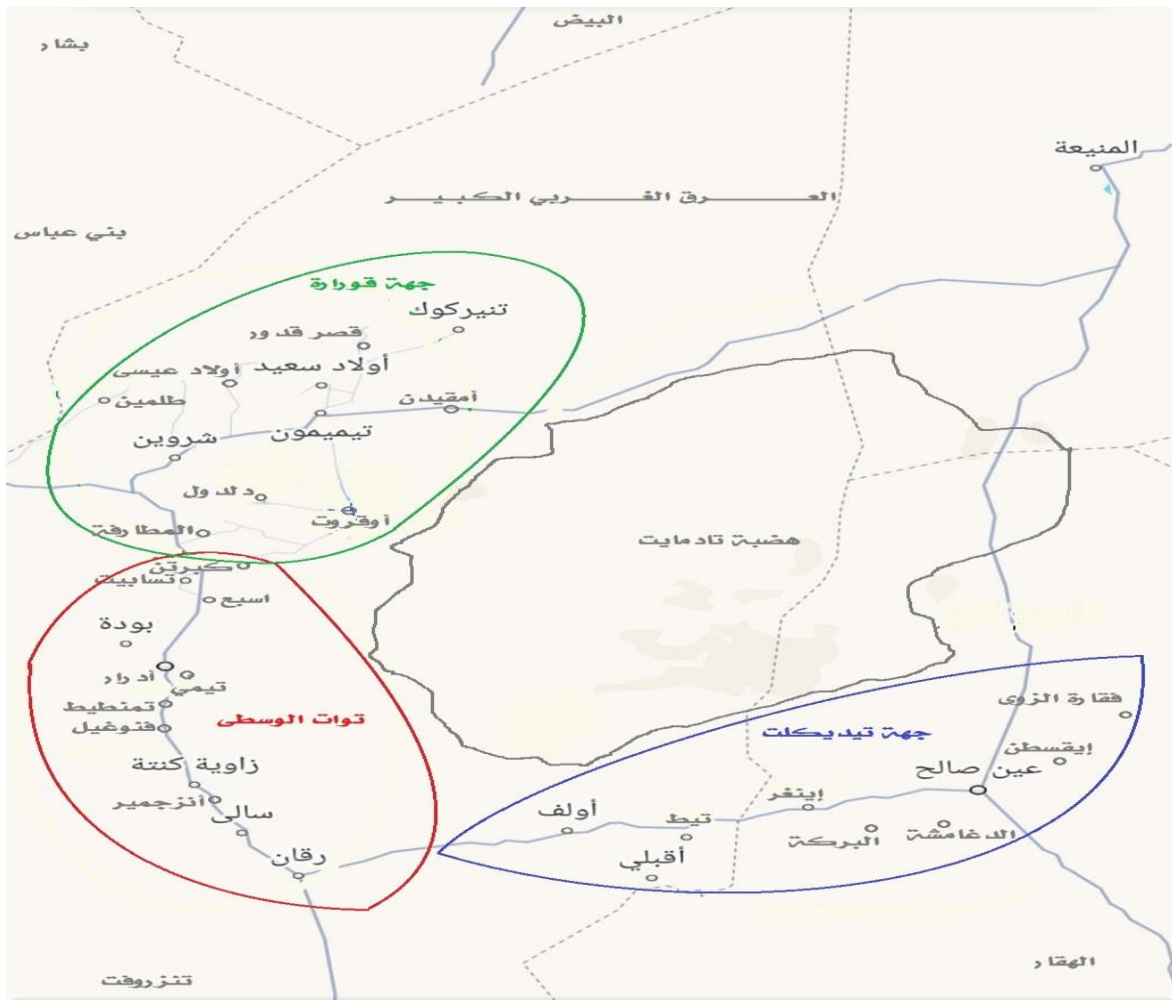
من إنجاز الباحث بناءً على مضمون الدراسة والتقسيم الإداري لولايات الجزائر

ملحق رقم 02: خريطة الحدود الطبيعية والجغرافية لمنطقة توات الكبرى



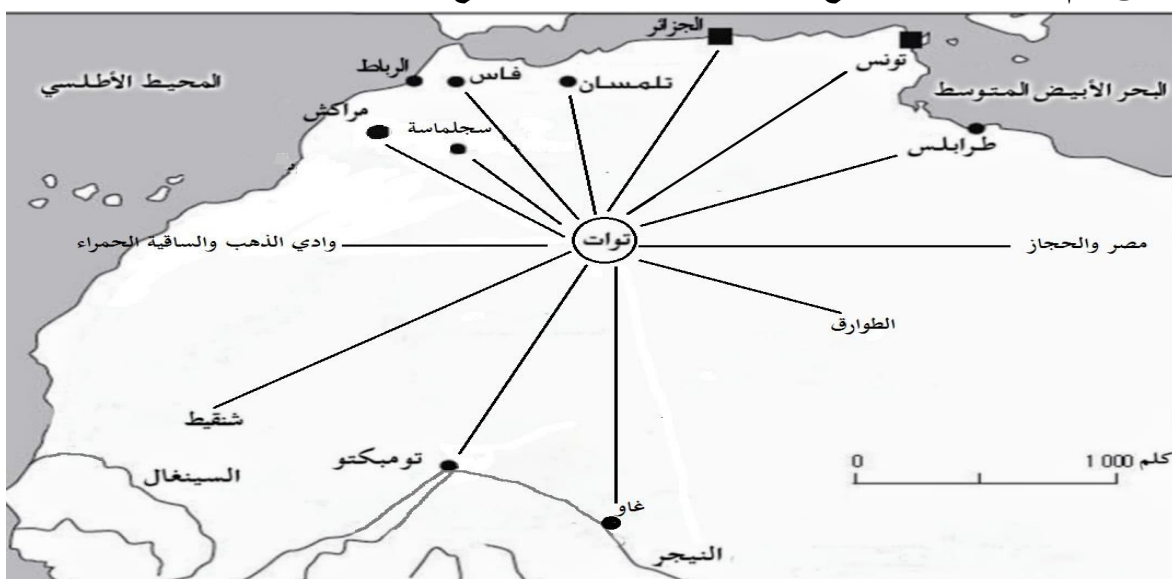
المرجع: فرج محمود فرج، إقليم توات...، المرجع نفسه، ص 3 (بتصرف)

ملحق رقم 03: خريطة توضح أهم جهات وقصور توات



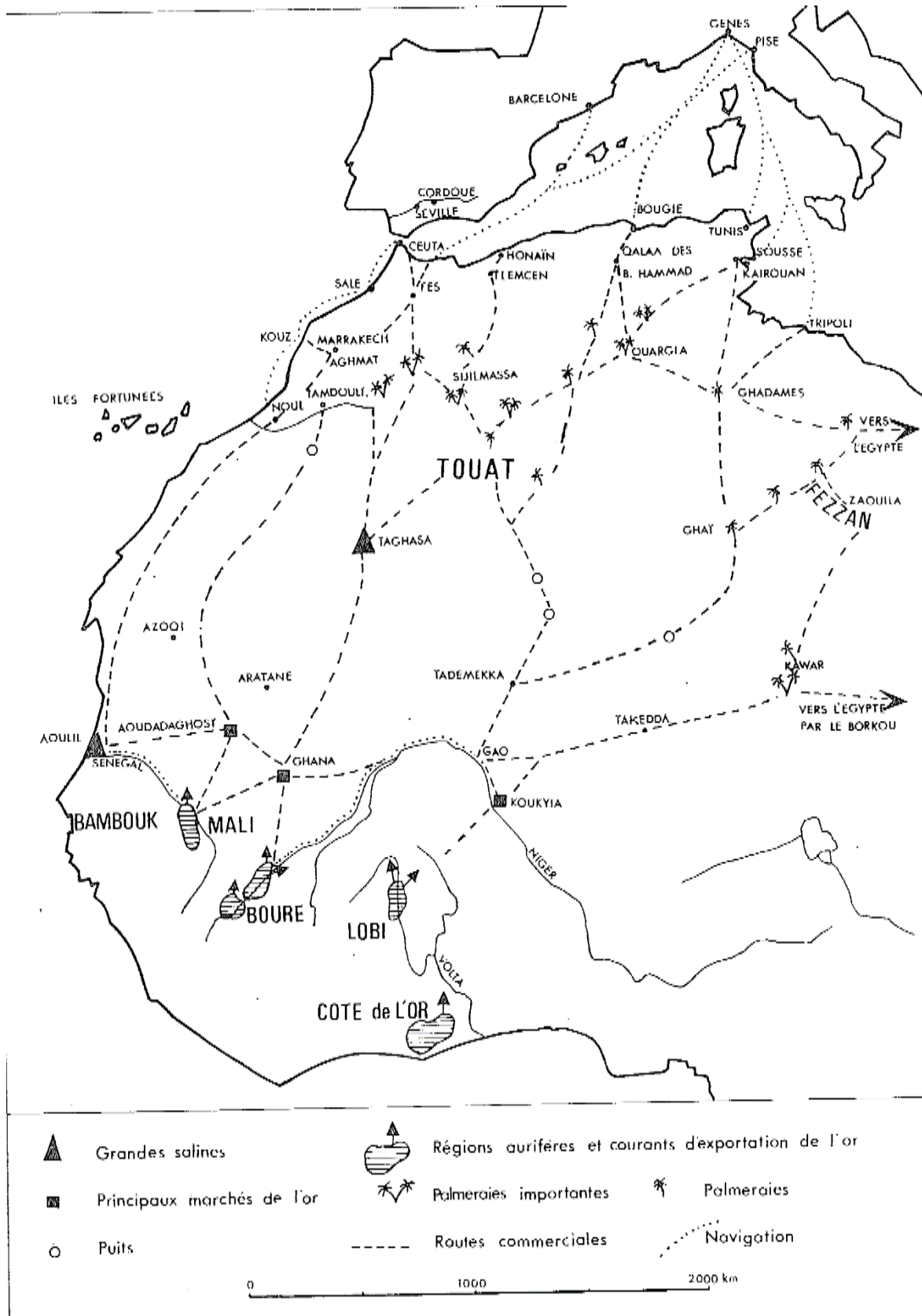
من إنجاز الباحث بناءً على مضمون الدراسة

ملحق رقم 04: خريطة توضح مكانة توات ضمن علاقاتها مع حواضر الجوار



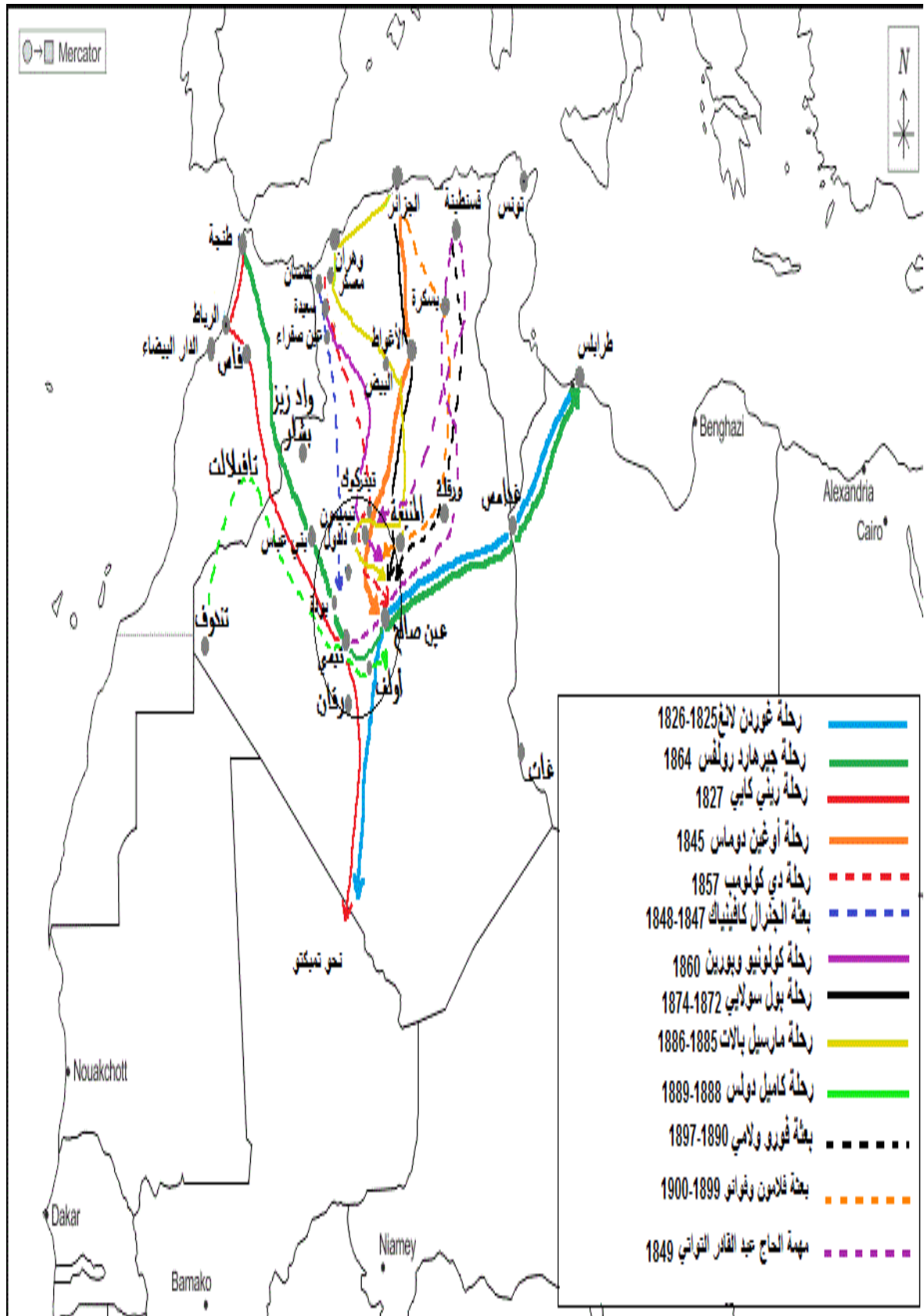
من إنجاز الباحث بناءً على مضمون الدراسة

ملحق رقم 05: خريطة توضح أهمية توات في المبادلات والتنقلات خلال القرن 19م



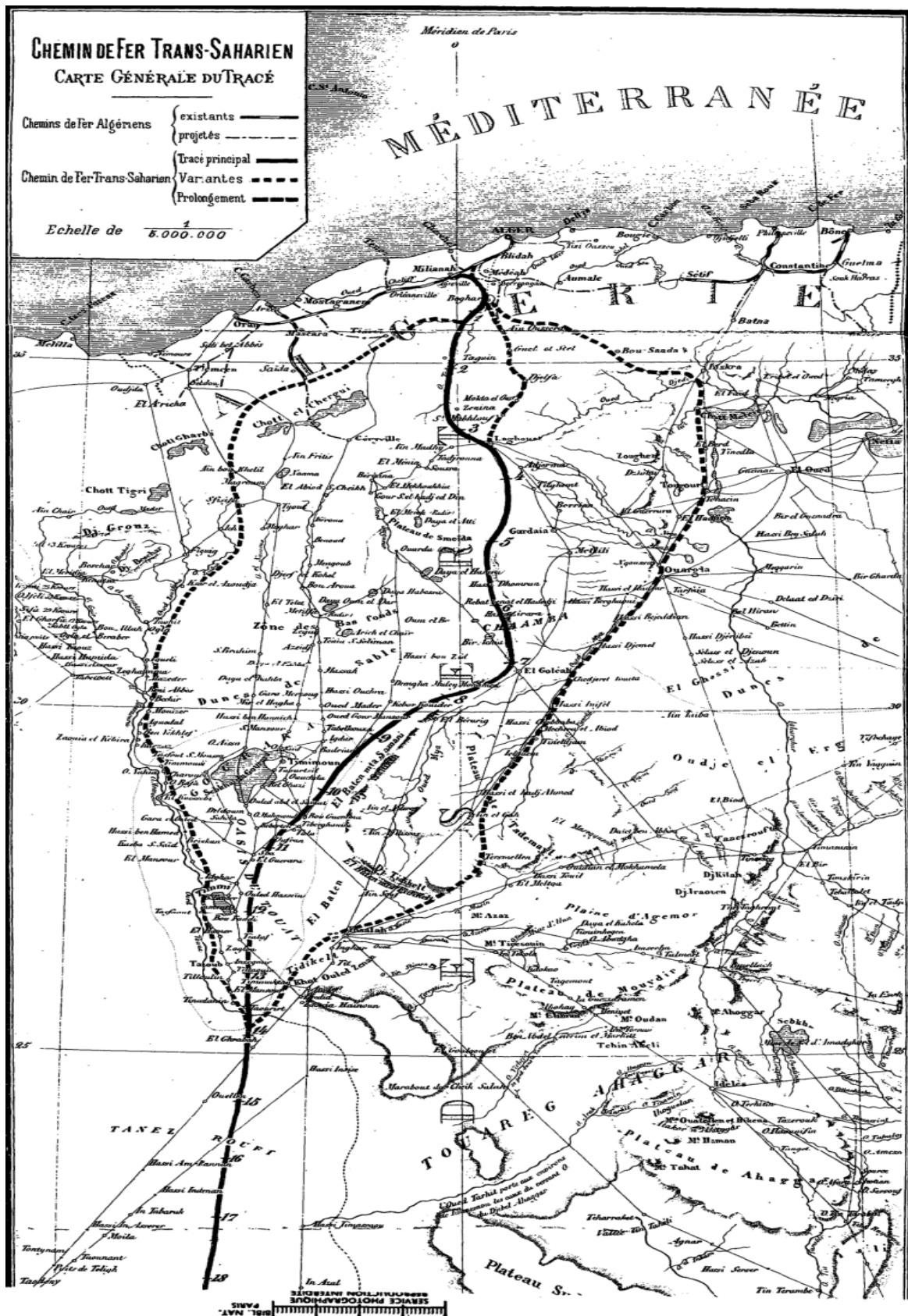
المرجع: Mammeri Mouloud et Al, Le Gourara..., Op.Cit, p.240

ملحق رقم 06: خريطة لأهم مسالك الرحالة ومستكشفي توات خلال القرن 19م



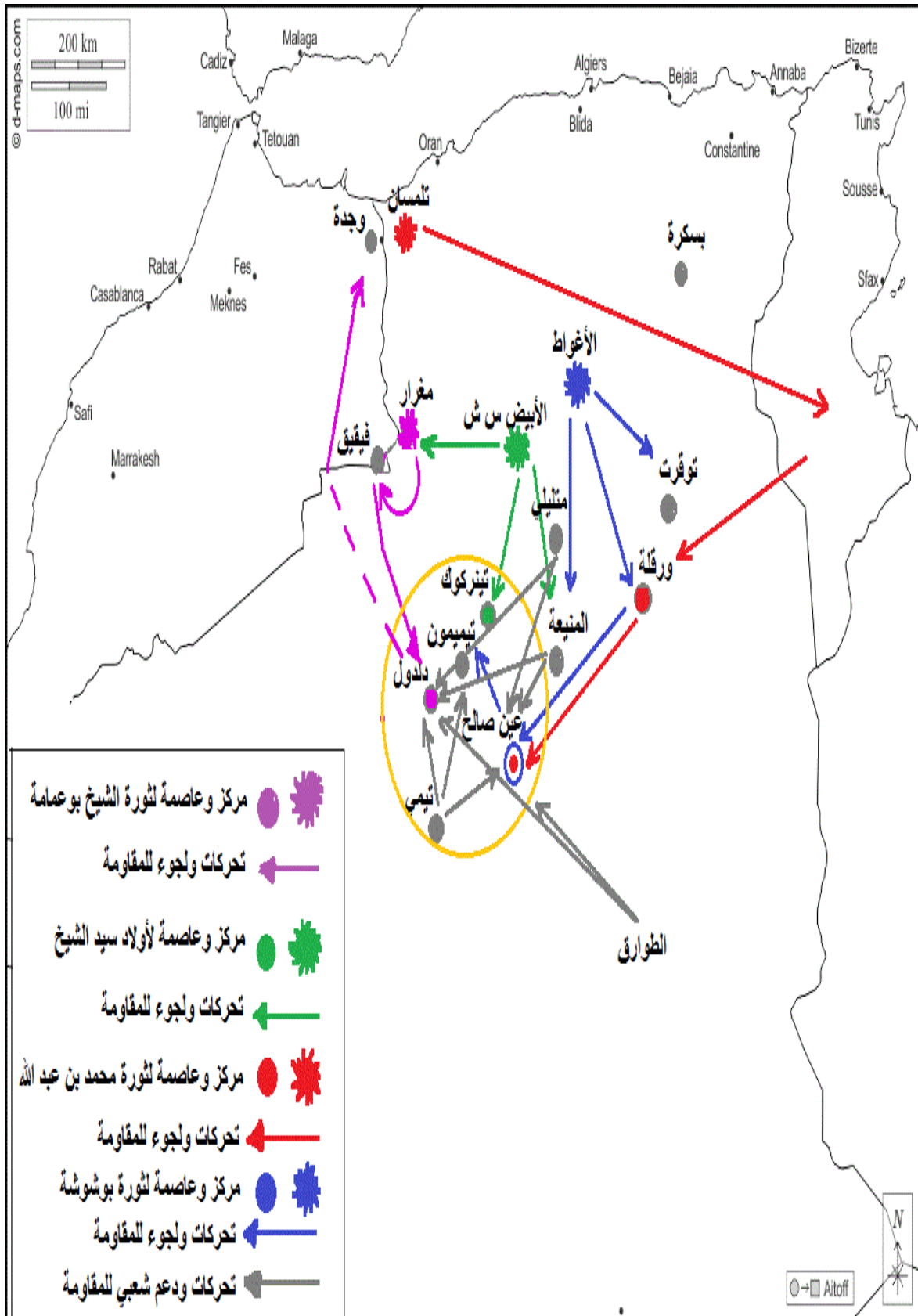
من إنجاز الباحث بناءً على مضمون الدراسة

ملحق رقم 07: خريطة مشروع دي بونشال للسكك الحديدية العابر للصحراء



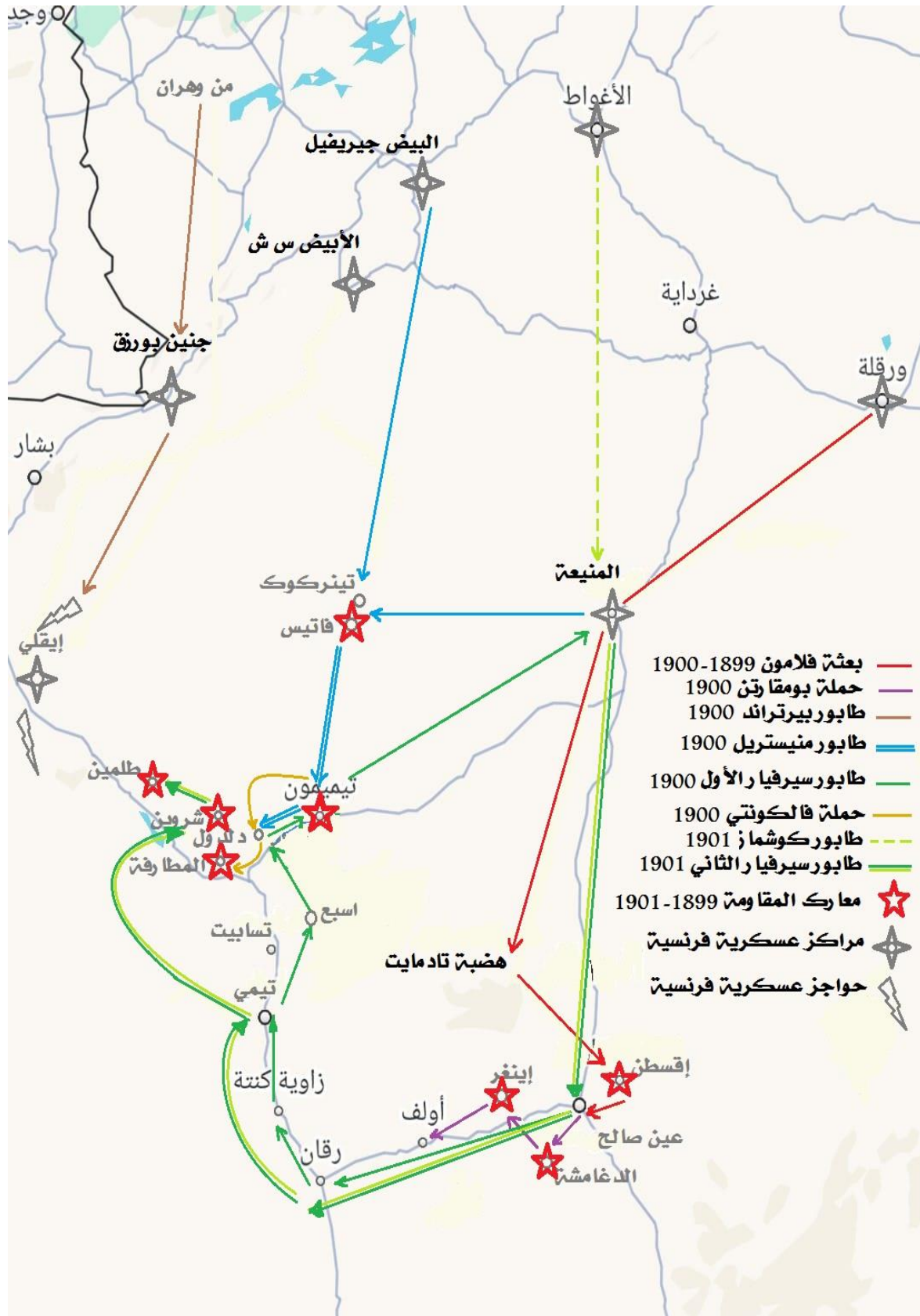
المصدر : Duponchel Adolphe, Le chemin de fer transsaharien..., Op.Cit, p.373

ملحق رقم 08: خريطة توضح لجوء بعض قيادات المقاومة الشعبية إلى توات



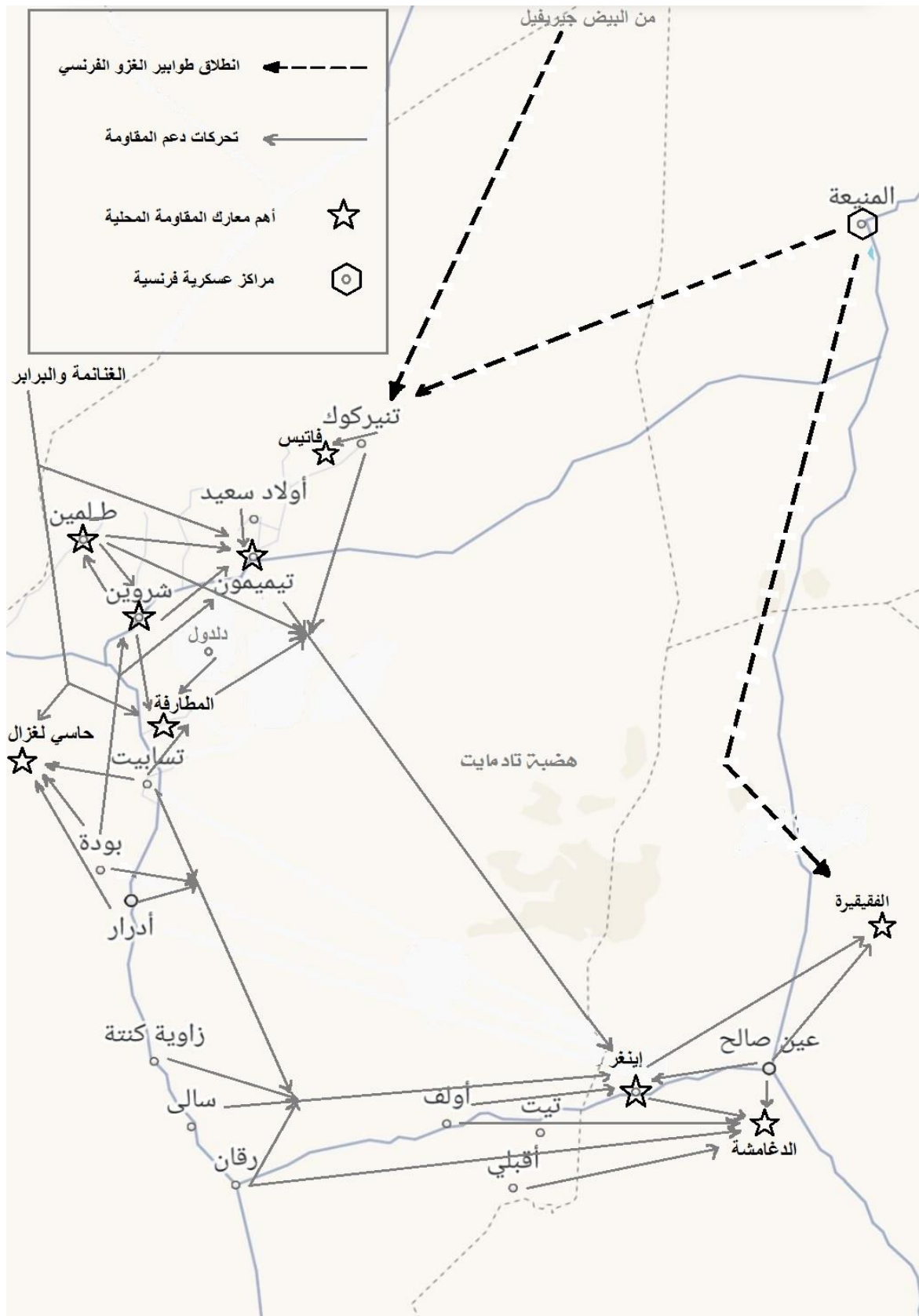
من إنجاز الباحث بناءً على مضمون الدراسة

ملحق رقم 09: خريطة توضح حملات الغزو الفرنسي لمنطقة توات وجوارها



من إنجاز الباحث بناءً على مضمون الدراسة

ملحق رقم 10: خريطة توضح حركة ومعارك المقاومة المحلية في قصور توات 1899-1903



من إنجاز الباحث بناءً على مضمون الدراسة

الصورة

من قيادات المقاومة الذين لجأوا إلى توات:

ملحق رقم 12: محمد بن تومي بوشوشة



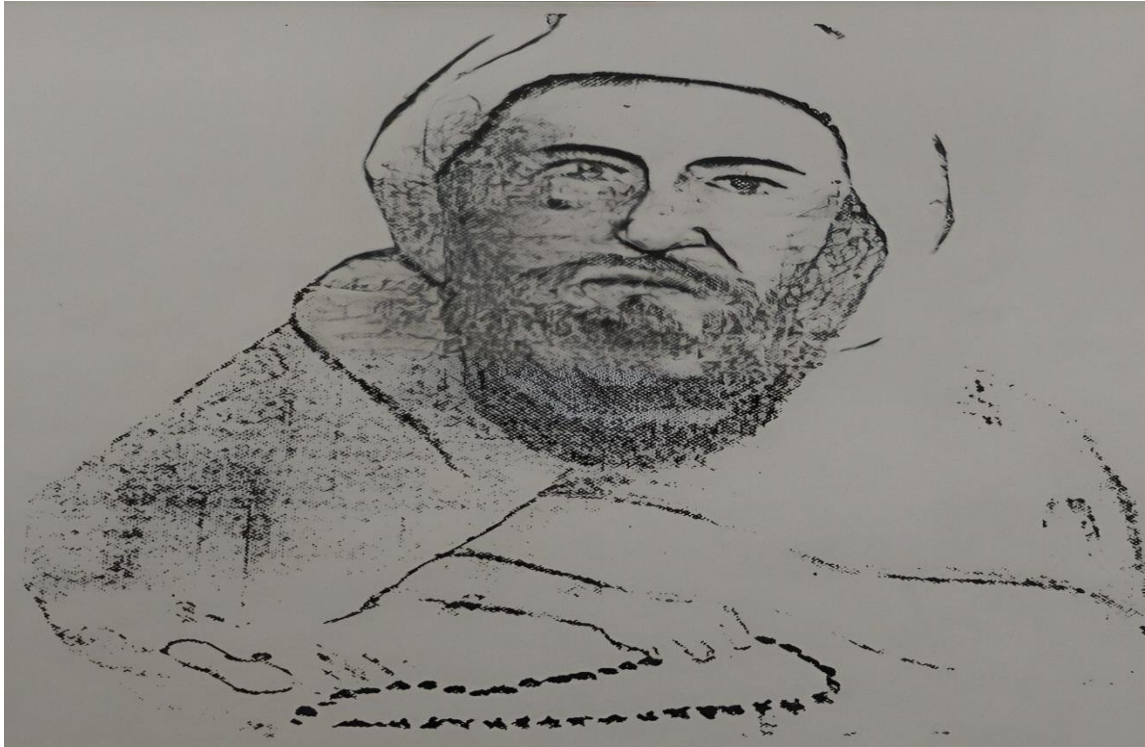
المصدر: [صفحة فابيسبوك متحف المجاهد ولاية الجلفة](#)

ملحق رقم 11: سي قدور بن حمزة



المصدر: www.cheikhiyya.com

ملحق رقم 13: الشيخ بوعمامة



المصدر: للأمانة فهذه الصورة المرسومة حصلت عليها عن طريق الحاج عبد الملك حمدي في دلدول 2021/01/21 الذي بدوره حصل عليها من المسمى العربي بوعمامة في عين الصفراء، وقد ذيلَ صاحبها تحتها العبارة التالية: "من عند دربال الساسي ولد حمزة 73 سنة من المشرية (1995/10/23)، والتي سلمها له صديق والده المقدم معمر الشبوكي من عرش الرزاينة، المتوفي بالمشرية؛ ويقال أن الرسام هو أحد أسرى الشيخ من الإسبان".

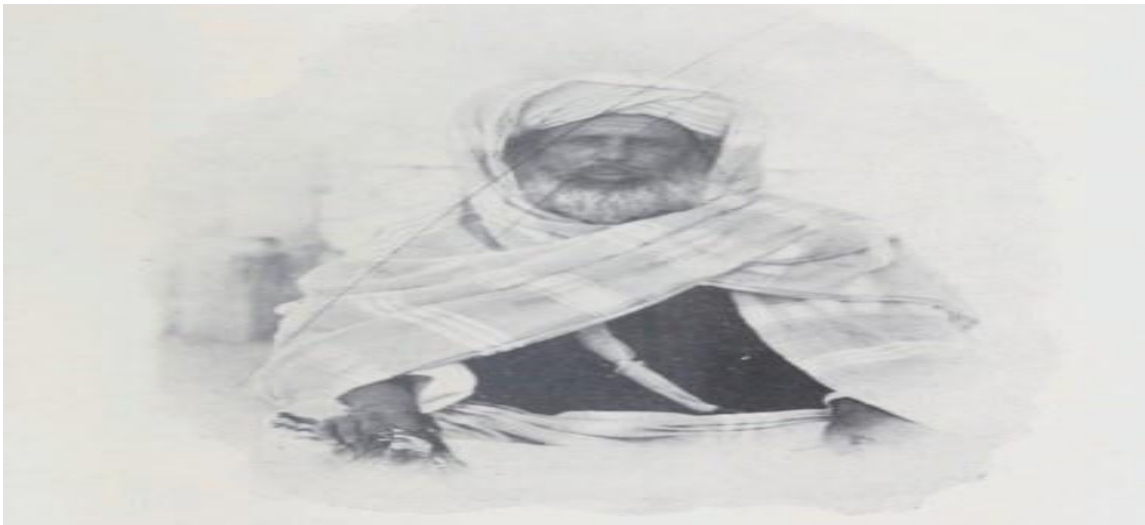
ملحق رقم 14: خلوة الشيخ بوعمامة قرب قصر أولاد عبو في دلدول (1883-1894)



المصدر: صورة جانبية شرق القصر من النقاط الباحث بتاريخ: 2024/01/03

شخصيات من المقاومة المحلية في توات:

ملحق رقم 15: باشا تيمي ادريس بن الكوري الشراذي



المصدر: Colonel D'eu, In Salah et Le Tidikelt, Op.Cit, p.49

ملحق رقم 16: سي حمزة بن الحاج أحمد الأقبلاوي قاضي وشاعر ورجل مقاومة



المصدر: L.Voinot, Le Tidikelt, Op.Cit, p.157

ملحق رقم 17: دعاج ولد الحاج عبد القادر باجودة من رجال المقاومة



المصدر: L.Voinot, Le Tidikelt, Op.Cit, p.165

صور عن المقاومة والغزو الفرنسي في منطقة توات:
ملحق رقم 18: بعثة فلامون في طريقها إلى عين صالح 1899



المصدر: Cote: FR ANOM 8Fi451/98

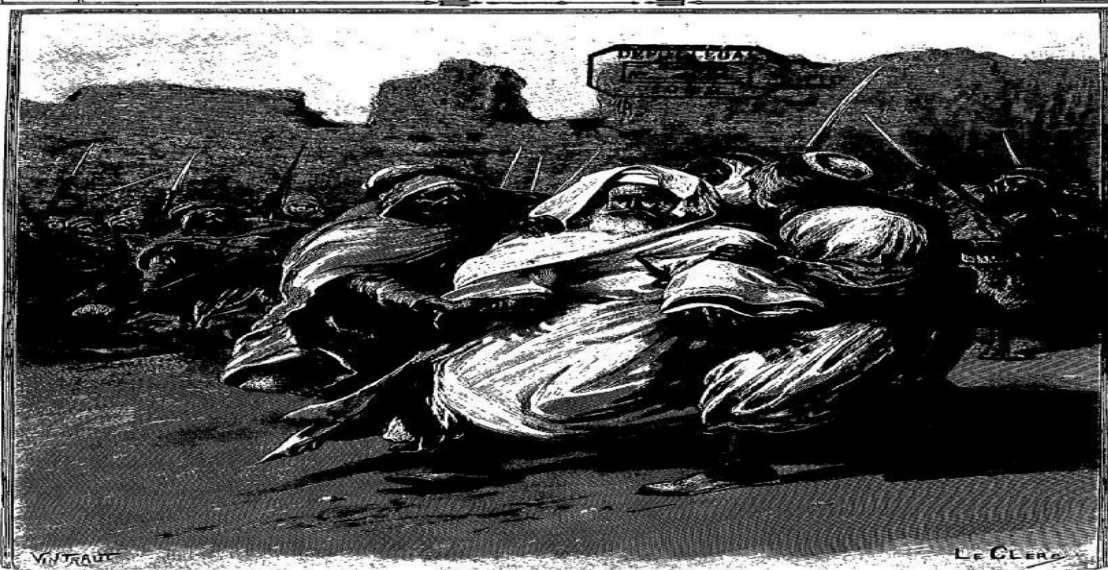
ملحق رقم 19: رسم ترويجي عن اعتقال باشا تيمي

Journal des Voyages

ET DES AVENTURES DE TERRE ET DE MER
(SUR TERRE ET SUR MER: MONDE PICTORESCO: TERRE ILLUSTRÉE réunit)

Journal hebdomadaire. «ADONNEMENTS: URBAIN: PARIS, SEINE ET SEINE-À-OISE, 8 fr. — DÉPARTEMENTS, 10 fr. — UNION POSTALE, 12 fr.» rue Saint-Joseph, 12. Paris. 25.

284 L'AFRIQUE MYSTÉRIEUSE DANS LES OASIS DU TOUAT PAR AUGUSTE TERRIER PRIX 15 c.



Le 19 mars 1900, le pacha de Timmi, représentant du sultan, fut fait prisonnier. (P. 420, col. 3.)
N° 284. (Deuxième série.)

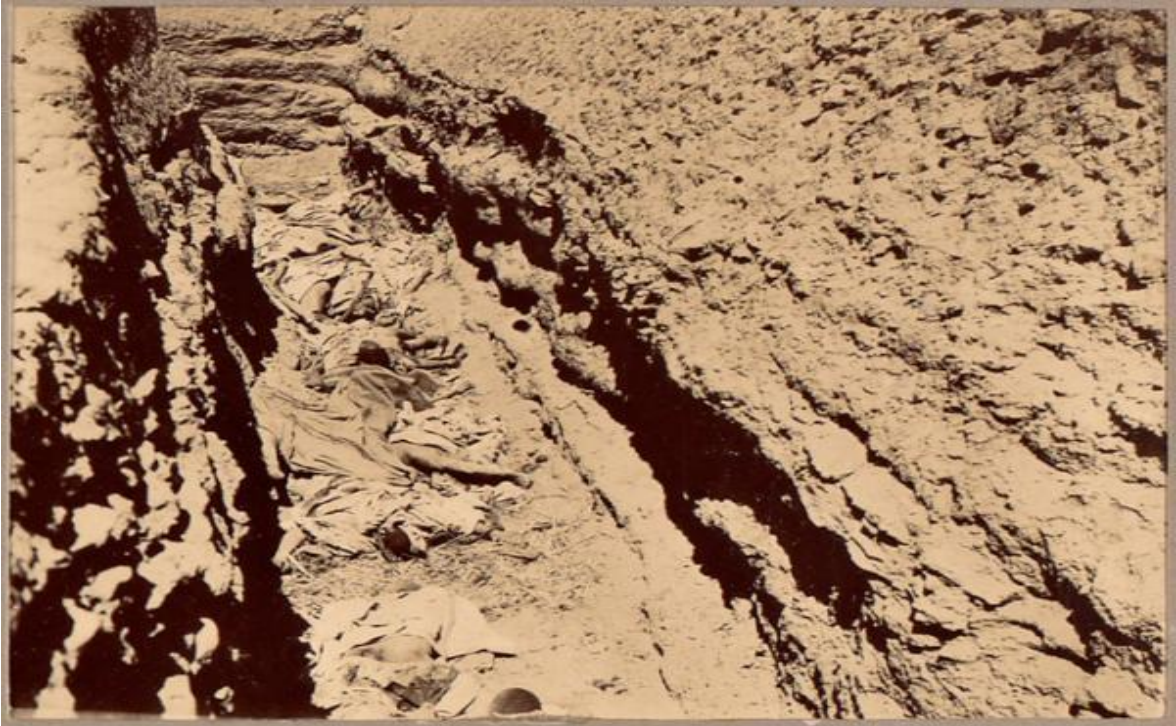
المصدر: Auguste Terrier, Dans Les Oasis Du Touat, Op.Cit

ملحق رقم 20: من أسرى معركة إينغر 19 مارس 1900



المصدر: Cote: FR ANOM 8Fi451/115

ملحق رقم 21: بعض جثث الشهداء الذين طُمروا في الخنادق معركة إينغر 20 مارس 1900



المصدر: Cote: FR ANOM 8Fi451/113

ملحق رقم 22: دعاية فرنسية على استسلام وخضوع جماعة شروين بعد المعركة



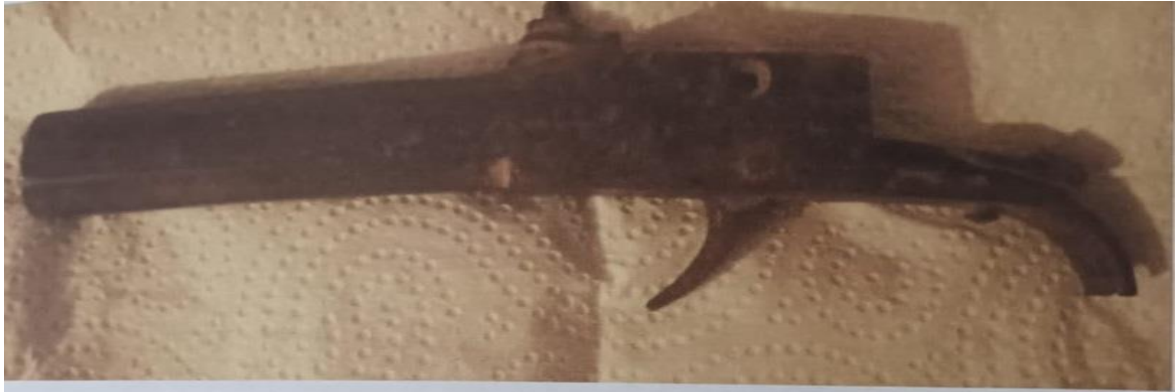
المصدر: Le Petit journal, Supplément Du Dimanche, N° 541, Paris 31/03/1901

ملحق رقم 23: بقايا رصاص وكبريت من معركة ظلمين 09 مارس 1901



المصدر: زيارة ميدانية لقصبة ظلمين القصر، عند عائلة الشهيد محمد المعزوز، 2023/12/14

ملحق رقم 24: مسدس لأحد رجال المقاومة المحلية بقورارة

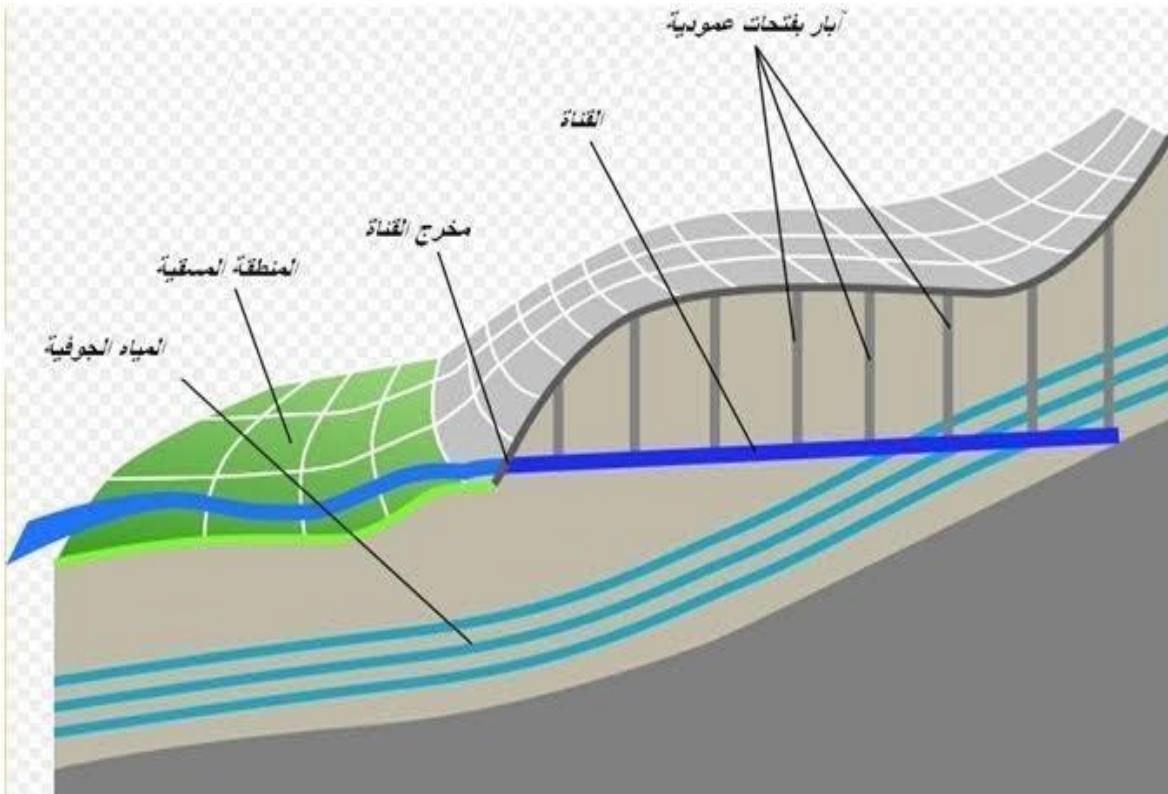


مسدس الفقيه الشيخ سيدي إبراهيم ابن سيدي محمد الصالح
موساوي البكري الصديقي اليمرادي رحمه الله
ت 1916م ودفن بقصر تنجلت.

المصدر: متحف شيخ زاوية سموطة في جهة أولاد سعيد، زيارة ميدانية بتاريخ: 2023/09/15

الجدول والأشكال:

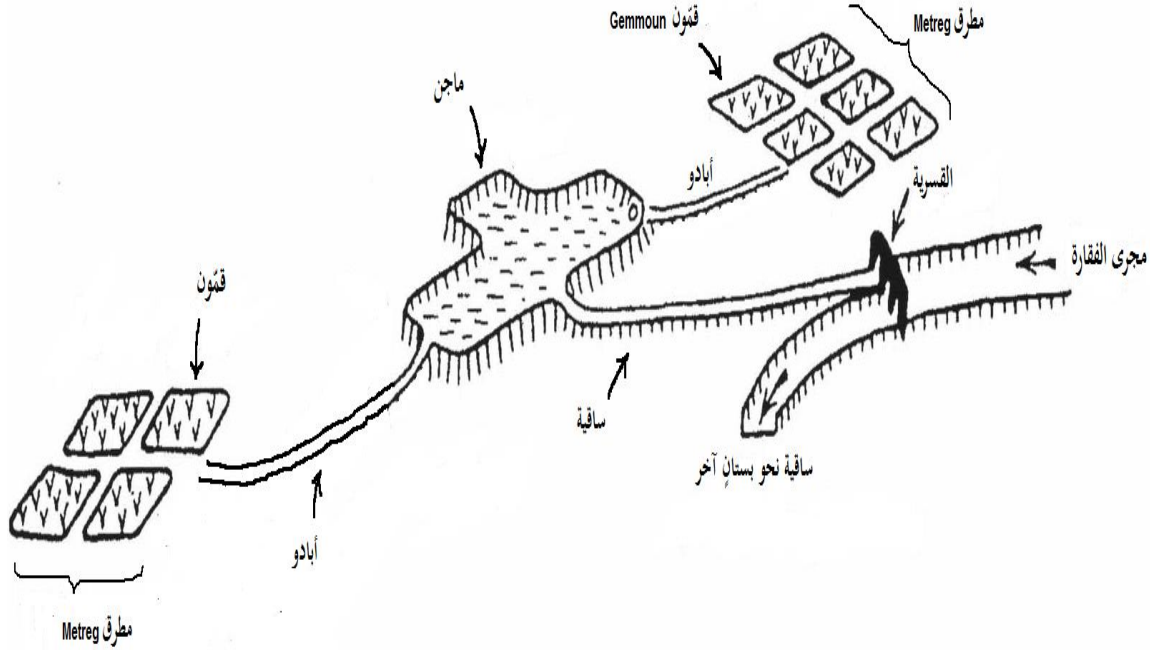
ملحق رقم 25: مخطط مسار الفقارة من المنبع إلى المصب



المصدر: لحسن حرمة ويوسف بوتندارة، الفقارة أسلوب سقي ونظام حياة اجتماعية، صفحة الإذاعة الجزائرية، منشورة في: 2016/05/16، التصفح: 2023/12/21، التوقيت: 19:55،

<https://radioalgerie.dz/news/ar/reportage>

ملحق رقم 26: مخطط الاستفادة من ماء الفقارة في واحات توات



المصدر: J. Bisson, gourara, Gland – Hadjarien, encyclopedieberbere, V.21, UNESCO 1999, p. 3188–3198 (بتصرف)

ملحق رقم 27: جداول رقم (08) لتوزيع قصور توات على ولايات (أدرار، تيميمون، عين صالح)

6	الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية / العدد 26	24 شعبان عام 1442 هـ 7 أبريل سنة 2021 م
1 - ولاية أدرار		
البلديات	مشمئلاتها وحدودها الإقليمية	
أدرار	أدرار - ادقا - أوقديم - يربيع - أولاد ونقال - أولاد وشن - أولاد علي - تشيلان - مراقن.	
فنونغيل	زاوية سيدي عبد القادر - شفاوت - اعباثي - العلوشية - وبقاء - بنهمي - عزى - المنصور - مكره - أولاد مولاي لحسن - برشيد - أولاد مولاي عمار - قصبة الحرار - منيتي يوسف - باعمر.	
تاماست	لحصر - تيطاف - غرميانو - اغيل - تاسخت - أكييس - ثمالت - عنطر - الجديد - بويحي العليا - بويحي السفلى.	
رقان	تلولاف - انزقلوف - آيت المسعود - الشفيس - تيمادين - تعرايت - تيثلاف الجديدة - زاوية الرقاني - تاوريرت - أزرافيل.	
سالي	باب الله - المنصور - برمات - قصبة مولاي علي - قصبة النجار - المحارزة - قصبة الجنة - علوشية - قصبة سيدي الشريف - أولاد مولاي عبد الواحد - قصر الجديد - قصبة أبا سيدي - أولاد مولاي العربي - تينورت - بريش - باحو المسنور - زاوية الحشف.	
إن زغمير	تيدماين - تيلولين مرابطين - تيلولين الشرفاء - تيطاوين الخراس - زاوية بلال - تيطاوين الشرفاء - وتزير - الخلفي - المحفوض - القصر الفوقاني - قصبة القائد - قصبة المرابطين - يوانجي.	
أقبلي	عرق شاش - ساهل - الزاوية - المنصور - هانت.	
تيت	تيت.	
أولاد أحمد تيمى	أولاد ابراهيم - تاريذالت - أولاد أحمد - بني شامرت - المنصورية - أولاد بوحقن - مهدية - زاوية سيدي البكري - كوسام - بوزان - أولاد عيسى - أولاد عروسة - ملوكة - ميمون - واينه.	
تسابيت	غاية مولاي علي - لقصابي - الهيلة - المعيز - وجلان - لعباد - حماد - عمور - بويككان - غريان الرأس - كبرتن - بن ملحة.	
بودة	بندراغو - زاوية الشيخ - بيلو - بالطة - العناريين - الغمارة - القصيبة - المنصور - زاوية سيدي حيدة - غرم علي - بني وازل.	
زاوية كنته	زاوية كنته - مكيد - تيوريين - أدرار - زاقلو عرب - زاقلو مرابطين - أولاد الحاج - تيركانت - مشاصير - تاققيقت - ادمر - تانولت - زاوية الشيخ - يوعلى - غرماسلال - اقلوا.	
أولف	عمشات - تفرافت - الجديد - قصبة بلال - قصبة ميخاف - الركينة - زاوية حيتون - حيدات.	
السيح	السيح - القرية الاشتراكية - القرارة.	
تيمقتن	ايتو - زاوية مولاي هية - قصبة السيد - قصبة الجنة - بلاد المهدي - المنصور - بلاد مولاي الرشيد - الزاوية - المرقب - قاقاو - أولف الكبير - اخنوس - أولاد الحاج - بلاد لحسين - عين بلبال - مطريون - تيمقتن.	
تامنطيت	تامنطيت - أولاد سيدي واعلي - أولاد الحاج مامون - تومناس - يوفادي - اينكور.	

24 شعبان عام 1442 هـ 7 أبريل سنة 2021 م		الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية / العدد 26		13
ولاية تيميمون				
البلديات	مشمئلاتها وحدودها الإقليمية			
تيميمون	تيميمون- ثالة- تيمومر- بويحييا- أولاد سوج- زاوية سيد الحاج بلقاسم- بني مهلال- بني ملوك- الواحدة- تاورسيت- امساهل- ثمانية- أزقور- طارواية- أعلاملال- اغيات- ملسين- البركة- وعمتي- عم أقيور- امزقاع- القصبة- الكاف- بني عيسى- بادريان- ثلاث- أمقيدن- تادلست- ليششا- اغنت- أولاد الطاهر- أولاد عثمان- شتت- ماينو.			
أولاد سعيد	أولاد سعيد- كالي- اغلاد- الحاج قلمان- بابايدا- تغيارت- تليوين- سموطة- شجلت- أومراد- قاعون معمورة- ايعزر- لازورة.			
أولاد عيسى	أولاد عيسى- تسقاوت- قنتور- لحر- سمجان- توتزة- حيحا- ياكو- الكروط- واتودي.			
أوقروت	تبرغاسين- قصر الحاج- ثنقلين- ثالة- زاوية سيدي عبد الله- بين عايد- اعيود- أقيور- زاوية سيدي عومر- الشارف- بوقمة.			
بلدول	أولاد عبو- أورير- أقيور- المتصور- الحديان- اقسطن- البركة- توكي- أولاد عبد الصمد- بلغازي- ساهلة.			
المطارقة	أولاد محمود- الساهلة- المطارقة- أولاد راشد- أولاد علي- أوفران.			
شروين	شروين- ثوريرت- الجدير الغربي- الجدير الشرقي- تفلزي- تنكرام- يكو- بني سلم- اسفاو- ثيو- أوماج- تينزيري.			
طالمين	بوكزين- طلمين القصر- الساقية- قحوف- تاكيات- تاغوزي- نعمة- تاعرين- تسقوت- تيمارين- يحيى- وديس- باحمو- الزعيطر- راشد- تفتوت- قلو- يكو- اللجام- سيد المختار- تاوراخت- فتاون.			
قصر قدور	قصر قدور- انجلو- تيلغمين- تيمزلان- بني عيسى- سيدي منصور- تقات.			
تيتروكوك	زاوية الدباغ- تعنتاس- تيلكوزة- تليزية- عين حمو- قاتيس- ودفاغ- بن زينة.			

24 شعبان عام 1442 هـ 7 أبريل سنة 2021 م		الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية / العدد 26		15
ولاية إن صالح				
البلديات	مشمئلاتها وحدودها الإقليمية			
إن صالح	قصر العرب- قصر المرابطين- زاوية الحاج سيدي بلقاسم- الدغاشة- البركة- إن صالح- إقسطن- جاسي- لحجار- الساهلة- التحنانية- الساهلة الفوقانية- تاجموت- لمقبيقيرة- هنو- جواليل- البركة.			
إن غار	مليانة- الزاوية- السبيخة- القصر الجديد- اقبور- الشويطر- لحذب- ثورفين- إيتغر.			
فقارة الزاوية	سيلان- حينون- فقارة العرب- فقارة الزوي.			

المصدر: رئاسة الحكومة الجزائرية، الجريدة الرسمية، العدد 26، مرسوم تنفيذي رقم 21-128

ملحق رقم 28: جدول رقم (09) لأهم المدارس القرآنية في منطقة توات حالياً

المدارس القرآنية في الإقليم التواتي		
اسم المدرسة القرآنية الداخلية	البلدية	اسم المشرف عليها
مدرسة سيدي الحاج محمد بن تكبير	أدرار	أحمد بن تكبير
مدرسة القصر الفوقاني أنز جيمير	أنز جيمير	الشيخ حسان
مدرسة عثمان بن عفان لغمارة بودة	بودة	عبد الكبير بن تكبير
مدرسة الشرقان التابعة لمسجد الجيلالي	أدرار	ابراهيم بن ابراهيم
مدرسة مالك بن انس أوقديم	أدرار	محمد المهدي غيتاوي
مدرسة بني مهلال تميمون	تميمون	محمد بكاري
مدرسة علي بن أبي طالب رقان	رقان	عبد الكريم الدباغي
مدرسة الشيخ سيد الحبيب تاسفاوت	فنو غيل	علائي محمد
مدرسة مصعب بن عمير الركينة	أولف	بن مالك أحمد
مدرسة بكر اوي عبد القادر نومناس	تمنطيط	عبد الرحمان بكر اوي
مدرسة أبي أيوب الأنصاري زاجلو	زاوية كنتة	عبد القادر العالمي
مدرسة سيد أحمد بن ديدري تمنطيط	تمنطيط	أحمد بكري
المدرسة الطاهرية قصر العلوشية	سالي	عبد الله طاهري
المدرسة الأحمدية قصر تنقلين	أوقروت	الصالح أوكادو
المدرسة الرقادية الكنتية زاوية كنتة	زاوية كنتة	محمد كنتاوي
المدرسة التابعة لمسجد علي بن أبي طالب قصر لعياد	تسايت	محمد عبد الفتاح
مدرسة الفتح قصر باحو	سالي	عبد الكريم لحبيب
مدرسة سيدس أمحمد الدباغي زاوية الدباغ	زاوية الدباغ	عبد الرحمان الدباغي
مدرسة سيد البخاري مهدية	تيمي	محمد سيد اعمر
مدرسة قصر أدغا	أدرار	عبد القادر حماوي
مدرسة عمر بن الخطاب برج باجي مختار	ب ب م	عبد القادر حلوات
مدرسة الامام العيقري تميمون	تميمون	أحمد خليلي
مدرسة الشيخ سيد مختار الكنتي قصر الجديد	تامست	كنتاوي عبد القادر
مدرسة سيدنا عبد الله بن عباس قصر اسبع	اسبع	بن موسى محمد
مدرسة عقبة ب نافع برج باجي مختار	ب ب م	زيني رقاد
مدرسة الشيخ المغيلي قصبة القايد	أنز جيمير	المغيلي أحمد
مدرسة دار القراءة الشيخ سيدي ع الكريم البليالي بني تامر	تيمي	ميدوبي أحمد
مدرسة سيل السلام برج باجي مختار	ب ب م	دليل
مدرسة الشيخ بن عبد الكريم المغيلي زاوية الشيخ	زاوية كنتة	لنصاري ع الرحمان
مدرسة الشيخ سيدي ابراهيم ادو علي عباي	فنو غيل	ادو علي معروف
المدرسة القرآنية سيدي أحمد بن موسى	أدرار	بن موسى تية
المدرسة القرآنية سيدي محمد البكري	تيمي	بكر اوي عبد الله
المدرسة القرآنية الداخلية و الخارجية	أدغا	حماوي عبد القادر

ملحق رقم 29: جدول رقم (10) لأهم خزائن المخطوطات والقائمين عليها حالياً

الخزانة	المشرف عليها
01 خزانة أقبلي	السيد عتياوي عزوز
02 خزانة أولف	السيد بالعالم محمد باي
03 خزانة باحو	السيد بلحبيب عبد الكريم
04 خزانة سالي	السيد طاهري مولاي عبد الله
05 خزانة انجزمير	السيد عبد الرحمن عبد الكريم
06 خزانة زاوية كنتة	السيد كنتاوي الحاج محمد
07 خزانة عباي	السيد سالم سالم
08 خزانة تمنطيط أولاد سيدي عل	السيد بكر اوي الحاج محمد بلقاضي
09 خزانة أولاد علي بن موسى	السيد محجوبي عبد العزيز
10 خزانة تمنطيط الشيخ سيدي أحمد ديدري	السيد البكري الحاج أحمد بن الحاج عبد القادر
11 خزانة تمنطيط	السيد صديقي يومدين
12 خزانة تمنطيط سيدي سالم	السيد البكري الجازولي
13 خزانة زاوية سيد البكري	السيد بكر اوي محمد بن سالم بن صايح
14 خزانة كوسام	السيد شاري الطيب
15 خزانة ملوكة	السيد بليالي عبد الرحمن بن عبد العزيز
16 خزانة بودة زاوية سيدي حيدة	السيد محمد جعفري
17 خزانة بني تامر	السيد ميدوبي أحمد
18 خزانة بركان	السيد باعزير عبد القادر
19 خزانة مطارفة	السيد أبناء عبد الكريم بن عبد الكبير
20 خزانة أولاد سعيد تميمون	السيد الجوزي عبد القادر
21 خزانة زاوية الدباغ	السيد الدباغ أحمد بن محمد
22 خزانة أولاد السعيد قصر الشيخ	السيد الشيخ ابراهيم عبد القادر
23 خزانة فاتيس	السيد بولغيثي عبد الكريم بن باحو
24 خزانة بادريان	السيد الصوي محمد بن سالم
25 خزانة أدغا	السيد سليمان علي
26 خزانة ساهل أقبلي	السيد بن مالك عبد الكريم
27 خزانة سالي	السيد بن طالب أحمد البرمكي
28 خزانة تلولين	السيد أولاد الحاج جعفري

المرجع: معرض جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية بولاية أدرار، الملتقى الوطني حول تعليمية اللغة

العربية في المدارس القرآنية، أوقروت تميمون في: 24 فيفري 2024

ملحق رقم 30: جدول رقم (11) عن تعداد القوافل التجارية بين توات ومناطق الجوار سنة 1905

مسار التجارة	قورارة	توات الوسطى	تديكلت	المجموع
الجنوب الوهراني	9227	156	//	9383
جنوب الجزائر العاصمة	1279	584	481	2344
مع الشرق (غدامس، غات)	//	//	42	42
مع بلاد الطوارق	//	97	2254	2351
مع السودان الغربي	//	50	166	216
مع الغرب (الساورة، تافيلالت)	3	2	//	5
المجموع	10509	889	2943	14341

المصدر: A.G.P Martin, Les Oasis Sahariennes..., Op.Cit, p.325

ملحق رقم 31: جدول رقم (12) يلخص أهم الرحلات الاستكشافية لمنطقة توات خلال القرن 19م

الرحالة	الجنسية	تاريخها	مسار الرحلة	أهميتها ونتائجها
ابن الدين الأغواطي	الجزائري	1825-1829	الأغواط، متبلي، وادي ميزاب، ورقلة، المنيع، توات	- قدمت معلومات اجتماعية واقتصادية وجغرافية ولغوية. - نشرتها مجلة (Nouvelles Annales De Voyages) في 1832، وترجمها (دافيزاك D'avezac) إلى الفرنسية وعرضها في 1833م على الجمعية الجغرافية الفرنسية.

غوردن لانغ	انجلترا	1825-1826	طرابلس، غدامس، عين صالح، أقبلي، تمبكتو، أروان	- اخترق مسلك توات-تمبكتو، عبر الشرق -زود المهتمين وعلى رأسهم الفرنسيين بمعلومات هامة عن المنطقة وطبائع سكانها، ومعلومات جغرافية وفلكية حول موقعها ومسالكها. -وكان أول أوروبي وصل إلى توات خلال القرن 19م
ريني كايي	فرنسا	1827-1828	طنجة، الرباط، فاس، تاڤيلا، توات، تمبكتو	-قدم خلالها معلومات وخبايا اجتماعية وثقافية وجغرافية وحتى عسكرية عن توات. -دفعت أخبارها بريطانيا الدخول في سباق محموم مع فرنسا من أجل الصحراء الإفريقية.
أوغين دوماس	سويسرا	1843-1845	الجزائر، عين صالح، توات، أوقروت، تينزوكوك، تيميمون	-قدم دراسة جغرافية واجتماعية ميدانية عن المجتمع الصحراوي. -كتب عن العرب والزناتة والطوارق ويهود المنطقة -أعطى لمحة عن أسوار ودفاعات المنطقة. -توجت كتاباته باحتلال مدينة الأغواط سنة 1852 وتوقرت سنة 1854.
لويس كافينياك	فرنسا	1847-1848	تلمسان، عين الصفراء، عسلة، توات	- كان يرسل الغرفة التجارية بتقاريره المفصلة مدوناً ملاحظاته الهامة. -قدم معطيات عن حدود المنطقة وطرقها وتجارتها وقادتها. -نصح بلاده على السير نحو جهة المسالك الشرقية المؤدية إلى توات.

الجزائر	1849	تمبكتو	توات، ميزاب، توفرت، ورقلة، بسكرة، قسنطينة، مثالي، المنيعه، تيميمون، أولف، عين صالح، تنزروفت،	-ترجمها القس Barges Abbé للفرنسية -طبعت في 21 صفحة سنة 1853م تحت عنوان: (Le Sahara et le Soudan, documents historiques et géographiques) -قدمت صورة عن توات في مواقع الآبار والثروات ومسالك القوافل التجارية
دي كولومب	فرنسا	تيديكات	البيض، قورارة، توات،	-اكتشف قصور المنطقة -اقترح إنشاء مراكز تجارية شمال الصحراء من البيض إلى الأغواط، للتحكم في تجارة القوافل وربط توات بالمناطق التي استعمرتها فرنسا في الشمال.
وبورين	فرنسا	تيمي	أوقروت، دلدول، تيميمون، البيض،	-الفشل في دخول القصور -تكللت بوضع رسومات وخرائط ورصد بيئي وجيولوجي للمنطقة.
روفس	ألمانيا	غدامس	عين صالح، قورارة، توات، عباس، الساورة، بني	-جمع معلومات ثمينة عن المنطقة -نصح فرنسا بنقل حدودها إلى ما وراء وادي الساورة
بول سولايي	فرنسا	تادمايت	صالح، عين المنيعه، مثالي، الأغواط،	-تنبيه بلاده لأهمية طرق القوافل التجارية -منع أهل عين صالح من دخوله لقصورها -قدم معلومات هامة حول هضبة تادمايت
بالات	فرنسا	أوقروت	دلدول، سموطه، تينركوك، العاصمة،	-طُرد في تينركوك وقصور الخانقصة -التقى بالشيخ بوعمامة في دلدول -قُتل في طريقه بين أوقروت وعين صالح
كاميل دولس	فرنسا	أقبلي	توات، رقان، الساورة، تافيلالت، طنجة،	-أعطى لمحة عن الوصول إلى منطقة توات عن طريق الصحراء الغربية وجنوب المغرب. -قُتل سنة 1889 في طريقه إلى أولف
فلامون	فرنسا	صالح	عين تادمايت، المنيعه، ورقلة،	-احتلال منطقة تيديكات -البداية الفعلية للغزو الفرنسي

من إنجاز الباحث بناءً على مضمون الدراسة

ملحق رقم 32: جدول رقم (13) لأسماء بعض شهداء معركة الفقيقية 28 ديسمبر 1899

المنطقة	أسماء الشهداء	المنطقة	أسماء الشهداء
إقسطن، قصبية باجودة، عين صالح، إيتغر	سيدي ابابه بن الحاج أحمد	إقسطن، قصبية باجودة، عين صالح، إيتغر	الحاج المهدي باجودة
	الحاج الشيخ بن الطيب		الحاج علي حفاوي
	محمد بن بوعمامة باجودة		الحاج محمد بن الشيخ
	بوحفص بن الحاج عبد القادر		المختار باجودة
	المختار بن أحمد بن زميت		محمد الديخن
	بونعامة بن الصديق سوفي		محمد الشيخ باسه
	امحمد بن عبد السلام		محمد بن الشيخ
	قويدر بن محمد برانيس		أحمد ديعلي
	سيدي علي بن أحمد		محمد بوحفرة
	الحاج محمد بن سوكنة		الحاج علي سوفي
	محمد بن عبد الله باعبو		أحمد بن بوحص
	محمد بن بوبكر البربار		محمد جلول سوفي
	الحاج مبارك مباركي		بوعمامة بن محمد
	محمد باهدي بن دحمان		الحاج مسعود
	الشيخ بن المختار بادحان		صالح قوفة
	قادي بن الشيخ نعيمي		محمد فراجي
	محمد لقراري بن يعيش		الضفير ضفيرات
	باعمر بن الحاج أحمد بن زميت		محمد بن بوعمامة
	محمد بن الحاج الشيخ		أحمد بن ابابه فوني
	محمد بن أحمد بن علي		بوجمعة ناري
	عبد القادر بن ابابه		مولاي علي خنوسي
	محمد العربي ديدي		عبد الله طالب علي
	محمد الدهنا أولاد ايشير		مختار بن باب
			محمد بيتو

ملحق رقم 33: جدول رقم (14) لأسماء بعض شهداء معركة الدغامشة 05 يناير 1900:

المنطقة	أسماء الشهداء	المنطقة	أسماء الشهداء

من تيط	زيدان بن مولاي هيبه بن عبد الله	ق. ١٨٨٩	عبد الصادق بن عبد الكريم عزي
من رقان	مولاي عبد الله بن مولاي العباس		محمد الطيب بن سيد علي حادقي
ق. ١٨٩٠	عبد القادر بن سعيد هيباوي		محمد بن الحاج عبد القادر عسالي
	أحمد بن مولاي عبد الرحمن		محمد بن الحاج جلول عزي
	عبد الرحمن بن مولاي السعيد		ممدو (من عائلة بن بركة)
	عبد الرحمن ولد احميدة بوكار		سويلم بن محمد الهاشمي
	محمد بن الحاج عبد القادر بن سعد		عبد القادر بن سيدي
	الحاج أحمد بن الحاج امحمد		العربي حمودة
	مولاي عمار (دفين قصر البركة)		موسى حمودة
	عبد الله ابا موسى		قدور الشاهد
	أحمد بن عبد القادر		العربي بن عبد الله
	امحيمد ولد احميدة		الخير عزي
	أحمد بن احميدة صفرا		جلول بن جلول
	ابا رضوان	ق. ١٨٩٠	العابد بن سيد الحبيب (ابا الصغير)
	أحمد بن عبد الله ابابه		العالم بن سيدي العابد بن عزيزي
	عبد الرحمن بن امحمد		عزيزي بن سيدي العابد بن عزيزي
	عبد القادر بن سعد		حمة لمين بن محمد كنده بن سيد
	مولاي أحمد بن السعيد		لحبيب
			محمد بن أحمد الطلحاي
			علواته بن محمد كنده

ملحق رقم 34: جدول رقم (15) لأسماء بعض شهداء معركة إينغر 18-19 مارس 1900

المنطقة	أسماء الشهداء	المنطقة	أسماء الشهداء
من رقان	قدور بن علي	ق. ١٨٩٠	الحاج امحمد بن جلول عزي
والساورة	الحاج محمد		محمد بن موسى بوتقي
ق. ١٨٩٠	القايمي أبابله عبد الرحمن		صالح بن عبد القادر العماري
	الجديد مولاي أحمد		بن جلول عبد القادر بن محمد
	باحمو بن أحمد الشريف		علال بن محمد الساهلي
	سيدي هيبه بن محمد ديدي		محمد بن محمد ابا خويا باحمد
	بن الشريف عبد بن أحمد		الشيخ العماري

بن	قائمي العربي بن محمد عمار	بن جلول الصديق
	سيدي مولاي المهدي	بن مسعود مبارك
	حنطاوي أبا علي بن قدور	بن خلفاوي أحمد
	حمو علال بن امحمد البركة	بن خليفات بريكة
	مومن عبد الرحمن	الشيخ الساهلي
	صاليحي عبد الرزاق	الحاج عبد القادر عسالي
	سويلم مبارك	محمد بن أحمد جلول
	دادة قدور بن مبارك	بن عبد العالي مولاي أحمد
	أبا بله بن محمد بابا	أولاد اليشير الصديق
	مولاي أحمد	بن خليفة محمد بن سيد أحمد
	بابا أبا علال الشريف	عني أحمد بن موسى
	كندا الحاج عثمان	العماري حمد بن سيدي علي
	دحاوي عبد الفضيل	بن حمد الحاج عبد الله
	القايمي أبا ديدي	باحمو محمد بن سيد أحمد
	دحاوي قدور بن الحاج أحمد	بن الشيخ سيدي علال بن موسى
	ديدي عبد الكريم بن محمد	بن خليفة سويلم الشنة
	حمو علال عمار سيدي البركة	بن يزيد عبد السلام
	مولاي أحمد الساهلي أبا خويا	قويدر بن الحاج محمد الساهلي
	بن الغيث بن امحمد ديدي	عزي عدي سيدي علي
	عبد الله بن الحسان ديدي	عبد الله بن محمد بن أحمد جلول
	حمو علال محمد بن علال	بن عليوة قدور
	مولاي أحمد بن أبا هدي	بن خليفة عبد السلام
	باعمار أبا هدي	محمد بن موموش
	القايمي عمار أبا ديدي	بن جلول السنوسي
بن	لكبير أبا كريم بن عمار	بن خليفة عبد القادر
	عبد القادر بن البركة	لعصب مسعود
	أبا حسين بن عمار	بن خلفاوي الصديق
	محمد بن الحسان ديدي	بن خليفات سليمان
	المهدي بن علال ديدي	العماري عبد الرحمن

	محمد بن علال لكبير		بن يزيد الشيخ
	مولاي عبد الجبار		دحه دحه
من أهل تسابيت	يوسفات محمد بن الحسين		بن خلفاوي جلول
	دليل عبد الكريم بن أحمد		بخباده بن أبيك
	يوسفات علي بن أحمد		علو الشيخ
	خيضاوي علال بن الشريف		
	خي علي بن عبد الله		مولاي عبد الرحمن بن عبد الواحد
	يوسفات محمد بن الحسين		علواته بن سيدي محمد
	قضيبي كروم بن البدوي		مولاي مبارك بن مولاي عبد الله
	حسناوي الحسين بن العربي		مولاي عبد القادر بن مولاي سعيد
من أهل بودة وبريش	غانمي أحمد بن عبد الكريم	أهل بودة وبريش	زناني لحبيب
	عبد الواحد بن سيدي البركة		أبابه عبد القادر
	سيدي محمد بن مولاي التهامي		محمد أبا قادي
من أهل أقبلي	محمد بن عبد السلام		مولودي مولود
	ذو الكفل عابدين		عماني امحمد بن عبد الرحمن
	عبد القادر بن سيدي علي		رقاني مولاي مبارك
	ولد سيدي محمد لمرباط		محمود عبد الرحمن
			ابابه لبيض
			علواته سيدي لمين
			محمد الحاج أحمد

ملحق رقم 35: جدول رقم (16) لأسماء بعض كبار الأسرى بعد معارك جهة تيديكلت

أسماء الأسرى	المنطقة	مصيرهم
عبد القادر ولد محمد	كبير أولاد زنان من أولف	سُجنوا في عين صالح
عبد الرحمن بن محمد	من أعيان المرباطين في تيط	
الحاج أحمد بن محمد	كبير أولاد حادقة أهل عزي من إينغر	
محمد بن عبد السلام	من أعيان أهل عزي في إينغر	
الحاج عبد القادر بن موسى	إمام إينغر	
الشيخ بن الصديق	من أهل إينغر	
بوخاري بن القائد	من أهل أولف	

نقلوا إلى المنبوعة والأغواط	إدريس بن الكوري	باشا تيمي
	أحمد بن محمد	كبير عرش أولاد زنان من أولف العرب
	أحمد ولد الحاج العربي	من أولاد زنان في أولف العرب
	محمد بن محمد	مرافق باشا تيمي
	الحاج عميران بن سليمان	من أهل أنزجمير
	عبد الرحمن بن سيدي محمد	ابن كبير قصر سالي
	الحاج محمد سالم ولد محمد	كبير أولاد يحيى من تيمقطن
	المحمد ولد عبد القادر	من أعيان إينغر
	عبد الله ولد با الصديق	من أهل تيمي
	محمد ولد الحاج امبارك	من أهل تيمي
	أحمد بن عبد الرحمن	من أعيان تيمي
	با سالم بالحاج امحمد	من جهة تيميمون
	الحاج محمد بن بركة	من أهل تيطاف

المرجع: عبد القادر بويه، صفحات من تاريخ الصحراء الجزائرية، المرجع نفسه، ص ص 69-86
بن حسان أحمد، مهتم بالمخطوطات وإمام بأدرار، تسابيت 2024/08/29، مقابلة خاصة

ملحق رقم 36: جدول رقم (17) لبعض رجال المقاومة في معركة المطارفة أوت-سبتمبر 1900

الشهداء	الجرحي	الأسرى
محمد المبروك بن عبد القادر بن الحاج سالم مزوري	محمد السالم بن عبد القادر بن حاج سالم	ناجم بن المبروك لحريزي
محمد امبارك الفنوغي (المكنى بالشعبان)	أبا حيدة	الحاج المبروك الراشدي
الصالح بن الهيلوي	أبا لمقدم بلحاج	المبروك بن بلقاسم الراشدي
بنت سيدي الحبيب البداوي	بلحاج المزاي	بن العربي (برينكان)
عبد القادر بن باجبار	محمد مبروك بن محمد طيب لحريزي	علي بافضيل (برينكان)
عبد الرحمن الذكر	ابريكة ع القادر بن ع العزيز يوسف	الأسرى أطلق سراحهم بعد 4 أشهر من
أحمد بوشنتوف	أسماء أخرى شهداء ومجاهدين	
عافا الراشدي (أولاد راشد)	دليل محمد بن يوسف (الهبله)	
البركة بن باحو	سعودي محمد عبد الله (برينكان)	

المعاهدة	الدا با فضيل (من برينكان)	قدور بلة (برينكان)
	موح أبدى الله (من برينكان)	بعزي ع العزيز بن مهدي (برينكان)
	شهيد منسي من قصر الساهلة	

المرجع: الحاج الطيب بن عبد الكبير، الأضواء الساطعة...، المصدر نفسه، ص ص 110-120
بن حسان أحمد، مهتم بالمخطوطات وإمام بأدرار، تسابيت 2024/08/29، مقابلة خاصة

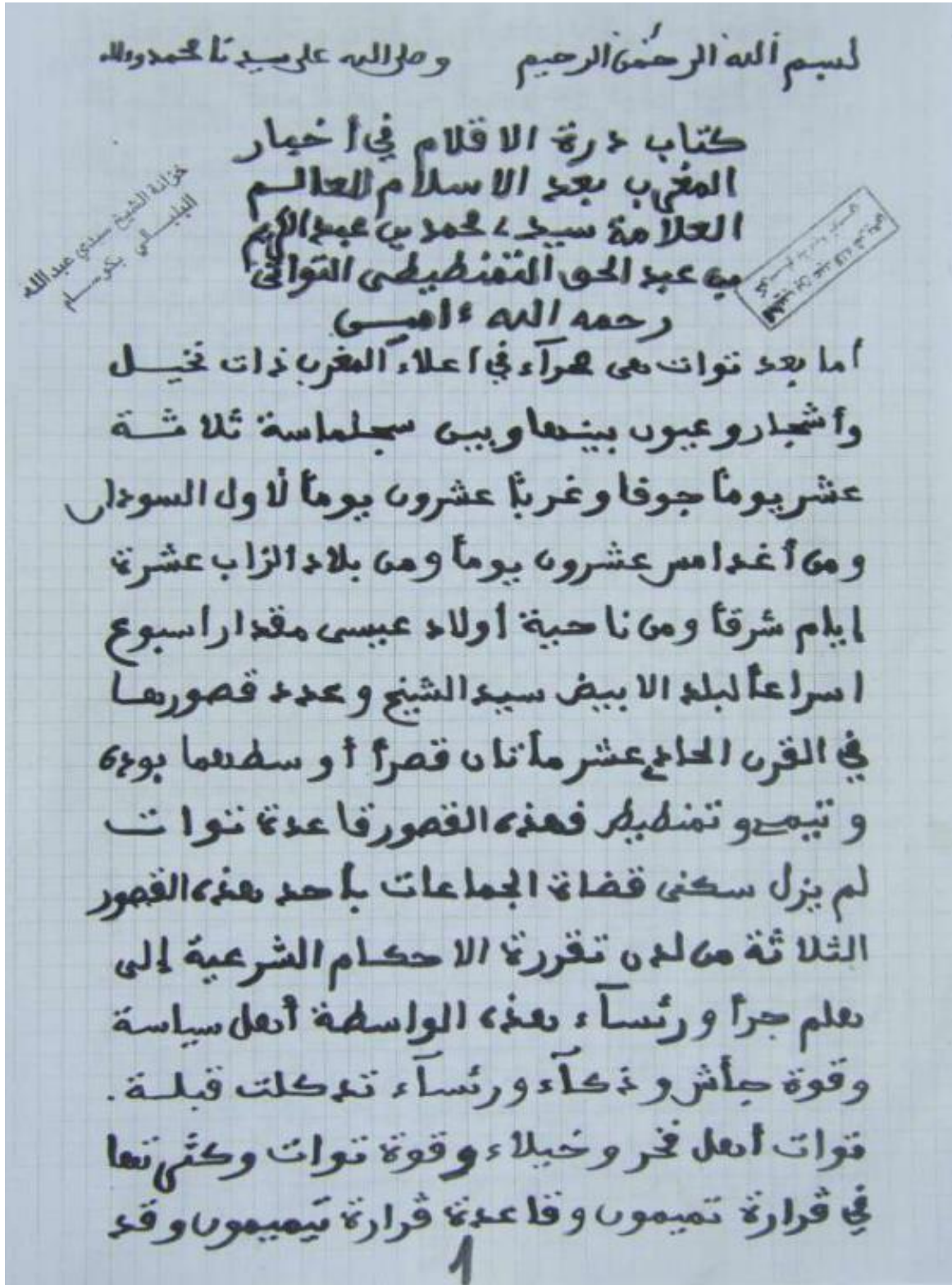
ملحق رقم 36: جدول رقم (18) لبعض من رجال المقاومة في تيميمون وشروين وطلمين 1901

أسماء الأشخاص	المنطقة الأصلية	المصير/الدور
محمد عبد القادر بن الحاج بلقاسم	قائد بودة	اعتقل ثم رُد له الاعتبار ثم سُم
محمد عبد الكريم بن محمد عبد الله الجوزي	قاضي أولاد سعيد	عالم وقائد في المعارك، أُعتقل وصودرت أملاكه ثم نُقل إلى تيارت حيث تم إعدامه
الحاج أحمد بن الحاج موسى	من مشايخ تاسفاوت	مرابط تاسفاوت، شارك في معارك المنطقة
الدا ولحاج	من أعيان تيميمون	كان له دور في استقدام البرابر، اختفى إلى وجهة مجهولة بعدما صودرت أملاكه
الحاج عبد الحي بابولا	من أعيان أولاد سعيد	فرّ إلى فزان في ليبيا
محمد عبد الكريم بن الصافي	من زاوية سيدي الحاج بلقاسم	صاحب البيت الذي احتضن رجال المقاومة في هجوم تيميمون
محمد المعزوز	قائد طلمين	قائد معركة، أُعتقل وعُذِب ونُقل إلى سجن الأغواط حيث تم إعدامه
الشيخ محمد الهاشمي	من أهل طلمين	أغلب الظن أنه من الرهائن الخمسة
عبد العزيز بن مبروك	من أهل طلمين	أغلب الظن أنه من الرهائن الخمسة
أحمد بن مبروك	من أهل طلمين	أغلب الظن أنه من الرهائن الخمسة
عبد العزيز عبد القادر بن عبد الكريم بن يدا	من أهل طلمين	أغلب الظن أنه من الرهائن الخمسة
الشيخ سيدي إبراهيم بن سيدي محمد الصالح موساوي	فقيه ودفين قصر تنقلت	شارك في معارك المنطقة ومع أولاد سيدي الشيخ

من إنجاز الباحث بناءً على مضمون الدراسة

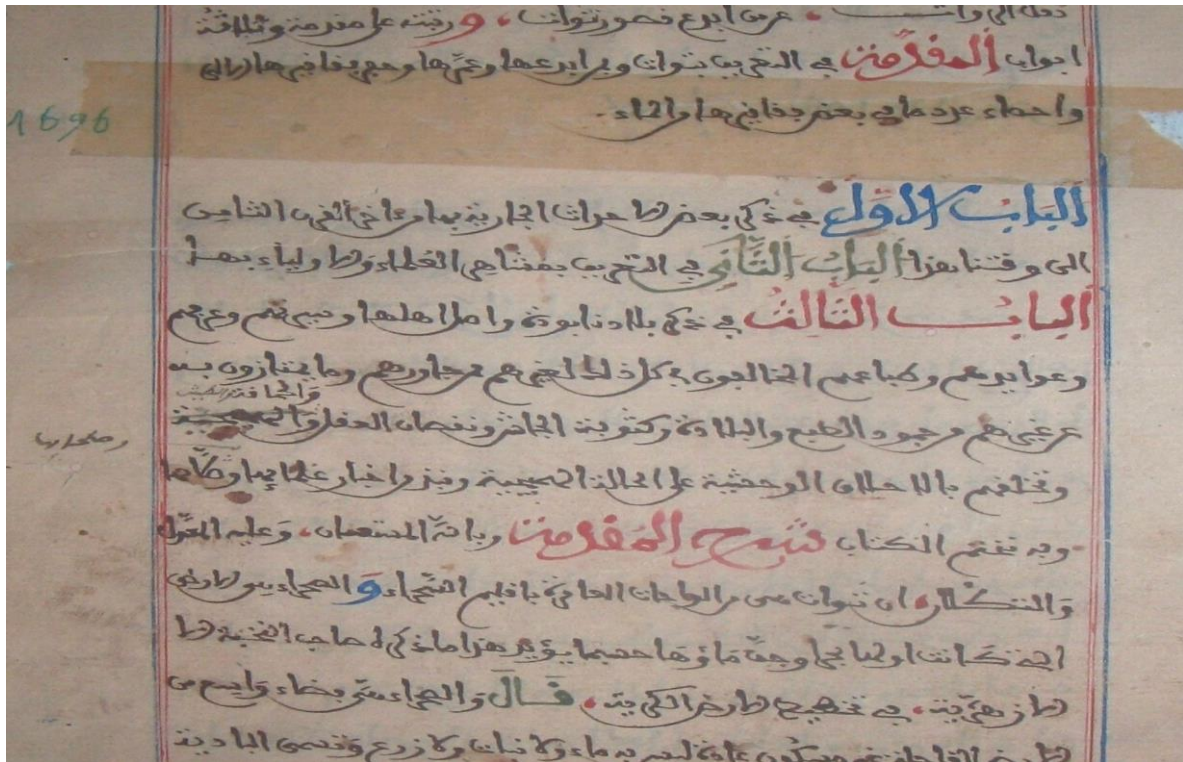
الوثائق والسندات:

ملحق رقم 37: نسخة من صفحة 1 لمخطوط (درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام)



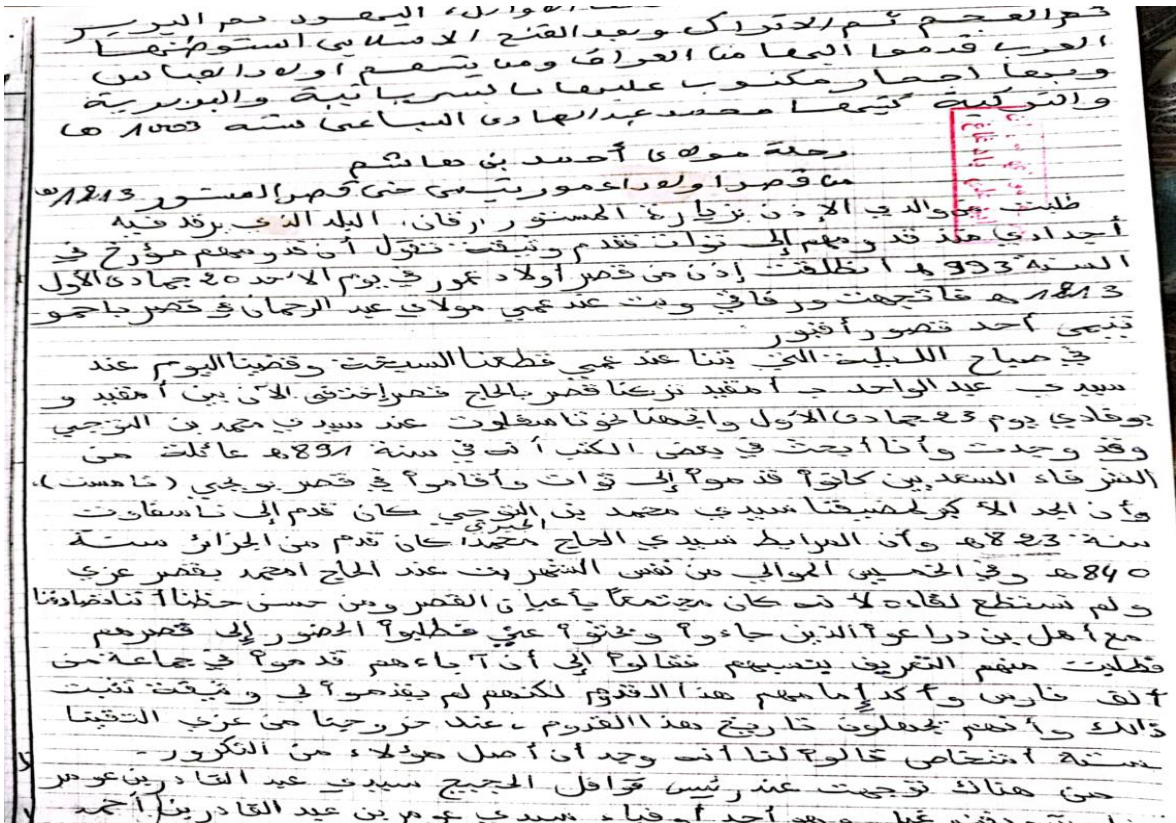
المصدر: خزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي كوسام-أدرار

ملحق رقم 38: نسخة من صفحة 2 لمخطوط (نقل الرواة عن من أبدع قصور توات)



المصدر: خزانة المخطوطات بن حسان زاوية تتيلان - أدرار

ملحق رقم 39: نسخة من صفحة 1 لمخطوط (رحلة مولاي أحمد بن هاشم)



المصدر: خزانة مولاي سليمان بن علي بقصر أدغاغ - أدرار

ملحق رقم 40: نسخة الصفحة الأخيرة من مخطوط قصيدة (يا سيدي بوتدارة)

١١٠ مادامت للطفات غرود وفرعون قات داهم أهل الدات وهوت بهم سائر
 ١١١ مارييت الالحباب في مولانا دك الصواب الى يوم الحساب ماطلعههم غبار
 ١١٢ تغفر الي غاشيم الحاج الطيب مجرم في الحكمة يارحم تغلق بالثبتم
 ١١٣ أغفر لمو وياه وخوقوا وزواجوا لي معاه وأهل ولي قربان يا صديق تهمهم العشرة
 ١١٤ عبادي من لجداد متو سل بناس إكجواد وأهل في البحات تسبع به بيشار
 ١١٥ ختم بالصلاة والسلا على صاحب دار السلام من جانا بالسلام ومن جبر ال
 ١١٦ تاريخ الاثنين قرن العاشر ست سنين من هجادي الاثنين سمرت الجوم والقمر
 - أنت حديث - #

ألفت هذه القصيدة سببها هو
مذكور في خانة مختصا في كتاب مجلد
الثانية سنة 906 هجرية
ما لا أخفى سنة 1500 م وهي الفترة
التي رحل عنها سالم بن عبد الله
سيد أحمد بوتارة من الحكيمات
توان حينا تذكره بعض المصادر الأخرى
هذا قصيدة من تأليف الشيخ سيدي
أحمد بوتارة بنفس التاريخ تقريبا
سببها "الوسيلة"

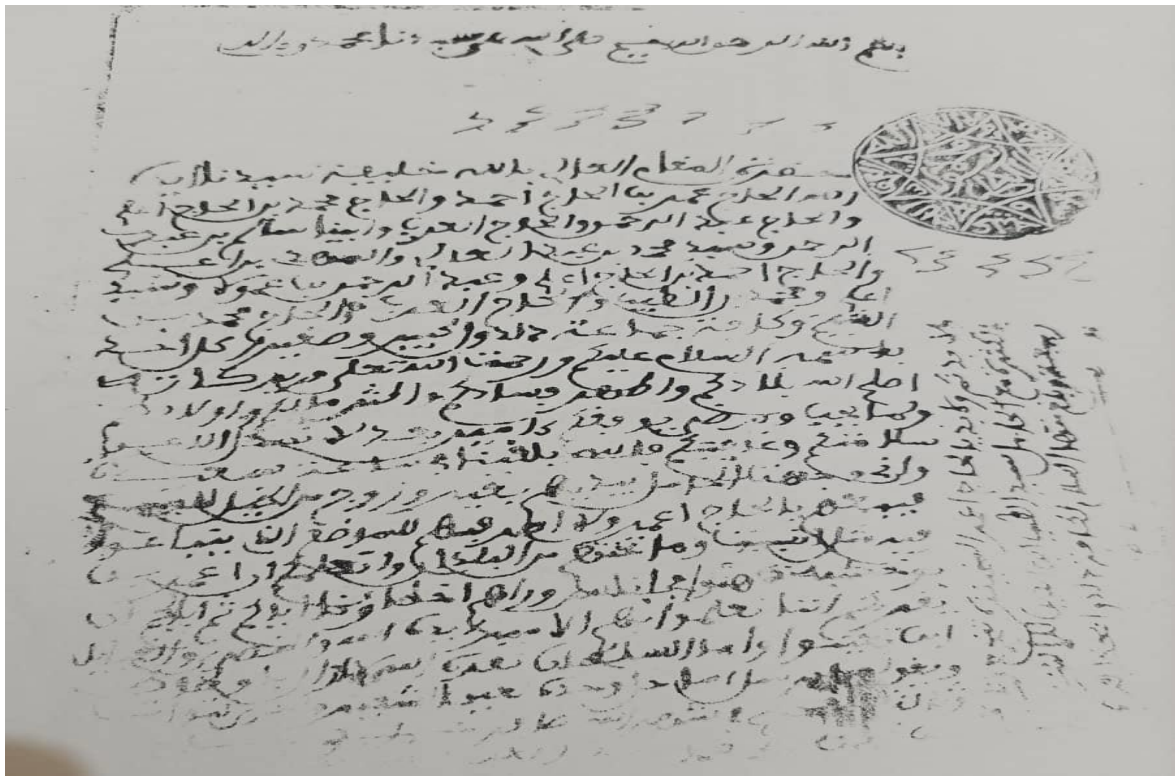
المصدر: نسخة مكتوبة عند عائلة بوتدارة-أدرار

ملحق رقم 41: رسالة لابيرين إلى فقهاء توات حول شروط تولي القضاء والإجازة الفرنسية

١٢٠
 ١٢١
 ١٢٢
 ١٢٣
 ١٢٤
 ١٢٥
 ١٢٦
 ١٢٧
 ١٢٨
 ١٢٩
 ١٣٠
 ١٣١
 ١٣٢
 ١٣٣
 ١٣٤
 ١٣٥
 ١٣٦
 ١٣٧
 ١٣٨
 ١٣٩
 ١٤٠
 ١٤١
 ١٤٢
 ١٤٣
 ١٤٤
 ١٤٥
 ١٤٦
 ١٤٧
 ١٤٨
 ١٤٩
 ١٥٠
 ١٥١
 ١٥٢
 ١٥٣
 ١٥٤
 ١٥٥
 ١٥٦
 ١٥٧
 ١٥٨
 ١٥٩
 ١٦٠
 ١٦١
 ١٦٢
 ١٦٣
 ١٦٤
 ١٦٥
 ١٦٦
 ١٦٧
 ١٦٨
 ١٦٩
 ١٧٠
 ١٧١
 ١٧٢
 ١٧٣
 ١٧٤
 ١٧٥
 ١٧٦
 ١٧٧
 ١٧٨
 ١٧٩
 ١٨٠
 ١٨١
 ١٨٢
 ١٨٣
 ١٨٤
 ١٨٥
 ١٨٦
 ١٨٧
 ١٨٨
 ١٨٩
 ١٩٠
 ١٩١
 ١٩٢
 ١٩٣
 ١٩٤
 ١٩٥
 ١٩٦
 ١٩٧
 ١٩٨
 ١٩٩
 ٢٠٠
 ٢٠١
 ٢٠٢
 ٢٠٣
 ٢٠٤
 ٢٠٥
 ٢٠٦
 ٢٠٧
 ٢٠٨
 ٢٠٩
 ٢١٠
 ٢١١
 ٢١٢
 ٢١٣
 ٢١٤
 ٢١٥
 ٢١٦
 ٢١٧
 ٢١٨
 ٢١٩
 ٢٢٠
 ٢٢١
 ٢٢٢
 ٢٢٣
 ٢٢٤
 ٢٢٥
 ٢٢٦
 ٢٢٧
 ٢٢٨
 ٢٢٩
 ٢٣٠
 ٢٣١
 ٢٣٢
 ٢٣٣
 ٢٣٤
 ٢٣٥
 ٢٣٦
 ٢٣٧
 ٢٣٨
 ٢٣٩
 ٢٤٠
 ٢٤١
 ٢٤٢
 ٢٤٣
 ٢٤٤
 ٢٤٥
 ٢٤٦
 ٢٤٧
 ٢٤٨
 ٢٤٩
 ٢٥٠
 ٢٥١
 ٢٥٢
 ٢٥٣
 ٢٥٤
 ٢٥٥
 ٢٥٦
 ٢٥٧
 ٢٥٨
 ٢٥٩
 ٢٦٠
 ٢٦١
 ٢٦٢
 ٢٦٣
 ٢٦٤
 ٢٦٥
 ٢٦٦
 ٢٦٧
 ٢٦٨
 ٢٦٩
 ٢٧٠
 ٢٧١
 ٢٧٢
 ٢٧٣
 ٢٧٤
 ٢٧٥
 ٢٧٦
 ٢٧٧
 ٢٧٨
 ٢٧٩
 ٢٨٠
 ٢٨١
 ٢٨٢
 ٢٨٣
 ٢٨٤
 ٢٨٥
 ٢٨٦
 ٢٨٧
 ٢٨٨
 ٢٨٩
 ٢٩٠
 ٢٩١
 ٢٩٢
 ٢٩٣
 ٢٩٤
 ٢٩٥
 ٢٩٦
 ٢٩٧
 ٢٩٨
 ٢٩٩
 ٣٠٠
 ٣٠١
 ٣٠٢
 ٣٠٣
 ٣٠٤
 ٣٠٥
 ٣٠٦
 ٣٠٧
 ٣٠٨
 ٣٠٩
 ٣١٠
 ٣١١
 ٣١٢
 ٣١٣
 ٣١٤
 ٣١٥
 ٣١٦
 ٣١٧
 ٣١٨
 ٣١٩
 ٣٢٠
 ٣٢١
 ٣٢٢
 ٣٢٣
 ٣٢٤
 ٣٢٥
 ٣٢٦
 ٣٢٧
 ٣٢٨
 ٣٢٩
 ٣٣٠
 ٣٣١
 ٣٣٢
 ٣٣٣
 ٣٣٤
 ٣٣٥
 ٣٣٦
 ٣٣٧
 ٣٣٨
 ٣٣٩
 ٣٤٠
 ٣٤١
 ٣٤٢
 ٣٤٣
 ٣٤٤
 ٣٤٥
 ٣٤٦
 ٣٤٧
 ٣٤٨
 ٣٤٩
 ٣٥٠
 ٣٥١
 ٣٥٢
 ٣٥٣
 ٣٥٤
 ٣٥٥
 ٣٥٦
 ٣٥٧
 ٣٥٨
 ٣٥٩
 ٣٦٠
 ٣٦١
 ٣٦٢
 ٣٦٣
 ٣٦٤
 ٣٦٥
 ٣٦٦
 ٣٦٧
 ٣٦٨
 ٣٦٩
 ٣٧٠
 ٣٧١
 ٣٧٢
 ٣٧٣
 ٣٧٤
 ٣٧٥
 ٣٧٦
 ٣٧٧
 ٣٧٨
 ٣٧٩
 ٣٨٠
 ٣٨١
 ٣٨٢
 ٣٨٣
 ٣٨٤
 ٣٨٥
 ٣٨٦
 ٣٨٧
 ٣٨٨
 ٣٨٩
 ٣٩٠
 ٣٩١
 ٣٩٢
 ٣٩٣
 ٣٩٤
 ٣٩٥
 ٣٩٦
 ٣٩٧
 ٣٩٨
 ٣٩٩
 ٤٠٠
 ٤٠١
 ٤٠٢
 ٤٠٣
 ٤٠٤
 ٤٠٥
 ٤٠٦
 ٤٠٧
 ٤٠٨
 ٤٠٩
 ٤١٠
 ٤١١
 ٤١٢
 ٤١٣
 ٤١٤
 ٤١٥
 ٤١٦
 ٤١٧
 ٤١٨
 ٤١٩
 ٤٢٠
 ٤٢١
 ٤٢٢
 ٤٢٣
 ٤٢٤
 ٤٢٥
 ٤٢٦
 ٤٢٧
 ٤٢٨
 ٤٢٩
 ٤٣٠
 ٤٣١
 ٤٣٢
 ٤٣٣
 ٤٣٤
 ٤٣٥
 ٤٣٦
 ٤٣٧
 ٤٣٨
 ٤٣٩
 ٤٤٠
 ٤٤١
 ٤٤٢
 ٤٤٣
 ٤٤٤
 ٤٤٥
 ٤٤٦
 ٤٤٧
 ٤٤٨
 ٤٤٩
 ٤٥٠
 ٤٥١
 ٤٥٢
 ٤٥٣
 ٤٥٤
 ٤٥٥
 ٤٥٦
 ٤٥٧
 ٤٥٨
 ٤٥٩
 ٤٦٠
 ٤٦١
 ٤٦٢
 ٤٦٣
 ٤٦٤
 ٤٦٥
 ٤٦٦
 ٤٦٧
 ٤٦٨
 ٤٦٩
 ٤٧٠
 ٤٧١
 ٤٧٢
 ٤٧٣
 ٤٧٤
 ٤٧٥
 ٤٧٦
 ٤٧٧
 ٤٧٨
 ٤٧٩
 ٤٨٠
 ٤٨١
 ٤٨٢
 ٤٨٣
 ٤٨٤
 ٤٨٥
 ٤٨٦
 ٤٨٧
 ٤٨٨
 ٤٨٩
 ٤٩٠
 ٤٩١

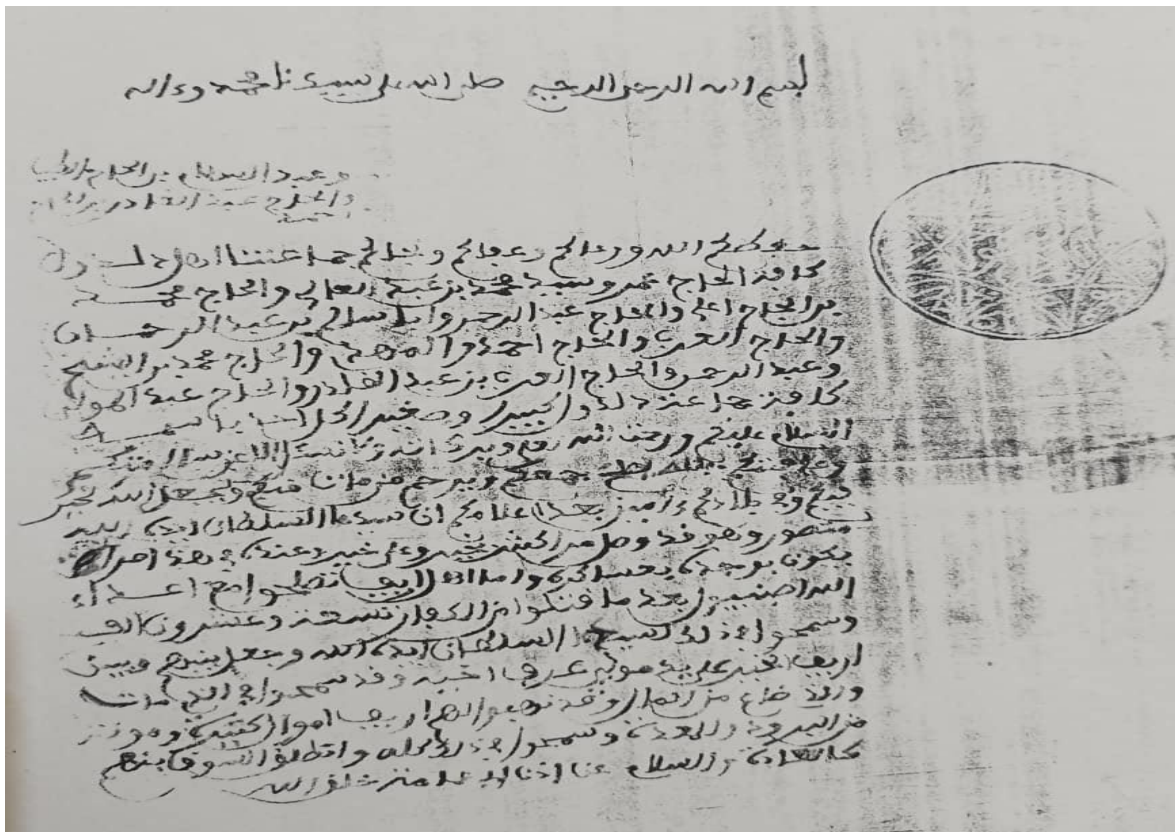
المرجع: عبد الله بابا، الحياة الاجتماعية والثقافية...، المرجع نفسه، ص 345

ملحق رقم 42: نسخة من رسالة الشيخ بوعمامة إلى جماعة لدلول (بعد رحيله عن المنطقة)



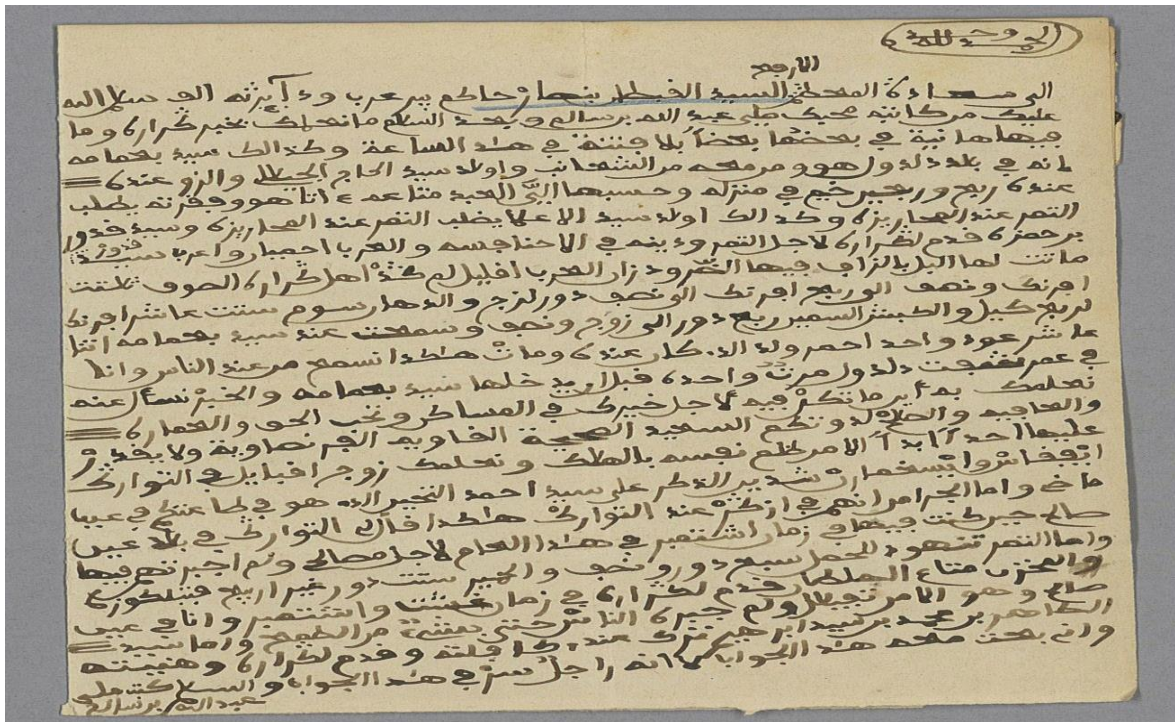
المصدر: ع/ط عبد الملك حمدي والعربي بوعمامة، لدلول-تيميمون

ملحق رقم 43: رسالة من الشيخ بوعمامة إلى جماعة لدلول عن أحداث الريف الأولى



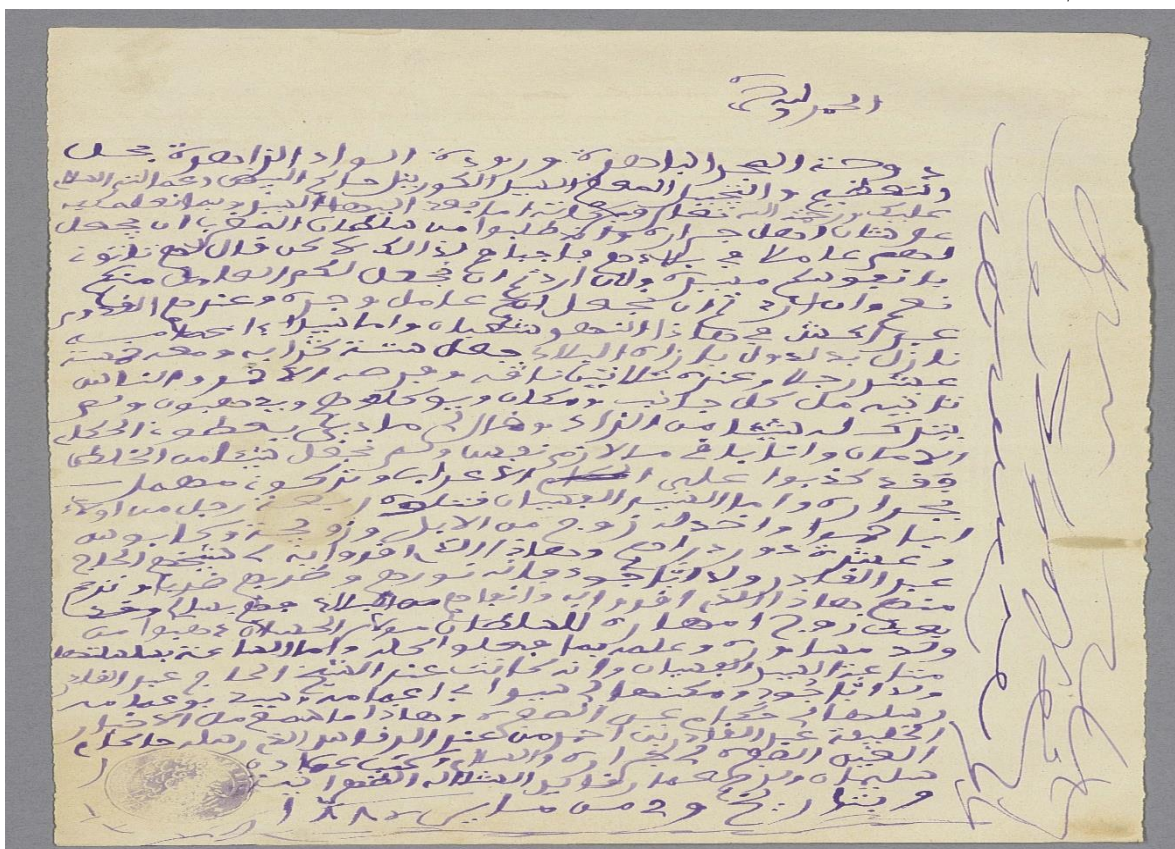
المصدر: المصدر: ع/ط عبد الملك حمدي والعربي بوعمامة، لدلول-تيميمون

ملحق رقم 44: رسالة تتكلم عن الشيخ بوعمامة وسي قدور بن حمزة ومنطقة قورارة



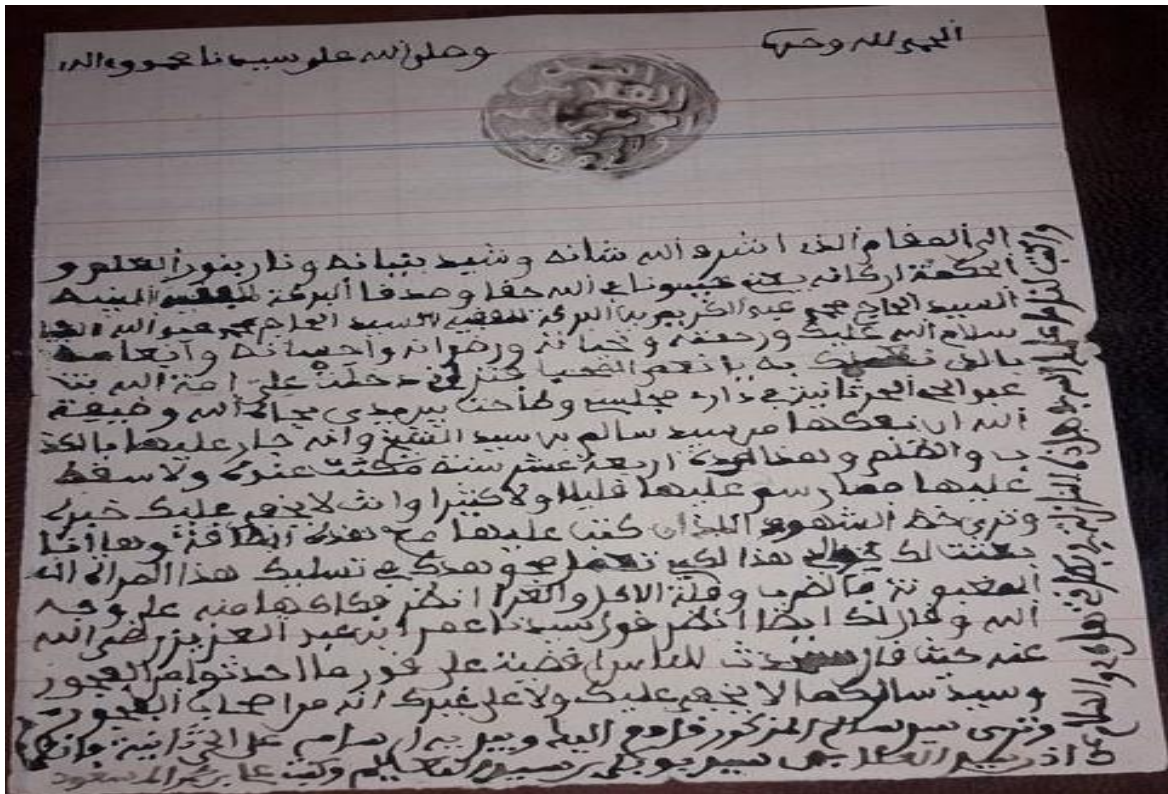
المصدر: 3 JJ 33 GGA: Cote, أرشيف ANOM

ملحق رقم 45: رسالة قايد الشلالة الظهرانية عن بوعمامة وحادثة مقتل مارسيل بالات 1886



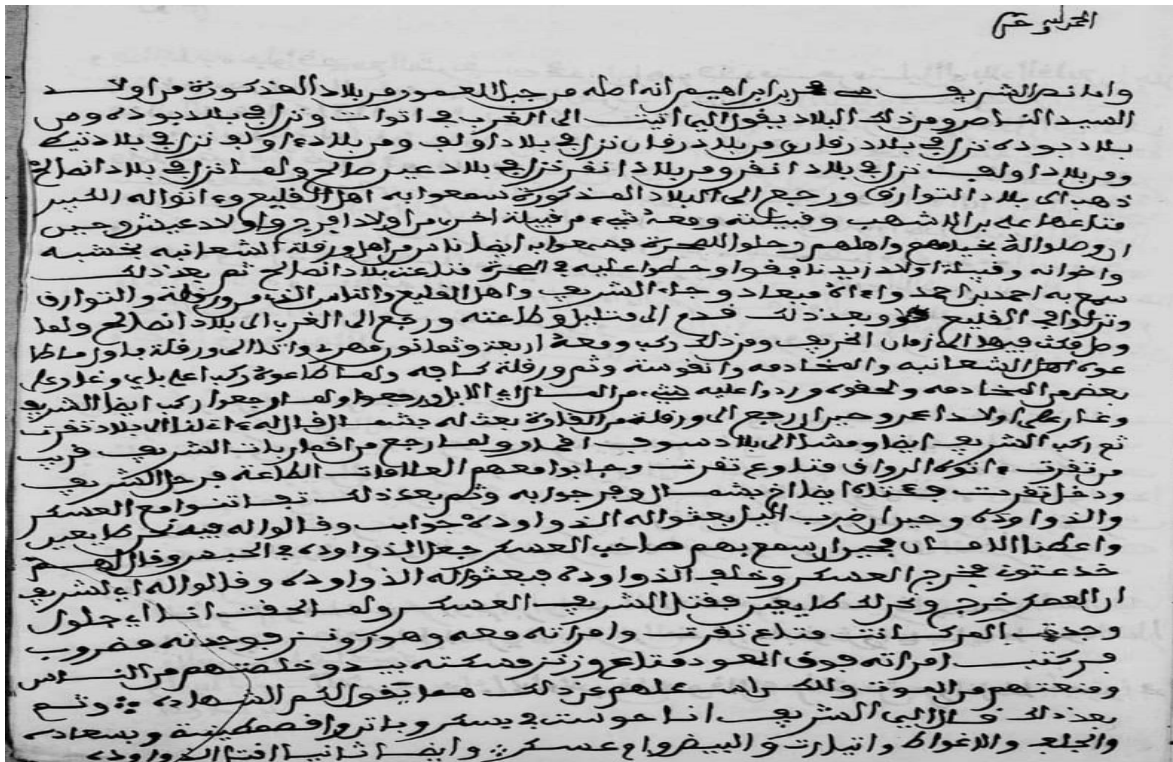
المصدر: 3 JJ 33 GGA: Cote, أرشيف ANOM

ملحق رقم 46: نازلة المرأة الحرثانية (رسالة طلب الفتوى إلى قاضي أولاد سعيد)



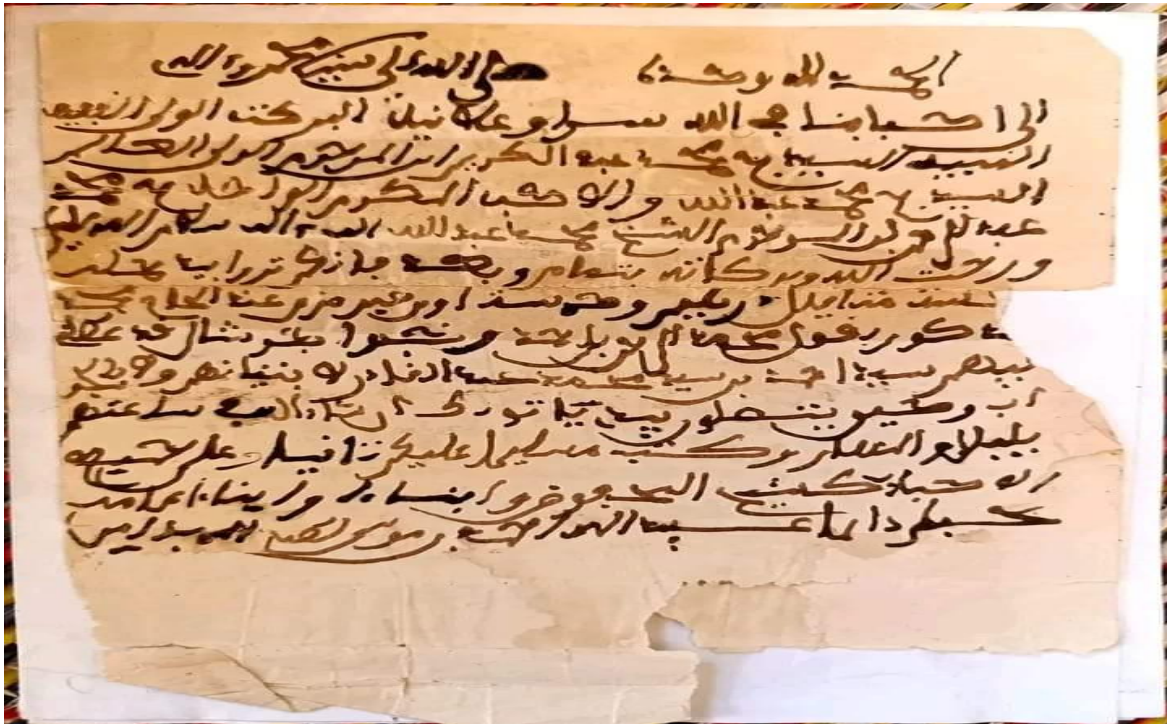
المصدر: خزانة آل الجوزي للمخطوطات، قصر أولاد سعيد، تيميمون الجزائر

ملحق رقم 47: محضر جلسة معلومات حول بوشوشة في قضية برج بوعريرج

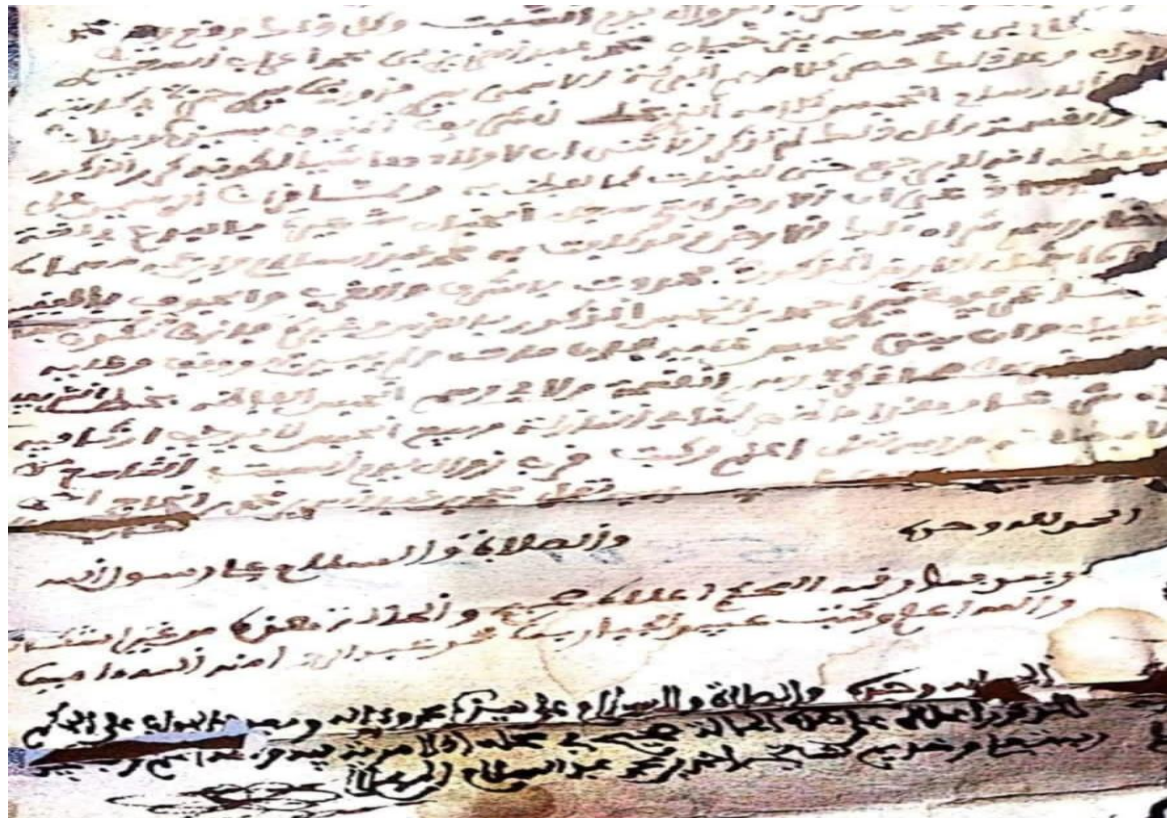


المصدر: نشرة وثائق وبيانات متنوعة: A15-A41، 1-3، MIOM 119، 2T، GGA Cote

ملحق رقم 48: رسالة تبرز دور الشيخ محمد عبد الكريم الجوزي في التعبئة للمقاومة المحلية.



ملحق رقم 49: نازلة قورارية ورد فيها دور المنطقة في دعم سي قدور بن حمزة.



المصدر: كلا الوثيقتين ع/ط الجوزي عبد الرحمن، إمام وقائم على خزانة آل الجوزي عبد الرحمن، الوثائق الرسمية والأرسام والرسائل والفتاوى والأحكام القضائية في خزانة آل الجوزي العامة، مقابلة شخصية (07 جوان 2024).

القرآن الكريم برواية ورش

الحديث النبوي الشريف

المصادر المخطوطة:

1. البكري بن عبد الرحمن التتيلاني، الديوان، الخزانة الأثرية، زاوية سيدي البكري تيمي، أدرار الجزائر، ع/ط بابا عبد الله
2. البكري بن عبد الرحمن التتيلاني، مخطوط قصيدة شعرية، خزانة آل البكري تمنطيط، أدرار الجزائر
3. البكري محمد بن بوزيان، رسالة من معركة إينغر، ع/ط الحاج عبد الله بكرابي، تمنطيط، أدرار الجزائر، ع/ط بابا عبد الله
4. البكري محمد بن عبد الكريم، تقييد حول تاريخ توات وتمنطيط، خزانة أولاد القاضي، تمنطيط الجزائر
5. البكري محمد بن عبد الكريم، درة الأقلام في ذكر أخبار المغرب بعد الإسلام، خزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي كوسام، أدرار الجزائر
6. بن الجوزي محمد عبد الله، تقايد بخط يد بن الجوزي، خزانة آل الجوزي للمخطوطات، قصر أولاد سعيد، تيميمون الجزائر
7. بن عبد الكبير الحاج الطيب، الأضواء الساطعة على تاريخ معارك المطارفة، تقييد عند الدكتور بن عبد الكبير محمد السالم، خزانة أولاد بن عبد الكبير بقصر المطارفة، ولاية تيميمون، (مقابلة شخصية يوم: 2024/08/29)
8. بن هاشم مولاي أحمد، رحلة مولاي أحمد بن هاشم من قصر أولاد عمور تيمي حتى قصر المستور 1213هـ، خزانة مولاي سليمان بن علي بقصر آدغاغ، أدرار الجزائر
9. البوداوي محمد بن عمر، نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، خزانة المخطوطات بن حسان بزاوية تتيلان، أدرار الجزائر
10. التتيلاني عمر بن عبد القادر ت 1152هـ/1739م، فهرس شيوخ، تح: عبد الكريم طموز، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة قسنطينة 2011
11. الجوزي محمد الطيب بن محمد فتحا، رسالة إلى عمه الأسير محمد عبد الكريم بن محمد عبد الله الجوزي، خزانة آل الجوزي للمخطوطات، قصر أولاد سعيد، تيميمون الجزائر
12. الجوزي محمد عبد الكريم بن محمد عبد الله، رسالة إلى ابن أخيه محمد الطيب بن محمد فتحا، خزانة آل الجوزي للمخطوطات، قصر أولاد سعيد، تيميمون الجزائر
13. رسالة عن دور الشيخ محمد عبد الكريم الجوزي في التعبئة للمقاومة المحلية، ع/ط الجوزي عبد الرحمن، إمام وقائم على خزانة آل الجوزي عبد الرحمن، الوثائق الرسمية والأرسام

- والرسائل والفتاوى والأحكام القضائية في خزنة آل الجوزي العامة، مقابلة شخصية (07 جوان 2024).
14. رسالة عن دور منطقة قورارة في دعم سي قدور بن حمزة، ع/ط الجوزي عبد الرحمن، إمام وقائم على خزنة آل الجوزي عبد الرحمن، الوثائق الرسمية والأرسام والرسائل والفتاوى والأحكام القضائية في خزنة آل الجوزي العامة، مقابلة شخصية (07 جوان 2024).
15. السكوتي محمد بن عبد الرحمن وحمزة بن الحاج أحمد الأقبلاوي، مخطوط قصائد شعر، خزنة با عبد الله أولاد أوشن، أدرار الجزائر.
16. سي العلا بن أبي بكر النعيمي، نازلة المرأة الحرثانية (رسالة إلى قاضي أولاد سعيد)، خزنة آل الجوزي للمخطوطات، قصر أولاد سعيد، تميمون الجزائر.
17. الشيخ بوعمامة، رسالة إلى جماعة لدول، ع/ط عبد الملك حمدي والعربي بوعمامة، لدول تميمون 2021/01/21.
18. الشيخ بوعمامة بن العربي، رسالة إلى نائب السلطان سيد محمد بركاش، بتاريخ 5 رجب 1300هـ، ع/ط أحمد بن عثمان حاكمي وجدة 2022.
19. الطاهري شهاب الدين أحمد، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، مخطوط مرقون.
20. العبادي الحاج الطيب، يا سيدي بوتدارة، قصيدة بالعامية مؤرخة في 906 هـ/ 1500م، نسخة مكتوبة عند عائلة بوتدارة، أدرار - الجزائر.
- المصادر المطبوعة:**
21. ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: محمد العريان ومراجعة: مصطفى القصاص، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، دار إحياء العلوم، بيروت 1987.
22. ابن خلدون عبد الرحمن، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، الجزء السادس، دار الفكر، بيروت 2000.
23. ابن خلدون عبد الرحمن، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، الجزء السابع، دار الفكر، بيروت 2001.
24. ابن زيدان عبد الرحمن، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، تح: د. علي عمر، جزء 5، مكتبة الثقافة الدينية، طبعة 1، القاهرة 2008.
25. الأغواطي ابن الدين، مجموع رحلات: رحلة الأغواطي، تح: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر 2011.
26. الأنصاري أبو عبد الله أحمد، فهرست الرصاع، تح: محمد العنابي، الطبعة الأولى، المكتبة العتيقة، تونس 1967.

27. البرتلي الولاتي الطالب محمد بن أبي بكر الصديق، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تح: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1981
28. البستاني بطرس، كتاب دائرة المعارف، مجلد سادس، مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان، طهران (ب ت)
29. بطوليموس كلاوديوس، وصف ليبيا (قارة أفريقيا) ومصر، تر: محمد المبروك الدويب، الطبعة الأولى، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي ليبيا 2004
30. بن بابا حيدة محمد، القول البسيط في أخبار تمنطيط، تح: فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر - 1977
31. البوداوي محمد بن عمر بن الحبيب، تح: مولاي عبد الله سماعيل، نقل الرواة عن أبداع قصور توات، الطبعة الأولى، دار الكلمة للنشر والتوزيع، الجزائر 2015
32. تروملي.س، الفرنسيون في الصحراء "يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية"، تر: محمد المعراجي، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر 2013
33. تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الأيالة السعيدة، المطبعة الملكية، الرباط - 1962
34. التبتكتي محمود كعت، تاريخ الفتاش، مؤسسة الرسالة ناشرون، الطبعة 1، بيروت 2014
35. التتيلاني عبد الرحمن بن إدريس، رحلته إلى ثغر الجزائر عام 1231 هـ / 1816م، تح: خير الدين شترة، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر - 2015
36. التواتي ضيف الله بن محمد بن أب، رحلتي لزيارة قبر الوالد، تح: جعفري أحمد أبا الصافي، الجزء الأول، دار الكتاب العربي، الجزائر 2015
37. دumas أوجين، الصحراء الجزائرية دراسة جغرافية إحصائية وتاريخية 1843-1851، تر: بن حرز الله بن مويضة، دار النعمان للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الجزائر 2024
38. روس إ. دان، المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي المواجهة المغربية للأمبريالية الفرنسية 1881-1912، تر: أحمد بوحسن، منشورات زاوية للفن والثقافة، الرباط 2006
39. رولفس غيرهارد، عبر إفريقيا، الجزء الأول، تر: عماد الدين غانم، مركز البحوث والدراسات الإفريقية سبها، طرابلس ليبيا-1987
40. السعدي عبد الرحمن، تاريخ السودان، طبعة هوداس، المدرسة الباريزية، باريس 1981
41. الشقراني الراشدي أحمد بن عبد الرحمن، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تح: ناصر الدين سعيدوني، طبعة ثانية، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2013

42. العياشي عبد الله بن محمد، الرحلة العياشية 1661-1663، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، المجلد الأول، الطبعة الأولى، أبوظبي الإمارات 2006
 43. العياشي عبد الله بن محمد، الرحلة العياشية 1661-1663، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، أبوظبي الإمارات 2006
 44. فتح الله حمزة، أبو أمامة، صحيفة البرهان المصرية، السنة الأولى، العدد 14، الإسكندرية مصر 09 رمضان 1298هـ / 04 أغسطس 1881م.
 45. الفشتالي أبي فارس عبد العزيز، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، تح: عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، الرباط 1972
 46. القيسي أبو عبد الله محمد بن أحمد، أنس الساري والسابر من أقطار المغرب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم 1630-1633، تح: محمد الفاسي، مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية، فاس 1968
 47. كام جوزفين، المستكشفون في إفريقيا، تر: السيد يوسف نصر، دار المعارف، القاهرة 1983
 48. لانغ غوردن، رحلة ورسائل الرائد الكسندر غوردن لانغ 1824-1826 (رحلتان عبر ليبيا)، تر: دار الفرجاني، الطبعة الأولى، مكتبة الفرجاني، طرابلس ليبيا 1974
 49. مارمول كريخال، إفريقيا، الجزء الثالث، تر: محمد حجي وآخرون، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 1984
 50. المزاري الآغا بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تح: يحيى بوعزيز، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990
 51. المشرفي محمد بن محمد بن مصطفى، الحل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية، الجزء الثاني، تح: إدريس بوهليلة، الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط 2005
 52. مؤرخ تواتي مجهول، ذكر ما وجد من تاريخ الأخبار التواتية، تح: عبد الله حمادي الإدريسي، الفوات من تاريخ توات وصحاري الجهات، ج1، طبعة أولى، دار كوكب العلوم، الجزائر 2023
 53. الوزان الحسن، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983
- الوثائق الرسمية والأرشيفية:

54. بوعمامة ولد محمد بكاري والحاج الحبيب ولد المبخوت، دفتر رسائل البراوات لكافة قياد حميان شافع (10 فيفري 1888-11 أبريل 1889)، بريد بتاريخ 03 مارس 1888، أرشيف مكتب المشرية، رمز علبة الأرشيف: GGA 35JJ 50، أرشيف ANOM
55. الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، رئاسة الحكومة، الجريدة الرسمية، العدد 26، مرسوم تنفيذي رقم 128-21، الجزائر 2021
56. الخليفة بن عامر، رسالة إلى الكومندار سبريور حاكم البيض، 16 سبتمبر 1890، أرشيف مكتب البيض، رمز علبة الأرشيف: GGA 33JJ 3، أرشيف ANOM
57. الخليفة بن عامر، رسالة إلى الكومندار سبريور حاكم البيض، أوت 1890، أرشيف مكتب البيض، رمز علبة الأرشيف: GGA 33JJ 3، أرشيف ANOM
58. سليمان ولد حمو عمرو قايد الشلالة الظهرانية، رسالة إلى حاكم البيض، 29 ماي 1886، أرشيف المكتب العربي بالبيض، رمز علبة الأرشيف: GGA 33JJ 3، أرشيف ANOM
59. عبد الله بن سالم، رسالة إلى القبطان بنصار حاكم مكتب البيض، ب ت، أرشيف المكتب العربي بالبيض، رمز علبة الأرشيف: GGA 33JJ 3، أرشيف ANOM
60. القايد الحاج حمزة بن قدور، رسالة إلى حاكم البيض، 08 مارس 1890، أرشيف المكتب العربي بالبيض، رمز علبة الأرشيف: GGA 33JJ 3، أرشيف ANOM
61. قايد الشلالة الظهرانية، رسالة إلى الكومندار سبريور حاكم البيض، 26 أكتوبر 1892، أرشيف مكتب البيض، رمز علبة الأرشيف: GGA 33JJ 3، أرشيف ANOM
62. قايد بوسمغون، رسالة إلى حاكم البيض، مارس 1886، أرشيف المكتب العربي بالبيض، رمز علبة الأرشيف: GGA 33JJ 3، أرشيف ANOM
63. قايد عرش أولاد سيد أحمد المجدوب، رسالة إلى الكومندار حاكم دائرة البيض، 27 جوان 1890، أرشيف مكتب البيض، رمز علبة الأرشيف: GGA 33JJ 3، أرشيف ANOM
64. قضية برج بوعريريج، نشرة وثائق وبيانات متنوعة: A15-A41. N°2، وثائق محضر استجواب لقاضي التحقيق بسطيف 23 مارس 1872، Cote: GGA 2T, 119 MIOM
- 1-3
65. لويس تيرمان، رسالة من الحاكم العام لوزير الداخلية بخصوص مقترح للتخلص من الشيخ بوعمامة، بتاريخ: 19 نوفمبر 1890، Cote: 22H9/GMM، أرشيف ANOM
66. مولاي عبد الله بن سالم، رسالة إلى الجنرال حاكم دائرة البيض وإلى القبطان بنصار حاكم مكتب البيض، ب ت، أرشيف المكتب العربي بالبيض، رمز علبة الأرشيف: GGA 33JJ 3، أرشيف ANOM

67. وثيقة شجرة نسب الشيخ بوعمامة بعنوان: سلسلة الولي الصالح الشيخ بوعمامة، ع/ط العربي بوعمامة من قبيلة أولاد سيدي الشيخ، عين الصفراء 2022/12/09

المصادر باللغة الأجنبية:

68. A.Bernard, N. La Croix, **La Pénétration Saharienne (1830–1906)**, Éditeur: J. Gandini, Calvisson 1906
69. A.G.P Martin, **Les Oasis Sahariennes**, Augustin Challamel, Paris 1908
70. A.G.P Martin, **Quatres Siècles d'Histoire Marocaine: au Sahara de 1504 à 1902, au Maroc de 1894 à 1912**, lebrarie felix alcan, paris 1923
71. Abderrahman Selka, "Notice sur Touat", **Bulletin de La Société de Géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord**, Volume 23, N° 87–92, Alger 1922
72. Alis Harry et Terrier Auguste, **Bulletin du Comité de l'Afrique française**, Éditeur: "Comité de l'Afrique française", Paris 1900
73. Alis Harry et Terrier Auguste, **Bulletin du Comité de l'Afrique française**, "Les affaires du Sud Algérien", Éditeur: Comité de l'Afrique française, Paris 1901
74. Auguste Terrier, **dans Les Oasis du Touat, Journal des Voyages et des Aventures de Terre et de Mer**, N° 284, Éditeur: Librairie illustrée et M. Dreyfous, Paris 11/05/1902
75. Camille Sabatie, **La Question du Sud-Ouest**, Adolphe Jourdan, Libraire-éditeur, Alger 1881
76. Colonel D'eu, **In-Salah et Le Tidikelt**, Librairie Militaire R. Chapelot et C^e, Paris 1903
77. Colonel Malher, **La Question du Touat**, Editeur Militaire Henri Charles-Lavauzelle, Paris et Limoges 1895
78. Comité l'Afrique Française, **Bulletin Mensuel**, N° 1, Renseignements Coloniaux, "La Colonne Servièrre au Tidikelt, au Touat et au Gourara (21 Mai–18 Aout 1900)", Paris Janvier 1902

79. Corneille Trumelet, **Les Français dans Le Désert: journal historique, militaire et descriptif d'une expédition aux limites du Sahara algérien**, Éditeur: Challamel aîné, Paris 1885
80. Daumas Eugene, **Le Sahara Algérien "études Géographique, Statistique, et Historique sur la région au sud des établissements Français en Algérie"**, Langlois Leclercq, Paris 1845
81. Douls Camille, **Cinq Mois Chez Les Maures Nomades du Sahara Occidental**, Le Tour du Monde 1888
82. Dr.Wateau, **Documents Pour Servir a l'Histoire des Hamyans et de La Region Qu'ils Occupent Actuellement 1914**, Timimoun 1914
83. Duponchel Adolphe, **Le Chemin de Fer Transsaharien, jonction coloniale entre l'Algérie et Le Soudan**, impr. de Boehm, Montpellier 1878
84. E.Graulle, **Insurrection de Bou-Amama (Avril 1881)**, Henri Charles-la Vauzelle, Éditeur Militaire, Paris 1905
85. Elhadj Abd Elkader Ben Abou Bekr Ettouaty, **Le Sahara et Le Soudan**, Documents Historiques et Géographiques, Traduits: M.L'abbé Barges, Just Rouvier Libraire-Éditeur, Paris 1853
86. Élisée Reclus, **Nouvelle Géographie Universelle**, tome 11, 2ème Partie, librairie Hachette et cie, Paris 1886
87. Fernand Foureau, **Rapport sur ma Mission au Sahara et Chez Les Touareg Azdjer 1893-1894**, Librairie Coloniale, Paris 1894
88. Fernand Foureau, **Une Mission au Tademayt (Territoire d'In-Salah), en 1890**. Rapport à M. le ministre de l'instruction publique et à M. le sous-secrétaire d'etat des colonies, Impr. de C. Schlaeber, Paris 1890
89. Forestier Georges, **Notice sur Les Chemins de Fer Algériens**, Éditeur: Alger-Mustapha, Alger 1900
90. G.B.M. Flamand, **Recherches sur Les Stations de "Pierres écrites" ou hadjra mektouba de l'extrême-sud Oranais** [article], Comptes

- rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres,
36^e année, N. 1, Paris 1892
91. G.B.M Flamand, **de l'Oranie au Gourara, Note de Voyage**, Editeur Augustin Challamel, Paris 1898
 92. G.B.M. Flamand, "Une Mission d'Exploration Scientifique au Tidikelt" [article], **Annales de Géographie**, T. 9, N°45, Librairie Armand Colin, Paris 1900
 93. Gautier Emile Félix, **Missions au Sahara**, Tome 1, Sahara algérien, Librairie Armand Colin, Paris 1908
 94. Gerhard Rohlfs, **Land Und Volk In Afrika, Berichte Aus Den Jahren 1865–1870**, Verlag Von J.Kuhtmann's Buchhandlung, Bremen 1870
 95. Gerhard Rohlfs, **Reise Durch Marokko, Uebersteigung des Grossen Atlas, Exploration der Oasen Von Tafilet, Tuat Und Tidikelt Und Reise Durch Die Grosse Wüste Über Rhadames Nach Tripoli**, Verlag Von J.Kuhtmann's Buchhandlung, Bremen 1868
 96. Gerhard Rohlfs, **Voyages et Explorations au Sahara**, tome.1, 1861–1864, Traduits: Jacques debets, Edité sous l'égide du centre d'études sur l'histoire du sahara, Éditeur Karthala (15 mai 2001)
 97. Guillaume de Champeaux, **a Travers Les Oasis Sahariennes**, R.Chapelot et C^e, Paris 1903
 98. H.bissuel, **Le Sahara Français**, typographie adolphe jourdan, Alger–1891
 99. Henri Barth, **Voyages et Découvertes dans l'Afrique Septentrionale et Centrale (1849–1855)**, Traduction: Paul Ithier, Tome 4, 2^{ème} Edition, A. Bohné (Paris), A. Lacroix et F. Van Meenen (Bruxelles), 1863
 100. Hébrard Adrien, "Le Voyage de M. Cambon", **Le Temps**, N° 11248, Paris 07/03/1892
 101. Hébrard Adrien, "Affaires Coloniales Algérie", **Le Temps**, N° 11265, Paris 24/03/1892

102. Jacquot Félix, **Expédition du Général Cavaignac dans Le Sahara Algérien en Avril et Mai 1847**: relation du voyage, exploration scientifique, souvenirs, impressions, etc, Gide et J. Baudry, Paris 1849
103. Jean Hess, "l'Extrême-Sud Algérien et Le Touat", ***Annales de Géographie***, vol 26, Année 1897
104. La Croix et de La Martinière, "Documents Pour Servir a l'étude du Nord Ouest African", T.2, Éditeur: ***Gouvernement Général de l'Algérie***, service des affaires indigènes, Alger 1897
105. Lacroix et de La Martinière, "Documents Pour Servir a l'étude du Nord Ouest African", T.4, Éditeur: ***Gouvernement Général de l'Algérie***, service des affaires indigènes, Alger 1897
106. ***Le Petit Journal***, "Supplément du Dimanche", Douzième Année, N° 541, Éditeur: [s.n.], Paris 31/03/1901
107. Lieutenant Baquey, **La Pénétration Saharienne 1899–1905**, Imprimerie Librairie Militaire, Paris 1908
108. Lieutenant Baquey, **La Pénétration Saharienne, Résumé Historique 1899–1905**, Henri Charles–La Vauzelle, Éditeur Militaire, Paris 1908
109. Louis de Colomb, **Exploration des Ksours et du Sahara de La Province d'Oran**, Impr. du Gouvernement, Alger 1858
110. Louis de Colomb, **Notice sur Les Oasis du Sahara**, Imprimerie de ch.la hure et C^e, Paris 1860
111. Louis Rinn, **Histoire de l'Insurrection de 1871 en Algérie**, Librairie A. Jourdan, Alger 1891
112. Marcel Frescaly (Lieutenant Palat), **Journal de Route**, G.Charpentier et C^e, Paris 1886
113. Marcel Palat, **Journal de Route et Correspondence**, Édition: G.Charpentier, Paris 1886
114. Mario Vivarez, **au Sujet du Touât**, Éditeur: Michel Ruff, Alger 1896

115. Mémoires de La Société Bourguignonne Géographie et d'Histoire,
Tome 12, Imprimerie Darantiere, Dijon 1896
116. P.Vidal de La Blache et Marcel Dubois, "Sahara", **Annales de
Géographie**, T. 4, N°13, Bibliographie de l'année 1893.1894,
Editeurs: Armand Colin et C^e, Paris 1894, pp. 167–169
117. Paul Soleillet, **Exploration du Sahara Central: avenir de La France
en Afrique**, Éditeur: Challamel aîné, Paris 1876
118. Paul Soleillet, **Exploration du Sahara Central: voyage de Paul
Soleillet d'Alger à l'Oasis d'In-Çalah**: rapport présenté à la chambre
de commerce d'alger, Éditeur: [s.n.], Alger 1874
119. Paul Soleillet, **l'Afrique Occidentale: Algérie, Mزاب,
Tidikelt**, Imprimerie de F.Seguin aîné, Avignon 1877
120. René Caillié, **Voyage d'un Faux Musulman à Travers l'Afrique:
Tombouctou, Le Niger, Jenné et Le Désert: à travers le continent
noir**, E. Ardant (Limoges), Paris 1882
121. René Pinon, "Les Marches Sahariennes: Autour de Figuig, Igli, le
Touat, Revue des Deux Mondes (1829–1971)", **Cinquième Période**,
Vol. 7, N°. 2, Paris (15 Janvier 1902), pp. 360–397
122. Tillion André, **La Conquête des Oasis Sahariennes: Opérations au
Tidikelt, au Gourara, au Touat, dans La Zousfana et dans La
Saoura en 1900 et 1901**, Publisher: H. Charles–Lavauzelle, Paris
1903
123. Victor Colonieu, **Le Tracé Central du Chemin de Fer Trans–
Saharien**, Imprimerie de E.l'huillier, Langres 1880
124. Victor Colonieu, **Voyage dans Le Sahara Algérien, de Géryville à
Ouargla**, Édition: Lettres modernes, Paris 1863
125. Vivien de Saint–Martin, **Le Nord de l'Afrique**, Imprimerie Impériale,
Paris 1863
126. Voinot Louis, **Le Tidikelt, Etude sur La Géographie l'Histoire Les
Mœurs du Pays**, Editions Jacques Gandini, Oran 1909

127. Voinot Louis, "Opérations dans Les Oasis Sahariennes", **Revue d'Artillerie**, Année 30, Tome 60 (Avril–Septembre 1902), Éditeur: Berger-Levrault et C^e, Paris 1902

المراجع باللغة الأجنبية:

128. Bellil Rachid, **Les Oasis du Gourara**, Editions Peeters, Paris 1999
129. Bisson Jean, **Le Gourara Etude de Géographie Humaine**, Mémoire n° 3, Université d'Alger 1955
130. Boulvert Yves, "Fernand Foureau (1850–1914) Explorateur Saharien, Hommes et Destins", Tome 11, **Afrique Noire**, Publications de l'Académie des Sciences d'Outre–Mer, l'Harmattan, Paris 2011
131. Demoulin. F, "Camille Douls", **Annales de Géographie**, T. 46, N°259, Librairie Armand Colin, Paris 1937
132. J. Bisson, **Gourara, Gland–Hadjarien**, Encyclopedieberbere, V.21, UNESCO 1999, pp. 3188–3198
133. Mammeri Mouloud et Al, **Le Gourara: éléments d'étude anthropologique**, Libyca N°21, C.R.A.P.E, Alger 1973, pp.239–292
134. Pierre Boyer, **l'Odyssée d'une Tribu Saharienne: Les Djeramna (1881–1929)**, Revue des mondes musulmans et de La Méditerranée, N°10, Lyon 1971, pp. 27–54
135. Selkh M'hamed, **Timimoun La Mystique**, l'Office du Tourisme de Timimoun, Edition 2011

المراجع باللغة العربية:

136. أعفيف محمد، توات مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط (ب ت)
137. بابا عبد الله، الزاوية البكرية الجذور التاريخية والإسهامات الحضارية بتوات بين القرنين 10 و14هـ، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، الجزائر 2023
138. بكري عبد الحميد، النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران الجزائر - 2007
139. بسايح بوعلام، أعلام المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي بالسيف والقلم 1830-1954، وزارة الثقافة، الجزائر 2007

140. بلعالم محمد باي، الرحلة العلية إلى منطقة توات، الجزء الأول، دار هومه، الجزائر 2005
141. بلعالم محمد باي، الرحلة العلية إلى منطقة توات، الجزء الثاني، دار هومه، الجزائر 2005
142. بلغيث محمد الأمين، تاريخ الجزائر المعاصر دراسات ووثائق، دار مدني للطباعة والنشر، الجزائر 2008
143. بليل رشيد، قصور قورارا وأولياؤها الصالحون في المأثور الشفاهي والمناقب والأخبار المحلية، تر: عبد الحميد بورايو، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ والأنثروبولوجيا والتاريخ، الجزائر 2008
144. بن معمر محمد وآخرون، دور الطرق الصوفية في المقاومة الشعبية خلال القرن 19م، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر (ب ت)
145. بوزناشة توفيق وآخرون، دليل الجمهورية ولايات وبلديات، مطبعة ناكسوس تي في، الجزائر 2013
146. البوشيخي محمد بن الطيب، أولاد سيدي الشيخ الشراقة والغربة، الطبعة الثالثة، مطبعة أطلال، وجدة 2013
147. البوعبدلي المهدي، تاريخ المدن، جمع وإعداد: عبد الرحمن دويب، الطبعة الأولى، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 2013
148. بوعزيز يحيى، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، الجزء الأول، الطبعة الثانية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر 1996
149. بوعزيز يحيى، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999
150. بويه عبد القادر، صفحات من تاريخ الصحراء الجزائرية تيدكلت والهقار، طبعة ثانية، دار المثقف للنشر والتوزيع، بانتة الجزائر 2020
151. التازي عبد الهادي، رسائل مخزنية على عهد السلطان مولاي الحسن وابنه 1875-1904، المعهد الجامعي للبحث العلمي، مطبعة أكدا، الرباط 1970
152. التواتي بومهلة، الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، دار المعرفة - الجزائر 2012
153. تواتي دحمان وآخرون، دور أقاليم توات خلال الثورة الجزائرية 1956-1962، وزارة الثقافة، الجزائر - 2008
154. التومي سعيدان، سكان تيدكلت القدماء والاتكال على النفس، دار هومه، الجزائر 2005

155. جادور محمد، مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء المغرب - 2011
156. جعفري أحمد أبا الصافي، من تاريخ توات أبحاث في التراث، الطبعة الأولى، منشورات الحضارة، الجزائر 2011
157. جعفري مبارك، مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، دار الكتاب العربي، الجزائر - 2016
158. حاج أحمد الصديق، التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11هـ إلى القرن 14هـ، الطبعة الثانية، منشورات الحبر، الجزائر 2011
159. حاكمي أحمد، تفاصيل وتحاليل عن الشيخ بوعمامة، مطبعة الصقر، وجدة 2011
160. حوتية محمد، توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (18 و19م)، الجزء الأول، دار الكتاب العربي، الجزائر 2007
161. خليفي عبد القادر، الطريقة الشيعية، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر 2010
162. خليفي عبد القادر، المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2010
163. خليفي عبد القادر، محطات من تاريخ الشيخ بوعمامة، شركة الأصالة، الجزائر 2021
164. روشام عيسى، مقاومة قصور الجنوب الوهراني من الشيخ بن الطيب إلى محمد ولد علي قائد مقاومة بني سمير 1849-1900، منشورات دار الأديب، الجزائر 2018
165. زوزو عبد الحميد، ثورة بوعمامة 1881-1908، الجزء الأول، موفم للنشر، الجزائر 2010
166. زوزو عبد الحميد، محطات في تاريخ الجزائر، دار هوم، الجزائر 2011
167. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992
168. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول، دار البصائر، الجزائر 2007
169. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء 2، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998
170. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء 6، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998
171. سعودي أحمد، سلطان الصحراء الشريف بوشوشة الغيشاوي ومقاومته للفرنسيين 1862-1875، الطبعة الأولى، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعرييج الجزائر 2020
172. صاري جيلالي، انتفاضة 1881-1882 ملحمة الشيخ بوعمامة، تر: نصيرة بن تركي، موفم للنشر، الجزائر 2013

173. الصلابي علي محمد، الحركة السنوسية في ليبيا، الجزء الأول، دار البيارق، عمان الأردن 1999
174. الصلابي علي محمد، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، الصحوة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة 2015
175. عبد العزيز أحمد، صحراؤنا في مواجهة الاستعمار، دار رحاب للنشر والفنون المطبعية، الجزائر (ب.ت)
176. العماري أحمد، توات في مشروع التوسع الفرنسي، منشورات كلية الآداب - فاس، المغرب 1988
177. عميرايو احميده وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، دار الهدى، الجزائر 2009
178. عوبيدي مولاي مبارك، قورارة وتوات وما عليه احتوت من الفقارة إلى الساقيات، تح: عبد الله حمادي الإدريسي، دار كوكب العلوم للنشر، الجزائر - 2023
179. غيتاوي مولاي التهامي، القول الميمون في تاريخ جواررة وتيميمون، مؤسسة البلاغ، الجزائر 2013
180. غيتاوي مولاي التهامي، لفت الأنظار إلى ما وقع من النهب والتخريب والدمار بولاية أدرار إبان احتلال الاستعمار، الطبعة الثانية، دار الكتاب العلمية، بيروت - 2011
181. الفاطمي محمد، البيوتات العلمية بقورارة إبان القرنين 11 و12هـ، الطبعة الأولى، دار صبحي للطباعة والنشر، غرداية الجزائر 2022
182. الفاطمي محمد، الفقارة نبع وروح، دار ومضة للنشر والتوزيع، جيجل الجزائر 2024
183. فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1977
184. الفندري منير، سبع رسائل مخطوطة لهانريش بارث عن رحلته إلى تونس 1845-1846، الطبعة الأولى، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات بيت الحكمة، تونس 1987
185. فيرون ريمون، الصحراء الكبرى، تر: جمال الدين الدناصوري، مؤسسة سجل العرب، القاهرة 1963
186. قنان جمال، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار 1830-1944، وزارة المجاهدين، الجزائر 2009
187. لكل الشيخ، مقاومة منطقة متليلي الشعانبة للاستعمار الفرنسي في الفترة ما بين 1851-1908، دار صبحي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، غرداية الجزائر 2019

188. مزيان أحمد، المجتمع والسلطة المخزنية في الجنوب الشرقي المغربي خلال القرن التاسع عشر (1845-1912)، جزء 1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط 2007
189. مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية، مؤسسة الجزائر كتاب، تلمسان الجزائر -2002
190. مقدم مبروك، بنائية تقسيم العمل المأجور في المجتمع الواحي القصورى التواتي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر - 2016
191. مناصرة يوسف، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832-1847، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1990
192. منور العربي، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، دار المعرفة، الجزائر 2006
193. مياي إبراهيم، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، دار هوم، الجزائر 2012
194. مياي إبراهيم، المقاومة الشعبية الجزائرية، دار مدني، الجزائر 2009
195. مياي إبراهيم، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر - 1996

المقالات والمحاضرات:

196. أبلالي ليلي، "استكشاف الضابط الفرنسي لويس فوانو لمنطقة أقبلي في القرن 19م من خلال كتابه Le Tidikelt"، مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 22، العدد 02، 2023
197. اسماعيلي مولاي عبد الله، الخصائص الفنية لتيفقرين من خلال شيخاتها (الشيخة نافنة الزهراء أنموذجاً)، النسخة الـ 16 من مهرجان أهليل، مديرية الثقافة بولاية تيميمون، تيميمون في: 2024/04/20
198. أعفيف محمد، "واحات توات في نهاية القرن 19 وبداية القرن 20م"، مجلة دار النيابة، العدد 5، طنجة 1985
199. امحمدي محمد بن محمد السالم، دور رجال زوايا قورارة في المقاومة والنضال ضد الاحتلال الفرنسي، الملتقى الرابع للثورة التحريرية بقورارة، طبع زاوية الشيخ سيدي احمد بن عبد الله البوبكري بسموطة، تيميمون الجزائر 2021
200. بابا عبد الله، الاحتضان الشعبي لمقاومة الشيخ بوعمامة بقصور واحة قورارة 1883-1894، الملتقى الدولي السادس: الطريقة الشيخية وأعلامها بالجزائر وإفريقيا وأوروبا وعموم العالم، جامعة غرداية 16-17/11/2022، المطبعة العالمية، الطبعة الأولى، غرداية-الجزائر 2023

201. بابا عبد الله، الشيخ المقرئ عبد العزيز بن عيسى الحفصي الوقوتي التواتي مقرئ الطائف 1073هـ/1663م، الملتقى الوطني الثالث حول علماء وأولياء قورارة إبان القرنين 10 و11هـ، زاوية سيدي أحمد بن عبد الله البوكري بسموطة تميمون، دار الكلمة، أدرار الجزائر 2021
202. بابا عبد الله، "موقف الشيخ البكري بن عبد الرحمن التواتي من كتابات محمد بن مصطفى بن الخوجة الجزائري سنة 1898"، مجلة عصور الجديدة، المجلد 10، العدد 2، جوان 2020، ص ص 277-293
203. بلعالية ميلود، "الشيخ محمد بن علي السنوسي (1787-1859)"، مجلة عصور، المجلد 5، العدد 2، 2006/12/30، ص ص 108-132
204. بن معمر محمد والنوي مزيد، "الشريف بوشوشة زعيم ثورة 1871م في صحراء الجزائر الشرقية"، مجلة عصور، المجلد 01، العدد 01، 2002/06/30، ص ص 105-120
205. بنعمر رشيد، تاريخ المقاومة والحركة الوطنية بالمغرب 1912-1956م، محاضرات في تاريخ المقاومة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس، المغرب 2020
206. بوباية عبد القادر، "دور الرحالة والمستكشفين في حركة التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية"، مجلة عصور، العدد 5/4، ديسمبر 2003/جوان 2004
207. بوسعيد أحمد، مرجعية المخطوطات الجزائرية في الحركة الفكرية ببلاد شنقيط، مداخلة في الملتقى الوطني الرابع للمخطوطات الجزائرية في الخزائن والمكتبات الإفريقية: واقع وآفاق، جامعة أحمد دراية، أدرار الجزائر 27 و 2023/11/28
208. بوسليم صالح، "الحياة العلمية والثقافية في منطقة توات خلال القرنين 18 و19 مصادرها وبعض مظاهرها"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية، المجلد 4، العدد 5، جامعة وهران 2008/12/31
209. بوسليم صالح، "جوانب من السياسة الإستعمارية الفرنسية بالصحراء الجزائرية 1956-1962"، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، المجلد 2 العدد 25، جامعة غرداية 2015/12/15
210. بوغافلة ودان، "الصحراء الجزائرية والطموح الاستيطاني خلال القرن 19م"، جريدة الجمهورية، صفحة أوراق الجمهورية العدد 36، وهران 2024/01/27
211. بوقرين عيسى، "أضواء على مقاومة الشريف بوشوشة 1863-1875"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المجلد 01، العدد 02، 2019/07/01، ص ص 111-126

212. ثابت زينب، من الخزائن الشعبية للمخطوطات بإقليم توات الوسطى وصف وتقديم، مداخلة في الملتقى الوطني الرابع للمخطوطات الجزائرية في الخزائن والمكتبات الإفريقية: واقع وآفاق، جامعة أحمد دراية أدرار، الجزائر 27 و 28/11/2023
213. جعفري أحمد الوغزيري، "دور الزوايا التواتية في حماية المقومات الوطنية إبان الفترة الاستعمارية (1830-1962)"، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، العدد 7، المجلد 4، جامعة الجزائر، 2013/12/31
214. جعفري مبارك وعبو الطاهر، منطقة توات ودورها في تجارة القوافل الصحراوية من القرن 15 إلى 19م، الملتقى الدولي 7 حول التجارة والتجار عبر التاريخ، المنستير تونس 2014
215. جعفري مبارك، "الشهيد مولاي عبد الله بن مولاي العباس الرقاني قائد مقاومة الدغامشة بعين صالح حياته وجهاده (1833-1900)"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد 4، العدد 3، 2018/06/02، ص ص 146-165
216. جعفري مبارك، النظام القصورى الواحاتي ودوره في تطور منطقة توات بين القرن 9 و 13هـ/ 15 و 19م، المهرجان الوطني الثاني حول اسدراتن، ورقلة الجزائر 2018/04/19
217. جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية بولاية أدرار، معرض حول الخزائن والمدارس القرآنية بتوات، الملتقى الوطني حول تعليمية اللغة العربية في المدارس القرآنية، أوقروت تيميمون في: 24 فيفري 2024
218. جنيدي عبد الحميد، "إقليم توات وأهميته في التجارة الصحراوية"، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، جامعة تيارت، الجزائر، العدد الخامس، 2018
219. الجوزي عبد الرحمن، القاضي الشهيد سيدي محمد عبد الكريم بن محمد عبد الله بن الجوزي ودوره التعليمي والجهادي في إقليم قورارة، الملتقى الرابع للثورة التحريرية بقرارة، طبع زاوية الشيخ سيدي احمد بن عبد الله البوبكري بسموطة، تيميمون الجزائر 2021
220. جولي أحمد وآخرون، دليل مهرجان أهليل نشيد قورارة الأزلي، دار الثقافة الجزائر 2012
221. حالة خديجة، "التوغل الفرنسي في الصحراء الجزائرية إقليم توات أنموذجاً"، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 59، ديسمبر 2019
222. حريشة جمال، "الصحراء الجزائرية في كتابات البعثات الفرنسية: بعثة لويس أوجين كافينياك (1847-1848) أنموذجاً"، مجلة السائرة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 9، العدد 2، 2023
223. الحمدي أحمد، الحضور الجزائري في النوازل المخطوطة الإفريقية: المسائل والأعلام، مداخلة في الملتقى الوطني الرابع للمخطوطات الجزائرية في الخزائن والمكتبات الإفريقية: واقع وآفاق، جامعة أحمد دراية أدرار، الجزائر 27 و 28/11/2023

224. خليف عبد القادر، "موقف السلطات المغربية من حركة الشيخ بوعمامة"، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، المجلد 17، العدد 2، 2002/09/15، ص ص 177-187
225. خليف عبد القادر، "الشيخ بوعمامة في صحيفة البرهان المصرية"، مجلة عصور الجديدة، مج14، ع1، مختبر تاريخ الجزائر، جامعة وهران1، ماي 2024، ص ص 154-185
226. دين قادة، "الحدود الجزائرية المغربية عبر التاريخ"، مجلة عصور الجديدة، المجلد 7، العدد 27، أكتوبر 2017
227. رموم محفوظ، "الاحتلال الفرنسي لأقصى الجنوب الغربي الجزائري والمجابهة العسكرية والثقافية"، مجلة الحوار الفكري، المجلد 11، العدد 11، 30 جوان 2016، ص ص 53-88
228. سياب خيرة، "رحلة الصحراء لابن الدين الأغواطي المعروفة بالرحلة الأغواطية دراسة طبيعية اقتصادية اجتماعية عمرانية"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد 13، جوان 2015
229. شترة خير الدين، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي المصلح الثائر وفكره الإصلاحي في توات والسودان الغربي، محاضرة، جامعة أحمد درابعية أدرار، الجزائر 2010
230. طهيري عبد الكريم، أعلام وقصور قورارة السباقة في مقاومة الاحتلال الفرنسي، مداخلة في الملتقى الوطني الأول حول تاريخ وتراث منطقة قورارة الموسم (منطقة قورارة ودورها في مقاومة الاحتلال الفرنسي بالجزائر، من لجوء الشيخ بوعمامة إلى معارك العرق الغربي الكبير)، جامعة أحمد درابعية بأدرار وبلدية دلدول بتيميمون ، يومي 19 و 20 مارس 2023
231. طهيري عبد الكريم، "توات في مشروع التوسع الاستعماري الفرنسي بالجزائر خلال القرن 19م"، مجلة رفوف، جامعة أدرار - الجزائر، المجلد 11، العدد الثاني، جويلية 2023
232. طهيري عبد الكريم، "دور المراسلات في ثورة الشيخ بوعمامة 1881-1900"، مجلة عصور، المجلد 22، العدد 01، جوان 2023، ص ص 268-297
233. طهيري عبد الكريم، مرحلة لجوء الشيخ بوعمامة بمنطقة قورارة 1883-1894، الملتقى الدولي السادس: الطريقة الشيخية وأعلامها بالجزائر وإفريقيا وأوروبا وعموم العالم، جامعة غرداية 16-17/11/2022، المطبعة العالمية، الطبعة الأولى، غرداية-الجزائر 2023، ص ص 519-539
234. العمراني محمد، "الجزائر والشرفاء الوزانيون في نهاية القرن 19م"، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 10، العدد 2، جوان 2019
235. عمراوي ليندة، "شارل دي فوكو في الجنوب الغربي الجزائري. المهمة المزدوجة"، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية، جامعة بشار الجزائر، المجلد 8، العدد 2، 2022/12/25

236. عواريب لخضر، "بعض الحقائق عن مقاومة الشريف بوشوشة من خلال بعض المصادر المحلية ومنها الشهادة التي أملاها بوشوشة على سجانه"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 17، ديسمبر 2014، ص ص 295-304
237. قاصري محمد السعيد، "سفارة محمد البوحميدي خليفة الأمير عبد القادر إلى السلطان المغربي سنة 1847"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد 2، العدد 2، 2016/05/25، ص ص 98-144
238. قلوب مكي، "الغزو والاحتلال الفرنسي لمنطقة توات"، مجلة القبس، مديرية التربية لولاية أدرار، العدد 15، مارس 1980
239. قوراري عيسى، دور الطريقة العمامية أو الايمانية في مقاومة الشيخ بوعمامة، الملتقى الدولي 11 التصوف في الاسلام والتحديات المعاصرة، جامعة أحمد درايعة أدرار، من 9-11 نوفمبر 2008، ص ص 493-508
240. لمحرزي عبد الرحمن، "دور شيوخ الزوايا في الثورة التحريرية الجزائرية شيخ الزاوية الطاهرية ومسألة فصل الصحراء أنموذجاً 1944 - 1962"، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد 04، العدد 02، جامعة المسيلة 2020/12/09
241. مرجاني عبد القادر، "مقاومة الشريف محمد بن عبد الله (1851-1871)"، مجلة الباحث، المجلد 12، العدد 03، 2020/10/25، ص ص 325-348
242. مزيان محمد، "جذور النزاع الحدودي بين المغرب والجزائر"، مجلة كان التاريخية، العدد 22، ديسمبر 2013، ص ص 39-55
243. مقدم كريمة، "المجاعة بتوات إبان الاحتلال الفرنسي 1944-1945 على ضوء سجلات الأحباس والتركات وفتاوى الفقهاء"، مجلة عصور الجديدة، المجلد 11، العدد 2، مارس 2021
244. ملوكي عبد الرحمن، "زوايا تافيلالت وعلاقتها بالمخزن وحركة المقاومة خلال التوغل الفرنسي بالجنوب الشرقي المغربي أواخر القرن 19 وبداية القرن 20م"، مجلة عصور الجديدة، مج 14، ع 1، مختبر تاريخ الجزائر، جامعة وهران 1، ماي 2024، ص ص 186-204، نقلاً عن مديرية الوثائق الملكية: ملف التخوم الشرقية.
245. مياشي إبراهيم، "الأشعار الشعبية في المقاومة الوطنية"، Annales de l'université d'alger، المجلد 16، العدد 2، 2006/06/15، ص ص 189-207
246. الميلىق عبد القادر، "مقاومة شريف بوشوشة من خلال الكتابات الفرنسية"، دورية كان التاريخية، السنة 13، العدد 43، مارس 2019، ص ص 54-62

247. ناقل عائشة، "فرق الصبايحية واستغلالها داخل الاستراتيجية الاستعمارية 1830-1845"، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 12، العدد 01، 2019، ص ص 141-149

248. نواصر عبد الرحمن، "السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجنوب الجزائري ما بين 1873-1962م منطقة المنيعية نموذجاً"، مجلة روافد للبحوث والدراسات، جامعة غرداية الجزائر، العدد الأول، ديسمبر 2016

249. هرياش زاجية، "الصحراء الجزائرية في كتابات المستشرقين الفرنسيين دوماس أنموذجاً"، مجلة عصور الجديدة، العدد 6، 2012

250. الواعي محمود، "ثورة أولاد سيدي الشيخ والقبائل المؤيدة لها"، مجلة الجيش، العدد 404، مارس 1997

الشهادات الشفوية والميدانية:

251. اسماعيل عبد الحفيظ، أستاذ التعليم الابتدائي، الموروث الشعري بالزناتية، شروين تيميمون، يوم: 2021/03/06، التوقيت: 21:25 ليلاً، مقابلة شخصية

252. باحمد عبد الكريم، رئيس جمعية في قصر أولاد عبد الصمد وحفيد سي محمد الشاهد قاضي لدلول الذي عاش بين (1893-1969)، شهادة عن أبيه عن عمه سي أحمد الشاهد (المتوفي في 1974)، قصر أولاد عبد الصمد بدلول، تيميمون 2024/01/03، التوقيت: 19:00 مساءً، مقابلة شخصية

253. بربوشي الحاج أحمد الرقاد (من مواليد سنة 1928)، من أعيان قصر أقبور في لدلول، حوار حول المقاومة الشعبية المحلية، لدلول تيميمون في 2024/03/07، مقابلة شخصية

254. بن عبد الكبير محمد السالم، أستاذ بجامعة أدرار وحفيد الشيخ عبد الكبير، سيرة الجد الشيخ عبد الكبير، المطارفة في 2023/02/22، مقابلة شخصية

255. بن حسان أحمد، مهتم بالمخطوطات وإمام بأدرار، تسابيت في 2024/08/29، مقابلة خاصة

256. بوعامر ميمونة بنت عبد الرحمن (تجاوزت القرن وتوفيت سنة 1996)، من فرع أولاد سيد التاج، عين الصفراء: فيفري 1995، مقابلة شخصية ع/ط د. عبد القادر خليفي.

257. بولاه الحاج عبد الله (مواليد 1943) نقلاً عن والده محمد عبد الله (1889-1995)، من أعيان قصر أولاد عبو، حوار حول الشيخ بوعمامة، قصر أولاد عبو بدلول، تيميمون 2024/01/03، التوقيت: 14:00 زوالاً، مقابلة شخصية

258. بولغيتي عبد الحميد، من أبناء زاوية الدباغ بتينركوك، مدير مدرسة وكاتب حول الموروث الشعبي المحلي، معلومات عن أعلام وأعيان جهة تينركوك، تينركوك تيميمون في: 2024/03/24، مقابلة شخصية

259. بويه عبد القادر، من مواليد 1966 بقرية الزاوية في عين صالح، مفتش التربية الوطنية لمادة التاريخ والجغرافيا وباحث ومؤلف في التاريخ المحلي، درشة حول المقاومة المحلية، عين صالح في 2024/04/12، التوقيت: 20:45 ليلاً، مقابلة شخصية
260. الجوزي عبد الرحمن، إمام وقائم على خزانة آل الجوزي للمخطوطات، الوثائق الرسمية والأسام والرسائل والفتاوى والأحكام القضائية في خزانة آل الجوزي العامة، أولاد سعيد في: 2024/06/07، مقابلة شخصية.
261. الجوزي عبد الكريم، مدير مدرسة عبد الحميد بن باديس الابتدائية، نبذة تاريخية عن مدرسة الذكور بتيميمون سابقاً، تيميمون في: 2024/04/30، التوقيت: 09:45 صباحاً، زيارة خاصة
262. حاج حمو محمد، أستاذ في التعليم المتوسط، ترجمة المقطع الشعري الزناتي، أجدير الغربي شروين -تيميمون، يوم 2021/03/23، التوقيت: 13:20 زواياً، مقابلة شخصية
263. خليف عبد القادر، دكتور وأستاذ جامعي متقاعد، درشة حول الشيخ بوعمامة، من أوقروت تيميمون إلى وهران: 2024/05/24، مقابلة شخصية، عبر: khelifi.abd2009@yahoo.fr
264. سيدي عمر عبد الله، الموروث الشعري بالزناتية، شروين -تيميمون، يوم 2021/03/17، التوقيت: 17:00 مساءً، مقابلة شخصية
265. شيخي العربي بوعلام، موظف متقاعد في بلدية تسابيت، معلومات عن موقع حاسي لغزال، قصر برينكان تسابيت 2024/07/09 مساءً، مقابلة شخصية
266. صوفي عبد الملك، شيخ زاوية بديان ومستشار تربوي متقاعد، حوار حول تاريخ منطقة قورارة، تيميمون في 2021/03/22، الساعة 17:00 مساءً، مقابلة شخصية
267. طلباوي عبد الحي بن محمد، من مواليد سنة 1943 بقصر أقبور، إمام صلوات ومن أعيان قصور دلدول، نقلاً عن والده سي محمد بن أحمد (1873-1968)، قصر أقبور دلدول ولاية تيميمون، 2024/01/03، الساعة: 12:40 زواياً، مقابلة شخصية
268. طهيري الحاج أحمد الشيخ (1938-2006)، من أعيان قصر أقبور ودلدول، شهادة حول الشيخ بوعمامة والاحتلال الفرنسي، أقبور دلدول 2004/03/30، مقابلة شخصية
269. عبد السلام الحاج أحمد بن محمد بلخير (من مواليد 1946، من أعيان قصر أولاد عبو)، نقلاً عن حساني مولاي عبد القادر بن مولاي أحمد قاضي دلدول في فترة وجود الشيخ بوعمامة، حوار حول الشيخ بوعمامة، قصر أولاد عبو بدلدول، تيميمون 2024/01/03، التوقيت: 14:00 زواياً، مقابلة شخصية

270. عبد السلام بلخير، مدير ابتدائية متقاعد (من مواليد 1956 بقصر أولاد عبو)، نقلاً عن والده المتوفي سنة 1999 وآخرون، حوار حول الشيخ بوعمامة، قصر أولاد عبو بدلول، تيميمون 2024/01/03، التوقيت: 10:00 صباحاً، مقابلة شخصية

271. عبد العزيز رشيد، أستاذ في التعليم المتوسط، ترجمة مقطع شعري زناتي، طلّمين تيميمون، يوم: 2021/03/20، التوقيت: 16:24 مساءً، مقابلة شخصية

272. عماري محمد، من أعيان مدينة تيميمون، شهادة حول مدرسة الذكور بتيميمون، تيميمون 2018/11/05، مقابلة شخصية نقلاً عن إبراهيم رحمان

273. عزيز عبد الرحمن، من أهل قصر برينكان مواليد 1963، موظف متقاعد في بلدية تسابيت (لالة قامو عمة أمه)، شهادة حول لالة قامو، تسابيت أدرار في 2024/08/19، مقابلة شخصية

274. فاروقي عبد الرحمن، مقدم الطريقة الشيعية في قلعة الشيخ بوعمامة، حوار حول الشيخ بوعمامة، مغرار التحتاني، النعامة 2022/12/10، التوقيت: 20:00 مساءً، مقابلة شخصية

275. الفاطمي محمد، دكتور في التراث اللامادي وناظر ثانوية في تيميمون، ترجمة مقطع أهليل حول الشهيد محمد عبد الكريم الجوزي، تيميمون في 28 أبريل 2024، التوقيت: 10:30 صباحاً، مقابلة شخصية

276. قادة بوجمعة، من أعيان وكبار السن في طلّمين، شهادات عن الشيخ بوعمامة والمقاومة الشعبية المحلية، طلّمين تيميمون في 2023/12/14، مقابلة شخصية

277. متحف قلعة الشيخ بوعمامة، مغرار التحتاني، النعامة 2022/12/10، زيارة شخصية

278. محمدي محمد بن عبد السلام، ابن أخ قايد لدلول، 75 سنة بتاريخ تسجيل الشهادة، حول حريق زاوية الشيخ بوعمامة في لدلول، مقابلة شخصية ع/ط د. عبد القادر خليف، أولاد عبو لدلول 1994/12/28، تم الاستلام في 2023/03/16، khelifi.abd2009@yahoo.fr

279. معزوز عبد القادر، من أحفاد الشهيد محمد معزوز، شهادة حول المقاومة الشعبية المحلية، طلّمين تيميمون في 2023/12/14، مقابلة شخصية

الأطاريح والرسائل الجامعية:

280. بابا عبد الله، الحياة الاجتماعية والاقتصادية بتوات إبان الاحتلال الفرنسي 1900-1962م من خلال سجلات المحكمة الشرعية، أطروحة دكتوراه، إشراف: أد. مبارك جعفري، جامعة أدرار، الجزائر موسم 2018/2019

281. بجاوي محمد، المجندون الجزائريون في الجيش الفرنسي 1830-1900، إشراف: شاوش حباسي، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، موسم 2006/2005

282. بعثمان عبد الرحمن، القضاء في منطقة توات خلال القرنين 17 و18م، إشراف محمد بن معمر، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والإسلامية، جامعة وهران 01، موسم 2016/2015
283. بكوش عبد الله، واقع مجتمع الجنوب الجزائري خلال الفترة الاستعمارية (1852-1914)، أطروحة دكتوراه تاريخ معاصر، إشراف: فتيحة سيفو، جامعة وهران 01، موسم 2023/2022
284. بلعروسي عبد الفتاح، المقاومة الثقافية في إقليم توات خلال الفترة الاستعمارية 1900-1962، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان بالجزائر، موسم 2022/2021
285. بن نيشة نور الدين، الأسرة في منطقة توات خلال القرنين 18 و19م، أطروحة دكتوراه، جامعة سطيف2، الجزائر - موسم 2022/2021
286. بوسعيد أحمد، الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ / 18م، مذكرة ماجستير في التاريخ المغاربي، جامعة أدرار بالجزائر، موسم 2012/2011
287. تلمساني بن يوسف، الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر 1782-1900، رسالة ماجستير، إشراف: ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، موسم 1998/1997
288. جعفري امحمد، الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بتدكلت خلال القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي، أطروحة دكتوراه، إشراف: د. عبد الرحمن بعثمان، جامعة أحمد دراية أدرار، الجزائر موسم 2020/2019
289. حوتية عفيفة، حاضرة تينجورارين دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية خلال القرن 13هـ / 19م، رسالة ماجستير، جامعة أدرار بالجزائر، موسم 2015/2014
290. خليفي عبد القادر، المأثور الشعبي لحركة الشيخ بوعمامة، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة وهران 2001
291. سعيدي خير الدين، إشراف: شايب قدارة، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات: دراسة وتحقيق، رسالة ماجستير، جامعة قالمة، الجزائر موسم 2013/2012
292. سليمان حليمة، الحياة الاجتماعية والثقافية لقصور تيمي من خلال المصادر المحلية (13هـ/19م)، أطروحة دكتوراه، جامعة أحمد دراية أدرار، الجزائر موسم 2021/2020
293. طاهري عبد المالك، منطقة توات في القرن 19 من خلال كتابات الرحالة والمستكشفين، أطروحة دكتوراه، إشراف أحمد بوسعيد، جامعة أحمد دراية أدرار، الجزائر موسم 2023/2022

294. طواهرية أم هاني، تطور الذهنية الاجتماعية بمنطقة توات خلال القرنين الميلاديين 19 و20، مذكرة ماجستير، جامعة أدرار بالجزائر، موسم 2013/2014

295. قران زهير، حاضرة توات المالكية أعلامها ونوازلها وخصائصها، إشراف: محمد الصالح حوتية، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية أدرار، موسم 2010/2011

296. كحلاوي حليلة، الحياة الثقافية بتوات الوسطى خلال القرنين (14-12هـ، 18-20م)، رسالة ماجستير، جامعة أحمد دراية أدرار، الجزائر موسم 2015/2016

297. مرجاني عبد القادر، السياسة الفرنسية ودور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن 19م، إشراف: محمد مجاود، أطروحة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر موسم 2019/2020

298. مقدم أم الخير، الحرف والمهن بحواضر توات خلال القرن 13هـ/19م، إشراف: عبد الله خي، أطروحة دكتوراه تاريخ معاصر، جامعة أحمد دراية أدرار، موسم 2022/2023

المعاجم والموسوعات:

299. ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة (ب.ت)
300. أبو حجر آمنة، المعجم الجغرافي، الطبعة الأولى، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان الأردن 2009

301. المنجد في اللغة والأعلام، الطبعة 42، دار المشرق، بيروت 2007
302. بن منصور عبد الوهاب، أعلام المغرب العربي، الجزء الثاني، المطبعة الملكية، الرباط 1979

303. جبران مسعود، المعجم الرائد، دار العلم للملايين، الطبعة السابعة، بيروت 1992
304. جعفري مبارك ومقلاتي عبد الله، معجم أعلام توات، منشورات الرياحين، الجزائر 2013
305. السد نور الدين وآخرون، الموسوعة الجزائرية، الأعلام، المجلد الأول، الناشر: المجلس الأعلى للغة العربية، طباعة دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر 2020
306. قطش الهادي وآخرون، أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة-الجزائر 2010

307. مجمع اللغة العربية بمصر، المعجم الوسيط، الطبعة 4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة 2004

مواقع الإنترنت:

308. بن دحو العقيد، كرونولوجية ومسرد أحداث حواضر ادرار الثلاث، كتبها بتاريخ 2015/08/17، التصفح 2021/03/05 بتوقيت: 14:45 زوالاً،

<https://archive.li/http://www.aswat-elchamal.com/ar/>

309. بوسعيد أحمد، ساحة الشهداء بأدرار تاريخ وذاكرة مدينة، صفحة موقع جامعة أدرار، التصفح يوم 2024/03/19، التوقيت: 23:10 ليلاً، <https://www.univ-adrar.edu.dz/18626/>
310. التيجاني سيد أحمد، ملخص حياة سيدي أحمد التيجاني، 2021/11/18، التصفح 2024/01/10، التوقيت 21:00 مساءً، <https://tidjaniya.com/ar/vie-sidi-ahmed-tidjani>
311. حاكمي مصطفى، ترجمة الولي الصالح سيدي قدور بن حمزة، التصفح: 2024/05/03، التوقيت: 23:10 ليلاً، <http://www.cheikhiyya.com/Sidi-Kaddour.php>
312. حرمة لحسن وآخرون، الفقارة أسلوب سقي ونظام حياة اجتماعية، صفحة الإذاعة الجزائرية، روبرتاج في: 2016/05/16، التصفح: 2023/12/21، التوقيت: 19:55، <https://radioalgerie.dz/news/ar>
313. الحسني محمد الهادي، الدغامشة، صفحة الشروق أونلاين: الرأي، مقالة بتاريخ 2014/12/22، التصفح: 2024/04/13، التوقيت: 20:10، <https://www.echoroukonline.com>
314. رافعي محمد محي الدين، الفقارة تراث محلي وعبقورية في الصناعة تتحدى الاندثار، يوم دراسي بعنوان: تراث الفقارة بين تدابير الحماية و تحديات الاستدامة، صفحة أقواس الإعلامية، 2023/03/06، التصفح يوم: 2023/12/21، التوقيت: 19:35، <https://aqwas.net>
315. زريفة علاء، رحالة فرنسيون وصفوا الصحراء الجزائرية ومهدوا لاستعمارها، موقع رصيف22، كتبها يوم 2022/06/08، التصفح: 2024/02/02، التوقيت: 20:30 ليلاً، <https://raseef22.net>
316. الزهيري صباح، العصا والجزرة، صفحة وكالة الحدث الإخبارية، نشر في: 2023/09/05، التصفح: 2024/03/31، التوقيت: 23:27 ليلاً، <https://www.alhadathcenter.net/index.php/views>
317. صفحة مديرية التجارة بولاية أدرار، التعريف بالولاية، التصفح 2023/05/11، التوقيت 21:30، www.dcwadrar.dz/ar
318. صفحة موسوعة قناة الجزيرة، الطوارق شعوب أمازيغية تسكن الصحراء الكبرى بأفريقيا، 2023/08/13، التصفح: 2024/01/07، التوقيت: 20:00 مساءً، <https://www.aljazeera.net/encyclopedia>

319. صفحة وكالة الأنباء الجزائرية، ولايتا عين قزام وعين صالح: رهان على كسب متطلبات التنمية لتلبية تطلعات الساكنة، مقالة بتاريخ 2021/03/03، التصفح 2023/05/11، التوقيت 21:45، www.aps.dz/ar
320. طعمة تمام، أحمد المنصور الذهبي سابع سلاطين المغرب، 2023/08/09، التصفح: 2024/01/07، التوقيت: 21:50 مساءً، www.mawdoo3.com
321. غوغل إرث، الموقع الفلكي لولايات (أدرار، تيميمون، عين صالح)، التصفح 2023/05/12، التوقيت 20:30 <https://earth.google.com/web>
322. كرم إدريس، الموقف المغربي من التحرك الفرنسي في الجنوب بين 1901 و 1903م، صفحة هوية برس، 2021، 05، 11، التصفح: 2022/12/25، التوقيت: 22:20 ليلاً، <http://howiyapress.com/author/drisskaram/page/2>
323. مارية (ب إ ك)، سياسة فرنسا للتوغل في الجنوب الغربي الجزائري و بلاد السنغال، مقالة كتبها في 2009/07/03، التصفح: 2021/03/09، التوقيت 00:40 ليلاً، <http://mokhtari.over-blog.org/article>
324. موقع Data، البحث في البيانات، التصفح يوم 2024/01/29، التوقيت 20:27 ليلاً، <https://data.bnf.fr>
325. موقع المكتبة الوطنية الفرنسية Gallica، Paul Soleillet، التصفح يوم 2024/01/30، التوقيت 16:15 مساءً، <https://gallica.bnf.fr>
326. موقع وزارة السياحة والصناعة التقليدية، تعرف على الجزائر، التصفح: 2024/05/02، التوقيت: 22:30 ليلاً، <https://www.mta.gov.dz>
327. النهار أونلاين، صفحة قناة النهار، جزائريون: أمنوكال أمين عقال الطوارق، نشر في: 2021/07/25، التصفح: 2024/03/31، التوقيت: 22:35 ليلاً، <https://www.ennaharonline.com>

فهرس الأعلام والشخصيات

أحمد العماري, 13, 30, 32, 52, 61, 105, 111,
113, 114, 163, 165, 171, 191, 193, 205,
215, 238, 255, 256, 257, 270, 271,
424, 425, 426, 447
أحمد المنصور الذهبي, 40, 49, 107, 109, 459
أحمد بن إبراهيم, 224
أحمد بن المنور, 210
أحمد بن عبد الرحمن, 212, 331, 427, 437
أحمد بن مبروك, 353, 428
أحمد حاكمي, 13, 166, 216, 223, 242, 436,
446, 458
أحمد عمار التيجاني, 168
أحمد كادي, 327
أحمد مزيان, 110, 113, 448, 452

إ

إدريس الكوري الشراذي, 257, 258, 262, 267,
270, 326, 327, 328, 329, 331, 334, 357,
411
إسماعيل بوضرية, 193

آ

آق كاراجي, 291

إ

الإدريسي, 12, 23, 29, 31, 77, 92, 107, 438,
447
الاصطخري, 31
الآغا لخضر, 237
الأمير عبد القادر, 75, 126, 133, 158, 169,
189, 191, 195, 196, 197, 216, 244, 246,
267, 293, 303, 451, 452
البكري بن عبد الرحمن بن الطيب التتيلاني, 11, 78,
368
البوحميدي, 189, 452
الجيلالي بن رحمون, 258, 325

أ

أبا سالم بن عبد الرحمن, 225

إ

إبراهيم مياسي, 10, 12, 24, 42, 68, 105, 110,
125, 129, 130, 132, 133, 135, 136, 137,
138, 140, 149, 150, 153, 157, 159, 162,
165, 205, 215, 264, 265, 266, 267, 268,
273, 274, 275, 277, 280, 282, 287, 288,
300, 301, 317, 341, 342, 343, 356, 448,
453

أ

ابن أبي محلي, 31

ابن الدين الأغواطي, 11, 31, 36, 40, 43, 44,
58, 59, 66, 70, 92, 93, 96, 97, 118, 119,
120, 248, 420, 451

ابن بابا حيدة, 55, 92, 96

ابن بطوطة, 31, 34, 87, 118, 248, 436

ابن حوقل, 31

ابن خلدون, 20, 27, 28, 31, 32, 34, 35, 36,

37, 47, 52, 87, 180, 248, 436

ابن مليح, 20, 31, 38, 42, 43, 118, 248

أ

أبو الأنوار عبد الكريم التتيلاني, 77, 78

أبو الحسن علي بن الحاج التواتي, 83

أبو العباس الأعرج, 185

أبو القاسم سعد الله, 9, 11, 36, 118, 119, 120,
169, 188, 189, 190, 192, 201, 202, 203,

215, 304, 436, 447

أبو حمو الزباني, 185

أبي العباس أحمد بن محمد بن المختار التيجاني, 75

أبي بكر الصديق, 27, 201, 210, 242, 436

أحمد التيجاني, 75, 167, 370, 458

- الجيلالي صاري, 214
 الحاج أحمد بن محمد, 330
 الحاج أحمد رزوق البخاري, 257, 258, 262
 الحاج أحمد مرابط تاسفاوت, 360
 الحاج أحمد ولد الحاج العربي, 331
 الحاج اعمر بن الحاج أحمد, 61, 217, 225, 229
 الحاج الدين سليمان, 235
 الحاج الطيب العبادي, 38, 42
 الحاج العربي بن عبد القادر, 225
 الحاج بن بابية, 190
 الحاج عبد الحي بابولا, 364, 428
 الحاج عبد الرحمن بن عبد العزيز, 332
 الحاج عبد العزيز بن أحمد, 273, 292, 295, 336, 339, 342, 392
 الحاج عبد القادر بن أبي بكر هيبة الله التواتي, 21, 120, 121, 122
 الحاج عبد القادر بن الحاج أحمد, 225, 292
 الحاج عبد القادر بن موسى, 330
 الحاج علي بوطالب, 237, 242, 293
 الحاج محمد البلالي, 83
 الحاج محمد السالم ولد محمد, 331
 الحاج محمد با خي, 226
 الحاج محمد بن الحاج اعلي, 225
 الحاج محمد بن الشيخ, 220, 225, 226, 423
 الحاج محمد بن سيدي محمد عبد الله, 320
 الحاج محمد عبد الرحمن السكوتي الملاخافي, 77, 370, 371
 الحاج محمد عبد الكريم بن الصافي, 345, 428
 الحاج محمد عزي, 267, 312, 323, 328, 392
 الحسن الوزان, 20, 31, 33, 37, 65, 87, 118
 180, 181, 182, 438
 الداوولحاج, 364
 الزاوي محمد الطيب بن الشيخ, 230
 السعيد بن إبراهيم قدورة, 82
 الشيخ أحمد رزوق بن صابر الجعفري البوداوي, 70
 الشيخ البكري بن عبد الرحمن, 11, 22, 78, 283, 361, 368, 369, 370, 372, 373, 374, 435, 449
 الشيخ المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي, 79
 الشيخ باباني, 125
 الشيخ بن اعمر, 80
 الشيخ بوعمامة, 3, 4, 7, 10, 12, 13, 21, 75, 93, 101, 140, 141, 142, 155, 159, 166, 185, 188, 203, 207, 209, 210, 211, 212, 213, 214, 215, 216, 217, 218, 219, 220, 221, 222, 223, 224, 225, 226, 227, 228, 229, 230, 231, 232, 233, 234, 235, 236, 237, 238, 239, 240, 241, 242, 243, 244, 245, 252, 253, 254, 255, 256, 259, 292, 293, 297, 310, 311, 333, 355, 356, 359, 362, 365, 384, 385, 388, 408, 409, 432, 433, 436, 439, 446, 447, 449, 451, 452, 454, 455, 456, 492, 495
 الشيخ عlish المالكى, 86
 الشيخ عمر المهداوي, 89
 الشيخ عمر بن عبد القادر التتيلاني, 82, 83, 102
 العبلوي بن الطيب, 107
 العربي المنيعي, 111, 236
 العربي بن قدور بن حمزة, 281, 293
 العياشي, 20, 21, 31, 33, 34, 38, 66, 79, 80, 85, 87, 118, 248, 437
 الفشتالي, 37, 40, 185, 186, 437
 القائد الدليمي, 111
 القايد حسون, 61, 101, 226, 257, 261, 262
 القايد عبد الكريم, 205, 220, 271, 304, 335
 344, 345, 364, 365, 375, 381, 425, 428, 435, 451
 القائد محمد بن الحاج امحمد, 326
 القايمة بنت عبد العزيز بن المهدي بعزي, 383, 384
 القس بارجيس, 120
 الكوش التواتي التونسي, 85
 المسعود بن ناصر, 29
 المقراني, 191, 196, 197

بیرتراند, 269

المهدي باجودة, 130, 149, 164, 227, 264,

266, 315, 316, 317, 423

النا جا بنت مولاي عبد الحي ادريس, 379

الهالي, 21

اليقوي, 31

امحمد عبد الله بن عبد الكريم بن أحمد القوراري, 220

ت

تيرمان, 218, 226, 227, 229, 237, 238, 439

تيليون, 14, 334, 335, 339, 340, 342, 349,

350

ث

ثوماسين, 165, 166, 215, 237

ج

جعفر باشا, 107

جول كامبون, 158, 166, 168, 169, 180, 237,

246, 254, 256, 257, 262, 264, 286, 302,

303, 361, 369

جون بيسون, 52, 54, 56

جيرمان, 149, 172, 176, 252, 263, 264, 316,

320, 321, 409

جيرهارد رولفس, 14, 65, 69, 89, 96, 100, 113,

129, 130, 180, 193, 246, 249, 253, 404,

422, 437

جيرري, 137, 158, 161, 192, 207, 212, 232,

251, 257, 262, 271, 272, 294, 333

ح

حسن فينزيانو, 107

حمادي العسكري, 164

حمزة بن الحاج أحمد بن محمد بن مالك القبلاوي, 12,

77, 372, 411, 435

حمو بن الحاج أحمد, 165

خ

خديجة بنت القاضي, 204

د

دادا حسة, 378

أ

أوجاري, 346

أوجين دوماس, 56, 66, 70, 94, 96, 126, 127,

249, 404, 421, 437, 453

ب

با الصديق بن بابا علي, 226

باسالم بن الحاج امحمد, 331

باكي, 14, 355, 356

بان, 149, 265, 266, 269, 275, 287, 316,

320, 328, 337, 338

بطليموس, 47, 213

بلقاسم بن عبد الرحمن, 320

بن بوسماحة, 201, 204, 210, 217

بن ناصر بن شهرة, 191, 195, 197, 203

بواسوني, 121

بوبريطر, 203

بوديسة بن الحاج بن عودة, 375

بورين, 136, 137, 251, 422

بوساردين, 346

بوشتي البغداي, 110

بوشوشة, 7, 191, 194, 195, 196, 197, 198,

199, 200, 203, 205, 207, 245, 253, 359,

384, 388, 407, 434, 447, 449, 450, 452,

453, 492, 495

بول سولايي, 26, 96, 138, 139, 162, 172,

180, 181, 198, 251, 253, 406, 422

بومقارتن, 149, 266, 267, 268, 282, 296,

321, 323, 330

بويان, 155

- دحاج بن باجودة, 292
 دليبيك, 159
 دو سيسيل, 287, 288
 دوبليسكس, 274
 دوريان, 156
 دولافاليت, 341
 دولوك, 328
 دي بونشال, 153, 154, 155, 162, 249, 400
 دي فوكو, 58, 144, 146, 304, 410, 452
 دي كولومب, 104, 135, 136, 182, 249, 405
 422
 ديپورت, 75, 184
 ديلكاسي, 112
 ديلوز, 351, 353
- ر**
- راميلون, 349, 350, 351
 راندون, 156, 193
 ريني كايي, 131, 133, 405, 421
- س**
- سالزبوري, 171, 256
 سعيد بن إدريس, 40, 53, 62, 70, 82, 118, 199
 437
 سليمان ولد حمو عمرو, 141, 221, 228, 232
 439, 259
 سوسي, 217
 سولت, 152
 سوهار, 237
 سي أبو حفص الحاج, 201
 سي الأعلى, 192, 202, 203, 205, 215, 359
 سي الدين بن حمزة, 61, 165, 202, 272, 294
 334
 سي الزبير, 165, 195, 197, 202, 203, 205
 206, 207
 سي الطيب, 219, 222, 225, 226, 242
- سي النعيمي, 191, 202, 205
 سي بويكر, 141, 165, 192, 193, 202, 203
 423, 205
 سي حمزة, 141, 165, 172, 191, 198, 202
 203, 205, 207, 210, 222, 237, 359, 384
 411
 سي سليمان, 203, 207, 212, 215, 216, 219
 245
 سي علل, 215
 سي قدور بن حمزة, 7, 42, 140, 142, 165, 188
 202, 203, 205, 206, 207, 208, 215, 219
 222, 235, 236, 237, 245, 253, 293, 347
 362, 388, 407, 433, 458, 495
 سي محمد بن العربي, 236
 سي محمد بن قدور, 93, 142, 164, 166, 194
 202, 203, 218, 220, 231, 236, 274, 345
 453, 454
 سيد أحمد البكاي, 84, 128
 سيد البكري بن سيد الحاج محمد الصالح, 320
 سيد البكري بن سيدي محمد عبد العزيز البلبالي, 78
 سيد الحاج البلبالي, 78
 سيد الحاج لحسن الشريف, 81
 سيد السهلي, 233
 سيد المهناي, 236
 سيدي أبي عبد الله بن أحمد الغنتاوي, 365
 سيدي امحمد المرفوع, 64, 81
 سيدي امحمد بن الحبيب البلبالي, 65
 سيدي حنيني بن الحاج عبد الرحمن, 342, 359
 سيدي عبد الحي بن موسى, 206
 سيدي عبد الرحمن بن خالد, 65
 سيدي عبد الرحمن ولد الإمام, 65
 سيدي عبد العزيز بن حسن بن عيسى الوقروتي, 20
 80, 85
 سيدي عبد الله بن سيدي محمد عبد الله, 78
 سيدي علي بن حنيني, 80
 سيدي عمر بن محمد بن صالح الوقروتي, 80
 سيدي محمد البكري, 80, 368

عبد الرحمن سلعة, 122, 123
 عبد السلام بن الحاج الطيب, 225
 عبد السلام بن دحاج, 281, 293
 عبد العزيز عبد القادر بن عبد الكريم بن يدا, 354, 428
 عبد القادر باجودة, 113, 130, 139, 172, 188,
 206, 232, 252, 259, 260, 412
 عبد القادر بن حميدة, 167
 عبد القادر بن علال, 164, 274
 عبد القادر بن محمد, 13, 21, 24, 51, 74, 82,
 194, 200, 201, 204, 205, 209, 210, 215,
 217, 219, 233, 264, 271, 317, 366, 424
 عبد القادر بن محمد السماحي, 204
 عبد القادر خليفي, 13, 74, 155, 159, 201, 203,
 210, 212, 215, 216, 219, 220, 222, 224,
 225, 227, 228, 230, 232, 234, 238, 240,
 242, 243, 244, 254, 446, 447, 451, 454,
 455, 456
 عبد القادر دوغان, 285, 292, 294, 325
 عبد القادر ولد محمد, 330, 426
 عبد الكبير بن محمد, 295, 337, 342, 359, 363,
 367
 عبد الكريم باحمد, 218, 221, 223, 224
 عبد الكريم بن امحمد بن أبي محمد الأبريني, 82
 عبد الكريم بن وعلي بن عبد القادر, 78
 عبد الله بن أحمد الحبيب بن امحمد بن عبد الله
 البلبالي, 78
 عبد الله بن طمطم, 80
 عبد الله بن عبد الكريم الحاجب بن البكري, 77
 عبد النبي بوتقي, 283, 284, 318, 321, 323,
 324, 331, 370, 371, 424
 عقبة بن نافع, 29
 علي بن الأشهب, 197, 198, 199
 علي بن الطيب, 29
 علي بن سعيد, 273, 295, 336
 عمر بن شروف, 107
 عمر بن عبد الرحمن الأموي التتيلاني, 78

سيدي محمد الصالح بن البكري, 82
 سيدي محمد الكبير, 366
 سيدي محمد بن أب المزمري, 38, 40
 سيدي محمد بن سيدي عبد الرحمن بن باعمر, 78
 سيدي محمد بن عبد العالي, 225, 226
 سيدي محمد بن علي النحوي الوقروتي, 80, 86
 سيدي محمد بن هاشم, 226
 سيدي موسى أوالمسعود, 378
 سيرفيار, 164, 273, 274, 275, 276, 283, 285,
 288, 292, 293, 294, 298, 306, 312, 337,
 342, 343, 346, 348, 349, 351, 353, 380,
 409

ش

شارل روبير أجيرون, 227
 شريف وزان, 143, 164, 166, 167, 170, 221,
 293
 شوازي, 154, 168

ص

صالح باي, 108
 صالح بن رابح, 224

ض

ضيف الله بن محمد بن أب المزمري, 35, 38, 93,
 118

ع

عبد الحميد زوزو, 21, 191, 210, 211, 214,
 231, 235, 236, 237, 238, 239, 242, 447
 عبد الرحمن الثعالبي, 41, 79, 82
 عبد الرحمن الضب, 241
 عبد الرحمن بن إدريس بن عمر التتيلاني, 40, 53
 عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر السعدي, 29, 83,
 437
 عبد الرحمن بن عمر التتيلاني, 79, 86

عمر بن محمد التمنيطي, 109

كولونيو, 136, 137, 155, 165, 182, 192, 214,

422, 405, 251

كوبزارد, 346

كويكاندون, 341

غ

غوردن لانغ, 124, 125, 126, 404, 421, 438

ل

لاباسي, 203

لابيرين, 34, 141, 172, 176, 252, 263, 264,

286, 288, 305, 306, 307, 410, 431

لافيريار, 149, 265, 267, 269, 287, 296

لاكروا, 14, 32, 103, 199

لالة ديمة, 367, 378

لالة ربيعة, 219, 222

لالة كيجة, 204

لالة مريامة, 378

لالة مغنية, 3, 74, 112, 158, 171, 174, 186,

187, 218, 246, 254, 258, 263, 308, 327

لالة قامو, 383, 384

لامارتيينار, 32, 103

لامي, 144, 145

لويس رين, 160, 201

لويس فوانو, 14, 94, 146, 147, 149, 260, 265,

268, 282, 288, 299, 300, 315, 318, 323,

328, 331, 407, 449

ليوطي, 244, 276, 356

ليون, 169, 189, 303, 448

ليون XE "ليون" روش, 169, 189, 303, 448

ف

فاروقي عبد الرحمن بن عبد القادر, 222

فاطمة بنت جلول, 198, 205

فالكونتي, 273, 275, 288, 294, 336, 337,

338, 339, 340

فرايسيني, 153

فرج محمود فرج, 9, 23, 25, 30, 36, 39, 51, 55,

58, 60, 69, 70, 71, 73, 74, 75, 76, 77,

78, 83, 84, 95, 96, 97, 161, 396, 436,

448

فريمبغاسي, 355

فلانترز, 154, 164, 167, 175, 206, 251, 252,

297, 317

فلامون, 146, 147, 148, 149, 152, 158, 159,

163, 167, 176, 252, 263, 265, 266, 267,

269, 297, 311, 314, 412, 423

فورو, 144, 145, 406

ق

قاليفت, 199

قويدر بن الحاج عبد السلام, 61

ك

كافينياك, 133, 134, 249, 405, 421, 451

كاميل دولس, 101, 143, 144, 159, 164, 167,

170, 175, 252, 406, 422

كلوزيل, 126, 133, 169

كلوستر, 267, 323

كنكن موسى, 29

كويولاني, 169

كوشماز, 276, 341, 410

م

مارتمبري, 203

مارتن, د, 14, 30, 47, 49, 53, 56, 57, 62, 64,

65, 90, 92, 97, 100, 103, 106, 109, 110,

123, 165, 167, 172, 173, 188, 213, 215,

222, 226, 227, 228, 231, 234, 244, 253,

255, 257, 258, 261, 262, 263, 265, 270,

271, 272, 273, 274, 276, 282, 283, 288,

290, 291, 293, 294, 298, 301, 302, 312,

315, 316, 317, 318, 319, 323, 324, 325,

- محمد بن عبد الكريم البكري, 21, 23, 24, 29, 33,
40, 48, 49, 53, 71, 80, 88, 97, 100, 103,
105, 108, 181, 272, 363, 374
محمد بن عبد الكريم المغيلي, 23, 27, 35, 41, 55,
56, 74, 79, 81, 82, 83, 106, 107, 181,
184, 245, 360, 448, 451
محمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد المالك البلبالي,
78
محمد بن عبد الله التلمساني, 7, 75, 137, 185,
188, 189, 190, 191, 192, 193, 195, 196,
202, 203, 205, 245, 253, 384, 388,
423, 452, 492, 495
محمد بن علي السنوسي, 86, 183, 190, 317,
449
محمد بن عمر المراكشي, 262, 272, 325, 326,
334
محمد بن عمر بن الحبيب البوداوي, 29, 102
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم, 50, 103,
170, 179, 190, 321, 368, 370, 372, 382
محمد عبد الحي بن أحمد الخضير الواجدي, 366
محمد عبد الرحمن بن سيدي محمد المبروك, 365
محمد عبد الرحمن بن محمد السكوتي, 82
محمد عبد القادر بلعالم القبلاوي, 82, 375
محمد عبد القادر بن بلقاسم البوداوي, 292, 344
محمد عبد الكريم بن محمد عبد الله الجوزي, 304,
344, 345, 364, 365, 375, 428, 435
محمد عبد الله الصوفي, 79
محمد عبد الله بن الجوزي, 86, 87, 205, 220,
381, 435, 451
محمد عبد الله بن عبد الكريم بن عبد الحكم, 204
محمد ولد الحاج امبارك, 331
محمدي محمد بن عبد السلام, 229, 230, 455
محمود كعت, 29, 83, 437
مصطفى بن خوجة, 295, 363
معطاه بن بوظفر, 196
موريس ليلو, 168
موسى آق آمستان, 291
مولاي أحمد الطاهري, 21, 23, 29
- 326, 327, 329, 330, 332, 333, 334, 335,
337, 339, 340, 342, 343, 344, 345, 346,
349, 350, 351, 420, 439, 444
مارسيل بالات, 14, 101, 104, 140, 141, 142,
143, 159, 164, 166, 170, 175, 188, 221,
222, 232, 233, 236, 252, 256, 259, 317,
406, 422, 433
مارمول كريخال, 20, 37, 118, 438
ماكارتى, 172
مالهر, 258, 314
محمد أعيف, 13, 32, 51, 88, 90, 102, 106,
107, 111, 114, 445, 449
محمد التازي, 216, 446
محمد الحسن بن محمد بن مالك الفلاني, 77
محمد الرشيدى, 111
محمد الرصاع, 29, 30, 436
محمد السالم بن عبد القادر المزوري, 342
محمد السنوسي التواتي, 85
محمد الصالح بن علي بن عبد الله الراشدي, 367
محمد الصفار, 109
محمد العيد, 167
محمد المحفوظ القسطنطي, 80
محمد المعزوز, 285, 292, 354, 392, 415, 428
محمد الميلود بن موسى موساوي, 206
محمد الهاشمي, 229, 353, 424, 428
محمد باي بلعالم, 13, 22, 29, 32, 34, 35, 36,
42, 44, 69, 70, 81, 89, 95, 98, 99, 107,
108, 109, 143, 164, 314, 315, 317, 320,
321, 350, 370, 428
محمد بركاش, 216, 436
محمد بلخير, 223, 225, 229, 455
محمد بن أميدان الزجلاني, 78
محمد بن الطيب, 158, 167, 201, 204, 264,
293, 315, 325, 351, 446
محمد بن امبارك, 30
محمد بن بوزيان, 12, 320, 362, 375, 435
محمد بن عبد الرحمن أبي نعامة, 76
محمد بن عبد الرحمن بن عيسى, 210

ن

نوشيز, 287

ه

هنري بارث, 84, 96, 128, 129, 249, 404, 442,

448

هنري بيسال, 49, 53, 54, 59, 67, 91, 301,

302, 442

هومير, 31, 47

هيرودوت, 31, 47

هيلري, 351

و

ولد احميدة امحيد, 320

ويليام هودسون, 119, 120

ي

يحي بوعزيز, 194, 195, 197, 202, 438, 446

يونكر, 346

مولاي أحمد بن هاشم, 48, 49, 51, 52, 55, 71,

82, 106, 118, 430, 435

مولاي الحسن, 110, 216, 446

مولاي الشيخ علي الآغا, 189

مولاي الصديق بن العربي, 226

مولاي امبارك بن مولاي المامون, 50

مولاي امحمد بن دغرة, 240, 384

مولاي سليمان بن علي, 49, 50, 72, 73, 430,

435

مولاي عبد الرحمن, 110, 169, 424, 426

مولاي عبد الله الرقاني, 23, 79, 84, 266, 318,

359, 392

مولاي عبد الله بن العباس, 79, 184, 322

مولاي عبد الملك بن عبد الله الرقاني, 79, 84, 184,

322

مولاي علي الشريف, 322, 326

مولاي لحسن, 35, 378

مولاي مبارك عوبيدي الهبلوي, 88, 91, 92, 104,

354, 355, 447

مينيستريل, 271, 273, 333, 352

فهرس القبائل والأجناس:

ا

اكسيل, 215

آ

آل البكري, 100, 204, 206, 373, 435

ا

الأتراك, 106, 108

الأرباع, 191

الانصاري, 223, 224

البويكرين, 79

الجوزي, 12, 79, 86, 87, 204, 205, 220, 221,

304, 307, 344, 345, 362, 363, 364, 365,

366, 367, 368, 375, 381, 382, 392, 428,

434, 435, 451, 454, 455

الجيتول, 47, 213, 245

الحفصيين, 108

السعديين, 61, 107, 108, 185, 186

السنوسيين, 75, 184, 252

الشيعة, 103

الطرارة, 189

الطرافي, 98, 182

العلويين, 61, 103, 109, 238, 255, 261, 326,

327

الغسول, 188, 189

الفاطميين, 103

الفرس, 89

الفرنسيين, 191

الكننة, 84

ا

ألمان, 87, 124, 131, 151

آ

آت إبراهيم, 53

آت اعمر, 307

آت الحاج, 53

آت القاضي, 53

آت المهدي, 53

آت أوازي, 55

آت باروخ, 55

آت بوزيزا, 53

آت تيجي, 53

آت حمو الزين, 53

آت سيدي عثمان, 53

آت موسى, 55

آت يحيى, 53

ا

أتراك, 106

أحرار, 30, 50, 51, 54, 57, 202

أدارسة, 79

ا

أزواد, 26, 84

ا

إسبان, 74, 201, 212, 408

ا

أشراف, 44, 48, 49, 50, 51, 54, 60, 72, 79,

166, 226, 236, 452

أفارقة, 47, 57, 59, 263, 283

أولاد عبد المولى, 226, 230

أولاد علي بن حريز, 49

أولاد لشهب, 196

أولاد محمد, 49, 101, 109, 230

أولاد مولات, 101, 227, 234

أولاد نايل, 191

أ

آيت أزديق, 100

آيت خباش, 100, 102, 226, 327

آيت عطا, 102, 327, 355

ب

بابا يدا, 41, 53

باحمد, 218, 220, 221, 223, 224, 453

برابر, 100, 101, 102, 226, 231, 232, 236,

254, 275, 327, 338, 339, 342, 344, 345,

349, 352, 356, 358, 428

برابيش, 121

برامكة, 48, 49

بربر, 20, 28, 31, 34, 36, 47, 51, 52, 53, 54,

59, 134, 275, 338, 339, 352, 436

برهوم, 368

بطليموس, 213

بنو أمية, 103

بنو عامر, 181

بنو مرين, 103, 185

بنو ميزاب, 108, 113, 119, 138, 172, 198,

260, 420, 422

بنو هلال, 48, 103, 181, 202, 336

بني ثور, 191

بني غيل, 215

بوخشبة, 196, 234

بودواية, 228

بوشمية, 223, 224

المقراني, 191, 196, 197

المهاية, 233

الموحدين, 29, 31, 48, 103

النسامون, 47

إنجليز, 87, 124, 125, 128, 131, 151

أولاد أبي القاسم, 76

أولاد أحمد الرشايقه, 375

أولاد افرج, 197

أولاد الحاج, 76

أولاد الزويبر, 164

أولاد اهمالي, 58

أولاد ايعيش, 197

أولاد باجودة, 75, 184, 200, 252, 264, 314

أولاد باحمو, 141, 143, 149, 252, 266

أولاد بادحان, 141

أولاد جرير, 166, 202, 232, 233, 235

أولاد دليم, 143

أولاد زنان, 49, 101, 130, 285, 318, 326, 330,

426, 427

أولاد سيد الحاج أحمد, 228

أولاد سيد الحاج الجيلالي, 228

أولاد سيد الحاج بوحفص, 228

أولاد سيد الشيخ, 3, 13, 21, 49, 51, 74, 134,

135, 137, 141, 154, 156, 159, 165, 166,

182, 187, 191, 192, 198, 199, 200, 201,

202, 203, 204, 205, 206, 207, 209, 210,

211, 212, 214, 215, 217, 218, 229, 233,

235, 239, 245, 250, 253, 264, 265, 272,

292, 293, 325, 334, 335, 347, 354, 359,

384, 388, 429, 439, 446, 453, 495, 498

أولاد سيدي أحمد بن يوسف, 188

زوى, 38, 43, 51, 54, 60, 65, 139, 209, 218,
227, 228, 265, 291, 314, 316, 336, 360,
365

ت

تايتوق, 193

س

سعيد عتبة, 191, 196
سويسريين, 151

ج

جرامنة, 188, 228
جيرمان, 149

ش

شعانية, 49, 51, 105, 135, 138, 139, 141,
146, 156, 166, 191, 192, 193, 195, 196,
197, 199, 209, 211, 218, 223, 226, 228,
232, 233, 234, 235, 260, 281, 293,
339, 356, 357, 448

ح

حراطين, 51, 54, 57, 58, 59, 60
حريز, 343
حميان, 110, 182, 202, 211, 215, 226, 232,
235, 236, 438
حميدي, 224
حيدة قاسم, 366

ص

صنهاجة, 30

ط

طلبان, 151
طهيري, 1, 2, 27, 112, 157, 186, 211, 212,
217, 218, 220, 226, 238, 240, 241, 290,
299, 333, 340, 451, 452, 455
طوارق, 26, 30, 42, 43, 53, 58, 59, 93, 98,
101, 105, 121, 125, 127, 130, 135, 137,
143, 145, 155, 188, 192, 193, 195, 196,
198, 199, 206, 209, 232, 234, 235, 261,
263, 291, 300, 305, 317, 421, 459

خ

خنافس, 38, 49, 53, 54, 60, 61, 103, 105,
106, 109, 164, 165, 166, 198, 199, 204,
206, 207, 222, 232, 253, 272, 274, 293,
294, 325, 334, 357, 422

د

دوي منبع, 101, 102, 105, 111, 165, 166,
215, 222, 232, 233, 235, 342, 356

ر

رزانية, 182, 226, 408
رومان, 27, 31

ع

عبيد, 40, 43, 44, 51, 54, 57, 58, 59, 61, 66,
67, 70, 92, 94, 96, 132, 201, 274, 283,
312
عرب, 15, 20, 28, 30, 34, 35, 43, 47, 48,
49, 50, 51, 52, 53, 54, 59, 88, 103, 104,
105, 127, 130, 132, 134, 164, 167, 222,
229, 245, 248, 267, 289, 314, 316, 325,
326, 330, 351, 357, 387, 421, 436, 448,
457

ز

زناتة, 31, 40, 48, 51, 52, 53, 54, 56, 59, 88,
95, 103, 104, 127, 181, 245, 248, 275,
357, 383, 421
زواوة, 119, 271

ك

عززي, 226, 424

كرامة, 228

كرومي, 366

كريمي, 271, 335

كلغلا, 193

غ

غانمة, 51, 101, 102, 105, 165, 188, 233,
257, 262, 270, 327, 336, 339, 348, 352,
354, 356, 357

ل

لمتونة, 30

ف

فراغة, 88, 89

م

مجادبة, 228

محارزة, 49, 101, 105, 106, 109, 127, 166,

207, 271, 325, 333, 357

محمدي, 226, 229, 230, 455

مخادمة, 191, 198

مداغرة, 236

مداقنة, 195, 196, 227

مرايطين, 35, 43, 50, 51, 53, 54, 188, 228,

316, 323, 325, 327, 347, 426

مهاجرية, 54, 56

مهداوي, 226

موريسكيين, 55, 181

فرنسيين, 2, 5, 7, 8, 12, 14, 21, 27, 53, 56,
58, 61, 74, 87, 90, 93, 108, 110, 113,
118, 119, 120, 121, 123, 124, 125, 126,
128, 130, 131, 133, 143, 150, 157, 159,
160, 164, 165, 166, 167, 168, 169, 172,
173, 174, 175, 181, 186, 188, 189, 190, 191,
192, 193, 194, 195, 197, 198, 200, 201,
202, 203, 206, 207, 208, 211, 213, 214,
215, 218, 222, 224, 225, 231, 234, 235,
236, 237, 238, 239, 240, 243, 245, 246,
248, 249, 250, 252, 253, 254, 255, 256,
257, 258, 259, 260, 261, 262, 265, 267,
268, 270, 271, 274, 275, 276, 277, 278,
279, 282, 283, 284, 285, 287, 289, 291,
293, 294, 295, 307, 309, 310, 311, 314,
315, 316, 317, 318, 319, 323, 325, 326,
327, 328, 329, 330, 331, 332, 333, 334,
337, 338, 339, 341, 342, 344, 345, 346,
347, 348, 349, 350, 351, 352, 356, 357,
360, 361, 363, 366, 369, 370, 383, 384,
388, 393, 409, 421, 453, 498

فليطة, 202

فولان, 121

ن

نصاري, 55, 173, 190, 263, 264, 270, 326,

327, 330, 347, 382

ي

يهود, 27, 31, 41, 47, 52, 54, 55, 56, 81, 89,

106, 107, 127, 181, 245, 248, 421

ق

قاسمي, 219, 347

قريش, 103

فهرس البلدان والأماكن:

آ

آدمر, 35

أ

أدنبرة, 123
أدهمان, 380, 363
أرزيو, 154
أرون, 418, 124, 86

إ

إسبانيا, 435, 294, 255, 241, 201, 170

ا

اسبوع, 33, 34, 49, 53, 94, 95, 100, 105,
122, 153, 273, 290
اسطمبول, 86, 80

أ

أسفاو, 39, 347
أظوى, 35
أعباني, 35

ا

اعبود, 39, 61, 229, 271, 293
اغام, 41, 222
اغام الشريف, 41
اغام املا, 41

أ

أبا عمر, 35

ا

ابن عيسى, 41

أ

أنزيرية, 36
أجدير الشرقي, 39, 347
أجدير الغربي, 39, 347, 378, 451
أخنوس, 44, 326

أدرار, 10, 13, 15, 21, 22, 24, 25, 27, 29,
32, 33, 34, 42, 43, 48, 49, 59, 62, 65,
68, 69, 71, 73, 75, 79, 84, 89, 90,
100, 107, 121, 153, 169, 212, 230,
276, 284, 285, 286, 287, 288, 289,
299, 304, 305, 307, 319, 332, 335,
342, 345, 347, 361, 362, 368, 371,
372, 373, 408, 415, 417, 426, 427,
432, 433, 445, 446, 447, 448, 449,
451, 453, 454, 455, 456
أدرور, 35

آ

آدغا, 73

أ

أدغاغ, 27, 34, 287, 427, 432

أ

أفلو, 147, 193, 210, 233, 236

أفرون, 142

أفنيون, 137

أقبلي, 22, 23, 75, 76, 101, 120, 123,

142, 143, 145, 174, 226, 267, 305,

319, 324, 325, 327, 369, 418, 419,

421, 423, 446

أقبور, 35, 38, 39, 43, 54, 88, 93, 219,

225, 239, 302, 451, 452

إ

إقطن, 38, 43, 54, 80, 148, 163, 232,

265, 290, 313, 314, 316, 318, 320,

420, 474

إكيس, 35

ا

الأبيض سيد الشيخ, 21, 24, 41, 49, 74, 112,

135, 147, 158, 193, 200, 201, 203,

209, 229, 365

الأحمر, 41, 219, 227, 289

الأزواد, 26, 84

الإسكندرية, 27

الأغواط, 74, 113, 117, 118, 127, 134,

135, 137, 148, 153, 154, 155, 157,

171, 190, 191, 192, 193, 196, 210,

214, 259, 270, 275, 277, 283, 284,

288, 291, 293, 329, 340, 353, 363,

380, 418, 419, 424, 425

الأندلس, 54, 103, 180

الأوراس, 85

البحر الأبيض المتوسط, 128, 129, 185, 264

أ

أغدامس, 21, 23, 26, 27, 123, 124, 129,

143, 144, 180, 192, 243, 418, 419

ا

اغرم علي, 34

أ

أغرمملل, 35

أغلاد, 41

آ

آغلاد, 55

أ

أغيات, 41

إ

إغيل, 35, 36

أ

أفار, 34

إ

إفريقيا, 26, 27, 30, 32, 33, 37, 48, 57, 58,

65, 66, 68, 83, 88, 124, 127, 128,

129, 130, 131, 132, 137, 139, 142,

145, 152, 153, 169, 170, 172, 180,

212, 248, 250, 253, 262, 280, 283,

296, 315, 318, 330, 352, 433, 434,

435, 456

,345 ,335 ,332 ,325 ,319 ,311 ,310	البركة, 38, 43, 54, 217, 230, 290, 317
,371 ,368 ,367 ,365 ,364 ,361 ,360	,421 ,381 ,378 ,374 ,325 ,321 ,319
,391 ,387 ,386 ,382 ,375 ,374 ,372	425 ,423 ,422
,433 ,432 ,430 ,419 ,418 ,395 ,392	البنود, 147, 149, 159, 201
,446 ,445 ,444 ,443 ,442 ,435 ,434	البيض, 12, 97, 134, 135, 136, 140, 157
,455 ,454 ,453 ,450 ,449 ,448 ,447	,206 ,201 ,196 ,191 ,174 ,160 ,158
476 ,456	,226 ,225 ,224 ,220 ,218 ,211 ,207
406 ,270 ,153 ,الجلفة	,250 ,249 ,238 ,234 ,232 ,231 ,227
الحاج قلمان, 140, 141, 172, 205, 262, 264,	,277 ,271 ,270 ,263 ,261 ,258 ,256
365 ,364	,419 ,332 ,304 ,296 ,291 ,285 ,279
الحجاز, 27, 33, 74, 85, 183, 188, 263,	436 ,435
369 ,335 ,316 ,303 ,301	البيوض, 211
الحدبان, 38, 88	التكرور, 27, 78, 83, 96, 433
الحضنة, 202	الجديد, 35, 36, 43, 44, 171, 231, 421
الخلفي, 36	الجزائر, 1, 2, 3, 7, 8, 9, 10, 12, 13, 17,
الخيثر, 211	,30 ,29 ,27 ,26 ,25 ,24 ,23 ,22 ,21 ,19
الدغامشة, 38, 43, 105, 206, 265, 285,	,48 ,47 ,43 ,42 ,41 ,40 ,39 ,36 ,35 ,32
,321 ,319 ,318 ,317 ,316 ,311 ,295	,68 ,65 ,64 ,62 ,57 ,56 ,55 ,54 ,52 ,50
,391 ,383 ,374 ,369 ,361 ,356 ,322	,84 ,82 ,81 ,79 ,78 ,75 ,74 ,73 ,71 ,69
474 ,455 ,447 ,420	,107 ,106 ,100 ,99 ,97 ,96 ,91 ,89 ,86
الركينة, 44	,119 ,118 ,117 ,114 ,113 ,112 ,111
الرويسات, 191	,127 ,126 ,125 ,123 ,122 ,121 ,120
الزاب, 21, 24, 40, 52	,138 ,137 ,136 ,135 ,132 ,129 ,128
الزاوية, 23, 39, 43, 51, 69, 70, 71, 73, 76,	,147 ,145 ,144 ,143 ,142 ,140 ,139
,228 ,222 ,221 ,215 ,168 ,166 ,165	,155 ,154 ,153 ,152 ,151 ,150 ,148
,358 ,316 ,313 ,304 ,303 ,268 ,263	,168 ,167 ,165 ,161 ,160 ,157 ,156
,450 ,442 ,368 ,367 ,363 ,361 ,360	,178 ,176 ,175 ,174 ,171 ,170 ,169
451	,190 ,189 ,186 ,185 ,182 ,180 ,179
الزاوية الكبيرة, 101	,199 ,196 ,195 ,194 ,193 ,192 ,191
الزيبان, 190, 193	,210 ,209 ,205 ,204 ,202 ,201 ,200
الساقية, 39, 143, 351	,228 ,221 ,219 ,218 ,216 ,213 ,211
الساهلة, 38, 43, 54, 274, 291, 314, 324,	,253 ,247 ,244 ,243 ,236 ,235 ,230
425 ,338 ,337 ,335	,268 ,266 ,265 ,264 ,262 ,260 ,259
الساهلة الفوقانية, 43	,287 ,286 ,278 ,277 ,275 ,272 ,270
	,308 ,305 ,303 ,301 ,294 ,290 ,288

الغيشة, 193	الساورة, 3, 10, 12, 41, 57, 87, 133, 184
الفقييرة, 43, 265, 285, 311, 313, 316	212, 218, 240, 248, 256, 261, 269
474, 420, 391	274, 276, 278, 279, 286, 288, 304
القاهرة, 85, 87, 112, 131, 186, 201, 223	309, 310, 326, 331, 347, 351, 354
433, 435, 444, 445, 454, 455	356, 388, 419, 421, 448, 449
القرارة, 34	السبخة, 43
القصر الجديد, 36	السنغال, 27, 112, 131, 132, 135, 154
القصر الشرقي, 41	162, 169, 262, 303, 456
القصر الفوقاني, 36	السودان الغربي, 21, 23, 26, 27, 28, 29, 43
القصيية, 34	54, 57, 74, 76, 78, 83, 84, 86, 92, 93
القيرون, 168	96, 97, 99, 118, 119, 120, 124, 138
الكاف, 41, 163, 273, 292	139, 152, 159, 161, 169, 180, 182
الكرط, 39	191, 230, 235, 247, 264, 268, 285
اللجام, 39, 351	303, 309, 321, 386, 387, 434, 448
أ	الشارف, 39, 79, 105, 211
ألمانيا, 65, 127, 128, 170, 419	الشام, 183
ا	الشباني, 35
	الشلالة, 140, 210, 220, 227, 231, 258
	373, 430, 436
	الشلالة الظهرانية, 140, 220, 227, 231, 258
المحفوظ, 36, 80	430, 436
المرقب, 44	الشلف, 201
المستور, 36, 48, 432	الشويطر, 43
المشيرة, 12, 97, 158, 160, 181, 211, 225	الصحراء الغربية, 142, 143, 419
231, 249, 407, 435	الطاسيلي, 144, 154
المشور, 41	الظهرة, 202
المطارفة, 15, 37, 38, 51, 80, 100, 102	العراق, 86
105, 109, 181, 272, 274, 275, 276	العرق الشرقي الكبير, 23
283, 291, 294, 299, 311, 335, 336	العرق الغربي الكبير, 3, 22, 25, 37, 41, 144
337, 338, 339, 340, 341, 342, 353	145, 147, 159, 162, 234, 269, 270
356, 357, 358, 361, 362, 372, 380	285, 332, 449
383, 391, 424, 451, 474	العلوشية, 35, 36
المغرب, 11, 21, 23, 24, 27, 29, 30, 32	العمور, 193
35, 37, 41, 48, 55, 57, 61, 65, 68, 69	الغابون, 144
71, 73, 74, 79, 80, 85, 86, 88, 99	الغسول, 187, 188

الهقار, 3, 43, 57, 81, 82, 120, 143, 144,
153, 154, 193, 195, 199, 200, 247,
259, 285, 290, 309, 310, 313, 361,
384, 388, 443
الهند, 123, 263
الهند الصينية, 263
الواتة, 51, 101
الواجدة, 41, 365, 367
الوتد, 154
الونشريس, 201

أ

أمراد, 205
أمقيدن, 40, 52, 87, 105, 147

ا

انتتهنت, 36

أ

أنجزمير, 35, 122, 226

ا

انجلترا, 127, 172, 294, 418

أ

أنجلو, 42

ا

انزجمير, 35, 105, 424

أ

أنزقلوف, 36

106, 109, 110, 111, 112, 113, 114,
127, 128, 129, 142, 144, 158, 161,
165, 168, 170, 179, 180, 184, 185,
186, 195, 200, 201, 202, 203, 209,
210, 211, 216, 218, 221, 222, 228,
230, 241, 243, 247, 254, 255, 257,
258, 263, 275, 294, 313, 316, 325,
326, 345, 356, 386, 388, 419, 426,
432, 434, 443, 444, 445, 447, 450,
454, 456
المنجور, 41
المنصور, 34, 35, 36, 38, 40, 44, 48, 51,
54, 88, 100, 106, 108, 111, 113, 185,
225, 232, 456
المنصورية, 34
المنيعة, 3, 49, 97, 118, 120, 134, 147,
153, 155, 157, 163, 169, 195, 196,
197, 207, 217, 220, 225, 234, 238,
304, 320
والمنيعة, 23, 27, 37, 57, 137, 138, 139,
140, 141, 144, 148, 149, 155, 156,
157, 165, 171, 194, 195, 198, 205,
233, 236, 238, 243, 249, 253, 255,
256, 257, 259, 260, 261, 263, 265,
269, 270, 272, 273, 275, 277, 279,
280, 283, 285, 287, 292, 295, 304,
305, 313, 316, 322, 327, 329, 330,
332, 340, 351, 363, 418, 419, 424,
450
الميمون, 44, 365, 366, 445
النفيس, 36
النيجر, 26, 27, 30, 73, 84, 112, 113, 123,
127, 156, 162, 170, 255
النيل, 156, 170, 213, 255, 361
الهيئة, 34, 105, 290, 325, 327, 354

أولاد بوحفص, 34	آ	آنكير, 35
أولاد راشد, 38, 80, 240, 274, 335, 337,	ا	انهزوف, 41
425, 341, 338	أ	
أولاد سعيد, 15, 41, 51, 56, 75, 79, 86,		أودان, 26, 137
105, 114, 203, 204, 216, 219, 220,		أوداغ, 51
271, 303, 333, 334, 343, 344, 351,		أودهمان, 41, 381
356, 359, 363, 365, 373, 374, 376,		أوروبا, 127, 150, 169, 302
380, 381, 414, 425, 430, 432, 451,		أوريير, 38, 41, 88, 223, 225, 232
أولاد عبد الصمد, 38, 54, 217, 219, 222,		أوغزير, 36
223, 364, 365, 451		أوفران, 38, 335
أولاد عبد اللي, 41		أوقديم, 34
أولاد عبو, 38, 54, 88, 219, 220, 222, 223,		أوقروت, 15, 20, 21, 27, 38, 51, 54, 61,
225, 226, 229, 232, 233, 239, 240,		64, 79, 80, 85, 102, 105, 109, 118,
290, 407, 451, 452, 453		126, 134, 136, 137, 141, 153, 154,
أولاد عروسة, 34, 225		156, 171, 174, 182, 197, 199, 200,
أولاد علي, 34, 38, 100, 197, 335		203, 205, 206, 212, 216, 226, 228,
أولاد عنتر, 35, 152		229, 231, 235, 250, 251, 260, 261,
أولاد عيسى, 21, 24, 34, 39, 40, 80, 105,		263, 271, 272, 274, 293, 333, 343,
190, 214, 347, 361		359, 376, 417, 418, 419, 448, 451
أولاد محمود, 38, 92, 275, 335, 336		أولاد إبراهيم, 34, 41, 306, 321
أولاد موسى, 41		أولاد أحمد, 34, 328, 374
أولاد مولاي العربي, 36		أولاد اعيش, 34
أولاد مولاي رشيد, 44		أولاد الحاج, 35, 41, 44, 79
أولاد نايل, 190		أولاد الطاهر, 41
أولاد نوح, 41		أولاد المهدي, 41
أولاد هارون, 41		أولاد انجل, 34
أولاد وشن, 34		أولاد أوشن, 64, 72, 371, 432
أولف, 21, 22, 36, 42, 43, 51, 59, 66, 78,		أولاد اونقال, 34
82, 92, 94, 114, 118, 119, 120, 129,		أولاد برشيد, 35
140, 142, 187, 195, 226, 251, 267,		
280, 284, 288, 304, 317, 319, 320,		
321, 324, 326, 327, 329, 332, 356,		
369, 419, 421, 423, 424		
أولف الكبير, 44		
أوماح, 39, 347		

آ	بدارة, 41
آيت المسعود, 36	بدريان, 41, 79, 106, 363, 452
إ	بريع, 34
إيطاليا, 170	برقة, 27
إبقلي, 128, 159, 268, 269, 286, 295	برلين, 112, 113, 127, 169, 254
إينر, 44	برماة, 36
إينغر, 12, 15, 22, 42, 43, 120, 129, 145,	بروسيا, 127
195, 257, 266, 267, 268, 269, 271,	بريان, 194
274, 275, 280, 281, 282, 283, 284,	بريزينة, 243
291, 292, 295, 296, 304, 311, 313,	بريش, 36
315, 316, 317, 319, 320, 321, 322,	بريطانيا, 124, 132, 156, 169, 170, 176,
324, 325, 326, 327, 329, 330, 331,	418, 255, 264
338, 356, 357, 361, 369, 370, 371,	برينكان, 34, 100, 153, 276, 337, 339,
374, 383, 391, 402, 412, 420, 421,	452, 424, 425
423, 432, 474	بسكرة, 120, 133, 144, 147, 153, 154,
ب	419, 288, 196
بابا يدا, 41, 53	بشار, 57, 162, 342, 347, 354, 449
باتنة, 43, 284, 317, 443	بلاد المرتاجي, 44
باحمو, 39, 140, 142, 148, 187, 195, 251,	بلغازي, 38, 54, 136, 227, 274, 337, 338
263, 265, 316, 351, 421, 422	بمكة المكرمة, 86
باحو, 30, 36, 425	بن دراو, 34, 343
باريس, 14, 15, 29, 119, 125, 128, 130,	بن زيتة, 42
131, 132, 139, 143, 146, 150, 236,	بن طلحة, 34
419, 434	بن عايد, 39
باضاها, 41	بن همي, 35
باعبد الله, 34	بن يخلف, 102
باعمر, 77, 325, 384, 420	بنكور, 35
باكور, 39, 56, 361	بني اللو, 34
بالحاج, 35, 424	بني تامر, 34, 78, 225
باماكو, 112	بني عامر, 188, 200
بخلة, 34	بني عباس, 57, 128, 231, 303, 304, 326,
	419, 354, 351, 347
	بني عيسى, 42
	بني قومي, 268
	بني ملوك, 41, 51

175, 194, 199, 235, 251, 261, 263,	بني مهلال, 51
264, 313, 419	بني وازل, 34
تازفاغت, 41	بني ونيف, 162, 240, 354
تازليزا, 42	بني يسلم, 39, 347
تازولت, 35	بوانجي, 36
تاسفاوت, 35, 39, 55, 343, 344, 351, 359,	بوخلوف, 101
363, 366, 374, 425	بودة, 20, 21, 22, 23, 33, 34, 48, 63, 70,
تاعرايين, 39, 351	75, 90, 92, 100, 101, 105, 114, 122,
تاعضيمت, 284	153, 179, 181, 187, 195, 198, 206,
تاعنطاس, 42, 139, 270, 283, 290, 332,	274, 276, 317, 321, 325, 326, 331,
تاغوزي, 39, 351	338, 343, 344, 351, 353, 356,
تاغيث, 153, 355, 384	357, 423, 425
تافياللت, 27, 50, 57, 96, 99, 101, 107,	بورنو, 129
127, 128, 129, 131, 142, 200, 215,	بوزان, 34
230, 235, 241, 256, 260, 274, 325,	بوزقزاد, 35
326, 338, 343, 344, 345, 346, 356,	بوسعادة, 153
357, 418, 419, 450	بوسمغون, 112, 140, 211, 436
تاقلزي, 39, 347	بوعلي, 1, 2, 35, 51, 292, 293,
تاقنوت, 39, 351	بوغار, 152
تاكياالت, 39, 351	بوفادي, 35, 100
تالة, 39, 216	بوقطب, 211
تامحمودت, 41	بوقمة, 39
تامست, 134, 326	بوكركور, 42
تاوراخت, 39, 351	بوكزين, 39, 351
تاوريحت, 56	بويحيا, 35
تاويريت, 23, 39, 153, 290, 347	بويحيى, 41, 100
تاونزا, 39	
تبركانت, 35	
تبلكوزة, 21, 22, 23, 42, 134, 231, 251,	
256, 261, 263, 324, 333	
تبو, 39, 51, 203, 347, 348	
تركيا, 81, 230	
تسابيت, 20, 22, 23, 27, 33, 36, 37, 49,	
51, 53, 82, 89, 95, 105, 122, 134,	
153, 179, 181, 272, 274, 276, 290,	

ت

تاجموت, 43

تاحتايت, 41, 56

تاخيفيت, 35

تادمايت, 24, 37, 42, 89, 115, 138, 140,

142, 144, 147, 153, 156, 162, 171,

,35 ,34 ,33 ,32 ,31 ,30 ,29 ,28 ,27 ,26	,354 ,353 ,338 ,336 ,327 ,324 ,317
,47 ,45 ,44 ,43 ,42 ,41 ,40 ,38 ,37 ,36	452 ,423 ,356
,58 ,56 ,55 ,54 ,53 ,52 ,51 ,50 ,49 ,48	تشاد, 144 ,143 ,129 ,128 ,127
,69 ,68 ,67 ,66 ,65 ,64 ,63 ,61 ,60 ,59	تعرابت, 36
,80 ,79 ,78 ,77 ,75 ,73,74 ,72 ,71 ,70	تفاغ, 58
,90 ,89 ,88 ,87 ,86 ,85 ,84 ,83 ,82 ,81	تقانت, 134 ,42
,99 ,98 ,97 ,96 ,95 ,94 ,93 ,92 ,91	تقراف, 44
,106 ,105 ,104 ,103 ,102 ,101 ,100	تلات, 41
,113 ,112 ,111 ,110 ,109 ,108 ,107	تلمسان, 132 ,118 ,81 ,74 ,64 ,54 ,11
,121 ,120 ,119 ,118 ,117 ,115 ,114	,188 ,187 ,184 ,180 ,179 ,178 ,155
,129 ,128 ,127 ,125 ,124 ,123 ,122	,306 ,270 ,252 ,209 ,201 ,200 ,193
,136 ,135 ,134 ,133 ,132 ,131 ,130	453 ,445 ,418
,149 ,147 ,143 ,142 ,141 ,140 ,138	تلوين, 41
,158 ,157 ,156 ,155 ,154 ,151 ,150	تماسخت, 55 ,35
,165 ,164 ,163 ,162 ,161 ,160 ,159	تماسين, 166 ,120
,173 ,172 ,171 ,170 ,169 ,168 ,166	تمالت, 35
,181 ,180 ,179 ,178 ,176 ,175 ,174	تمانة, 41
,190 ,187 ,186 ,185 ,184 ,183 ,182	تمبكتو, 96 ,84 ,83 ,81 ,76 ,27 ,26 ,23
,199 ,198 ,197 ,195 ,194 ,192 ,191	,129 ,127 ,124 ,123 ,120 ,118 ,112
,207 ,206 ,205 ,204 ,203 ,202 ,200	,162 ,154 ,153 ,142 ,133 ,132 ,131
,224 ,220 ,217 ,216 ,214 ,212 ,208	419 ,418 ,321 ,262 ,255 ,175
,236 ,235 ,233 ,232 ,230 ,229 ,228	تمسقلوت, 351 ,39
,245 ,244 ,243 ,242 ,241 ,238 ,237	تمليحة, 35
,253 ,252 ,251 ,250 ,249 ,248 ,247	تمنراست, 304 ,42
,260 ,259 ,258 ,257 ,256 ,255 ,254	تمنطيط, 41 ,35 ,34 ,33 ,21 ,20 ,15 ,11
,268 ,266 ,265 ,264 ,263 ,262 ,261	,90 ,86 ,81 ,80 ,79 ,77 ,75 ,66 ,58 ,55
,276 ,275 ,274 ,273 ,272 ,271 ,269	,122 ,114 ,109 ,108 ,105 ,102 ,100
,285 ,284 ,283 ,282 ,279 ,278 ,277	,326 ,319 ,284 ,273 ,184 ,181 ,179
,292 ,291 ,290 ,289 ,288 ,287 ,286	433 ,432 ,372 ,360 ,346 ,345
,301 ,300 ,299 ,297 ,296 ,295 ,294	تناصر, 351 ,91 ,39
,309 ,308 ,307 ,306 ,305 ,304 ,302	تندارة, 109
,320 ,319 ,316 ,315 ,313 ,311 ,310	تندوف, 388 ,278 ,142
,331 ,327 ,326 ,325 ,324 ,322 ,321	تنزروفت, 419 ,269 ,262 ,153 ,120 ,23 ,3
,342 ,341 ,340 ,338 ,337 ,336 ,335	توات, 12 ,11 ,10 ,9 ,8 ,7 ,6 ,5 ,4 ,3 ,2 ,1
,355 ,354 ,350 ,349 ,346 ,344 ,343	,25 ,24 ,23 ,22 ,21 ,20 ,19 ,17 ,15 ,13

,331 ,317 ,313 ,311 ,306 ,304 ,299	,362 ,361 ,360 ,359 ,358 ,357 ,356
,361 ,357 ,356 ,344 ,343 ,342 ,332	,382 ,375 ,373 ,372 ,369 ,368 ,367
,423 ,419 ,392 ,388 ,386 ,383 ,369	,392 ,391 ,388 ,387 ,386 ,384 ,383
476 ,474 ,443	,402 ,401 ,400 ,398 ,397 ,396 ,395
,195 ,129 ,120 ,118 ,44 ,43 ,42 ,36 ,تيط	,416 ,415 ,411 ,409 ,408 ,406 ,403
,384 ,327 ,326 ,324 ,305 ,267 ,226	,433 ,432 ,428 ,426 ,419 ,418 ,417
423 ,421	,446 ,445 ,444 ,443 ,442 ,435 ,434
424 ,35 ,تيطاف	,473 ,472 ,454 ,453 ,449 ,448 ,447
36 ,تيطاوين الشرفا	476 ,474
36 ,تيطاوين لخراص	تورسيت , 41
179 ,85 ,37 ,36 ,تيقورارين	تورفين , 43
42 ,تيلغمين	توريرت , 36 ,153
153 ,64 ,35 ,تيلولين	,133 ,127 ,120 ,119 ,108 ,86 ,81 ,توقرت
35 ,تيلولين الشرفا	,196 ,194 ,193 ,190 ,155 ,153 ,147
36 ,تيلولين المرابطين	419 ,418 ,288 ,233 ,197
36 ,23 ,تيمادنين	توكي , 35 ,38 ,54 ,364
351 ,39 ,تيمارين	,87 ,86 ,85 ,84 ,81 ,74 ,73 ,30 ,26 ,تونس
198 ,تيماسين	,139 ,138 ,137 ,127 ,123 ,118 ,107
42 ,تيمزلان	,263 ,247 ,192 ,191 ,190 ,188 ,182
424 ,330 ,325 ,129 ,44 ,43 ,تيمقطن	447 ,445 ,433 ,386 ,316 ,275 ,270
22 ,وتيمقطن	,363 ,303 ,211 ,204 ,196 ,154 ,27 ,تيارت
102 ,تيمودي	448 ,425 ,380 ,374 ,373 ,364
,64 ,61 ,60 ,48 ,34 ,33 ,30 ,22 ,21 ,تيمي	271 ,197 ,136 ,39 ,تبيرغمين
,105 ,102 ,101 ,100 ,90 ,77 ,73 ,71	تيدماين , 36 ,226
,163 ,153 ,136 ,134 ,131 ,122 ,109	,33 ,25 ,24 ,22 ,20 ,11 ,8 ,6 ,3 ,تيديكلت
,218 ,206 ,199 ,181 ,172 ,171 ,166	,64 ,63 ,59 ,53 ,51 ,49 ,45 ,44 ,43 ,42
,269 ,266 ,260 ,257 ,256 ,227 ,225	,94 ,93 ,92 ,91 ,90 ,81 ,78 ,76 ,75 ,65
,284 ,279 ,276 ,275 ,274 ,273 ,271	,120 ,114 ,113 ,108 ,105 ,100 ,97 ,96
,325 ,324 ,319 ,307 ,293 ,291 ,287	,140 ,138 ,137 ,134 ,129 ,128 ,124
,368 ,356 ,343 ,342 ,333 ,329 ,327	,166 ,157 ,156 ,147 ,146 ,145 ,142
,432 ,424 ,419 ,411 ,409 ,386 ,374	,216 ,199 ,198 ,197 ,192 ,191 ,183
454	,244 ,236 ,233 ,231 ,230 ,226 ,217
,40 ,39 ,25 ,24 ,23 ,21 ,17 ,15 ,تيميمون	,267 ,266 ,264 ,262 ,259 ,253 ,251
,75 ,66 ,64 ,61 ,58 ,56 ,55 ,52 ,51 ,41	,277 ,276 ,275 ,272 ,271 ,269 ,268
,105 ,102 ,94 ,93 ,92 ,90 ,89 ,86 ,79	,298 ,296 ,290 ,287 ,286 ,281 ,279

ج

جامايكا, 123
 جبل عمور, 193
 جبل فالط, 109
 جزر القمر, 143
 جزولا, 41
 جنان باسا, 92
 جنين بورزق, 261, 249, 238, 233, 158, 154
 جواليل, 43

ح

حاسي الحجار, 43
 حاسي الشيخ, 234, 101
 حاسي الناقة, 198
 حاسي إينيفل, 250, 174
 حاسي بوخنفسوس, 233
 حاسي حتو, 236, 140
 حاسي شبابة, 156
 حاسي صاكة, 285
 حاسي علي, 234
 حاسي عمار, 156
 حاسي لغزال, 474, 452, 384, 355, 354, 353
 حاسي مية, 156
 حصن ماكماهون, 233, 156
 حصن مكماهون, 322, 147
 حصن ميريبال, 156
 حماد, 34
 حيا, 39
 حينون, 319, 44, 43

د

لدلول, 60, 54, 38, 37, 21, 15, 12, 7, 3
 105, 102, 101, 93, 88, 74, 64, 63, 61

,121, 120, 119, 118, 114, 109, 108
 ,181, 164, 138, 137, 136, 133, 126
 ,218, 217, 212, 205, 204, 199, 197
 ,257, 256, 226, 223, 222, 220, 219
 ,273, 272, 271, 270, 263, 260, 261
 ,287, 285, 284, 279, 276, 275, 274
 ,305, 304, 302, 293, 292, 289, 288
 ,332, 331, 327, 326, 324, 311, 306
 ,339, 338, 337, 336, 335, 334, 333
 ,346, 345, 344, 343, 342, 341, 340
 ,363, 359, 356, 353, 351, 348, 347
 ,379, 378, 376, 374, 366, 365, 364
 ,419, 418, 417, 415, 383, 381, 380
 ,433, 432, 430, 429, 428, 425, 424
 ,453, 452, 451, 449, 448, 446, 445
 474, 456

تين زيري, 347, 55, 39
 تينركوك, 126, 94, 80, 63, 53, 49, 41, 22
 ,219, 206, 205, 187, 162, 147, 141
 ,332, 331, 271, 270, 234, 231, 220
 419, 418, 359, 334
 تينقلين, 39
 تينقرارين, 79, 62, 52, 40, 36, 33, 32, 20
 453, 363, 185, 184
 تينكرام, 347, 55, 39
 تينور, 36
 تينولاف, 36
 تينيلان, 100, 73, 34
 تيوريرين, 35

ث

ثنية الساسي, 112

[illegible]

طلمين, 15, 39, 40, 55, 56, 105, 134, 199,
219, 220, 274, 276, 283, 284, 291,
297, 311, 334, 338, 343, 347, 348,
351, 352, 353, 356, 357, 361, 376,
379, 380, 383, 391, 413, 425, 452,
453, 474
طنجة, 21, 57, 111, 128, 131, 132, 185,
236, 241, 257, 418, 419, 446

ع

عالية, 39
عرق شاش
وعرق شاش, 25
عريان الرأس, 34, 100
عريان الرأس, 34
عزي, 35, 266, 311, 322, 327, 329, 391,
421, 422, 423
عسلة, 133, 418
علة, 112
عمنات, 44
عمور, 34, 48, 193, 214, 432
عين الصفراء, 12, 15, 97, 112, 132, 140,
154, 158, 160, 162, 181, 186, 208,
209, 211, 213, 218, 231, 238, 243,
251, 258, 261, 275, 287, 288, 289,
291, 355, 407, 418, 436, 451
عين الطيبة, 144
عين بني مطهر, 209
عين حمو, 42
عين صالح, 10, 15, 22, 23, 24, 25, 27, 42,
43, 51, 58, 64, 66, 75, 90, 100, 107,
114, 118, 120, 123, 125, 126, 129,
130, 133, 136, 137, 138, 139, 141,
142, 144, 145, 147, 148, 149, 153

سموطة, 41, 79, 139, 141, 165, 205, 221,
232, 414, 419
سنغاي, 29
سويسرا, 125, 418
سيام, 263
سيد المختار, 39, 351
سيدي بلعباس, 193, 201
سيدي منصور, 42, 166
سيدي وعلي, 35
سيدي يوسف, 35, 380, 381, 382
سيراليون, 123
سيلفن, 43
سيوة, 86

ش

شروين, 15, 39, 56, 105, 134, 157, 166,
199, 203, 216, 274, 276, 283, 291,
292, 297, 311, 338, 343, 345, 346,
347, 348, 349, 350, 351, 352, 356,
357, 361, 363, 366, 376, 377, 378,
379, 380, 383, 391, 413, 425, 451,
452, 474
شلالة, 112
شمال إفريقيا, 26, 27, 244, 248
شنقيط, 23, 27, 40, 74, 81, 83, 84, 86,
118, 247, 263, 309, 316, 386, 447

ص

صالح الدين, 41

ط

طرابلس, 26, 65, 81, 86, 106, 123, 124,
127, 128, 129, 418, 434, 435
طروايا, 41

ع

ف

ق

قلو, 39, 351
قنتور, 39, 80
قنتورة, 41
قورارة, 3, 4, 6, 8, 9, 10, 11, 12, 20, 21,
22, 24, 25, 33, 36, 37, 38, 39, 40, 41,
42, 44, 45, 48, 49, 51, 52, 53, 54, 55,
59, 61, 63, 64, 74, 75, 79, 80, 86, 88, 90,
91, 92, 93, 94, 96, 97, 98, 103, 105,
106, 107, 108, 110, 114, 118, 134,
135, 136, 139, 140, 147, 148, 156,
157, 158, 159, 160, 162, 164, 165,
166, 167, 168, 175, 180, 181, 184,
186, 195, 197, 198, 199, 200, 203,
204, 205, 206, 213, 216, 217, 219,
220, 228, 229, 230, 233, 234, 237,
242, 244, 250, 251, 252, 253, 256,
262, 264, 269, 271, 272, 274, 276,
277, 279, 287, 288, 290, 293, 296,
299, 300, 301, 302, 304, 306, 311,
313, 324, 326, 331, 332, 333, 334,
335, 339, 341, 342, 343, 344, 351,
353, 354, 355, 356, 360, 361, 362,
363, 366, 368, 375, 376, 382, 383,
386, 388, 392, 419, 429, 445, 446,
448, 449, 452, 474, 476

ك

كالي, 41, 79
كانو, 81
كبرتق, 37, 38, 107, 108
كرزاز, 51, 102, 197, 326, 365
كورسيكا, 191, 224
كوسام, 11, 21, 23, 24, 34, 73, 78, 426,
432

قارة الحاج, 191
قسنطينة, 82, 102, 107, 120, 143, 153,
194, 419, 432
قصبية الجنة, 36, 44
قصبية السيد, 44
قصبية الشرفاء, 44
قصبية القايد, 36, 305
قصبية المرابطين, 36, 322
قصبية النجار, 36
قصبية أولاد حادقة, 328
قصبية أولاد مولاي بوفارس, 35
قصبية أولاد مولاي عبد الواحد, 36
قصبية أولاد مولاي علي, 36
قصبية أولاد مولاي لحسن, 35
قصبية باجودة, 145, 148, 265, 315, 420
قصبية بلال, 44
قصبية حبادات, 44
قصبية سيدي الشريف, 36
قصبية مايفاف, 44
قصر البخاري, 202
قصر الحاج, 39, 140, 141, 197, 262, 264,
364, 365
قصر الحاج قلمان, 364, 365
قصر الحمام فوقاني, 209
قصر الشلالة, 204, 303, 363, 364
قصر العرب, 43, 163, 313
قصر المبروك, 172, 262
قصر المرابطين, 43
قصر المهدي, 44
قصر قدور, 42, 205
قصر لحسين, 44
قصر بيش, 111
قطوف, 39, 351

ل

مرزوق, 86, 129
مرسيليا, 137, 192, 419
مستغانم, 182, 263, 316
مصر, 40, 73, 74, 79, 81, 84, 85, 86, 88,
113, 170, 182, 186, 188, 200, 212,
240, 433, 434, 455
معسكر, 134, 168, 193, 194, 196, 211,
338, 350
مغرار, 12, 15, 154, 165, 208, 209, 211,
212, 214, 216, 220, 221, 233, 237,
238, 452
مغمورة, 41
مكة المكرمة, 167, 168, 182, 189, 301, 302
مكرة, 35
مكناس, 215
مكيد, 35
ملوكة, 34, 73, 75, 78
مليانة, 43, 138
مناصير, 35
مهدية, 34, 319
مؤنة, 178
موجينس, 143
موريتانيا, 27, 73, 84, 142, 287, 388
موقادور, 26
مويدر, 145
مويدر, 23
ميزاب, 27, 108, 113, 119, 120, 137, 171,
190, 193, 197, 259, 418, 419
ميمون, 34, 342

ن

نعمة, 39, 293, 351
نومناس, 35, 100
نوميديا, 33, 37, 179, 180

م

لازورا, 41
لاغوس, 129
لحدب, 43
لحمر, 35, 39, 342
لعماريين, 34
لعياد, 34
لغمارة, 34
لقصابي, 34, 51, 348
ولقصابي, 23, 102
لمحارزة, 36
لمعيز, 34
لندن, 170
ليبيا, 30, 51, 65, 76, 86, 87, 106, 118,
123, 124, 128, 182, 183, 188, 212,
247, 263, 316, 363, 386, 425, 433,
434, 435, 444
ليشتا, 41
ليون, 145, 168, 188, 302, 445

ماسين, 41
مالي, 26, 27, 28, 29, 30, 40, 73, 76, 84,
86, 120, 127, 144, 167
مامون, 35
متبلي, 49, 51, 118, 120, 134, 153, 163,
190, 193, 194, 195, 196, 225, 234,
235, 236, 239, 280, 292, 418, 419,
445

مدرسة, 211
مدغشقر, 144
مراد, 41
مراقن, 34
مراكش, 23, 26, 82, 131, 184

واينة, 34	نيجيريا, 73
وجدة, 212, 234	نيس, 145
وجلان, 34	نيم, 26, 137
ودران, 34	
ودغاغ, 42	هـ
ودغة, 35	همبورغ, 127
ورقلة, 27, 31, 49, 57, 76, 97, 118, 119,	هنو, 43
120, 124, 133, 136, 143, 147, 153,	
155, 157, 166, 189, 190, 191, 192,	و
194, 195, 196, 197, 198, 200, 201,	
220, 225, 226, 242, 259, 263, 264,	
280, 286, 288, 292, 305, 313, 369,	
418, 419, 448	
وزان, 165, 166, 169, 220, 260, 292	
وهران, 14, 15, 74, 77, 82, 86, 100, 128,	
133, 134, 135, 136, 139, 140, 147,	
154, 155, 171, 182, 191, 200, 201,	
202, 210, 229, 240, 243, 266, 268,	
275, 286, 306, 435, 442, 447, 451,	
453	
ي	
ياكو, 39	
يحيا ودريس, 39, 351	
يفزا, 41	
بيش, 186	
	وادي الميسعود, 23, 30, 37, 89
	وادي المية, 23
	وادي الناموس, 204
	وادي درعة, 57
	وادي زرقون, 243
	وادي عجرود, 112
	وادي قارية, 87
	وادي قير, 32, 221, 268, 331
	وادي مسعود, 87
	وادي مقيدن, 22, 156
	وادي ميزاب, 118
	وانودي, 39

فهرس الجداول:

الرقم	المحتويات	الصفحة
01	توزيع القصور على جهات توات	45
02	توزيع تركيبة سكان مقاطعات توات (تقديرات سنة 1891)	59
03	حركة القوافل التجارية بين قورارة والتل الجزائري 1900-1899	97
04	محطات لأهم الأحداث الأمنية في توات خلال القرن 19م	101
05	توزيع قصور توات حسب الانتماء لحلفي يحمى وسفيان	105
06	توزيع قوات الاحتلال الفرنسي في جهات توات ما بين 1902-1900	280
07	مقارنة في تعداد سكان توات قبل وبعد الغزو الفرنسي	302
08	توزيع قصور توات على ولايات (أدرار، تيميمون، عين صالح)	415
09	أهم المدارس القرآنية في منطقة توات حالياً	418
10	أهم خزائن المخطوطات والقائمين عليها حالياً	418
11	تعداد القوافل التجارية بين توات ومناطق الجوار سنة 1905	419
12	أهم الرحلات الاستكشافية لمنطقة توات خلال القرن 19م	419
13	أسماء بعض شهداء معركة الفقييرة 28 ديسمبر 1899	422
14	أسماء بعض شهداء معركة الدغامشة 05 يناير 1900	422
15	أسماء بعض شهداء معركة إينغر 18-19 مارس 1900	423
16	أسماء بعض كبار الأسرى بعد معارك جهة تيديكلت	425
17	بعض أسماء رجال المقاومة في معركة المطارفة أوت-سبتمبر 1900	426
18	بعض الأسماء لرجال المقاومة في تيميمون وشروين وطلمين 1901	427

فهرس الموضوعات:

المحتويات	الصفحة
الإهداء	ب
شكر وعرفان	ج
مختصرات البحث	د
مقدمة	01
مدخل: التعريف بمنطقة توات	18
أولاً: الموقع والأهمية الاستراتيجية	19
ثانياً: التسمية والقصور	28
الفصل الأول: أوضاع منطقة توات خلال القرن 19م	46
المبحث الأول: الأوضاع الاجتماعية	47
1- تركيبة المجتمع	47
2- نظام القصر والجماعة	59
3- مظاهر المعيشة والانسجام	62
المبحث الثاني: الأوضاع الثقافية	68
1- مظاهر الحركة العلمية خلال القرنين 18 و 19م	68
2- أهم الأعلام والمراكز العلمية	75
3- العلاقات الثقافية خارجياً	81
المبحث الثالث: الأوضاع الاقتصادية	87
1- مظاهر الاقتصاد المحلي	87
2- الازدهار التجاري للمنطقة	95
المبحث الرابع: الأوضاع السياسية والأمنية	99
1- الأحوال الأمنية في المنطقة	99
2- الاستقطاب الخارجي للمنطقة	106
خلاصة الفصل	114

117	الفصل الثاني: مظاهر الاهتمام الفرنسي بالمنطقة
118	المبحث الأول: دور الرحلات والبعثات الاستكشافية
118	1- الاهتمام بكتابات الرحالة المحليين
124	2- الاستفادة من الرحالة الأوروبيين
131	3- البعثات والرحلات الفرنسية
152	المبحث الثاني: الخطوات والمشاريع التمهيدية لاحتلال المنطقة
152	1- مشروع السكة الحديدية العابر للصحراء
156	2- إنشاء المراكز العسكرية على حدود المنطقة
160	3- فكرة الاحتلال السلمي للمنطقة
171	4- المراسلات والتحرشات الفرنسية
175	خلاصة الفصل
178	الفصل الثالث: دعم المنطقة للمقاومة الشعبية وطنياً
179	المبحث الأول: علاقة توات بالمقاومة الشعبية الوطنية
179	1- منطقة توات قاعدة خلفية في الكر والفر
188	2- ثورة الشريف محمد بن عبد الله
194	3- ثورة محمد بن التومي المدعو بوشوشة
200	4- انتفاضة أولاد سيدي الشيخ
209	المبحث الثاني: لجوء الشيخ بوعمامة إلى المنطقة (1883-1894)
209	1- الشيخ بوعمامة سيرة ومسيرة
213	2- لجوء الشيخ بوعمامة إلى واحة دلدول
224	3- علاقة المنطقة بدعم الشيخ بوعمامة
239	4- مغادرة الشيخ بوعمامة لمنطقة توات
244	خلاصة الفصل
247	الفصل الرابع: الغزو الفرنسي للمنطقة

248	المبحث الأول: ظروف وأسباب الغزو الفرنسي
248	1- الأهمية الاستراتيجية لمنطقة توات
249	2- مرحلة التمهيد للمشروع الاستعماري
251	3- ما تعرض له الرحالة المستكشفون
253	4- مطاردة فلول المقاومة الشعبية
255	5- التنافس الدولي على توات
259	6- المحاولات الأولى للفرنسيين ومواقف التواتيين
263	المبحث الثاني: حملات الغزو الفرنسي على المنطقة
263	1- الغزو من جهة تيديكلت
270	2- الغزو من جهة قورارة
273	3- الغزو المتعدد الجبهات (تيديكلت، توات، قورارة)
279	المبحث الثالث: السياسة الفرنسية في غزو المنطقة
279	1- السياسة العسكرية وإدارتها
292	2- الآليات الدبلوماسية ودعايتها
297	3- الإجراءات الاقتصادية والاجتماعية
302	4- السياسة الثقافية والدينية
309	خلاصة الفصل
313	الفصل الخامس: المقاومة الشعبية في توات
314	المبحث الأول: معارك المقاومة في جهة تيديكلت
314	1- معركة الفقيقرة (إقسطن)
317	2- معركة الدغامشة
322	3- ملحمة إينغر
332	المبحث الثاني: معارك المقاومة في جهة قورارة
332	1- معركة فانتيس وبداية غزو قورارة
336	2- معركة المطارفة
343	3- هجومات تيميمون
348	4- معركة شروين
352	5- معركة ظلمين
354	6- موقعة حاسي لغزال

358	المبحث الثالث: المقاومة الثقافية في توات
359	1- دور الزوايا والمدارس القرآنية
363	2- أعلام وعلماء ومواقف خالدة
369	3- دور الموروث الشعبي المحلي
387	خلاصة الفصل
389	خاتمة
399	الملاحق
435	المصادر والمراجع
461	فهرس الأعلام والشخصيات
469	فهرس القبائل والأجناس
473	فهرس البلدان والأماكن
490	فهرس الجداول
491	فهرس المحتويات

منطقة توات وإسهاماتها في المقاومة الشعبية بالجزائر (1883-1903)

الملخص:

عرفت منطقة توات بجهاتها الثلاث (توات الوسطى، تيديكلت، قورارة) زخماً تاريخياً كبيراً متزامناً مع فترة التوسع الاستعماري بالجنوب الغربي للجزائر، من مظاهره رفض الاحتلال الفرنسي ودعم المقاومة الشعبية حتى قبل احتلال المنطقة، بحيث شكلت ملاذاً آمناً لبعض رجال المقاومة الشعبية في الجزائر، خاصة الفترة بين 1858-1894 والتي عرفت فيها توات لجوء كل من محمد بن عبد الله وبوشوشة وأولاد سيدي الشيخ مثل سي قدور بن حمزة والشيخ بوعمامة؛ وكانت المنطقة بحركتها التجارية الدؤوبة وموقعها الاستراتيجي مجال حيوي للجزائر خصوصاً، ومع حواضر الجوار عموماً، مما جعل أنظار الفرنسيين تشرأب نحوها برحلاتهم الاستكشافية وعلاقاتهم الناعمة وطوايرهم الغازية، لكنهم جوبهوا بمقاومة شعبية محلية قوية، تنامت مظاهرها العسكرية والثقافية في المنطقة بين 1899-1903.

في هذه الأطروحة نتناول الموضوع ببحثٍ من مقدمة ومدخلٍ وخمسة فصول، حول أهمية وموقع المنطقة، ومظاهر الأطماع الفرنسية التوسعية، ونماذجٍ عن لجوء قيادات المقاومة الشعبية وعلى رأسهم الشيخ بوعمامة خلال 1883-1894، ومرحلة الغزو الفرنسي، وأهم أشكال المقاومة الشعبية محلياً، وبعدها ننهي الأطروحة بخاتمة واستنتاجات تقودنا إلى أن النضال الوطني بالمنطقة لم يتوقف طيلة الوجود الاستعماري الفرنسي؛ معتمدين في دراستنا هذه على مصادر ومراجع محلية كالمخطوطات وكتابات أهل المنطقة، وأخرى وطنية وأجنبية كدفاتر الرحالة الفرنسيين ورسائل الشيخ بوعمامة وقيادات أخرى، ووثائق الأرشيف الفرنسي لما وراء البحار، وبالإستعانة أيضاً بدراسات سابقة لها علاقة بالبحث.

الكلمات المفتاحية:

توات، قورارة، تيديكلت، الغزو الفرنسي، الجنوب الغربي للجزائر، المقاومة الشعبية، الرحالة والمستكشفين، اللجوء، الشيخ بوعمامة.

The Tuat Region and its Contributions to the Popular Resistance in Algeria (1883-1903)

Abstract:

The Tuat region, with its three regions (Tuat Central, Tidikelt, and Gurara), was famed for its great historical momentum coinciding with the period of colonial expansion in southwestern Algeria. Among its manifestations was the rejection of the French occupation and support for the resistance in Algeria even prior to the occupation of the region, so that it

formed a safe resort for some members of the popular resistance in Algeria, in particular. The period between 1858–1894, during which the asylums of Muhammad Ben Abdallah, Bushusha, and the sons of Sidi Sheykh, such as Si Kaddur Ben Hamza and Sheykh Buamama, were known; The region, with its bustling commercial activity and strategic location, was a vital area for Algeria in particular, and for neighboring cities in general, which made the French raise their interest in it with their exploratory trips, their soft relations, and their invading columns, but they were met with strong local popular resistance, the military and cultural manifestations which grew in the region between 1899–1903.

In this thesis, we address the subject with research, including an introduction, and five chapters, about the importance and location of the region, the manifestations of French expansionist ambitions, and examples of the refuge of the leaders of the popular resistance, led by Sheykh Buamama, during 1883–1894, the phase of the French invasion, and the most important forms of popular resistance locally with which we conclude the thesis. With a conclusion that leads us to the fact that the national struggle in the region did not stop throughout the French colonial presence. In this study, we rely on local sources and references, such as manuscripts and writings of the people of the region, and other national and foreign ones, such as the notebooks of French travelers, the letters of Sheykh Buamama and other leaders, and documents of the French archives overseas, and also using previous studies related to the research.

Keywords:

Tuat, Gurara, Tidikelt, French Invasion, Southwestern Algeria, Popular Resistance, Travelers and Explorers, Asylum, Sheykh Buamama.